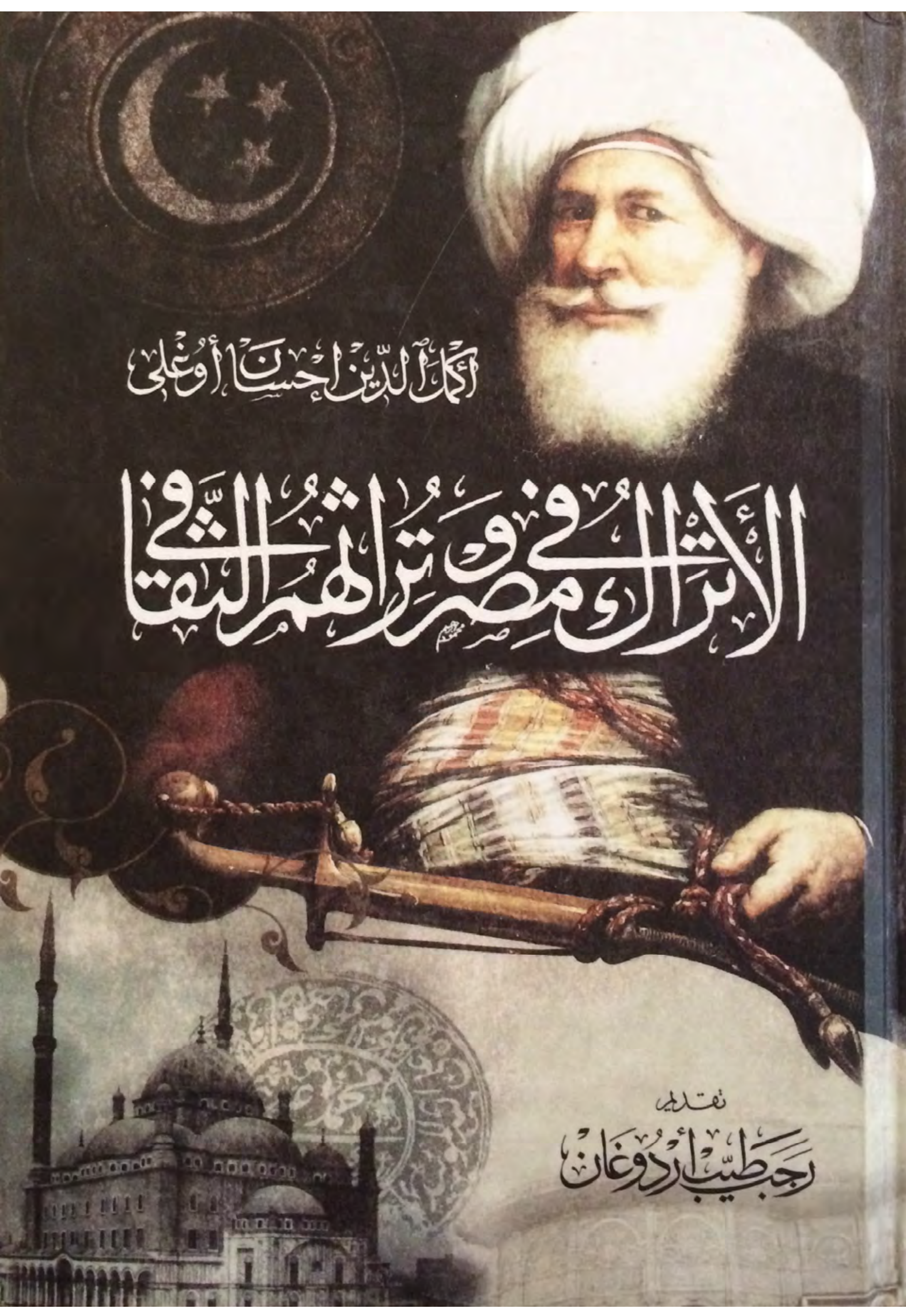


أكمل الدين إحسان أوغلي

الأتراك في مصر وتراثهم الثقافي

تقديم

رجب طيب أردوغان

الأتراك في مصر وتراثهم الثقافي

الطبعة الأولى: إرسيكا - إستانبول ٢٠٠٦

طبعة دار الشروق الأولى ٢٠١١
طبعة منقحة ومزيدة

رقم الإيداع ٢٠١١/٢٤٩٤
ISBN 978-977-09-2290-3

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

٨ شارع سيبويه المصري
مدينة نصر - القاهرة - مصر
تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩
فاكس: ٢٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
email: dar@shorouk. com
www. shorouk. com

أكمل الدين إحسان أوغلي

الأتراك في مصر وتراثهم الثقافي

دراسة تحليلية وثبت ببليوغرافي لإرثهم المطبوع منذ عهد محمد علي

تأليف
أكمل الدين إحسان أوغلي

تقديم
رجب طيب أردوغان

نقله إلى العربية
صالح سعداوي

دار الشروق

إهـداء

إلى والدي العزيز في ذِكراه العاطرة. .
والدي الذي تشربت منه حُبَّ العلم وصُحبة الكتّاب. .
وإلى كل من أمدني بدعمه في مسيرتي هذه.

أكمل الدين بن احسان اوغلى

فهرس المحتويات

الصحيفة

الفصل الأول

الأتراك في مصر وثقافتهم منذ القرن التاسع عشر

الفصل الثاني

الطباعة في مصر وما طبع بها من آثار الثقافة التركية

تقديم

تُمثّل العلاقات التركية المصرية – التي ترجع جذورها إلى القرن التاسع الميلادي – واحدًا من مجالات البحث الأكثر جدارة بالاهتمام في تاريخ منطقتنا وفي تاريخ العالم. وهذا التاريخ الذي يتضمن موضوعات جدّ متباينة في الثقافة والفنون والعلوم والتعليم واللغة والفكر والسياحة والتجارة والإدارة والعلاقات الإقليمية إنما يؤكد في الوقت نفسه أهمية الروابط التاريخية الراسخة بين الشعبين التركي والعربي. فالأتراك والعرب يدينون بدين واحد ويتقاسمون تراثًا ثقافيًا واحدًا، وأخذوا على عاتقهما أدوارًا مركزية في بناء الحضارة الإسلامية، وكان لهما إسهامهما الواضح في صياغة القيم الإنسانية المشتركة.

وفي إطار هذا التاريخ العريق تتبوأ العلاقات التركية المصرية مكانة متميزة. فقد عاش هذان الشعبان جنبًا إلى جنب سنوات طوال، وكأن القدر قد جمعهما على مصير واحد، وتنفسوا جوًا دينيًا وفكريًا واحدًا، وتقاسموا قيم حضارة واحدة، وكافحوا من أجل نفس القيم الإنسانية الرفيعة. وكانت مصر تتمتع خلال عهود الذروة في قوة الدولة العثمانية بوضع خاص دون سائر الإيالات العثمانية؛ وبَرزت بينها بتراث ثري في مجالات العلم والثقافة والفنون والتعليم. وقد استطاعت الرابطة بين القاهرة وإستانبول أن تواصل بقاءها حتى أوائل القرن العشرين. فقد نرى بين عالم يدرّس في القاهرة وشاعر أو مؤلف لكتاب في إستانبول ظهور خطّ متصل يتجاوز الزمان والمكان، وهذا الخط قد ربط برباط وثيق بين الشعبين. وكشف أيضًا عن أهمية كبيرة في حاضر العلاقات بين المجتمعين التركي والمصري.

وكما أكررُ القولَ كثيرًا يجب علينا أن نضع حدًا لكتابة تاريخ علاقاتنا بعقول مشتتة ونظرات وأفكار انفصمت عن بعضها البعض. بل إن علينا أن نعيد معًا كتابة تاريخنا المشترك، فأقدارنا على مدى التاريخ لم تكن منفصمة، ولا أراها سوف تكون كذلك في المستقبل. إن القضية الأهم عندنا هي أن نعيد قراءة أنفسنا وحضارتنا بشعور ولغة يرقيان إلى مستوى قيمنا الرفيعة. وعلينا أن ننقل تاريخنا إلى الأجيال الصاعدة على أنه جوهر وأساس يبنى عليه شعور مشترك ولغة مشتركة.

وهذا الكتاب الذي ألفه العالم الجليل الأستاذ الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلى أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي هو الدراسة الأولى التي تتناول بالتفصيل هذا التاريخ. وهو يُرَكِّزُ على العلاقات التركية المصرية، ويتحدث عن التطورات التي وقعت في عهد محمد علي باشا وعهد أسرته بوجه خاص، ويكشف بشكل لافت عن ذلك الدور الذي لعبته اللغة التركية وثقافتها في ظهور مصر الحديثة. وهذه الدراسة التي تعد الأولى في هذا المجال تبين لنا بوضوح إلى أي مدى يرتبط مصير تركيا بمصير مصر، وإلى أي مدى يرتبط مصير إستانبول بمصير القاهرة.

وهذا الكتاب الذي حصل في عام ٢٠٠٨م على جائزة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز يجري اليوم تقديمه إلى كتلة عريضة من القراء في طبعته العربية الجديدة. وفي مثل هذه الأيام التي تدخل فيها العلاقات التركية العربية والعلاقات التركية المصرية منعطفًا جديدًا أراني على ثقة بأن هذا العمل الذي بين أيدينا سوف يُسْهِم بشكل جاد في دعم تلك العلاقات، ويُقَرِّبُ المسافات بين الشعبين أكثر وأكثر. ويسعدني بهذه المناسبة أن أهنئ الأستاذ الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلى وأهنئ دار الشروق للنشر، متمنيًا لهذه الدراسة أن تكون فاتحة خير لدراسات أخرى مشابهة.

رجب طيب أردوغان

رئيس وزراء جمهورية تركيا

تصدير الطبعة الأولى

كان قدر مصر منذ عهد الطولونيين (٨٦٨-٩٠٥م) وحتى عام ١٩٥٢م أن يتعاقب على حكمها دائماً أناسٌ - عدا الفاطميين - من أصول تركية، أو أناس تربوا على تقاليد الدولة التركية. وخلال تلك الحقبة الطويلة كان للعهد الذي دخلت فيه مصر تحت الحكم العثماني مكانة متميزة. إذ كان للثقافة التركية آثارها التي تركتها في مصر، ولا تزال بعض مظاهرها ماثلةً حتى اليوم. غير أن الثقافة التركية على أيام محمد علي باشا (١٨٠٥-١٨٤٨م) وفي حكم عائلته من بعده كانت أكثر تأثيراً في العديد من المجالات، وبشكل يفوق ما كانت عليه سابقاً، في اللغة والتعليم والحياة العسكرية وغيرها.

وكانت ولا تزال تربط البروفسور أكمل الدين احسان أوغلى بمصر علاقة حميمة لا انقطاع لها. وانعكست تلك العلاقة بشكل واضح على برامج المركز وأنشطته المختلفة على مدى الخمسة والعشرين عاماً الماضية التي عمل فيها مديراً عاماً له حتى انتخابه أميناً عاماً لمنظمة المؤتمر الإسلامي. فقد حظيت مصر بنصيب أوفى من فعاليات المركز وأعماله المتعددة التي تتوزع بين المؤتمرات والندوات والكتب والمنشورات وغيرها، فتقرر أن يكون لمصر سلسلة خاصة بها ضمن منشورات المركز تحمل اسم "سلسلة التاريخ والثقافة التركية في مصر". وكان أولُ تلك الأعمال إصدار ألبوم للصور الفوتوغرافية التاريخية التي جرى التقاطها لمصر ضمن ألبومات قصر يلديز، وعُرف باسم "مصر في عدسات القرن التاسع عشر" (٢٠٠١م). ثم أعقــب ذلك إصدار كتابين يتناولان الثقافة التركية في مصر من جوانب مختلفة، قام بإعداد أحدهما المهندس محمد

أبو العمايم باسم "آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني" (٢٠٠٣م) واستعرض فيه العمائر العثمانية في القاهرة خلال العهد العثماني وحتى عهد محمد علي باشا (١٥١٧-١٨٠٥م) بما تضم من جوامع ومدارس وتكايا. وكان هذا الكتاب تحت إشراف البروفسور إحسان أوغلى؛ ولم يلبث في أعقابه أن قام بإعداد كتاب باسم "الثقافة التركية في مصر، جوانب من التفاعل الحضاري بين المصريين والأتراك" بالتعاون مع الزميل صالح سعداوي. وتناول فيه موضوع التفاعل الثقافي المتبادل بين الأتراك والمصريين في مصر منذ عهد الطولونيين حتى الحملة الفرنسية (٨٦٨- ١٧٩٨م)، في اللغة والأدب والفنون والفكر والعادات والتقاليد وغيرها. كما احتوى الكتاب معجماً مهماً للألفاظ التركية التي دخلت العامية المصرية (٢٠٠٣م).

وإلى جانب تلك المنشورات التي أصدرها المركز وكان للبروفسور إحسان أوغلى جهد مباشر في كتابتها وإعدادها كانت هناك أيضاً أعمال أخرى تابعها عن كثب حتى صدرت، ومنها الكتاب الذي أصدره وقف إيسار بعنوان "أوقاف مصر، قبل وخلال العهد العثماني"، وقام على إعداده آيدين أوزقان (٢٠٠٥م).

أما الكتاب الذي نقدم له اليوم "الأتراك في مصر وتراثهم الثقافي" الذي هو أحد هذه الأعمال فهو يتناول جوانب مختلفة من الثقافة التركية ابتداءً من عهد محمد علي حتى الوقت الراهن، وذلك على ضوء الكتب التركية المطبوعة هناك. وينقسم الكتاب كما ترون إلى ثلاثة فصول، يتحدث أولها عن تغلغل الثقافة التركية واللغة التركية في الحياة الاجتماعية، وفي سراي الخديوي والأوساط المحيطة به، وفي الإدارة والجيش والتعليم في مصر؛ كما يتحدث عن الكتب المترجمة من اللغات المختلفة إلى اللغة التركية وأصدائها المختلفة. ويتحدث الفصل الثاني بإيجاز عن مطبعة بولاق التي تبوّأت مكانة هامة في طباعة الكتاب التركي في مصر، وكذلك عن المطابع الأخرى التي شاركتها ذلك العمل. أما الفصل الثالث فقد جاء تحت عنوان "عناصر الثقافة التركية المطبوعة في مصر، قوائم ببليوغرافية"، وهو كما نرى يشكل العمود الفقري لهذه الدراسة، إذ

يضم قوائم الكتب التركية المطبوعة في مصر، والصحف والمجلات الصادرة فيها، ثم قائمة الكتب المترجمة من التركية إلى العربية والمطبوعة في مصر أيضاً.

فالكتاب دراسةٌ واسعة ومتعمقة، والباحث الذي يمكنه انجازها على أحسن وجه هو بلا شك الأستاذ الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلى. ولِمَ لا فقد نشأ وتربى في تلك البيئة العثمانية الأخيرة في مصر، وتشَرَّب تلك الثقافة بكل جوانبها لغةً وأدباً وعاداتٍ وتقاليد وغير ذلك. ولولا حرصه ومبادرته ببحث الخلفية أو الأرضية لهذه الأمور بدقة الباحث الأكاديمي والمثقف الواعي لما شهدنا هذه الدراسة التي وصفها هو نفسه بأنها "حلم حياته"، ولما ظهر لنا كتاب على هذا النحو.

أما المكان الأنسب لصدور هذا الكتاب القيم الذي أعده البروفسور إحسان أوغلى وأمضى فيه سنوات طويلة من عمره فلن يكون غير هذا المركز (إرسيكا) الذي تحول بفضل جهوده ومثابرته إلى مؤسسة أكاديمية تحظى بالاحترام والتقدير على مستوى العالم. ونعتقد ونحن نحاول المساهمة في تحقيق "هدف حياة" مديرنا العام السابق وأميننا العام الحالي معالي الأستاذ الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلى أننا نقدم للقراء دراسةً نموذجية تبحث في التفاعل الحضاري والإرث الثقافي طوال التاريخ المشترك الذي عاشه الشعبان التركي والمصري.

وأنتهز هذه الفرصة لكي أتقدم بالشكر إلى معالي الأستاذ الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلى على تحقيق هذا الإصدار، كما أشكر الزميلين الدكتور صالح سعداوي على ترجمته الرصينة والآنسة حُمَيْرا زَرْدَه جي على جهودها في إعداد النسخة التركية من هذا الكتاب للطباعة، سائلاً المولى أن ينفع به الجميع.

مدير عام إرسيكا

الدكتور خالد أرن

بين يدي الكتاب

قد يختار رجل العلم والباحث أو يضطر لاختيار موضوعاته في الكتاب الذي يودّ تأليفه نتيجة لأولويات ورغبات شخصية، أو نتيجة لملابسات وظروف أخرى معينة. فمنذ الأيام التي بدأتُ فيها حياة التلمذة في الجامعة، وعلى مدى مدة تزيد على أربعين عاماً، أي منذ سنوات الشباب التي بدأت تتوق فيها نفسي إلى الكتابة حتى هذه الأيام، كنت – إلى جانب الكتب التي ألفتها وترجمتها أو قمت على إعدادها خلال بحوثي العلمية المتواصلة بشتى الطرق والمستويات منذ توليت إدارة إرسيكا وحتى اليوم – سبباً في تهيئة الظروف اللازمة لظهور مؤلفات يصعب على رجل العلم وضعها بمفرده وسبباً في انجاز بحوث كبيرة، وإعداد وطباعة كتب لم يفكر فيها العديد من الناس، وطابت نفسي كثيراً لكل هذا. ولكل كتاب عندي مكانة خاصة وطعم خاص. ومما لاشك فيه أن الشخص الذي يعيش الظروف التي أعيشها سوف يشعر بكل ما أشعر به، إلا أنني وأنا أقدم هذا الكتاب للقراء أود القول إنني أشعر بمسئولية معنوية وبأحاسيس عميقة ومختلفة تماماً هذه المرة، فالقول بأن هذا الكتاب هدف حياة ونتاج مصير قد يكون بالنسبة لي قولاً مفعماً بالمشاعر والأحاسيس.

ولعل هذا الكتاب يأتي وفاءً لدين، وأمانة للتاريخ يودعها أياه الكاتبُ الذي عاش في الموضع الذي التقى فيه بلدان وثقافتان ولغتان وامتزج هذا بذاك سنين طويلة، بعد أن ولد هناك برياح القدر في آخر بيئة عثمانية نتيجة لزيجة جاء أحد طرفيها من روابي الأناضول والآخر من جزر البحر الأبيض ليلتقيا هناك في وادي النيل. وباعتباري واحداً

ممن نشأوا في هذا الجو وتربوا على تلك الأرض ومضت ذكرياتهم هناك وهم يشهدون بعد أن أخذت المياه تجري في مجرى آخر مباشرة أثر العديد من الثقافات القديمة فقد شئت أن أسجل كل ذلك حتى يبقى للتاريخ.

إن التأثيرات الاجتماعية والثقافية التي وقعت فيما بين الأتراك الذين وفدوا على مصر واستوطنوها على مدى السنين وبين المصريين قد ترسخت في مصر حتى أصبحت وكأنها جزء لا يتجزأ من المجتمع المصري. وفَصْــل هذه العناصر عن بعضها البعض ثم إرجاعها إلى أصولها والقول بأن هذا العنصر أو ذاك قد جاء من الأتراك أمر صعب قدر صعوبة فصل الظفر عن اللحم. ولكن من الناحية العلمية فلاشك أن ذلك ممكن. والديْن الذي في عنقي وأود الوفاء به هو السعي للكشف عن تلك التأثيرات المتبادلة في المجال الثقافي بين كلا المجتمعين. وبطبيعة الحال فانه سوف يكون بالقدر الذي علمته وبحثته توصلت إليه، فهذا هو موضوع الدراسة في هذا الكتاب.

وقد بدأ العمل في هذه الدراسة في عام ١٩٦٢م، واستمر حتى اليوم بعد المرور بمراحل مختلفة وحالات توقف معينة. ومن المحطات الهامة في خط القدر الذي أشرت إليه سابقاً تلك السنوات التي كنت مضطراً للعمل فيها في دار الكتب المصرية وأنا أدرس آنذاك في كلية العلوم بجامعة عين شمس (١٩٦٢-١٩٦٦م). وقد كان من أعظم الذكريات لفرصة العمل التي أتاحها لي المدير العام المرحوم الأستاذ عبدالمنعم عمر ومساعده المرحوم الأستاذ صلاح الدين حفني داخل المبنى التاريخي الرائع لدار الكتب تلك الأيام التي عملتُ فيها وسط تلك الثروة الثقافية المنعدمة النظير في قسم الفهارس الشرقية. وفي ذلك القسم الذي كانت ذكرى والدي المرحوم ما تزال ماثلة فيه كان يجري العمل وسط جو من السكينة والحبور مع التركستاني الأستاذ نصرالله مبشر الطرازي صاحب التجربة العريضة في أعمال الفهرسة لسنوات طويلة وكذلك مع الأستاذ التركستاني الشيخ محمد يونس الذي عملت معه مدة قصيرة قبل هجرته إلى الديار المقدسة. وفي دار الكتب المصرية وجدتُ الفرصةَ سانحة للاطلاع على كل نفيس من الكتب المخطوطة والمطبوعة

بدرجة لا نظير لها في التراث الثقافي العثماني، وتعرفتُ على بعضها، ودرستُ البعضَ بدرجة أو أخرى. وقد كان مرشدي في ذلك نصر الله الطرازي وبطاقات الفهرسة التي تركها المرحوم والدي مزودةً بملاحظاته الدقيقة. وكنت أثناء هذه الوظيفة قد عملت مدةً في قسم المطبوعات والدوريات القديمة التابع لدار الكتب في القلعة، مما كان سبباً في إثراء تجاربي في هذا المجال. ولكوني عشتُ آثار ومؤسسات عهد محمد علي باشا التي أصبحت في حكم التاريخ فقد اكتسبت من وراء ذلك حساً وعمقاً.

ففي تلك السنوات وجدت الفرصة للاطلاع على الكتب التركية المطبوعة في مصر ضمن مجموعة دار الكتب الغنية ويرجع أغلبها إلى ذلك العهد. وفي بلد مثل مصر يكون من الطريف أن ترى العديد من كتبٍ طُبعتْ باللغة التي تتحدث بها النخبة والصفوة عدا اللغة العربية لغة عامة الأهالي. وبدأ العمل بوضع قوائم ببليوغرافية لتلك الكتب وقوائم للدوريات التركية المطبوعة في مصر، ثم أردف ذلك بعمل ثالث أضيف إلى سابقيه. وكنت في تلك الأثناء قد تعرفت على الأستاذ المرحوم أحمد عيسى كبير المكتبيين في جامعة القاهرة، وانعقدتْ بيننا صداقة وطيدة بعدها، وسعدتُ بانتدابه للعمل معنا في المركز بعد ذلك في الثمانينات، وكان يقوم في الستينات بإصدار مجلة للكتابيات تحت اسم "عالم الكتب"، فطلب مني إعداد دراسة ببليوغرافية حول "المترجمات التركية المطبوعة في مصر" ليجعل منها موضوعاً من موضوعات مجلته، وكانت تلك الدراسة أيضاً قد شكلت العمود الفقري من هذا الكتاب الذي أعمل عليه منذ سنوات طويلة مع القوائم الببليوغرافية للكتب والدوريات التركية. وهذا العمل الببليوغرافي الذي تشكل على مدى فترة طويلة تزيد على أربعين عاماً قد بُني على الأرضية الرحبة التي وفرتها لنا دار الكتب المصرية، ثم أمكن الوصول به إلى مرحلة متقدمة بإضافة النسخ الموجودة في مكتبات تركيا وبعض المكتبات الأوروبية.

والفصول التي تتصدر القسم الأول من هذا الكتاب، أي التي تلقي الضوء على الجوانب المتنوعة من تأثيرات الثقافة التركية في مصر، جرت كتابتها على ضوء

المعلومات المستمدة من دراسة الكتب والأعمال المدرجة في تلك القوائم الببليوغرافية الثلاث، ومن المعلومات التي وفرتها لنا البحوث والرسائل التي وضعت في موضوعات مختلفة، وكذلك بفضل الإشارات التي جاءت في وثائق الأرشيف المنشورة حول عهد محمد علي باشا بوجه خاص.

وأغلب تلك الفصول – التي تتحدث عن عدد الأتراك في مصر وأوضاعهم ومكانتهم في الجيش والجهاز الإداري والحياة الاجتماعية – قد جرت كتابتها لأول مرة، ولهذا فإنها حتى وإن قدمت للقاري بعض معلومات قد تفاجؤه فهي ليست إلاّ محاولات أولية في هذا المجال. وكان من النتائج التي خرجتْ بها هذه الدراسة أن اللغة التركية في مصر قد شكلت لنفسها بيئة حية، غير أن هذه البيئة قد جفت منابعها مع مرور الوقت حتى بلغ خط مسيرها نهايته المنتظرة. كذلك فإن البيئة الأرستقراطية التي كان مركزها الوالي أو الخديوي وسراي الحكم وتلك الثقافة التي تشكلت حولها وفعلت فعلها وصداها في الطبقة البرجوازية حلقةً حلقةً قد استطاعت مع مرور الوقت أن تؤثر في طلبة المدارس الحديثة المحليين القادمين من مختلف الطبقات. فقد أتيحت الفرصة أمام الشبان المصريين الذين تخرجوا في المدارس المدنية والعسكرية الحديثة التي أقامها محمد علي لكي يتعرفوا عن قرب على الثقافة العثمانية من خلال تعلمهم اللغة التركية والدروس الأخرى ضمن البرامج التعليمية لتلك المدارس، فكان رجال الدولة المدنيون والعسكريون الذين نشأوا من بين هؤلاء وكذلك المثقفون هم الذين شكلوا الوجه المصري أو النسخة المصرية من تلك الثقافة العثمانية.

وقد اقتضى الأمر ونحن ندرس هذه الموضوعات أن نتعرض في هذا السياق لمطبعة بولاق الشهيرة ذات المكانة المتميزة في طباعة الكتاب التركي في مصر تحت عنوان مستقل، ونذكر إلى جانبها – بقدر الإمكان – المطابع الأخرى التي فعلت فعلها.

وأود هنا أن أذكر بكل التقدير والعرفان هؤلاء الذين كانوا مصدر إلهامي في إعداد هذا الكتاب على مدى مدة تزيد على أربعين عاماً، هؤلاء الذين بسطوا لي جناح المحبة

والعطف والرعاية في حياتي العملية الأولى، هؤلاء الأفاضل الذين ذكرت أسماءهم في أول حديثي (رحمة الله عليهم). كما لا يفوتني أن أذكر أيضاً وبنفس المشاعر ذلك الرجل الفاضل الأستاذ سيد فؤاد خبير العربية في قسم المخطوطات العربية بدار الكتب المصرية وزميله الفاضل الأستاذ محمود اسماعيل خبير المطبوعات العربية. ولولا ذلك العدد الكبير من المكتبيين الذين ساعدوني وعثروا لي على تلك الكتب التي لم يكن يطلع عليها أحد أو يهتم بها ولم تلمس أغلبها يد أحد بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر لَمَا أمكن كتابة هذا الكتاب وخروجه على هذا النحو.

وكان لزملائي الأعزاء الذين لم يبخلوا عليّ بشيء أثناء عملي في إرسيكا وكذلك للأخوة في مكتبة المركز فضل كبير في ظهور هذا الكتاب. وفي الثمانينات عندما أعدتُ النظر في بعض فصوله وبدأتُ حصر ودراسة النسخ الموجودة في مكتبات تركيا كانت الدكتورة خديجة آيْنور قد تخرجت حديثاً من قسم المكتبات في استانبول، وكان لها إسهامات مهمة في هذا العمل، واستمر اهتمامها دائماً بالموضوع. كما لم يبخل علينا الأستاذ الدكتور شكري هاني أوغلى بملاحظاته المفيدة في الفصل الخاص بمنشورات رجال تركيا الفتاة، كما أشكر صديقي الدكتور جون شتراوس الذي استرشدت بآرائه في القسم الخاص بالترجمة من اللغات الأوربية إلى التركية، وأمدني بالعديد من ملاحظاته القيمة. وأشكر الأخت الفاضلة الزميلة حُمَيْرا زرده جى على جهودها في هذا الكتاب، فهي التي أعطته شكله النهائي، وقامت بضبط قوائمه الببليوغرافية بدقة كما أشكر بصفة خاصة تلميذي وزميلي الدكتور صالح سعداوي على ترجمته للكتاب وعنايته بإخراج الطبعة العربية منه.

أكمل الدين إحسان أوغلى

إرســيكا

١٢ أغسطس ٢٠٠٥م

تمهيـــد

لم يحظ تاريخ الترك في مصر حتى الآن بالعناية والاهتمام اللازمين على الرغم من تشعبه واتساعه. فلا شك أن توجه الأتراك نحو مصر مولد أقدم حضارات الدنيا وموطنها بعد هجرتهم من آسيا الوسطى إلى الغرب وما تميزوا به في التاريخ الإسلامي من فهم خاص بحكم الدول وإدارة الجيوش وحظوا به من ثقافات ديناميكية إنما يشكل ساحة ثرية وعميقة أمام الباحثين.

فمنذ العهد الطولوني (٨٦٨ – ٩٠٥م) حتى سنة ١٩٥٢م لا يخلو حكم مصر – ما عدا العهد الفاطمي – من حاكم تركي الأصل أو حاكم نشأ وتربى على مفهوم الدولة التركية وثقافتها. وهذا قد يبدو بطبيعة الحال أمراً يصعب قبوله بسهولة في فكر الدولة القومية الحديث، ولكن الزعم أيضاً بأنه وضع مستغرب في مسيرة التاريخ الإسلامي أو لم يكن له مثيل آخر أمر لايمكن تصديقه. وهذا الكتاب الذي نقدمه اليوم لا يقوم على اختيار وأفضلية لأحد أحكام القيمة السالفة في هذا الموضوع، ولكنه يستهدف تاريخ الشعبين التركي والعربي، ولا سيما تلك العلاقة الخاصة التركية المصرية التي تشكل عصب هذه الدراسة ويتناولها بشكل يرتكز على الحقائق التاريخية. ثم يمكننا بعد ذلك أن نستخرج منها أحكام القيمة.

وكنا في دراسة سابقة قد تناولنا بالتفصيل القسم الخاص ببداية هذا التلاقي حتى نهاية القرن الثامن عشر، وحاولنا رسم ملامح التأثير المتبادل بين هاتين الأمتين[1].

(١) تناولنا في تلك الدراسة مظاهر التفاعل الثقافي بين الأتراك والمصريين في مصر منذ عهد الطولونيين حتى الحملة الفرنسية وذلك في مجالات الأدب والفن والفكر والعادات والتقاليد وغيرها. كما ألحقنا في نهايتها معجماً للألفاظ التركية

وعقب هذه الدراسة مباشرة قمنا بنشر كتاب يضم قائمة مفصلة للآثار المعمارية الإسلامية التي أقيمت في القاهرة في العصر العثماني في العهد التقليدي (١٥١٧ – ١٨٠٤م)[٢]. ونحاول في دراستنا الحالية أيضاً الكشف عن الصفحة الأخيرة في تلك العلاقة التاريخية، وهي الصفحة التي تبدأ من أوائل القرن التاسع عشر إلى الوقت الحاضر.

فمع تقدم أوربا وفي الوقت الذي أدركت فيه الدولة العثمانية أن ميزان القوى قد مال لغير صالحها ثم عزمها على خوض حركة التحديث في المجال العسكري أولاً من أجل سد الهوة بين الطرفين يظهر حدث جد طريف على مستوى العلاقة العثمانية المصرية. ويتمثل ذلك الحدث في أن يتولى محمد علي في سنة ١٨٠٥م ولاية مصر، وهو ضابط في الجيش العثماني برتبة (سَرْ چَشْمَه)، ثم يمتد حكمه وحكم عائلته عليها حتى سنة ١٩٥٢م. ويأتي في مقدمة الجوانب التي لم يجر تناولها حتى الآن في تلك الحقبة التاريخية البالغة مائة وخمسين عاماً تحول تلك العائلة إلى عنصر أساسي في نفوذ التأثيرات المختلفة للثقافة التركية إلى مجتمع مثل مصر تجذرت فيه تقاليد الثقافة العربية، وفي تشكيل ثقافته الحديثة. وهذا التاثير الذي اتسع مع إقامة الجهاز الإداري المركزي وتشكيل الجيش قد نفذ إلى نقاط لم يبلغها التأثير العثماني في عصره التقليدي.

وقد حاولنا في هذه الدراسة أن نكشف عن التأثيرات التركية التي استطعنا الكشف عنها في بعض جوانب الإدارة والمجتمع المصري اعتباراً من مطلع القرن التاسع عشر. واجتهدنا أيضاً لتقديم قوائم ببليوغرافية للكتب التركية المطبوعة في مصر ابتداءً من عهد محمد علي باشا وكذلك للدوريات من الصحف والمجلات وللكتب التي

التي دخلت العامية المصرية (انظر: أكمل الدين إحسان أوغلى، صالح سعداوي: الثقافة التركية في مصر، جوانب من التفاعل الحضاري بين المصريين والأتراك، إرسيكا استانبول ٢٠٠٣م).

(٢) يتناول في مجلده الأول الذي ظهر منه المساجد والمدارس والزوايا التي أقيمت في القاهرة خلال العصر العثماني، أي من سنة ١٥١٧م إلى سنة ١٨٠٥م. ويبلغ عدد تلك الآثار المذكورة في ذلك المجلد ١٤١ أثراً معمارياً يجري التعريف بها مع الاستعانة بكافة الوسائل الإيضاحية من خرائط ومخططات وصور وغير ذلك (محمد أبو العمايم؛ آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني، إشراف أكمل الدين إحسان أوغلى، إرسيكا – استانبول، ٢٠٠٣م).

تُرجمت من التركية إلى العربية ثم طبعت في مصر. ويكون من طبيعة الأشياء أثناء ذلك أيضاً أن نتناول بشكل أكثر تفصيلاً عهد محمد علي باشا وشخصيته مما يشكل الأرضية الأساسية لهذه الدراسة.

ولكي نفهم جيداً شخصية محمد علي والتجديدات التي حققها أو أراد تحقيقها يجدر بنا النظر إلى الأمور من منظور أوسع، أي في إطارها العثماني. وعلينا ونحن نفعل ذلك أن نقبل أيضاً أن الحكم العثماني الذي امتد ثلاثة قرون قد ترك أثراً هاماً على النظم القانونية والثقافية والاقتصادية في مصر. وانطلاقاً من هذا النظام التقليدي شرع محمد علي في عمله على هدي من حركة التجديد العثمانية التي كان يجري تنفيذها آنذاك في استانبول، واستطاع بأسلوبه العملي أن يخلق في مصر طرزاً خاصاً به في التجديد. وهذا الطرز، على الرغم من كونه "عثمانياً" في الأساس، إلاّ أنه اختلط في كثير من الأمور ومنها الجيش بعناصر "فرنسية" حتى وإن كان بنسب متباينة، ثم أخذ شكله معززاً بعناصر مختلفة بقدر الحاجة. ومرحلة التشكل هذه قد تحققت كلما حصلت الحاجة دون أن يكون هناك اتفاق على شئ مسبقاً. وهذه النزعة التجديدية – على الرغم من أنها مستلهمة في الأساس من حملات التحديث التي جرت في استانبول عاصمة الدولة العثمانية إلا أنها خلقت لنفسها في النهاية طابعاً ذا مذاق خاص. وهذا التركيب الجديد الذي كشف عن نفسه في المجال الثقافي قد كشف أيضاً عن النموذج "العثماني – المصري" إلى جانب النموذج "العثماني – التركي".

إن حركة التحديث المتشعبة التي بدأها محمد علي باشا في مصر إنما تتضمن النموذج العثماني في الأساس. ويمكننا أن نشهد آثار مصدر الإلهام هذا وتأثيراته في العديد من المجالات، وفي مقدمتها تشكيل الجيش الذي هو القوة الدافعة للتحديث في المجالات الأخرى، ثم في إقامة المؤسسات التعليمية وإقامة المطبعة التي تمد كل ذلك بالكتاب اللازم. ورغم أن ما حدث في استانبول قبل ذلك كان مثالاً في مصر يحتذى به في التجديدات التي تحققت في تلك المجالات إلاّ أن القاهرة في بعض الأحوال قد فاقت استانبول، كما هو الحال في أمر الجيش والمطبعة، وتقدمت عليها بعد مدة

قصيرة وحققت نجاحاً باهراً. فالنجاح الذي حققه محمد علي في هذين الأمرين اللذين أشرنا إليهما بشكل خاص قد قوبل في كافة أنحاء الدنيا بتقدير عظيم ومنها استانبول، وقوبل أحياناً بالحسد والغيرة.

ومع ذلك فإن التأثير التركي العثماني في مصر كان أكثر قوة وأكثر تشعباً على أيام محمد علي باشا بالمقارنة مع العهد العثماني السابق على ذلك رغم امتداده ثلاثة قرون. وهذه التأثيرات التي شملت طرز الحياة الاجتماعية في الملبس والمأكل وفي الموسيقى والغناء وأساليب التسلية والترويح وغيرها قد شملت الطبقات الأرستقراطية والبرجوازية الجديدة وأوساط الأعيان القدامى وذلك مع نمو حجم الجهاز الإداري المدني والعسكري الذي تشكل حلقة حلقة حول الباشا وعائلته المتنامية. وهذا التأثير الثقافي الذي نفذ إلى ساحات تأثير واسعة تمتد إلى أساليب الملبس وأنواع الأطعمة وألوان الموسيقى والغناء إنما يرتكز في الأساس على مرجعية أعلى تشكلت من احتذاء الثقافة العثمانية الاستانبولية حتى عُرفت بصفة (استانبوللى) والتصقت بها. وأبرز مظاهر ذلك التأثير كانت تبدو واضحة جلية حتى الحرب العالمية الثانية داخل المجتمع المصري، ولا سيما بين سكان المدن الكبرى. واليوم ونحن نحيا أوائل القرن الحادي والعشرين قد يصعب علينا أن نشهد - عدا بعض العناصر الباقية من هذا التأثير - ذلك التنوع الذي حاولنا استعراضه في هذا الكتاب. ولكن مظاهر التأثير التي تعرضنا لها ولا تبدو اليوم واضحة قد نشهدها في الأعمال الأدبية المكتوبة قبل خمسينات القرن الماضي التي تصور المجتمع المصري والحياة في المدن الكبرى وكذلك في الأفلام السينمائية. وقد حاولنا من خلال هذه الدراسة أن نكشف كيف أن الخلفية الثقافية التركية العثمانية قد أخذت في البروز والاتساع في مصر على أيام محمد علي وأسرته أكثر مما كانت في السابق، وكيف أن مجال التأثير الثقافي الذي كان محدوداً في العهد العثماني التقليدي قد اتسع أكثر ليشمل الجهاز البيروقراطي المركزي والجيش الكبير الذي تم تشكيله والطبقة الارستقراطية الناشئة صاحبة الأطيان.

وهذا الكتاب الذي بين أيدي القراء مع ما يقدمه من معلومات وأدلة مفصلة عن الأراء التي أشرنا إليها فإنه يسعى أيضاً لإيضاح كيفية تنامي الثقافة التركية العثمانية في مصر على أيام محمد علي ووضعها فوق الأساس المحدود الذي كان موجوداً قبيل ذلك، وكيف اكتسبت تلك الثقافة كثافة وانتشاراً بدرجة تفوق ما كانت عليه بفضل الاهتمام الكبير الذي لقيته من محمد علي وسياساته الرامية إلى التجديد؛ كما يهدف الكتاب أيضاً إلى الكشف – في نهاية التنامي الذي بلغته تلك الثقافة التي أخذت في البداية من استانبول مثلاً أعلى لها – عن الكيفية التي تشكلت بها نسخة مصر من تلك الثقافة. وبفضل المدارس الحديثة التي أقيمت والكتب التركية التي أخرجتها المطبعة بأعداد كبيرة أقبل أيضاً الأهالي المحليون المتحدثون بالعربية على الثقافة التركية العثمانية فضلاً عن المتحدثين بالتركية ممن جاءوا من خارج مصر، وأدى ذلك – كما ذكرنا من قبل – إلى ظهور النموذج الثقافي "العثماني المصري" إلى جانب النموذج "التركي العثماني".

وكان من الأمور التي وضعناها نصب أعيننا ونحن نتناول تنامي الثقافة التركية بين المتحدثين بالتركية في مصر أيام محمد علي وبعده ثم تأثيراتها على المتحدثين بالعربية، أن مفهوم القومية الذي تحول إلى تيار فكري وسياسي هام نحو نهاية القرن التاسع عشر لم يكن موجوداً في بداية ذلك القرن بين المجتمعات والطوائف المسلمة المقيمة فوق أراضي الدولة العثمانية الممتدة على قارات ثلاث. أي أن إدعاء أمة بالتفوق بمعناه المطلق على الأمم الأخرى وزعمها بأنها مكلفة بحكم الآخرين باعتبارها صاحبة حق "إلهي" أو "تاريخي" لم يكن قائماً بين الشعوب الإسلامية في أوائل القرن التاسع عشر، ولم يكن ذلك النوع من الأفكار موجوداً في أذهان المثقفين الأتراك والعرب الذين عنيت بهم هذه الدراسة أكثر من غيرهم. وهذه الأفكار التي ترسخت في عقول المثقفين والإداريين الأوربيين وخاصة الفرنسيين والانجليز، قد تطابقت مع الفكر القائل بتخلف الشعوب في آسيا وأفريقيا وضرورة حمل مشاعل الحضارة إليهم. أما في

مصر فالجدير بنا أن نتناول العلاقات التركية العربية خارج هذا السياق، لأنه لا مجال للحديث عن هذا النوع من التوجه بين الطرفين.

ولسوف يظهر من خلال الدراسة أن محمد علي شاء تجاوز النهج الإداري التقليدي الذي جرى عليه العثمانيون عدة قرون، فكان وهو يضع عدداً من التدابير العملية من أجل تشكيل الإدارة المركزية الحديثة التي يريدها قد حدد من خلال هذه النظرة العملية اختياراته وأولوياته من بين العناصر البشرية التركية والعربية. ولم يكن وراء تلك الاختيارات في ذلك العهد ادعاءات تنطوي على فكر "قومي" أو "تفوق عرقي" كما يلمح الكتاب الأوربيون المعاصرون، فهي كلها أمور لا صحة لها كما سيبدو في العديد من المواضع في هذا البحث. لأن العامل الأهم في تعيين سياسة الاستخدام التي جرى عليها محمد علي باشا هو الوصول في أسرع وقت وبنجاح إلى الهدف المنشود؛ ولابد لتحقيق ذلك من الاستفادة قبل كل شئ من أصحاب الخبرة والتجربة بصرف النظر عن أعراقهم وأديانهم.

ومن هنا كان اختيار محمد علي للعاملين معه من ذوي الخبرة من الأتراك (من استانبول والأناضول ومناطق الروملي)، ومن العثمانيين المتحدثين بالتركية (كالأكراد والأرناؤوط والبشناق)، أو من غير العثمانيين المسلمين من شعوب البلقان والقوقاز (كالجراكسة والأباظيين والكرج وغيرهم)، أو من العرب المسيحيين والروم والأرمن أو اليهود في الأراضي العثمانية. والمثال على ذلك اختياره للعرب السوريين من مسلمين ومسيحيين للقيام بعمليات الترجمة بين الفرنسية والعربية، واختياره للأتراك والأرمن للترجمة بين التركية والفرنسية، وواصل في الوقت نفسه تشغيل الأقباط المصريين في الأمور المالية والحسابية التي مهروا فيها منذ زمن طويل. ويكون اختياره في تلك الأثناء للأتراك - وهو من المنسوبين لهم، لتولي الأمور الإدارية والعسكرية - شيئاً يوافق طبيعة الأشياء.

وكان أكثر الأمور حساسية في علاقة الأتراك بالمصريين خلال عهد محمد علي والعهد الذي تلاه هي تلك الحساسيات والمشاكل الناشبة عن فارق اللغة بين الحاكم

والمحكوم. والطبقة الحاكمة، سواء كانت من أصل تركي أم من الأقوام غير العربية المسلمة المختلفة التي تتحدث التركية، أم من غير المسلمين المتحدثين بالتركية فإنهم جميعاً معدودون في نظر المراقبين الأجانب من "الأتراك". وقد رأينا في الاتهامات المجحفة في كثير من الأحيان والكتابات المجافية للحقيقة أحياناً والواردة في مذكرات وتقارير المراقبين الأجانب وخاصة الكتّاب والرحالة الذين كانوا يعملون لخدمة الأطماع الاستعمارية لبلادهم والحد من النفوذ العثماني في مصر قد نُسبت "للأتراك" الذين لم تتحدد هويتهم بشكل واضح سواء كان لها نصيب من الحقيقة أم لم يكن.

وفوق ذلك فإن من أبرز الأسباب - في نظرنا - وراء الصورة السلبية للتركي في مصر هو قسوة الانجازات الراديكالية التي حاول الباشا تحقيقها. فلم يكن يعترف بأي عقبة تعترض طريقه لإقامة بنية إدارية حديثة، وكان أسلوبه الذي لا يعطي قيمة لحياة الإنسان في بعض الأحوال ويخالف العادات الاجتماعية الجارية في الوصول بأسرع ما يمكن إلى أهدافه، مثل لجوئه إلى نظام السخرة في مشروعات البنية الأساسية الكبرى كشق الترع وإقامة السدود وتشغيله لآلاف الناس في تلك المشروعات أو جمعه للأشخاص وتجنيدهم بالقوة، كانت من الأمور التي تركت آثاراً سلبية بارزة على الجموع الغفيرة من الناس، وظلت غائرة في الضمير الجماعي تنتقل من جيل إلى جيل. ويكون من الطبيعي في مقابل هذا الثمن الفادح أن يحقق تطوراً تاريخياً لمصر تمثل في تحولها إلى التحديث وتقويتها. ويكون من المفارقات التاريخية أو خارج سياق التاريخ (Anachronic) بحق أن تلصق مسئولية كل هذه السلبيات "بالأتراك" أو تنسب لأي أمة في وقت لم تكن المفاهيم القومية قد ظهرت بعد كقوة سياسية محركة. وعدم وجود شبيه لتلك الإجراءات المتشددة في الولايات الأخرى الواقعة تحت الحكم العثماني في الأناضول والبلاد العربية ومنطقة البلقان هو أمر يقتضي منا أن ننظر إلى تلك التصرفات على أنها شخصية خاصة بمزاج محمد علي وأسلوب إدارته. وقد جرى اتباع مثل هذه التدابير في شق قناة السويس على أيام الخديوي اسماعيل أيضاً. فقد كانت هناك معاملات قاسية مورست عند استخدام الأهالي المحليين في تلك

المشروعات الكبيرة التي تخدم بالدرجة الأولى الأطماع الاقتصادية والسياسية للقوى الأوربية، ونسبت في مجملها للأتراك، وهذا أيضاً يُذَكِّرنا بنفس التعليقات غير المنضبطة.

ومثل هذه الموضوعات تشكل بغير شك مصاعب أمام الباحثين. ولا يمكننا في هذه الدراسة أن نتغافل هذه الحساسيات ونحن ندرس تأثيرات معينة بين الثقافتين التركية والعربية في مصر في الإطار العثماني. ونظراً لأن تلك الموضوعات لم يجر تناولها بعد بمنهج موضوعي جاد يرتكز على المصادر الأولية فإن آراءنا والنتائج التي توصلنا إليها في هذا المجال سوف تنحصر في الموضوعات الاجتماعية الثقافية التي تطرقنا إليها.

وفي مقدمة الأدلة التي تكشف عن زيف الادعاءات الخاصة بالفكر القومي التي اتهم بها الكتّابُ الأوربيون الأتراكَ خلال الصراع على النفوذ السياسي في المنطقة نشهد تلك السياسة التي جرى عليها محمد علي باشا في المؤسسات التعليمية الحديثة. فقد لجأ الوالي إلى تدابير جد عملية لتلبية الحاجة، ولما وجد نفسه مطالباً بالإفصاح عن الهدف الأساسي من نشر التعليم أجاب بأنه لا يضع في اعتباره أي تحفظ عرقي بين الناس في مصر. والشاهد على ذلك أنه أكد بوضوح في وثيقة وصلتنا وتحمل تاريخ ١٨٣٤م أن قصده من إقامة المدارس الحديثة هو نشر التعليم والثقافة بين "أبناء العباد"[٣]. ويبدو بوضوح عند النظر في سياسات محمد علي في موضوع التوظيف المدني والعسكري – فضلاً عن التعليم أنه كان يرجح بعض البدائل العملية في تلك المجالات أيضاً. وعلى هذا النحو كان الأتراك (أي المتحدثون باللغة التركية) يشكلون نقطة الثقل في شئون الحكم والإدارة بحكم تجاربهم في ذلك، بينما كان للمصريين الكفة الراجحة في التعليم المهني (في الطب والزراعة والهندسة وغيرها). وهنا يجب علينا التنبه إلى معيارين رعاهما محمد علي بوجه خاص، أولهما أنه أتاح فرصاً متساوية

(٣) للاطلاع على الوثيقة الخاصة بهذا الموضوع والمؤرخة في ١٩ ذي القعدة ١٢٤٩هـ (٣٠ مارس ١٨٣٤م) انظر: أحمد عزت عبدالكريم، تاريخ التعليم في عصر محمد علي، القاهرة: مطبعة الاعتماد ١٩٣٨م، ص٣٥.

أمام الشبان الذين اختارهم من الجانبين للانخراط في التعليم (أي لأولاد العرب وأولاد الترك حسب تعبير ذلك العهد)، والثاني أنه قام بتعيين أصحاب اللياقة من الشبان (من المصريين أم الأتراك) ممن تربوا في حمايته في الوظائف التي كان يتولاها الأجانب (الأوربيون) العاملون في خدمة الوالي، وأنه قد جرى – وهو يفعل ذلك – على سياسة من شأنها تخفيف ارتباط البلاد بالأجنبي و "أن تكون صيانة لأموال الحكومة وفخراً لها"(٤). وكان الوالي يجري على نفس السياسة في الجيش، كما كان الحال في الإدارة المدنية، ويعبر عن سعادته كلما شهد تفوق الضباط الشبان الذين خرجوا من بين الأهالي والتقدم الذي حققوه في مجال الجندية، ويسعى لترقيتهم(٥).

ويلاحظ أيضاً أن سياسة التفضيل العملية التي مارسها محمد علي في موضوع تعليم أولاد العرب وأولاد الترك قد أخطأ الإداريون فهمها في بعض الأحوال. فقد كان نظار المدارس الابتدائية في الأقاليم قد ظنّوا وهم يختارون التلاميذ للانخراط في المدارس أن الأمر مقصور على أطفال الأهالي المحليين دون غيرهم وأن أولاد الترك لن يقبلوا فيها، فبلغهم الأمر بعدها بأن المدارس كافة مفتوحة للجميع وأن القصد منها هو إتاحة فرص التعليم لكافة الأبناء، وأن "أبناء الترك إذا رغبوا الانخراط في تلك المدارس فلا مانع من قبولهم مثل أولاد العرب–أي المصريين–شريطة توفر الظروف الصحية"(٦).

وهنا يتأكد لنا أن الوالي – وهو يسعى لتحديث مجتمع مزدوج اللغة ذي فئتين إحداهما أغلبية كبيرة والثانية أقلية صغيرة، وفي ظل تقاليد ترسخت مع مرور الزمن – لم يكن يضمر نزوعاً إلى التفوق العرقي، وإنما كان يضع سياساته في بدائل عملية بالكامل، وينفذ إجراءاته وتدابيره في إطار هذا السياق. والأمر الذي يجب أن لا يغيب عن البال أبداً في هذا الخصوص أنه في تلك السياسات والأعمال – التي قد يرى

---

(٤) للاطلاع على الوثيقة المؤرخة في ٥ محرم ١٢٤٩هـ (٢٥ مايو ١٨٣٣م) أنظر نفس المصدر، ص٣٣.

(٥) للاطلاع على الوثيقة المؤرخة في ٢٠ جمادى الأخرة ١٢٤٩هـ (٥ نوفمبر ١٨٣٣م) أنظر نفس المصدر، ص٣٣.

(٦) للاطلاع على الوثيقة الخاصة بهذا الموضوع والمؤرخة في ١٩ ذي القعدة ١٢٤٩هـ (٣٠ مارس ١٨٣٤م) أنظر نفس المصدر، ص٨٨.

البعض فيها بمعايير اليوم ظلماً فادحاً وإخلالاً بحقوق الإنسان - لم يكن يهدف إلى أن يفرض على الشعب المصري مشاعره القومية (التركية أو الأرناؤوطية) التي قد يشعر بها أو أنه لم يكن هناك حافز أو باعث يشبه ما كان لدى ولاة المستعمرات الذين شبههم الكتّابُ الأوروبيون بهم. لأن مصر منذ تحولها إلى ولاية عثمانية وحتى مجئ محمد علي لم يكن يوجد في حكمها المستمر حتى ذلك التاريخ نظرة تشبه النظرة الاستعمارية أو أسس قانونية أو أساليب الحكم كتلك التي كانت عليها الدول الأوروبية.

ومما لا شك فيه أن مصر في عهد محمد علي قد قطعت شوطاً هاماً في إقامة أسلوب إداري حديث، ونجحت في تحقيق مشروعات للتنمية متعددة الجوانب. ولكن الواضح أثناء ذلك أن الوالي محمد علي باشا لم يكن كما أشرنا بإيجاز فيما سلف يعبأ كثيراً بالعنصر البشري بالشكل الذي يتفق ونظرتنا في العصر الحالي. فقد ظهر أنه داس بعض القيم الإنسانية وهو يُنَفِّــذ تدابيره الإدارية وحملاته الاقتصادية التي اتخذها من أجل تحقيق نهضة عامة وتقدم شامل. ولنحاول هنا تقديم بعض الأمثلة لإيضاح ما نرمي إليه. فقد كان هناك مشروع ترعة المحمودية التي تم حفرها خلال سنوات ١٨١٦ - ١٨١٩م من أجل تيسير عملية النقل البحري بين ميناء الإسكندرية ونهر النيل وانعاش الحياة الاقتصادية هناك، فتم تشغيل ٣٠٠ ألف عامل لحفرها وتجهيزها للعمل. وإلى أن انتهى العمل في مشروع الترعة التي حُفرتْ بآلات بدائية بسيطة بطول ٥٦ كيلومتراً مات الآلاف من العمال.

وهناك بعض المعلومات والوثائق التي وصلت إلينا، وهي تكشف لنا أنهم كانوا عند افتتاح مؤسسة تعليمية حديثة يأخذون الأولاد للانخراط فيها دون موافقة عائلاتهم أحياناً. وكان الوالي يكفل للطلاب خلال مدة الدراسة أمور إعاشتهم وسكنهم وملبسهم، بينما كان الطالب ملزماً بتعلم حرفة أو مهنة والعمل بعد التخرج في المكان الذي تحدده الإدارة. وعلى الرغم من أن هذه التصرفات تعد حملات مهمة جداً على طريق النهوض والتقدم بالنسبة للأفراد المنخرطين في سلك التعليم وبالنسبة أيضاً للمجتمع المطلوب النهوض به إلاّ أنها تخالف اليوم نظرتنا للحرية ومفاهيمنا لحقوق الإنسان،

كما أنها كانت أيضاً تخرج على سلوك المجتمع وعادات الناس، ولهذا كانت تقابل بالمقاومة بين فئات الأهالي.... أما المرحلة الأشد قسوة في أخذ الأولاد بأعداد كبيرة لأمور غير التعليم دون موافقة أهلهم فهي عملية جمعهم للجندية. وهي أمور لم يشهدها الشعب المصري قبل ذلك وكانت تعارض نظرتهم للحياة، وكانوا يقاومون التدابير الزجرية المستخدمة فيها، حتى أصبحت أمراً يؤدي إلى صدام كبير بين الحكام والمحكومين.

فالصدام والمقاومة التي أشرنا باختصار إلى نماذج منها بين الطبقة الحاكمة والأهالي قد ذهب كثير من الأوربيين العاملين في الشئون الإدارية والاقتصادية والإعمار إلى أنها ناجمة عن نظرة الأتراك العرقية أو القومية أو نتيجة للتفرقة بينهم وبين المصريين، وذلك لكي يتخلصوا من المسئولية. وهذه الاتهامات التي وصلتنا عن ذلك العهد بدأ يتناولها عدد كبير من المؤرخين والكتاب ممن انتقدوا ذلك العهد وكأنها حقائق أساسية مع انتهاء حكم عائلة محمد علي باشا في سنة ١٩٥٢م والاندفاع السياسي والوطني الذي ساد آنذاك، وعلى هذا النحو وظهرت كتابات تاريخية جرى تلوينها باتهامات قومية لم يشهدها تاريخ الدول الإسلامية من قبل.

واليوم وفي الوقت الذي نشهد فيه العديد من المؤرخين الغربيين يعيدون النظر في الآراء الخاطئة والاتهامات الباطلة الواردة في مذكرات وتقارير قناصل ذلك العهد التي تعكس وجهة نظر شخصية أو مشاعر وطنية نرى مؤرخي الشرق الأوسط يأخذون بها ودون تغيير، وهو أمر يبعث على الحيرة.

إن أوراق حكاكيان أفندي الذي عمل في خدمة الوالي هي أحد الأمثلة التي تكشف لنا المدى الذي تصل إليه النظرة الشخصية للتقارير والمذكرات الخاصة التي ظهرت حول عهد محمد علي، ومن ثم لا يمكننا إلا أن نتناولها بدقة وحذر شديدين. ففي حق صاحب تلك الأوراق التي تحتوي أراء وأفكاراً جد متناقضة تقول الدكتورة عفاف لطفي السيد وهي على حق: " إنه كان رجلاً حاقداً... خاب أمله حين لم يصبح ذا نفوذ مثل سائر أقربائه من الأرمن، ومن ثم حقد عليهم وعلى مخدوميه، وكان يعد نفسه

إنجليزياً.. وينظر إلى مصر من وجهة نظر شخص أجنبي"، ورغم هذا فإنها تقبل دون مناقشة أقوال حكاكيان في موضوع احتقار محمد علي للمصريين، وتقيم على تلك التهمة الفادحة تحليلاً لشخصية محمد علي(٧).

ورغم أن القصد من كتابنا هذا ليس التعرض لمثل هذه الأمور والرد عليها سلباً أو إيجاباً، ولكننا نضطر أحياناً لذلك عندما تصادفنا في مصادر الدرجة الثانية، وهنا رأينا أن تلك الأحكام قد طرحت غالباً في خضم التنافس السياسي والصراع على النفوذ، من أجل قطع روابط مصر بالدولة العثمانية وتحويلها إلى مستعمرة لإحدى القوى الأوربية المتصارعة.

وقد سعينا ونحن نرصد العديد من آثار الثقافة التركية التي شاهدناها بأنفسنا في المجتمع المصري عندما بدأنا هذه الدراسة خلال ستينيات القرن الماضي أن نضع أيدينا على الأدلة والأسس التاريخية لها قدر الإمكان. فالتجربة التي اكتسبناها عند إعداد فهارس الكتب التركية المطبوعة والمخطوطة في دار الكتب المصرية خلال أعوام ١٩٦٢ - ١٩٦٦م، وكذلك الانطباعات والمشاهدات وغير ذلك مما أخذناه عن أتراك تركيا والأتراك المصريين الذين تعرفنا عليهم في محيط الأسرة كان لا بد من تسجيلها هنا، فهي واجب علينا أمام التاريخ. ولهذا تتميز هذه الدراسة عن غيرها بأنها تشتمل على بعض المعلومات والمشاهدات التي لا توجد في المصادر الأخرى.

وكتابنا هذا الذي شرعنا في الإعداد له منذ ستينيات القرن الماضي هو وإن قدم العهد ببدايته فإنه يقدم نتائج موازية للآراء والأفكار الجديدة المعروضة في السنوات الأخيرة حول تاريخ محمد علي وعهده. وكما ذكر كل من توليدانو (E.Toledano) (١٩٩٠م) وخالد فهمي (١٩٩٧م) في أعمالهما التي تناولت من وجهات النظر الجديدة عهد محمد علي وجهوده نحو التحديث وتاريخ مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، فإنه علينا لكي نفهم محمد علي بالشكل الأفضل ونتعرف بأسلوب

---

(٧) عفاف لطفي السيد مارسو، مصر في عهد محمد علي، ترجمة عبد السميع عمر زين الدين، مراجعة السيد أمين شلبي (المشروع القومي للترجمة ٥٥٤)، القاهرة ٢٠٠٤م، ٥ ، هامش ٦٠-٦٤.

موضوعي على مكانته السياسية والعسكرية بعيداً عن التحفظات الوطنية والعاطفية لابد من تناوله في الإطار العثماني الأوسع. كما أن الحديث أيضاً عن تقدم المجتمع المصري في ذلك العهد وتناوله من هذا المنظور الواسع يكون تشخيصاً أكثر صواباً.

وانطلاقاً من تلك النقاط فقد حاولنا أن نرسم في هذا الكتاب صورةً لظاهرة ثقافية عاشت قرناً ونصف من الزمان، والآمال معقودة أن يكون هذا الكتاب فاتحة خير لدراسات أخرى متطورة.

المختصرات والإشارات المستخدمة في الكتاب

١ – مختصرات المصادر والمراجع [١]

Abdülkerim	Abdülkerim, Ahmed İzzet, *Tarih el-tâlim fi* …
	أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم....
Albayrak	Albayrak, Sadık, *Son devir Osmanlı ulemasının* …
Alpan	Alpan, P. Necib, *Tarihin ışığında Arnavutluk.*
Aşık Çelebi	Aşık Çelebi, *Meşa'irü'ş-şu'ara.*
	عاشق چلبي، مشاعر الشعرا
Atâî	Nev'izâde Atâî, *Hadâik el-hakâik fi tekmilet el- Şakâik*
	نوعى زاده عطائى، حدائق الحقائق في تكملة الشقائق
Atalay	Atalay, Besim, *Bektaşilik ve edebiyatı.*
Aynur	Aynur, Hatice, "Bulak Matbaası'nda basılan Türkçe divanlar"
Babinger	Babinger, Franz Carl Heinrich, *Osmanlı Tarih Yazarları* ...
Banarlı	Banarlı, Nihad Sami, *Resimli Türk edebiyatı* …
BBT	*Bibliography of books translated into Arabic in Egypt 1822-1995*
Beysanoğlu	Beysanoğlu, Şevket, *Diyarbakırlı fikir ve* …
Bianchi	Bianchi, T.X., "Catalogue general des livres arabes, persans et turcs, imprimés Boulac en Egypte depuis l'introduction de l'imprimerie dans ce pays"
BKK	*İstanbul Belediye Kütüphanesi alfabetik kataloğu.*
BM CAB	Ellis, A.G., *Catalogue of Arabic books in the British Museum*
BOA.YPKT GZT	Başbakanlık Osmanlı Arşivi –Yıldız Perakende Evrakı /Gazeteler Kısmı
el-Bosnavî	el-Bosnavî el-Hancı, Muhammed b. Muhammed, *el-Cevher* ...
	البوسنوي الخانجي، محمد بن محمد، الجوهر...
Boustany	Boustany, Salaheddine, *The Press during* …
Bulak I	*İşbu fihris mahrûsa-ı Mısır'da mahkeme civarında* …
	(بولاق ١) اشبو فهرس محروسهٔ مصرده محكمه جوارنده...
Bulak II	*Mahrûsada kâin Kitabhane-i Âmire'de mevcud* …
	(بولاق ٢) محروسه ده كائن كتابخانهء عامره ده موجود...
Bulak III	*Mahrûsa-i Mısır'da kâin Kitabhâne-i Âmire'de* …

(١) للتعرف على العنوان الكامل انظر قائمة المصادر والمراجع في نهاية الكتاب.

	(بولاق ٣) محروسهء مصرده كائن كتابخانهء عامره ده....
Cemaleddin	Cemaleddin, *Ayine-i zurefa: Osmanlı tarih ...*
	جمال الدين، آيينهء ظرفا: عثمانلى تاريخ....
CIMM	*Catalogue of Islamic medical manuscripts ...*
Dağıstanî	*Fihrist el-kütüb el-Türkiyye el-mevcude ...*
	الداغستاني، فهرست الكتب التركية الموجودة....
Danişmend	Danişmend, İsmail Hami, *İzahlı Osmanlı ...*
DİA	*Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi,* İstanbul: Türkiye Diyanet Vakfı, 1988-
Dorn	Dorn, M., "Catalogues des ouvrages...
EHTSYK	*Eski harfli Türkçe süreli yayınlar toplu ...*
EI^{2}	*The Encyclopaedia of Islam,* ed. Hamilton A.R. Gibb [ve öte.]- New edition.- Leiden: E.J. Brill, 1979-
Erdeha	Erdeha, Kâmil, *Millî mücadelede vilayetler ...*
Ergin	Ergin, Osman Nuri, *Türkiye maarif tarihi.*
Fatin	Davut Fatin, *Tezkire-i hatimetü'l-eş'ar.*
	داود فطين، تذكرهء خاتمة الأشعار....
Fezleke	Kâtib Çelebi, Mustafa b. Abdullah Hacı Halife. *Fezleke-i Kâtib Çelebi.*
	كاتب چلبي، فذلكه' كاتب چلبي...
Flügel	*Die arabischen, persischen, turkischen ...*
GAL	Brockelmann, Carl, *Geschichte der ...*
Gibb HOP	Gibb, E.J.W., *History of Otoman poetry.*
Gövsa	Gövsa, İbrahim Alaettin, *Türk meşhurları ...*
Hammer GOR	Purgstall, Josep von Hammer, *Geschichte des ...*
Hamza	Hamza, Abdüllatif, *el-Sahafat el-Arabiyye ...*
	عبد اللطيف حمزة، الصحافة العربية....
Hanioğlu	Hanioğlu, M. Şükrü, *Bir siyasal örgüt olarak Osmanlı İttihad ve ...*
Hanioğlu Doktor	Hanioğlu, M. Şükrü, *Bir siyasal düşünür olarak Doktor Abdullah Cevdet ...*
Hediyyet	Bağdadî, İsmail Paşa, *Hediyyet el-arifîn ...*
	اسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين....
Heyworth-Dunne	Heyworth-Dunne, J., *An introduction to history ...*
Hill	Hill, Richard, *A biographical dictionary ...*
HSU	Hsu, Cheng-Hsiang, *The first thirty years ...*
İA	*İslam ansiklopedisi.*
İbnülemin SA	İnal, İbnülemin Mahmud Kemal, *Son asır Türk ...*

İbnülemin SH	İnal, İbnülemin Mahmud Kemal, *Son hattatlar.*
İbnülemin SS	İnal, İbnülemin Mahmud Kemal, *Son sadrazamlar.*
İH	*Fihris mektebet sahib el-sümuv el-magfur leh el-Amîr İbrahim Hilmi.* فهرس مكتبة صاحب السمو المغفور له الأمير ابراهيم حلمي....
İhsanoğlu İshak	İhsanoğlu, E, *Başhoca İshak ...*
İhsanoğlu Kimya	İhsanoğlu, E, *Açıklamalı Türk kimya ...*
İS	*İlmiyye salnamesi* علميه سالنامه سي....
JTG	Akünal, Dündar,"Jön Türk Gazeteleri"
Kahhala Alem	Kahhala, Ömer Rıza, *Alem el-nisa: fi alemi ...* عمر رضا كحالة، أعلام النساء....
Kamus	*Kamusu'l-âlâm ...* قاموس الأعلام....
Karatay Topkapı	*Topkapı Sarayı Müzesi Kütüphanesi Türkçe yazmalar ...*
Karatay Üniversite	*İstanbul Üniversitesi Kütüphanesi Türkçe ...*
Keşf	Kâtib Çelebi, Mustafa b. Abdullah Hacı Halife, *Keşf el-Zünun ...* كاتب چلبي، كشف الظنون....
King	King, Joan Wucher, *Historical dictionary ...*
Koçu	Koçu, Reşad Ekrem, *İstanbul ansiklopedisi.*
Konya	*Konya il yıllığı 1973.*
Konyalı	Konyalı, İbrahim Hakkı, *Abideleri ve kitabeleriyle*
Köprülü	*Köprülü Kütüphanesi yazmalar kataloğu ...*
KTT	Galanti, Avram, *Küçük Türk Tetebbular*
Kuran	Kuran, Ahmed Bedevi, *Osmanlı İmparatorluğunda ...*
Levend	Levend, Agalı Sırrı, *Türk edebiyatı tarihi, giriş.*
ME	*Le Mondain Egyptien*
MK- EHT	*Milli Kütüphane'de mevcud Arap harfli ...*
MKSYK	*Milli Kütüphane eski harfli Türkçe süreli ...*
MM	Kahhala, Ömer Rıza, *Mu'cem el-müellifin.* عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين....
Müstakimzâde	Müstakimzâde, Süleyman Sadeddin, *Tuhfe-i hattatin ...* مستقيم زاده سليمان سعد الدين، تحفهء خطاطين....
Niğdeli	Niğdeli, Mehmed Esad, *Mirat-ı Mekteb-i Harbiye.* نيگده لی محمد أسعد، مرآت مكتب حربيه....
OA	*Osmanlılar Ansiklopedisi* دائرة معارف العثمانيين
OALT	*Osmanlı astronomi literatürü tarihi* تاريخ أدبيات الفلك عند العثمانيين

OASLT	*Osmanlı askerlik literatürü tarihi* تاريخ أدبيات الحياة العسكرية عند العثمانيين
OCLT	*Osmanlı coğrafya literatürü tarihi* تاريخ أدبيات الجغرافيا عند العثمانيين
OM	Bursalı Mehmed Tahir, *Osmanlı müellifleri.* تاريخ أدبيات الرياضيات عند العثمانيين
	بورصه لى محمد طاهر، عثمانلى مؤلفلرى....
OMLT	*Osmanlı matematik literatürü tarihi*
Özege EK	*Seyfettin Özege bağış kitapları ek kataloğu …*
Özege E	*Seyfettin Özege bağış kitapları kataloğu …*
Özege K	Özege, M. Seyfettin, *Eski harflerle basılmış …*
Pakalın	Pakalın, Mehmet Zeki, *Maliye teşkilatı …*
PTF	*Philogiae Turcica fundamenta …*
Reinaud NO	Reinaud, J.T., "Notice des ouvrages arabes …
Rıdvan TMB	Rıdvan, Ebü'l-Futuh, *Tarih matbaat Bulak ve …*
	أبو الفتوح رضوان، تاريخ مطبعة بولاق....
Rıza	Rıza, Seyyid, *Tezkire-i Rıza.* سيد رضا، تذكرهء رضا....
Rieu	Rieu,Charles,*Catalogue of the Turkish manuscripts in the …*
Sabat TT	Sabat, Halil, *Tarih el-Tıbba fi el-Şark el-Arabî.*
	خليل صابات، تاريخ الطباعة في الشرق العربي....
Salim	Salim, Mirzazâde Mehmed Emin, *Tezkire-i Salim.*
	سالم (ميرزازاده محمد أمين)، تذكرهء سالم....
Serkis MMA	Serkis, Yusuf İlyas, *Mucem el-matbu'at …*
	سركيس (يوسف إلياس)، معجم المطبوعات....
SO	Mehmed Süreyya, *Sicil-i Osmânî.* محمد ثريا، سجل عثمانى....
Strauss	Strauss, Johann, *The Egyptian connection in nineteenth century...*
Strauss 2002	Strauss, Johann, "Turkish translations from Mehmed Ali's Egypt.."
SYK	Duman, Hasan, *İstanbul kütüphaneleri Arap harfli süreli …*
ŞA	*Şuyuh el-Azhar.* … شيوخ الأزهر
Şeyyal TTH	el-Şeyyal, Cemaleddin, *Tarih el-tercümet ve …*
	جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة و....
Şorbacı KMA	Şorbacı, Muhammed Cemaleddin, *Kaima bi evail …*
	محمد جمال الدين الشوربجى، قائمة بأوائل ....
TCTA	*Tanzimat'tan Cumhuriyet'e Türkiye ansiklopedisi.*
TCYK	*İstanbul Kütüphaneleri Tarih-Coğrafya yazmaları …*
TDEA	*Türk Dili ve Edebiyatı Ansiklopedisi*

TDÜA	*Türk ve Dünya Ünlüleri Ansiklopedisi*
TH III	*Türkische handschriften: und einige in den ...*
Tırazî FMT	*Fihris el-matbuat el-Türkiyye el-Osmaniyye ...*
	نصر الله الطرازي، فهرس المطبوعات التركية العثمانية ...
TUBA	*Journal of Turkish Studies: Türklük Bilgisi ...*
Tugay	Tugay, Emine Fuat, *Three centuries: family ...*
TÜBATOK	*Türkiye basmaları toplu kataloğu: Arap harfli Türkçe eserler*
Uşşakizâde	Uşşakizâde Abdullah Efendi, *Zeyl-i Şakāik...*
Ülken	Ülken, Hilmi Ziya, *Türkiye'de çağdaş düşünce ...*
VD	*Vakıflar Dergisi*, Ankara: Vakıflar Genel Müdürlüğü, 1984 -
Zenker BO	Zenker, J. Th., *Bibliotheco manuel de bibliographie ...*
Zeyl Keşf	Bağdadî, İsmail Paşa, *İzah el-meknûn...*
	اسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون....
Zirikli	el-Zirikli, Hayrüddin, *el-Alam: Kâmus terâcim...*
	خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم...

٢ – مختصرات أسماء المكتبات والمجموعات التي تم الرجوع إليها

AEK	Atıf Efendi Kütüphanesi, İstanbul مكتبة عاطف أفندي، استانبول
A. Akçin Kol.	Abdülkadir Akçin Koleksiyonu, Gebze مجموعة عبد القادر آقچين، گبزه
A. İ. Yurt Kol.	Ali İhsan Yurt Özel Koleksiyonu, İstanbul مجموعة علي احسان يورد، استانبول
A. Ötüken Kol	Adnan Ötüken Koleksiyonu MK, Ankara مجموعة عدنان اوتوكن، أنقرة
AÜK	Atatürk Üniversitesi Kütüphanesi, Seyfeddin Özege Bağış Kitapları Koleksiyonu, Erzurum مكتبة جامعة أتاتورك، مجموعة الكتب المهداة من سيف الدين اوزگه، ارضروم
BDK	Beyazıt Devlet Kütüphanesi, İstanbul مكتبة الدولة ببايزيد، استانبول
BK	Atatürk Kitaplığı [eski Belediye Kütüphanesi], İstanbul مكتبة أتاتورك [م. البلدية سابقاً]، استانبول
BL	British Library, Londra
DKK/D-TT	دار الكتب القومية بمصر، دوريات تركي طلعت
DKK/D-T	دار الكتب القومية بمصر، دوريات تركي
DKK/CT	دار الكتب القومية بمصر، جرائد تيمور
DKK/S	دار الكتب القومية بمصر، [س]
DKK/T.T	دار الكتب القومية بمصر، تاريخ تركي
DKK/Z-T	دار الكتب القومية بمصر، الزكية تركي
E. İhsanoğlu Kol.	Ekmeleddin İhsanoğlu Koleksiyonu, İstanbul مجموعة أكمل الدين احسان أوغلي، استانبول
FMK	Fatih Millet Kütüphanesi, İstanbul مكتبة ملت بالفاتح، استانبول
Gn.K.H.T. Bşk.K.	Genel Kurmay Harp Tarihi Başkanlığı Kütüphanesi, Ankara مكتبة رئاسة التاريخ العسكرية بالأركان الحربية، أنقرة
HTU	Hakkı Tarık Üs Kütüphanesi, İstanbul مكتبة حقي طارق اوص، استانبول
INALCO	Bibliotheque Interuniversitaire des Langues Orientales (Paris)
IRCICA	İslâm Tarih, Sanat ve Kültür Araştırma Merkezi (IRCICA) Kütüphanesi, İstanbul

	مكتبة إرسيكا (مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية)، استانبول
İSAM	TDV İslâm Araştırmaları Merkezi Kütüphanesi, İstanbul
	مكتبة مركز لبحوث الإسلامية لتابع لوقف ديانة تركيا، استانبول
İbrahim Hakkı Konyalı	İbrahim Hakkı Konyalı Vakfı Kütüphanesi, İstanbul
	مكتبة وقف ابراهيم حقي قونيه لي، استانبول
İÜK	İstanbul Üniversitesi Merkez Kütüphanesi, İstanbul
	المكتبة المركزية بجامعة استانبول، استانبول
İÜEK	İstanbul Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Genel Kitaplığı, İstanbul
	المكتبة العامة بكلية الآداب جامعة استانبول، استانبول
KK	Köprülü Kütüphanesi, İstanbul مكتبة كوبريلي، استانبول
MK	Milli Kütüphane, Ankara المكتبة الوطنية، أنقرة
Nihal Kitabevi	Nihal Kitabevi -Sahaflar Çarşısı – İstanbul
	مكتبة نهال – سوق الصحافين، استانبول
SK	Süleymaniye Kütüphanesi, İstanbul
	مكتبة السليمانية، استانبول
SOAS. Sc	School of Oriental and African Studies Library, Londra
Ş. Rado Kol.	Şevket Rado Özel Koleksiyonu, İstanbul
	مجموعة شوكت رادو الخاصة، استانبول
T. Kut Kol.	Turgut Kut Özel Koleksiyonu, İstanbul
	مجموعة طورغوت قوت الخاصة، استانبول
TBMM	Türkiye Büyük Millet Meclisi Kütüphanesi, Ankara
	مكتبة مجلس الأمة الكبير، أنقرة
TITEK	Türk İnkılap Tarihi Enstitüsü Kütüphanesi
	مكتبة معهد تاريخ الانقلاب التركي، استانبول
TSMK	Topkapı Sarayı Müzesi Kütüphanesi, İstanbul
	مكتبة متحف سراي طوب قابي، استانبول
TTK	Türk Tarih Kurumu Kütüphanesi, Ankara
	مكتبة مجمع التاريخ التركي، أنقرة

٣ - مختصـــرات الإشــــارات

*	nüshası görülmüştür اطلعنا على نسخته
+	kütüphanede birden fazla nüshası vardır له أكثر من نسخة في المكتبات
bkz.	bakınız أنظر
bs.	baskı طبعة
c.	cilt مجلد
M.	matbaa مطبعة
[m. y.]	matbaa adı yok اسم المطبعة مجهول
R	referanslar المراجع
s.	sayfa صحيفة
[t.y.]	tarih yok بدون تاريخ
[y.y.]	yayınlayan yok الناشر مجهول
a.g.e.	adı geçen eser [انظر] المصدر السابق
a.g.m.	adı geçen makale [انظر] المقالة السابقة
a.g.t.	adı geçen tez [أنظر] الرسالة السابقة
ksm.	kısım قسم
ve öte.	ve ötekiler وآخرون
T	Türkçe تركي
A	Arapça عربي
F	Farsça فارسي
B	Şimdilik nüshası bulunamadığından dolayı hangi dilde olduğu bilinmeyen kitaplar كتب لا تُعرف لغتها لعدم العثور على نسخ منها إلى الآن

جدول
الأبجدية التركية الحديثة والعثمانية

الأبجدية التركية الحديثة	ما يقابلها من الأبجدية العثمانية وكيفية النطق
A a	يقابل حرفي (أ. ع) وحركة الفتح الغليظة أو الهاء في وسط ونهاية الكلمة
B b	يقابل حرف (ب)
C c	يقابل حرف (ج) المعطشة
Ç ç	يقابل حرف (چ) مثل ch في الانجليزية
D d	يقابل حرفي (د. ض)
E e	يقابل حرف (أ) في بداية الكلمة وحركة الفتح الخفيفة أو الهاء في نهايتها
F f	يقابل حرف (ف)
G g	يقابل حرف (گ) كالجيم المصرية
Ğ ğ	يقابل حرف (غ) وينطق كالياء بين متحركين خفيفين
H h	يقابل حروف (ح.خ.هـ)
I ı	يقابل حرف (ي) أو حركة الكسر الغليظة
İ i	يقابل حرفي (إ. ي) أو حركة الكسر الخفيفة
J j	يقابل حرف(ژ) وهو صوت بين الشين والزاي
K k	يقابل حرفي (ك.ق)
L l	يقابل حرف (ل)
M m	يقابل حرف (م)
N n	يقابل حرف (ن) والكاف النوني(ڭ)

الأبجدية العثمانية	ما يقابلها من الأبجدية الحديثة وكيفية نطقها
آ أ	ويقابل حرفي (a) أو (e)
ب	ويقابل حرف(b)
پ	ويقابل حرف (p)
ت	ويقابل حرف (t)
ث	ويقابل حرف (s)
ج	ويقابل حرف(c) [الجيم المعطشة في العربية]
چ	مقابله(ç) [ينطق مثل ch في الانجليزية]
ح	ويقابل حرف (h)
خ	ويقابل حرف (h)
د	ويقابل حرف (d)
ذ	ويقابل حرف (z) [مثل الزاي العربية]
ر	ويقابل حرف (r)
ز	ويقابل حرف (z)
ژ	ويقابل حرف (J) [مثل J في الفرنسية]
س	ويقابل حرف (s)
ش	ويقابل حرف (ş)
ص	ويقابل حرف (s)
ض	مقابله (d.z) [مثل kadı و Ramazan]
ط	ويقابل حرف (t)
ظ	ويقابل حرف (z)

O o	حركة الضم الغليظة المبسوطة (او)	ع	ويقابل حرف a اذا كان بالفتح في أول الكلمة ويقابل i.ı اذا كان بالكسر في أولها ووسطها، ويقابل [o.ö.u.ü اذا كان بالضم في أولها ووسطها
Ö ö	حركة الضم الخفيفة المبسوطة مثل (eu) في الفرنسية	غ	ويقابل حرف (ğ) وينطق (گ) في أول الكلمة
P p	يقابل حرف (پ)	ف	ويقابل حرف (f)
R r	يقابل حرف (ر)	ق	ويقابل حرف (k)
S s	يقابل حروف (ث. س. ص)	ك	ويقابل حرف (k)
Ş ş	يقابل حرف (ش)	ک	ويقابل حرف (g) [الجيم المصرية]
T t	يقابل حرفي (ت. ط)	ڭ	كاف نونية تقابل حرف (n)
U u	حركة الضم الغليظة المقبوضة(في الفرنسية ou)	ل	ويقابل حرف (l)
Ü ü	حركة الضم الخفيفة المقبوضة(في الفرنسية u)	م	ويقابل حرف (m)
V v	يقابل حرف (ۋ) مثل: ويوده voyvoda	ن	ويقابل حرف (n)
Y y	يقابل حرف (ي)	و	ويقابل حرف (v) أو الضمة المقبوضة
Z z	يقابل حروف (ذ. ز. ض. ظ)	ه	ويقابل حرف (h) في أول ووسط الكلمة، وحرفي (a.e.) في نهاية الكلمة
		ي.ى	ويقابل حرف (y) في أول الكلمة وآخرها مثل [yay]، وحرفي (i.ı) في وسطها وآخرها، وحرف (a) للياء المقصورة في نهاية الكلمة [مثل kübra أي كبرى]

الفصل الأول

الأتراك في مصر وثقافتهم
منذ القرن التاسع عشر

أولاً
تعداد الأتراك ووضعهم داخل المجتمع المصري

على الرغم من أن الوجود التركي في مصر يمتد لفترة طويلة إلاّ أن العديد من جوانبه لم تدرس حتى الآن بشكل جاد. ويأتي في مقدمة الموضوعات التي أهملها الباحثون وضع وتعداد السكان الأتراك من غير الطبقة العسكرية داخل التكوين الديمغرافي المصري.

وكثيراً ما كانت تستخدم كلمة "تركي" في مصر مرادفاً لكلمة "عثماني"، ويظهر ذلك كثيراً في عهد محمد علي باشا. أما عندما كانت مصر تحت حكم المماليك ولم يدخلها السلطان سليم الأول بعد فكان العثمانيون معروفين أكثر باسم "الروم"، وكان السلطان العثماني يُعرف هو الآخر "بسلطان الروم"، بينما كان المماليك أنفسهم معروفين باسم "الترك". وفي عهد محمد علي تغيرت تلك التسمية تماماً، فلم تعد صفة "التركي" التي امتدت منذ ذلك العهد وحتى يومنا هذا تحمل المعنى الإثني أو العرقي، واستخدمت في الغالب للانتماء الثقافي أو اللغوي. وبهذا المعنى كان هناك الأتراك الخُلّص الذين وفدوا من الأناضول والروملي (البلقان)، وعناصر أخرى وفدت من الأناضول والقوقاز والروملي تنتسب في تكوينها الثقافي العام إلى ثقافة "التركية العثمانية" على الرغم من اختلاف لغاتها الأم، واختلاف أعراقها وإثنياتها، لكنها كانت تتحدث التركية بشكل أو بآخر (ويذكر من بين هؤلاء: الأكراد والأرناؤوط والبوشناق والجراكسة والكرج). وكل هذه العناصر المنحدرة من أعراق متباينة وأغلب الذين تعلموا التركية وتحدثوا بتلك اللغة التي هي اللغة الرسمية في الدولة العثمانية ولغة الطبقة الحاكمة في مصر كانوا معدودين من الترك في نظر المصريين، كما جرى على ذلك أيضاً كثير من الكتاب الأوربيين الذين ألفوا أو كتبوا عن مصر. وهكذا فإن كلمة "تركي" في مصر لا تعني العرق، وإنما تعني في الأغلب التكوين الثقافي وتعريفاً عاماً للشخص. ومن ثم يجدر بنا أن نرى في هذا التعريف تسمية واسعة تضم رعايا الأناضول والروملي المسلمين القاطنين خارج نطاق الولايات العربية في الدولة العثمانية وكذلك الجموع القادمة من رقعة جغرافية واسعة تضم

أيضاً منطقة القوقاز الواقعة خارج نطاق الأراضي العثمانية. والجدير بالذكر أن هذا التعريف لا زال معمولاً به في مصر حتى اليوم، ومن ثم يجب الحذر كثيراً ونحن ننظر إلى الأمور من خلال بواعث قومية.

وعلى الرغم من عدم وجود هجرات تاريخية تركية موجهة إلى مصر إلاّ أن عدداً كبيراً من الأتراك كان يفد عليها بين الحين والآخر وجعلها وطناً له. وكما أن هناك أتراكاً وفدوا عليها واستوطنوها في أوقات مختلفة ومناسبات شتى فقد كان منهم أيضاً من عاش فيها مدة ثم رحل عنها. ومن بين هؤلاء من عاش المرحلة التي درسناها، فرأينا منهم من جاء طمعاً في الثراء وظروف معيشية أفضل، كما كان منهم من جاء لوظيفة، أو لتحصيل العلم في الأزهر الشريف. ومع انحسار الاهتمام بطلب العلم في الأزهر في الوقت الحاضر إلاّ أنه لا يزال مستمراً. كما يجب أن لا ننسى أيضاً من بين هؤلاء القادمين بصورة مؤقتة ولأسباب متباينة من جاء أيضاً لمعارضة الحكومة العثمانية سياسياً، وهذه الحركة بدأت بوصول الجماعة المعارضة للسلطان عبد الحميد الثاني والمعروفة في العهد العثماني باسم جماعة تركيا الفتاة، ثم استمرت تلك الحركة بعد ذلك بوصول المعارضين لحزب الاتحاد والترقي بعد وصوله إلى السلطة في سنة ١٩٠٩م. كما شهدنا أيضاً عقب إعلان الجمهورية التركية (١٩٢٣م) وفود مجموعة أخرى إلى مصر. وكان عدد القادمين إلى مصر لأسباب سياسية قليلاً جداً، كما أن مدة إقامتهم فيها لم تكن طويلة.

وعلى الرغم من عدم ظهور أية دراسة حتى اليوم في موضوع تعداد السكان الأتراك في مصر فإن هناك بعض النتائج والأرقام التي توصل إليها حول أتراك مصر بعض الكتاب الأوربيين المعاصرين الذين تحدثوا عن عهد محمد علي باشا. غير أن الأمر يقتضي الحذر في تناول تلك الأرقام، ولهذا السبب فإن الأرقام التي سنعرضها فيما يلي إنما هي تقريبية ولا تستند إلى معطيات أو إحصائيات دقيقة، وترتبط صحتها طردياً مع صحة المصادر التي عرضتها، ومن ثم يلزم التعامل معها بحذر. وقد جاء في التقرير الذي أعده جون بورنج للحكومة البريطانية تقدير تخميني يقول إن عدد الأتراك الذين استقروا في مصر مع الفتح العثماني كان يبلغ تسعة آلاف تركي، ويتضاعف هذا العدد إذا

حسبنا عائلاتهم ليبلغ نحو خمسة وثلاثين ألفاً، ثم انخفض هذا العدد إلى عشرين ألفاً في القرن التاسع عشر الميلادي(١).

وفي الكتاب المهم الذي وضعه المستشرق الانجليزي أدوارد وليم لين الذي مكث في مصر خلال ١٨٣٣ – ١٨٣٥م وتحدث فيه عن أحوال مصر والمصريين ولم يفقد أهميته إلى اليوم باعتباره الكتاب المرجع في هذا الموضوع فقد أشار إلى الصعوبة في التثبت من العدد الحقيقي أو التقريبي للسكان في ذلك العهد. وذكر أن التوقعات التي أجريت حول ذلك تشير إلى أن عدد سكان مصر يقل عن مليونين، وتأتي تفصيلاته على النحو التالي:

١.٧٥٠.٠٠٠	مصريون مسلمون (من أهل الريف والمدن)
١٥٠.٠٠٠	مصريون مسيحيون (أقباط)
١٠.٠٠٠	عثمانيون أو أتراك
٥.٠٠٠	سوريون وشوام
٥.٠٠٠	يونانيون
٥.٠٠٠	يهود
٢.٠٠٠	أرمن

ويبقى من غير هؤلاء عدد يبلغ نحو سبعين ألفاً آخرين (من العرب وأهل النوبة والعبيد الزنوج والعبيد البيض أو المماليك والجواري البيض والفرنجة) (٢).

وهناك إحصاء تقريبي آخر يرجع إلى السنوات الأولى من عهد محمد علي باشا، وورد فيه إن مجموع عدد السكان هو ٢.٨٩٣.٥٠٠ نسمة، منهم ٢.٦٠٠.٠٠٠ مصريون مسلمون، و ١٥٠ ألف مصريون أقباط، و ١٢ ألف أتراك عثمانيون، وخمسة آلاف مماليك ورقيق أبيض(٣).

(١) John Bowring, *Report on Egypt 1828-1839: Under the reign of Mohamed Ali*, London: Triade, 1998.

(٢) Edward William Lane, *An account of the manners and customs of the modern Egyptians: written in Egypt during the years 1833-1835*, London: Darf Publishers Ltd., 1986, p. 41.

(٣) Ryme Armédée et P. et H Marcel J. J., *Histoire et description des peuples, moeurs, coutumes,... de l'Egypte depuis la conquête des arabes jusqu'à l'Egypte moderne*, Paris 1848, p. 103.

كما وجدت دراسة أخرى عن تعداد السكان في عام ١٨٣٣م وصنفتهم على النحو التالي[٤]:

مصريون مسلمون	٢.٥٠٠.٠٠٠
مصريون مسيحيون (أقباط)	١٦٠.٠٠٠
أتراك	٢٠.٠٠٠ – ٣٠.٠٠٠
مماليك	٤.٠٠٠ – ٥.٠٠٠
عرب بدو وقبائل بدوية	٢٠٦.٠٠٠
نوبيون وبربر	٣٠.٠٠٠
زنوج	٢٠.٠٠٠
روم	١٠.٠٠٠
أرمنيون	٢٠.٠٠٠
يهود	٤.٠٠٠
المجموع تقريباً	٣.٠٠٠.٠٠٠

وتدلنا هذه النتائج التقريبية المتباينة التي أشرنا إليها بإيجاز حول تعداد سكان مصر على أن هذا العدد كان يتراوح بين مليونين وثلاثة ملايين نسمة تقريباً، وأن عدد الأتراك فيهم يتراوح هو الآخر بين عشرة إلى ثلاثين ألفاً. وكان قسم كبير من هؤلاء الأتراك يعيشون في القاهرة[٥]، بينما يسكن قسم آخر في الاسكندرية. وعدا هؤلاء أيضاً كان يعيش في المدن الأخرى عدد يتراوح بين ١٢ و ٢٠ شخصاً، وفي القرى عدد يتراوح بين شخصين وثلاثة أشخاص بحسب تقرير بورنج.

وكان الأتراك كما رأينا يشكلون نسبة ضئيلة من مجموع السكان في مصر، ولكنهم كانوا يحتلون أرفع المناصب والرتب في الحياة العسكرية والمدنية ولا سيما الوظائف الرئيسية، وكانوا في السنوات الأولى من حكم محمد علي يضطلعون بكافة الوظائف

(٤) George Douin, *La mission du Baron Boislecomte, L'Egypte et la Syrie en 1833*, Le Caire 1927, p. 110.

(٥) توقع البعض أن يكون تعداد سكان القاهرة أثناء الاحتلال الفرنسي نحو ٢٦٣.٧٠٠. بينما يذهب ادوارد وليم لين إلى أن هذا العدد نحو ٢٤٠.٠٠٠.

الإدارية حتى المتوسط منها تقريباً. ويمكننا القول فوق ذلك إن الأتراك أخذوا مكان الصدارة وسط الفئات الاجتماعية الفعالة ولا سيما في المدن الكبرى.

فقد كانت فئة الإداريين في الإدارة المدنية والعسكرية التي أقامها محمد علي باشا تتشكل من أفراد عائلته، وأهل بلدته (قَوَله)، ومن المحيطين به ممن يتحدثون التركية، أو من الرعايا العثمانيين ذوي الخبرة والكفاءة ممن دعاهم إلى مصر عند الحاجة أو وفدوا عليها بقصد تحسين ظروف العمل والمعيشة، واستعان بهم على بناء الإدارة الحديثة. ويمكننا أن نذكر من عائلته وأقربائه إبراهيم باشا أحد أبنائه (١٧٨٩ – ١٨٤٨م) وعباس الأول (١٨١٣ – ١٨٥٤م) أحد أحفاده، وإبراهيم وأحمد نجلي أخته (وهذان هما مؤسسا عائلة يكن في مصر فيما بعد)، ومحمد شريف ابن أخت أخرى. كما يمكننا أن نذكر أيضاً من أقربائه محرم بك الذي جاء معه من قَوَلَه، والدفتردار محمد بك الذي كان موظفاً في استانبول قبل ذلك ثم دخل في خدمة الوالي الجديد وأخلص له، ثم يوسف كامل باشا الذي انتسب إلى عائلته بطريق المصاهرة (بزواجه من زينب بنت محمد علي باشا).

وعدا الأقرباء والزمرة المحيطة به فقد كان محمد علي يستخدم أيضاً عدداً كبيراً من المماليك جاء أغلبهم من جزيرة المورة أو من بلاد القوقاز. وهؤلاء جميعاً كانوا معدودين من الترك، لأنهم تربوا على العادات والتقاليد التركية، وتزيوا بزي الترك، وكانوا فضلاً عن ذلك يتحدثون اللغة التركية بلهجات ودرجات مختلفة، أو لأنهم عقدوا صلات قرابة مع الأتراك الموجودين هناك فيما بعد. وكان عدد هؤلاء المماليك – حسب بعض التقديرات – يقرب من خمسمائة مملوك، وكان من بينهم من تم تعيينه في وظائف مدنية وعسكرية، أو تولى وظيفة التربية والتدريس لأبناء عائلة محمد علي.

وكان هناك من الأهالي المحليين مصريون تعلموا في المؤسسات التعليمية التي أقيمت حديثاً فجرى استخدامهم في الجيش المصري وفي الدوائر الحكومية، وأخذت أعدادهم في الزيادة. كما أن استخدام الأرمن بقدر معين في وظائف الدولة وخاصة ممن كانوا يجيدون اللغات الأجنبية إلى جانب التركية قد صبغ الإدارة المصرية بصبغة كوزموبوليتية. ولكن كبار رجال الحكم والإدارة في عهد محمد علي كانوا من الأتراك. ولأن قسماً من هؤلاء الأتراك

كانوا مرتبطين برباط المصاهرة بعائلة الوالي أو العائلات القريبة إليه فيكون من الطبيعي أن تكون ثقته بهم كبيرة، وأن يتولوا الوظائف الحساسة في الداخل والخارج بكل اطمئنان.

وكان محمد علي الذي تربى على التقاليد العسكرية العثمانية قد شرع في مهام الولاية، وكان استخدامه في البداية للأتراك في الوظائف العالية إنما هو لتمسكه بتلك التقاليد. وكان حرصه وهو يستخدم هؤلاء الأشخاص – سواء كانوا من محيطه أو كانوا من القادمين من الأراضي العثمانية – أن يكونوا ممن أثبتوا الإخلاص له وتمتعوا بالخبرة والتجربة التي تؤهلهم لتطبيق أفكار التحديث التي هو بصددها. وكان الهدف البارز من تلك السياسة هو رغبته في الإسراع بخلق فئة من الإداريين يمكنه بواسطتهم التخلي عن المماليك القدامى ذوي الأصول التركية والقوقازية الذين سيطروا على حكم مصر قبل ذلك.

وعند النظر في تركيب المجتمع المصري نرى أنه تغير تماماً في عهد محمد علي باشا. فالمتنفذون المحليون من عهد المماليك الذين سيطروا على حكم مصر عدة قرون قد فقدوا ما في أيديهم من قوة والي الأبد، وحل محلهم أعضاء عائلة محمد علي باشا والكثيرون ممن قاموا على خدمتهم. فالموظفون الذين يتحدثون التركية ممن وفدوا بكثرة مع عائلاتهم للتوظف في دوائر الباشا العسكرية والمدنية وكانت أعدادهم تبلغ المئات والآلاف أحياناً قد شكلوا عنصراً جديداً داخل المجتمع المصري. وهؤلاء الأشخاص من ذلك القطاع قد شرعوا في الإقامة الدائمة في مصر بعد أن حصلوا على مساحات من الأراضي في أواسط عام ١٨٣٠، فتعلموا العربية وبدأوا يستخدمونها في حياتهم اليومية، وتصاهروا مع المصريين، وأقاموا القصور والدور في القاهرة والإسكندرية بدلاً من استانبول وإزمير. وهذه الفئة التي شكلت الطبقة الأرستقراطية الجديدة صاحبة الأطيان في مصر هي التي سوف تبدأ في لعب دور مطرد الأهمية فيما بعد[٦].

ومع مرور الوقت وزيادة الخبرة التي اكتسبها الإداريون والفنيون المصريون من الجيل الجديد الذين تخرجوا في المدارس الحديثة أو جرى إيفادهم إلى أوربا للدراسة وتحصيل العلم، ثم ترقيتهم في الرتب تبعاً لذلك زادت مواقعهم في الإدارة، وكانت النتيجة

---

(٦) Khaled Fahmy, "The Era of Muhammad 'Ali Pasha, 1805-1848", *The Cambridge history of Egypt*, II: *Modern Egypt, from 1517 to the end of the twentieth century*, M. W. Daly (ed.), Cambridge: Cambridge University Press, 1998, s. 178-179.

أن أخذوا يضطلعون بالوظائف التي كان يضطلع بها "الترك". ومما يجدر بنا إعادة النظر فيه تلك الآراء التي طرحها كتّاب الدول التي كانت لها نوايا استعمارية في مصر حول الصراع (التركي المصري) أو صراع (الأتراك والفلاحين)، وتعالي أحدهما على الآخر والنفور منه. فهؤلاء الكتاب الأوربيون المعاصرون كانوا يمثلون سياسات دولهم التوسعية التي تعمل في المقام الأول للقضاء على سلطة الأتراك. أضف إلى ذلك أننا لو تفحصنا بدقة تصرفات الأتراك الخُلّص وتصرفات الأتراك الآخرين المنتسبين إليهم بطريق الثقافة فسوف يظهر أن بعض الاتهامات المنسوبة للأتراك الحقيقيين لا أساس لها من الصحة.

ونظراً لأن بعض الكتاب الفرنسيين والانجليز المعاصرين الذين أرخوا لعهد محمد علي باشا قد رأوا في الأتراك منافساً لهم وأدركوا أنهم هم الحائل أمام زيادة نفوذ دولهم في مصر فقد فاضت كتاباتهم بقناعات وآراء لم يكن أغلبها في صالح الأتراك. وقد زادت تلك الكتابات السلبية التي تسئ إلى الأتراك وخاصة بعد احتلال الانجليز مصر، فقد صورتهم هناك وكأنهم أعداء الشعب وزمرة أجنبية ظالمة متجبرة. وجانب كبير من تلك الكتابات التي تشكل المصادر الأولى لمؤرخي ذلك العهد قد جاءت على شكل مذكرات شخصية أو تقارير مقدمة إلى الدول الأوربية المعنية لتشكل الأسس في سياستها الاستعمارية. وهذه الأحكام المسبقة والمزاعم الواهية قد ظهرت في البحوث والدراسات التي أجريت بعد ذلك على أنها حقائق تاريخية. وعندما تختلط الأمور العلمية – ومنها التفسير الخاطئ للمصادر الأولية – إلى الدعاية السلبية من القوى المنافسة تظهر أمامنا صورة "التركي" في وضع لا يمت إلى الحقيقة بصلة. ومن نماذج هذا ما يلفت النظر في الدراسة التي أعدها فـ. ر. هنتر حول ظهور البيروقراطية الحديثة في مصر من عهد محمد علي حتى إسماعيل باشا الفقرة التالية(٧):

"يعتقد الأتراك أنهم أصحاب روح إدارية بالفطرة، وقد تطورت مواهبهم في الحكم تبعاً لذلك. ألم يكن الأتراك حكاماً لمصر منذ قرون؟ أليست العائلة التي تحكم مصر الآن تركية هي الأخرى؟ إنهم الحكام الأصليون لمصر وأصحاب الحق فيها. ومصير الأهالي

---

(٧) F. Robert Hunter, *Egypt under the Khedives, 1805-1879: from Household Government to modern bureaucracy*, Pittsburgh: University of Pittsburgh Press, 1984, p. 84.

المحليين الموصوفين بصفات (الكلاب) و (الثيران) والذين لا يصلحون إلاّ لجر المحراث هو العمل لحساب (العنصر النقي) الوحيد الموجود في الدولة".

ويشير هنتر إلى أمين سامي باشا المصري على أنه صاحب عبارة (العنصر النقي) التي أبرزها مسنداً لتلك الشتائم الغليظة التي وجهها للمصريين باسم الأتراك. والمعنى المفهوم بوضوح من ذلك السياق هو أن الأتراك كانوا يفوقون المصريين منزلة. فهم (العنصر النقي)، أما الآخرون فليسوا كذلك. وإذا نظرنا إلى الوثيقة التي نقلها هنتر عن أمين سامي باشا مسنداً له على تلك المزاعم لوجدنا أنها لا تحتوي شيئاً قط يمكن أن يكون مسنداً لتلك المزاعم، فهي لا تتضمن لا إشارة صريحة ولا تلميحاً ضمنياً على مقارنة أو مفاضلة بين المصريين والأتراك، كما أنها لا تشتمل من قريب أو بعيد على أي نوع من السباب. وهي إرادة صدرت عن عباس الأول بتاريخ ٢٦ جمادى الآخرة ١٢٦٦هـ [٩ مايو ١٨٥٠م]، ونشر أمين سامي باشا ترجمتها العربية عن الأصل التركي، وتنص على أمر للوالي حول ضرورة إنقاذ الأطفال الأتراك الفقراء في الإسكندرية من التشرد وجلبهم إلى القاهرة وإلحاقهم بمدرسة ابنه إلهامي باشا ليتلقوا التعليم فيها[٨]. وكان هدف الوالي عباس باشا من أمره بجمع هؤلاء الصبية الذين تتراوح أعمارهم بين السابعة والسابعة عشرة هو – بحسب قوله – أن يكونوا نافعين لأنفسهم وعائلاتهم، وبالتالي يتحولون إلى "عنصر صالح" للوطن. والواضح من تلك العبارات أنها لا تتضمن أي نوع من المفاضلة، كما لا تحتوي شيئاً قط من عبارات التحقير التي أراد هنتر أن ينسب قولها للأتراك. كما أن أطفال الشوارع المطلوب تعليمهم وتحويلهم إلى "عنصر صالح" قد أصبحوا فجأة

(٨) نص الإرادة كما أوردها أمين سامي باشا في ٢٦ جمادى الأخرة ١٢٦٦ لرئيس الديوان الملكي بالاسكندرية:
من البديهي أن دوام تشرد أولاد الترك في شوارع الاسكندرية يحرمهم من اكتساب المهن والمعارف، وبالجملة لا يصلحون لأنفسهم، وما يترتب على ذلك من عدم الحصول على ما ينفعهم ويفيد أهليهم، فاجمعهم وارسلهم إلى مصر لإدخالهم في مدارس ابننا صاحب النجابة إلهامي باشا ليكتسبوا العلوم والمعارف أولى من استمرارهم على التشرد والعطلة وأنفع لأنفسهم ولأهليهم، وبهذه الوسيلة يكسب الوطن عنصراً صالحاً، وبناءً عليه يجب الاهتمام بجمع هؤلاء الأولاد المتشردين الذين ليس لهم أهل وابداء النصح للوالدين الذين لهم أولاد على هذه الصفات واقناعهم بأن هذه الطريقة تفيدهم وتفيد أولادهم فإذا رضوا ورغبوا فاستلموا أولادهم من سن السابعة إلى السابعة عشرة وارسلوهم إلى مصر. وقد حررنا لكم هذا لتنفيذه. (أمين سامي باشا، تقويم النيل وعصر عباس حلمي باشا الأول ومحمد سعيد باشا، المجلد الأول، الجزء ٣، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، ص ٣٠).

"عنصراً نقياً". وإذا نظرنا إلى المصدر الذي ساقه هنتر لتحريفه مسألة "العنصر النقي" لوجدنا له عبارة تقول: "إن عبارة العنصر النقي قد استخدمت من قبل عباس"(٩). وعلى هذا النحو يحاول هنتر الإيحاء بأن التهم الغليظة المذكورة قد خرجت من فم الوالي عباس باشا، وأنها نُقلت عن أمين سامي باشا. في حين أن الوثيقة لا تنطوي على ذلك النوع من التهم الخارجة على الأدب، كما أن عبارة "العنصر الصالح" التي نقلها سامي باشا والسياق الذي وردت من خلاله إنما تحمل معنى يختلف كثيراً عن "العنصر النقي" الذي ساقه هنتر(١٠).

وتجدر الإشارة أيضاً – ونحن نسجل هنا مثالاً واحداً فقط من الأمثلة التي تدعم الرأي الذي ذهبنا إليه – إلى أن هذا الأمر وغيره له أمثلة كثيرة. فمسألة "العداء للترك" التي ظهرت عند وقوع حادثة عرابي باشا يمكن الإشارة إليها كمثال آخر ودليل يكشف لنا تلك المغالطات(١١).

---

(٩) (قدّم هنتر في الهامش ١٠ ص ٨٤ المصدرين التاليين لإثبات ما ذهب إليه: أمين سامي باشا، جلد ١، جزء ٣، ص ٣٠. و Gordon, *Letters from Egypt 1862 -1869,* p. 182, 226, 301).

(١٠) يذكر هنتر في نفس الهامش عبارات تثير الشقاق بين المصريين والأتراك، فيقول : "إن التمييز الموجود في مصر بحسب ما كتبه غوردون عام ١٨٦٧م هو التمييز بين العرب والترك. وكانت أكثر العقوبات إذلالاً لشخص من الذوات أن يجعلوه يرتدي زياً مثل زي "الفلاحين" ثم يدفعونه للعيش بين الأهالي المحليين. وهذا كان واحداً من التهديدات التي يلجأ إليها الولاة حتى يلزموا رجالهم بسلوك منضبط" (Senior, *Conversations,* V. 2, p. 85.).

(١١) إن حادثة أحمد عرابي باشا التي وقعت عام ١٨٨١ – ١٨٨٢م كانت بحسب الرأي الشائع رد فعل الضباط المصريين ضد قادتهم " الأتراك " الذين لا يريدون ترقيتهم إلى الرتب العالية، وصداماً بين القومية العربية المصرية والقومية التركية. في حين أن عثمان رفقي باشا ناظر الجهادية أحد المسببين الأوائل لتلك الحادثة هو من الجراكسة. والواقع أن تلك الحادثة التي عرفت باسم (مؤامرة الجراكسة) قد وقعت نتيجة لقيام الضباط الجراكسة من أصحاب الرتب العالية بتحريض المؤيدين لهم من ذوي الرتب الصغيرة على عدم إطاعة ضباطهم المصريين من ذوي الرتب العالية. ولا شك أن عدم مشاركة الضباط " الأتراك " في تلك الحركة التي كانت تضم ١٥٠ شخصاً، وقيام العديد من القادة الكبار مثل شاهين باشا ودراماني أحمد باشا ومرعشلي باشا بتأييد الحركة العرابية ومناصرتها إنما يدلنا إلى أي مدى كانت تفتقر تلك المزاعم إلى أساس صحيح (أحمد محمد محمود بحيري، الأتراك في مصر ١٨٨٢ – ١٩١٤، رسالة ماجستير من قسم التاريخ بآداب عين شمس ١٩٩٧، ص ٢٤ – ٤١). كما كان عرابي باشا في حركته تلك المناهضة للخديوي وكبار القادة في الجيش لا يفتأ يعبر في الوقت نفسه عن ولائه الصادق للدولة العثمانية والسلطان العثماني (محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، جـ ١ من الثورة العرابية إلى قيام الحرب العالمية الأولى، المطبعة النموذجية، القاهرة ١٩٦٢م، ص ١). ومن الأحداث اللافتة للانتباه والتي تكشف عن سطحية النظرية المؤسسة على تلك المزاعم الواهية أن بعض الشخصيات المحلية الكبيرة مثل محمد سلطان باشا أحد الأعيان المصريين أخذ موقفاً مناهضاً لعرابي (هنتر، المصدر السابق، ص ١١٨). وهناك مثال آخر على المغالطات التي أشرنا إليها سابقاً، إذ يقول بلونت في كتابه عن التاريخ السري لاحتلال مصر وهو بصدد الحديث عن عثمان رفقي باشا البطل الشرير لحادثة عرابي إنه كان " تركيا " يكره الفلاحين.

وقسم من تلك الأحكام المسبقة التي لا يستند أغلبها على الحقائق التاريخية قد ظهر نتيجة لرد الفعل تجاه التصرفات الشخصية الصادرة عن أشخاص معدودين من الجنس التركي رغم أنهم من أصول مختلفة، بينما ظهر القسم الآخر نتيجة لأسلوب الإدارة الصارم والتدابير الزجرية التي كان يجري عليها محمد علي باشا. ولا شك أن مقارنة الآراء والأفكار والاتهامات الواهية في أدبيات مناهضة الأتراك بما كتبه مثقفون مصريون معاصرون بأسلوب موضوعي وروح إيجابية - من أمثال علي مبارك وعبد الله فكري وأحمد شفيق وهم ممن ظهروا من بين أفراد الشعب المصري - سوف تشكل إسهاماً علمياً قيماً يساعد على استجلاء صورة وأوضاع الأتراك الحقيقية في مصر.

وكان من نتيجة التدابير المختلفة والسياسات المتشعبة التي جرى عليها الانجليز عقب احتلالهم لمصر حول القضاء على سلطة الأتراك المحليين ونفوذ الدولة العثمانية هناك أن ظهرت صورة "التركي" المستبد الظالم، ودخلت تلك الصورة بين ما دخل من مفاهيم أساسية إلى أذهان بعض المثقفين عن طريق المؤسسات التعليمية عندما كانت نظارة المعارف تحت إدارة المستشار الانجليزي. ورغم كل شئ فلم تكن تلك الصورة السلبية التي لم تعبأ بها الكتل العريضة من الناس ذات أثر كبير، بل على العكس فقد اندمج "الأتراك" المصريون مع الأهالي المحليين، وكانت العائلات التي دخلوها بطريق المصاهرة تباهي وتفاخر - ولا زالت إلى اليوم - بذلك النسب.

وإلى جانب ذلك فقد شرع الأغنياء والمثقفون المصريون الجدد في قضاء عطلاتهم الصيفية في استانبول، مثلهم في ذلك مثل المصريين من أصول تركية. فبينما كان أحمد لطفي السيد - وهو من أبرز المثقفين المصريين وأحد المؤيدين لشعار "مصر للمصريين" - يقضي صيف عام ١٨٩٥م في استانبول[١٢]، كان عدد الزوار القادمين من القاهرة إلى

Osman Pasha Rifki, a Turk of the old school, who hated the fellahin
(Wilfrid Scawen Blunt, *Secret history of the English occupation of Egypt: being a personal narrative of events*, London: T. Fisher Unwin, 1907, p. 484)

وتلك الأحكام والآراء التي يراد من ورائها ضرب عصفورين بحجر واحد لا زالت تتردد حتى اليوم بين أوساط بعض المثقفين كحقائق تاريخية.

(١٢) Afaf Lutfi el-Sayyid, *Egypt and Cromer : a study in Anglo-Egyptian relations*, London : John Murray Publishers, 1968, p.158.

استانبول في عام ١٩١٠م قد بلغ خمسة آلاف شخص(١٣). والأتراك وإن قدموا من الأناضول أو الروملي فقد اندمجوا مع الأهالي المحليين وذابوا فيهم مع الوقت. وكانت علاقات النسب التي تحققت بطريق الزواج والمصاهرة بين المصريين والأتراك قد حالت دون أن يصبح الأتراك أقلية معزولة في مصر. والعامل الأساسي على ذلك الاندماج هو وحدة الدين وعدم نظر أحدهما إلى الآخر بعين الأجنبي.

وكان من التطورات المهمة - التي أسفر عنها اتجاه الانجليز نحو القضاء على الوجود التركي في مصر بعد أن رأوا فيه منافساً لهم - اندماج الأتراك المصريين مع الأهالي المحليين، وتصديهم سوياً للتهديد الأجنبي. ويلاحظ من خلال المعارضة السياسية والمقاومة الوطنية التي ظهرت ضد الانجليز وجود شخصيات كثيرة كانت معروفة بأنها تركية، وزيادة الولاء للسلطان العثماني بينهم باعتباره خليفة المسلمين.

وإذا نظرنا من الزاوية القانونية بالإضافة إلى وحدة التركيب الاجتماعي نرى في مصر - وهي ولاية من ولايات الدولة العثمانية - أن كل فرد من رعايا الدولة كان يحظى بنفس الوضع القانوني، ومن ثم فالجميع سواء أمام القانون. ومع التشريعات القانونية التي وضعت كجزء من محاولات انتزاع مصر من الدولة العثمانية بعد احتلال الانجليز لها، وعندما ظهر مفهوم المواطنة المصرية وجرى تنظيم ذلك الأمر بالقانون لم ينظر أيضاً وبشكل واسع إلى الفروق بين الأتراك والمصريين في أسس المواطنة.

وكان أهم التشريعات القانونية التي أدت إلى اندماج الأتراك مع المصريين برباط واحد هو قانون المواطنة الأول الذي صدر عام ١٨٩٩م ثم جرى تعديله في شهر يونيه من العام التالي. وتقول المادة الأولى منه: يتمتع بحق المواطنة المصرية كل من توطن القطر المصري قبل أول يناير ١٨٤٨م وحافظ على محل إقامته فيه، والأبناء المولودون لأبوين من الرعايا العثمانيين المقيمين في مصر، وأفراد الرعايا العثمانيين المولودون في مصر ويقيمون فيها ويقبلون الدخول في القرعة العسكرية المصرية سواء بأدائهم الخدمة العسكرية أو بدفع البدلية بها، (وفي المادة الثانية) والرعايا العثمانيون المتوطنون في

---

(١٣) أحمد محمد محمود بحيري، المصدر السابق، ص ١١٩ - ١٢٠.

القطر المصري منذ أكثر من ١٥ سنة[١٤]. والواقع أن قانون الانتخابات الذي صدر في أول مايو عام ١٨٨٢م، أي قبل قانون المواطنة، كان يعترف بحق الانتخاب لكل من ولد في مصر أو أقام فيها عشر سنوات. وهذا الحق قد تم الاعتراف به بعد ذلك لكل عثماني يولد في مصر بموجب القرار الذي أصدره مجلس النظار عام ١٩٠٠م. وعلى هذا النحو تكون البنية التحتية لأول قانون ينظم شؤون المواطنة قد تم إعدادها قبل صدوره.

وبعد قيام الانجليز بعزل الخديوي عباس حلمي عام ١٩١٤م وتنصيب حسين كامل باشا بدلاً منه بلقب سلطان، ثم قيامهم عقب وفاته بتنصيب فؤاد سلطاناً في البداية ثم ملكاً بعد ذلك، حافظت الأحكام السابقة – في قوانين المواطنة المختلفة التي صدرت – على وجودها؛ وصدر في عام ١٩٢٦م قانون أعطى حق المواطنة المصرية للرعايا العثمانيين المقيمين في مصر منذ الخامس من نوفمبر ١٩١٤م. وهذا يعني أن حق المواطنة الممنوح للأتراك الذين يعيشون في مصر منذ اليوم الذي كانت فيه ولاية تابعة للدولة العثمانية قد ظل سارياً حتى بعد انتهاء علاقتها الرسمية بالدولة العثمانية نفسها.

ونظراً لأن الأترالك في مصر لم يدخلوا في عداد الأقليات أبداً، فلم يروا في أنفسهم شيئاً منفصلاً عن المجتمع، ولم تكن لهم أبداً أوضاع الأقليات الغير المسلمة الأوربية أو الشرقية الأخرى. أي أنهم لم يدخلوا – مثل الأقليات الانجليزية والفرنسية والإيطالية واليونانية والأرمنية واليهودية – في تنظيمات تكافلية داخلية، دينية واجتماعية وثقافية خاصة بهم. وكما لم يكن لديهم مفاهيم عن خصوصية معينة لهم تجاه الآخرين لم يكن لهم في الأساس مرجع أيضاً يتولى تنظيمهم وتشكيلهم إزاء المجتمع. وقد كان للأقليات غير المسلمة أماكن مستقلة للمعيشة ومؤسسات دينية واجتماعية وثقافية وتعليمية، كما كانت لهم مستشفيات خاصة ودور للأيتام والعجزة والمسنين ومقابر مستقلة. أما الأتراك فلم يكن لهم شئ من مثل ذلك، كما لم تكن لهم أنشطة تكافلية تزيد عن الجمعيات الخيرية التي أقاموها في عهد متأخر بدافع نقل لغتهم إلى الأجيال التالية ومساعدة العجزة والمحتاجين. وعدا وجود عدة مقابر عائلية كان الأتراك في مصر يدفنون موتاهم فيها، فلم يكن لهم إلاّ مقبرتين تمت إقامتهما

(١٤) البحيري، نفس المصدر، ص ١٢٦ – ١٢٧.

لشهداء الجنود العثمانيين في الحرب العالمية الأولى مثوىً أخيراً لهم في مدينتي القاهرة والإسكندرية، وهاتان المقبرتان فقط هما اللتان يمكن وصفهما بالمقابر التركية.

وعند النظر إلى كيفية تطور الأوضاع التي كان عليها الأتراك في المجتمع المصري نرى أنها أخذت مسارين مختلفين، فالمسار الأول يبين انصهار البعض منهم في المجتمع سواء كانوا من طبقاته الفقيرة أم كانوا من الطبقات المتوسطة أم كانوا من الفئات والنخب الإدارية. أما المسار الثاني فهو الذي ينضوي فيه ملاك الأراضي والأبعديات الواسعة والمشاركون بشكل فعّال في الحياة السياسية للبلاد. وكلا المسارين يستحقان التأمل والنظر، فهما جديران بالعديد من البحوث والدراسات المتعمقة من كافة الجوانب والاتجاهات.

والذي يهمنا هنا هم أصحاب المسار الأول، ومن أبرز نماذجهم أمير الشعراء أحمد شوقي (١٨٦٨-١٩٣٢م) الذي ينتمي بأصوله العائلية إلى أتراك مصر، فجده هو أحمد شوقي الذي تسمى هو باسمه، وكان واحداً من كبار موظفي الدولة العثمانية في القاهرة على أيام محمد علي باشا، وكانت جدته لأمه جارية من معتقات إبراهيم باشا. أما أبوه فيعرف باسم علي. وقد ولد أحمد شوقي في القاهرة، فلما بلغ الثالثة من عمره حملته جدته إلى قصر الخديوي إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩م) فوضعه تحت حمايته وشبّ في رعايته، ولهذا كان يقول شوقي إنه ولد بباب إسماعيل قاصداً بذلك أنه كان ربيب الخديوي إسماعيل وأن عائلته كانت من رجال القصر.

ولما أكمل شوقي تعليمه الابتدائي والمتوسط التحق بكلية الحقوق التي فتحت حديثاً في القاهرة، ولأنه لم يجد فيها مرامه انتقل إلى قسم الترجمة داخل نفس الكلية، وتخرج منه سنة ١٨٨٧م.

وفي تلك الأثناء برزت موهبته الشعرية، وبعد أن نشرت له أولى قصائده في مدح الخديوي توفيق تم تعيينه في إحدى وظائف القصر، ثم أوفده الخديوي توفيق إلى فرنسا ليدرس الحقوق التي لم يكملها من قبل، واستطاع أن يتعرف عن قرب على الأدب الغربي. ولما أكمل دراسته وعاد إلى مصر تم تعيينه مديراً للقلم الافرنكي في ديوان الخديوي عباس حلمي باشا.

وبرع أحمد شوقي في قرض الشعر حتى أصبح أفصح الشعراء العرب بياناً وأجودهم قريضاً، ولهذا لُقِّب عن جدارة بأمير الشعراء. ولأنه كان يناصر الوطنيين المناهضين للاستعمار البريطاني فقد نفاه الانجليز إلى اسبانيا عام ١٩١٥م.

وعالج بمشاعره الوطنية الفياضة موضوعات دينية وسياسية وتاريخية، وتناول بأحاسيسه المخلصة لوطنه مصر مشاكل الحياة اليومية وأحداثها الجارية، وعبر عن ولائه لدولته دولة الخلافة العثمانية، وقد كان مع حبه لمصر ثابتاً على موقفه السياسي في موضوع ضرورة بقاء الخلافة وزعامة العالم الإسلامي في يد الدولة العثمانية، وظل ينادي بتلك الأفكار حتى النهاية. وكان في كل مناسبة يكتب القصائد في مدح وطنه مصر ودولته العثمانية وفي مدح مقام الخلافة والخليفة السلطان عبدالحميد الثاني، ويتابع مجريات الأمور في حرب الاستقلال التركية، ويكتب الأشعار في مدح قادتها وأبطالها ويذكر بالشكر والتقدير جنودها الأتراك البواسل (الشوقيات، القاهرة ١٩٢٥-١٩٣٠م، جـ ٥٢/١، ٢٨٠-٢٨١)[١٥].

أما النموذج الثاني من رجال الطبقة الأولى فهو الروائي الكبير والكاتب المبدع المرحوم يحيى حقي (١٩٠٥ - ١٩٩٢م)، وهو حفيد رجل تركي نزح إلى مصر من شبه جزيرة المورة في أوائل القرن التاسع عشر، ورزق بثلاثة أبناء كان منهم محمد الذي تزوج بفتاة تركية الأصل (أبوها تركي وأمها ارناؤوضيه) مصرية النشأة وأنجبت عدداً كبيراً من الأبناء من بينهم يحيى حقي.

وهو يقول عن نفسه ".... كنا أسرة موظفين من أصل تركي وليست لنا أملاك تذكر ..." وكان أنجح أدباء مصر في القرن العشرين تعبيراً عن الروح المصرية الخالصة التي تعيش في الأحياء الشعبية العريقة للقاهرة، وفي ذلك يقول إن أهم مطلب له في الفن الروائي "....... أن تكون لنا قصة مصرية لحماً ودماً تنبع من خصائصنا وتدل علينا ...." (١٦).

ولأن يحيى حقي كان من أبناء الجيل الثالث من أتراك مصر، فإنه لم يتعلم من التركية في طفولته إلا كلمات قليلة، ومن بينها الكلمات التي يستخدمها الآباء في لحظات الغضب،

(١٥) انظر: مادة "أحمد شوقي"، دائرة المعارف الإسلامية وقف الديانة، رمضان ششن ، المجلد الثاني ١٩٨٩

(١٦) يحيى حقي، السيرة الذاتية (قنديل أم هاشم، طبعة المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٥) ص١٥.

وهي كلمات التوبيخ والسباب. وكنت قد تعرفت على المرحوم يحيى حقي في النصف الثاني من ستينات القرن المنصرم عندما كان مشرفاً على مجلة المجلة. وكنت أرى على وجهه أسارير الفرح والانشراح عندما كان يحدثني بلغة تركية رفيعة تعلمها عندما سافر إلى تركيا كدبلوماسي مصري شاب، وفي هذا يقول في سيرته الذاتية :

"وبذهابي إلى تركيا، عدت إلى الأرض التي هاجر منها جدي وعثرت هناك على أقرباء لنا سكنت عندهم، كما تعلمتُ التركية على كبر وأتقنتها"(١٧).

إن المتأمل لما خلفه يحيى حقي من تراث أدبي مصري يرى فيه تميزاً إلى جانب رفعته الأدبية وتفرده الفني، بأصالة شعبية متجذرة أتى بها رجل تركي الأرومة. وفي هذا يقول:

"أما الظاهرة الغريبة التي أحار في تحليلها وأنا أتأمل حياتي وإنتاجي، فهي أني، وإن كنت من أصل تركي قريب، فإنني أحس بأني شديد الاندماج بتربة مصر وأهلها، وفي بعض الأحيان يرجني هذا الشعور رجاً عنيفاً ومعرفتي باللغة العامية المصرية وتعبيراتها تفوق ماحصلته منها مباشرة... ولعل هذا الحب هو الذي يميل بي إلى استخدام بعض الكلمات العامية في كتاباتي.." (١٨).

ولا أدل على اندماج الأتراك في المجتمع المصري من هذين المثالين الرفيعين لرجلين تركيين ينتميان إلى جيلين متعاقبين من أتراك مصر.

أما عن طبقة أصحاب الأراضي الواسعة والنفوذ السياسي الكبير، فالأمر يحتاج إلى دراسات متعمقة من الناحية الاجتماعية-الثقافية ولا يمكن لنا أن نتطرق إليها هنا. إلا أنه من المفيد الإشارة إلى أن هذه الطبقة التي يرجع عدد من أفرادها إلى "أتراك مصر" إلى جانب أبناء مصر أنفسهم، قد اتخذت لنفسها مساراً مختلفاً عن أولئك المنتمين إلى المسار الأول. والإحساس الطبقي المترفع الذي اشتهر عن بعض أفراد هذه الطبقة لا يمكن إرجاعه إلى الثقافة الأرستقراطية العثمانية التركية، لأن الأتراك العثمانيين لم يكن في عرفهم أو في نظامهم الاجتماعي مثل هذا النوع من الطبقية المبنية على الفوارق الاجتماعية التي لا تقبل الحركة الاجتماعية على المستويات الأفقية والرأسية. إذ كانت

---

(١٧) المرجع السابق، إلى ص ٥

(١٨) نفسه، ص ٤٠ - ٤١.

الأرستقراطية العثمانية مبنية على التفوق في سلم خدمة الدولة التي عَرَفَتْ منذ نشأتها وحتى زوالها أعداداً كبيرة من الرجال الذين ترجع أصولهم الاجتماعية إلى أفقر العائلات، وتيسر لبعضهم اعتلاء السلم الوظيفي، ومن ثم السلم الاجتماعي، وبلغوا أعلى الدرجات، وتبوأوا أرفع المناصب بما فيها منصب الصدر الأعظم، بل وأمكن لبعضهم مصاهرة السلاطين(١٩).

وقد أثْرت الطبقة الأرستقراطية المصرية واغتنت بشكل سريع، ثم أقبلت على بعض العادات والتقاليد الأوربية، مما جعلها تأخذ في الانفصال مع مرور الوقت عن الطبقة الأرستقراطية العثمانية. وكان ثراؤهم الفاحش وأسلوب حياتهم التي مارسوها في بيوتهم الصيفية على ضفاف البسفور في استانبول أمراً أدى إلى إثارة الغبطة بين نظرائهم العثمانيين ودفع البعض منهم إلى سوء الخلق أحياناً. وظهر ذلك بوضوح خلال العقدين السابع والثامن من القرن التاسع عشر في مدينة استانبول، واستقر في أدبيات ذلك العهد.

بهذه النماذج والملاحظات التي سردناها هنا وغيرها من الملاحظات التي نشير إليها في ثنايا دراستنا هذه عن الأتراك في مصر، يجب إعادة النظر في النموذج النمطي والانطباع الذي تصوره البعض عن "التركي" في مصر بعيداً عن الأحكام المسبقة أو الأفكار الخاطئة التي ولّدتها ظروف ومصالح سياسية وتيارات ايديولوجية زالت مع مضي الزمان.

وقد كان الطلاب الأتراك في مصر على الرغم من قلة أعدادهم فئةً بارزة عُرفت بحضورها الدائم وتقاليدها المرعية على امتداد السنين. وهذه التقاليد التاريخية التي يجب دراستها وبحثها قد تزامنت مع توطن الأتراك في شبه جزيرة الأناضول. وفي قلب تلك التقاليد التي بدأت من أيام السلاجقة واستمرت في عهد الإمارات الأناضولية حتى بلغت العهد العثماني يوجد الأزهر الشريف الذي يمثل بتاريخه العريق على مدى ألف عام أرفع المؤسسات التعليمية التي تقوم بتدريس العلوم الإسلامية في العالم الإسلامي(٢٠). وكان ابن

---

(١٩) يعتمد هذا النظام على مبدأ الأهلية والكفاءة في تعيين الشخص المناسب في المكان المناسب، ويعرف بنظام الجدارة Meritocracy. وكان أغلب الذين تفوقوا في وظائفهم ومكانتهم أيام محمد علي قد بلغوا ذلك على أساس هذا الفهم. ويحتاج الأمر إلى النظر في كيفية تحول أوضاع البعض ممن أصبحوا من أصحاب الأملاك الكبيرة.

(٢٠) أكمل الدين احسان أوغلى وصالح سعداوي، الثقافة التركية في مصر: جوانب من التفاعل الحضاري بين المصريين والأتراك، استانبول: إرسيكا ٢٠٠٣، ص ١٥٦ - ١٦٢.

الهمام السيواسي (ت ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م) [٢١]، وأكمل الدين البابرتي (ت ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م) [٢٢] من الشخصيات التي وفدت على مصر من الأناضول ونالت شهرة واسعة في العالم الإسلامي بما وضعوه من مؤلفات علمية وبما نشأ على أيديهم من تلامذة.

وتلك التقاليد التي استمرت في العهد العثماني أيضاً لا زالت مستمرة حتى اليوم على الرغم من تبدل الأحوال وتغير الظروف. وفي القرن العشرين كان المدرس اليوزغادي محمد احسان أفندي قد أكمل تعليمه في الأناضول واستانبول، ثم سافر بعدها إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف حتى أصبح بعلمه وفضله واحداً من أصحاب المكانة المتميزة بين علماء الأناضول القدامى[٢٣]. وكانت هناك ثلاثة أمكنة مهمة يستقر فيها الطلاب الأتراك عند وفودهم لتحصيل العلم بالأزهر، أحدها رواق الأتراك[٢٤]، والثاني مدرسة السلطان محمود[٢٥]، والثالث مدرسة أبي الذهب. والأمر المؤسف أن تلك الفئة من الطلاب الذين كانوا يمثلون التفاعل الثقافي بين تركيا ومصر لم تخضع حتى اليوم لأي من الدراسات العلمية الجادة.

(٢١) حول ابن الهمام السيواسي انظر المصدر السابق، ص ١٦٠ - ١٦١.

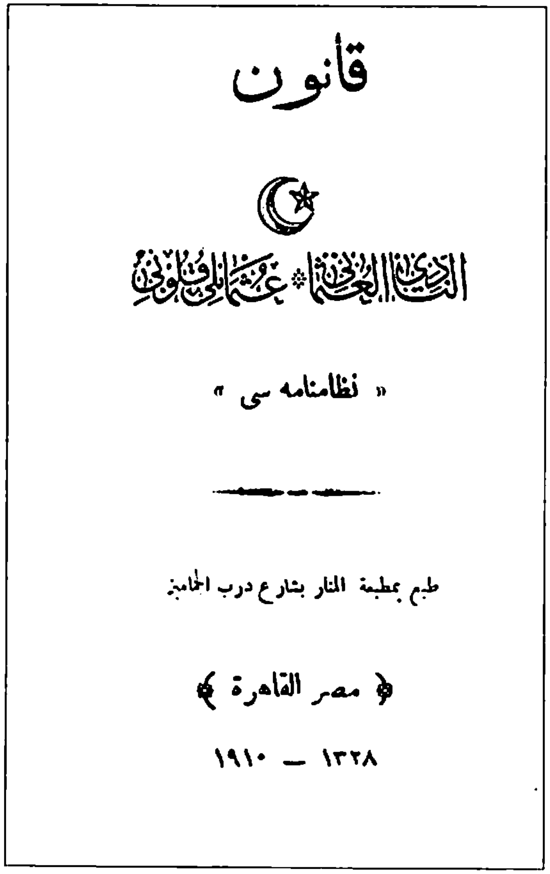
(٢٢) وحول ملا فناري وحاجي باشا ممن وفدوا من الأناضول ودرسوا على يدي أكمل الدين البابرتي انظر نفس المصدر ص، ١٦٣ - ١٦٤.

(٢٣) للتعرف على سيرته انظر: دراسات في الأدب والتاريخ التركي المصري، إشراف: أحمد فؤاد متولي، القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٨٩م. وانظر أيضاً مادة "محمد احسان" (*DİA*, c. XXVIII, s. 490-491).

(٢٤) لقد أقيم نظام "الأروقة" بقصد تنظيم الحياة التعليمية للطلاب القادمين للدراسة في الأزهر من الممالك والبلدان المختلفة، وأقيمت الأوقاف لهذا الغرض بقصد الصرف عليهم وتلبية احتياجاتهم. وكان لرواق الأتراك الذي عرف بأوقافه الغنية مكانة متميزة بين سائر الأروقة، وكان يضم مكتبة غنية تضم العديد من المخطوطات النادرة. وهذا الرواق الذي كان يعرف أحياناً باسم رواق الأروام ما زال موجوداً حتى اليوم باسم رواق الأتراك وإن كان بشكل رمزي.

(٢٥) للتعرف على مدرسة السلطان محمود في القاهرة انظر: Ahmet Ali Bayhan "Osmanlı eğitim müesseselerine Kahire'den iki örnek: Süleyman Paşa ve Sultan I. Mahmud Medreseleri", *Osmanlı dünyasında bilim ve eğitim milletlerarası kongresi: Tebliğler (12-15 Nisan 1999: İstanbul)*, İstanbul: IRCICA, 2001, s. 45-56.

وانظر أيضاً: محمد أبو العمايم، آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني، إشراف أكمل الدين احسان أوغلى، استانبول: إرسيكا ٢٠٠٣ ص، ٣٨٥ - ٣٩٤.


قانون

النادي العثماني * عثمانلي قلوبي

« نظامنامه سى »

طبع بمطبعة المنار بشارع درب الجماميز

﴿ مصر القاهرة ﴾

١٣٢٨ — ١٩١٠

قانون النادي العثماني

ولما بدأ تأسيس الجمعيات الخيرية المختلفة في مصر نحو أواخر القرن التاسع عشر لعب الأتراك والمتحدثون بالتركية ممن يعيشون مع المصريين هناك دوراً فعالاً في ذلك المجال. ويمكننا التعرف على العديد من الأمثلة في حركة إنشاء الجمعيات التي كانت باكورتها الجمعية الخيرية الاسلامبولية التي تأسست في القاهرة عام ١٨٩٠م. وقد ظهر أغلب ذلك النوع من الجمعيات في القاهرة خلال الحقبة ١٨٩٠ – ١٩١١م، وكان من بين أهدافها حماية الطفولة ومساعدة المحتاجين ومكافحة الخمور والدعارة وإعانة المسنين

والأيتام وغير ذلك، وضمت العديد من الشخصيات التركية بين أعضائها المؤسسين. أما "جمعية التعالي والإحسان العثمانية" فقد تأسست في الاسكندرية عام ١٩٠٨م(٢٦).

ولم تنس الطبقة "التركية" الأرستقراطية المقيمة في مصر أن تؤسس هي الأخرى نوادٍ لها هناك . وأول تلك النوادي هو النادي الذي أقيم تحت رئاسة الخديوي توفيق باشا عام ١٨٨٨م وانضم إليه أفراد عائلة محمد علي باشا تحت اسم "النادي الخديوي". وهناك أيضاً "نادي الأعيان" الذي تأسس عام ١٨٩٤م ليضم أعضاء الطبقة الأرستقراطية المقيمين في مصر ممن يتحدثون اللغة التركية ولا ينتسبون للعائلة الخديوية(٢٧).

وبمقدم القرن العشرين بدأت بين الأتراك المقيمين في القاهرة مساعٍ ومحاولات للاجتماع فيما بينهم ورغبة في إقامة الجمعيات. وقد تعرفنا منها في أواخر العهد العثماني (بعد إعلان الدستور)، وفي الفترة التي تلته (بعد قيام الجمهورية التركية) على بعض النماذج، وهي تتشكل في الغالب سعى إليها بعض الأشخاص من ذوي الميول الواحدة، ولا تمثل أعمالاً حققت الكثير من النجاح. ومن الجمعيات التي وصلتنا لائحتها التنظيمية وكانت من أقدمها تلك الجمعية التي عُرفت باسم "نادي أرطغرل العثماني". وكان لكل فرد من رعايا الدولة العثمانية ولد في مصر أو وفد عليها الحق في أن ينخرط في عضوية ذلك النادي إذا شاء. كما كان من شروطها القبول بسداد مبلغ مالي معين، إلى جانب أن يكون العضو المؤسس قد أكمل سن الخامسة والعشرين ويعرف اللسان التركي، أما الأعضاء الآخرون فالشرط أن يكملوا سن الثامنة عشرة ويعرفوا القراءة والكتابة باللغة التركية أو العربية. وظهر في تلك الأثناء أن "أركان وأعضاء" الأسرة الخديوية المصرية معدودون من الأعضاء الطبيعيين في النادي العثماني دون استثناء. غير أننا لم نستطع في خلال هذه الدراسة أن نعثر على أية معلومات حول نشاط نادي أرطغرل العثماني الذي نصت لائحته التنظيمية على بداية نشاطه وفعالياته في شهر يناير ١٩٠٤م. ومع ذلك فالواضح من المواد المختلفة التي تضمنتها اللائحة بصفحاتها الست عشرة أن النادي كان يستهدف إقامة نوع من الرابطة التعاضدية فيما بين الرعايا العثمانيين الذين يتحدثون

---

(٢٦) لمعلومات عامة في هذا الموضوع انظر: البحيري، الرسالة السابقة ص ١٤٢ – ١٥٥.

(٢٧) لهذا الموضوع انظر: البحيري، المصدر السابق، ص ١٦٨ – ١٦٩.

التركية ويقيمون في مصر، وأنه كان هناك تصور أيضاً بأن يضم من قدموا للسياحة فيها (من الأتراك العثمانيين)، وضباط الجيش العثماني (المسلمين) [٢٨].

ويلاحظ بعد تلك المحاولة الأولى لإقامة نادٍ في القاهرة عام ١٩٠٤م أنه جرى عقب إعلان المشروطية الثانية مباشرة (٢٧ تشرين ثاني ١٩٠٨م) تأسيس جمعية في القاهرة باسم "نادي الحرية العثماني" (عثمانلى حريت قلوبى). وجاء في لائحة ذلك النادي أن الهدف منه هو "خلق مركز للتلاقي بين كافة المواطنين العثمانيين الذين هاجروا إلى مصر دون تفرقة في العرق أو الدين"، وأن "هذا النادي الذي تأسس في ظل النظام النيابي للدولة العثمانية سوف يظل صادقاً وأميناً على القانون الأساسي، وسوف يتوسل السبل لتحقيق القصد إحساساً بمشاعر السيادة للأمة وعلى أساس من الحرية". أما عن الشروط اللازم توافرها في أعضاء النادي فهي أن يكون من الأمة العثمانية دون تفرقة أو استثناء، وأن يكون قد بلغ سن العشرين، ومقيماً في مصر منذ ثلاثة أشهر على الأقل". والفرق بين هذا النادي والنوادي الأخرى هو عزمه على مزاولة النشاط في مجالات الثقافة والفنون أيضاً، والتزام الأعضاء بشراء الأسهم التي سيصدرها حتى تضمن دخلاً للنادي[٢٩]. ويبدو من أسلوب تلك اللائحة والمصطلحات التي استخدمتها أن الذين كتبوها وصاغوا موادها هم من الأتراك الذين أقاموا في مصر مدة طويلة[٣٠].

وفي عام ١٩١٠م جرت محاولة أخرى لإقامة نادٍ في القاهرة باسم "النادي العثماني". واللائحة التنظيمية لهذا النادي الذي لم يدخل في تسميته لفظ يؤكد الصفة التركية. مثل كلمة (أرطغرول) السابقة لم تكن مثل غيرها من اللوائح مكتوبة بالتركية وحدها، وإنما طبعت إلى جانب ذلك بالعربية والأرمنية. وهذا أيضاً أمر يدلنا على أن النادي أقيم تعبيراً عن مناخ سياسي جديد ظهر مع إعلان المشروطية. كما يبدو واضحاً من الأحكام المختلفة التي جاءت

---

(٢٨) كل ما يوجد في أيدينا من وثائق في هذا الموضوع هو اللائحة التنظيمية المطبوعة في القاهرة. انظر: أرطغرل نام عثمانلى قلوبى نظامات اساسيه سى، القاهرة: مطبعة توفيق، [١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م].

(٢٩) للتعرف على اللائحة التنظيمية لذلك النادي انظر: عثمانلى حريت قلوبى [القاهرة، مجهول المطبعة ١٩٠٨م].

(٣٠) لأن بعض الكلمات المستخدمة في النص هي كلمات مستقرة في اللغة العربية بمصر وذلك على خلاف الاستخدام في اللغة العثمانية. والمثال على ذلك كلمة معرض التي يقابلها كلمة سركى، وكلمة مشروع التي تستخدم بمعنى پروژه. وكلمة مرشح التي تقابلها في العثمانية كلمة نامزد.

بها اللائحة أن النادي كان يستهدف قيم الاتحاد والأخوة بين العناصر العثمانية المختلفة، وأنه مفتوح أمام كل عثماني شريف، ولا يحمل النادي صفة سياسية أو دينية[٣١].

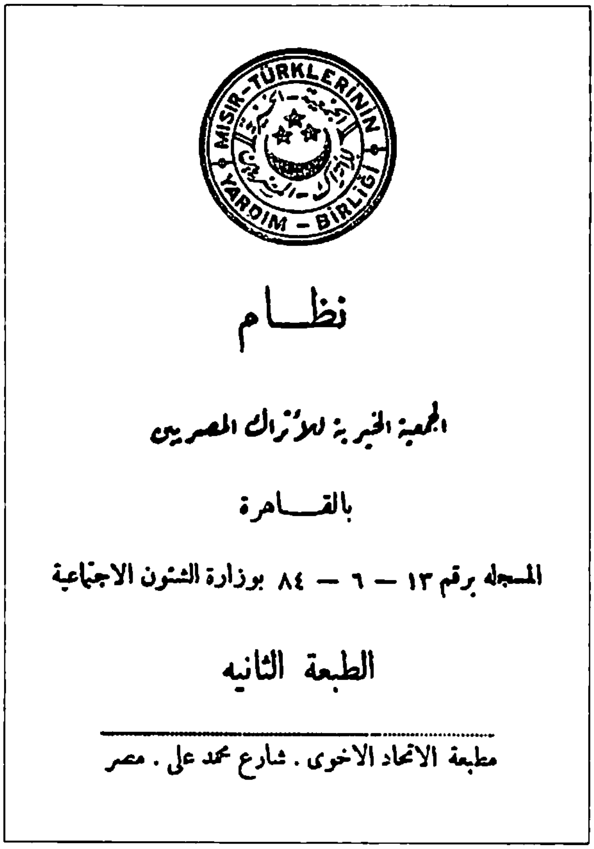
وبعد قيام الجمهورية التركية في عام ١٩٢٣م وإقامة علاقات دبلوماسية بين الجمهورية التركية والمملكة المصرية باعتبارهما دولتين مستقلتين، حصل قسم من الأتراك المقيمين في مصر على حق المواطنة في الجمهورية التركية، بينما تجنس القسم الآخر بالجنسية المصرية بناءً على القانون الذي صدر عام ١٩٢٦م وأشرنا إليه فيما سلف. وعلى ضوء تلك التطورات الجديدة تأسست في القاهرة جمعيتان بين الأتراك الذين يحوزون أوضاعاً رسمية مختلفة بقصد تعزيز التعاون والتضامن فيما بينهم، فكانت الأولى بمبادرة من السفارة التركية في القاهرة، بينما ظهرت الثانية بمبادرة من الأتراك المصريين.

ولما بدأت جمهورية تركيا في الاهتمام بأمور مواطنيها المقيمين في القاهرة عن طريق هيئات التمثيل الرسمية جرى في ٢٢ سبتمبر ١٩٢٦م تأسيس جمعية من قبل الجماعة التركية وبموافقة سفارة جمهورية تركيا في القاهرة تحت اسم "الجمعية الخيرية التركية بالقاهرة"، ثم صادقت السلطات المصرية على لائحتها التنظيمية. وكان الهدف الأول من تلك الجمعية هو مساعدة الأتراك المقيمين في مصر من مواطني جمهورية تركيا ومد يد العون لهم. وتلك الجمعية التي تأسست على يدي السفارة التركية في القاهرة وتحت "الرعاية السامية والإشراف من الجالية التركية" كانت بهدف الخدمة، ومنها: إقامة المؤسسات الوطنية ذات الصبغة الخيرية والانسانية الصرفة في مصر، كالمدارس والمستشفيات ودور العجزة والإسعاف وغيرها، ومع ذلك لم يتحقق أي من هذا، ولم تقصد السفارة دفع الجهود نحو خلق تضامن وترابط فيما بين "المواطنين" الأتراك الذين يقيمون في مصر و بين الموجودين ضمن المعاملات القنصلية الرسمية، بل اكتفت بالكشف عن أقصى مشاعر التعاطف نحو أن تلقى ايديولوجية الدولة الجديدة ترحيباً بين "المواطنين" المقيمين في مصر[٣٢].

---

(٣١) للاطلاع على لائحة ذلك النادي انظر: عثمانلى قلوبى نظامنامه سى - قانون النادي العثماني، القاهرة، مطبعة المنار ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م.

(٣٢) جرى طبع النص الأول للائحة التنظيمية المكونة من ثلاثين مادة (١٦ ص) دون وجود للتاريخ واسم المكان. أما النص الثاني الذي طبع بعد ذلك تحت اسم Kahire – Türk Hayır Kurumu Tüzüğü (أي لائحة مؤسسة القاهرة التركية الخيرية) فقد كان يتشكل من خمسة وعشرين مادة. (لأجل النصين انظر: مجموعة أكمل الدين احسان اوغلى الخاصة رقم .367-96216/ER).



نظام الجمعية الخيرية للأتراك المصريين

وعدا تلك الجمعية التي كانت عضويتها مفتوحة بمبادرة من الدولة أمام الأتراك "المواطنين" دون غيرهم ظهرت جمعية أخرى جديدة سنة ١٩٣٤م عرفت باسم "الاتحاد التعاوني لأتراك مصر"(٣٣). وكان هدفها هو مساعدة الأتراك المقيمين في مصر ممن يتبعون الحكومة المصرية، إذ كانت تسعى لإعانة الفقراء والمحتاجين منهم، وتقديم العون الطبي لمرضاهم، ودفن موتاهم، وغير ذلك من الأمور المتواضعة، بينما برز هدفها الأهم

---

(٣٣) جاء اسمها باللغة التركية على شكل Mısır Türklerinin yardım birliği واسمها باللغة العربية إلى جواره على شكل "الجمعية الخيرية للأتراك المصريين". وقد تأسست تلك الجمعية في ٢١ مارس ١٩٣٤. وتوجد بين أيدينا اللائحة العربية الخاصة بها المؤرخة في ١٩٤٤. وتحمل اسم نظام الجمعية الخيرية وهناك عبارة في نهاية ذلك الكتيب تشير إلى أن الطبعة الأولى كانت في ابريل ١٩٣٤ (انظر: مجموعة أكمل الدين احسان اوغلى الخاصة رقم.361.7632/Nl).

في تعليم اللغة التركية للأجيال الشابة من الأتراك تحت اسم عام هو "تعليم اللغات الحية". وقد استمرت تلك الجمعية في مواصلة نشاطها حتى نهاية ستينيات القرن الماضي وإن تراجعت وتيرته، أما اليوم فلا نعلم إن كانت موجودة أم لا.

وكان لعدم تمتع الأتراك في مصر بشخصية حقوقية مستقلة، وانعدام الظروف التي تتيح ذلك لجيل أو جيلين على الأكثر، وعدم تطوير المؤسسات التي تضمن حدوث ذلك أن عجزت الجمعيتان الخيريتان السابقتان عن ممارسة نشاط تضامني تكافلي يزيد عن إعانة بعض الأفراد والعائلات المحتاجة. وعدا بعض المدافن الأسرية التي يجري دفن الموتى من الأتراك في مصر فيها لا يوجد هناك مقبرة يمكن أن يطلق عليها اسم "مقبرة الأتراك" إلاّ مقبرتين في القاهرة والاسكندرية كما أسلفنا تضمان رفات الشهداء من الجنود العثمانيين في الحرب العالمية الأولى، إذ أقيمت هاتان المقبرتان مثوى أخيراً لهم، ولتحمل إلى اليوم أثر الفواجع والذكريات المشتركة.

ثانياً
اللغة التركية والثقافة العثمانية في السراي والأوساط الأرستقراطية

لم يكن محمد علي باشا والجيل الأول من أسرته يعرفون لغة أخرى غير اللغة التركية، فقد نالوا قسطاً متوسطاً من الثقافة العثمانية في بلدة قَوَله، ثم جاءوا إلى مصر على هذه الحال واستوطنوها[١]. غير أن الباشا لم يكتف بذلك الإطار الثقافي المحدود مع النفوذ القوي الذي بناه والغنى والثراء الذي أحرزه في مصر، فقام أولاً بالارتقاء بنفسه ثقافياً، وعمل في نفس الوقت على تهيئة المناخ المناسب لتربية أبناء عائلته على ثقافة عثمانية رفيعة. وإلى جانب ذلك فقد كان هو المحرك لإحياء تلك الثقافة في مصر، ونقلها إلى زمرة الإداريين الجدد الذين خرجوا من بين الأهالي، وإلى الطبقة الأرستقراطية الجديدة التي ظهرت نتيجة لحركة التحديث، وحقق نجاحاً كبيراً في ذلك أيضاً. ويكون بهذا قد عزز وجود الثقافة التركية العثمانية في مصر ودعم نشرها بصورة لم يسبق لها مثيل منذ الفتح العثماني عام ١٥١٧ وحتى بداية ولايته.

وكما سيظهر في سياق الدراسة فإن الخلفية الثقافية (العثمانية المصرية) المشتركة التي ينتسب إليها كل من الأتراك (بما فيهم الأتراك الخُلّص الذين يتحدثون التركية، والمسلمون الذين ينحدرون من أعراق أخرى واستوطنوا الأراضي العثمانية في الأناضول والقوقاز والروملي)، وينتسب إليها المصريون المحليون قد شكلتها أربعةُ عوامل أساسية: الأول، هو تعليم اللغة التركية وتدريس الكتب التركية في المدارس المقامة حديثاً مما ساعد على تكوين ثقافة عثمانية مشتركة بين أفراد فئة الإداريين الجدد؛ والثاني، هو تعليم اللغة الفارسية التي هي لغة أدبية في الثقافة العثمانية الرفيعة؛ والثالث، هو تعليم الخط (على

---

(١) إن المصدر الأكثر وثوقاً حول نشأة محمد علي باشا وعائلته هو كتاب (عبر البشر في القرن الثالث عشر) لمحمد عارف باشا الذي ولد في قَوَله وكان له علاقة مصاهرة مع محمد علي باشا. لكن هذا الكتاب على الرغم من أنه مطبوع لم يستفد الكثيرون منه. وتقول السيدة أمينة فؤاد طوغاي في كتابها المذكور فيما بعد أنها استفادت منه واستخدمت نسخة المرحوم البروفسور جاويد بايصون (حتى ص ٢٠٨). أما النسخة التي استطعنا الوصول إليها فهي حتى ص ١٦١. وكان محمد عارف باشا قد تولى عدداً من الوظائف الرفيعة في مصر ثم عاد واستقر في استانبول وعمل والياً في ولايات الأناضول. وكان له يد طولى في اللغة العربية والأدب وقام بعدد من الأنشطة الثقافية المهمة عندما كان في مصر.

الطريقة العثمانية) للتلاميذ في سن مبكرة؛ أما الرابع فهو الشغف بالموسيقى التركية والعمل على انتشارها في السراي وفي الأوساط الاجتماعية المحيطة به. كما يجب ألاّ ننسى إلى جانب ذلك أن أسلوب المعيشة التركي بالمعنى الكلاسيكي (آلاتوركا) كان هو المثال المحتذى في الزي واللباس وفي آداب المعاشرة بين أفراد الطبقة العليا. وكانت البيئة التي سادها هذا الفهم الثقافي ونما فيها على أوضح صوره هي الوسط الذي ضم الوالي والأسرة الخديوية والحاشية التي تشكلت حولهم فيما يمكن أن نُعَرِّفَه اختصاراً "بسراي مصر". ورغم التقلبات السياسية بين الوالي والباب العالي فقد انتعشت العلاقات الثقافية المكثفة فيما بين القاهرة واستانبول، وذلك في ظل بعض روابط المصاهرة بين العائلات الأرستقراطية التي تشكلت حول سراي استانبول(٢) وسراي مصر الذي اتخذ من طرز الحياة ومراسم البرتوكول باستانبول مرجعاً أعلى له.

وقد تواصلت العلاقات الاجتماعية والثقافية مع اطراد قوتها رغم موقف محمد علي باشا من الدولة العثمانية وتمرده عليها، ثم محاولات بعض أفراد عائلته الاستقلال عنها وخاصة حفيده الخديوي إسماعيل باشا. وحرصت العائلة المالكة العثمانية وكبار رجال الدولة في استانبول على توطيد روابط المصاهرة وتقويتها بين الطرفين، وهناك في هذا الأمر أمثلة عديدة ظهرت منذ العهد الأول واستمرت حتى منتصف القرن العشرين. ومن الأمثلة الأولى على ذلك زواج الصدر الأعظم يوسف كامل باشا (١٨٠٨ – ١٨٧٦م) بابنة محمد علي باشا زينب هانم (١٨٢٦ – ١٨٨٦م)، وزواج حفيده إبراهيم إلهامي باشا (ابن الوالي عباس باشا) بالأميرة منيرة (١٨٤٤ – ١٨٦٢م) ابنة السلطان عبد المجيد في عام ١٨٥٨م، وزواج جلال الدين بك ابن آولونيالي فريد باشا بالأميرة عطية الله (١٨٩٦ – ١٩٧١م) ابنة الخديوي عباس حلمي باشا في عام ١٩١٢م. وبعد انتهاء الدولة العثمانية كان الأمير عمر فاروق أفندي ابن الخليفة عبد المجيد قد استقر في مصر، وكان له ثلاث بنات هن الأميرات نسلشاه (ولدت سنة ١٩٢١م) وخانزاده (١٩٢٣ – ١٩٩٨م) ونجلاء (ولدت سنة ١٩٢٦م) فتزوجن ثلاثة من الأمراء المصريين هم الأمير محمد عبد المنعم (١٨٩٩ – ١٩٨٠م) والأمير محمد علي إبراهيم (١٩٠٠ – ١٩٧٧م) والأمير عمرو إبراهيم (١٩٠٣ – ١٩٧٧م) من الأمراء المصريين، مما يعني استمرار رابطة المصاهرة

(٢) للتعرف على تطبيق أصول التشريفات العثمانية في مصر على أيام الخديوي اسماعيل ونظم تناول الطعام ومد الموائد والاحتفالات وأفراح الأعياد انظر: أحمد شفيق باشا، مذكراتي في نصف قرن، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧ – ١٩٩٩، (أربعة مجلدات)، الجزء الأول ص ٥٨ – ٦٣، ٨١ – ٨٦.

القديمة بين العائلتين بعد إعلان الجمهورية التركية[٣]. وهذه الظاهرة الاجتماعية والثقافية التي تشكلت نتيجة لرابطة المصاهرة بين العائلتين قد تعدت سراي مصر والأوساط الأرستقراطية المتحدثة بالتركية إلى الطبقة المتوسطة التي تقطن المدن الكبرى.

في عهد محمد علي باشا وأسرته أخذت مظاهر الثقافة التركية، في الموسيقى والزي واللباس والمأكل والمشرب وأسلوب المعيشة، تنتشر في مصر شيئاً فشيئاً ولا سيما في المدن الكبرى بين طبقات الشعب المختلفة. وفي العهد العثماني السابق لظهور محمد علي باشا كانت آثار الثقافة التركية في الحياة الاجتماعية في مصر قد كشفت عن نفسها منذ سنوات طويلة نتيجة للزواج هناك بين المصريين والأتراك الذين هاجروا لأسباب مختلفة من الأناضول والروملي (أوربا العثمانية). إلا أن الأثر العميق للثقافة التركية الرفيعة التي يمثلها سراي مصر والأرستقراطية لا يزال موجوداً حتى اليوم على الرغم من مرور ما يزيد على نصف قرن من الزوال التام لسيادة أسرة محمد علي باشا مصدر قوتها، وزوال المؤسسة الرئيسية وراء هذا الأثر وهو القصر وتشكيلاته مع ظهور الثورة عام ١٩٥٢م.

وعدا سراي مصر والأعضاء البارزين في أسرة محمد علي كان للجواري ولا سيما القادمات من بلاد القوقاز دور هام – لم يتعرض له أحد حتى الآن – في نشر عناصر الثقافة العثمانية المختلفة وأساليب المعيشة بين أفراد الطبقة العليا الجديدة التي تنامت في مصر. فهؤلاء الجواري الجميلات ذوات الأصول الجركسية والجورجية في الأغلب كانت تجري تربيتهن وتنشئتهن في قصور القاهرة على أصول التربية التركية العثمانية التقليدية، وبعد أن يبلغن سناً معينة يجري تحريرهن من قصور أصحابهن وتزويجهن برجال الدولة وكبار الشخصيات في المجتمع ممن نشأوا من الأهالي المصريين في المدارس العسكرية والمدنية في مصر. وهؤلاء الجاريات الناشئات على الأصول التركية كن يغرسن في العائلات الجديدة التي شكلنها عناصر الثقافة التركية وعلى رأسها اللغة والمأكل والمشرب والزي واللباس والموسيقى، ووضعن أسس بعض الملامح التي بقيت إلى يومنا من العنصر "التركي"، وأسهمن بشكل واضح في الانتشار التدريجي لتأثيرات تلك الثقافة.

---

(٣) للتعرف على العديد من الأمثلة لهذا الموضوع انظر: Çağatay Uluçay, *Padişahların kadınları ve kızları*, Ankara: TTK, 1980 ve Osman Selaheddin Osmanoğlu, *Osmanlı Devleti'nin kuruluşunun 700. yılında Osmanlı hanedanı*, İstanbul: İSAR, 1999.

والجدير بالذكر هنا أن مفهوم "التركية" في سياق الحديث عن مصر يبرز في الغالب بطابع ثقافي. فإن أخص الخصائص التي تميزت بها الصفوة العثمانية المصرية التي تشكلت داخل جهاز الإدارة والمجتمع الحديث الذي عمل محمد علي على تأسيسه في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر هو استخدامها للغة التركية العثمانية في الحياة اليومية وفي الجهاز الحكومي على السواء. وتجدر الإشارة هنا إلى أن استخدام الصفوة للغة التركية في الحديث لايعني على الإطلاق أنها كانت تركية الأصل، وفي إطار هذا المفهوم للطبقة بطبيعته غير الإثنية تشكلت مجموعات من الناس استحسنت الثقافة العثمانية وتحدثت باللغة التركية(٤).

والمعروف أن محمد علي باشا كان معنياً عن كثب بتعليم أبناء ذويه وأبناء المقربين من رجاله أيضاً، وليس بأبنائه فحسب في السراي. وعلى الرغم من ضآلة المعلومات حول كيفية تسيير شئون التعليم في السراي في أوائل عهده بالولاية لكن الواضح أنهم كانوا يستعينون بالمعلمين والمعلمات ليقوموا بتلقين الأبناء والبنات في سن مبكرة اللغة التركية والفارسية وبعض اللغات الأوربية. ومن المحقق أيضاً أنهم كانوا – إلى جانب تلك الأنشطة التعليمية – يطبقون برامج مختلفة، منها ما هو للذكور، ومنها ما هو للإناث.

وكان توفير الكتب اللازمة للنشاط التعليمي في السراي يجري من ثلاث مصادر مختلفة؛ ففي السنوات الأولى كانت تأتي كتب اللغة التركية والفارسية من استانبول، بينما تأتي كتب اللغات الأوربية من عواصم أوربا المختلفة. أما بعد ذلك فالواضح من وثائق الأرشيف المتاحة أن محمد علي باشا كان يأمر بإعداد وطباعة الكتب التركية التي يريد تدريسها للأطفال في مطبعة بولاق عقب تأسيسها. وكانت تلك الكتب في موضوعات شتى، وجرت ترجمة بعض الكتب إلى التركية ثم طبعت لأجل الوالي نفسه ولأجل أبنائه وخاصة إبراهيم باشا في التاريخ السياسي وحياة المشاهير من رجالات الدول الكبرى. كما تم إلى جانب ذلك في موضوع الثقافة الدينية والأدب اختيار أحسن الكتب في الثقافة العثمانية ثم جرى طبعها. واختاروا أيضاً للشبان من أفراد العائلة عدداً من الكتب المناسبة، فترجمت وطبعت في مطبعة بولاق.

(٤) انظر: Ehud R. Toledano, *State and Society in Mid-Ninteenth-Century Egypt*, Cambridge : Cambridge University Press, 1990, p. 157-158.

والكتاب الأول الذي تم طبعه في بولاق عام ١٨٢٢م هو أصدق تعبير عن مدى اهتمام الباشا الذي أشرنا إليه سابقاً. وهذا الكتاب الذي يضم النصائح التي وجهها فردريك الأكبر ملك بروسيا إلى قواد جيشه هو الترجمة التي قام بها شاني زاده محمد عطاء الله أفندي (ت ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م) عن النسخة الفرنسية له تحت عنوان (وصايانامه' سفريه). وهو كما نرى أول ظهور لرغبة الباشا واتجاهه نحو نقل الثقافة الغربية إلى مصر في المجال السياسي والعسكري، وأول كتاب قامت مطبعة بولاق بطباعته ووصلنا عنها كما ذكرنا في موضع آخر[٥].

والمثال الثاني على نزوع الباشا ورغبته في امتلاك ثقافة سياسية هو ترجمة تركية قام بها ياقوواكى أفندي (١٧٧٤ – ١٨٥٠م) لكتاب حول كاترينا الثانية قيصرة روسيا وضعه المؤرخ الفرنسي جوان هنري قستيرا (وظهرت طبعته الأولى عام ١٨٢٩م والثانية عام ١٨٣٠م). والطريف في هذا الكتاب الذي يدور حول تاريخ روسيا هو توقيت ظهوره، إذ جرى طبعه عقب إعلان روسيا الحرب على الدولة العثمانية مباشرة عام ١٨٢٨م. وإضافةً إلى ذلك الكتاب الذي ينم عن شغف بالسياسة يمكننا أن نذكر أيضاً كتاباً تركياً حول نابليون باسم (ترجمة موجزة لرسالة فرنسية العبارة تحكي قصة بونابرت المحبوس في جزيرة سانت هيلان وقد حررها بيده...) (١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م)، وتاريخ بونابرت (١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م)، وكتاب تاريخ بونابرت (١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م)، وتاريخ إيطاليا (١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م)، وتاريخ اسكندر بن فيليبوس (الاسكندر الأكبر) (١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م).

وهناك أيضاً كتب أَمَرَ محمد علي باشا بترجمتها حتى يطالعها هو نفسه ولم تطبع، ومنها الكتاب المشهور لمكيافيلي والمعروف باسم (الأمير). وهو واحد من أهم الكتب السياسية في عالم الغرب، وهناك محاورة طريفة جرت حوله بين محمد علي والأوربيين القادمين لزيارته، ويمكننا أن نتبين منها أنه يتمسك في مفهوم الحكم بالثقافة الشرقية من حيث الأساس، ولم يعبأ كثيراً بأفكار مكيافيلي، ويؤمن من حيث الأساس بتفوق الأفكار الواردة في مقدمة ابن خلدون[٦] في فهمه للتاريخ[٧]. وفي تلك الأثناء كان محمد علي، إلى

(٥) حول ذلك الموضوع انظر في هذا الكتاب قسم: أول كتاب طبع في مطبعة بولاق: وصايانامه' سفريه.

(٦) كان عبد اللطيف صبحي باشا (١٨١٨ – ١٨٨٦م) ابن عبد الرحمن سامي باشا والذي تولى العديد من الوظائف الإدارية في مصر قد بدأ بتشجيع من محمد علي باشا في ترجمة كتاب العبر لابن خلدون، غير أن وفاة محمد علي حالت دون طبع الكتاب في مصر فطبع عام ١٨٥٩ في استانبول. انظر: Johann Strauss, *The Egyptian connection in*

جانب رغبته في معرفة ما يدور في كل وحدة أو جهاز تحت إدارته ومعرفة ما يقوم به كل شخص يعمل في معيته، يطلب تقديم تقارير بالتركية يمكنه التعرف من خلالها على مدى التقدم الفكري الذي يحرزه الرجال الذين يقوم على تنشئتهم. وفي هذا السياق جرت ترجمة كتاب المثقف المصري الشهير رفاعة الطهطاوي[(٨)] إلى اللغة التركية وطبع عام ١٨٣٩م، والمعروف أن الطهطاوي كان إمام مجموعة الطلاب الذين أوفدهم الباشا إلى باريس في عام ١٨٢٦م وسجل في كتابه (تخليص الابريز في تلخيص باريز) مشاهداته وانطباعاته عن باريس، ثم طبعت الترجمة ليقرأها محمد علي باشا والمتحدثون بالتركية في عام ١٨٣٩م[(٩)].

وتدلنا الكتب المطبوعة والمترجمة من العربية إلى التركية على مدى تعلق محمد علي ورجاله بالثقافة الدينية. وكتاب السيرة النبوية الذي ألفه الحلبي (ترجمه سير حلبي ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٣م)، وكتاب (شرح قصيدة البردة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م) التي نظمها البوصيري، الشاعر المصري المشهور المدفون في الإسكندرية هما مثالان بارزان على مدى ذلك الاهتمام.

وهناك روايات تاريخية موثوقة تتحدث عن اختيار بعض الكتب من لغات مختلفة لأجل الإناث من عائلة محمد علي باشا ثم ترجمت وطبعت في مطبعة بولاق. فقد تقدمت هاليداي المربية الانجليزية في سراي الوالي بطلب إلى حكيكيان بك مدير ديوان المدارس، وجاءها الرد الرسمي المؤرخ في ٢٢ مارس ١٨٣٨م على النحو التالي: "أما الكتب التي تطلبين أن

---

nineteenth century Ottoman literary and intellectual history. Beirut: Orient-Institut der Deutschen Morgenländischen Gesellschoft, 2000, p.37-38)

وفي غضون ذلك كانت ترجمة المقدمة التي قام بها شيخ الإسلام بيرى زاده محمد صاحب أفندي قد طبعت في مصر مرتين في عام ١٨٥٨ وعام ١٨٥٩.

(٧) جويسيبي أشربي Giuseppe Acerbi (١٧٧٣ – ١٨٤٥). قنصل النمسا في القاهرة هو أحد الذين تحدثوا مع محمد علي (جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، القاهرة دار الفكر العربي، ١٩٥١، ص ٨٠). وحول النقاش الطريف الذي وقع بين محمد علي باشا والمستر صالت قنصل انجلترا السابق في القاهرة حول مكيافيلي وأرائه انظر جمال الدين الشيال، ص ٨٠ – ٨١. نقلاً عن كتاب الرحالة الانجليزي سانت جون.

(٨) ولد رفاعة رافع الطهطاوي في قرية طهطا في صعيد مصر سنة ١٨٠١. وبعد أن أكمل تعليمه في الأزهر أوفد إلى باريس بأمر محمد علي باشا، وتعلم هناك اللغة الفرنسية. وبعد عودته إلى مصر تولى عدة وظائف، وتوفي في القاهرة سنة ١٨٧٣، وقد تولى إدارة مدرسة الألسن وتحت رئاسته جرت ترجمة ما يزيد عن ستمائة كتاب إلى اللغة العربية من الفرنسية وغيرها (انظر: *OMLT*, No. 135, s. 218 - 221).

(٩) طبع الكتاب بالعربية أولاً عام ١٢٥٠ [١٨٣٤ – ٣٥].

تترجم إلى التركية أو العربية فيمكن إنهاء ترجمتها وطبعها بمنتهى السرعة في مطبعة بولاق التي هي تحت إدارة ناظر ديوان المدارس"(١٠).

وعلى الرغم من ضآلة المعلومات الموجودة في أيدينا حول طبيعة التعليم المخصص لأبناء عائلة محمد علي باشا وأبناء رجاله خلال السنوات الأولى من ولايته، فالمعروف أن الباشا قد أقام مدرسة في عام ١٨٣٦م باسم (المكتب العالي) التي سماها الفرنسيون مدرسة الأمراء Ecole des Princes كانت مخصصة لتعليم أبنائه وأبناء رجاله المقربين وأبناء الفقراء والأيتام الذين وضعهم تحت رعايته. وكان المكتب العالي مدرسة تتبع ديوان الولاية وتخضع في برامجها التعليمية لإشراف ديوان المدارس. وكانت تنقسم إلى ثلاثة أقسام: مبتديان وتجهيزية وخصوصي، ويلاحظ أنهم كانوا يضعون بعض الدروس الخاصة للأمراء وأبناء رجال المعية إضافةً إلى برامج التعليم المقررة على مدارس الأهالي. فكان التلاميذ في قسم المبتديان يتعلمون القراءة والكتابة والقرآن الكريم وحسن الخط (الرقعة والثلث)، ثم ينتقلون إلى قسم التجهيزيةِ فيتلقون دروس اللغة العربية والنحو والصرف من كتب تركية، ويتعلمون الفارسية من كتابي (مفاتيح دريه) و(پندِ عطار)، أما دروس الحساب والجبر والهندسة فكانوا يتعلمونها من كتب تركية أيضاً (مثل كتاب أصول الهندسة ومقالات الهندسة وغيرهما وهي مترجمة عن الفرنسية للرياضي الفرنسي ادريان ماري لوجاندر Legendre ١٧٥٢ - ١٨٣٣م). كما كان تاريخ واصف التركي واحداً من الكتب المقررة على التلاميذ إلى جانب الكتب السابقة. وعلى هذا النحو كانت ترتقي المعارف التركية لدى الطلاب وتزيد قدراتهم على التحدث باللغة التركية. وعلى الرغم من أن طلاب تلك المدرسة كانوا يتلقون برنامجاً تدريسياً يشبه ما في المدارس الأخرى، إلاّ أنهم كانوا يمارسون الرياضة البدنية [كالفروسية والمبارزة والبيلياردو]، ويتعلمون اللغة الفرنسية، ويتمتع الطلاب في تلك المدارس بحياة تعليمية أكثر رفاهية(١١).

ومن العناصر المهمة في التنشئة على الثقافة العثمانية أن يتعلم الشخص اللغة الفارسية إلى جانب اللغتين التركية والعربية، فقد عُرفت تلك اللغات بالألسنة الثلاثة (ألسنه' ثلاثه)

(١٠) أبو الفتوح رضوان، تاريخ مطبعة بولاق، جـ ١ ، القاهرة المطبعة الأميرية، ١٩٥٣، ص ٦٤، الهامش رقم ٢.

(١١) أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في عصر محمد علي، القاهرة مطبعة الاعتماد، ١٩٣٨ ص ٢٤١ - ٢٤٨ وانظر أيضاً

J. Heyworth-Dunne, *Introduction to the History of Education in Modern Egypt*. London: Luzac and co., [بدون تاريخ], P. 139, 206, 268.

عند العثمانيين، وكانت التقاليد العثمانية تفرض على الشخص وخاصة من صفوة المثقفين أن يتعلم الفارسية إلى جانب اللغتين الأخريين. فمثلاً كان الأمير عبد الحليم بك (١٨٣١ – ١٨٩٤م) ابن الوالي محمد علي باشا قد التحق بالمكتب العالي، وكان واحداً من أول دفعة تخرجت في تلك المدرسة، فرأينا أن تعلم الفارسية كان أحد عناصر البرنامج التعليمي الخاص الذي أعد له قبل سفره إلى فرنسا[١٢]. كما يُعرف أيضاً ان إبراهيم باشا الابن الأكبر لمحمد علي باشا كان له ثلاثة أولاد من زوجات جركسيات مختلفات، هم: أحمد رفعت (١٨٢٥ – ١٨٥٨م) وإسماعيل (الخديوي) ومصطفى فاضل (باشا) (١٨٣٠ – ١٨٧٥م)، فعين لهم مدرسين لتعليمهم التركية والعربية والفارسية، كما أتاح لهم الفرصة أيضاً لتعلم اللغة الفرنسية[١٣].

وقد استمرت تلك المدرسة في عملها بعد محمد علي باشا، فجرى تنظيمها من جديد في عهد الخديوي إسماعيل (١٨٦٤م)، وظلت تمارس التعليم مدة طويلة لأحفاد محمد علي ولأبناء الطبقة الاستقراطية (أولاد الذوات) ممن كانوا ينتسبون للسراي في القاهرة. وكانت تقوم بتعليمهم الفروسية والسباحة إلى جانب الرياضيات والتاريخ والجغرافية والألسنة الثلاثة واللغة الفرنسية، كما عنيت عناية خاصة بتدريس اللغة التركية. وكان عبد الله فكري بك[١٤] المصري الأصل وناظر القلم التركي في ديوان المعية السنية (حصل على الباشوية ومات عام ١٨٩٠م) مكلفاً بالإشراف المباشر على تعلم الأمراء اللغة التركية والفارسية إلى جانب محمد فاضل أفندي الذي تم اختياره لتدريس هاتين اللغتين. وقد حظي الأمراء وأبناء الذوات – من خلال هذا الأسلوب التعليمي الذي يعنى عناية كبيرة بحسن الخط – بشرف خاص، لأن معلم الخط الذي كلف بتعليمهم الخط هو الخطاط العثماني المشهور عبد الله زهدي أفندي (ت ١٨٧٩م).

---

(١٢) أحمد عزت عبد الكريم، المصدر السابق ، ص ٤٤٤.

(١٣) انظر: Emine Foat Tugay, *Three centuries: family chronicles of Turkey and Egypt*, London: Oxford University Press, 1963, P.93. ويتضح أن الكاتبة استعانت بكتاب محمد عارف باشا حول أوائل عهد محمد علي.

(١٤) للتعرف على عبد الله فكري وحياته انظر: J. Jomier, "Fikri, Abdullah Paşa", *EI²*, c. II, s.892.

وانظر علي مبارك باشا، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة، جـ ٢، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢، ص ١٦٢ – ١٧٤. ومحمد عبد الغني حسن، عبد الله فكري، القاهرة مكتبة مصر [بدون تاريخ].

ويُذكر أن توفيق باشا الابن الأكبر للخديوي إسماعيل والذي تخرج في هذا النظام التعليمي وتولى حكم مصر من بعد والده كان من القدرة بحيث يستطيع أن يملي ثلاثة خطابات بالتركية والعربية والفرنسية على ثلاثة كتبة في آن واحد(١٥). وأرسل الخديوي إسماعيل اثنين من أبنائه إلى باريس لتلقي التعليم هناك عام ١٨٦٨م هما الأمير حسن والأمير حسين، وأرسل اثنين من المدرسين لمرافقتهما، أحدهما للعربية والثاني للتركية. وكان يوجد أيضاً إلى جانب الأمير محمود حمدي بك الموفد إلى انجلترا معلمان على نفس الشاكلة. أما الابن الأصغر للخديوي إسماعيل وهو أحمد فؤاد بك (الملك فؤاد فيما بعد) فقد شرع في تعلم القراءة والكتابة من كتاب الأبجدية الذي ظهر حديثاً أثناء وجوده في استانبول عام ١٨٧٣م(١٦).

وقد اهتم السراي بتربية الإناث أيضاً على الثقافة العثمانية قدر اهتمامه بتربية الذكور. ونقف هنا عند مثالين واقعيين من المعلومات المهمة والحكايات التي نقلتها إلينا السيدة أمينة طوغاي (١٨٩٧ – ١٩٧٥م) حفيدة الخديوي إسماعيل من جهة الأم، والمثال الأول حول الأميرة توحيدة(١٧) أكثر بنات الخديوي إسماعيل جذباً للأنظار بشخصيتها المتميزة. فقد عُرفت وهي ما تزال في السادسة عشرة من عمرها بالرقة والديبلوماسية التي كشفت عنها عندما كان والدها يشغل منصب الولاية، وقد أقامت في شبابها علاقة صداقة حميمة مع سيدة من ذويها في عائلة يَكَن التي ترجع لإحدى أخوات محمد علي باشا، وكانت كلتاهما تميل إلى الشعر، وتتبادلان ترديد ألحان الموسيقى التركية التقليدية، وتحاولان أيضاً قرض الشعر جرياً على طريقة بعض الشعراء الكبار. وهذه الأعمال النابعة من وحي الشباب كان يجري عرضها بقصد النقد وإبداء الرأي على (منصور يكن باشا) الأخ الأكبر لرفيقة الأميرة توحيدة، فيقوم هو الآخر بقراءتها ثم يعيدها إليها مصحوبة بملاحظاته التي كتبها بأسلوب نثري محكم(١٨).

---

(١٥) Eminc Foat Tugay, *Three centuries*..., P. 133.

(١٦) أحمد عزت عبد الكريم ، المصدر السابق، ص ١٧٧ – ١٨٤.

(١٧) يتبين أن اسم توحيدة كان من الأسماء الذائعة في أسرة محمد علي وعرفت به واحدة من بناته، وكان من نتيجة ذلك أن ذاع أيضاً بين أفراد الطبقة الأرستقراطية والأهالي في مصر. ولكن الطريف في الأمر أن هذا الاسم العربي أخذ شكلاً مختلفاً في مصر نتيجة لتحريف نطقه فأصبح (تفيدة)، وظل متداولاً إلى اليوم كواحد من الأسماء التركية.

(١٨) انظر: Emine Foat Tugay, *Three centuries*.., P. 166. وقد تزوجت الأميرة توحيدة بعد ذلك بمنصور يكن باشا.



الأميرة توحيدة بنت الخديوي اسماعيل (1873م)

وتقول أمينة طوغاي أيضاً إن الأميرة جميلة (١٨٦٩ - ١٨٩٦م) البنت الخامسة للخديوي إسماعيل نشأت نشأة مستقلة، وكانت تتمتع بملكة شاعرية، وتجيد كتابة الشعر المقفى، وكان يسيراً عليها أن تكتب كل رسائلها العربية والتركية والفارسية شعراً. وعلى الرغم من تدينها فلم تكن متعصبة، وإنما كان التصوف يلقى هوى في نفسها المفعمة بطاقة خيالية متدفقة. وكانت تنجذب كثيراً إلى تعاليم وأقوال رجل متصوف عاش في العصور الوسطى وكان له جامع بقبة صغيرة على مرتفع يقع خلف مقابر الإمام الشافعي بالقاهرة.

وقد نظمت الأميرة جميلة قصيدة طويلة بالفارسية تحدثت فيها عن حياته وتعاليمه وامتدحته، وأوصت في تلك القصيدة أن تدفن إلى جواره، بل وبنت لنفسها قبراً هناك رغم أنها كانت لا تزال في ريعان شبابها. وعاشت الأميرة حياة قصيرة مشحونة بالزوابع والأنواء. فقد تزوجت بابن عمها الأمير أحمد باشا، ثم لم تلبث أن انفصلت عنه بعد سنوات ثلاث، أما زواجها الثاني بشاهين باشا فقد استمر أقل من ذلك، وفي استانبول كان زواجها الثالث بيعقوب باشا، واستمر حتى وفاتها[١٩].



أمينة نجيبة هانم زوجة الخديوي توفيق وأم الخديوي عباس

(١٩) كانت الأميرة تعيش منفصلة عن والدها وعائلتها، ومن المحتمل أنها دفنت في واحد من المقابر العديدة الموجودة فوق مرتفعات البسفور في الطرف الآسيوي. أما المقبرة التي أعدتها لنفسها في مسجد صغير في ضواحي القاهرة فلا تزال فارغة .(Emine Foat Tugay, *Three centuries..*, p. 168.)

وقد وصلتنا نماذج – وإن كانت قليلة – من المراسلات التركية التي كانت جارية بين أفراد العائلة الخديوية. ومن تلك الخطابات ما كتبته الأميرة أمينة نجيبة هانم (ت ١٩٣١م)[٢٠] زوجة الخديوي توفيق إلى ابنها عباس (عباس حلمي الثاني)، وهي من هذه الناحية خطابات جد طريفة. وكانت الأميرة أمينة نجيبة قد اشتهرت باسم الوالدة باشا أو أم المحسنين، وأقامت مدة طويلة في قصر أهداه إليها السلطان عبد الحميد الثاني، وهو الذي عُرف بقصر بَبَك أو (ببك ساحلخانه سى) وتشغله الآن القنصلية العامة لجمهورية مصر العربية. وفي أثناء ذلك كتبت تلك الخطابات إلى ولدها عباس، فيكون من المفيد أن نذكر هنا بعضاً منها[٢١]. وأولها خطاب أرسلته إليه عندما كان يدرس في سويسرة سنة ١٨٩٠م، وترجمته بالعربية جاءت كما يلي:

ابني العزيز عباس!

لعلك في عافية بمشيئة الله تعالى، ونحن جميعاً في عافية، وقد سمعت أنكم حضرتم إلى مدرستكم، فيا ولدي! ها هو قد انقضى موسم الحر، فاجتهدوا في الدروس جيداً في هذا الشتاء، وخاصة في درس الخط يا ولدي!، لأني أرى في خطكم تأخراً بدل التقدم الذي كان منتظراً، وقد عينوا لك أستاذاً خاصاً وغرفة خاصة فتقيم بها إن شاء الله تعالى بكل ارتياح وابتهاج. يا ولدي! الذي يسرني ويسر والدك هو أن تطيع أستاذك، فإذا طلبتم شيئاً لأجل غرفتكم بمناسبة الشتاء بموافقة الأستاذ فسأبعث بالمطلوب إليكم كما أبعث برسومي وبعدد من الرسوم التي عملتها أنا من القطع المصرية، فتنظم غرفتك، ولست تأخذ مني رسائل كثيرة، والتي تأخذها تكون محتوية لنصائح، فلا يضيقن صدرك منها، لأنها كلها ناشئة من قصدي بكم كل خير، وأنتم تعلمون ذلك أيضاً، أنجح الله مساعيكم، وبيض وجوهكم، فمني الدعاء ومنكم السعي، فالباقي هو الدعاء يا ولدي!.

في ١٨ صفر سنة ١٣٠٨هـ أمينة.

(٣ أكتوبر ١٨٩٠م)

---

(٢٠) أمينة نجيبة هانم هي ابنة الأمير إلهامي باشا (ت. ١٨٦٠) ابن الخديوي عباس الأول. وكانت تقضي موسم الصيف في بيتها الصيفي على ساحل البسفور في استانبول، وتربطها بالسلطان عبد الحميد الثاني علاقات احترام ومودة.

(٢١) أخذنا تلك الأمثلة من كتاب: مذكرات لحضرة صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي، مطبعة عناني [القاهرة] ١٣٦٦/ ١٩٤٧. وقد تركنا الترجمة على حالتها الأصلية كما وردت في مقابل النص التركي في الكتاب المذكور.

والخطاب الثاني كتبته إليه عندما كان في أوربا بعد أن اعتلى منصب الخديوي على مصر، وأخبرته فيه بدعوة السلطان عبد الحميد الثاني له عام ١٨٩٨م:

أرجو التكرم بالرد على هذا المكتوب بسرعة يا ولدي!

نور عين افتخاري، روحي وولدي!

كنت ذهبت أمس إلى السراي السلطاني لأجل التهنئة بالمولد الشريف، فأذن جلالة مولانا السلطان صاحب الشوكة لرفع تعظيماتي لموطئ قدمه الميمون وعتباته السنية – مد الله في عمره السعيد – فغمرني جلالته بعواطفه السنية ثم تفضل وسألني عنكم قائلاً: هل يأتي إلى اسطنبول عند عودته؟. فقلت ليس عندي علم بهذا الشأن لكن كنت كتبت إليه رسالة في الأسبوع الماضي لأجل أن يأتي إلا أني حيث لم أتلق منه جواباً لا أعلم ماذا يريد أن يعمل؟ فصدر النطق الكريم: "أن اكتبي عني إليه في هذا الأسبوع، إني أسر جداً إذا أتى". وها أنا أكتب إليك النطق الكريم بعينه بالحرف الواحد، فإذا قبلتم وحضرتم أسر أنا أيضاً من ذلك جداً، لأن الحضور لرغبة من جلالة الملك له شأن، فحضوركم عند تأكد الرغبة السنية هكذا في الحضور أجمل وأولى، من الاستئذان بأنفسكم فيما بعد لأجل الترخيص في الحضور، وإني أرى من الواجب علي باعتبار مالي من حقوق الأمومة عليك إخطاركم بذلك، فآمل أن تقبلوا ذلك، لأني أنا والدتكم، وإخطاراتي هذه إنما هي لنفعكم، وليس في المجئ أي إشكال، والقطر الأوربي يصل إلى اسطنبول في يومين، والهانم أفندي صاحبة العصمة، والأنجال يحضرون بطريق البحر، ويكفي أن تبقوا هنا أسبوعاً، والمقصود إنفاذ الرغبة السنية الملكية، وفي الختام أقبل عينيك بكمال التحسر وأكرر دعواتي لك بكل خير وأستودعك الله لتكون في حفظه سبحانه، وأنا أيضاً في عافية ياروحي وعيني وولدي!.

في ١٣ ربيع الأول سنة ١٣١٦ والدتكم

(أول أغسطس ١٨٩٨م) **أمينة نجيبة**

يتبين مما قدمناه من نماذج حول مدى الاهتمام بالثقافة العثمانية الرفيعة في القصر وأوساط العائلات الأرستقراطية أن الأمر لم يكن مجرد هواية تجري ممارستها، إذ يمكننا

هنا أن نرى شعراء وكتاباً تجاوزوا حدود الهواية وقدموا أعمالاً يمكن تعدادها بين النماذج الطريفة في الأدب التركي، وأثروا – بوجه خاص – أدب المرأة فيه. ومن أبرز الأمثلة التي توصلنا إليها لدعم هذا الرأي وقدمت أعمالاً تركية مطبوعة في الشعر وموضوعات أخرى مختلفة سيدات من الطبقة الأرستقراطية، منهن چشم آفت هانم (ت ١٩٠٧م) إحدى زوجات الخديوي إسماعيل، وعائشة هانم (١٨٤٠ – ١٩٠٢م) سليلة عائلة تيمور المشهورة، والأميرة قدرية حسين (١٨٨٨ – ١٩٥٥م) ابنة السلطان حسين كامل، وسيدة تدعى (گلپرى Gülperi) نعتقد أنها إحدى الجواري اللائي نشأن في السراي. وتمثل أعمال هؤلاء الشواعر والأديبات التي سوف نتناولها في فصل آخر نماذج بارزة في الأدب التركي لم يتعرض لها أحد من قبل.

وعدا المكاتبات والمراسلات التركية التي كان يقوم بها أفراد العائلة المالكة وأفراد الطبقة المتحدثة باللغة التركية فيما بينهم فالمعروف أن كبار موظفي الدولة من المصريين الذين نشأوا في المداس الحديثة كانوا هم أيضاً يجيدون اللغة التركية. ومن بين الذين شغفوا بها وأجادوها بدرجة ملحوظة علي مبارك باشا[٢٢]، وعبد الله فكـري باشا (١٨٣٠ – ١٨٩٠م)،

---

(٢٢) ولد علي مبارك في سنة ١٢٣٩هـ (١٨٢٣ - ٢٤م)، وتعلم القراءة والكتابة في سن مبكرة، وبعد أن أكمل تعليمه في مدرسة أبي زعبل دخل المهندسخانة في سنة ١٨٤٠م، ثم ذهب مبعوثاً ضمن الطلاب المبعوثين للدراسة في باريس سنة ١٨٤٤م، وهناك قضى عامين ثم انتقل بعدهما إلى مدرسة المدفعية والهندسة الحربية الفرنسية في متز. وفي سنة ١٨٤٩م عاد إلى مصر، ونال تقدير الخديوي عباس باشا، فتولى عدداً من الوظائف. وكانت أولى وظائفه في مصلحة المساحة المصرية، ثم توليه بعدها مدرسة طره الحربية. وانتقل بعد ذلك لإدارة المهندسخانة، وفي سنة ١٨٥٤م شارك في حرب القرم، وقضى عامين ونصف العام في القرم واستانبول وكموشخانة. وقد استطاع في تلك الأثناء أن يتعلم اللغة التركية بشكل أفضل. وفي عهد سعيد باشا هبط قدره، ولم يحظ بالتقدير إلا في عهد الخديوي اسماعيل، فعاد يتولى المناصب الإدارية العالية. فأصبح مديراً عمومياً للمدارس، وناظراً للأشغال والأوقاف. ثم تولى بعد مدة وجيزة إدارة السكك الحديدية. واستطاع أن يقرر الأسس الرئيسية التي جرى تطبيقها لمدة طويلة في نظام المعارف المصرية. وكان من أعماله أنه أقام عدداً من المدارس المختلفة في مصر، وأسس الكتبخانة الخديوية (١٨٧٠م) التي أصبحت دار الكتب الوطنية فيما بعد، ثم تولى نظارة المعارف خلال سنوات ١٨٨٨ - ١٨٩١م، ثم وافته المنية في القاهرة في ١٤ نوفمبر ١٨٩٣م.

ولعلي باشا مبارك ثلاثة عشر مؤلفاً في الرياضيات والتاريخ والجغرافيا والطب والدين. وأشهرها جميعاً كتابه الذي جعله ذيلاً على خطط المقريزي وسماه الخطط التوفيقية الجديدة (انظر: يوسف اليان سـركيس، معجـم المطبوعات العربية والمعربة من يوم ظهـور الطباعـة إلى نهايـة ١٩١٩م، جـ ١ ، القاهرة: مكتبة سـركيس ١٩٢٨م، ص ١٣٢٧ – ١٣٢٩. وانظر أيضاً: *OMLT*, no: 306, s. 381 - 382; Kâzım Yaşar Kopraman, "Ali Paşa Mübarek", *DİA*, c. II, s. 433 - 434).



نماذج من خطابات تركية كتبتها أمينة نجيبة هانم إلى ولدها عباس

وأحمد شفيق باشا (١٨٦٠ – ١٩٤٠م) [٢٣]. وقد ورد في مذكرات الأخير أن بعض كبار المصريين من أصدقاء والده كانوا يتكاتبون حتى فيما بينهم باللغة التركية، وذلك عدا كتاباتهم الرسمية إلى السلطات العليا، وتشكل النادرة التي رواها عن والده في هذا الصدد مثالاً مستملحاً[٢٤].

---

(٢٣) نشأ أحمد شفيق باشا في مصر في القرن التاسع عشر تحت إدارة محمد علي باشا وأسرته، وكان من الشخصيات البارزة التي مثلت نموذج المثقف" العثماني المصري". وكان والده حسن موسى قد تزوج بجارية جركسية أعتقها السيد علي البكري ورزق منها بابنه أحمد شفيق. وعنيت أمه به فأرسلته إلى كتّاب الحي (مدرسة علي افندي التركي)، ثم إلى مدرسة مصطفى فاضل باشا التي كان على رأسها مدير تركي هو ثابت أفندي، وتعلم أحمد شفيق في سن مبكرة العربية والتركية. ثم التحق بمدرسة المبتديان، فلما تخرج من المدرسة التجهيزية شغل عدة مناصب حكومية. وبعد أن دخل في خدمة الخديوي توفيق تم إرساله في سنة ١٨٨٥م إلى باريس، ولما أتم هناك دراسته للعلوم السياسية والحقوق عاد إلى القاهرة في سنة ١٨٨٩م، ودخل من جديد في خدمة الخديوي عباس حلمي. وبعزل الانجليز للخديوي الذي عُرف بولائه للدولة العثمانية جرى نفي أحمد شفيق إلى أوروبا، ثم عاد بعد مدة قصيرة. وله عدد من المؤلفات في موضوعات مختلفة، منها مذكراته المطبوعة في أربعة مجلدات (١٨٧٣ – ١٩٢٩م) وكتاب من عشرة مجلدات في تاريخ مصر السياسي.

(٢٤) أحمد شفيق باشا، المصدر السابق، ص ٤٧.

ومن أهم العوامل التي ساعدت على انتشار بعض عناصر الثقافة التركية في مصر ولا سيما اللغة التركية في محيط السراي فضلاً عن المؤسسات التعليمية الرسمية تلك الجواري القوقازيات اللائي كان يجري شراؤهن في سن مبكرة ثم تجري تربيتهن وتنشئتهن في السراي، فإذا حررن وخرجن منه يتم تزويجهن بأحد الموظفين المحليين وأفراد الطبقة العالية، ثم اتجاه العائلات الجديدة التي تشكلت منهم نحو تبني تلك الثقافة الرفيعة. وكانت تجارة الرقيق من الذكور والإناث في مصر تمارس في بيوت خاصة يشرف عليها تجار الرقيق[٢٥]، واستمر ذلك حتى تم حظر تلك التجارة بالمواثيق الدولية. فكان كل من أراد شراء جارية أو أمة (بيضاء أو سوداء) توجه إلى تلك البيوت واختار من تناسبه، ثم أدى ثمنها وأخذها للخدمة في بيته. ويروي لنا أحمد شفيق باشا في مذكراته أن الأسير أو العبد الذي يقع عليه الاختيار (ذكراً أو أنثى) كان يجري فحصه، وقد يطلب أحدهم أحياناً عند فحص جارية أن توضع في طشت مملوء بالماء فإن خرجت منه وكان الماء ناقصاً عُدّت صحيحة البدن. وكان الغالب أن يجري شراء العبيد فرادى، كما يحدث أحياناً أن تباع عائلة بكاملها لشخص واحد[٢٦].

وكان الغالب إزاء الجواري الجركسيات والجورجيات الصغيرات السن المجلوبات من القوقاز إلى استانبول ومنها إلى مصر أن يجري بيعهن أولاً للسراي ثم للطبقة الأرستقراطية المحيطة به، وهناك يجري تعليمهن وتأديبهن[٢٧]. وكانت الأميرات من أسرة محمد علي باشا يبعثن قلفاواتهن الخبيرات في اختيار الجواري إلى بيوت تجار الرقيق، ويقمن بانتقاء أجملهن وأكثرهن موهبة واستعداداً. وهؤلاء الجواري اللائي جرت تنشئتهن وتربيتهن في السراي على أيدي المعلمين والمعلمات في فنون شتى كن يقمن بتعلم الثقافة التركية وأساليب المعيشة حتى أصغر تفاصيلها لفترات معينة، ويصبحن خلال ذلك قادرات على التحدث باللغة التركية بطلاقة.

---

(٢٥) تعرف كلمة النخّاس (أسيرجي) التركية على ألسنة المصريين في شكل يسرجي، وتجمع على يسرجيه.

(٢٦) يقول أحمد شفيق باشا إن والده اشترى عائلة جركسية تتكون من الأبوين وولد وبنتين (المصدر السابق، ص ٥٠).

(٢٧) للتعرف على تفاصيل أكثر في هذا الصدد انظر: أمينة طوغاي، المصدر السابق، الملحق ١، ص ٣٠٢ – ٣١٢.

ويقول أحمد شفيق باشا في مذكراته إن عدد الجواري في أحد القصور هو المؤشر على مدى عظمته وعلو مكانته، وإن السراي القائم على شاطئ النيل للأميرة خوشيار هانم (ت ١٨٨٦م) والدة الخديوي إسماعيل الجركسية الأصل هي الأخرى كان يتقدم كل القصور، إذ كان يضم ألف جارية بيضاء وسوداء[٢٨].

وتُعتق الجارية في ختام التسع سنوات مدة الرق أو قبل ذلك، ثم يجري تزويجها بأحد الشبان اللامعين من كبار الأسر المحلية، فتنقل إلى أولادها ما تشربته من ثقافة تركية عثمانية، وتساعد بذلك على نشر تلك الثقافة في مصر. وانتقلت تلك الثقافة في الغالب – بعد الجيل الأول الذي كان يتحدث التركية – إلى الحفيدات من الجيل الثالث المتأثرات بما رأين وسمعن من أمهاتن وجداتهن. وقد شاهد مؤلف هذا الكتاب في سنوات طفولته بعضاً من تلك الأمثلة التي انقرضت في أواسط القرن العشرين.

وكان عزف الموسيقى التركية وأداء الرقصات في السراي المصري سمة من أبرز السمات على تبني الثقافة التركية العثمانية. وابتداءً من عهد محمد علي تضاعف الاهتمام بالموسيقى التركية أكثر من ذي قبل، فبينما تم تشكيل الفرق الموسيقية العسكرية على الطراز الأوربي أقيمت المدارس التي تمارس تعليم الموسيقى من أجل الجيش، وأجريت إلى جانب ذلك سلسلة من الأعمال بقصد ممارسة عزف الموسيقى التركية ونشرها. ونشهد بجلاء في أحد الأوامر التي أرسلها الوالي إلى كتخداه في استانبول أسلوب التفكير العملي الذي جرى عليه الباشا في هذا الصدد. فقد طلب إليه في ذلك الأمر المؤرخ في ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م أن يقوم بشراء أربعة عبيد من ذوي الميول الموسيقية ممن يبلغون الخامسة عشرة من العمر أو يزيد، ثم يقوم بتسليمهم لدرويش يدعى إسماعيل أفندي أرناؤوط أوغلى حتى يقوم الأخير بتعيين المعلمين القادرين على تعليم هؤلاء الشبان الأربعة، فيتعلم أحد الشبان – وبحسب الموهبة والاستعداد – فن الغناء والضرب على

---

(٢٨) أحمد شفيق باشا، المصدر السابق، ص ٨١ – ٨٦.

الدف، أما الثلاثة الآخرون فيتعلم أولهم العزف على الكمان، ويتعلم الثاني العزف على الطنبور والكمنجة، أما الثالث فيتعلم العزف على الناي[٢٩].

ومن الملاحظ أن فنون المسرح التركي قد وجدت الحماية اللازمة وكثر رواجها في ذلك العهد أيضاً داخل السراي المصري. فمن المعروف أن بعض التمثيليات على الطراز التركي كانت تجري في ثكنات الجيش على أيام الوالي عباس الأول. وقد جاء في أحد أوامره الصادرة في ٩ شوال ١٢٦٦هـ (١٨ أغسطس ١٨٥٠م) أن تقام في المفرزات العسكرية "دور للتمثيل" على الطريقة التركية، وطلب أن يقوم الجنود الموجودون في الوحدات بتمثيل النصوص المسرحية، وتلحين الأشعار التي تتضمنها، بينما لم يصرح بوضوح عن اللغة التي يجري استخدامها في كل ذلك[٣٠]. ولكن بما أن تلك التمثيليات كانت تجري بقصد تعليم الجنود المصريين ورفع مستواهم الثقافي فمن البديهي أن تكون اللغة المستخدمة هي العربية، وإن كانت الطريقة المتبعة والنموذج المحتذى هو النموذج التركي. وكان الوالي عباس باشا قد قام بتعيين مدير فرنسي ليكون على رأس دور التمثيل التركية تلك، وشكل بذلك نموذجاً جديداً من حركة التحديث العثمانية الخاصة بمصر والتي كانت قد بدأت أولى خطواتها على أيام جده الوالي محمد علي باشا.

وتحولت الموسيقى التركية إلى جزء لا يتجزأ من حياة السراي المصري بعد أن حظيت باهتمام كبير وحماية ملحوظة من أبناء محمد علي وأحفاده، وجرى عزفها داخل السراي. وكان المعلمون يترددون على السراي لتعليم الموسيقى الشرقية والغربية للفتيات الشابات من ذوات الموهبة الموسيقية والصوت الجميل. وتقوم الجواري الموجودات في السراي بتعلم العزف على كافة الآلات التي يمكن أن يضمها أي أوركسترا، وكن يقمن كل يوم بالتدرب على العزف ساعات طوالاً. ولم يكن مسموحاً للراقصات والمغنيات

(٢٩) للاطلاع على الوثيقة المؤرخة في ٨ شعبان ١٢٥٣ (٧ نوفمبر ١٨٣٧) انظر عبد الغفار محمود سيد، دور العناصر التركية السياسي والاجتماعي في مصر خلال القرن التاسع عشر (رسالة دكتوراه جامعة عين شمس ١٩٩٠)، ص ٣٢٧ – ٣٣٨.

(٣٠) للاطلاع على تلك الوثيقة التي أرسلها الوالي إلى مدير ديوان المدارس انظر عبد الغفار محمود سيد، المصدر السابق، ص ٣٣٨.

والعازفات أن يقمن بالخدمة في السراي حتى لا يؤدي ذلك إلى الإضرار بأيديهن وأصواتهن وأبدانهن(٣١). وعدا الموسيقات الرسمية في سراي الخديوي فإن كل ما نعلمه عن فرق الأوركسترا في دوائر الحرملك بالقصور إنما يدور حول قصر خوشيار هانم زوجة الوالي إبراهيم باشا ووالدة الخديوي إسماعيل باشا. وقد كانت الأميرة خوشيار تسكن في قصر الزعفران أولاً، ثم انتقلت بحاشيتها الكبيرة إلى قصر أقيم في حي جاردن سيتي على النيل؛ وكان للأميرة فرقتان للموسيقى، إحداهما فرقة عسكرية (باندو) والثانية فرقة موسيقى تقليدية(٣٢). ويتبين مما نقله أحمد شفيق باشا عن حماته التي نشأت في سراي الخديوي إسماعيل باشا وكانت من كبيرات قلفاواته وجواريه المعتقات، وكذلك مما نقله عن أختها أن قصر والدة إسماعيل على شاطئ النيل كان يضم فرقة موسيقية عسكرية تتألف من أربعين عازفة، وتتصدرهن "مديرة" برتبة ميرآلاي تحمل على صدرها اثنين من النياشين. وكانت كل عازفة عضوة في تلك الجوقة المعروفة "بالطاقم" ترتدي بزة رسمية من الجوخ الأحمر المزخرف "بالقصب"، وتضع على رأسها طربوشاً. وفي أيام الأعياد والاحتفالات والأفراح المختلفة كانت تعزف قطع الموسيقى التركية والعربية والغربية تحت ظُلة أو كشك من الخشب يلاصق قسم الحرملك في السراي، وعندما يدخل الضيوف إلى السراي يتهيأ فريق الموسيقى العسكرية النسائي بإشارة من الميرآلاي المديرة ذات الطربوش التي تقوده بعصاها الفضية، فيبادرن بالعزف تحيةً لهم. وعدا ذلك "الطاقم" الذي يشبه فرق الموسيقى العسكرية والمكون من أربعين عازفة تعزف في فناء السراي كان يوجد فريق موسيقى آخر تقليدي صغير يتشكل من الجواري، ويقوم بالعزف في القاعات الداخلية للسراي، وكان منهن مغنيات للغناء التركي والعربي. كما كان يوجد عدا هؤلاء العازفات ذوات السراويل المطرزة بالقصب فريق آخر للرقص تم اختيار

(٣١) انظر: Emine Foat Tugay, *Three centuries...* p.308

(٣٢) مذكرات أحمد شفيق باشا، جـ ١ ، ص ٨٥ - ٨٦، وللتعرف على قصور أسرة محمد علي باشا انظر: عبد المنصف سالم نجم، قصور الأمراء والباشوات في مدينة القاهرة في القرن التاسع عشر، جـ ١ - ٢ ، القاهرة زهراء الشرق ٢٠٠٢.

أعضائه من بين أجمل الفتيات، وكان منهن من ترتدين ملابس الرجال، ويقمن بالتمثيل فيما يُعرف بمسرح الساحة (أورته أويونى).

وكان يجري تعليم الراقصات - اللائي تم اختيارهن من بين أجمل الفتيات وأرقهن - الرقصات الشعبية القديمة، أما نحو أواخر القرن التاسع عشر فكان يجري تعليمهن الباليه ولكن برقصات أكثر بساطة. أما الرقص بهزّ البطون فلم يكن مسموحاً لهن بتعلمه لعدم توافقه مع آداب السراي. وكان لكل رقصة من الرقصات زيها الخاص وأدوات الزينة المرتبطة بها. وكان المطلوب في كل الأحوال أن يكون لباس الراقصة ساتراً لكل بدنها من الرقبة حتى أصابع القدمين[٣٣].

أما في سراي عابدين الذي كان يسكنه الخديوي إسماعيل هو وزوجاته فكان يوجد للأميرة چشم آفت هانم الزوجة الثالثة فريق موسيقى تركية (اينجه ساز) (أي آلات العزف الوترية والناي بغير الطبل والمزمار)[٣٤]. كما يُعرف أيضاً أنه كان يوجد فريقان موسيقيان، أحدهما تركي والآخر "آلافرنقا" في سراي الأميرة نعمة الله (١٨٧٥ - ١٩٤٥م) أصغر بنات الخديوي إسماعيل ووالدة السيدة أمينة طوغاي. وقد استمر ذلك التقليد في زمن الخديوي عباس حلمي أيضاً، إذ تتحدث أمينة طوغاي عن وجود فرقتين موسيقيتين تركية وافرنجية في أفراح ابنته الأميرة عطية (١٨٩٦ - ١٩٧١م) عندما تزوجت عام ١٩١٢م، وتتحدث عن فرقة ثالثة للموسيقى العربية كانت تعزف في السراي[٣٥].

---

(٣٣) انظر: Emine Foat Tugay, *Three centuries...*, p. 308

(٣٤) أحمد شفيق باشا، المصدر السابق ، ص ٨١.

(٣٥) انظر: Eminc Foat Tugay, *Three centuries...*, p. 297-298.



آيدة

(اسميله مسمى اوپرانك ترجمه سيدر)

بو اوپرا ايتاليا انعاسندن بر فصل اولوب بر وقعهٔ شهيرهٔ تاريخيه نك تقليديدر و مناظر عجيبه و مراقص غريبه يى شامل اولديغى حالده اثناى اجراسنده ارالق الحان مطربه و انغام موسيقيه اجرا قلنه جقدر و مذكور اوپرا

(درت فصل ايله)

يدى منظر اوزره مرتبدر كه محروسهٔ مصرك اوپرا تياترو سنده اويناتلق اوزره

بارادهٔ حضرت خديوانهمى

غزلنسونى طرفندن انشا و تنظيم و وردى

نام موسيقى شناس معرفتيله موزيقه نوطه سنه وضع و توقيع اولنه رق

اشبو تياترو موسملرنده مصر تياتروخانه سنده بالفعل

اويناداشدر

اشبو اوپرادلرو قابعدنرا سيو چلبى افنديلر معرفتيله تركچه يه ترجمه و تحويل اولنمشدر

الغلاف الداخلي للنص التركي الذي طبع في مصر عام ١٨٧٢م لأوبرا عايده

ولا شك أن العهد الذي سادت فيه الموسيقى التركية في مصر حتى طبعت به الذوق الموسيقي بها هو عهد الخديوي إسماعيل باشا(٣٦). فقد عُرف بشغفه للفنون الجميلة وخاصة الموسيقى، فأقام دار الأوبرا التي كانت بمثابة الخطوة الأساسية نحو دخول

---

(٣٦) لقد تضاعفت الأهمية التي حظيت بها الموسيقى في عهد الخديوي اسماعيل فقد أقيمت في قلعة القاهرة مدرسة تقوم بتنشئة العازفين على الموسيقات العسكرية، والتحق بها تلاميذ كان أغلبهم من الترك والأرمن والروم. ويتبين أنه جرى تشكيل فريق موسيقى عسكرية جديد من الشبان الذين تخرجوا في هذه المدرسة بدلاً من الفريق العسكري الذي تشكل من السودانيين قبل ذلك ثم جرى فضه. وقد تشكلت فرقة موسيقى شعبية من أعضاء الفرقة العسكرية المحلولة، كما اشتهرت عدا ذلك فرقة الموسيقى والتمثيل التركية بقيادة عبد الله أفندي. ويفهم مما ذكره أحمد شفيق باشا أن تلك الفرقة كانت تقدم حفلات منتظمة وتعرض التمثيليات المسلية (أحمد شفيق باشا، المصدر السابق، ص ٥٨).

الموسيقى الغربية إلى مصر. وفي إطار جهوده لتحويل القاهرة إلى مدينة عصرية مثل مدن أوربا أراد الخديوي تقديم عرض مسرحي خاص عن تاريخ مصر القديمة عقب افتتاح مبنى الأوبرا عام ١٨٦٩م حتى يتزامن ذلك مع مراسم الافتتاح الرائعة لقناة السويس، ولأجل هذا طلب من الموسيقار الإيطالي جوزيبي فيردي (١٨١٣ – ١٩٠١م) تلحين اوبرا خاصة لها. وعلى ذلك قام أ. غزلنسوني A. Ghislanzoni بكتابة نص أوبرا باسم (عايده) اعتماداً على موضوع قدمه عالم المصريات الفرنسي ماريت باشا مدير متحف الآثار المصرية القديمة الذي كان يُعرف آنذاك باسم الأنتيكخانة(٣٧). غير أن العرض الأول للأوبرا الذي أعده الموسيقار الإيطالي الشهير فيردي لتلك الرواية التاريخية تأخر عن افتتاح مبنى الأوبرا، لذلك افتتحت دار الأوبرا بأوبرا ريجلتو لنفس المؤلف(٣٨). وفي الرابع والعشرين من شهر ديسمبر من عام ١٨٧١م عرضت أوبرا عايده للمرة الأولى، وجرت ترجمة نصها إلى التركية، حتى تتمكن الطبقة الاستقراطية المصرية من مشاهدتها وفهم أحداثها، وطُبع كتاب النص التركي للأوبرا عام ١٨٧٢م تحت عنوان: "آيده اسميله مسمى اوپرانك ترجمه سى" [أي ترجمة الأوبرا المسماة باسم عايده] (٣٩).

وقد طبعت الترجمة العربية لهذا اللبرتو في نفس السنة "ترجمة اللعبة المسماه باسم عايده والتي عربها أبو السعود أفندي محرر صحيفة وادي النيل.

وفي عهد الخديوي إسماعيل باشا تضاعف الاهتمام بالموسيقى العسكرية التركية، واتجهت الأنظار آنذاك إلى فريق موسيقى المهتر التركي الذي انتهى دوره مع قيام السلطان محمود الثاني بإلغاء أوجاق الإنكشارية في استانبول. وفي أمر أصدره الخديوي إلى ناظر الجهادية إسماعيل باشا عام ١٢٧٩هـ / ١٨٦٣م فقد طلب منه أن يقوم بانتقاء

(٣٧) يدور موضوع الأوبرا – الذي أخذ عن حكاية حب رويت بالهيروغليفية قبل آلاف السنين – حول التنافس بين امنريس ابنة فرعون مصر والأميرة الحبشية الأسيرة عايدة ابنة امونلسرو ملك الحبش. إذ تحب الفتاتان رادلمس الذي هزم امونلسرو، وفي نهاية الحكاية يجري دفن رادلمس حياً مع محبوبته عايدة بعد أن خان وطنه في سبيلها.

(٣٨) في أول نوفمبر كما جاء في الجريدة الرسمية بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٨١٩. [قسطندى رزق، الموسيقى الشرقية... ١٩٣٦، ص ١٩].

(٣٩) وقد طبعت الترجمة العربية لهذا اللبرتو في نفس السنة باسم ترجمة اللعبة المسماة باسم عايدة.." والتي عربها أبو السعود أفندي محرر صحيفة وادي النيل.

٣١٥ فتى تتراوح أعمارهم بين التاسعة والسادسة عشرة من مختلف المناطق في مصر، ثم يجري تدريبهم وتعليمهم موسيقى "المهتران" على آلات النفخ والنقر(٤٠).

ولم يقف الخديوي إسماعيل عند ذلك، بل سعى لتوجيه أنظار حاشيته والطبقة الأرستقراطية الجديدة التي تشكلت حول السراي إلى الموسيقى التركية الأصيلة، فوطد الصلات بين الوسط الفني الموسيقي المتأصل في استانبول وبين أرباب موسيقى السراي وأبناء الطبقة المتوسطة الجديدة الذين ظهروا في مصر. وكان الجسر الفني الذي أقيم فيما بين قصر أميرگان (Emirgan) الساحلي في استانبول وسراي عابدين في القاهرة قد لعب دوراً مهماً في ذلك التفاعل والتواصل. وكان الخديوي إسماعيل باشا قد اشترى البيت الساحلي التاريخي المشهور الذي كان يمتلكه خسرو باشا في حي أميرگان على ساحل البسفور، فقام بهدم بنائه القديم وبنى في موضعه قصراً كبيراً من الأخشاب، فكان يسكن فيه عندما يحل على استانبول هو ومعيته(٤١). وتدلنا لوحات البسفور التي رسمها بكتاباته الأديب (عبد الحق شناسي حصار) على مدى حب إسماعيل باشا لحياة اللهو والطرب، ومدى شغفه بالموسيقى التركية. إذ يقول إن حفلات الطرب التي أقامها إسماعيل باشا خلال أمسياته الساحلية في أشهر الصيف عند مقامه في ذلك القصر الصيفي قد أخذت شهرتها تطوف الآفاق. إذ يؤمها مئات الزوار عند الغروب أمام القصر الكبير، ويجري تحميل مراكب كبيرة بشتى أنواع المأكل وشتى أنواع المشروبات المثلجة، وتصدح الأصوات من المطربين والعازفين ممن ركبوا بعض الزوارق فتُطرب عشاق الليالي القمرية الموجودين في المئات من الزوارق الأخرى التي تنفتح ثم تنكمش مثل زهور ضخمة فوق صفحة الماء فتملؤهم بالوجد والنشوة. ويحدث هذا في الوقت الذي تصدح فيه

---

(٤٠) للاطلاع على تلك الوثيقة المؤرخة في ٤ ذي القعدة ١٢٧٩ (٢٢ ابريل ١٨٦٣) انظر: عبد الغفار محمود سيد، المصدر السابق، ص ٣٤٠.

(٤١) للمزيد من المعلومات والصور حول هذا القصر الصيفي والأبنية المعروفة اليوم باسم الجوسق الأبيض (بياض كوشك) والجوسق الأصفر (صاري كوشك) والجوسق الوردي (پمبه كوشك) على رأس أميرگان الموجود خلفه انظر: Çelik Gülersoy, *Hidiv'ler ve Çubuklu Kasrı*, İstanbul: Türkiye Turing ve Otomobil Kurumu, 1985.

أنغام فريق الموسيقى من العازفات والمطربات الجالسات في شرفة القصر لتنضم هي الأخرى إلى هذا الحفل(٤٢).

وكان الخديوي إسماعيل باشا عند سفره من مصر إلى استانبول صيفاً يصطحب معه عدداً من الشبان المغنين والعازفين ذوي المواهب، وساعدهم بذلك على اللقاء ببعض الأساتذة، وبالتالي على تطوير معارفهم وأساليب أدائهم. وكان من بين هؤلاء الشبان الفنانين عبده الحامولي (١٨٣٦ - ١٩٠١م)، فكان من أبرزهم إظهاراً لتأثير الموسيقى التركية في أعماله التي انتقلت إلينا، وشكلت الأساس في الشهرة التي حظي بها. وتلك الأعمال التي لا تخلو منها محفوظات معاهد الموسيقى العربية وفرق الإنشاد لا زالت تشنف آذان النخبة من مستمعي الموسيقى العربية الكلاسيكية حتى اليوم.

وقد نقل عبده الحامولي العديد من المقامات والألحان التركية لأول مرة إلى مصر، ومن بينها مقامات النهاوند والحجازكار والعجم عشيران، وكان ينقل الأغاني التركية بعد أن يترجم معاني ألفاظها إلى العربية ويطلب من الشعراء نظمها. وقد تعلم التركية وتزوج بسيدة من أتراك مصر هي جولنار هانم. وأدخل عبده الحامولي الكثير من العناصر اللحنية التركية، ومنها الترنم بكلمة "أمان". وسافر إلى استانبول عدة مرات بعد وفاة الخديوي إسماعيل ونال تقدير السلطان عبد الحميد في عام ١٨٩٦م وكما يقول مؤرخوه حظي بالمثول في "الحضور الشاهاني" مراراً وأعجب أمير المؤمنين بمهارته في فنه وحسن تأديته وأجزل له العطاء(٤٣).

وقد نجح الحامولي في التوفيق بين المزاجين التركي والمصري، فبعد أن كان أبناء الطبقة الحاكمة في مصر لا يطربون كثيراً لغناء المصري كما يقول محمد كامل الخلعي أصبح ذلك مقبولاً ومفضلاً لديهم. كما أن المصريين تركوا طريقة التوجع والأنين، وأصبحوا يطربون لما يلائم أذواقهم من الأنغام التركية بفضل الحامولي الذي يسميه الخلعي "معدل المزاجين بين

---

(٤٢) انظر: Abdülhak Şinasi Hisar, *Boğaziçi mehtapları*, İstanbul: Hilmi Kitabevi, 1955, s. 75 vd.

(٤٣) الموسيقى الشرقية، قسطندي رزق، القاهرة ١٩٣٦م، ص ١٠٨.

الأمتين... وكما امتزج الجنسان في الأجسام بالأنساب فقد مزج بينهما عبده بالغناء في الأرواح"[٤٤].

ويظهر تأثير التقاليد الموسيقية التركية في مصر على أسلوب الأداء العام وتقديم الحفلات الموسيقية. فقد بدأ الجمهور المصري يستمتع بالوصلات التي تؤديها فرق الإنشاد والعزف الموسيقي، وأصبح ترتيب "الوصلة" المصرية متأثراً بترتيب "الفصل" التركي الذي يبدأ عادة بقطعة موسيقية تعرف باسم "پشرو" بالتركية التي عربت بكلمة "بشرف"، وهي تتكون من أربعة أقسام يعرف الواحد منها باسم "خانه"، بينما يتكون الفصل التركي من عدد من المعزوفات والأغاني ذات المقام الواحد، والتي يتخللها تقاسيم للآلات الموسيقية كالقانون والعود والناي والكمان. وأصبحت "الوصلة" المصرية تتكون من بشرف ثم يعقبه موشح من نفس المقام، ثم تقاسيم ارتجالية يؤديها عازفو العود والكمان والناي والقانون، ويؤدي المنشد مجموعة من الليالي والمواويل بمصاحبة القانون، ثم يختم بأداء الدور مراعياً كذلك وحدة المقام في الوصلة.

وهذا التأثير التركي على الذوق المصري لدى الطبقة المتوسطة ظهر بهذه الوصلات الغنائية في القرن التاسع عشر واستمر إلى النصف الثاني من القرن العشرين.

وتَعَرّف أعضاء التخت المصري على البشارف التركية وكانون يعزفون بشارف الملحنين الأتراك من أمثال عثمان بك وعاصم بك وطاتيوس وكذلك الموسيقار المصري ذي الأصل التركي صفر علي (١٨٨٤-١٩٦٢م).

وعلى هذا النحو كان عزف الموسيقى التركية في قصور القاهرة وبيوت الطبقة الأرستقراطية من ذوي الأصول التركية قد ترك أثره الواضح على تكوين الذوق الموسيقي لدى المصريين. كما كان لكبار الموسيقيين والعازفين المصريين الذين نشأوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أثرهم الواضح في ذلك أيضاً. وكانت تلك الزيارات التي قام بها الموسيقيون المصريون إلى مدينة استانبول سبباً في ذيوع شهرتهم وعلو مكانتهم. ويمكننا أن ندرك ذلك التأثر بشكل كبير في ألحان

---

(٤٤) محمد كامل الخلعي، كتاب الموسيقى الشرقي، القاهرة ١٩٢٧م، [طبعة مدبولي ٢٠٠٠م]، ص ١٤١-١٤٨.



فرقة موسيقى السيدات في السراي

وأغاني الموسيقيين والمطربين الآخرين عدا عبده الحامولي من أمثال سلامة حجازي ومحمد عثمان ومنيرة المهدية، بل ومحمد عبد الوهاب وأم كلثوم في سنواتهما الأولى. وكان الأستاذ صَفَر علي بك – أحد مؤسسي معهد الموسيقى الشرقي الذي أقيم في القاهرة في ثلاثينيات القرن الماضي وأول مدير له – واحداً من الموسيقيين ذوي الأصول التركية الذين عاشوا في مصر. كما أن الموسيقار التركي الشهير منير نور الدين سلجوق قد زار القاهرة هو الآخر قبل انتهاء العهد الملكي، وقدم هناك حفلاً موسيقياً، ونال إعجاب المستمعين. وفي نهاية الستينيات من القرن الماضي تضاعف من جديد شغف الناس بالموسيقى التركية الكلاسيكية، إذ قام سميح گُونْوَر سفير تركيا في القاهرة آنذاك بدعوة فريق الموسيقى التركية الكلاسيكية في إذاعة أنقرة تحت رئاسة الموسيقار الكبير روشن كام إلى مصر (يناير ١٩٦٨م)، فأحيا من جديد بحفلاته الموسيقية الراقية شغف الناس لسماع الموسيقى التركية(٤٥).

وكانت معزوفات الرقص التركية التي تعزفها الآلات الوتريه (بغير الطبل والمزمار) تعرف في مصر باسم موسيقى "رقص الهوانم"؛ واستخدم ذلك المصطلح حتى خمسينيات، بل واستمر حتى ستينيات القرن الماضي.

(٤٥) عندما تعرفت في القاهرة على المرحوم الأستاذ روشن كام كنت آنذاك معيداً شاباً بالجامعة واضطلعت بمهمة المستشار الثقافي الفخري للسفارة التركية في مصر. وللتعرف على سيرة ذلك الرجل الفاضل الذي تشرفت بخدمته وكذلك للتعرف على الجهود الحميدة التي بذلها من أجل التعريف من جديد بالموسيقى التركية في مصر انظر:
M. Nazmi Özalp, *Ruşen Ferit Kam*, İstanbul: M.E.B. , 1995.

وكان المطبخ التركي أيضاً من أبرز مظاهر تأثير الثقافة التركية داخل السراي المصري، وراح يمتد ذلك التأثير من السراي لينتشر ويتسع نطاقه في المدن الكبرى وقطاعات المجتمع المختلفة. فقد كان هناك أطعمة يقوم الطباخون الأتراك في مصر بإعدادها محاكاةً للسراي العثماني في استانبول، وهذه الأطعمة كان يجري تقديمها في السراي المصري بأسمائها التركية، فكانت النتيجة أن دخلت بين أطعمة الحياة اليومية في المجتمع المصري. ولا زالت هناك حتى اليوم كلمات مثل: كباب، كفته، شيش كوفته، شيش طاووق، بوغاشه، بقلاوة، دولمه، يخني، تورلي، طورشي. وما تعنيه تلك الكلمات بالنسبة للأتراك هو ما تعنيه أيضاً بالنسبة للمصريين، فهي تعبر عن نفس المعنى وعن طعم يشبه طعمها لدى الأتراك.

وكما ذكرنا في فصل الكتب المترجمة من التركية إلى العربية فإن الدليل الأبرز على إعجاب المصريين بألوان الأطعمة التركية وإقبال قطاعات عريضة منهم عليها هو ترجمة الكتاب التركي (ملجأ الطباخين) إلى اللغة العربية وظهور عدة طبعات منه (١٨٨٧، ١٨٩٩، ١٩١٥م).

وقد حظي المطبخ التركي أو بمعنى أصح المطبخ العثماني في مصر بأهمية كبيرة، بل وتعدى الأمر مسألة الإعجاب به وتطبيقه إلى التعريف به في أوربا. ومن أبرز الأمثلة على ذلك أن ترابي أفندي وهو أحد الرجال المقربين من الخديوي إسماعيل باشا قام بوضع كتاب بالتركية والانجليزية تحت عنوان مجلة الأطعمة العثمانية (مجموعهٔ أطعمهٔ عثمانيه). وقد جرى تقديم ذلك الكتاب لأول مرة إلى الضيوف الانجليز أثناء المأدبة التي قدمها الوالي محمد سعيد باشا (ت ١٨٦٣م) إليهم عند زيارته لندن في ١٦ يولية ١٨٦٢م. وعقب تلك الطبعة التي ظهرت في لندن سنة ١٨٦٢م جرى طبع الكتاب مرة أخرى سنة ١٨٨٤م، وهو من حيث الأساس كتاب جُمعت مادته من كتب أخرى سبقته في هذا المجال(٤٦).

وقد تأثر وضع الثقافة التركية في مصر باحتلال الانجليز لها عام ١٨٨٢م، إذ وضعوها رسمياً تحت الحماية في ١٨ ديسمبر ١٩١٤م، ثم لم يلبثوا في اليوم التالي أن

---

(٤٦) لمعلومات حول الكتاب ومؤلفه انظر: E. İhsanoğlu, Ramazan Şeşen vd., *Osmanlı Tabii bilimler Literatürü*, İst., IRCICA, 2006 no: 182.s. 181-182.

عزلوا الخديوي عباس حلمي باشا (١٨٩٢–١٩١٤م) المعروف بولائه للعثمانيين، ونصبوا بدلاً منه عمه حسين كامل باشا (١٩١٤–١٩١٧م) على رأس الحكم بلقب سلطان مصر؛ وانحل بذلك آخر رباط رسمي كان يربط مصر بالدولة العثمانية. ومع ذلك فقد ظل تأثير الثقافة التركية سارياً على ما هو عليه في السراي على أيام حسين كامل وخلفه الملك فؤاد (١٩١٧–١٩٣٦م)، وكانت لغة الحديث بين أفراد العائلة فيه هي التركية والفرنسية. وكان التحول الذي بدأ قبل مدة من أسلوب الألاتوركا إلى أسلوب الألافرنقا قد انتهى مع مرور الوقت لصالح الثاني وبشكل جازم. وبانقطاع آخر الصلات الرسمية بين مصر والدولة العثمانية وزيادة النفوذ السياسي والعسكري للإنجليز في مصر بدأت تتكشف ملامح القطيعة الثقافية ضد تركيا بعد جيل واحد من ذلك. حتى إن الملك فاروق الذي تولى العرش عقب وفاة والده فؤاد لم يكن يعرف اللغة التركية.

غير أن أثر الثقافة التركية في القرن العشرين وَاصَلَ الكشف عن نفسه رغم كل شئ في مجالٍ آخر، إذ شكّل التقارب الذي ظهر في فن الخط – على الرغم من التباعد السياسي – واحداً من الموضوعات اللافتة للنظر. فقد كان التفوق الواضح للمدرسة العثمانية في فن الخط وانتشار الأسلوب التركي يمثل أحد الجوانب الأجدر بالانتباه في الثقافة العثمانية، وكان أثره في العهد الذي بدأ بحكم محمد علي باشا أكثر عمقاً بالمقارنة مع العهود السابقة عليه. فعلى الرغم من توجه عدد من نخبة الخطاطين الأتراك إلى القاهرة في العهود السابقة وتوطنهم فيها(٤٧) فإن تأثير مدرسة الخط العثمانية لم ينتشر ويصبح أكثر وضوحاً إلاّ في عهد أسرة محمد علي، ولا سيما عندما أخذت دروس حُسن الخط مكانها في برامج التعليم الحديث. وكما يلاحظ في فصل المؤسسات التعليمية أن تعلم قلمي الرقعة والثلث كان إلزامياً في المدارس الحديثة، وأن الغلبة في تدريسها كانت للمعلمين الأتراك، فدعا ذلك إلى ترسيخ الأسلوب التركي في الخط في نفوس الأجيال التي نشأت في تلك المدارس.

---

(٤٧) هناك العديد من الخطاطين العثمانيين الذين استوطنوا مصر وقاموا على تنشئة الطلاب هناك، ومنهم مصطفى ده (١٤٩٣ – ١٥٣٨) ابن الشيخ حمد الله، وصالح بن جلال (١٤٨٥ – ١٥٦٥) تلميذ الشيخ حمد الله ، وعبد الله أنيس ده (ت ١٧٤٦) شيخ تكية المولوية في القاهرة، وسليمان أفندي (ت ١٧٢٧) تلميذ الحافظ عثمان، ثم رفيعا مصطفى افندي (ت ١٧٣١) الذي نشأ على يديه عدد كبير من الطلاب. ولكننا سوف نتحدث هنا عن ثلاثة فقط من مشاهير الخطاطين الذين عاشوا في العهد الأخير ممن توجهوا إلى مصر بعد عهد محمد علي باشا وقاموا بالتدريس هناك وتركوا لنا الكثير من الأعمال وتخرج على أيديهم العديد من الطلاب.

والأمر الأساسي الذي نؤكد عليه هنا هو أن سراي القاهرة قد لعب الدور الريادي في توطين ذلك الفن في مصر. ففي القرن التاسع عشر غادر الخطاط مصطفى عزت أفندي استانبول متوجهاً إلى القاهرة. وهو الذي كتب الخطوط الموجودة على قبر محمد علي باشا داخل الجامع الرائع الذي بناه في القلعة على الطراز العثماني، ثم جاء من بعده تلميذه عبد الله زهدي واستوطن القاهرة هو الآخر، ومنحه الخديوي إسماعيل باشا حفيد محمد علي لقب "خطاط مصر". وكان عبد الله زهدي قد قام بأمر من السلطان عبد المجيد بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار التي تمدح الرسول (ﷺ) بخط الثلث الجلي فوق قبة وجدران المسجد النبوي في المدينة المنورة، فنال تشجيع الخديوي وكسب عطفه فاستقر في القاهرة، وراح يمارس صنعة الخط فيها. فكان يكتب الخطوط للدوائر الرسمية المختلفة، ويقوم بإعداد قوالب العملات الورقية (البنكنوت)، وكَتَبَ نقوش العديد من الآثار، ودَرّس الخط في مدرسة الأمراء، وعاش في القاهرة حتى توفي هناك عام ١٨٧٩م(٤٨).

أما أنصع الصفحات في تأصل مدرسة الخط العثمانية في مصر فقد تحققت على أيام الملك فؤاد الابن الأصغر للخديوي إسماعيل. وقد نُصِّب على عرش مصر بعد أن حظي بثقة الإنجليز، فأعلنوه في البداية سلطاناً، ثم تغير لقبه بعدها. وعلى الرغم من بعده عن تركيا في المجال السياسي وميله للبقاء وفياً للنفوذ الانجليزي إلاّ أنه كان ينزع إلى الثقافة التركية العثمانية، وبرهن على ذلك في حبه للخط والموسيقى بوجه خاص.

وقد شاء الملك فؤاد في عام ١٩٢٠م أن يستكتب أحدهم مصحفاً شريفاً يُعرف باسمه، فأرسل إلى استانبول نقيب أشراف مصر السيد محمد علي البيلاوي حتى يقوم باختيار الخطاط اللائق لهذا الأمر، فوجد بتوصية من أحدهم الخطاط عبد العزيز الرفاعي الذي عرف اختصاراً عند الأتراك باسم عزيز أفندي (١٨٧٢ – ١٩٣٤م)، وكان يعمل آنذاك في دائرة المشيخة الإسلامية. وتوجه عزيز أفندي إلى مصر عام ١٩٢٢م بدعوة رسمية من حكومتها، واستطاع خلال ستة أشهر وتحت إشراف علماء الأزهر أن ينتهي من نَسْخ المصحف الذي عُرِف آنذاك "بنسخة الملك فؤاد"، ولما طُلب منه أن يقوم هو بتذهيبه وزخرفته اضطر لتمديد إقامته في مصر خمسة أشهر أخرى. وأدرك

(٤٨) انظر: İbnülemin Mahmud Kemal İnal, *Son Hattatlar*, İstanbul: Maarif Basımevi, 1955, s. 15-19

وانظر أيضاً: من التراث الإسلامي، فن الخط، مصطفى أوغور درمان ونهاد جتين، ترجمة صالح سعداوي، إشراف وتقديم أكمل الدين احسان أوغلي، (إرسيكا) استانبول ١٩٩٠م، ص ٢٠٦.

الملك فؤاد في تلك الأثناء مهارة الخطاط عزيز أفندي في ذلك المجال، فطلب منه إقامة مدرسة للخط في مصر حتى يعيد إحياء ذلك الفن بعد أن أخذ سبيله نحو الانقراض، وهنا أقيمت في أواخر عام ١٩٢٢م مدرسة للخط في القاهرة عُرفت باسم "مدرسة تحسين الخطوط الملكية"، وتم ربطها بمدرسة خليل أغا. فلما حظيت تلك المدرسة باهتمام عظيم من الناس أمر الملك بإقامة مدرسة ثانية للخط، فسارع عزيز أفندي بإقامتها في أوائل عام ١٩٢٣م (لتكون تابعة لمدرسة الشيخ صالح)، فكان يقوم بإدارة المدرستين ويعمل أستاذاً للخط في كلتيهما. واستطاع الشيخ عبد العزيز الرفاعي خلال الاثنتي عشرة سنة التي عاشها في القاهرة أن يمنح الإجازة في الخط لمائة وخمسة عشر طالباً، وظهرت له هناك كتابات خطية عديدة، وطبعت له كراسة في المشق(٤٩).

وتم ربط هاتين المدرستين في البداية بديوان الأوقاف الخصوصية للملك فؤاد الأول، ثم بوزارة المعارف بعد ذلك، وكان لإقامتهما في مصر أثر جد بارز على الفنون والثقافة فيها. فهاتان المدرستان والطلبة الذين قام عزيز أفندي على تنشئتهم فيهما قد لعبوا دوراً مهماً في ذيوع الأسلوب التركي في الخط، والتعريف به في مصر وسائر بلدان العالم العربي.

ولا شك أن آخر الأسماء التي بلغت القمة في عطائها لأجمل نماذج فن الخط التركي في مصر تحت رعاية عائلتها المالكة هو الحاج كامل آقديك (١٨٦١ – ١٩٤١م)، وهو آخر الخطاطين العثمانيين الذين ظفروا برتبة "رئيس الخطاطين". وقد ولد في استانبول ونشأ فيها، وعمل في الدوائر الرسمية المختلفة، وعمل إلى جانـــب ذلك أســـتاذاً للخط في "مدرسة الخطاطين" التي أقيمت في استانبول ١٩١٤م، ودَرّس حسن الخط أيضاً في أكاديمية الفنون الجميلة. وقد دعاه إلى مصر ولي العهد الأمير محمد علي (١٨٧٥ – ١٩٥٥م) (٥٠)

(٤٩) انظر: Muhittin Serin, *Hattat Aziz Efendi*, İstanbul: Kubbealtı Neşriyat, 1988.

(٥٠) الأمير محمد علي هو أصغر الذكور بين أبناء الخديوي توفيق، وأرق وأبرز الرواد الذين مثلوا الثقافة التركية في القرن العشرين من أسرة محمد علي باشا. وقد تولى الأمير محمد علي ولاية العهد مرتين، إحداهما تبدأ من اعتلاء أخيه عباس حلمي العرش حتى مولد ابنه الأمير عبد المنعم، أما الثانية فتمتد حتى مولد الأمير أحمد فؤاد ابن الملك فاروق. وقد كان الأمير محمد علي كثير الترحل يأتي بالنباتات والأشجار النادرة من كل قارة ليقوم بزراعتها وتربيتها في حديقته الواقعة في جزيرة منيل الروضة على النيل والتي تعد من أجمل حدائق الدنيا. فقد استطاع بفضل الزيارات التي كان يقوم بها إلى القصر الساحلي الذي تملكه أمه في بيك على ساحل البسفور أن يكون ملكاً لأقدم الآثار وأندرها في الفنون التركية. وقصره الذي يعكس ثراء تلك الفنون وتنوعها من كل الجهات يضم العديد من المجموعات النفيسة. وكان يوجد من بين تلك الآثار مجموعة سجاد هي الأكبر والأتم بين المجموعات الخاصة، وتوجد أيضاً مخطوطات مذهبة، وأقمشة مطرزة وأمتعة خزفية ومجوهرات. وبعد مصادرة أملاك وثروات أسرة محمد علي في عام ١٩٥٣ تم تحويل ذلك القسم من القصر إلى متحف. وكان الأمير محمد علي قد زين المسجد الذي بناه داخل القصر بروائع الخطوط التي كتبها الحاج كامل آقديك رئيس الخطاطين العثمانيين الأخير الذي استدعاه



الأمير محمد علي توفيق

مرتين في عامي ١٩٣٥م و ١٩٤٠م، وكانت الدعوة الأولى لكتابة خطوط المسجد القائم داخل قصره في المنيل الذي يضم مقتنيات نادرة من الفنون الإسلامية. أما في الدعوة الثانية فقد كلفه الأمير باختيار الآثار التي ستوضع في المتحف المزمع إقامته داخل ذلك القصر. وهذه الزيارة التي قام بها برفقة العلامة ابن الأمين محمود كمال قد استغرقت أربعين يوماً. ولا يزال هناك العديد من خطوط كامل آقديك في ذلك القصر الذي لازال متحفاً حتى اليوم(٥١). كما يحتفظ ذلك المتحف بالعديد من اللوحات الخطية والمرقعات التي اشتراها الأمير من استانبول.

ويمثل عهد الملك فاروق (١٩٣٦ - ١٩٥٢م) الذي تولى بعد وفاة أبيه الملك فؤاد آخر عهد للوسط الثقافي التركي الذي تشكل حول السراي. فالملك فاروق - على الرغم من تعلمه في طفولته وسني شبابه الانجليزية والفرنسية والإيطالية - لم يتعلم اللغة التركية. فقد تعلم الانجليزية والفرنسية على أيدي المدرسين الانجليز والفرنسيين، بينما تعلم الإيطالية من حديثه مع الإيطاليين القائمين على

الأمير من استانبول. وكان قصره في الاسكندرية قد أقيم ليكون نموذجاً طبق الأصل لأحد القصور التركية القديمة، فتمت دراسة كل تفاصيل البناء، واستخدمت فيه الوحدات الزخرفية التي ترجع إلى مئات السنين (Emine Foat Tugay, *Three centuries*..., p. 170).

(٥١) للتعرف على حياة كامل آقديك والاطلاع على نماذج من خطوطه انظر:
Melek Celâl, *Reisülhattatin Kâmil Akdik*, [İstanbul 1938]; Uğur Derman, *a.g.e.*, s. 222-226.

خدمته. وهناك روايات مختلفة حول هذا الصدود عن التركية، هل هو منه شخصياً أم من والده الملك فؤاد. وبالنظر إلى ما روته السيدة أمينة فؤاد طوغاي زوجة خلوصي فؤاد طوغاي السفير التركي الأخير في مصر في نهاية العهد الملكي وحفيدة الخديوي إسماعيل من جهة الأم وبالتالي فهي قريبة – وإن كان من بعيد – للملك فاروق فإن الملك فؤاد على الرغم من تمسكه بالجذور والتقاليد وحرصه مع عائلته في السراي على عدم التحدث بغير التركية قد رفض تعليم أولاده التركية[٥٢]. ولكن كريم ثابت باشا الصحفي اللبناني الأصل الذي عمل مستشاراً صحفياً للملك فاروق وتولى لمدة وزارة الإرشاد يروي في مذكراته شيئاً مختلفاً عن ذلك، إذ يقول إن الملك فؤاد لم يشأ تعلم ولده التركية حتى لا يثقل عليه في عدد الدروس. إلاّ أن الوثائق البريطانية تؤكد حقيقة لم تكن معروفة حتى وقت قريب، وهي أن الملك فؤاد وإن كان قد أراد أن يتعلم ابنه اللغة العربية فإنه لم يكن قد أراد أن يهمل اللغة التركية لغة العائلة ولغة القصر. حتى إنه عندما بدأت الاستعدادات لإرساله إلى انجلترا كان من بين الملاحظات التي أثيرت في هذا الصدد إمكانية تعليمه اللغة التركية عن طريق مدرس خصوصي أثناء دراسته في انجلترا[٥٣]. ويسجل كريم ثابت – رغم ذلك – أن فاروق كان يعرف بعض الألفاظ التركية الذائعة، ويجيد بعض ألفاظ السباب. وسواء كان السبب وراء عدم تعلمه التركية ناشئاً عن قرار من والده أم نتيجة لصدوده هو نفسه فلم تعد هناك ضرورة بعد لكي يتعلم حاكم مصر اللغة التركية بعد انفصام العرى بين بلاده وتركيا. وفي عهده لم يكن بوسع الكثيرين من أفراد العائلة المالكة أن يتحدثوا أمامه باللغة التركية رغم علمهم لها حتى يتفادوا انتقاداته لهم. كما يسجل كريم ثابت في مذكراته أن التحدث باللغة التركية كان محظوراً على الموظفين والقلفاوات العاملات في السراي في عهده[٥٤]. وعلى هذا النحو يكون الملك فاروق أول حاكم لا يعرف اللغة التركية في سلالة محمد علي باشا، وأيضاً آخر حاكم تولى الحكم فيها.

ومع إلغاء النظام الملكي وزوال حياة السراي بقيام ثورة عام ١٩٥٢م تم إخراج الموظفين العاملين من الأصول التركية من السراي. وانطوت بذلك صفحة مصر من الثقافة العثمانية، كما لم تعد اللغة التركية، حاضنة تلك الثقافة، لغةً للطبقة الأرستقراطية فيها. واختفت الثقافة التركية من الحياة الاجتماعية بانقطاع الأنفاس الأخيرة "لآخر العثمانيين" الذين كانوا على قيد الحياة بعد أن عَمّرت تلك الثقافة في مصر حتى النصف الثاني من القرن العشرين.

(٥٢) انظر: Emine Foat Tugay, *Three centuries...*, p. 162.

(٥٣) لطيفة محمد سالم، فاروق من الميلاد إلى الرحيل، دار الشروق-القاهرة ٢٠٠٥م، ص ١٥-١٧.

(٥٤) كريم ثابت، مذكرات كريم ثابت فاروق كما عرفته، جـ ١، القاهرة ، دار الشروق ٢٠٠٠، ص ١٧١ – ١٧٣.

شاعرات وأديبات نشأن في السَّراي وحوله

كان لأفراد الطبقة الأرستقراطية في مصر - كما مر - شغف كبير بالثقافة العثمانية والأدب التركي، وتجاوز ذلك الشغف حدود الهواية وتزجية وقت الفراغ. ولسوف نتحدث هنا عن أمثلة أربعة لشاعرات أديبات، اثنتان منهن من عائلة محمد علي، واثنتان أخريان ممن نشأن في محيط الثقافة التركية العثمانية الذي تكوّن حول تلك الأسرة، فكان لهن جميعاً إسهام لا يستهان به في مضمار الثقافة والشعر التركيين. إلاّ أن هؤلاء الأديبات لم يحظين بعد مع الأسف باهتمام مؤرخي الأدب التركي كما ينبغي. وأولى هؤلاء الشواعر والأديبات هي عائشة تيمور هانم (١٨٤٠ - ١٩٠٢م) التي تنحدر من عائلة تيمور الشهيرة التي خرج منها العديد من رجال الفكر والسياسة[١]. ويشكل ظهور تلك العائلة التي خرجت منها عائشة هانم مثالاً يمكن من خلاله التعرف بشكل واضح على الكيفية التي تشكلت بها طبقة الصفوة الأرستقراطية "التركية" في مصر. وقد عُرفت تلك العائلة - التي هي خليط من النسب الكردي والتركي والجركسي - بأنها بدأت برباط مصاهرة بين رجلين من رجال محمد علي باشا. ثم عرفت بالعديد ممن انحدر منها حتى اليوم من مشاهير رجال العلم والدولة. إذ يتزوج محمد بك تيمور كاشف بن إسماعيل كرد بن علي كرد[٢] بالسيدة عائشة خاتون ابنة عبد الرحمن الاستانبولي[٣]، ويولد من هذا الزواج إسماعيل بك والد عائشة هانم الشاعرة. وكان إسماعيل تيمور هذا يجيد - إلى جانب التركية - العربية والفارسية والفرنسية والانجليزية والايطالية، ودخل في شبابه في خدمة محمد علي باشا، ثم تولى في النهاية رئاسة " القلم الأفرنگي" الذي كان يدير الشئون

---

(١) هناك دراسة مختصرة حول عائشة تيمور انظرها في: M.A. Yekta Saraç, "Türk Edebiyatı'nın Mısır'da Unuttuğu Bir Şair: Aişe İsmet Teymur", *İlmî Araştırmalar*, no: 1 (İstanbul 1995), s. 131-140.

(٢) كان محمد بك قد ساعد محمد علي باشا في التضييق على المماليك داخل القلعة والقضاء عليهم، وتولى العديد من الوظائف العسكرية، ثم توفي عام ١٢٦٢ (١٨٤٥- ٤٦).

(٣) كان يقوم بوظيفة رئيس الكتّاب في الديوان الهمايوني على أيام السلطان سليم الثالث، وبعد أن استقر في مصر دخل في خدمة محمد علي باشا.

الخارجية على أيام الخديوي إسماعيل باشا(٤). وكان إسماعيل تيمور باشا قد تزوج بجارية جركسية، وولدت له ابنته عائشة عصمت التي عُرفت باسم عائشة التيمورية.



عائشة التيمورية

وقد تعلمت عائشة عصمت فيما بين السابعة إلى الثالثة عشر من عمرها اللغة التركية والفارسية والعربية والفقه على أيدي معلمين خصوصيين كانوا يأتون إليها في المنزل، وقرأت على والدها عيون الأدب الفارسي، إذ استطاعت وهي في تلك السن أن تقرأ – بمساعدة والدها – **شهنامة** الفردوسي و**مثنوي** جلال الدين الرومي. واستطاعت عائشة بتشجيع من والدها أيضاً أن تتمكن من اللغات الثلاث، ونقلت عنه في المدخل الذي كتبته لديوانها التركي قوله "إن السجع لا يجد الحلاوة والطلاوة إلاّ إذا كان نسيجاً من اللغات الثلاث"(٥).

وعرضت عائشة عصمت على والدها أشعارها الأولى في اللغات الثلاث، واستفادت من خبرته اللغوية والأدبية العريضة، وفي صدر ديوانها الذي عُرف في الغالب باسم (شكوفه)(٦) وضم أشعارها التركية والفارسية ذكرت بلغة تركية وأسلوب موغل في الصنعة والبديع أنها كتبت أشعارها بالتركية والفارسية والعربية، وكيف أن والدها كان يأخذ بيدها ويشجعها على

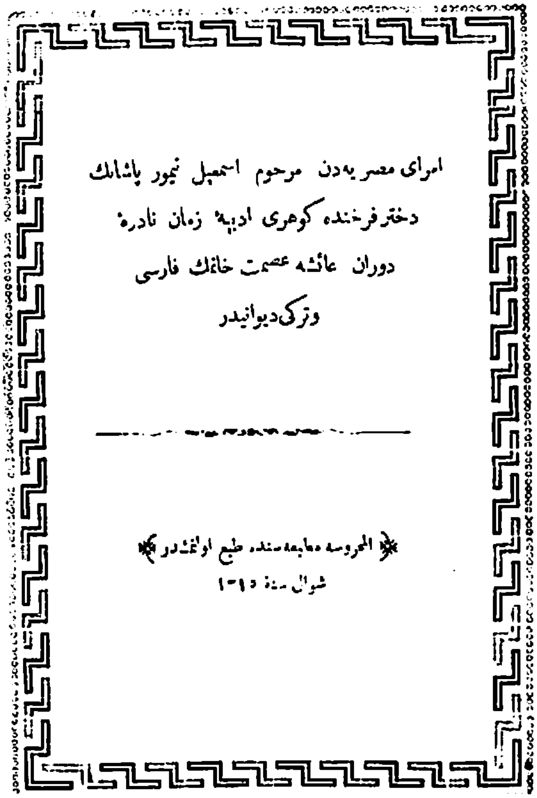
---

(٤) كان إسماعيل تيمور باشا يحب القراءة كثيراً ويمتلك مكتبة كبيرة، وله كتاب يحتوي خلاصة مطالعاته أعده لكي يكون نظيراً لكتاب **سفينة الراغب** التي ألفها راغب باشا، وله كتاب آخر بالتركية وضعه حول تاريخ العائلة (الآنسة مي زيادة، شاعرة الطليعة عائشة تيمور، القاهرة ١٩٥٦، ص ٥٧ – ٥٨).

(٥) عائشة عصمت إسماعيل، ديوان عائشة ، مطبعة المحروسة [القاهرة] ١٣١٥ [١٨٩٨]، ص ٧.

(٦) طبع الديوان التركي لعائشة تيمور هانم في مصر عام ١٣١٥ [١٨٩٨]، كما طبع – بحسب قول حفيدها أحمد كمال زاده – في استانبول وإيران أيضاً (ديوان عائشة العربي، ص ١٦).

ذلك. وظهر ديوانها العربي المعروف باسم حلية الطراز (القاهرة ١٣٠٣/ ١٨٨٥ – ١٨٨٦م)، واستخدمت في شعرها العربي مخلص (عائشة)، بينما استخدمت مخلص (عصمت) في شعرها التركي. وقد تركت تلك الشاعرة المصرية عدا هذين الديوانين أعمالاً أخرى في الشئون الاجتماعية. وتحدثت عن جانب من حياتها في صدر الديوان التركي بأسلوب مغرق في الصنعة كما أسلفنا، وروت لنا كيف بدأت حياتها مع الشعر في الحكاية التالية:


امرای مصریه دن مرحوم اسمعیل تیمور پاشانك
دختر فرخنده کوهری ادیبهٔ زمان نادرهٔ
دوران عائشه عصمت خانك فارسی
وترکی دیوانیدر

المحروسه مطبعه سنده طبع اولنمشدر
شوال سنه ١٣١٥

الغلاف الداخلي لديوان عائشة التيمورية الفارسي والتركي

ذات يوم جاءتني المربية نحو المساء بباقة من الورد، فوضعتها في المزهرية، وكان البدر ساطعاً ذلك المساء فجعلت المزهرية أمامي في مواجهة البدر، وبينما أنا جالسة أتأمل دوران القمر المنير أحياناً وأقلب أنظار التفريح وأمعن أفكار التسبيح في لون وعطر الزهور الأخاذة نادتني والدتي، فأودعت الزهور أمانةً عند القمر ومضيت، ولما أجبت الوالدة ما أمرت على وجه السرعة عدت فوجدت باقة ورودي قد تناثرت وتبددت وكأنما

أصابتها لوعة النوى... وبينما أنا واقفة وكفّي على جبيني من الصدمة الأليمة والحيرة الشديدة أعض إصبع الأسف وتدهمني جيوش الحرقة وَجَدَ عندليب قلبي الشفوق في تلك اللحظة فرصته للطيران، فرحتُ ارتجل هذا الشعر خطاباً إلى القمر بلسان عذب البيان:

" ألا أيها القمر المنير تبددت أزهاري

أودعتك إياها لتحرسها فأذبلتها

فياله من كي ذلك الكي كأنه الجمر

وما أرى الآن؟ باقةً محزونةً "

ويضم الديوان التركي لعائشة التيمورية أشعاراً ترد على النحو التالي: قصيدة في المناجاة، نظيرة في التصوف، قصيدة كتبتها بمناسبة جلوس السلطان عبد الحميد، قصيدة في الغازي أحمد مختار باشا، مناجاة، قصيدة في الفخر، قصيدة خيالية، قصيدة في الوقت والحال، قصيدة في الشكر على الشفاء من الرمد، قصيدة في الحكمة، قصيدة، قصيدة ملمعة، قصيدة خمرية، غزليات (٥٣ غزلاً)، عريضة منظومة، تواريخ، تركيب بند (٢)، أغنيتان في شكل تركيب بند، مسدس، أغنية في شكل المسدس، أغنيات مخمسة (١١)، أغنيتان مربعتان، غزل بالفارسية والتركية والعربية، قطعة نظمت لكي توضع بالتطريز على عباءة، تسع قطع، بيتان مفردان، تقريض بالتركية كتبه الدكتور ميرزا محمد مهدي بك قنصل إيران في القاهرة في نهاية الديوان.

وتفخر السيدة عائشة عصمت بمكانتها الشعرية على عادة الشعراء الكبار في قصيدة تحمل عنوان (قصيدة فخرية)، فتقول:

ها أنا عصمت صفية الذات، الدر والمرجان سماطي

أسلوب قلمي في النظم بَعْثٌ جديد لأرباب الفصاحة

الياقوتة الشفافة لضياء أفكاري وأنوارها

هي المشكاة المضيئة تسطع خلف ستائر العفة

ومنطقي بزبدته وعقيده لوشُبّه برحيق القديسين

فهو جدير لأنه خمر الرضوان المصفى في طاس الفلك

وتتحدث الشاعرة في نفس القصيدة عن ليلى هانم وفطنت هانم من شهيرات الشواعر التركيات، وكأنما تباهي بنفسها أمام أرباب القول من عرب وأتراك، فتقول:

وحتى لو نالت فطنت وليلى الفرمان علامة للتفوق

فإن مداد الحُسن في قولي وتقريضي عنوان لخاتمة الكلام

فالأعراب أو الأتراك من أسلاف الشعراء

لم ينشئوا الديوان إلاّ لفظاً ولغةً

وتقول: في بيت من قصيدة نظمتها بمناسبة جلوس السلطان عبد الحميد الثاني على سدة العرش:

الفلك يجلس ساجداً لكوكب يوم جلوسه

ما دام ضياء الشمس والقمر ساطعاً على العالم

ثم تقول في البيت الذي خصصته للتأريخ في قصيدتها:

وضعت عصمت جبينها على أعتابه وقالت الرقم المجوهر

مدّت شامة أعلام شوكته الرأس على طاق الأفق

وتقول في بيت آخر من قسم الغزليات:

بنار الفرقة يشتعل في القلب مائة ألف مصباح

فابتعد يا جليس روض العزة عن ناره الموقدة

ونلاحظ في أشعارها الحِكْمية محاكاةً لأسلوب الشاعر التركي ضيا باشا، إذ تقول في أحد الأبيات:

ما عسى الجاهل أن يعلم عن الرقة والود أيها الظريف

فهل يمكن أن تشرح للأعمى بدع ألوان الورود

وينقل لنا عمر رضا طوغرول الذي عُرف في شبابه باسم عمر رضا المصري السطور التالية ليؤكد بها أن السيدة عائشة عصمت هانم كانت – إلى جانب شاعريتها – شخصية مفكرة تمتلك حساً "وطنياً إسلامياً"، وعبرت عن فكرها في ذلك الاتجاه(٧):

"إن الذي لا ينجذب للعظمة الإلهية ويحرم إيمانه من ذلك النور، فإن قدسية الوطن والأمة عاجزة عن إضاءته. فالقلب الذي لا يشتعل بحب الله ولا يعمر به لا يستطيع أبداً أن يرى قدرة الله وآثار رحمته، أو يشعر بها. إن إنساناً متوحشاً ذا قلب من مثل ذلك إنما هو خائن للدين وخائن للأمة وخائن للوطن. نعم إن الوطنية توأم الدين. والأصح أن تكون الوطنية هي الدين، ويكون الدين هو وطنيتنا. لأن الذي يسمو بنا من البهيمية إلى الإنسانية، ومن الظلمة إلى النور، ومن التفرد والتمرد إلى الجماعية والأنسية، ومن التوحش إلى المدنية هو ديننا..".

أما الشخصية الثانية التي نتناولها هنا فهي واحدة ممن نشأن في السراي المصري ولها ديوان مطبوع، وهي الزوجة الثالثة للخديوي إسماعيل باشا التي عُرفت باسم

(٧) انظر: Mısırlı Ömer Rıza[Doğrul], "Te'ârüf-i İslâm: Mısır'ın Büyük Şairi Aişe," *Sebilü'r-reşâd*, XIII / 325 (1333/1330), s.101.



السيدة چشم آفت هانم

چشم آفت هانم (ت. ١٩٠٧م) [٨]. ولا نعرف الكثير عن أصلها، إلاّ أن المفهوم من شعرها أنها من الجواري اللائي نشأن في السراي، وأنها استطاعت بفضل تشجيع الخديوي لها أن تنكب على القراءة والمطالعة حتى بلغت درجة تمكنها من كتابة الشعر التركي. وبالنظر إلى رواية أحمد شفيق باشا فإن چشم آفت هانم قد حظيت بالمنزلة الرفيعة عند الخديوي، ولكنها لم ترزق بمولود منه، ولهذا تبنت طفلةً باسم (فائقة). ويبدو من المعلومات القليلة عنها أنها كانت تعنى كثيراً بالفنون والأدب والثقافة، وقامت داخل السراي في القسم المخصص لها بتشكيل فرقة موسيقية غنائية من النساء، وهي التي

(٨) چشم آفت اسم فارسي بمعنى العيون الفاتنة.

فتحت – إلى جانب ذلك – أول مدرسة للإناث في مصر كما أشرنا في فصل المؤسسات التعليمية.

ويتبين من المقدمة النثرية التي تصدرت ديوانها التركي المطبوع في مصر عام ١٣١٥ [١٨٩٧ – ٩٨] تحت عنوان (لوحه" دل) أي لوح الفؤاد، وكذلك من الأبيات العربية والفارسية التي احتوتها تلك المقدمة أنها كانت تعرف الألسنة الثلاثة كما هو التقليد عند مثقفي العثمانيين. وقد ذكرت في تلك المقدمة أن زوجها الخديوي إسماعيل هو الذي دفعها إلى الدرس والتحصيل، وشجعها على الأنشغال بالأدب، فتقول:

".. كنت قد ملكت نصاب العلوم والفنون تحت جناحه الذي هو مستلزم الفَلاَح، وسلكت معه سبيل الأدب فهو نعم الرفيق".

ويُفهم بجلاء من ذلك المدخل ومن الأشعار التي احتواها الديوان أن السيدة چشم آفت هانم كانت تمتلك ثقافة واسعة في الدين والتاريخ والأدب، وأنها نظمت هذا الديوان تخليداً لذكرى زوجها بعد أن عُزل ومات بعد ذلك فترملت وهي في سن الشباب. فتقول معبرة عن ذلك:

".. جرياً على آثار القدماء، وشكراً وثناءً لمن أظلني بظل دولته، فقد قمت بنظم بعض الأشعار المتواضعة ورتبتها في هذه الجريدة تخليداً لاسم العزيز الذي هو ولي نعمتي وسبب دولتي، فجعلتها ذكرى على الأيام، وهديةً مني لأبناء الزمان، وهي (لوحة الفؤاد) أحياناً و (نوحة القلب) أحياناً أخرى".

ويقع ذلك الديوان في ٢٣٣ صحيفة، وترد الأشعار فيه على النحو التالي:

"افتتاح الكلام.. (منظومة تتحدث فيها عن زوجها وعن كيفية كتابتها للشعر ووفاة زوجها)، تخميس في تاريخ وفاة إسماعيل باشا، رؤيا صادقة (على شكل المثنوي تتحدث عن رؤيتها لزوجها في المنام وتقول إنه هو الذي بَشّرها في المنام بأنها سوف تصبح شاعرة)، خيال شاعري (على شكل المثنوي)، قصيدتان مسدستان، وداع للدنيا الفانية، نشيد مفعم بالأسى، فرحة شاعرية، منظومة كتبت في قالب القطعة(٩)، رحلتان، مخمس،

(٩) منظومة لا تقل عن بيتين، والغالب أن يكون الشطران الأول والثالث بغير قافية، بينما يكون الشطران الثاني والرابع بقافية. وهي تستخدم في المعاني الحكمية كما تستخدم في الهزل والهجاء.

غزليات (نحو ١٢٠ غزلاً وبيت واحد مفرد)، تمام لوحة الفؤاد ونهاية نوحة القلب، الخاتمة.

وتكثر الأقوال الحكيمة في شعر السيدة چشم آفت هانم، ومع ذلك تبدو الصبغة الغنائية على أشعارها، وخاصة في معاني الحب والمديح أو الرثاء التي كتبتها في زوجها الخديوي إسماعيل. وتمثل الأبيات التالية أجمل النماذج على شعرها الحكمي، إذ تقول:

لو أن هذه الدنيا الفانية كانت قديمة مادةً
لخربتها في كل مرة زفرات قلب محزون

وليس ببعيد لقصر بلقيس وقصر سليمان
أن تهدمهما نملة ضعيفة أو أخرى هزيلة

والشاعرة كما نرى من معانيها السابقة قد سارت بديوانها في اتجاهين، أحدهما حمل اسم (نوحة الفؤاد)، أوردت فيه أشعارها الحزينة التي بثت فيها لوعة الأسى بعد وفاة زوجها، وثانيهما حمل اسم (لوحة الفؤاد)، ضمنته أشعارها الغنائية التي تفرح القلب كما هو مذكور في التقريض الذي ينتهي به الديوان. والأبيات التالية من غزل يحمل عنوان (نوحة):

وآ أسفاه قد افترقت عن سيدي الرقيق
عن خاطف قلبي ومسكن فؤادي المتيم فيه

ما ذا عساي أن أفعل لضبط العقول العشرة(١٠)
فقد افترقت عن حبيب يعدم النظير

يا چشم آفت لقد أصابتني عين الزمن
فقد انفصلت فجأة عن عطري وبخوري

أما الأبيات التالية فهي من غزل يحمل عنوان (لوحة):

---

(١٠) المراتب العشر للعقل حسب ترتيب أرسطو.

مفتونة روحي بإسماعيل وقلبي متيم
فانظروا ليلى، كأنها صارت مجنونة إسماعيل
وتأملوا جيداً الدمع الذي سكبتُه من عيني
مع فراق الذبيح فكأن العيون الفاتنة (چشم آفت) هي دم إسماعيل

وللشاعرة چشم آفت غزل كتبته تحت عنوان (لوحة القلب) في قافية حرف الواو، جعلته نظيرة من نفس الوزن والقافية لنعتٍ كتبه فضولي من شعراء القرن السادس عشر وذاعت شهرته تحت اسم (قصيدة الماء). وها نحن نقدمه كاملاً هنا لعل دارسي الأدب يجدون فيه ما قد يفيدهم (ص ١٥٩ – ١٦٠):

أيها العين كفاك دمعاً تقدمينه ماءً لورد الخد دوماً
فالماء في غير موعده ضررٌ وتدمير لحديقة الورد
ذات سحر دخلتُ حديقة الورد فرأيت في كل طرف
الماء شلالاً ينهمر دون توقف مثل دموع عيني
أعطني شربة ماء حتى تنطفئ نار الهجر في قلبي
لأن الماء وحده هو الذي يطفئ شرار النار
عيناي سيل ينهمر بماء حار ملتهب
سكبت الماء في كل عين من عيون الرماد المشتعل
قد أحرق الخريف ثانية ساحة روض آمالي
فيخيل إليك أن الماء صار قطرات من لهيب
فحذار أن يخدعك الأمل في عودة الحبيب
حتى لو نزل على عين الدنيا ماءٌ أسود (رمد)
البستاني الآن يخالف قانون الطبيعة
إذ يصب الماء على الشوك بينما الورد عطشان
لا تسكبي الدمع يا عيني على قلبي المجروح هذا
إنه مثل قديم قيل " لا يصلح الماء لكل جرح "

ما من إبريق أو جرة ماء إلاّ وتحطمت

فاضرب الرأس من حجر لآخر وابحث عن الماء

أصبحت كلتا عيناي مجرى دم إلى قلبي

وعلى هذا النحو قدمت أنا الماء إلى الحبيب العطشان

آه يا چشم آفت من دموع العين قدمتها بيداي

قدمت الماء إلى مريض يحتضر إلى إسماعيل العظيم

ومما يلفت الأنظار في شعر چشم آفت هانم التي عاشت في كنف السراي افتخارها بشاعريتها، إذ ترى في أحد الأبيات نفسها على درجة واحدة مع الشاعر الكبير فضولي(ت ١٥٥٦م):

أخرج لنا الدهر من النساء واحدة بمرتبة "فضولي"

لا ، كيف للدهر أن يرعاها، فقد رعاها الحبيب

وفي بيت مفرد آخر تقول:

وهب فضولي بغداد الطلاوة

ومنحتُ أنا مصر الحلاوة سُكّراً

وترى نفسها – في موضع آخر – أعلى شأناً وأرفع درجة من شاعرات شهيرات عند العثمانيين مثل ليلى هانم وفطنت هانم، فتقول:

كلامي لا يشبه أبداً شعر ليلى وفطنت

وهل تتساوى لغة القرآن بالانجيل

ويحتوي الديوان في نهايته تقريضاً لعل شخصاً آخر كتبه، وخاتمة جاء في سطورها الأخيرة عبارة تقول (أشك قلم چشم آفت) أي دمعات قلم چشم آفت، وهي بحساب الجمل تدل على تاريخ الانتهاء من الديوان (١٣١٥)، وسُجِّلت تحته عبارة: ٢٠ ذو الحجة، وهو يقابل التاريخ الميلادي ١٨ مايو ١٨٩٨.

أما الأديبة البارزة الثانية من العائلة المالكة المصرية فهي الأميرة قدرية حسين (١٨٨٨ – ١٩٥٥م) ابنة السلطان حسين كامل (١٩١٤ – ١٩١٧م) ابن الخديوي إسماعيل. وقد ولدت

الأميرة قدرية في القاهرة، ووالدتها هي الزوجة الثانية للأمير حسين كامل باشا التي عُرفت أكثر بالسلطانة ملك. وتزوجت قدرية في عام ١٩١٩م بمحمد جمال الدين سري بك، لكن الزواج لم يدم طويلاً، فعادت وتزوجت عام ١٩٢١م في حي أميرگان باستانبول بمحمود خيري باشا (توفي في القاهرة ١٩٥٧م)، ورزقت منه بابنها محمود حسين خيري وابنتها سميرة. ونحن لا نعلم الكثير عن حياتها التعليمية، ولكن يبدو من أعمالها أنها كانت تعرف التركية والعربية والفرنسية بصورة جيدة، وكانت سيدة ذات شخصية قوية.

وقد أمكننا خلال هذه الدراسة أن نتحقق من وجود خمسة كتب لها بالتركية مطبوعة في القاهرة خلال سنوات ١٩٠٩ – ١٩١٥م. وقد كتبت تلك الكتب الخمسة بنثر أدبي، وحملت عناوين: محاسن الحياة، وتموجات الأفكار، وما في جعبتي، وليلة مهمة، ومخدرات الإسلام. وقد عبرت الأميرة فيها بلسان تركي سلس وأسلوب أدبي رائق عن أفكارها ودقائق عالمها العاطفي، وكشفت فيها عن مشاعرها الدينية والوطنية. وفي كتابها مخدرات الإسلام (بمعنى ربات الخدور) الذي طبع عام ١٩١٣م وتحدثت فيه عن أربع سيدات مشهورات في تاريخ الإسلام هن: السيدة خديجة والسيدة عائشة (ر. ع) والعباسة ابنة الخليفة المهدي العباسي وشجرة الدر حاكمة مصر، فذكرت الأميرة في مدخل الكتاب كلمات تكشف عن اتجاهها الفكري، وتهدي للتعرف على آرائها التي جاءت تحت عنوان (حسبحال) أي حديث سمر، فقالت:

"حيثما كانت أرض المسلمين فهي وطننا الديني، والعَلَم الأحمر ذو الهلال والنجمة هو علَمنا. ولنا ماضٍ من أربعة عشر قرناً، وتاريخ حافل بالوقائع والأحداث المهمة. وقد عشنا حضارة تضارع حضارة روما، ونعمنا بالثراء والرفاه بين حين وآخر. وكانت شمس المعارف تشرق من شرقنا، وبنور العلم تسلحنا ورأينا العالم من حولنا. وكنا ندرك ما نحن فيه من رفعة ومجد، فيا لها من غبطة!

ولم نغنم فرصة الزمن، فلا نحن ثبتنا على اتجاه، ولا تمسكنا بالإحاطة بالعلوم، فوآ أسفاه!

فلما أشرقت شمس المعارف من الغرب قامت الدنيا على رؤوسنا، وصرنا في ظلام، وعجزنا عن رؤية ماضينا حتى كدنا ننسى أمجادنا. فيا أسفي!" (١١).

(١١) انظر: Kadriye Hüseyin, *Muhadderât-ı İslâm*, c. I, Mısır: Maarif M., 1331 [1913], s. 6-7.



الأميرة قدرية حسين

ويبدو أسلوب الأميرة قدرية حسين هنا وهي تتأمل حاضر العالم الإسلامي ولا سيما حال المرأة في زمانها – تعبيراً أكثر عن روح رقيقة ومزاج حسّاس.

وكانت الأميرة تتابع الأدب الغربي عن كثب، واستطاعت في الوقت نفسه أن تنجز عدداً من الترجمات عن ذلك الأدب. ففي المقدمة القصيرة التي كتبتها على مسرحية (ليلة مهمة) التي نشرتها في القاهرة عام ١٩٠٩م للكاتب الروسي ليوپولد كامبوف تقول الأميرة:

".. كان من بين الأعمال الأدبية الغربية التي طالعتها في أوقات فراغي مسرحية من ثلاثة فصول باسم (ليلة مهمة) كتبها الكاتب الروسي ليوپولد كامپوف، ورأيت أنها قد صورت بشكل غاية في الدقة مشاعر الوطنية والحرية والسعادة القومية. فلما اعتقدت أنها سوف تساعد على إلهاب مشاعرنا الوطنية أكثر مما هي عليه في هذه الأيام قمت بنقلها من الفرنسية إلى لغتنا. وأملي أن تكون خدمة مني لقومي، فالخدمة خدمة مهما كانت ضئيلة، أليس كذلك؟"[١٢].

(١٢) انظر: Leopold Kampof, *Mühim bir gece*, mütercim: Kadriye Hüseyin, Mısır: Osmanlı Matbaası, 1909, s. 3.

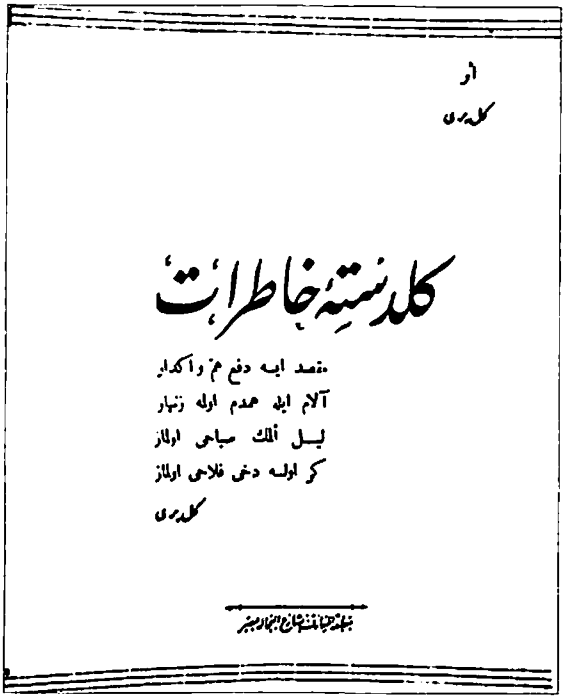
والواضح كما نرى أن قدرية حسين قد اختارت المسرحية بعد أن تشربت المشاعر القومية التي استيقظت مع إعلان المشروطية الثانية (الدستور) سنة ١٩٠٨، وشاركت بذلك فيضان الشعور القومي الذي صحا آنذاك وهي تقول "نقلتها إلى لساننا".

وكانت قدرية حسين قد توجهت إلى تركيا أثناء الكفاح الوطني، وقابلت الزعيم مصطفى كمال باشا (في ١٢ مايو ١٩٢١م)، فسجلت بالفرنسية انطباعاتها أثناء الرحلة خلال شهور ابريل ومايو ويونية من تلك السنة، وتحدثت عن بطولة مصطفى كمال باشا والحرب المقدسة التي يخوضها الشعب التركي، ثم نشرت ذلك في كتاب ظهر في روما في نفس السنة. كما جرت ترجمة ذلك الكتاب إلى التركية فيما بعد، ونُشرت الترجمة تحت عنوان (رسائل من أنقرة المقدسة) (١٣).

ولا شك أن من أطرف الأمثلة على تأصل الثقافة التركية العثمانية في السراي المصري هو ظهور شاعرة من بين الجواري الموجودات في ذلك السراي قادرة على أن تقرض الشعر بالتركية. ومع عدم معرفتنا لأي شئ عن حياة تلك الشاعرة التي عُرفت باسم (گلپري) فإن من الممكن الحصول على بعض المعلومات من ديوانها الشعري. إذ يبدو أنها جارية جركسية نشأت في سراي خوشيار هانم زوجة الوالي إبراهيم باشا، ثم انتقلت بعد ذلك إلى سراي الخديوي إسماعيل باشا. وقد طبعت أشعار السيدة گلپري في ديوان بالقاهرة عُرف باسم (گلدسته' خاطرات) أي باقة ورد الذكريات. ويبدو من أشعارها فيه أنها كانت على علم بأدب الديوان والشعر الشعبي، كما يبدو من الديوان - الذي يقع في ٩٩ صحيفة ولا يحمل تاريخاً للطبع - أنه ربما طُبع بعد وفاة الخديوي إسماعيل باشا (١٨٩٥م)، وقبل وفاة زوجته چشم آفت هانم (١٩٠٧م).

وقد نُظمت أشعار (باقة ورد الذكريات) كلها في بحر الهزج على وزن (مفعول مفاعيلن فعولن)، وجاءت في قالب المثنوي، وإن كان يضم أيضاً غزليات قيلت بنفس الوزن. ويظهر من محتويات الديوان واستخدام وزن واحد فيه أنه لم يجر ترتيبه بعد ذلك، بل على العكس جرى نظمه ليأخذ شكل كتاب.

(١٣) كتاب قدرية حسين بالفرنسية هو *Lettres d'Angora la Sainte*, Roma: Imerimeric Edit rice Italia, 1921. أما للترجمة التركية فانظر: Kadriye Hüseyin, *Mukaddes Ankara'dan mektuplar*, çeviren: Cemile Necmeddin Sahir Sılan, Ankara: Kültür Bakanlığı, 1987.


اثر
كلبرى

كلدستۀ خاطرات

مقصد ايسه دفع غم و اكدار
آلام ايله همدم اوله زنهار
بيل ألك صباحى اولماز
كر اوله دخى فلاحى اولماز
كلبرى

ديوان "كلدسته" خاطرات" بالتركية لسيدة تدعى كلبري هانم

ومما يسترعي الانتباه في الديوان أنه – على الرغم من استفادته من الأرضية الثقافية التي تغذي الأدب التقليدي في الغالب – يضم أقوالاً ومعاني أقرب إلى الأدب الشعبي. بل يمكننا القول إن الشاعرة لم تر بأساً في تضمينه شيئاً من أقوال العوام(١٤). ويلفت النظر في هذا السياق وجود الشكل الأدبي المعروف في الأدب الشعبي التركي باسم نني(١٥) نظمته الشاعرة تحت عنوان (شاعرانه نينى) وعلى شكل الغزل. كما تجدر الإشارة إلى أن الشاعرة كانت من القدرة والمعرفة بالقرآن الكريم وسير الأنبياء بحيث يمكنها تضمين

---

(١٤) يمكن ذكر البيت والشطر التالي مثالاً على ذلك:

آچلدى دله ليكنجى ياره   يوقسه ليشك آكا چاره آره (ص ٦)

---------------   ------------------

لوقصور ديوبده كچمه زنهار   كور قده نه لر نه لر نه لر وار (ص ٥٢)

(١٥) لفظ يتكرر في أواخر أبيات الأغنيات التي تقال للأطفال قبل النوم حتى يناموا، وهو كذلك الاسم الذي يطلق على تلك الأغنيات في الأدب الشعبي التركي.

الآيات القرآنية في أشعارها والإشارة بين الحين والآخر إلى السيرة وتاريخ الأنبياء. واستعانت گلپري بفنون البديع في أشعارها، كما لم تهمل الحكم والأمثال والأقوال المأثورة. ووضعت معاني بعض الكلمات العربية في الهامش بالتركية. والديوان من حيث المحتوى لا يرقى إلى مستوى أدب الديوان، وإن كان يشابهه شكلاً.

وقد قدمت لنا الشاعرة في صدر ديوانها شيئاً عن حياتها، فذكرت أنها كانت جارية اشترتها خوشيار هانم من سوق الرقيق، وصوّرت ذلك بشئ من المبالغة فقالت:

وَزَنوا بدني بميزان الذهب
وإن لم يكن اسمي يوسف الحسن

فقد أخذتني الوالدة باشا
وراحت تتأمل رياض وردي

سيدتي صاحبة الدولة خوشيار
هي قرطي علّقته في أذني العَالَمَيْن

ونراها تتحدث في موضع آخر عن شدة ولائها للسيدة خوشيار هانم، وتعبر عن الوفاء الذي تشعر به تجاهها فتقول:

القول إنها صديقة طيبة (= خوش + يار) أمر يجوز فهي لكل مراتب الكمال تحوز.

أصبحت الوزيرة العليا بين النساء
وصار منشورها زينة على كل تاج

لم يكن لها نظير أو مثيل حاشا
ولم ترها الأعين أو تنظرها

لم نجد تلك الرتبة في تاريخ السلف
فلم تحظ سيدة قبل بالوزارة

وتذكر الشاعرة في الأبيات التي تلي ذلك أن خوشيار هانم هي زوجة إبراهيم باشا، ووالدة إسماعيل باشا، وأنهما بلغا رتبة الوزارة، مما يدل على أن الشاعرة أتمت ديوانها بعد أن نال إسماعيل باشا رتبة الخديوية.

كما يفهم من أشعار الديوان أن السيدة خوشيار هي التي أطلقت اسم (گلپري) على الشاعرة، وأنها بعد دخولها تحت حمايتها راحت تسعى لتحصيل العلم ولم تنجذب إلى الموسيقى والغناء مثل بقية الجواري، وأنها خدمت أهل الكمال وتلقت الدرس على أيدي المعلمين، وتقدمت في "علم الكتابة"، وتمكنت من اللغة العربية واللغة التركية. كما يدل وجود عدد من أشطر الشعر الفارسي بنفس الوزن في أشعارها على أن الشاعرة تعلمت الفارسية أيضاً. وفي هذه الحالة لا نجانب الصواب إذا قلنا إن گلپري نشأت هي الأخرى على التقليد العثماني في تعلم اللغات الثلاث معاً.

ونعلم من أشعارها أيضاً أن السيدة خوشيار هانم مرضت وتوفيت في العشر الأواخر من شهر رمضان سنة ١٣٠٣هـ (٢٣ يونيه – ٢ يولية ١٨٨٦م)، ثم نقلت لنا بعد ذلك كيفية وفاة الخديوي إسماعيل باشا. ونشهد في الصحيفة التالية لذلك مرثية قالتها في وفاته تحت عنوان (صفة الخريف)، أرخت فيها بحساب الجمل لوفاته (٥ رمضان ١٣١٢هـ/ ٢ مارس ١٨٩٥م). فبعد أن تصور الشاعرة موسم الخريف في تلك المرثية تعود فتكشف عن مشاعرها الطيبة تجاه إسماعيل باشا، فتقول:

صعدت روح الخديوي إلى الرفيق الأعلى
فكأنما زوال الشمس بلغ حده
جديراً بالحق سبحانه كان هو
لأنه رجل الكرم والجود

وبعد أن فقدت گلپري من كانا يحميانها واحداً تلو الآخر أخذتها چشم آفت هانم في كنفها، فكانت گلپري نديمتها. وتذكر في شعرها أنها كانت ترعاها وتحميها، فكانت گلپري تمدحها من كل الوجوه، وتشير بين الحين والآخر إلى شخصيتها الأدبية:

هكذا أخذتني في حمايتها
ورعت لي كل حقوقي

وهي الأديبة العالية القدر

بل الفريدة بين من ظهروا

فاحفظها اللهم من عيون السوء

واحفظ شعري أيضاً من عين الحسود

واستخدمت گلبري الألفاظ الأوربية في أشعارها، مثل فابريقة والكتريك ووابور، كما صاغت صوراً اجتماعية متعددة من ثقافة التسلية والترويح إلى الزي واللباس، وتحدثت عن عناصر محلية في مصر، وأوردت اسم العرب كثيراً. والواضح أنها خصصت الجزء الأكبر من ديوانها للرحلة التي قمن بها في صعيد مصر، ووضعت صوراً مفصلة لما شاهدته أثناء تلك الرحلة التي كانت تضم السيدة چشم آفت هانم، ونقلت إلينا أحداثها وطُرَفها. فتقول عندما اضطررن إلى ركوب الحمير ورآهن بعض أهل الصعيد فسألوهن:

"ما رأينا أمثالكن من قبل قط

هل أنتن قادمات من انكلترا"

ثم تروي كيف اعتقد واحد من أهل الصعيد أنهن من الانجليز وبادرهن بالحديث بالانجليزية:

"فاستخدم اللسان الانجليزي

وراح يمدح مجد الانجليز

فجاءت تلك الكلمات ثقيلة علينا

ولكن ما الحيلة فالزمن عجيب"

ويظهر من تلك الأشعار أن صاحبتها تتمتع بحسٍ وطني إسلامي، وتكشف بوضوح عن امتعاضها تجاه الانجليز الذين كانوا يحتلون مصر آنذاك. وعبرت بكلماتها عن مدى القوة والرهبة في شلال النيل في جنوب مصر، وعن الرقة والجمال في نهري كاغدخانة وگوكصو في استانبول، مما يدل على أنها كانت تتردد على تلك المدينة مع أفراد العائلة المالكة المصرية، وخبرت أماكن النزهة فيها. كما يُفهم من أشعارها أنها زارت أوربا أيضاً مع سيدتها.

وتبدي الشاعرة تواضعها عندما تنهي الديوان بمنظومة في الاعتذار، وتقول إنه يكفيها ذلك من القدرة الشعرية باعتبار أنها امرأة:

إن لم يكن جديراً بالاستحسان

فمثل هذا يصدر عن قلم امرأة

وإلاّ فالشهامة أن تصححه شعراً

واكشف مرامك دون تعريض

وهذه المنزلة الشعرية تكفي المرأة

حتى وإن لم تحظ بالتقدير

وهذا الديوان من الشاعرة گلبري – التي رأينا أنها قد تكون چركسية الأصل مثل خوشيار هانم – وإن لم يُعد في الدرجة الأولى بين دواوين الشعر إلاّ أنه يحتل مكانة خاصة، من حيث أنه يدلنا على مدى تشربها للغة التركية والثقافة العثمانية اللتين تعلمتهما في السراي المصري حتى كتبت ديواناً بهذا الحجم، كما يدل على مدى تأصل الثقافة التركية العثمانية في سراي القاهرة.

ثالثاً
الأتراك في الإدارة المصرية واللغة التركية لغةً للإدارة

لقد نشأ محمد علي باشا على معرفة اللغة التركية وحدها، ولم يكن يعرف لغة غيرها حتى تكون لغةً للجهاز المركزي الذي أقامه وأداره بنفسه. فمنذ اليوم الذي حصل فيه رسمياً على منصب الولاية عام ١٨٠٥م كان يدير بشكل مباشر مع رجاله المقربين دفة الحكم في ولاية مصر واستمر على هذا النهج بعد إنشائه الإدارة المركزية القوية والجيش النظامي الحديث حتى يحقق بهما أهدافه السياسية. وكان لا بد لنظرته في الإدارة ومعاييرها أيضاً أن تكون متفقة مع التقاليد العثمانية التي نشأ عليها هو ورجاله. غير أن هذا البناء الإداري الذي أنشأه كان يختلف عن الطرز الإداري العثماني التقليدي، وتطور بشكل يشبه في الأغلب شكل الإدارة العثمانية فيما بعد التنظيمات. ولأجل هذا أيضاً كان من الضروري إقامة اتصالات مكثفة مع الأهالي المحليين على اعتبار أن ذلك من مقتضيات مشروعات التحديث الجارية في مجالات الزراعة والتعمير والصناعة مثلما هو الحال في مجالي التعليم المدني والعسكري. لذا كان من الضروري إنشاء جهاز إداري محلي يتسع بشكل هرمي تحت إمرة الإداريين من الطبقة العليا القادرين على تنفيذ تلك المشروعات.

وفي بادئ الأمر كان الجهاز الإداري القوي الذي شكله محمد علي باشا فيما حوله يتشكل في كل أعضائه تقريباً من المتحدثين باللغة التركية. ولكن مع مرور الوقت كانت الضرورة تقضي باتساع الجيش والجهاز الإداري، و كان ذلك ممكناً باشتراك الطلاب الدارسين من الأهالي ممن يتحدثون العربية. ولهذا السبب أيضاً كانت هناك ضرورة من الناحية الإدارية في ازدواج لغة الجهاز الإداري. فقد كانت آلية القرار تتشكل باستمرار باللغة التركية، أما عند مرحلة التنفيذ فالتعليمات الصادرة من القمة يجري إعدادها بالتركية، ثم تترجم إلى اللغة العربية حتى يتيسر تطبيقها ومخاطبتها لجموع الأهالي.

وهذا الازدواج في الهيكل البيروقراطي كان يتجسد في وجود إدارتين باسم "القلم التركي" و"القلم العربي"، والواضح من هذا التركيب أن القلم التركي كان يتقدم القلم العربي في المكانة

والأهمية، لأن الأوامر والتعليمات الصادرة عن محمد علي باشا مصدر السلطة واللازم تبليغها إلى الجهات المعنية بعد نزول درجاتها بحسب التدرج الهرمي كانت تكتب باللغة التركية، ثم تأتي عند حلقات معينة من تلك السلسلة فتجري ترجمتها إلى العربية. وقد تنعكس الصورة، عندما يجري إعداد أوراق رسمية وتقارير من موظفين على درجات مختلفة في الجهاز الإداري، إذ كانت تقدم في النهاية باللغة التركية حتى تعرض على الوالي. والأبعد من ذلك أن الحلقات الصغيرة المتوالية من تلك السلسلة التي تبدأ بسراي الوالي في القاهرة كانت تنزل إلى القرى والنجوع المختلفة، بينما كانت الحلقات الكبرى العليا تصل إلى الباب العالي في استانبول. كما أن محمد علي باشا كان حريصاً على وصول أوامره في آن واحد إلى المتحدثين بالتركية (أولاد الترك)، والمتحدثين باللغة العربية (أولاد العرب)، على السواء، أي باللغة التي يعرفها كل منهما، وكان يحقق ذلك بنجاح داخل الجهاز البيروقراطي الذي أقامه. وهناك تعليمات بالتركية مؤرخة في ١٨٣٣م أرسلها محمد علي باشا إلى بوغوص بك[١]، وهي تشكل نموذجاً واضحاً على حساسية الباشا في هذا الموضوع[٢].

ولم يكن محمد علي يعرف العربية (على الأقل في البداية)، ولهذا كان يصدر أوامره وتعليماته باللغة التركية، ثم يأمر بكتابتها باللغتين. وفي الأجواء التي يُتحدث فيها بالعربية والتركية بشكل منفصل كانت الأوامر والتعليمات واللوائح والنظم وغيرها من الوثائق البيروقراطية المكتوبة بالتركية تترجم إلى اللغة العربية.

(١) هو يوسف بوغوص، وقد استوطن مدينة رشيد بعد وفاة والده، فلما دخل الفرنسيون مصر فر هو إلى إزمير غرب الأناضول، ثم لم يلبث أن عاد عقب جلائهم. ولأنه أنفق بإسراف في أموال محمد علي فقد حكم عليه بالموت، لكنه كان قد قدم بعض الخدمات للجلاد المكلف بتنفيذ الحكم فتباطأ في تنفيذ الحكم فيه. وبعد عدة أيام علم الجلاد أن الباشا قد شعر بالندم لحكم الإعدام الذي أصدره على بوغوص، فقام بدعوته للمثول أمام الباشا، فطلب العفو منه واستجاب له الباشا. ومنذ ذلك اليوم لم يفترق بوغوص عنه يوماً، فكان يترجم له ويتولى شئون التجارة والشئون الخارجية. وظل على ذلك حتى قال محمد علي باشا "إن بوغوص هو الشخص الوحيد الذي أثق فيه تماماً". وبسبب هذه الثقة حاز بوغوص صاحب نفوذاً قوياً وأصبح مسموع الكلمة. ولما توفي سنة ١٨٤٤م أقيمت له جنازة رسمية.

(٢) حول الوثيقة المتضمنة للتعليمات المرسلة إلى بوغوص بك في ٢٢ ربيع الأول ١٢٤٩هـ (٩ أغسطس ١٨٣٣م) والمطلوب تبليغها إلى الطلاب الموفدين للدراسة في باريس تحت إشراف الدكتور كلوت بك بضرورة أن يقوم هؤلاء "بتسجيل ما درسوه وما تعلموه في الطب الحديث وترجمته أولاً بأول" وأن تكون الكتابة إلى أولاد العرب بالعربي وأولاد الترك بالتركي، انظر: أمين سامي باشا، تقويم النيل، جـ٢ ، ص ٤١٤.

ونلاحظ في بعض الوثائق الخاصة بذلك العصر استخدام اللغتين معاً في موضع واحد، ففي أمر مكتوب بالتركية مثلاً كانت تسجل نتيجة المعاملة على الحواشي باللغة العربية[٣]. ومن أبرز الأمثلة على استخدام اللغتين في موضع واحد جريدة الوقائع المصرية. فقد كانت تنشر القرارات الصادرة من الدرجة الأولى عن الوالي والجهاز الإداري وأخبارهما، وكانت سياستها اللغوية قد بدأت بالجمع بين اللغتين العربية والتركية، ولكن مع مرور الوقت مالت كفة الميزان لصالح اللغة العربية[٤].

ومثلما استخدمت اللغة التركية كلغة للإدارة من قبل فئة الإدارة العليا والجهاز الإداري المركزي ذي القاعدة العريضة الذي يعمل تحت إمرتها فقد قضت الضرورة استخدام اللغة التركية أيضاً لأجل المكاتبات التي تنوعت أشكالها وأغراضها مع استانبول. وإلى جانب ذلك كانت العربية بمثابة اللغة الرسمية الثانية للإدارات المحلية المؤتمرة بأوامر السلطة المركزية. وفي هذا النظام المزدوج اللغة كانت المكانة العالية للغة التركية التي هي اللغة الفعلية لحكام البلاد منذ عهد طويل. أضف إلى ذلك أن اللغة العربية التي يستخدمها عامة الأهالي كانت قد أخذت تتأثر – كما سنوضح فيما بعد – باللغة التركية لغة المكاتبات والديوان.

وكان استخدام اللغتين معاً بشكل رسمي قد أدى مع مرور الوقت إلى تأثر إحداهما بالأخرى، فانتقلت بينهما بأعداد كبيرة كلماتٌ وتعابير ومصطلحات تعبر عن معاني شتى. وهكذا فإن الألفاظ والتعابير التي تعبر عن معاني ومفاهيم خاصة قد اكتسبت دلالات جديدة لم تكن موجودة من قبل في معاجمها. ولسوف نتناول هذا الموضوع الهام مرة أخرى في نهاية هذا القسم؛ وهو موضوع يجب على اللغويين الوقوف عنده بدقة، إذ يشكل مجالاً لدراسة مقارنة.

ولم يكن سهلاً في نظام إداري مزدوج اللغة تنشئة الرجال القادرين على العمل فيه، فقد كان من اللازم تعليم التركية للمتحدثين بالعربية، وتعليم العربية للمتحدثين بالتركية. ولتحقيق ذلك كان لا بد من تعليم الإداريين من الفئة العالية اللغة العربية بلهجتها العامية (إذ المفروض أن بعضهم كان يعرف العربية الفصيحة بحكم نشأتهم على التقاليد العثمانية المعروفة) وكذلك تعليم الكتبة المصريين العاملين في الدواوين المختلفة اللغة التركية. وكان

---

(٣) للاطلاع على النماذج المنقولة من أرشيف سراي عابدين انظر: عبد السميع سالم الهراوي، لغة الإدارة العامة في مصر في القرن التاسع عشر، القاهرة ١٩٦٢، ص ١٤٩ – ١٥٠.

(٤) لمزيد من المعلومات حول جريدة تقويم الوقائع المصرية انظر فصل "الصحف والجرائد التركية الصادرة في مصر" من هذا الكتاب.

يأتي على رأس القرارات المختلفة التي أصدرها مجلس المشورة (الذي أسسه محمد علي باشا تحت رئاسة ابنه إبراهيم باشا والذي سوف نتناوله مرة أخرى فيما يلي) في الموضوعات المتعلقة بالإدارة والتعليم والقضاء والإعمار وغيره تنشئة صغار الموظفين من هذه النوعية. وتبين من جريدة الوقايع المصرية التي كانت تنشر القرارات التي تصدر عن اجتماعات مجلس المشورة أن تعليم اللغتين لكتبة الدواوين كان يتصدر قرارات ذلك المجلس(٥). ولكننا لا نملك معلومات حول الكيفية التي تمكنت بها الإدارة المركزية من تنفيذ ذلك القرار في موضوع تنشئة طاقة بشرية تعرف التركية والعربية ويكون أغلب أفرادها بالطبع من أهالي البلاد حتى تتمكن من حكمها وتنفيذ مشاريع التحديث التي فكرت فيها.

ونظراً لعدم وجود دراسة شاملة تتناول تاريخ البيروقراطية المصرية من جوانبها المختلفة فإننا سوف نحاول هنا إيضاح ملامح التطور التي عاشتها اللغة التركية كلغة إدارة في مصر على ضوء تطور العلاقات السياسية العثمانية – المصرية ومن خلال تقييم المعلومات والإشارات التي أتاحها لنا نحو ٣٥ نصاً أمكننا التحقق من أنها طبعت حول هذا الموضوع بين سنوات ١٨٢٢ و ١٨٨٥م.

ويبدو من حركة التحديث –التي بدأها محمد علي باشا في النظام الإداري وكان محورها الجيش الحديث الذي أقامه– أنها كانت تتضمن إنشاء مجالس استشارية. وكانت أول محاولة في ذلك قد وقعت في سراي الوالي عندما أمر باختيار بعض ذوي العقل والرشد من خدامه والموظفين العاملين في معيته، وتشكلت منهم المجالس الاستشارية التي عرفت بأسماء مثل مجلس المذاكرة ومجلس دانش ومجلس مشورت أو مجلس شورى، وتم لاجتماع هؤلاء الرجال في أوقات معينة تخصيص مكان في قصر الولاية الموجود داخل القلعة(٦).

وهناك لائحة نشرت مع مضابط أول مجلس عقدت اجتماعاته عام ١٨٢٥-١٨٢٦م، وكانت بمثابة لائحة لتلك الاجتماعات الاستشارية في عام ١٨٢٨م، وجاءت تحت عنوان

---

(٥) لأجل مجلس المشورة والقرارات التي اتخذها انظر: عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، القاهرة دار المعارف ١٩٨٢، ص ٥١٦ – ٥٢٢.

(٦) سوف نذكر هذا المجلس الذي ورد بأشكال مختلفة تحت اسم "المجلس الاستشاري".

"لائحة الشرائط المعتبرة لمجلس الشورى الداوري"[٧]. وهذا يدلنا على أن المجلس أنشئ أو بدأ نشاطه في عام ١٨٢٥م. وتقول اللائحة إن مصادر الموضوعات التي تجري مناقشتها والتداول حولها في جلساته ثلاثة: أولها أوامر الوالي، وثانيها الطلبات المقدمة من الكتخدا والنظار وسائر الموظفين الآخرين، وثالثها طلبات أرباب المصالح. أما الطريقة التي يجري بها عمل المجلس فهي أن تُسلَّم التقارير والعرضحالات العربية والتركية إلى كاتب المجلس، ويجتمع الأعضاء في غرفة المجلس صباح اليوم المحدد للاجتماع، ثم يبدأون في مناقشة الأمور المطروحة بالأهم منها. وتؤخذ الآراء في المناقشة المتعلقة بالتقرير المقروء ابتداءً بالشخص الذي له دراية بذلك الموضوع. وقبل إعلان القرارات التي تم التوصل إليها بناءً على الأدلة والبراهين العقلية يتم صياغتها في تقرير يقوم كاتب المجلس به ثم تعرض على الوالي. وبعد موافقته عليها تدخل حيز التنفيذ. والموضوع الذي تجري مناقشته في يومٍ لا يجري ترحيله إلى اليوم التالي، فإذا كان الاجتماع قد بدأ صباحاً ولم تكتمل مناقشة الموضوع المطروح حتى الظهر يجري تناول الطعام لساعة، ثم يتصل الاجتماع حتى تنتهي المناقشات، بل وقد يستمر إذا دعت الحاجة حتى المساء.

ويتبين من هذا أن القرارات التي تم التوصل إليها حول الموضوعات المطروحة في ذلك المجلس الاستشاري إنما تحمل صفة توصيات. ويلاحظ في المضابط أن القرارات الخاصة بالعرضحالات العربية المقدمة للمناقشة في المجلس كانت تكتب بالتركية.

وأول مضابط طبعت لهذا المجلس كانت تحت عنوان "زبدهء مذاكرهء أرباب دانش حضرت داور مصر" وهي تبدأ بمضبطة الاجتماع الذي انعقد يوم التاسع ذي القعدة ١٢٤٠هـ (٢٥ يونية ١٨٢٥م)، ثم تنتهي بمضبطة الاجتماع الذي انعقد في آخر ذي الحجة ١٢٤١هـ (٤ أغسطس ١٨٢٦م). ويحتوي الكتاب على أربعة مضابط لعام ١٢٤٠، و ١٦٦ مضبطة لعام ١٢٤١. ويبدو من ذلك النص التركي المتاح في أيدينا أن المجلس اجتمع ١٠٣ مرات على مدى عام ١٢٤١هـ[٨].

---

(٧) النص الذي يحتوي القرارات الصادرة عن مجلس المشورة في عامي ١٢٤٠ – ١٢٤١، قد تم طبعه في بولاق بتاريخ الأول من جمادى الأولى تحت اسم (زبدهٔ مذاكرهٔ ارباب دانش حضرت داور مصر). أما بالنسبة للنصوص الخاصة لعام ١٢٤٠ – ١٢٤١/ ١٨٢٥ فالجدير بالذكر أنها طبعت متأخرة في سنة ١٢٤٤/ ١٨٢٨.

(٨) من الملاحظ إن أكثر اجتماعات المجلس كانت في شهر ذي القعدة سنة ١٢٤١ (يونيه/ يوليو ١٨٢٦) فقد اجتمع المجلس سبعة عشر يوماً وأصدر قراراته في أربع وعشرين مسألة.

وبعد تلك المضابط التي يبدو أنها خاصة بالسنة الأولى التي تشكل فيها المجلس استطعنا الحصول على مضابط المجلس الثاني، وهي خاصة بسنة ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٨م(٩). وبالنظر إلى تلك المضابط المطبوعة خلال نفس السنة يتبين لنا أن المجلس في ذلك التاريخ كان تحت رئاسة أحمد باشا، وأن هناك موظفين متعددين من المركز وخارجه شاركوا هذه المرة في اجتماعات المجلس.



زبدهٔ مذاكرهٔ ارباب دانش حضرت داور مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * والصلوة على نبيه خير المرسلين * واله اجمعين * وبعد اقدم وكلاى دولت عليه * واعاظم وزراى سلطنت سنيه اولان * خديو مكارم ارا داورامد ناولى نعمت بيمنت دولتلو عنايتلو همتلو غازى الحاج محمد على پاشا * وفقه الله مايروم ومايشا * افندمز حضرتلرينك * همت بلند * واندیشهٔ فلاطون پسندلرى * اركان دين ودولت محمديه يى تأكيد * وبنيان ملك وملت اسلاميه يى تشييد ايله * دشمن دين دوزخقرينك اخذ ثار وانتقامه اسباب اقوى اولان * جهاديه عساكر منصوره سنك تجهيز وتنظيم * وترتيب وتعليملرينه خارج از تصور وارقام بذل خزائن ايله شايان وزاهتمام بيورملرى امت مرحومهٔ محمديه بادئ حيات وقوت * ودين ودولت عليه يه مؤدى ثبات وقدرت * واعداى دين خذلان قرينه باعث حزن وملالت اولمغله بو اثار خيريه لرى * نام نامى خديوانه * واسم سامى اصفانه لرين * صحيفهٔ عالمده ابقا واذكار حميده * واوصاف پسنديده لريله * زبان عالميانى الى يوم القيمة * گويا ومعطرا ايده جكى * وارستهٔ ريب وگمان ومستغنى دليل وبرهان اولديغندن بشقه * مشار اليه افندمز حضرتلرى * مهام واجب الاهتمام دولتلرين * وامور زبردستان ورعيتلرين * رؤيت وتسويه ده جلب

منفعت

اوله جغندن حسابلرك تعطيلنه بادى اوله جغى انها اتمكله لدى المذاكره چونكه بوفرمان پاره سى بشقه شيئه قياس اوله مديغندن وذيع اولنمش اولمغله فى الاصل اشتراا اولنان قيتالرى قبول اولنمسى مجلسجه قرار كيرا ولديغى ديوان عاليلرينه عرض اولنمشدر اوليابده امر وفرمان افندمز حضرتلرينكدر

فى ٢٨ ذى الحجه سنة ٤١

مرحوم لخجى باشك برينه براهليتلو ادم تدارك اولنمسنه اراده سنيهٔ حضرت خديويلرى تعلق بيورلمش اولديغى هوجه سنا باتقريرانها اتمكله لدى المذاكره لغجيلق صنعتى علم هندسه يه موقوف اولوب احتوق حربيه نك لوازماتندن اولمغله علم هندسه يه اشنا واصول وفنون حربيه يه دانا ولايقيله اداره سنه مقتدر برذاتك نصب وتخصيص قلنمسى بابنده جهاديه ناظرى خطوتلو بك افنديمزلرينه امرساى خديويلرينك اصدار بيورلمسى مجلسجه قرار كيرا ولديغى ديوان عاليلرينه عرض اولنمشدر اوليابده امر وفرمان افندمز حضرتلرينكدر

فى سلخ ذى الحجه

سنه ٤١

تم طبع هذه الوقايع بعون الله تعالى بدار الطباعة العامرة ببولاق مصر القاهرة بتصحيح سعد الله سعيد آمدى على يد رئيسها ومدبر امورها من لكل فن سالكى الفقير المسابكى فى غرة جماد اول سنة اربع واربعين ومائتين والف من هجره من له العز والشرف

الصفحتان الأولى والأخيرة من سجل المضابط التركية لمجلس المشورة

في سنة ١٢٤٠-١٢٤١هـ (١٨٢٥-١٨٢٦م)

ويذكر عبد الرحمن الرافعي في كتابه "عصر محمد علي" أن مجلس المشورة أقيم في سنة ١٨٢٩م، وانه كان صورة مصغرة من البرلمان المصري، وهذا يدل على أنه مؤسسة تختلف عن مجالس المشورة التي تحدثنا عنها. وهذا الديوان الذي يقول الرافعي اعتماداً على جريدة الوقائع المصرية أن أول اجتماع له انعقد في سراي إبراهيم باشا

(٩) لأن مضابط عام ١٢٤٢ ليست موجودة.

وتحت رئاسته في ٢ ربيع أول ١٢٤٥هـ (أول سبتمبر ١٨٢٩م) قد أقيم من قبل محمد علي، وشَكَّل فيما بعد النواة لمجلس الشورى التي أقيم في عهد الخديوي إسماعيل. وقد اجتمع المجلس تحت رئاسة إبراهيم باشا، وكان يضم ١٥٦ عضواً[١٠] من كبار موظفي الحكومة والعلماء ووجهاء الولاية. وكان اجتماعه مرة في السنة، ويشكل الاجتماع الواحد عدة جلسات، وينظر في الشكاوى المقدمة له في مجال الإدارة والتعليم والأشغال العامة. ويقول الرافعي إن هذا المجلس لم يعمر طويلاً، وإنه لهذا السبب لم يترك أثراً مهماً في عهد محمد علي[١١].

وانطلاقاً مما ذكره الرافعي يمكننا القول إن هذا المجلس نوع من المجالس النيابية التي تضم أعضاءً من فئات مختلفة من أهالي مصر. أما مجلس المشورة الذي تحدثنا عنه قبل هذا وتأسس عام ١٢٤٠هـ (١٨٢٥م) فهو - بحسب ما توصلنا إليه - يتكون من كبار الموظفين والخبراء، ويبدو أنه كان يقوم بمهمة المجلس الاستشاري للإدارة المركزية.

وكان أول نص تركي حول الترتيبات الخاصة بالزراعة والسياسة الزراعية في مصر هو كتاب (لائحهٔ سياست الفلاحه) الذي طبع في سنة ١٢٤٥هـ (١٨٣٠م)[١٢]. وهو يتناول عدة موضوعات عن المحاصيل الزراعية التي يمكن زراعتها (كالقمح والشلغم أو اللفت وقصب السكر والتبغ والخشخاش ثم القطن بوجه خاص)، وعن كيفية استخراج السكر من القصب، ويتحدث كذلك عن تنظيم شئون الزراعة والعلاقة بين الولاية والفلاحين. والأمر الجدير بالنظر في ذلك النص حديثه عن التدابير الزجرية بل وعقاب الضرب بالكرباج لكل فلاح يخالف النظم الموضوعة. أما النص التركي الثاني في موضوع الزراعة فهو كتاب (قانون الزراعة المصرية) المطبوع عام ١٢٥٤هـ (١٨٣٨ - ١٨٣٩م).

---

(١٠) يتشكل المجلس من ١٥٦ عضواً، ثلاثة وثلاثون من كبار الموظفين والعلماء، وأربعة وعشرون منهم من موظفي الأقاليم، وتسعة وتسعون من وجهاء الأهالي في مصر.

(١١) الرافعي، المصدر السابق، ص ٥٣.

(١٢) طُبع النص العربي لتلك اللائحة في سنة (١٢٤٥هـ / ١٨٣٠م). وفي سنة ١٢٥٨هـ (١٨٤٢م - ١٨٤٣م).

وفي التشريعات الإدارية والقانونية الأخرى التي صدرت خلال المدة الواقعة بين ١٨٢٨ – ١٨٣٥م طبعت خمسة نصوص باللغة التركية. وعدا اللائحة الخاصة بالسياسة الزراعية في مصر هناك كتب أخرى طبعت على تلك الشاكلة، فهناك قانون المستشفيات (الأسبتاليات) (١٨٣٢ – ٣٣)، والكتاب المسمى (قوانين الصحة) الذي ينظم أمور الصحة (١٨٣٥م)، وترتيب تم وضعه في موضوع الطب البيطري باسم (بيطره خدماتنه دائر ترتيبات) (١٨٣٤ – ٣٥). وهذه الأعمال نصوصٌ تحققنا من وجودها ووصلتنا النسخ الخاصة بها. أما الكتاب المعروف باسم (قانون خاص بترتيبات مجلس أحكام ملكيه) الذي قال رضوان ونقل عنه هسو إنه طبع في بولاق سنة ١٢٤٩هـ فلم يتيسر لنا الوصول إليه رغم كل ما بذلناه من جهود في هذا الاتجاه.

أما بعد عام ١٨٣٥م فالملحوظ أن النصوص المشابهة طُبعت بلغتين معاً، إذ تطبع التركية مع العربية بوجه عام، كما تطبع اللغتان منفصلتين في بعض الأحول. أما النصوص التي ليس لها ترجمات عربية – كما سيظهر فيما يلي – فقد تمت ترجمتها في عهد الخديوي إسماعيل ثم طبعت.

كان الجهاز الإداري في مصر عام ١٨٣٧م يتكون من سبعة دواوين (ديوان الخديوي وديوان الإيرادات وديوان الجهادية وديوان البحرية وديوان المدارس وديوان الأمور الافرنجية والتجارة المصرية وديوان المصانع)، وكل واحد من تلك الدواوين السبعة له رئيس مكلف بتقديم تقرير أسبوعي بالتركية للباشا الوالي حول أعمال ديوانه. أما القوانين المعروفة باسم "سياستنامه" والتي تنظم مسئوليات العاملين فيها وشئونهم الإدارية أي تشمل الموظفين الصغار والكبار المعروفين بالخدام (بندگان) فقد كانت توضع بالأسلوب الذي يتفق والدستور القائل: إن نهضة البلاد ورفاه أهلها وتنظيم شئون الحكومة إنما ترتبط بأمور ثلاثة هي: "الانصاف والعدالة، والصدق والاستقامة، والجهاد والغيرة". وأول كتاب يضم ذلك النوع من التنظيمات المعروفة بالسياستنامه قد تم طبعه عام ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م). فهذه اللائحة التنظيمية المكونة من ٢١ بنداً قد طبعت بلغتين، وتضم عشر صفحات بالتركية وثماني صفحات بالعربية. كما طبعت أيضاً وفي نفس السنة لائحة

بلغتين تنظم أسس العمل والمسئوليات الممنوحة لكبار وصغار الموظفين في الجهاز الإداري.

وتقول الوثيقة الأساسية المعروفة باسم "فرمان امتياز ولاية مصر"(١٣) التي تؤطر وضع مصر داخل الدولة العثمانية وتضمن حكم مصر لمحمد علي باشا وأولاده من بعده وعُرفت اختصاراً بفرمان ١٨٤١ إن أهالي مصر معدودون من رعايا السلطان، ولأجل هذا فإن القوانين والنظم التي يُعمل بها في الدولة العثمانية تعتبر سارية على مصر أيضاً، ولما أصبح ذلك حكماً ملزماً بدأت تطبع في مصر الكتب الخاصة بالنظم والقوانين العثمانية.

ولما أصبح عباس حلمي باشا الأول (١٨٤٨ – ١٨٥٤م) والياً على مصر بعد وفاة عمه إبراهيم باشا الذي لم تدم ولايته طويلاً، وحل هو محله طبقاً لفرمان ١٨٤١ باعتباره أكبر أبناء أسرة محمد علي باشا يمكننا القول إن مسألة ازدواجية اللغة في الجهاز الإداري لم يطرأ عليها تغيير كبير. لأنه كان يعارض النفوذ الأوربي ويتبع سياسة الولاء والإخلاص للدولة العثمانية، فلم يسمح لحدوث تغيير من ذلك النوع.

وفي عهد سعيد باشا (١٨٥٤ – ١٨٦٣م) تضاعف وجود الفرنسيين في مصر، إذ كان الوالي شغوفاً بالثقافة الفرنسية، وكان النفوذ الفرنسي آخذاً في التنامي في جوانب متعددة؛ وبدأت اللغة الفرنسية تحظى باهتمام كبير بالمقارنة مع ما كانت عليه قبل ذلك. وإلى جانب ذلك فإن بعض أفرع القانون الفرنسي بدأت هي الأخرى تأخذ مكانها في التشريع إلى جانب نظام الحقوق العثماني، وبهذا تحولت اللغة الفرنسية في مصر آنذاك إلى مرتبة اللغة الرسمية الثالثة(١٤). ولم تعد اللغة التركية في عهد سعيد باشا تحتل مكان الصدارة كلغة رسمية مثلما كانت في السابق.

فقد تقرر الجمع بين القلمين التركي والعربي في الإدارة المزدوجة اللغة بسبب أن غالبية الأهالي تتحدث العربية، وحتى تتاح الفرصة أمام المحاكم للعمل بشكل أفضل، ولكن ذلك أدى إلى ظهور بعض أحداث الفوضى القانونية، إذ حاول بعض المستغلين

---

(١٣) انظر: Enver Ziya Karal, *Osmanlı Tarihi,* c. V, 4. Baskı, Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1983, s. 201-202.

(١٤) عبد السميع سالم الهراوي، المصدر السابق، ص ٣٦٥ – ٣٦٧.

الاستفادة من ذلك الوضع، فكانوا إذا أرادوا تغيير حكم محكمة في أيديهم بإحدى اللغتين توجهوا إلى محكمة أخرى تستخدم اللغة الأخرى، وطلبوا منها تصحيح الحكم من جديد، ولأجل هذا تقرر توحيد اللغة في المحاكم وقَصْرها على اللغة العربية اللغة المحلية للحيلولة دون استشراء ذلك النوع من الحيل القانونية.

وفي أمر أرسله سعيد باشا في ٤ ذي القعدة ١٢٧٤هـ (١٦ يونية ١٨٥٨م) إلى "مجلس الأحكام" صدر حكم باستخدام اللغة العربية بعد ذلك في المحاكم المصرية لغةً وحيدةً للقضاء، وأن تكون المعاملات في الجهاز الإداري والمالي والمكاتبات المرسلة من القاهرة إلى الأقاليم وكذلك القادمة رداً عليها مكتوبةً باللغة العربية بوجه عام[١٥]. ومع ذلك فقد كان في الإمكان أيضاً أن تستخدم اللغة التركية في المكاتبات عند الضرورة، ولهذا فقد استمر الموظفون العارفون باللغة التركية وكذلك الأقلام التي يتبعونها في مواصلة عملهم في الجهاز الإداري المصري وإن لم يكن بالقدر السابق. فقد كان ينص أمر سعيد باشا هذا على ضرورة وجود كاتب يعرف التركية في الأقلام التي يعمل فيها كتاب التركية قبل ذلك. وبدأت حملة تعريب لغة القضاء والبيروقراطية تكشف عن أثرها الواضح في القضاء، بينما استمرت اللغة التركية تحافظ على وجودها في الجهاز الإداري، حتى وصل الأمر إلى وضع يمكن إيجازه في صيغة "الرد بالتركية على الأوامر المقدمة بالتركية".

ويتبين من القائمة الملحقة للكتب التركية المطبوعة في مصر أنه جرى طبع ١٩ عملاً في مطبعة بولاق اعتباراً من أول نص إداري وحقوقي طبع فيها عام ١٨٢٨ حتى عام ١٨٤٨م. أما في ولايتي عباس باشا وسعيد باشا اللتين استمرتا من عام ١٨٤٨م حتى عام ١٨٦٣م فقد تم طبع ما قدره اثنا عشر عملاً من ذلك النوع. ومن بين تلك النصوص تشريعات خاصة بالإدارة المحلية مثل (معاش ترتيبنامه سى)، ونصوص أساسية في القوانين العثمانية مثل: قانوننامهء همايون (١٨٥٤م)، وقانوننامهء أراضى (١٨٥٩م)، و دولت عليهء عثمانيه ده أعشار ورسومات نظامنامه سى (١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م - ٦٣). وهذه النصوص الأحد عشر القانونية والإدارية التي طبعت في عهد واليين على مدى تسعة عشر عاماً إنما تكشف عن طبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين استانبول والقاهرة.

---

(١٥) نفسه، ص ٣٧١ - ٣٧٧ و جاك تاجر، المصدر السابق، ص ٧٧.

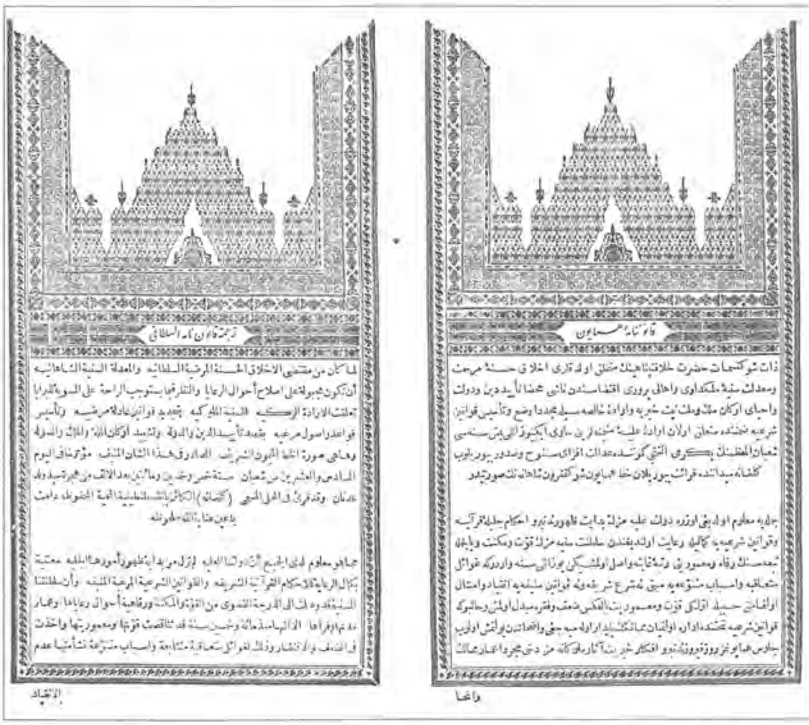
وبالنظر إلى التطورات التي أشرنا إليه سابقاً يتبين لنا بوضوح أن اللغة التركية حافظت على مكانتها في ذلك العهد في القضاء أيضاً كما هو الحال في الإدارة، وأن نصوص القوانين والتشريعات العثمانية كانت تطبع في مصر وتدخل حيز التنفيذ بما يتفق وأحكام فرمان ١٨٤١، فقد أقام سعيد باشا عدداً من المحاكم الجديدة التي عُرفت بالمجالس المحلية تطبيقاً للقانون العثماني الخاص بمصر والمسمى بالقانون السلطاني (قانوننامهء سلطانى) الصادر تطبيقاً لفرمان ١٨٤١ أيضاً.

وبعد وفاة سعيد باشا تولى في مكانه إسماعيل باشا (١٨٦٣ – ١٨٧٩م) في شهر يناير عام ١٨٦٣م باعتباره أكبر الذكور في أسرة محمد علي باشا، واستطاع في العام الرابع من ولايته (١٢ محرم ١٢٨٣هـ/ ٢٧ مايو ١٨٦٦م) أن ينجح في الحصول على فرمان من السلطان العثماني بجعل ولاية مصر في أبنائه هو، بدلاً من أكبر الأبناء الذكور من أسرة محمد علي باشا، ثم لم يلبث في العام التالي (٥ صفر ١٢٨٤هـ/ ٨ يونية ١٨٦٧م) أن ظفر بفرمان ثان حصل من خلاله على لقب خديو الذي يتيح له وضعاً يميزه عن بقية الولاة والوزراء العثمانيين الآخرين. وعلى ذلك النحو أخذت ولاية مصر شكل الخديوية، كما حصل هو الآخر على صلاحيات أوسع يتيحها له لقب الخديوي.

كانت فرنسا هي النموذج الذي تم احتذاؤه في حركات التجديد التي بدأها إسماعيل باشا، وكان للثقافة الفرنسية أثرها الكبير في ذلك. ومع هذا فقد استمرت الطبقة العليا في المجتمع المصري والمعروفة باسم "الذوات" في استخدام اللغة التركية لغةً للحديث فيما بينهم، وأداةً لمكاتباتهم الخاصة على الرغم من انتشار اللغة الفرنسية في مصر آنذاك[١٦].
ورغم ما كانت عليه اللغة التركية من مكانة متميزة باستخدام صفوة المجتمع المصري لها، إلا أنها بدأت تفقد مكانتها كلغة للجهاز الإداري في عهد الخديوي إسماعيل، وينحسر مجال استخدامها بقدر معين. وكانت حملة "تعريب لغة الإدارة" التي دشنها سعيد باشا قبل ذلك لأسباب عملية قد بلغت مرحلة أكثر تقدماً. كما كان النفوذ الذي حظيت به اللغة الفرنسية في عهد سعيد باشا قد تضاعف في عهد إسماعيل باشا، حتى أصبحت واحدةً من اللغات الرسمية. وكانت هناك سلسلة من التدابير اتخذها الخديوي بقصد الحد من النفوذ

(١٦) أحمد شفيق باشا، جـ ١ ، ص ٤٧ وعبد السميع سالم الهراوي، المصدر السابق، ص ٣٨٤.

السياسي العثماني في مصر وتدعيم حالة شبه الاستقلال التي حصل عليها من استانبول، مثل إزاحة العناصر التركية العاملة في الجهاز الإداري، وإحلال العناصر المحلية المخلصة له بدلاً منها، كما كان من بين تلك التدابير محاولة نقل لغة الإدارة من التركية إلى العربية[١٧].



الصحيفة الأولى من القانوننامه العثماني بالتركية ونظيرتها من ترجمة قانوننامه السلطاني بالعربية المطبوعة في ١٢٧١هـ (١٨٥٤م)

وتدلنا طبيعة وعدد وترتيب النصوص التركية التي تحققنا من أنها طبعت في عهد الخديوي إسماعيل في المجال الإداري والقانوني على خصائص السياسة التي جرى عليها إزاء الدولة العثمانية. ويتبين من الفروق الموجودة بين الأعمال المطبوعة قبل عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م وبعده في طبيعتها وعددها أن الخديوي إسماعيل سعى للظهور بمظهر المخلص للدولة العثمانية في البداية والمتمسك بقوانينها وأعرافها، بينما يدلنا عدم

(١٧) عبد السميع سالم الهراوي، المصدر السابق، ص ٣٩١ وما بعدها.

طبع نص واحد تقريباً بعد هذا التاريخ في المجال الإداري والحقوقي على حقيقة نواياه تجاه الدولة العثمانية بعد حصوله على كل الامتيازات التي كان يطمع فيها. والكتاب الذي تم طبعه في مطبعة بولاق عام ١٢٨٢هـ هو كتاب من نوع الكتب التي تضم "كل الأعمال أو الأعمال الكاملة" في العديد من التشريعات الحقوقية من قوانين ونظم ولوائح عثمانية موضوعة تحت ثمانية عناوين. أما النص الثاني الذي طُبع بعد عام على طباعة تلك الأعمال الكاملة في التشريعات الحقوقية المتعددة للدولة العثمانية فهو اللائحة التنظيمية (نظامنامه) الخاصة بمجلس شورى النواب الذي تأسس بموجب الأمر العالي الصادر في ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م. وبعد حصول إسماعيل باشا على لقب الخديوي الذي نجح في انتزاعه من السلطان عبد العزيز أي بعد عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م كان هناك نص واحد بالتركية طبع في الإدارة والحقوق، ورأينا الطبعة الثانية منه تحت عنوان: "دولت عليه ايله دول متحابه بينلرنده تيمناً منعقد اولان معاهدات عتيقه وجديده دن مأمورين سلطنت سنيه يه مراجعتى لازمكلان فقرات عهديه يى متضمن رساله در (بولاق ١٢٨٦هـ [١٨٦٩م])". ويستمر ذلك حتى نهاية عهد إسماعيل (١٨٧٩م).

ونشهد قبل نقطة التحول تلك بعض الاستعدادات في مجال تعريب لغة الإدارة والحقوق. إذ نرى على سبيل المثال - أمراً أرسله إسماعيل باشا إلى ديوان الداخلية بتاريخ ٢٧ ربيع أول ١٢٨٣هـ (أول أغسطس ١٨٦٦م) يطلب فيه جَمْع كافة التشريعات الإدارية والحقوقية كاللوائح والأوامر وغيرها ابتداءً من عهد جده محمد علي باشا حتى عام ١٢٨٢هـ والتي كانت لا تزال سارية النفاذ، ثم طبعها في مطبعة بولاق بعدد خمسمائة نسخة. كما أمر أن تكون النصوص التركية من بينها فقط موضوعة مع ترجماتها العربية، والكل مطبوع على شكل كتاب(١٨).

وكانت الخطوة الثانية التي خطاها إسماعيل باشا لترسيخ استقلاليته شبه الكاملة هي تعريب لغة الإدارة، ففي أمر أصدره بتاريخ ٦ شوال ١٢٨٦هـ (٨ يناير ١٨٧٠م) نراه يطلب أن تكتب - بالعربية - كافة المكاتبات داخل أجهزة الحكومة وبين الدواوين المختلفة ومن المركز إلى الأقاليم وكذلك المكاتبات القادمة رداً على ذلك؛ ولكن في حالة الضرورة قد يكتب بالفرنسية والتركية من نظارة الخارجية إلى مقام الخديوي والداخلية والجهادية

(١٨) نفسه، ص ٣٩١ - ٣٩٢، ولم نستطع العثور على هذا الكتاب رغم ما بذلناه من جهد.

والمالية؛ أما الكتابة من الخارجية إلى الأقاليم المختلفة والإدارات فيمكن أن تكون أيضاً بالفرنسية والتركية. كما طالب الأمر في حالة عدم وجود موظف يجيد الفرنسية في نظارة المالية أن يجري تعيينه[١٩]. وهذا الأمر من الخديوي يدلنا بوضوح على السياسات التي جرى عليها في مجال اللغة. ففي الوقت الذي كانت اللغة التركية تحافظ فيه على وجودها داخل السراي المصري لغةً سائدةً كان مكانها في الجهاز الإداري آخذاً في التلاشي، واللغة الفرنسية تحل محلها شيئاً فشيئاً. واستمر التطور الطبيعي للغة العربية بشكل سريع في العديد من القطاعات والأجهزة الإدارية. غير أن سيطرة البيروقراطية العسكرية من ذوي الأصول التركية والجركسية الذين يتحدثون اللغة التركية في نظارة الجهادية جعلت الخديوي يعود - بعد مرور عشرين يوماً على أمره السابق - فيصدر أمراً جديداً (٢٨ شوال ١٢٨٦هـ) يقول فيه إن المكاتبات الموجهة إلى تلك النظارة تجري باللغة التركية كما كان في السابق[٢٠]. وعلى هذا النحو تحولت اللغة التركية إلى لغة ثانوية بجانب اللغة العربية، ولكنها مع ذلك حافظت على تفوقها كلغة رسمية في نظارة الجهادية، وعلى مكانها في الاتصالات الخارجية داخل نظارتي الداخلية والمالية، أما في السراي فقد حافظت على وجودها الرسمي والفعلي القديم. كما حافظت اللغة التركية أيضاً على مكانتها كلغة رسمية وحيدة فيما بين القاهرة والباب العالي في استانبول. وهذا يعني أن اللغة التركية نجحت رغم كل شئ في المحافظة على وجودها كلغة إدارة إلى حدٍ معين في عهد الخديوي إسماعيل.

وفي عام ١٨٧٥م كان تدخل الدول الأوربية في شئون مصر الداخلية قد بلغ حداً بعيداً. فمنذ ذلك التاريخ عندما واجهت حكومة إسماعيل باشا مصاعب في سداد الديون قامت الدول الأوربية المدينة بوضع يدها على موارد مصر المالية خلال ثلاث سنوات، ولما بدأت أيضاً في خريف عام ١٨٧٨م في السيطرة على قدراتها السياسية جرى تشكيل حكومة برئاسة نوبار باشا الأرمني[٢١]. ومنذ ذلك التاريخ بدأت تتقلص أعداد الأتراك في الإدارة، وبدأ يحل محلهم في العديد من الوظائف الإدارية المهمة الأرمن والأوربيون

(١٩) أرشيف سراي عابدين، دفتر المعية العربي ١٩٣٠، ص ٤٦ - ٤٧، رقم ٥٥ وعبد السميع الهراوي، المصدر السابق، ص ٣٩٢ وانظر أيضاً: أمين سامي باشا، تقويم النيل، جـ ٢، ص جزء ٣، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٥/ ١٩٣٦، ص ٨٤٧.

(٢٠) أرشيف سراي عابدين، دفتر المعية التركي، رقم ٥٨٣، ص ٢٤، رقم ٩ وعبد السميع سالم الهراوي، المصدر السابق، ص ٣٩٣.

(٢١) F. Robert Hunter, *Egypt under the Khedives, 1805-1879: from Household Government to modern bureaucracy*, London: Feffer and Simons Inc., 1984, p. 179.

وعناصر غير مسلمة محلية[٢٢]. وفي السنوات الأخيرة من عهد إسماعيل باشا جرى تخفيض رواتب الأتراك الباقين في وظائفهم إلى النصف، بينما استمر الموظفون الأوربيون في تقاضي رواتبهم كاملة[٢٣]. وقد استمر الأمر على تلك الوتيرة في التغيير، ولا سيما بعد أن احتل الانجليز مصر وسيطروا على الجهاز الإداري. وبدأ كبار الموظفين الأوربيين في إحلال المصريين والسوريين المسيحيين للعمل في العديد من الوظائف بدلاً من الأتراك المفصولين.

وابتداءاً من الاحتلال الانجليزي لمصر بدأ تعيين الإداريين الانجليز في الوظائف العليا داخل الجهاز الإداري، والتأكيد على أهمية اللغة الانجليزية خلال عهد الاحتلال الذي استمر طويلاً، مما جعلها تحتل مكانة اللغتين التركية والفرنسية في الجهاز الإداري والتعليم والعديد من جوانب الحياة العامة. وكان من نتيجة ضعف الرابطة التي كانت قائمة بين مصر والدولة العثمانية في المجال السياسي واستمرار بقائها شكلياً في بعض الجوانب أن بدأت تنحسر مكانة اللغة التركية كثيراً في الجهاز الإداري أيضاً كما هو الحال في المجال التعليمي.

وتولى الخديوي توفيق بعد أبيه (١٨٧٩ – ١٨٩٢م)، واستمر في عهده وجود الأتراك على الرغم من كل شئ بين صفوف رجال الدولة ذوي الدرجة الرفيعة، واستمر استعمال اللغة التركية في المكاتبات الرسمية ولغة الحديث. وفي خلال المسيرة الطبيعية لحركة التمصير في الإدارة العليا التي كانت تتشكل بكاملها تقريباً في عهد محمد علي باشا من الأشخاص الذين يتحدثون التركية من حوله نرى حدوث انحسار مهم في عدد الأتراك. ويمكننا التمثيل على ذلك بمجلس شورى القوانين الذي تأسس سنة ١٨٨٢م وكان يضم ثلاثين عضواً، فقد تم اختيار ما يقرب من نصف أعضائه من المقربين للخديوي ممن يتحدثون التركية. كما حدث في عام ١٨٨١م وفي احتفال بافتتاح مدرسة جديدة أن قام رياض باشا الناظر الأول بإلقاء خطبة في حضور الخديوي باللغة التركية[٢٤]. وهناك نصان أدرجناهما ضمن القائمة مؤرخان في ١٢٩٨هـ و ١٣٠٢هـ وتحققنا من أنهما طبعا باللغة التركية في عهد الخديوي توفيق، وهما يمثلان آخر النماذج التركية. والنص

(٢٢) Hunter, *ibid.*, p. 208.

(٢٣) Hunter, *ibid.*,p. 209.

(٢٤) أحمد شفيق باشا، المصدر السابق، جـ ١، ص ١٠١.

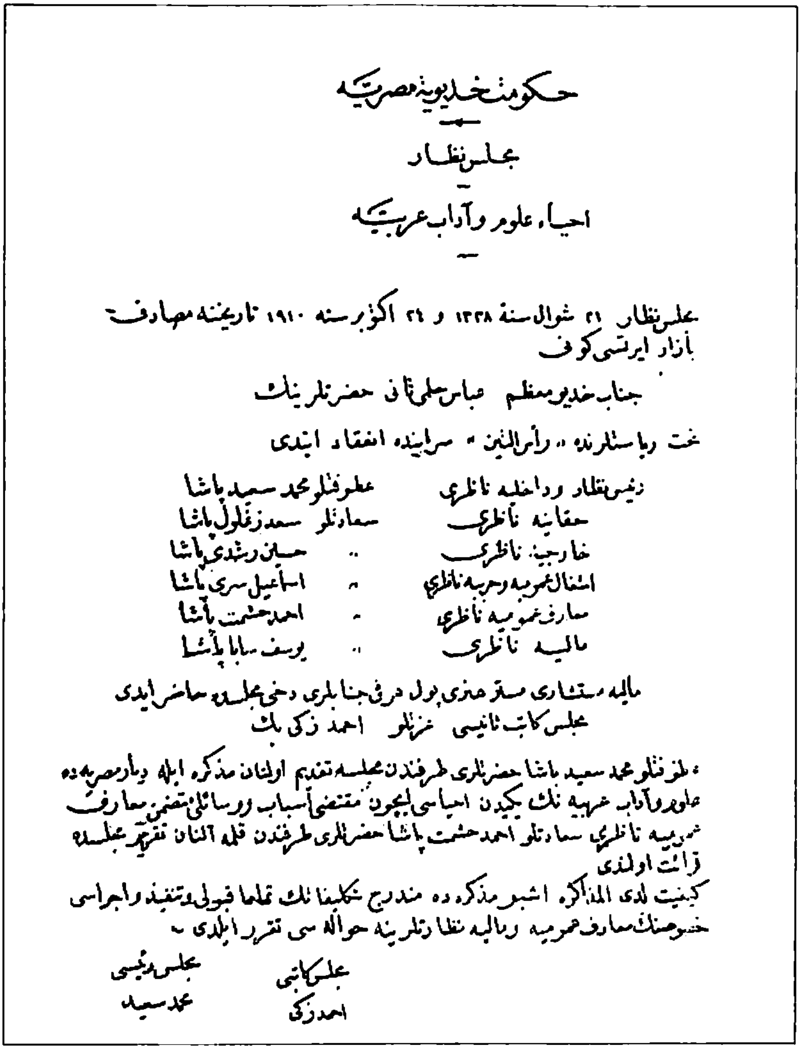
الأول هو قانون تأسيس المكتبة التي تشكل أساس دار الكتب الوطنية التي عرفت قبل الاحتلال الانجليزي بالكتبخانة العمومية، وهو مطبوع باللغتين التركية والعربية. وأما النص الثاني فهو آخر قائمة للرواتب (ترتيبنامه)، وقد طبع بعد مرور مدة قصيرة عقب الإحتلال الإنجليزي.

ورغم محاولات الإنجليز لإحلال اللغة الانجليزية محل اللغة التركية، إلاّ أن ذلك لم يحدث على الفور، ولهذا حافظت اللغة التركية إلى حدٍ معين على وضعها مدة أخرى في الجهاز الإداري، ولا سيما لدى المراجع العليا لاتخاذ القرار. وفي عهد الخديوي عباس حلمي الثاني (١٨٩٢ – ١٩١٤م) كانت اللغة التركية لا تزال لغة بعض المكاتبات داخل الحكومة وبعض القرارات التي تتخذها. ويمكننا الاطلاع على دلائل مهمة في هذا المجال من خلال ملحقات وصورة القرار التي اتخذه مجلس النظار الذي انعقد في ٢٤ أكتوبر ١٩١٠ برئاسة الخديوي. وقد وصلتنا – في المذكرة التي كتبها ناظر المعارف أحمد حشمت باشا بناءً على اقتراح أحمد زكي بك الكاتب الثاني لمجلس النظار – صورة القرار الصادر حول طباعة المخطوطات العربية المهمة الموجودة في الكتبخانة الخديوية أو المجلوبة صورها الفوتوغرافية من استانبول ومكتبات أوربا. ومما يسترعي الانتباه أن تكون التركية هي لغة تقرير وقرار يعلن فيه عن ضرورة الإعداد الفوري بطبع كتابي (نهاية الأرب في فنون الأدب) للنويري و (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) لفضل الله العمري، وهما من عيون الأدب العربي، ويعلن فيه عن مراحل خطة نشر المصادر الأدبية والعلمية العربية في مصر وإحياء الأدبيات العربية الكلاسيكية (إحياء علوم وآداب العربية). وهذا التقرير قد دشن نشاطاً علمياً تشكل حول المكتبة الخديوية[٢٥] التي تحولت بعد ذلك إلى دار الكتب الوطنية، وهو يحمل توقيع محمد سعيد باشا رئيس مجلس النظار وأحمد حشمت باشا ناظر المعارف[٢٦].

---

(٢٥) فتحت المكتبة في سراي الأمير مصطفى فاضل باشا أخي الخديوي إسماعيل في شهر رجب ١٢٨٧/ سبتمبر ١٨٧٠. فلما توفي الأمير مصطفى في استانبول اشتراها الخديوي وضمها إلى هذه المكتبة. وهي تحتوي على ٣٤٥٨ مجلداً. منها ٢٤٧٣ مجلداً بالعربية و ٦٥٠ مجلداً بالتركية و ٣٣٥ مجلداً بالفارسية. وللمزيد من المعلوت حول المكتبة انظر: أيمن فؤاد سيد، دار الكتب المصرية: تاريخها وتطورها، القاهرة الدار العربية للكتاب ١٩٩٦.

(٢٦) حول خبر هذا الموضوع انظر: جريدة الأهرام، ٩ ديسمبر ١٩١٠. ولأجل صورة التقرير انظر: مجموعة أحمد زكي بك (باشا): في مكتبة دار الكتب المصرية بالقاهرة (زكية مخطوطات تركية وفارسية رقم ٩٧) وأصل التقرير يبدأ بـ "مجلس النظار ... يوم الاثنين الموافق ٢١ شوال سنة ١٣٢٨ و ١٤ أكتوبر ١٩١٠..."



حكومت خديويهٔ مصريه

مجلس نظار

احياء علوم وآداب عربيه

مجلس نظار ٢١ شوال سنة ١٣٢٨ و ٢٤ اكتوبر سنه ١٩١٠ تاريخنه مصادف
بازار ايرتسى كونى

جناب خديو معظم عباس حلمى ثانى حضرتلرينك

تحت رياستلرنده «رأس التين» سراينده انعقاد ايلدى

رئيس نظار وداخليه ناظرى	عطوفتلو محمد سعيد پاشا
حقانيه ناظرى	سعادتلو سعد زغلول پاشا
خارجيه ناظرى	" حسين رشدى پاشا
اشغال عموميه وحربيه ناظرى	" اسماعيل سرى پاشا
معارف عموميه ناظرى	" احمد حشمت پاشا
ماليه ناظرى	" يوسف سابا پاشا

ماليه مستشارى مستر هرى پول هرفى جنابلرى دخى مجلسده حاضر ايدى
مجلس كاتب ثانيسى عزتلو احمد زكى بك

عطوفتلو محمد سعيد پاشا حضرتلرى طرفندن مجلسه تقديم اولنان مذكره ايله ديار مصريه ده علوم وآداب عربيه نك يكيدن احياسى ايچون مقتضى اسباب ووسائلى متضمن معارف عموميه ناظرى سعادتلو احمد حشمت پاشا حضرتلرى طرفندن قلمه آلنان تقرير مجلسده قرائت اولندى

كيفيت لدى المذاكره اشبو مذكره ده مندرج تكليفاتك تماما قبولى وتنفيذ واجراسى خصوصنك معارف عموميه وماليه نظارتلرينه حوالهسى تقرر ايلدى .

مجلس كاتبى	مجلس رئيسى
احمد زكى	محمد سعيد

الصحيفة الأولى من النص المعروف باسم "إحياء علوم وآداب عربيه"

وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى وقيام الانجليز بانتزاع مصر رسمياً من الدولة العثمانية وتحويلها إلى مستعمرة بريطانية انتهى تماماً الوضع الرسمي للغة التركية في مصر. ومع إلغاء الخديوية المصرية في ذلك التاريخ توقف كذلك استخدام اللغة التركية كلغة رسمية في السراي، وتفرق شمل الموظفين الذين كانوا يعرفون اللغة التركية في

الجهاز الإداري أو كانوا من أصول تركية، ولم يبق منهم إلاّ البعض ممن جرى توظيفهم في الأرشيف القديم المعروف بالدفترخانة(٢٧). ولكن في عهد الملك فؤاد (١٩١٧ – ١٩٣٦م) بدأ تشغيل الخبراء ذوي الأصول التركية في أرشيف سراي عابدين حتى يقوموا بتنظيم الأرشيف التركي الموجود فيه بشكل علمي. ولكن مع الثورة التي أنهت الحكم الملكي في عام ١٩٥٢م تم نقل الموظفين الأتراك العاملين فيه إلى أماكن ووظائف أخرى.

وفيما يخص طبيعة اللغة التركية المستخدمة في الجهاز الإداري المصري فعلى الرغم من أنها في الأساس نفس اللغة المستخدمة في نفس المجال في استانبول إلاّ أنها اكتسبت مع مرور الوقت صبغة محلية في مصر. فكما يلاحظ أن الكلمات ذات الأصل العربي المستخدمة بكثرة في تركية استانبول قد استخدمت بعينها في تركية مصر فإننا نشهد أيضاً العديد من الأمثلة على وجود استخدامات معينة اختصت بها اللغة التركية في مصر. وإلى جانب ذلك فإن هناك أيضاً كلمات عربية مستخدمة بمعان مختلفة في الاستعمال التركي قد دخلت لغة الإدارة العربية (أي بمعانٍ لا تعرفها المعاجم العربية ولم تجر عليها ألسنة العرب). أما مجال التأثير الآخر فهو أسماء الرتب والألقاب الرسمية وأشكال الخطاب والنداء المستخدمة في تركية استانبول، إذ جرى استخدامها بعينها في مصر. والمثال على الألفاظ المستخدمة في تركية مصر بمعانٍ أخرى غير المعاني المستخدمة بها في تركية استانبول كلمة (مراجعت) المستخدمة في تركية استانبول بمعنى التوجه بالطلب، وتُستخدم في تركية مصر بمعنى المراجعة والمحاسبة وإعادة التدقيق، كذلك كلمة (توقيف) التي تعني الاعتقال والقبض على، فإنها في تركية مصر تعني الايقاف عن العمل مؤقتاً. أما كلمة (تشهيل) العامية المستخدمة في تركية مصر بمعنى "الإسراع في العمل والتعجيل به"(٢٨) فهي من الكلمات التي لاتستخدم في تركية استانبول.

وهناك مثال بارز على الخلاف في معاني الكلمات المستخدمة في كل من تركية مصر وتركية استانبول، فقد حدث أن طلب أحد كبار الموظفين العثمانيين من عباس حلمي باشا

(٢٧) Jean Deny, *Sommaire des archives Turques du Caire*, Caire: Institut Français D'Archeologie Orientale Du Caire, 1930, p 158.

(٢٨) يذهب دني إلى أن هذه الكلمة مركبة من الفعلين تسهيل وتشغيل (المصدر السابق، ص ١٥٩ – ١٦٠).

مساهمة الإدارة المصرية له في بعض الأمور؛ فما كان من الباشا إلاّ أن أجابه بالتركية قائلاً (يكى مساعده ايدرز) (أي نعم سنقوم بالمساعدة)، وهنا امتعض الموظف الكبير ممثل السلطان، وشعر أنه أمام سقطة لسان كبيرة بدرت من الباشا، ولكنه عندما علم بعدها أن كلمة (مساعده) المستخدمة في تركية استانبول بمعنى الإذن والسماح تستخدم في تركية مصر بمعنى المعاونة والمساعدة زال سوء الفهم.

ومن ناحية أخرى فإن هناك عدة كلمات عربية الأصل ذات معانٍ مختلفة في الاستخدام التركي لم ترد بها في معاجم اللغة العربية الكلاسيكية ولا على ألسنة الناس، وهذه الكلمات قد انتقلت إلى لغة الإدارة في مصر، ودارت أيضاً على ألسن العامة. ومنها على سبيل المثال: بلديه، مديريه، إمضا، تشريف، إفاده، وغير ذلك. وهذه الكلمات لا زالت مستخدمة حتى اليوم في مصر على المستويين الرسمي والشعبي، وفي العديد من البلدان العربية الأخرى غير مصر، وبنفس المعاني التي اكتسبتها في اللغة التركية.

وإلى جانب تلك الكلمات ذات الأصول العربية هناك كلمات أخرى عديدة انتقلت من اللغة التركية في استانبول إلى العربية في مصر (على المستويين الرسمي والشعبي). ولأن هذا الجانب موضوع لدراسة أخرى مستقلة فلا نخوض الآن فيه كثيراً(٢٩). وتلك الكلمات التي انتقلت من التركية إلى اللغة الرسمية في مصر قد حافظت على معانيها، لكن بعضها تقولب بقوالب الأفعال العربية (مثل كلمة تبويظ من الفعل التركي بوزمق). وقد يكون هناك عدة كلمات قليلة تغيرت معانيها، مثل كلمة (رفت) مثلاً التي انتقلت من الفارسية إلى اللغة الديوانية العثمانية بمعنى (ذهب، مضى، انقضى)، بينما يجري استخدامها في مصر بمعنى الفصل عن العمل للموظف، وعوملت معاملة الكلمة العربية فاشتقوا منها الفعل واسم المفعول وغير ذلك (رفد، يرفد، مرفود..).

وخلاصة القول إن اللغة التركية كانت اللغة الأولى في الجهاز الإداري المصري على أيام محمد علي باشا، وحافظت على تلك المكانة في ولاية إبراهيم باشا وعباس باشا وسعيد باشا، بينما كانت اللغة العربية لغة الجموع الغفيرة من الأهالي تليها في ذلك. بل

---

(٢٩) انظر: أكمل الدين احسان اوغلى وصالح سعداوي، الثقافة التركية في مصر: جوانب من التفاعل الحضاري بين المصريين والأتراك، استانبول، إرسيكا ٢٠٠٣.

وتأثرت إلى حدٍ كبير باللغة التركية. ولكي يتم تبليغ الأوامر والتعليمات الصادرة عن الفئة الحاكمة إلى الأهالي ثم تطبيق ما يجري وضعه من تشريعات إدارية وقانونية جديدة بطريقة مفهومة فقد اقتضت الضرورة ترجمتها إلى اللغة العربية، وبالتالي كتابة العديد من الكتابات الإدارية الرسمية وغير الرسمية باللغة العربية، ومن هنا دخلت اللغة العربية كلماتٌ كثيرة تركية في لغة الإدارة الجديدة؛ ودخلت إلى العربية كلمات جديدة ذات جذور عربية اشتقها العثمانيون على وجه الخصوص وكلمات أخرى تستخدم بمعان أخرى غير معانيها في العربية، وعلى ذلك النحو أخذت اللغة العربية في الإدارة شكلاً مختلفاً عما كانت عليه قبل عهد محمد علي باشا.

وهناك كلمات عديدة تستخدم في المكاتبات العربية بمعانيها واستعمالاتها في اللغة التركية، مثل: قلم (المكتب والإدارة)، ومحررات (مكاتبات)، شُقّه، سرگي، معاش، إنها، التماس، استرحام، يكون، اليكون العمومي، أورنك، بيورلدى، نظامنامه، مضبطه، إمضا، تشريف، رديف، نفر، رسمي، خصوصي، عرضحال، مقاوله، هيئه، روز، ماه، ماهيه، سربوش، رخصتنامه، ميري، مذكور، المومى إليه، المشار إليه وغير ذلك. ويوجد عدا ذلك أسماء الوظائف، مثل: ناظر، مدير، مأمور، باشكاتب، باشمهندس، ياور، حكمدار وغير ذلك. أما الرتب العسكرية فقد استعملت في مصر بنفس المعاني والأشكال أيضاً، وذلك بدايةً من الاونباشي حتى رتبة الفريق والمشير. بل أشكال الخطاب في النصوص المكتوبة باللغة العربية إلى كبار رجال الحكومة قد ظلت على حالها المعروفة به في اللغة التركية، وظلت عبارات الخطاب والتعظيم التركية، مثل (دولتلو حضرتلرى، وسعادتلو حضرتلرى) مستعملة حتى انفصال مصر رسمياً عن الدولة العثمانية[٣٠]. أما استعمال تلك الأشكال في الخطاب بالشكل الذي يناسب بناء الجملة العربية فلم يحدث إلاّ في عهد الملك فؤاد (١٩١٧ – ١٩٣٦م)، فجعلت على شكل حضرة صاحب الدولة، وحضرة صاحب السعادة، وحضرة صاحب العزة. وعدا ذلك فقد جرى استخدام رتب: (أفندي، بك، باشا) كما هي في التركية لكبار الموظفين من العسكريين والمدنيين.

---

(٣٠) يقضي الفرمان المؤرخ في ٥ صفر ١٢٨٤ (٨ يونية ١٨٦٧م) بأن تكون الرتب العسكرية والمدنية والنياشين المستخدمة في مصر هي نفسها المستخدمة في الدولة العثمانية.

وفي عام ١٩٥٢م تم إلغاء الرتب المدنية ذات الأصل العثماني، بينما صدر في عام ١٩٥٨ القانون ٥٤ الذي استحدثت بموجبه الرتب العسكرية العربية لتحل محل الرتب العسكرية التركية (نفر/ جندي، أونباشى أو أومباشى (Onbaşı) / عريف، شاويش (چاوش çavuş) / رقيب، باش شاويش (باش چاوش)/ رقيب أول، صول/ مساعد، ملازم ثاني، ملازم أول، يوزباشى/ نقيب، صاغ/ رائد، بكباشى (binbaşı) مقدم، ميرالاى/ عقيد، ميرلوا/ عميد، ميرميران/ فريق، مشير. وفي نفس الوقت فإن الرتب العسكرية المشتقة في الأساس من أصول عربية مثل: (ملازم، لواء، فريق، مشير) فقد استعملت دون تبديل. ومع ذلك فإن الرتب المدنية مثل (بك وباشا) رغم إلغائها رسمياً لا تزال تستخدم حتى اليوم وتدور على ألسنة العامة تعبيراً عن الاحترام والتقدير.

رابعاً
الأتراك في الجيش المصري
واللغة التركية

كانت فكرة إقامة جيش حديث تحتل مكانها ضمن جهود محمد علي باشا لتقوية موقعه في مصر، وشكّلت القوة الدافعة وراء حملات التجديد التي قام بها بعد عام ١٨٢٠م. وقد أقيم ذلك الجيش الحديث ارتكازاً على مبدأ التجنيد الإلزامي للشبان. وكانت الإدارة البيروقراطية المركزية القوية التي شكلها الباشا خلال ولايته التي بلغت حتى ذلك الوقت خمسة عشر عاماً هي الآلية التي ساعدته على تحقيق ذلك. فقد كان محمد علي عندما وصل إلى مصر مدركاً لنقاط الضعف التي كان عليها الجيش الإنكشاري الذي هو واحد من ضباطه برتبة [سَرْچَشْمَه]، كما أدرك – على الجانب الآخر – مدى قوة الجيش الفرنسي وانضباطه، إذ كان جنود الأرناؤوط الذين صحبوه إلى مصر والحالة التي كانوا عليها من فوضى وتمرد قد أدت إلى خسائر كبيرة في حرب الوهابية (١٨١١ – ١٨١٩م) التي خاضها باسم السلطان، لكن محمد علي تخلص في تلك الحروب من عدد كبير من العساكر غير النظامية التي كانت تعارض التجديد، ومع الطمأنينة النسبية التي تحققت من وراء ذلك قويت عزيمته، واستقر رأيه على إقامة جيش حديث. فلما فشلت محاولته لإقامة جيش على شاكلة "النظام الجديد" العثماني من العسكر الموجودة، وتعثرت جهوده لاستحضار جنود من تركيا وشراء مماليك ليحلوا محل الجنود الأرناؤوط نتيجة للحظر الذي فرضته الدولة العثمانية لم يجد محمد علي من حيلة إلاّ تشكيل جيش جديد كل الجدة. فاتجه نحو إقامة ذلك الجيش من المماليك السودانيين[١].

والواضح أن محمد علي كان على علمٍ بما هو عليه جيش نابليون في مصر، وأنه تأثر به وهو يسعى لإقامة جيشه الحديث. غير أن حجم التأثر قد بولغ فيه كثيراً في الدراسات

---

(١) انظر: Afaf Lutfi al-Sayyid Marsot, *Egypt in the reign of Muhammad Ali*, Cambridge: Cambridge University Press, 1984, s.126-127.

التي أجريت حتى اليوم. ويبدو أن ذلك التأثر لم يكن كبيراً مثلما أعتقد البعض، كما أشار إليه مؤخراً خالد فهمي في دراسته، لأن الباشا وهو يؤسس جيشه الجديد كان يضع نصب عينيه جيش" النظام الجديد" الذي شكله السلطان سليم الثالث، وجعله النموذج الأساسي قبل غيره. وكان خسرو باشا الذي سبق محمد علي في ولاية مصر (١٨٠٢م) قد شكل قوة عسكرية حديثة من المماليك المصريين ومن السودانيين، وألبسهم بزة تشبه البزات الأوربية، وعمل على تدريبهم على الأصول الجديدة، وسَمّاهم أيضاً باسم "النظام الجديد"[٢]. ولكي يُعِدَّ محمد علي خطة تشكيل الجيش الجديد في عام ١٨٢٢م كلف بذلك كلاً من الضابط الفرنسي الكولونيل سيف (١٧٨٨ - ١٨٦٠م) الذي أسلم وتسمى باسم سليمان أغا (باشا فيما بعد)، وعثمان نورالدين أفندي، والمهندس أحمد أفندي. غير أن الخطة التي أعدها هؤلاء كشفت عن نظام جيش يشبه نظام جيش نابليون أكثر من غيره، وعندئذ رفضها محمد علي، وطلب منهم إعداد خطة لإنشاء جيش على نظام جيش السلطان سليم الثالث. إذاً فالواضح من ذلك أن محمد علي كان يضع جيش "النظام الجديد" نصب عينيه، أي الجيش الحديث الذي أقامه السلطان في استانبول، وسعى لتشكيل جيشه الحديث لكي يكون على شاكلته. ومن جهة أخرى فلا شك أن تناول محمد علي لموضوع "التجنيد الإجباري" وتطبيقه قبل استانبول كان من أهم الأسباب وراء نجاحه[٣].

وفي عام ١٨٢٠م أقام محمد علي مدرسة عسكرية من أجل تخريج الضباط الأوائل للجيش الجديد في مدينة أسوان جنوب مصر، وبعيداً عن التأثيرات السلبية التي قد تأتيهم من القاهرة، ثم اختار لها خمسمائة فرد من مماليكه وخمسمائة آخرين من مماليك رجاله، ليشكلوا جهازاً من ألف شخص تقريباً، ويخضعون لمرحلة تعليمية تستمر ثلاث سنوات، ويجري تخريجهم بعدها ليصبحوا ضباطاً وقادة للجيش المزمع تشكيله. وكان يلزمهم خلال تلك المرحلة عدد من الكتب المطبوعة. ولعل ذلك هو أحد الأسباب الرئيسية وراء

---

(٢) الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، بيروت دار الجيل ١٩٧٨، جـ ٢، ص ٥٢٩ (حوادث محرم ١٢١٧).

(٣) انظر: Khaled Fahmy, *All the Pasha's men: Mehmed Ali, his army and the making of modern Egypt*, Cambridge: Cambridge University, 1997, p. 81-82.

إقامة مطبعة بولاق، إذ كان عليها أن تتولى طباعة وتوفير العدد اللازم من الكتب المستخدمة في تعليم هؤلاء الضباط، وتعليم أفراد الجيش الذي سيوضع تحت قيادتهم. ويجد القارئ في القسم الخاص بمطبعة بولاق أننا سعينا لإيضاح ذلك بإسهاب، وأشرنا إلى أن كتاب (وصايا نامه' سفريه) الذي ترجمه شاني زاده من الفرنسية إلى التركية والذي يضم نماذج من أساليب القيادة العسكرية البروسية كما وضعها الملك فردريك هو أول كتاب طبع لهذا الغرض في بولاق (ديسمبر ١٨٢٢م)، أي للارتقاء بملكات القيادة لدى الضباط، وتزويدهم بخبرة أساسها الجيوش الأوربية.

وقد أودعت مسئولية تنشئة هذا الفريق القيادي الأول أمانةً بين يدي لاظوغلى محمد(٤)، مساعد محمد علي وصديقه المخلص. وجرت العملية التعليمية آنذاك بقدر كبير على أيدي القادة الأتراك ومعهم الكولونيل سيف الذي عُرف باسم سليمان أغا كما سبق وأشرنا.

وهذا الجيش الذي يضم الآلاف ممن جُمعوا بطريقة التجنيد الإجباري كان يتشكل قوامه من الشبان المصريين والسودانيين، أما الرأس أو هيئة القيادة فقد تشكلت من الضباط الأتراك أو القادة الذين يتحدثون اللغة التركية. ففي عام ١٨٢٠م تم إرسال حملتين على السودان، وجُمع عدد من العبيد الذين أُرسلوا إلى مصر لتلقي التعليم اللازم للانضواء في الجيش الجديد. وجُمع مع هؤلاء عدد كبير من أهالي مصر المحليين، أي من الشبان الفلاحين، ثم وضع الجميع تحت إمرة الضباط الذين تخرجوا – كما ذكرنا سابقاً – في مدرسة القادة بأسوان. غير أن الشبان الذين جاءوا من السودان لم يستطيعوا تحمل الجو في مصر، وفتكت الأمراض بعدد كبير منهم، فتقرر عندئذٍ أن يقتصر التجنيد في الجيش الجديد على الشبان المصريين.

---

(٤) ولد في مصر، وكان وكيل الباشا وكتخداه، ومن أقرب معاونيه في أوائل حكمه. وناب عنه في الحكم لما توجه إلى الحجاز، وكان مستعداً دائماً لحماية مصالح أسرة محمد علي والحفاظ عليها. وكان لطيف باشا لدى عودته من استانبول يستعد للانقضاض على الحكومة والاطاحة بها فتصدى لاظ أوغلى للأمر ومنع وقوع تلك المؤامرة، وغرر بلطيف باشا وقتله ثم ألقى بجيشه في البحر.

ومع مرور الوقت ازداد عدد أفراد الجيش حتى بلغ ١٣٠٠٠٠ جندي، وكان أغلبهم من أبناء الفلاحين المصريين كما أسلفنا(٥). وباطراد عدد الأفراد زادت الحاجة إلى القادة الذين يتحدثون التركية، وكان يجري لأجل هذا أيضاً جمع ضباط من الأراضي العثمانية ممن يصعب وجودهم في مصر. وهاهنا أمام ذلك النشاط التعليمي العسكري، المزدوج اللغة، كان لا بد في البداية من ترجمة الكتب العسكرية إلى اللغة التركية التي يفهمها الباشا وقواده، ثم طَبْع تلك الكتب. ولهذا الغرض طلب محمد علي ترجمة العديد من الكتب إلى اللغة التركية، وخاصة من اللغة الفرنسية.

وفي شهر يناير ١٨٢٣م تم تشكيل أول ست أورطات في الجيش النظامي، واستمر تعليمهم وتدريبهم حتى منتصف شهر يونية ١٨٢٤م. وعندما ننظر إلى كتب الجندية التركية المطبوعة في مطبعة بولاق ندرك أن كتاب (قانوننامه ٔ عساكر پيادگان جهاديه) قد جرت ترجمته من الفرنسية إلى التركية، وطبع في تلك الأثناء ذاتها (١٨٢٣م) لاستخدامه في تدريب عساكر المشاة (البيادة).

ولم يقتصر الأمر على القادة والضباط الذين يتحدثون اللغة التركية في ذلك الجيش الحديث، بل اقتضت الضرورة أن تكون الأوامر والنداءات بهذه اللغة للآلاف من الجنود الذين لا يعرفون التركية أيضاً. وكان من بين تلك النداءات: (حاضر اول، سلام دور، صاغه باق، صوله باق)، وغير ذلك، وهي كلها باللغة التركية. وظل استخدام قسم من تلك المصطلحات جارياً في الجيش المصري حتى أواسط القرن العشرين، بينما لا زال قسم قليل منها مستخدماً حتى اليوم. أما مصطلح (أفندم) الذي هو لفظ لا غنى عنه في مخاطبة الرتب العليا في الحياة العسكرية فلا زال موجوداً حتى اليوم في الحياة العسكرية والمدنية معاً، ويمثل علامة حية باقية منذ عهد محمد علي باشا.

---

(٥) لقد اطرد عدد أفراد الجيش النظامي بسرعة كبيرة في عهد محمد علي، فقد كان يبلغ ثلاثين ألفاً في عام ١٨٢٣، ثم تضاعف إلى ستين ألفاً في عام ١٨٢٤، ثم إلى تسعين ألفاً في عام ١٨٢٦، ومائة ألف في عام ١٨٣٥، ثم مائة وثلاثة وعشرين ألفاً في عام ١٨٣٧، حتى بلغ العدد مداه في عام ١٨٣٩ وكان مائة وثلاثين ألفاً (انظر: كلوت بك، الجزء الثاني، ص ٢٣٥، وعبدالرحمن زكي، التاريخ الحربي لعصر محمد علي، ص ٥٥١، وعبدالرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، الجزء الثالث، عصر محمد علي، ص ٣٤٩).

- أدبيات الحياة العسكرية التركية في مصر

كان لا بد لهيئة القيادة في الجيش المصري المزمع إنشاؤه حديثاً من كتب يمكن أن تستخدمها في التدريب والتعليم، ويمكن لأعضائها أنفسهم أن يتعلموا منها بشكل أفضل فنون الحرب من شتى جوانبها، وأن تكون تلك الكتب باللغة التركية ومطبوعة في الوقت نفسه. وكان هناك مصدران لتلك الكتب التي ستطبع في مطبعة بولاق التي أقيمت لهذا الغرض خصيصاً؛ الأول هو مدينة استانبول كما شوهد في كثير من حركات التجديد قبل ذلك، والثاني مصدر محلي يتمثل في الكتب التي سيتقرر ترجمتها عن اللغات الأوروبية ثم طباعتها. ويمكننا أن نذكر من كتب المجموعة الأولى – عدا كتاب شاني زاده – كتب حسين رفقي طماني وإسحاق أفندي وتروگه Truguet(٦).

أما القسم الأكبر من الكتب التي شكلت أدبيات الجندية باللغة التركية فقد تم اختيارها وترجمتها عن اللغات الأوروبية وخاصة الفرنسية. وكان الواضح للعيان أن الدور الأساسي في التوجيه والتشجيع على اختيار الكتب الفرنسية يقع على الوالي محمد علي باشا وابنه قائد الجيش إبراهيم باشا بجانب ما كان من دورٍ على المستوى الفني للخبراء العسكريين من الأتراك والفرنسيين. ويظهر من المكاتبات التي جرت بين إبراهيم باشا ووالده عندما كان على الجبهة السورية أنه طلب من القاهرة الكتب التي طبعت من أجل استمرار تعليم العساكر (في تعليم المشاة وغيرها)، وطلب من ناحية أخرى ترجمة بعض الكتب الجديدة(٧).

---

(٦) ومع ذلك فعند النظر إلى كتب العسكرية التي طبعت في عهد محمد علي باشا يلاحظ أنها تجاوزت في العدد ما كان يطبع في استانبول. وعند المقارنة بين الكتب العسكرية التي طبعت في استانبول وفي القاهرة من نوع كتب القوانين والتدريب وغيرها خلال الفترة الواقعة بين ١٨٠٠ – ١٨٦٠ نلاحظ أن طباعة هذه الكتب بدأت في مصر قبل بدايتها في استانبول. وعلى سبيل المثال فإن تاريخ طباعة كتاب تعليم المشاة الأول في مصر هو عام ١٢٣٨/ ١٨٢٣. أما في استانبول فإن أول كتاب تعليم للمشاة قد طبع في عام ١٢٤٥/ ١٨٢٩ (للمقارنة في هذا الموضوع انظر: *Osmanlı askerlik literatürü tarihi*, 2 cilt, İstanbul: IRCICA, 2004.

(٧) وأحياناً قد يتجدد الحديث عن كتاب تُرجم وطُبع من قبل، فعلى سبيل المثال يذكر إبراهيم باشا في خطاب أرسله بتاريخ ٢١ رمضان ١٢٤٨ إلى والده الكتاب الذي يضم توصيات الملك فردريك الأكبر إلى قوات جيشه ويذكر له أنه ترجم على يد مختار الدويدار الموجود في باريس ثم يقترح على والده طباعة هذا الكتاب. ويرد محمد علي باشا عليه برسالة بعثها في ٨ شوال فيقول له إن هذا

وتدلنا مصادر ذلك العهد على أن الوالي محمد علي باشا اشترى العديد من الكتب من أوربا (وخاصة فرنسا وإيطاليا وانجلترا) ومن تركيا (استانبول وإزمير) في موضوعات شتى على رأسها الشئون العسكرية. وقد بدأت عملية شراء الكتب قبل عودة عثمان نورالدين (١٨١٧م) أحد المبعوثين الأوائل للدراسة في أوربا، واستمرت تلك العملية بعد ذلك بأساليب شتى. وتشير المعلومات المتاحة بين أيدينا إلى أنهم كانوا يطلبون أحياناً مجموعة معينة من الكتب معاً، وأحياناً يطلبون كتاباً واحداً بعينه(٨).

وكان عثمان نورالدين (سقازاده) هو الشخصية التي قامت بدور الريادة لمدة طويلة في ترجمة الكتب من اللغات الأوربية إلى التركية وطباعتها، وكذلك في تدشين حملة التجديد في مجالات عدة في مصر وعلى رأسها الجيش. ويلاحظ أن حركة الترجمة التي بدأت بريادته قد أعدت بناءً على الحاجة التي فرضتها الظروف آنذاك. وكانت غالبية مَنْ تولوا الترجمة إما من الأتراك الذين عملوا في خدمة الباشا مثل عثمان نورالدين، وإما من موظفي الإدارة الذين يجيدون التركية. وقد كان هناك – عدا عثمان نورالدين – شخصية أخرى بارزة عملت في ذلك المجال ألا وهو كاني بك الذي كان من كبار الموظفين، وشارك في العديد من اللجان التي تشكلت لتنظيم الأنشطة التعليمية، وقام إما بنقل العديد من الكتب الفرنسية إلى اللغة التركية أو بالإشراف عليها(٩). فقد تولى كاني بك وبأمر من الوالي الاضطلاع بالأعمال المهمة التي كان يضطلع بها عثمان نورالدين في مجال التعليم

لكتاب ترجم وطبع من قبل (هذا الكتاب هو: وصايا نامهء سفريه الذي ترجمه شاني زاده). وللاطلاع على الخطابين والمزيد من الأمثلة انظر: جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عهد محمد علي، القاهرة ١٩٥١، ص١٦١ - ١٦٢.

(٨) ومن ذلك طلب محمد علي باشا من ابنه إبراهيم في عام ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٩م إرسال كتاب الاستحكامات القوية الوارد من استانبول قبل ذلك وملحق به أطلس يضم ٢٤ شكلاً (انظر: الشيال، المصدر السابق، ص ٤٧، وأمين سامي باشا، تقويم النيل، جـ ٢ ، ص ٣٤٧).

(٩) كان لمحمد كاني التتاري الأصل (ت ١٨٨٥م) دور نشيط في اللجان التي كلفت بتأسيس ديوان المدارس عام ١٨٣٧، وكان له إسهامات مهمة في تطوير نظام التعليم الحديث وترسيخ قواعده. وكان قد عين على رأس قلم الترجمة التركية عندما أعيد تنظيم قلم الترجمة (تأسس ١٨٤١م) التابع لمدرسة الألسن (التأسيس ١٨٣٥م) وذلك في أثناء ولاية إبراهيم باشا التي لم تدم طويلاً. وكان الغرض من تأسيس ذلك القلم هو ترجمة الكتب الفرنسية التي أعدت في التاريخ وفروع العلم المختلفة إلى التركية. حول كاني بك انظر: جمال الدين الشيال، المصدر السابق، ص ٤٤، ١٦٠ - ١٦١، ١٦٤ وشمس الدين سامي، قاموس الأعلام، جـ ٥، استانبول: مهران مطبعه سى، ١٣٠٦، ص ٣٨١٩. وانظر أيضاً: Mehmet Zeki Pakalın, *Maliye teşkilatı tarihi [1442-1930]*, c. III, Ankara: Maliye Bakanlığı, 1978, s. 253-280.

والترجمة، وخاصة بعد مغادرة الأخير مصر متوجهاً إلى استانبول في عام ١٨٣٣م. ولكن ما هي الكتب التي ترجمها كاني بك أو أشرف على ترجمتها، إنه أمر لم يُدرج بوضوح في كل الكتب المطبوعة، ومن ثم يكون من الصعب تحديد ذلك. وله كتاب طبع عام ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م تحت عنوان (مزراقلى پياده وسُواري)(١٠). أما كتبه الأخرى التي نعلم أنه ترجمها من الفرنسية إلى التركية فهي:. تحفهٔ ضابطان – ١٢٥١هـ(١٨٣٥م) وقانون ثالث وأسب اوزرنده اجرا اولنان تعليماتى شاملدر ١٢٥١هـ(١٨٣٥م – ١٨٣٦م). وتدلنا إحدى العرائض المرسلة من أدهم بك إلى الوالي محمد علي باشا والمؤرخة في ٢٩ رجب ١٢٥١هـ على أنه رأى في كاني بك شخصاً مناسباً لترجمة ثلاثة كتب في المدفعية طُلب ترجمتها من الفرنسية إلى التركية(١١).

وعندما كان يجري تعيين كاني بك لمهمة مؤقتة غير وظيفته كان معاونه الأرمني الأصل استفان أفندي يقوم بإتمام أعمال الترجمة التي بدأها. فعندما كلَّف مجلس الجهادية كاني بك بأن يكون واحداً ضمن رجال قائد الجيش إبراهيم باشا في الشام عام ١٨٣٢م كان قد شرع في ترجمة كتاب من الفرنسية إلى التركية بعنوان (سوارى تعليماتنامه سى)، فترك الترجمة وأتمها معاونه استفان أفندي. كما قام الأخير بترجمة كتاب من الفرنسية إلى التركية تحت عنوان (سواري قومندانلغى) أو (جديد سواري تعليمنامه سنك ندالرينى حاوى رساله در) (١٢٥٠هـ)، والمعروف أن استفان أفندي قام بعدد من الترجمات من العربية إلى الفرنسية أيضاً(١٢).

---

(١٠) انظر: الشيال، المصدر السابق، ص ١٦٠ – ١٦١. ويلاحظ عدم وجود اسم كانى بك على هذا الكتاب.

(١١) الشيال، المصدر السابق، ص ١٦١.

(١٢) كان استفان رسمي أفندى واحداً من بين الطلبة الموفدين للدراسة إلى باريس في عام ١٨٢٦م وقد تم تعيينه مدرساً في عام ١٨٣٨م في مدرسة الإدارة الملكية التي تأسست عام ١٨٣٤م لتنشئة الكتبة والموظفين الجدد من أجل الجهاز البيروقراطي الحديث. وكان عضواً ووكيلاً للرئيس في مجلس شورى المدارس، كما عين ليكون مسئولاً عن هيئة الطلاب الموفدة إلى باريس في عام ١٨٤٤م وتضم سبعين شخصاً كان من بين أعضائها أبناء محمد علي وأحفاده. انظر: *Egypt in Reign of Muhammad Ali*, p. 127- 129 والشيال ، المصدر السابق، ص ١٦٦، ورضوان ، ص ١١٧، ١٣٥.

ومن الرجال الذين أسهموا في حركة ترجمة الكتب العسكرية من الفرنسية إلى التركية رجل يدعى أحمد خليل أفندي، ويبدو باحتمال كبير أنه من أصل تركي[١٣]. فقد عمل أحمد خليل ناظراً لمدرسة الجهادية ومعلماً أول في المهندسخانة المصرية ، وكتبه المطبوعة هي: قانوننامه ٔ عساكر پيادگان جهاديه – ١٢٣٨هـ(١٨٢٣م) و١٢٤٥هـ (١٨٣٠م)، وقانوننامه ٔ بحريه ٔ جهاديه – ١٢٤٢هـ (١٨٢٧م)، وتعليمنامه ٔ پيادگان (مع عثمان نورالدين) – ١٢٣٩هـ (١٨٢٤م) و ١٢٤٥هـ (١٨٣٠م)، وتعليمنامه ٔ طوپچيان جهاديهء بحريه – ١٢٤٢هـ (١٨٢٧م)[١٤].

كما يوجد عدا هؤلاء رجال آخرون أسهموا بقدر معين في ذلك المجال، وهم: جركس محمود قپودان (محمود نامي باشا)[١٥] الذي طُبع له كتاب في مصر بعنوان: أصول حركات السفائن – ١٢٥٢ (١٨٣٦م)، ومحمد عصمت أفندي الدياربكري الذي ترجم كتاباً بعنوان: مبادئ هندسه – ١٢٥٩هـ (١٨٤٣م) و ١٢٧٠هـ (١٨٥٤م)، ومحمد شنن قبطان الذي ترجم قانون البحرية الفرنسي المؤرخ في ١٨٢٧م[١٦].

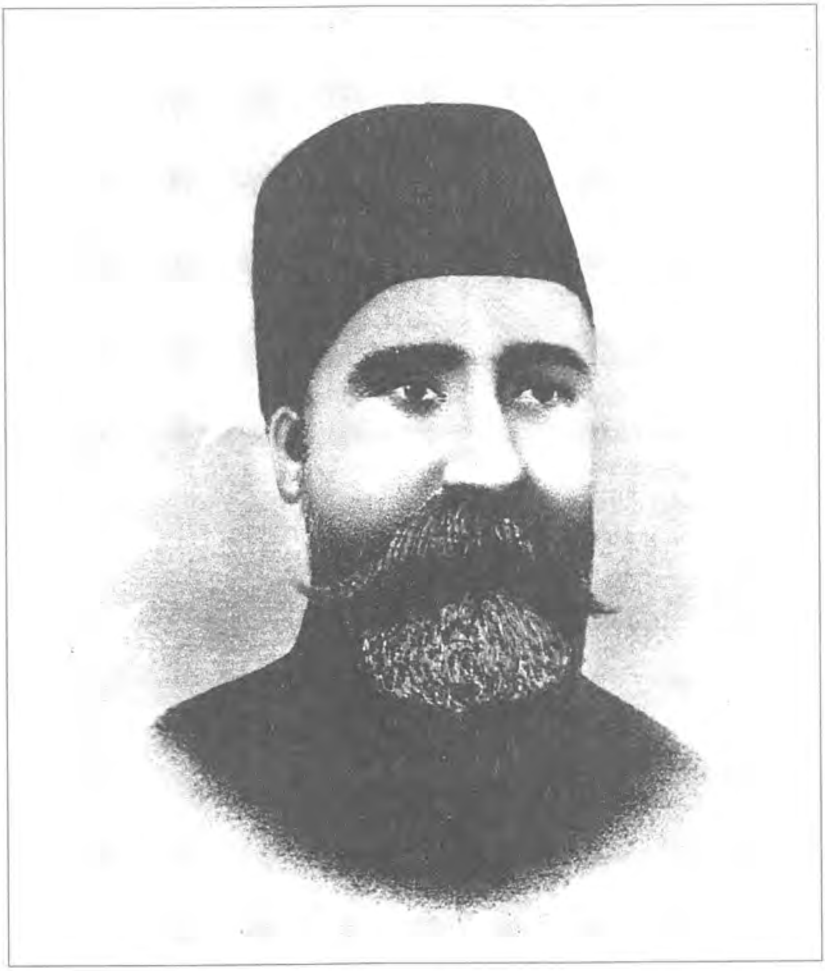
---

(١٣) لا نعلم الكثير عن حياة أحمد خليل أفندي، ويبدو أنه لم يكن على قيد الحياة بعد تاريخ ١٨٣٠م الذي طبع فيه كتاب (تعليم نامه ٔ پيادكان) الذي ترجمه مع عثمان نورالدين. انظر : قانوننامهء بحريهء جهاديه (بولاق ١٢٤٢هـ)، ص ١٤١ – ١٤٢.

(١٤) أما الكتاب المعروف باسم (ترجمة ترتيب فن اوردو) والذي ترجمه عن مؤلف يدعى مولر Müller فلم يطبع (*Osmanlı askerlik literatürü tarihi*, 1 cilt, s.64).

(١٥) محمود نامي جركسي الأصل، وهو من الشبان الذين أرسلوا لدراسة الملاحة البحرية في فرنسا عام ١٨٢٦م. وعندما بدأت الحرب مع سوريا في عهد محمد علي تم تعيينه و الياً على بيروت (١٨٣٣م– ١٨٤٠م)، فلما توفي محمد علي تحول محمود نامي إلى الإدارة المدنية، وعمل ناظراً للمالية حتى عام ١٨٥٩م، وحصل على رتبة الباشوية. وهو جد الداماد أحمد نامي بك زوج الأميرة عائشة بنت السلطان عبد الحميد الثاني والذي صار رئيساً لسوريا بعد انتهاء الدولة العثمانية (انظر: الشيال ، المصدر السابق، ص ١٦٥ و Heyworth-Dunne, *op. Cit.*, p. 139, 160).

(١٦) هو أحد الشبان الموفدين إلى فرنسا للدراسة في عام ١٨٢٦م. وقد درس الملاحة البحرية، وعين في الأسطول المصري، وارتقى حتى بلغ درجة وكيل قومندان. وتم تعيينه ناظراً على المكتب العالي الذي تأسس لتعليم أبناء وأقرباء محمد علي في عام ١٨٣٦ (فبراير ١٨٤٠ – يونية ١٨٤٨م). وقد توفي عام ١٨٥٥م. (انظر: الشيال ، المصدر السابق، ص ١٦٥، والأمير عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد، الاسكندرية ١٩٣٤، ص ٣٨ – ٣٩ وأحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في عصر محمد علي، ص ٢٤٧. وعبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص ٤٨٠.



محمود نامي باشا الذي وضع كتاب أصول حركات السفائن ١٢٥٢هـ (١٨٣٦م)

وقد كان استخدام اللغة التركية في الجيش نابعاً من حاجة أساسية إليها، إذ كانت جاهزة للتعبير عن شتى جوانب الحياة العسكرية، ولإصدار الأوامر والنداءات اللازمة في

السلم والحرب، ولا توجد لغة أخرى يمكنها أن تحل محلها. وهي بحكم ما تملكه من مصطلح وتجربة اكتسبتها على مدى قرون كانت الأصلح للحياة العسكرية التي يرتبط كل تحرك أو تصرف فيها بأمر أو نداء معين. كما أن اللغة التركية كانت قد تأثرت إلى حدٍ معين بالعسكرية الأوربية، وخاصة مع تجربة جيش "النظام الجديد" في استانبول، وظهور مصطلحات وألفاظ جديدة، ومن ثم كانت من الثراء بحيث يمكنها كلغة عسكرية أن تلبي حاجة الباشا.

وقد استطعنا خلال هذه الدراسة أن نتحقق من وجود ثلاثة وسبعين كتاباً تركياً في فنون الحرب، طُبعت في مصر على أيام محمد علي باشا (١٨٢٢م- ١٨٤٩م) [(١٧)]. وهذه الكتب تتوزع على موضوعات الشئون العسكرية، إذ تتعلق ثلاثة وعشرون منها بسلاح المشاة، وأحد عشر كتاباً تتعلق بسلاح الفرسان، وتسعة في سلاح البحرية، وعشرة في الإدارة والتعبئة، وستة في سلاح المدفعية، وستة في الهندسة العسكرية، وثمانية في التعليم العسكري. ويعد كتاب (وصايا نامه' سفريه) الذي هو أول كتاب طبع في مصر حول العسكرية، واحتوى وصايا ملك بروسا فردريك الثاني، تم طبع الكتاب الثاني في العسكرية، وهو الذي ترجمه أحمد خليل أفندي، وعُرف باسم (قانوننامهء عساكر پيادگان جهاديه) (١٨٢٣م). كما طُبع بعد ذلك أيضاً عدد كبير من الكتب حول سلاح المشاة[(١٨)]. أما طباعة أول كتاب في سلاح الفرسان فقد وقعت عام ١٨٣٠م. وهو كتاب (قانوننامه' عساكر سُواريان جهاديه) الذي ترجمه عن الفرنسية عثمان نورالدين أحد المقربين – كما سلف – إلى محمد علي باشا. وطبعت في السنة التالية خمسة قوانين تتعلق بتعليم الفرسان وتدريبهم تحت اسم (تعليمنامه' عساكر ظفر ميسر سواريان جهاديه) [(١٩)]. وعند النظر إلى

(١٧) أربع وستون من كتب العسكرية المطبوعة في عهد محمد علي هي كتب مترجمة؛ أحدها عن الإيطالية حول الطوبخانة والجبخانة (١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م). أما كتاب وصايانامه سفريه فهو في الأصل بالألمانية ثم ترجم إلى الفرنسية ومنها إلى التركية.

(١٨) وقد استمرت طباعة الكتب في هذا الموضوع بعد عهد محمد علي أيضاً. وقد توصلنا في هذه الدراسة إلى وجود ثلاثين كتاباً طبعت في مصر في مجال سلاح المشاة. ولا يوجد تاريخ للطبع فوق اثنين منها. وكان آخر كتاب طبع في المشاة هو (قانوننامه' عساكر پيادگان) الذي طبع عام ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م- ٥٩.

(١٩) وهذه القوانين المترجمة عن الفرنسية قد طبعت بعد ذلك في ثلاثة كتب مستقلة.

الكتب التسعة التي طُبعت في موضوع البحرية بين سنوات ١٨٢٦ – ١٨٣٨م نرى أن ثلاثة منها تُرجمت عن تروگه Truguet. إذ يتحدث محمود نامي باشا الشهير باسم جركس محمود – في صدر كتابه المعروف باسم (أصول حركات السفائن) عن ذلك الأمر فيقول:

"... كان كتاب الأسطول – الذي هو مترجم في الدولة العلية لملاح يدعى تروگه Truguet قائد طرّاد (corvette) في أسطول دولة فرنسا في تاريخ ألف ومائتين [١٧٨٥ – ١٧٨٦م] – قد ظل منهجاً معمولاً به منذ ذلك الزمن، ولهذا جرى العمل بما جاء فيه والاكتفاء به إلى الآن.."، ثم يذكر أنه هو نفسه رتّب وألّف كتاباً في هذا الموضوع[٢٠]. وبعد ظهور الكتاب المترجم بعنوان: (مجموعه" فن البحريه) الذي طُبع عام ١٨٣٨م لم يظهر كتاب في ذلك الموضوع في مصر حتى عام ١٨٦٤م، إذ جرى في ذلك التاريخ طَبْع كتابين في آن واحد. وكان عام ١٨٦٨م هو تاريخ آخر كتاب تم طبعه في موضوع الملاحة البحرية باسم مرشد البحارة (رهبر بحريون). أما عدد الكتب في مجال المدفعية فالملاحظ أنه يقل عن عدد الكتب في الموضوعات الأخرى. فهناك ثمانية كتب في موضوع المدفعية، ستة منها طُبعت في عهد محمد علي باشا، وتاريخ طباعة أول كتاب فيها هو عام ١٨٣١م. وآخر كتاب عُرف باسم (تعليم نامهء بطاريه)، وتاريخ طباعته هو سنة ١٨٥٥م.

وتأتي باكورة مطبوعات الهندسة العسكرية بكتابين لحسين رفقي طماني، جرى طبعهما قبل ذلك في استانبول، والأول هو: تلخيص الأشكال في معرفة ترفيع الأثقال في فن لغم (استانبول ١٨٠١م والقاهرة ١٨٢٤م)، والثاني هو: خمبره جدولينك طريق حسابى بياننده در (استانبول ١٨٠٢م والقاهرة ١٨٢٣ – ١٨٢٤م). وهناك كتاب آخر مهم في هذا الموضوع طُبع عام ١٨٣٥م وعُرف بعنوان: پيروتكنى ميليتير يعنى حرب ايچون فشنك

---

(٢٠) كان أول ما طبع من كتب تروگه Truguet (يرسم في العثمانية هكذا) هو (رسالة في قوانين الملاحة). الذي طبع ثلاث مرات في أعوام ١٨٢٦ و ١٨٣٢ و ١٨٦٤م. أما كتابه الثاني فهو الذي يحمل اسم: (أصول المعارف في وجه تصفيف سفائن دونتما) وتاريخ طباعته هو ١٨٢٦م. أما طبعة استانبول فقد ظهرت عام ١٧٨٨م.

٢٦٠ خمبره جدولی

٩٦٥ تولاجارك ١٥ درجه‌دن تجربه‌لری

١٣٠٥	٢١ ١٦	١٤٥٥	٢٤ ٢٨	١٦٠٥	٢٨ ٨	١٧٥٥	٣٢ ٤٣
١٣١٠	٢١ ٢٢	١٤٦٠	٢٤ ٣٥	١٦١٠	٢٨ ١٦	١٧٦٠	٣٢ ٥٤
١٣١٥	٢١ ٢٨	١٤٦٥	٢٤ ٤١	١٦١٥	٢٨ ٢٤	١٧٦٥	٣٣ ١
١٣٢٠	٢١ ٣٥	١٤٧٠	٢٤ ٤٨	١٦٢٠	٢٨ ٣٢	١٧٧٠	٣٣ ١٦
١٣٢٥	٢١ ٤١	١٤٧٥	٢٤ ٥٥	١٦٢٥	٢٨ ٤٠	١٧٧٥	٣٣ ٢٧
١٣٣٠	٢١ ٤٧	١٤٨٠	٢٥ ٢	١٦٣٠	٢٨ ٤٩	١٧٨٠	٣٣ ٣٨
١٣٣٥	٢١ ٥٣	١٤٨٥	٢٥ ٩	١٦٣٥	٢٨ ٥٧	١٧٨٥	٣٣ ٥٠
١٣٤٠	٢١ ٥٩	١٤٩٠	٢٥ ١٦	١٦٤٠	٢٩ ٦	١٧٩٠	٣٤ ٢
١٣٤٥	٢٢ ٥	١٤٩٥	٢٥ ٢٣	١٦٤٥	٢٩ ١٤	١٧٩٥	٣٤ ١٤
١٣٥٠	٢٢ ١١	١٥٠٠	٢٥ ٣٠	١٦٥٠	٢٩ ٢٣	١٨٠٠	٣٤ ٢٥
١٣٥٥	٢٢ ١٨	١٥٠٥	٢٥ ٣٧	١٦٥٥	٢٩ ٣١	١٨٠٥	٣٤ ٣٨
١٣٦٠	٢٢ ٢٤	١٥١٠	٢٥ ٤٤	١٦٦٠	٢٩ ٤٠	١٨١٠	٣٤ ٥١
١٣٦٥	٢٢ ٣٠	١٥١٥	٢٥ ٥١	١٦٦٥	٢٩ ٤٩	١٨١٥	٣٥ ٤
١٣٧٠	٢٢ ٣٧	١٥٢٠	٢٥ ٥٩	١٦٧٠	٢٩ ٥٧	١٨٢٠	٣٥ ١٧
١٣٧٥	٢٢ ٤٣	١٥٢٥	٢٦ ٦	١٦٧٥	٣٠ ٦	١٨٢٥	٣٥ ٣٠
١٣٨٠	٢٢ ٤٩	١٥٣٠	٢٦ ١٣	١٦٨٠	٣٠ ١٥	١٨٣٠	٣٥ ٤٤
١٣٨٥	٢٢ ٥٦	١٥٣٥	٢٦ ٢٠	١٦٨٥	٣٠ ٢٤	١٨٣٥	٣٥ ٥٨
١٣٩٠	٢٣ ٢	١٥٤٠	٢٦ ٢٨	١٦٩٠	٣٠ ٣٤	١٨٤٠	٣٦ ١٣
١٣٩٥	٢٣ ٩	١٥٤٥	٢٦ ٣٥	١٦٩٥	٣٠ ٤٣	١٨٤٥	٣٦ ٢٨
١٤٠٠	٢٣ ١٥	١٥٥٠	٢٦ ٤٣	١٧٠٠	٣٠ ٥٣	١٨٥٠	٣٦ ٤٤
١٤٠٥	٢٣ ٢٢	١٥٥٥	٢٦ ٥٠	١٧٠٥	٣١ ٢	١٨٥٥	٣٦ ٥٩
١٤١٠	٢٣ ٢٨	١٥٦٠	٢٦ ٥٧	١٧١٠	٣١ ١١	١٨٦٠	٣٧ ١٦
١٤١٥	٢٣ ٣٥	١٥٦٥	٢٧ ٥	١٧١٥	٣١ ٢١	١٨٦٥	٣٧ ٣٣
١٤٢٠	٢٣ ٤١	١٥٧٠	٢٧ ١٣	١٧٢٠	٣١ ٣١	١٨٧٠	٣٧ ٥٠
١٤٢٥	٢٣ ٤٨	١٥٧٥	٢٧ ٢١	١٧٢٥	٣١ ٤٠	١٨٧٥	٣٨ ٩
١٤٣٠	٢٣ ٥٤	١٥٨٠	٢٧ ٢٩	١٧٣٠	٣١ ٥٠	١٨٨٠	٣٨ ٢٨
١٤٣٥	٢٤ ١	١٥٨٥	٢٧ ٣٦	١٧٣٥	٣٢ ١	١٨٨٥	٣٨ ٤٨
١٤٤٠	٢٤ ٨	١٥٩٠	٢٧ ٤٤	١٧٤٠	٣٢ ١١	١٨٩٠	٣٩ ٩
١٤٤٥	٢٤ ١٤	١٥٩٥	٢٧ ٥٣	١٧٤٥	٣٢ ٢١	١٨٩٥	٣٩ ٣٢
١٤٥٠	٢٤ ٢١	١٦٠٠	٢٨ ٠	١٧٥٠	٣٢ ٣٢	١٩٠٠	٣٩ ٥٦

٢٦١ خمبره جدولی

٩٦٥، ٩٧٠ تولاجارك ١٥ درجه‌دن تجربه‌لری

١٩٠٥	٤٠ ٢٣	٩٨٥	١٥ ١٥	١١٣٥	١٧ ٥٤	١٢٨٥	٢٠ ٤٥
١٩١٠	٤٠ ٥٢	٩٩٠	١٥ ٢١	١١٤٠	١٨ ٠	١٢٩٠	٢٠ ٥٠
١٩١٥	٤١ ٢٥	٩٩٥	١٥ ٢٦	١١٤٥	١٨ ٥	١٢٩٥	٢٠ ٥٦
١٩٢٠	٤٢ ١	١٠٠٠	١٥ ٣١	١١٥٠	١٨ ١١	١٣٠٠	٢١ ٢
١٩٢٥	٤٢ ٥٦	١٠٠٥	١٥ ٣٦	١١٥٥	١٨ ١٦	١٣٠٥	٢١ ٨
١٩٣٠	٤٥ ٠	١٠١٠	١٥ ٤١	١١٦٠	١٨ ٢٢	١٣١٠	٢١ ١٤
ق	ح	١٠١٥	١٥ ٤٦	١١٦٥	١٨ ٢٧	١٣١٥	٢١ ٢٠
٩٧٠	١٥°	١٠٢٠	١٥ ٥٢	١١٧٠	١٨ ٣٣	١٣٢٠	٢١ ٢٦
		١٠٢٥	١٥ ٥٧	١١٧٥	١٨ ٣٨	١٣٢٥	٢١ ٣٢
٨٨٠	١٣ ٢٩	١٠٣٠	١٦ ٢	١١٨٠	١٨ ٤٤	١٣٣٠	٢١ ٣٨
٨٨٥	١٣ ٣٤	١٠٣٥	١٦ ٧	١١٨٥	١٨ ٤٩	١٣٣٥	٢١ ٤٥
٨٩٠	١٣ ٣٩	١٠٤٠	١٦ ١٣	١١٩٠	١٨ ٥٥	١٣٤٠	٢١ ٥١
٨٩٥	١٣ ٤٤	١٠٤٥	١٦ ١٨	١١٩٥	١٩ ١	١٣٤٥	٢١ ٥٧
٩٠٠	١٣ ٤٩	١٠٥٠	١٦ ٢٣	١٢٠٠	١٩ ٦	١٣٥٠	٢٢ ٣
٩٠٥	١٣ ٥٤	١٠٥٥	١٦ ٢٨	١٢٠٥	١٩ ١٢	١٣٥٥	٢٢ ٩
٩١٠	١٣ ٥٩	١٠٦٠	١٦ ٣٤	١٢١٠	١٩ ١٨	١٣٦٠	٢٢ ١٥
٩١٥	١٤ ٤	١٠٦٥	١٦ ٣٩	١٢١٥	١٩ ٢٣	١٣٦٥	٢٢ ٢٢
٩٢٠	١٤ ٩	١٠٧٠	١٦ ٤٤	١٢٢٠	١٩ ٢٩	١٣٧٠	٢٢ ٢٨
٩٢٥	١٤ ١٤	١٠٧٥	١٦ ٥٠	١٢٢٥	١٩ ٣٥	١٣٧٥	٢٢ ٣٤
٩٣٠	١٤ ١٩	١٠٨٠	١٦ ٥٥	١٢٣٠	١٩ ٤٠	١٣٨٠	٢٢ ٤٠
٩٣٥	١٤ ٢٤	١٠٨٥	١٧ ٠	١٢٣٥	١٩ ٤٦	١٣٨٥	٢٢ ٤٧
٩٤٠	١٤ ٢٩	١٠٩٠	١٧ ٦	١٢٤٠	١٩ ٥٢	١٣٩٠	٢٢ ٥٣
٩٤٥	١٤ ٣٥	١٠٩٥	١٧ ١١	١٢٤٥	١٩ ٥٨	١٣٩٥	٢٢ ٥٩
٩٥٠	١٤ ٤٠	١١٠٠	١٧ ١٦	١٢٥٠	٢٠ ٣	١٤٠٠	٢٣ ٦
٩٥٥	١٤ ٤٥	١١٠٥	١٧ ٢٢	١٢٥٥	٢٠ ٩	١٤٠٥	٢٣ ١٢
٩٦٠	١٤ ٥٠	١١١٠	١٧ ٢٧	١٢٦٠	٢٠ ١٥	١٤١٠	٢٣ ١٩
٩٦٥	١٤ ٥٥	١١١٥	١٧ ٣٣	١٢٦٥	٢٠ ٢١	١٤١٥	٢٣ ٢٥
٩٧٠	١٥ -	١١٢٠	١٧ ٣٨	١٢٧٠	٢٠ ٢٧	١٤٢٠	٢٣ ٣١
٩٧٥	١٥ ٥	١١٢٥	١٧ ٤٣	١٢٧٥	٢٠ ٣٣	١٤٢٥	٢٣ ٣٨
٩٨٠	١٥ ١٠	١١٣٠	١٧ ٤٩	١٢٨٠	٢٠ ٣٩	١٤٣٠	٢٣ ٤٥

٣٥

نموذج من كتاب "خمبره جدولينك طريق حسابى بياننده در"

اعمال ايدوب استعمال ايتمك فنى بياننده در. وهذا الكتاب الذي تُرجم إلى التركية عن المصادر الأوروبية المعاصرة وخاصة الفرنسية حول صناعة المتفجرات، إنما يتيح للباحثين فرصة هامة لدراسة مقارنة حول لغة الكيمياء ومصطلحها(٢١).

وقد لوحظ في أثناء الحروب السورية التي وقعت خلال الفترة الواقعة بين ١٨٣١ – ١٨٤١م وقوع زيادة في عدد الكتب العسكرية المطبوعة بالتركية آنذاك بقدر لم نشهده في عهد آخر، إذ جرى في خلال تلك الفترة البالغة عشرة أعوام طَبْع ستة وثلاثين كتاباً. فلما

(٢١) انظر: Ekmeleddin İhsanoğlu, *Açıklamalı Türk kimya eserleri bibliografyası*, İstanbul: IRCICA, 1985, s.54.

صدر فرمان عام ١٨٤١م وأقرّ تخفيض عدد الجيش المصري إلى ١٨.٠٠٠ جندي انخفض أيضاً وبشكل ملحوظ عدد الكتب المطبوعة لأغراض التعليم العسكري(٢٢).

وكان لظهور ضباط مصريين تخرجوا في المدارس العسكرية الجديدة، واكتسابهم تجارب شتى في الحروب، وترقيتهم من الرتب الأدنى التي كانوا عليها في عهد محمد علي باشا إلى رتب أعلى بعد ذلك أن بدأت اللغة العربية تحل محل اللغة التركية في الجيش المصري(٢٣).

وقد استمرت في مصر طباعة الكتب التركية في مجال المشاة والرماية حتى عامي ١٢٧٥هـ - ١٢٧٦هـ (١٨٥٨م - ١٨٦٠م). غير أن هذه الكتب كانت بمثابة النماذج الأخيرة في موضوعاتها، ولم يعد يطبع من الكتب العسكرية بعد عام ١٨٦٠م إلاّ كتب الملاحة البحرية. فقد كان الأتراك العاملون في الأسطول المصري لا يشغلون الرتب العالية وهيئة القيادة فحسب، بل الرتب الأدنى أيضاً، ولأجل هذا فقد استمرت طباعة الكتب التركية في الملاحة البحرية العسكرية لمدة أخرى، وطبع خلال الفترة الواقعة بين ١٨٦٤- ١٨٦٨م خمسة كتب تركية في ذلك الموضوع. ولم يُعثر بعد ذلك التاريخ على شئ يدل على طباعة أي كتاب تركي في الشئون العسكرية. فالواضح في تلك المرحلة أن اللغة العربية، قد أخذت موقعاً متقدماً في الجيش، كما أخذته في الجهاز الإداري المدني، ولم تعد هناك حاجة لطباعة كتب باللغة التركية في التعليم العسكري. لأن قسماً من الكتب التركية المطبوعة منذ عهد محمد علي كانت قد جرت ترجمته إلى العربية وطُبع هو الآخر.

(٢٢) الكتب العسكرية التركية التي طبعت خلال ١٨٤١م - ١٨٤٩م تبلغ أحد عشر كتاباً.

(٢٣) يقول هسو HSU إن ما طبع بالعربية من كتب الشئون العسكرية في مصر لا يزيد عن ثلاثة عشر كتاباً طبعت خلال الفترة الواقعة بين ١٨٢٦ - ١٨٤٢م. واثنان منها طبعا لأجل العساكر من الرتب الدنيا، أحدهما بعنوان خدمة الجاوش (١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م - ٢٩)، والثاني هو خدمة الاونباشيه (بيان خدمات الاونباشيه) (١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م - ٣١). وبعد هذه الفترة وقعت زيادة في عدد الكتب العربية المطبوعة في مصر في الشؤون العسكرية.

وهناك قسم من أدبيات الحياة العسكرية مما تُرجم إلى التركية عن الفرنسية بوجه عام قد تم نقله إلى العربية عن طريق اللغة التركية. وكان المترجمون القادرون على الترجمة من التركية إلى العربية هم في الأساس ممن نشأوا وتعلموا داخل قلم الترجمة. كما كان يوجد إلى جانب هؤلاء مَنْ يقدرون على ذلك بين خريجي مدرسة الألسن. ويمكننا القول من النتائج التي توصلنا إليها إن الترجمات من التركية إلى العربية كانت في الغالب لأجل الجنود المحليين ممن يُعرفون باسم نفر، ولأجل القادة ذوي الرتب الصغيرة الذين يشكلون الجانب الأكبر في الجيش. فهناك كتب تُرجمت إلى العربية، نذكر منها كتاب: القوانين الداخلية المتعلقة بمشاة عساكر الجهاديه (١٨٣٥م) لأجل عساكر المشاة، وكتاب: تعليم النفر والبلوك ١٢٤٩هـ (١٨٣٣م) لأجل تعليم الجنود المستجدين والبلوكات، وكتاب: تعليم الأورطه ١٢٥٥هـ (١٨٣٩ – ١٨٤٠م) لأجل تعليم أورطات [كتائب] الجيش.

وإلى جانب ذلك فقد كان أغلب مصطلحات الأدبيات العسكرية العربية المستخدمة في الجيش مأخوذاً من الألفاظ التركية؛ فقد استعيرت من اللغة التركية أغلب الكلمات والتعابير التي تتعلق بالعديد من جوانب الحياة العسكرية، كالرتب والنداءات والأوامر وأسماء الزي وقطع الأسلحة والمعدات وغيرها. ولا شك أن تمصير هيئة القيادة الوسطى قد حدّ من انتشار اللغة التركية في الجيش، لكنها ظلت تحافظ على وجودها مدةً بين أفراد هيئة القيادة العليا. ولقد ظلت الرتب العسكرية العثمانية مستعملة في مصر كما سبق وذكرنا حتى سنة ١٩٥٨.

ومع أدبيات الشؤون العسكرية التركية الغنية التي تشكلت ابتداءاً من عهد محمد علي باشا وتنامي أدبيات اللغة العربية بالتوازي مع ذلك بلغت اللغة العربية مستوى يمكنها من خلاله التعبير عن موضوعات الحياة العسكرية الحديثة. فقد انتقلت إليها أعداد كبيرة من النداءات والأوامر والمصطلحات والتعابير التقنية، حتى أتاح ذلك إمكانية الترجمة المباشرة من الفرنسية إليها. والشاهد على ذلك أن كتب الشؤون العسكرية التي جئ بها

من فرنسا أيام الخديوي إسماعيل باشا قد قام الضباط المصريون بترجمتها إلى اللغة العربية دون اللجوء إلى ترجمتها أولاً إلى اللغة التركية ثم منها إلى العربية[٢٤].

وفي جيش مزدوج اللغة، أي مع آلاف الشبان من أبناء الفلاحين المصريين الذين وُضعوا تحت السلاح بطريق التجنيد الإجباري ولا يعلمون شيئاً – شخصياً أو تاريخياً – عن الجندية؛ ثم مع هيئة قيادة وضباط من أصول عرقية مختلفة تتحدث اللغة التركية، يكون من الطبيعي جداً مع عدم وجود لغة تفاهم مشتركة أن تظهر سلسلة من المشاكل بين الفئتين، المحلية والوافدة في جيش كان قوامه على ذلك النحو. إلاّ أن الكتاب الأوربيين في ذلك العهد نظروا إلى تلك المشاكل من منظار النزعة القومية أو العرقية، وفسّروها على أن الطرفين أصبحا عدوين أحدهما للآخر. وعلى الرغم من أن العوامل السياسية التي ولّدت تلك الآراء التي كتبت آنذاك (النصف الأول من القرن ١٩) في غمرة من مشاعر التنافس ورغبة الأوربيين في القضاء على النفوذ العثماني في مصر والحلول محله لم تعد موجودة اليوم إلاّ أن الأمر لا زال يتكرر في الأبحاث التاريخية التي تجرى اليوم، مما يمثل نموذجاً واضحاً للخروج على سياق التاريخ.

وكان من الواضح أن محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا، وهما يسعيان لإقامة الجيش المصري الحديث على نمط جيش "النظام الجديد" العثماني، لم يكن أمامهما من حيلة إلاّ أن يكون الجيش من المجندين من أبناء البلاد وأن تكون هيئة القيادة فيه من الضباط الذين خبروا الحياة العسكرية وفنون الحرب والقتال بالشكل الذي يتفق والتقاليد التركية العثمانية التي نشأوا عليها. فلم يكن من اليسير اختيار ضباط من الأهالي وأبناء الفلاحين يمكنهم أن يستوعبوا وضعاً جديداً وينسجموا معه خلال فترة قصيرة، فرأى محمد علي أمام صعوبة اكتسابهم التجارب اللازمة، أي لأسباب عملية بحتة، أن يختار لهيئة القيادة ضباطاً من ذوي الخبرة. وهذا ما رأى الكتاب الأوربيون فيه آنذاك نزعة قومية وتعالياً عرقياً،

---

(٢٤) للاطلاع على تفاصيل الأمر المؤرخ في ١٩ جمادى الأولى ١٢٨٢هـ (١٠ أكتوبر ١٨٦٥م) انظر: جك تلجر، ص ٨٦ – ٨٧.

وقارنوا بين ذلك ووضع الانجليز في الهند وغيرها من المستعمرات، واستمر ذلك الرأي سائداً حتى يومنا هذا.

ويعبر محمد علي باشا بصراحة عن أفكاره في هذا الصدد في خطاب أرسله إلى ابنه إبراهيم في سنة ١٨٢٣ حيث يقول "أهل مصر ليسوا معتادين على الخدمة العسكرية مثل أهل أوربا، كما حكومتنا ليست قوية كحكوماتهم. ولما كان الأمر كذلك فإن علينا أن نكيف احتياجاتنا لتتفق مع قدراتنا وأن نتقدم خطوة خطوة ونضع الأمور في نصابها كلما تقدمنا. يجب أيضاً أن نكون واقعيين ونعالج قصوراتنا مع مضي الزمن"(٢٥). وهذا الخطاب دليل آخر من الأدلة الواضحة على الأسلوب البرغماتي الذي اتبعه والسياسة العملية التي انتهجها ونحاول نحن ابرازها في هذا الكتاب.

وهناك قناعة في الدراسات المتعلقة بتاريخ الجيش المصري في عهد محمد علي طالما تكررت بوجه عام حول أن المصريين، أو بالتعبير الشائع آنذاك (أولاد العرب)، لم يكن بوسعهم الترقي حتى رتبة (يوزباشى)، وأن عدد من تم ترقيتهم إلى تلك الرتبة كان ضئيلاً جداً. وبالنظر إلى الأمثلة التي قدمها خالد فهمي في هذا الموضوع والمصادر التي استخدمها لذلك يتبين لنا ضرورة الحذر أمام الآراء التي طُرحت حول التمييز بين أولاد العرب وأولاد الترك والأفكار المطروحة حول عدم ترقية الضباط المصريين إلى رتبة تتعدى رتبة اليوزباشى. إذ أن الوثائق الرسمية القليلة المستعملة التي تتحدث في هذا السياق عن ترقية أو عدم ترقية الضباط المصريين لا تتضمن أية قاعدة تضع سقفاً للترقيات(٢٦) وبالنظر في كل ما كتب عن ذلك يتضح أنه يرجع في مجمله إلى التقرير(٢٧)

---

(٢٥) خالد فهمي، كل رجال الباشا: محمد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة، ترجمة شريف يونس، دار الشروق، القاهرة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ١٣٢.

(٢٦) انظر خالد فهمي، (الترجمة العربية)، ص ٣٢٤، الهوامش: ٢، ٣، ٤ و ص ٣٢٥، الهامش: ١.

(٢٧) خالد فهمي، المصدر السابق، ص ٢٤٦ – ٢٤٧ نقلاً عن Georges Douin (ed.), *La Mission du Baron de Boislecomte, L'Égypte et la Syrie en 1833*, Cairo: Royal Egyptian Geographical Society, 1927, p. 110-111. وهناك مثل آخر يكرر نفس الرأي اعتماداً على كتب جورج دوان (انظر: حلمي محروس إسماعيل، الحالة الاجتماعية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه من جامعة القاهرة ١٩٧٧، ص ٢٩٥).

الذي أعده البارون دى بوالوكونت Boislecomte عن زيارته إلى مصر والشام عام ١٨٣٣م، ثم نَشَرَه جورج دوان Georges Douin عام ١٩٢٧م. وكذلك (إلى حد ما) التقرير الذي أعده السير جون بورنج الذي أرسل إلى مصر في أواسط ١٨٣٠م من طرف الحكومة البريطانية.

وعند النظر إلى الأمثلة المتعلقة بتفضيل محمد علي باشا الضباط الأتراك في الترقيات والجيش المصري على جبهات جزيرة المورة وسوريا يكون من الصائب أن نُرجع ذلك إلى الحاجة الملحة في ظروف الحرب وضرورة أن تكون هناك لغة واحدة في هيئة القيادة، وإلاّ فإن الأمر قد يسفر عن مشاكل خطيرة، أو يفسح المجال لتردد قد لا تُحمد عقباه[٢٨].

وكان أهم مازعمه الكُتّاب الأوربيـــون الذين عاشوا في عهد محمد علي، مثل دوان وقطاوي (Douin - Cattaui)، ثم كرره باحثون مثل هنتر وفهمي هو: "أن الباشا كان يعلم جيداً أنه لو سمح للعرب بتولي المواقع القيادية في الجيش والإدارة المدنية فإنهم كانوا سيعارضون التحالف التركي المملوكي الذي يشكل أساس السلطة التي عمل كثيراً على إقامتها وترسيخ قواعدها"[٢٩]. وبينما يتغافل هذا الإدعاء عن الحقائق التاريخية وكون أن كثيراً من المصريين قد تبوأوا مناصب متقدمة في الإدارة المدنية والعسكرية نرى أن جون بورنج يزعم أن هناك بغضاً بين المصريين ورؤسائهم الإداريين الذين يتحدثون التركية يسجل في الوقت نفسه مشاهداته التي تنفي وجود حدود معينة في موضوع

(٢٨) ونلاحظ في الكتاب الذي وضعه كلوت بك الطبيب الفرنسي المشهور عن مصر في عهد محمد علي أنه لم يختلف كثيراً عن الكتاب الأوربيين الآخرين فهو في الوقت الذي يطرح فيه أحكاماً مشابهة فيما يتعلق "بالبغض" الذي قيل بوجوده بين المتحدثين بالعربية والمتحدثين بالتركية، نراه على الجانب الآخر يسرد مشاهداته حول قلة الخبرة التي كان عليها الضباط المصريون من الشبان الجدد، ويذكر أن الباشا جَرّبَ بعضهم فلما رأى فيهم قلة التجربة والخبرة لم يقدم على ذلك ثانية (للتعرف على أراء كلوت بك ومناقشتها من زاوية كتابة تاريخ مصر الحديث انظر: عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، القاهرة، دار المعارف ١٩٨٢، ص ٣٤٧ – ٣٤٨).

(٢٩) Douin, *op.,cit.*, p. 104; René Cattaui (ed.), *Le Règne de Mohamed Aly d'après les archives russes en Égypte*, II, Pt. 2, p. 352, Cairo: Société Royale de Géographie d'Égypte. Publications spéciales; Robert Hunter, *Egypt under the Khedives, 1805-1879: from Household Government to modern bureaucracy*, London: Feffer and Simons Inc., 1984, p. 22-23.

الترقيات بين الضباط المصريين، إذ يقول بصراحة إن العنصر المصري أصبح يحل تدريجياً محل العنصر التركي(٣٠).

إن الإدعاء بأن الأعمال كانت تجري في الجيش بين محمد علي وابنه إبراهيم انطلاقاً من وجهتي نظرهما إلى العناصر "التركية" و"المصرية" إنما هو أمر يجب الإقرار بأنه كان يخالف القيم السائدة في ذلك العهد. فقد انتهج محمد علي سياسة عملية ولم يتردد لحظة في طرد الجنود الأتراك أو العثمانيين من الجيش عندما شعر أن مصالحه تقتضي ذلك. والشاهد على هذا أنه طرد من الأسطول ما يتراوح بين ٧٠٠ – ٨٠٠ ضابط بحري عثماني في فترات معينة، وأعفا من الخدمة نحو ألفي جندي من وحدات المدفعية(٣١). والملاحظ أن هناك سببين في الواقع لأن يفضل إبراهيم باشا العساكر المصريين على نظرائهم الأتراك، والأول أنه نتيجة لتوليه القيادة بالفعل في جبهات القتال كان يعرفهم عن كثب، وارتبط قدره بأقدارهم في ظروف الحرب، والثاني هو قربه منهم ومودته إليهم بحكم قدرته على التفاهم معهم والحديث المباشر إليهم نتيجة لمعرفته اللغة العربية على عكس والده.

وكما سيظهر في مواضع أخرى من هذه الدراسة فإن أغلب الآراء المتعلقة بالخصومة التركية العربية في عهد محمد علي يجب أن تؤخذ على أنها أحكام صدرت عن كتّاب أوربيين عاصروا تلك المرحلة ثم انتقلت إلينا. ومن تلك الأحكام المسبقة نذكر على سبيل المثال العبارات التالية لزائر فرنسي كبير التقى بمحمد علي، وهي وإن بدت غير منسجمة مع بعضها البعض إلاّ أنها تؤكد الرأي الذي ذهبنا إليه في هذا الموضوع:

يروى أن الباشا قال لزائره الفرنسي الكبير: "لقد فعلت في مصر ما يقوم بفعله الانجليز في الهند، ولهؤلاء جيش يتشكل من الجنود الهنود بينما تجري إدارته وقيادته بأيدي الضباط الانجليز. أما جيشي فهو يتشكل من العرب ويدار على أيدي الضباط الأتراك...

---

(٣٠) انظر خالد فهمي، المصدر السابق (الترجمة العربية) ص ٣٤٩ نقلاً عن تقرير بورنج، ص ٨ – ٩.

(٣١) عفاف لطفي السيد ، ٩ ، هامش ٨٦، ص ٣٣٠.

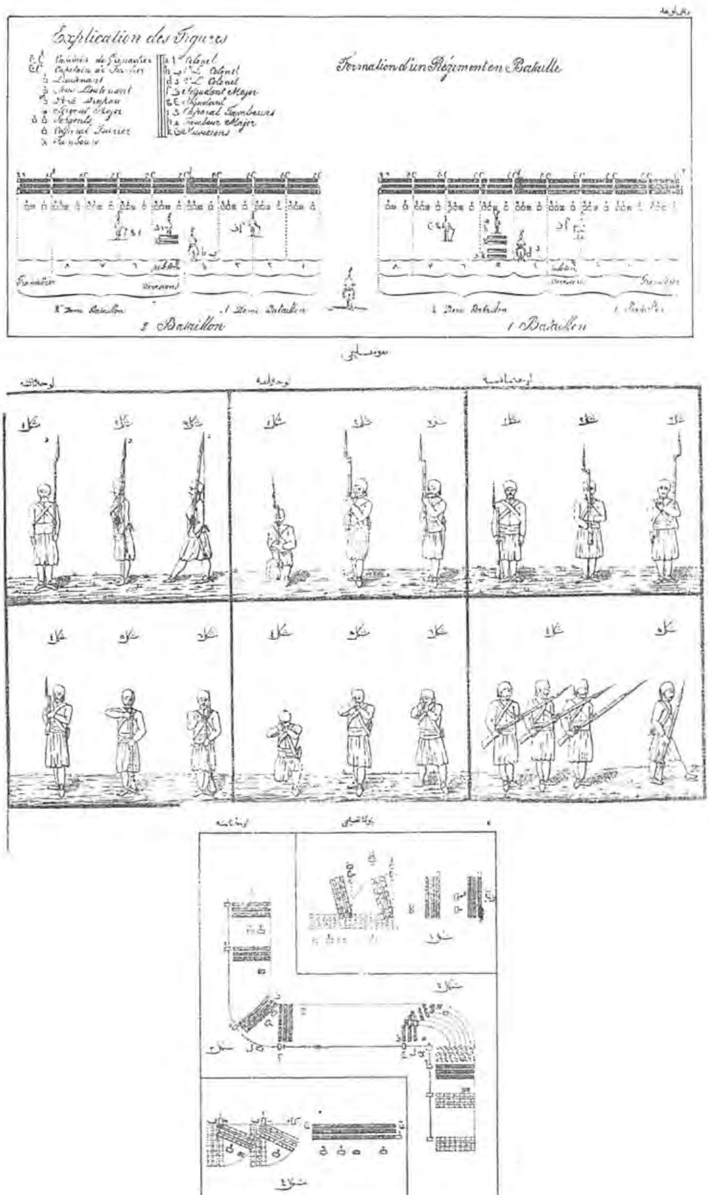
فالأتراك هم الأفضل في الحياة العسكرية، لأنهم على وعي بأنهم أصحاب الصلاحية والنفوذ في الإدارة. بينما يشعر العرب أن الأتراك يفوقونهم في هذا المجال". ولكن الباشا أكد في الوقت نفسه تمسكه بالحظر على هؤلاء المهاجرين الذين يتحدثون التركية أن يتحولوا إلى "أصحاب أرض بالقانون" و"يتملكوا العقارات والأموال ثم يجعلوا لأنفسهم منزلة فوق منزلة الأهالي"(٣٢).

والمقارنة بين الهند ومصر في هذه المقولة التي لا يدعمها مصدر آخر أمر غير صحيح من الأساس. لأن الموضوع هنا ليس قيام جيش ذي قدرة عالية قادم من دولة خارجية باحتلال أرض دولة أخرى وسيطرته عليها. وإنما الأمر المقصود هنا والذي يعكس الحقيقة هو أن هناك أناساً من دولة واحدة يقومون بحكم تجاربهم وخبراتهم بشغل مواقع ووظائف مختلفة لمدة من الزمن في نفس الدولة.

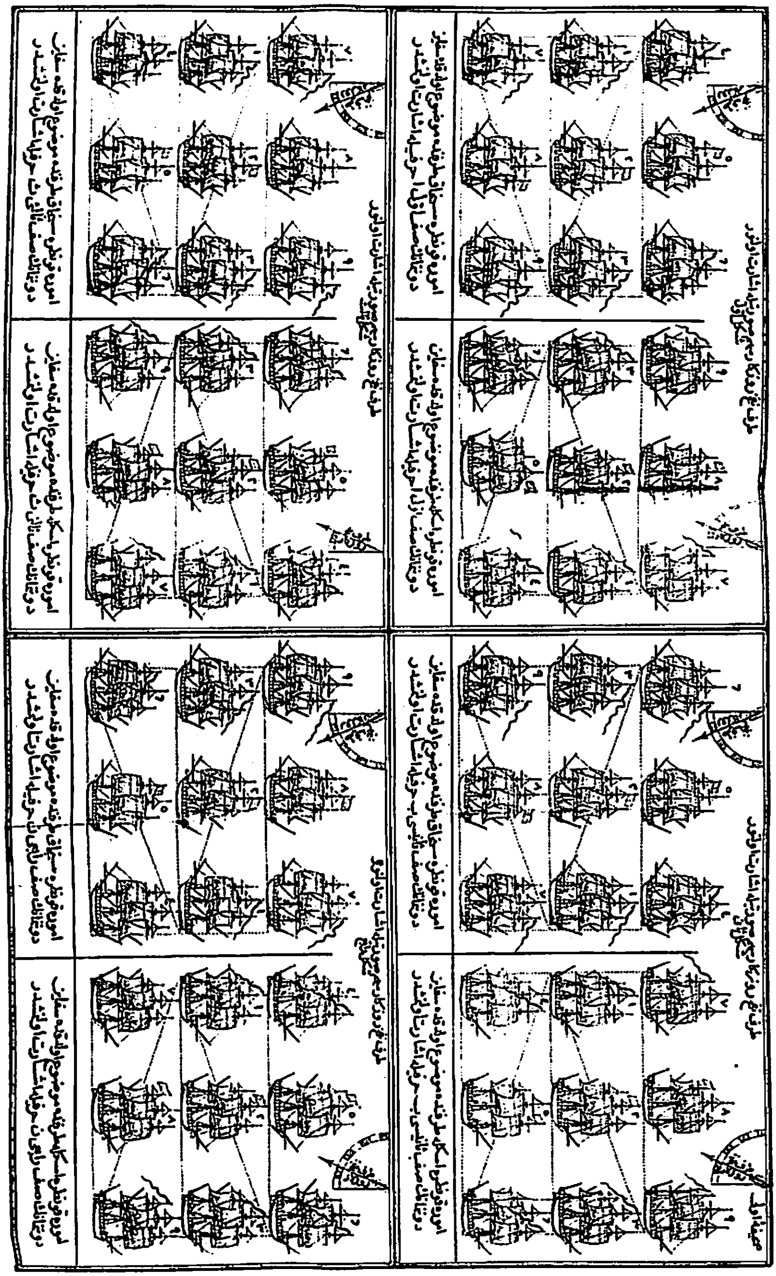
لقد تحول الجيش الذي أقامه محمد علي في مصر من طبيعته المزدوجة اللغة إلى جيش موحد اللغة بصورة تدريجية. وقد شهدنا ذلك التحول عند الحديث عن تطور الأدبيات العسكرية (من اللغة التركية إلى العربية). والخلاصة في ذلك أن الجيش المصري الذي نشأ على النمط التركي العثماني قد تحول مع الوقت إلى مجراه الطبيعي بعد بضعة أجيال.

وهكذا أصبح ذلك الجيش الجديد مصرياً، ليس فقط من ناحية الجنود أو صغار الضباط بل مصرياً أيضاً من ناحية كبار قواده. إلا أن هذا ذلك الجيش الجديد كان يصور مثالاً عثمانياً متطوراً.

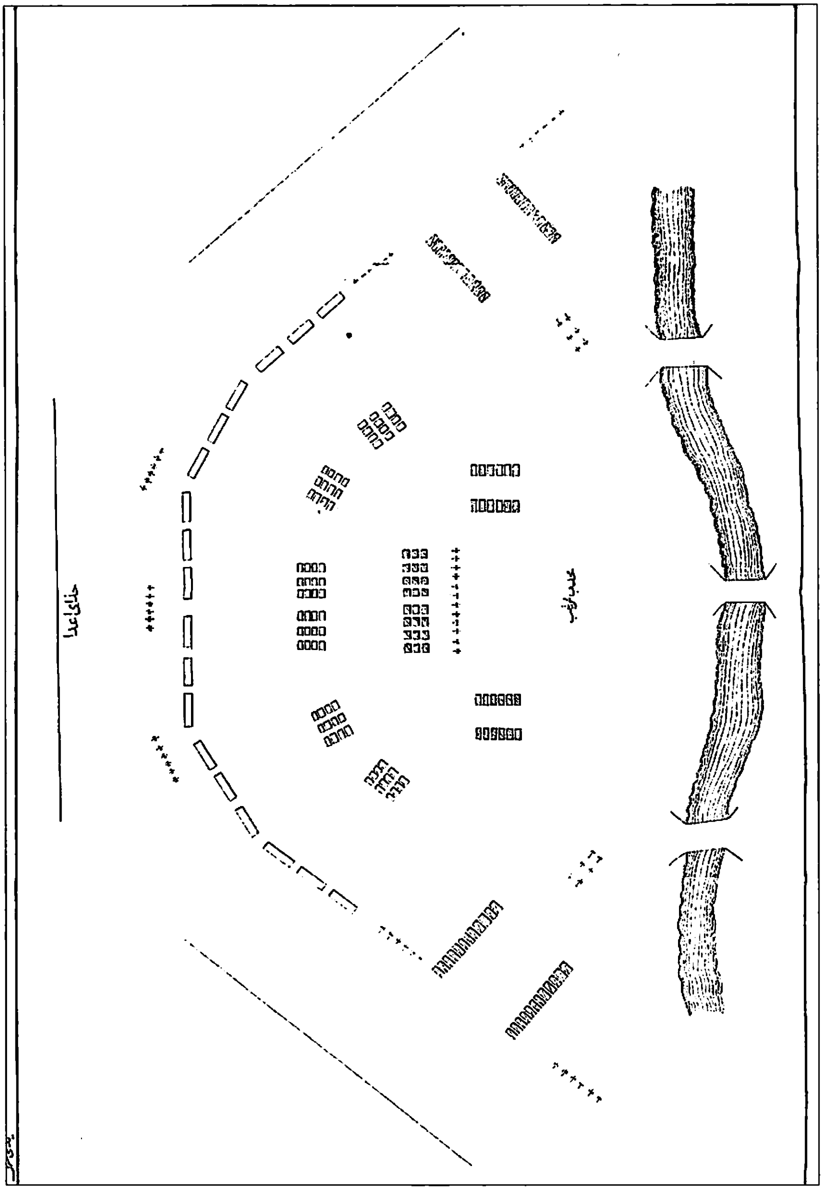
(٣٢) خالد فهمي، المصدر السابق(الترجمة العربية)، ص ٣٢٤.



أشكال توضح أساليب استخدام السونكي وتدريب البولكات من كتاب "تعليمنامهء پيادگان" طبعة بولاق ١٢٤٥هـ (١٨٣٠م)



لوحة من كتاب "أصول المعارف في وجه تصفيف سفاين دونتما
وفن تدبير حركاتها" (بولاق ١٢٤٢هـ ــ ١٨٢٦م)



لوحة من كتاب "أصول وقواعد حربيه يي شامل كتابدر " (قانون فن الحرب) بولاق ١٢٥١هـ (١٨٣٦م)

خامساً
تدريس اللغة التركية والثقافة العثمانية في المدارس المصرية

١- بداية فعاليات تعليم اللغة التركية

شرع محمد علي باشا في الإعداد لإقامة جيش وإدارة حديثة بقصد تقوية أسس ولايته في مصر بطريق التجربة والخطأ مستلهماً في البداية حملات التجديد التي كانت تجري في استانبول. وكان الجانب الأهم في تلك الحملات هو إقامة المدارس العسكرية والمدنية تلبية لحاجة البلاد. وتدلنا النتائج التي توصلنا إليها أن التعليم في أغلب تلك المدارس (ما عدا مدرسة الطب) كان يركز في البداية على اللغة التركية. ولكن لأننا لا نملك معلومات مفصلة حول تلك المدارس في تلك المرحلة المبكرة فإننا لا نستطيع تقديم معلومات مستفيضة حول التعليم الذي جرى في تلك المدارس. ولكن يمكننا بوجه عام طرح النتيجة التالية في هذا الموضوع: وهي أن اللغة التركية كانت لغة التدريس الأولى في النشاط والفعاليات التعليمية التي بدأت في السنوات الأولى بمبادرة من محمد علي ومعاونة الرجال الموجودين في معيته، كما كانت اللغة التركية هي الأولى في بعض الهيئات التعليمية المختلفة التي أسهم الإيطاليون بقسط فيها. وأهم تلك المدارس هي المهندسخانة المصرية التي أقيمت محاكاة لمهندسخانة استانبول. ومن ناحية أخرى فإن المدارس التي أقيمت من قبل الفرنسيين لم يكن للغة التركية – ومنذ اليوم الأول – أي مكان في برامجها ومناهجها التدريسية. والمثال الأبرز على ذلك مدرسة الطب (١٨٢٧م) والبيطرة (١٨٢٧م) والصيدلة (١٨٣٠م) والولادة (١٨٣٢م) التي أقامها الطبيب الفرنسي كلوت بك. وفي تلك المدارس كان المدرس الفرنسي في البداية يقوم بإلقاء دروسه بالفرنسية، ثم يقوم المترجمون السوريون والتونسيون بمساعدته على نقلها إلى العربية. واستمر الوضع على ذلك في تلك المدارس مدة طويلة نسبياً حتى عاد الأطباء المصريون الذين درسوا الطب في باريس ليحلوا محل الأطباء الفرنسيين، وظل التعليم الطبي جارياً باللغة العربية وحدها حتى الاحتلال الانجليزي.

وفي تلك المدة التي أقام فيها كلوت بك مؤسساته التعليمية في الطب والصحة كان محمد علي باشا قد دشن مدرسة تمارس التعليم الزراعي الحديث. وفي عام ١٨٣٠م كلف الباشا شخصاً يدعى أدرنه لي محمد أفندي كان يجيد اللغات الثلاث (العربية والتركية والفارسية) جرياً على التقاليد العثمانية بإقامة مدرسة عرفت باسم الدرسخانة الملكية (بضم الميم). وكانت على عكس مدارس الطب تقوم بتعليم العربية والتركية والفرنسية إلى جانب تدريس العلوم الزراعية.

وفي أعقاب فشل محاولة إقامة وحدات عسكرية جديدة في عام ١٨١٥م تحت اسم النظام الجديد أدرك محمد علي أن حركة التجديد لا يمكن أن تبدأ إلاّ بتعليم كوادر أخرى نشأت على الأصول الحديثة، فقام في البداية باستدعاء حسن أفندي الموصلي الذي يحتمل أنه نشأ في استانبول وذلك في مواجهة الصعوبات في إدارة التعليم الهندسي الذي بدأه في القلعة بنحو ثمانين شخصاً من المصريين والأتراك عام ١٨١٦ وبالإمكانيات المحلية، ثم استدعى بعد ذلك من استانبول أيضاً روح الدين أفندي وبدأ تعليم الرياضيات بالتركية(١). وتم خلال تلك المرحلة استجلاب الكتب اللازمة للمدارس من استانبول. وكانت المدرسة الإعدادية العسكرية، التي بدأت نشاطها في قصر العيني عام ١٨٢٥م لتخريج تلاميذ للمدارس المدنية والعسكرية المختلفة وعرفت باسم (التجهيزية الحربية)، قد أخذت عدداً من التلاميذ يتراوح بين ٥٠٠ – ٦٠٠ تلميذ تتراوح أعمارهم بين ١٢ – ١٦ سنة من بين الأتراك والأرناؤوط والجركس والأكراد والأرمن والروم ممن يتحدثون التركية. وكان من المواد التي يجري تدريسها في تلك المدرسة الحساب والهندسة والجبر. فهذه الدفعة من الطلاب الذين يتحدثون جميعهم تقريباً اللغة التركية هي التي شكلت الدفعة الأولى من ضباط الجيش الذي تشكل في مصر، وكذلك شكلوا الدفعة الأولى من الموظفين في الإدارة(٢). واللافت للأنظار في ذلك هو عدم الاستعانة في تلك المجموعة الأولى بالمصريين الذين يتحدثون العربية. أما كتب التدريس في تلك الفترة المبكرة فمن المحتمل

(١) انظر: J. Heyworth-Dunne, *Introduction to the History of Education in Modern Egypt*, London: Luzac and co., p. 106 – 107.

وانظر أيضاً: أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في عصر محمد علي، مطبعة الاعتماد، القاهرة ١٩٣٨، ص ٣٥٩ – ٣٦٠.

(٢) انظر: J. Heyworth-Dunne، ص ١١٧ – ١٢١.

أنها كانت تأتي من استانبول. ولعل السبب الرئيسي في ذلك هو عدم امكانية التعليم باللغة العربية آنذاك لعدم توفر الكتب الدراسية الحديثة بها، وتوفرها باللغة التركية، إذ كانت تجربة التحديث في استانبول سابقة على ذلك، فكان لا بد للاستعانة بما طبع فيها من كتب في العلوم الحديثة كالرياضيات والفيزياء وغير ذلك.

وكانت الرياضيات بفروعها المختلفة تتصدر الدروس الأساسية التي سيجري تدريسها في المدارس العسكرية التي كانت تتشكل كوادرها من المعلمين الأوائل الذين جاءوا من استانبول أو من المعلمين والطلاب الذين جرى اختيارهم من بين من كانوا يتحدثون التركية في معية محمد علي باشا. وعند النظر في الكتب التي طبعت في ذلك الموضوع اعتباراً من عام ١٨٢٤م نرى أن الطبعات الأولى من كتب حسين رفقي طماني (ت ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م) التي وضعها في استانبول قد أعيدت طباعتها في مصر أيضاً وبعد فترة تقرب من عشرين عاماً[٣]. أما أن تصدر في القاهرة طبعتان خلال عشر سنوات لبعض كتب حسين رفقي طماني كبير معلمي المهندسخانة في استانبول فإنه يدلنا على أن تلك الكتب كان يجري تدريسها في المدارس الحديثة التي أقيمت هناك. كذلك فإن كتاب (مجموعهٔ علوم رياضيه) الذي يقع في أربعة مجلدات كبيرة طبعت في بولاق بين عامي ١٢٥٧ – ١٢٦١هـ/ ١٨٤١ – ١٨٤٥م يعد هو الآخر مثل كتب الطماني واحداً من كتب الرياضيات التي ألفت في استانبول، إذ وضعه إسحاق أفندي (ت ١٨٣٦م) المعلم الأول الشهير في مهندسخانة استانبول[٤].

وإلى جانب هذه الكتب التي وضعت في استانبول يخرج علينا اسمان ضمن فعاليات طباعة الكتب في مصر هما لمترجمين تركيين دخلا في خدمة الوالي محمد علي باشا. فقد بدأت طباعة عدة كتب في مصر اعتباراً من عام ١٨٢٤م ترجمها من الفرنسية إلى التركية كل من عثمان نورالدين (ت ١٨٣٤م) وإبراهيم أدهم (١٧٨٥ – ١٨٦٥م) اللذين كان لهما

(٣) ظهرت الطبعة الأولى من تلخيص الأشكال في استانبول عام ١٨٠١ وطبعت في القاهرة عام ١٨٢٤، أما كتاب مجموعة المهندسين الذي ظهرت طبعته الأولى في استانبول أيضاً عام ١٨٠٢ فقد طبع مرتين في مصر عام ١٨٢٥ و عام ١٨٣١. وعدا هذين الكتابين اللذين ألفهما حسين رفقي الطماني وطبعا في مصر كان له أيضاً كتاب مترجم ظهرت طبعته الأولى في استانبول عام ١٧٩٧. وهذا الكتاب (أصول الهندسة) الذي هو ترجمة لكتاب جون بونيكاستل John Bonnycastle قد طبع هو الآخر في مصر عام ١٨٣٠ – ١٨٣١.

(٤) للمزيد من المعلومات حول إسحاق أفندي وأعماله انظر: Ekmeleddin İhsanoğlu, *Başhoca İshak Efendi: Türkiye'de modern bilimin öncüsü = Chief instructor Ishak Efendi: pioneer of modern science in Türkey;* Ankara: T.C. Kültür Bakanlığı, 1989.

إسهام في العديد من مشروعات التحديث التي قام بها الوالي. وقد جرت إعادة تنظيم المهندسخانة المصرية بمقتضى لائحة صدرت عام ١٨٣٦م لتكون نموذجاً لمدرسة الهندسة في باريس وتقوم بتنشئة ضباط بريين وبحريين ومدفعيين وتنشئة متخصصين ومعلمين للرياضيات والفزياء للعمل في مجالات الإعمار والتعدين والعمل في المصانع الحربية[٥]. ونلاحظ في نفس السنة التي جرت فيها تلك التعديلات على المهندسخانة أنه قد تم طبع كتابين في الرياضيات قام بترجمتهما من الفرنسية إلى التركية إبراهيم أدهم. وأول هذين الكتابين كتاب (أصول الهندسة) الذي هو ترجمة لكتاب بالفرنسية وضعه لوجاندر Legendre (١٧٥٢ – ١٨٣٣م) تحت عنوان *Eléments de Géometrie*. أما الكتاب الثاني فهو كتاب (مقالات الهندسه) الذي يضم الأجزاء الأولى من كتاب أصول الهندسة[٦]. وكانت توجد ضمن مناهج الدراسة التي تستمر ثلاث سنوات في برنامج المدرسة دروس أيضاً للغة التركية واللغة الفارسية، جنباً إلى جنب مع الدروس الفنية أو التقنية. ومع التغييرات التي أجريت على منهج التدريس في المهندسخانة خلال إدارة چارلس لامبرت التي استمرت حتى وفاة محمد علي باشا تم إلغاء تدريس اللغة التركية ومعها اللغة الفارسية التي هي متممة لها، وجرى التركيز بدلاً منهما على تدريس اللغة الفرنسية. ولما أغلقت المهندسخانة عام ١٨٥٤م، وتحول التعليم من التركية إلى العربية، توقف مع ذلك طبع كتب الرياضيات التركية أيضاً. فقد كان آخر كتاب تركي في الرياضيات تم طبعه في مصر كتاب بعنوان (علم الحساب) ظهر عام ١٢٧١هـ (١٨٥٤م) عن المهندسخانة الخديوية المصرية.

عندما فشلت محاولة الباشا – كما أسلفنا بإيجاز في القسم السابق – في إقامة جيش على "النظام الجديد" نتيجة لتمرد الجنود الألبان شرع قبل كل شئ في إقامة المؤسسات التعليمية العسكرية التي تمكنه من تشكيل جيش حديث. وكانت المدارس العسكرية قد تم تنظيمها – بعد فترة التأسيس التي مرت بمراحل مختلفة – بلائحة صدرت عام ١٨٣٦م، ووضعت على أسس واضحة. والملاحظ أن اللغة التركية – إلى جانب ما كان لها من صدارة منذ البداية في التعليم العسكري والتطبيقات قد زادت العناية أيضاً منذ هذا التاريخ

(٥) أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في عصر محمد علي، ص ٣٦٢ – ٣٧٥.

(٦) جاء في فهرس مطبعة بولاق المؤرخ في ١٨٤٤م أن هذا الكتاب طبع من أجل طلاب التجهيزية.

بالثقافة العثمانية وتعليم اللغة التركية في مختلف المدارس العسكرية. ففي مدرسة البيادة [المشاة] التي أقيمت في دمياط مثلاً كانت اللغة الفارسية تأخذ مكانها إلى جانب اللغة التركية في برنامجها التعليمي الذي يستمر ثلاث سنوات. كما كانت مدرسة السواري [الفرسان] التي أقيمت في الجيزة جنوب القاهرة ومدرسة الطوبجية [المدفعية] في طُرَه تقومان بتطبيق برامج تعليمية مشابهة. أما مدرسة البحرية التي أقيمت في الإسكندرية فقد كان التركيز فيها أكثر على التعليم باللغة التركية. ويلاحظ في تلك المدارس أنهم كانوا يستخدمون في دروس التعليم التركي إلى جانب التدريبات العسكرية بعد عام ١٨٣٦م الكتب التركية التالية: الإظهار(٧)، والبناء(٨)، والتحفة(٩)، ودُرّ يكتا(١٠)، وبرگوئ شريف(١١).

وتدلنا لائحة عام ١٨٣٦م أن دروس حسن الخط كانت موجودة في المدارس العسكرية، وأن التلاميذ الضباط كانوا يتعلمون كتابة الرقعة والثلث من أنواع الخط(١٢).

– النظام المؤسسي في تعليم اللغة التركية

اقتضى الأمر مع تزايد المدارس العسكرية والمدنية وتنوع وظائفها أن يتم وضعها ضمن نظام معين. وعلى هذا النحو جرى تأسيس مجلس "شورى المدارس" عام ١٨٣٦م، وتقرر بتوصية من ذلك المجلس ربط المدارس التي كانت تابعة لديوان الجهادية حتى ذلك الوقت بديوان المدارس الذي تأسس عام ١٨٣٧م. ومما يلفت الأنظار بشكل واضح مكانة اللغة التركية التي حظيت بها داخل تلك الترتيبات التي تضمن لفعاليات التعليم العسكري والمدني المتنامي تبعاً للحاجة أن يعاد تنظيمها طبقاً لهيكل إداري ونظام تدرجي هرمي،

---

(٧) هو كتاب في النحو العربي للبركوي كان يدرّس في المدارس العثمانية الشرعية، وظهرت له عدة طبعات في مصر.

(٨) كتاب في قوالب الأفعال العربية أي في الصرف العربي.

(٩) هو معجم فارسي تركي وضعه سنبل زاده وهبي. وقد طبع في مصر تسع مرات بين عامي ١٢٤٥ – ١٢٨٢هـ (١٨٣٠م – ١٨٦٥ / ٦٦).

(١٠) هو كتاب في الفقه كتبه امام زاده لسعد أفندي اعتماداً على ما جمعه من مصادر الفقه الحنفي. وقد طبع كتاب (در يكتا) في بولاق أربع مرات في سنوات: ١٢٤٥ (١٨٣٠)، ١٢٥٣ (١٨٣٧)، ١٢٥٥ (١٨٣٩)، ١٢٦٤ (١٨٤٧ –٤٨).

(١١) هو شرح لكتاب (وصيتنامه) الذي وضعه البركوي ويعرف أيضاً باسم (رساله" بركوى). وهو كتاب تركي في العقائد، وطبع في مصر في سنوات: ١٢٤٠ (١٨٢٥)، ١٢٥١ (١٨٣٥)، ١٢٥٦ (١٨٤٠–٤١)، ١٢٦١ (١٨٤٥)، ١٢٦٣ (١٨٤٧).

(١٢) للتعرف على المدارس العسكرية وبرامجها التعليمية انظر: أحمد عزت عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٣٨٦ – ٤٢١. وللترجمة العربية الخاصة باللائحة المؤرخة في ١٨٣٦ لمدرسة المشاة انظر نفس المصدر، ص ٧٠٨ – ٧١٤.

فقد كان الديوان يضم ثلاثة أقلام، أحدها القلم التركي، والثاني القلم العربي، والثالث قلم الهندسة. وعدا علوي أفندي الذي كان ناظراً للقلم التركي فإن رأفت أفندي الذي عُيِّن ناظراً للقلم العربي كان هو الآخر يجيد التركية ويمتلك أسلوباً قوياً في الكتابة[١٣]. وقد استمر وجود تلك الأقلام حتى في عملية التنظيم الثانية التي أجريت عام ١٨٤١م[١٤].

وتدلنا عمليات التنظيم التي أجريت أنهم نظروا إلى التعليم في مصر على ثلاثة مراحل: **الأولى**، وهي المرحلة الابتدائية التي رأوا أن تقام لها خمسون مدرسة تستوعب ٥٥٠٠ تلميذ، وذلك بقصد نشر المعرفة بين الأهالي. و**الثانية**، وهي المرحلة التجهيزية التي أقاموا لها مدرستين في القاهرة والاسكندرية، وتكون وظيفتها إعداد الطلاب للالتحاق بمدارس التخصص، وتضم الأولى ١٥٠٠ تلميذ، والثانية ٥٠٠ تلميذ. أما **الثالثة**، فهي مرحلة التخصص، وتضطلع بها: مدارس الطوبجية والسواري والبيادة التي ستقام بقصد تنشئة المهندسين للعمل ضباطاً فنيين وموظفين رسميين، والمهندسخانة، ومدرسة الألسن التي ستقام لتنشئة المترجمين المجيدين للعربية والتركية والفرنسية، ومدارس الطب والبيطرة[١٥]. ومن خلال هذه التنظيمات تقرر بشكل رسمي تعليم التركية والدروس المكملة لمعرفة الثقافة العثمانية، ثم أخذت مكانها في برامج التدريس في المدارس المختلفة (ما عدا مدرستي الطب والبيطرة).

وفي مدارس المرحلة الأولى ذات السنوات الثلاث والتي عرفت بالمبتديان كان يجري تدريس القراءة والكتابة العربية للتلاميذ وتعليمهم النحو والحساب والدين، ولم تكن اللغة التركية مقررة فيها إلاّ للتلاميذ الأتراك؛ أما التلاميذ المصريون، أو – بالتعبير الرسمي لذلك العهد – أولاد العرب فلم يكونوا مكلفين في تلك السن المبكرة بتعلم أي لغة أجنبية[١٦].

---

(١٣) نفسه، ص ١٠٩ – ١١٠.

(١٤) نفسه، ص ١٢٣ – ١٣٣.

(١٥) نفسه، ص ٩٣ – ٩٦.

(١٦) لمدارس المبتديان بين عامي ١٨٣٦ – ١٨٤١ انظر: أحمد عزت عبد الكريم، نفس المصدر، ص ١٦٧ – ١٩١. أما بالنسبة للنص العربي للائحة التنظيمية المتعلقة بمدارس المبتديان فانظر: نفس المصدر، ص ٦٨١ – ٦٨٥، وبالنسبة للنص التركي انظر: دار الكتب المصرية (فنون مختلفة تركي) رقم ١٣٤.

وكان قد تقرر في البرامج التعليمية للمدارس التجهيزية ذات السنوات الأربع أن تأخذ اللغة التركية واللغة الفارسية مكانيهما بين الدروس الإجبارية إلى جانب الرياضيات والتاريخ والجغرافيا واللغة العربية والرسم. وتطبيقاً للترتيبات التي جرت فقد أقيمت مدرستان منها في القاهرة والإسكندرية، وكان التلاميذ كافة، تركاً وعرباً، مكلفين في هاتين المدرستين بتعلم اللغة التركية (قواعد وقراءة وإملاء وإنشاء) وقراءة تاريخ واصف التركي الذي هو تاريخ للدولة العثمانية(١٧). أما في دروس اللغة الفارسية فقد كان الطلاب ملزمين بحفظ المعجم المعروف بتحفة وهبي (تحفه ٔ وهبى)، والمفاتيح الدرية(١٨) في النحو الفارسي، وكتاب (پند عطار) أحد روائع الأدب الفارسي(١٩)، وكتاب (گلستان) لسعدي الشيرازي(٢٠)، وتعلم الخط وأصول المكاتبات الرسمية على الطريقة التركية(٢١).

ومما يلفت الأنظار في الجرعة التعليمية المقدمة في المدرسة التجهيزية هو أن تعليم النحو والصرف العربي كان يجري على أيدي معلمين أتراك وعلى الطريقة التركية(٢٢)؛ ولما عسر ذلك على الطلاب المصريين العرب ممن لم يتعلموا التركية بعد، تقرر أن يقوم بتدريس النحو والصرف العربي معلمون مصريون ومن نصوص يجري تدريسها في الأزهر على الطريقة العربية(٢٣).

وكان تعليم التركية يبدأ منذ الصف الثاني الابتدائي في المدرسة الأوليّة والمتوسطة (الابتدائية التجهيزية) التي أقيمت في الإسكندرية وتقررت الدراسة فيها ست سنوات(٢٤).

---

(١٧) هو تاريخ للدولة العثمانية وضعه كاتب الوقائع أحمد واصف أفندي ليضم أحداث سنوات ١٧٥٢ – ١٧٧٤. وقد طبع هذا الكتاب في مصر مرتين في عامي ١٨٢٧ و ١٨٣٠.

(١٨) طبع هذا الكتاب مع معجم منظوم للتركية والعربية والفارسية باسم (تحفه ٔ جوهر عيار لوچ زبان) وهو لحيرت أفندي للدارندوي (١٨٢٦م و ١٨٣٩م).

(١٩) طبع في مصر تسع مرات بين عامي ١٢٤٣ (١٨٢٧ – ٢٨) – ١٢٩٤ (١٨٧٧ – ٧٨).

(٢٠) طبع في مصر ثماني مرات بين عامي ١٢٤٣ (١٨٢٧– ٢٨) – ١٢٨٩ (١٨٧٢– ٧٣).

(٢١) للدروس المقررة انظر: أحمد عزت عبد الكريم، نفس المصدر، ص ٢٢٨– ٢٣٠.

(٢٢) والمثال على ذلك كتابان هما: كتاب الأمثلة (أمثله) وكتاب جملة الصرف (صرف جمله سى)، وكان يجري تدريسهما في استانبول لتعليم العربية.

(٢٣) أحمد عزت عبد الكريم، نفس المصدر، ص ٢٣٠ –٢٣١.

(٢٤) كانت الدراسة في هذه المدرسة الابتدائية التجهيزية ست سنوات فقط على اعتبار أن قسم التجهيزية فيها كان ثلاث سنوات وليس أربعاً مثل مدارس القاهرة.

وعلى هذا النحو كان الطالب في مدرسة الإسكندرية التجهيزية التي تقوم بتخريج طلاب للملاحة البحرية يبدأ تعلم التركية في سن مبكرة. وكان كتاب نصائح البرگوي (نصايح برگوى) وكتاب الدرة الفريدة (در يكتا) التركيين من بين الكتب التي يجري تدريسها في كل هذه المدارس للإلمام بالثقافة الدينية[٢٥].

كما يلاحظ في ذلك العهد أيضاً أن مطبعة بولاق كانت تتولى طباعة الكتب بما يتفق وبرامج التعليم، وتطبع أيضاً الكتب المدرسية التركية اللازمة. والمثال على ذلك كتاب الدرة الفريدة المكتوب بالتركية في الفقه (در يكتا) والذي كان واحداً من بين الكتب التركية المقررة على المدارس، قد جرى طبعه في بولاق أربع مرات من عام ١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م إلى عام ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧ – ٤٨م، كذلك فإن كتاب الأمثلة (أمثله) التركي المستخدم في تعليم اللغة العربية للأتراك على طريقة استانبول في مصر قد طبع هو الآخر أربع مرات مع كتاب في النحو والصرف العربي يعرف باسم (صرف جمله سى) بين عامي ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٥م – ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٦م.

٢– في عهد عباس باشا وسعيد باشا

لما مرض الوالي محمد علي باشا وتولى بدلاً منه ابنه إبراهيم باشا واصل خلال مدة ولايته القصيرة سياسة والده التعليمية. أما في عهد عباس باشا (ابن أخيه) الذي تولى مكان عمه في نوفمبر عام ١٨٤٨م واستمرت ولايته ست سنوات فقد تدهور التعليم فيها وجرى إغلاق العديد من المدارس. غير أن اللغة التركية ظلت تحافظ في عهده على مكانتها في الحياة التعليمية.

وكان عباس باشا أكثر إخلاصاً من جده وعمه في الولاء للدولة العثمانية فشاء أن يُلزم موظفي ولايته بما كان يجري على "موظفي باب السعادة" [أي استانبول] من ارتباط بقواعد ارتداء الطربوش وطريقة الزي[٢٦] وحلق الذقون[٢٧]، وأصدر تعليمات تنص على ذلك.

---

(٢٥) نفسه، ص ٢٣٨ – ٢٣٩.

(٢٦) أمين سامي باشا، تقويم النيل، جزء ٣ ، المجلد الأول، ص ٢٤.

(٢٧) أمين سامي باشا، المصدر السابق، جزء ٣، المجلد الأول، ص ٢١.

وفي شهر يونيه عام ١٨٤٩م تم إجراء ترتيب جديد على التعليم، ووحد عباس باشا بمقتضاه المدارس العسكرية ثم ربطها بديوان الجهادية، بينما ربط المدارس الأخرى بديوان المدارس. أما المدارس الإدارية والعسكرية التي تقوم بتخريج الموظفين الإداريين فقد أراد أن يجعلها محصورة في الغالب على أبناء الأتراك. وفي لائحة تعليمات صادرة بتاريخ ١٩ مايو ١٨٤٩م (٢٥ جمادى الآخرة ١٢٦٥هـ) يقول آمراً "نظراً لأن بعض من سيدرس في تلك المدارس سيكون ضابطاً والبعض الآخر مهندساً، وسوف يكونون بحكم وظائفهم محط أنظار الأهالي فلا بد لمن يجري إلحاقه بتلك المدارس أن يكون سليم البدن وقوياً ووسيماً صحيحاً معافاً"، أما في أمره الثاني المؤرخ في ٣٠ سبتمبر ١٨٤٩م (١٢ ذو القعدة ١٢٦٥هـ) فيطلب قائلاً: "ويفضّل أن يكون الطلاب الملتحقون من أبناء المماليك والأتراك"[٢٨].

وقد قام عباس باشا في عام ١٨٥٠م بإلغاء العديد من المدارس التي أقامها جده محمد علي باشا، وكان يوجد من بين تلك المدارس المغلقة مدارس المبتديان والتجهيزية ومدرسة الألسن. ولكن المهندسخانة كانت على العكس من ذلك، إذ حظيت منه بعناية خاصة، وضمّ إليها مدارس المبتديان والتجهيزية. واستمرت تمارس نشاطها التعليمي تحت نظارة علي مبارك باشا، وقام بإلقاء دروس اللغة التركية فيها عثمان نوري أفندي وحمدي أفندي وعبد الغفور أفندي[٢٩].

ومع استمرار الحملات التعليمية الجديدة في ولاية سعيد باشا التي بدأت في يونيه ١٨٥٤م حافظ تعليم اللغة التركية على مكانته في المدارس القائمة، وكانت الأفضلية في المدارس العسكرية للطلاب الأتراك والطلاب الذين يتحدثون التركية كما كان عليه الحال في عهد عباس الأول. ففي مدرسة الحربية بالقاهرة جرى تعليم التركية والفارسية[٣٠]، كما كان يفضّل للمدرسة الحربية بالإسكندرية أن يلتحق بها أبناء المماليك والأتراك وغيرهم

(٢٨) أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في مصر: في عهد عباس الأول وسعيد، المجلد الأول، مطبعة النصر، القاهرة، ١٩٤٥، ص ٧٠ – ٧١.

(٢٩) أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في مصر، جـ ١ ص ١٠٦ – ١٠٧.

(٣٠) نفسه، ص ١٩٥ – ١٩٧.

ممن يتحدثون التركية، وكان التعليم فيها أيضاً بالتركية والفارسية. وكان من بين الكتب المدرسية المستخدمة للتدريس كتاب مبادئ الدين (علم حال) وتحفة وهبي (تحفه° وهبى) ونصائح فريد الدين العطار (پند عطار)، ويتعلم فيها الطلاب خطوط النسخ والثلث والرقعة.

وكانت المدارس الأهلية التي جرى التفكير في إقامتها على أيام إبراهيم باشا احتذاءً بمدارس الأهالي التركية (ملت مكتبلرى) في استانبول(٣١) قد أعيد التفكير فيها مرة أخرى على أيام سعيد باشا تحت اسم المدارس الأهلية. فتقرر بمقتضى مشروع قانون (ترتيبنامه) جرى إعداده في فبراير ١٨٥٥م أن تقام عشرة مدارس أهلية في أقسام القاهرة العثمانية بالإضافة إلى بولاق ومصر القديمة، ويلتحق بها أبناء الأهالي دون أية حدود (أي لا تراعى فيها الشروط الخاصة بالمدارس الرسمية). ولا تلتزم هذه المدارس ذات السنوات الأربع إلاّ بشرطين يجري تطبيقهما على أبناء الأتراك والعرب ممن سيدرسون فيها، وهما النظافة والخلو من الأمراض. وتدلنا برامج التدريس التي وضعت لتلك المدارس أن التعليم فيها سوف يتركز على اللغة التركية، وأن مدرس التركية سيكون هو ناظر المدرسة ورئيس معلميها، وتقوم المدرسة بتعليم الفارسية أيضاً. إذ تدرس التركية في الصف الثالث، ثم تُدَرَّس معها الفارسية في الصف الرابع. وكان القصد من هذه المدارس هو نشر التعليم بين الأهالي والارتقاء بمستواهم الثقافي، وإعداد الطلاب لأن يكونوا من أصحاب الحرف أو أرباب التجارة.

وقد طُلب أن تكون الكتب التركية المقررة للدراسة في المدارس هي: مبادئ الدين (علم حال) والدرة الفريدة (در يكتا) وكتاب البركوي (بركوئ شريف) والإنشاء، والكتب الفارسية المقررة هي: تحفة وهبي (تحفه° وهبى) ونصائح العطار (پند عطار)؛ ويجري تلقين الطلاب معلومات تكون بمثابة مداخل في جغرافيا وتاريخ مصر والدولة العثمانية(٣٢).

---

(٣١) يتبين من الأمر الذي كتبه إبراهيم باشا إلى الكتخدا بتاريخ آخر رجب ١٢٦٣ (يوليو ١٨٤٧) أنه علم من جريدة تقويم الوقائع التركية الصادرة في استانبول أنهم شرعوا في استانبول في ترتيب مدارس عمومية لأجل الأطفال هناك (أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في عصر محمد علي، ص ٢٠٩).

(٣٢) لأجل الترجمة العربية لمشروع قانون المدارس الأهلية المزمع إقامتها انظر: أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في مصر: الوثائق، جـ ٣ ، ص ٤ – ١٣.

ولما انشغل سعيد باشا بالجيش وأمور أخرى كان على رأسها مشروع قناة السويس تعطل مشروع المدارس الأهلية، ولم يبدأ تحقيقه إلاّ في عهد خلفه إسماعيل باشا.

٣- في عهد الخديوي إسماعيل

لقد حظي التعليم بإصلاحات جذرية في عهد إسماعيل باشا الذي بدأ عام ١٨٦٣م واستمر ستة عشر عاماً معززاً بفرمان الخديوية الذي حصل عليه عام ١٨٦٧م؛ وقويت حركة التحديث في مصر، وتوثقت علاقاتها بالعالم الغربي. وكان الهدف من حركات الإصلاح التي جرت في ذلك العهد هو إقامة نوع من نظام "وطني" في مجال التعليم، ونشر المدارس الجديدة في ربوع مصر شمالاً وجنوباً فضلاً عن القاهرة والإسكندرية كبرى المدن فيها. وكان للغة التركية وثقافتها أيضاً نصيب في تلك الحملات الموجهة للتوسيع والتطوير. وعلى هذا النحو أمكن للتعليم التركي أن ينتشر في مصر بشكل لم نشهده من قبل، حتى إنه انتقل إلى السودان التي كانت تخضع للإدارة المصرية.

وقد قضى النظام التعليمي الجديد الذي سعوا لإقامته بلائحة عرفت باسم لائحة رجب ١٢٨٤هـ (أكتوبر - نوفمبر ١٨٦٧م) أن يتم حصر التعليم العسكري الذي كان قائماً أيام محمد علي باشا في المدارس ذات الصبغة العسكرية البحتة، ثم يجري ربطها بديوان الجهادية، بينما تجري إعادة تنظيم المدارس الأخرى جميعها من جديد. ومن هنا كانت كل المدارس غير العسكرية في ذلك العهد منوطة بديوان المدارس الذي يتشكل من قلمين تركي وعربي.

وبدأت حملات إسماعيل باشا التعليمية بإعادة تأسيس مدارس المبتديان والتجهيزية الموجودة في القاهرة والإسكندرية في عام ١٨٦٣م. وفي مدرسة مبتديان القاهرة التي بدأت نشاطها من جديد، وواصلت تعليمها اللغة التركية بين عامي ١٨٦٤-١٨٨٠م، كان يقوم بتدريس اللغة التركية عدد من مدرسيها يتروح بين ٢-٤ مدرسين. وتذكر الأسماء التالية لمدرسي التركي في تلك المرحلة وهم:

إبراهيم ممتاز أفندي وطالب أفندي وخليل كمال أفندي وأحمد عزت أفندي ومحمد حليم أفندي ومصطفى المرابط أفندي ومحمد وصفي أفندي ومحمد شاكر أفندي ومحمود حمدي

أفندي وإبراهيم رأفت أفندي وفاضل أفندي[٣٣]. كما تم تطبيق التعليم التركي في قسم الابتدائي من مدرسة الإسكندرية أيضا، أما المعلمون الذين قاموا بتدريس التركية فيها من عام ١٨٦٣م حتى عام ١٨٨٢م فهم: عمر أفندي ومصطفى حافظ أفندي وحافظ علي الترابي أفندي وحسن كاني أفندي وحسن شكري أفندي وعبد الله سعدالدين أفندي[٣٤].

وعقب هذه الإجراءات التنظيمية تم أيضاً طبع عدد من الكتب التركية لاستخدامها في تلك المرحلة الجديدة. فقد طالب علي مبارك باشا (ت ١٨٩٣م) الذي كان مديراً للمدارس العمومية وتعلم اللغة التركية آنذاك بإعداد كتب جديدة للقواعد والنحو لتعليم اللغة التركية في المدارس بأصول حديثة بدلاً من الأصول القديمة التي كانت جارية. وعلى هذا قام كل من إبراهيم ممتاز أفندي ومحمد طالب أفندي اللذان كانا يعملان بتدريس اللغة التركية في تلك المدارس بإعداد كتاب تركي طبع عام ١٨٦٩م وعرف باسم (إرشاد مبتديان در لغت عثمانيان) أي ارشاد المبتدئين إلى لغة العثمانيين[٣٥].

وبعد هذا التاريخ أقيمت المدارس الابتدائية في العديد من عواصم المديريات في مصر. ولا نملك الكثير من التفاصيل حول مناهج التدريس السابقة على عام ١٨٧٤م. ومع ذلك فإن مشروع القانون الذي أعد في عهد سعيد باشا بتاريخ فبراير ١٨٥٥م وأشرنا إليه فيما سلف يدلنا على أن تدريس اللغة التركية كان جارياً فيها. ويشير أمين سامي باشا الذي نشأ في ذلك العهد وكتب أول تاريخ للتعليم في مصر أن تعليم اللغة التركية كان جارياً لمدة خمس ساعات في الصفين الأخيرين في تلك المدارس بين عامي ١٨٦٣-١٨٧٤م[٣٦].

ويدلنا البرنامج التعليمي الجديد الذي أعد عام ١٨٧٤م (وظل سارياً حتى ١٨٨٨م) على أن تعليم اللغة التركية كان موجوداً في المنهج الدراسي للصفين الأخيرين (٦ ساعات للصف الثالث و٣ ساعات للصف الرابع) في المدارس التي أقيمت في مدن مصر الكبرى

---

(٣٣) أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في مصر: عهد إسماعيل وتوفيق، جـ ٢، ص ١٩٢ – ١٩٤.

(٣٤) نفسه، ص ١٩٦ – ٢٠٥.

(٣٥) هناك كتاب آخر تركي عربي بعنوان (تسهيل التحصيل في اللغة التركية) وضعه عمر فائق أفندي مدرس التركية في المدارس المدنية، وقد طبع في عام ١٨٦٨.

(٣٦) أمين باشا سامي، التعليم في مصر، الملاحق، القسم الثالث، ص ٢ – ٤، وأحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في مصر، جـ ٢، ص ٢١١ –٢١٧.

ومراكزها وعرفت بالإبتدائية المركزية التي كانت مدة الدراسة فيها أربع سنوات(٣٧). غير أن عدد الساعات المخصصة لتعليم اللغات الغربية كان يزيد قدر الضعفين على الأقل عن عدد الساعات المخصصة لتعليم اللغة التركية. ويدلنا هذا البرنامج الجديد على أنهم أقاموا أربع مدارس في الوجه البحري وأربعاً أخرى مثلها في الصعيد عدا ما كان في القاهرة والإسكندرية. وتلك المدارس هي ابتدائية طنطا وبنها ورشيد والفشن، وابتدائية أسيوط وبني سويف والمنيا. وتشير المصادر الموجودة في أيدينا إلى أن مدرسي اللغة التركية في أسيوط هم : محمد فاضل وإبراهيم رأفت وأحمد صدقي(٣٨)؛ أما مدرسوها في المنيا فهم: حافظ محمد علي وحسين نامق وحسين يحيى ومراد مختار (وهو ناظر المدرسة في الوقت نفسه)(٣٩). وفي رشيد كان مدرس التركية هو أحمد صدقي(٤٠).

أما في المدرسة الابتدائية بمدينة المنصورة التي شاء الخديوي إسماعيل إقامتها هناك لكن عَزْلَه حال دون ذلك وأمكن إقامتها في عهد ابنه توفيق باشا (في عام ١٨٨١م) فقد تولى تدريس اللغة التركية فيها خلال سنواتها الأولى محمد شاكر(٤١).

وكانت الكتب التي يجري تدريسها في تعليم التركية والفارسية في كل تلك المدارس هي نفسها الكتب التي جرت العادة بتدريسها منذ عهد محمد علي باشا ، مثل كتاب مبادئ الدين (علم حال) وكتاب النخبة وغيرهما(٤٢).

– مدارس البنات

لقد كانت إقامة مدارس للبنات حلقة من سلسلة التجديد المهمة التي جاءت بها الحملات التعليمية التي تحققت في عهد الخديوي إسماعيل باشا. وكانت أولى مدارس البنات التي

(٣٧) للتعرف على البرنامج التدريسي لتلك المدارس انظر: *Ecoles Civiles du Gouvernement Egyptien, Programme général de l'enseignement aux écoles primaires,* Le Caire, 1874
(أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في مصر، جـ ٢، ص ٢٢١).

(٣٨) أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في مصر، جـ ٢ ص ٢٤٤.

(٣٩) نفسه، جـ ٢ ، ص ٢٤٩.

(٤٠) نفسه، جـ ٢، ص ٢٥٠ – ٢٥١.

(٤١) نفسه، جـ ٢ ، ص ٢٠٥ -٢٠٨.

(٤٢) نفسه، جـ ٢ ، ص ٢٢٤.

تعلمهن على مدى خمس سنوات هي المدرسة التي افتتحتها السيدة چشم آفت هانم الزوجة الثالثة للخديوي عام ١٨٧٣م. وقد عُرفت تلك المدرسة باسم حي السيوفية أحد أحياء القاهرة المكتظة بالسكان، أو باسم "المدرسة السُنية"، وكانت مدة الدراسة فيها خمس سنوات(٤٣).

وقد نصّت اللائحة التعليمية التي وضعت بتاريخ ١٨٧٤م على أن يكون للفتاة التي تخرجت فيها الحق أن تلتحق دون امتحان بمدارس الولادة. وتدرس خلال السنوات الخمس الدين والتاريخ والحساب والجغرافيا فضلاً عن اللغة العربية واللغة التركية، كما تتعلم فيها التدبير المنزلي والحياكة والتطريز. ومن الأمور التي تلفت الأنظار أن مادة التطريز كانت تنقسم عند التطبيق إلى قسمين، تطريز (افرنكي) وتطريز (تركي). كما كانت دروس اللغة التركية في تلك المدرسة تجري تبعاً لكتاب (النخبة الزكية) الذي تم إعداده بطريقة حديثة تختلف عما كان في مدارس الذكور. فهذا الكتاب أعد بطريقة خاصة للتدريس في مدارس مصر على يدي مورالي مراد مختار الذي كان مديراً للمكتبة الخديوية في القاهرة، وكانت أولى طبعاته عام ١٨٧٣م، ثم أعيد طبعه عدة مرات بعد ذلك (١٨٧٧، ١٨٨٢-٨٣، ١٨٩١-٩٢). وابتداءاً من عام ١٨٧٦م كان يحق للطالبة الراغبة أن تتعلم العزف على البيانو في تلك المدرسة. وكان يقوم بتدريس اللغة التركية في عام ١٨٧٥م كل من محمد فاضل أفندي ومصطفى أفندي ويحيى أفندي. أما المدرسة الثانية التي أقيمت بعد ذلك لتعليم البنات فهي "مدرسة القربية" التي ظهرت بمبادرة من الزوجة الثانية للخديوي والتي كانت تعرف باسم (اورتانجه هانم أفندي) (٤٤).

٤- تعليم اللغة التركية في السودان

كان لسياسة التوسع التي انتهجها محمد علي باشا أن دخلت السودان تحت الإدارة المصرية، وأصبحت - بالتالي - جزءاً من أراضي الدولة العثمانية. وكانت أولى المحاولات لاقامة مدرسة حديثة هناك هي التي بدأت في عهد الوالي عباس باشا. غير أن

---

(٤٣) لأجل النص الفرنسي الخاص بلائحة تلك المدرسة انظر: *Ecoles Civiles du Gouvernement Egyptien. Reglement Pour L'Ecole des Filles*, Le Caire, 1874.

أما بالنسبة للترجمة العربية فانظر: أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في مصر، جـ ٣، ص ١٠٦ -١٢٥.

(٤٤) حول مدارس البنات انظر أحمد عزت عبد الكريم، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٥٦ - ٣٧٩.

عدم رغبة رفاعة الطهطاوي – الذي جرى إرساله إلى هناك كنوع من النفي له – في إقامة المدرسة قد أسفر عن فشل تلك المحاولة. وكان الهدف الأساسي هو إقامة مدرسة هناك في مستوى مدارس المبتديان والتجهيزية الموجودة في مصر، وتكون مهمتها تعليم أبناء الأعيان والأهالي وأبناء رجال الإدارة العسكريين والمدنيين المقيمين في الخرطوم ودنقلة وسنار (أولاد الترك). وكانت المدرسة – خلال عمرها القصير الذي استمر تسعة أشهر من شهر شوال ١٢٦٩هـ حتى شهر شعبان ١٢٧٠هـ (يوليه ١٨٥٣ – أبريل ١٨٥٤م) – تقوم بتدريس القواعد والحساب والهندسة وحسن الخط. كما يتبين من وثائق الأرشيف في ذلك العهد أن اللغة التركية أيضاً كانت من بين تلك الدروس. ولكن بوفاة عباس باشا اضطرت المدرسة أن تغلق أبوابها قبل أن يبدأ العام الدراسي الثاني فيها[٤٥]. لكنها لم تكن تفرق بين أبناء الأهالي المحليين وأبناء الطبقة الحاكمة، وهي التي وضعت أسس التعليم الحديث في السودان.

ومع إطلاق الفعاليات التعليمية الحديثة في عهد الخديوي إسماعيل بدأ تعليم اللغة التركية في السودان أيضاً، وبشكل منظم لأول مرة في تاريخها؛ وبدأ الأهالي المحليون يتعلمون التركية. وبناءً على طلب تقدم به موسى حمدي باشا حكمدار السودان حول ضرورة تعليم الأشخاص المحليين الذين يجري إلحاقهم بجهاز الإدارة هناك داخل المكاتب قام الخديوي إسماعيل بإرسال أمر في هذا الصدد إلى السودان. ورأينا في هذا الأمر الإشارة إلى أن تعليم أهالي السودان لأجل هذا القصد وحده لا يكفي، بل يجب إقامة مدرسة (ابتدائية) أو مدرستين في الخرطوم حتى تعمل على نشر المدنية والرفاه بين الأهالي، وتغرس فيهم حب الوطن والنزوع إلى الترقي. وشاء الخديوي إسماعيل أن يجري جمع نحو خمسمائة تلميذ من أبناء الأهالي، ويكون معهم أبناء الأتراك العاملين هناك فيجري إلحاقهم جميعاً بتلك المدارس (الابتدائية)، كما أشار في الأمر المرسل إلى

(٤٥) للتعرف على النشاط التعليمي في السودان أيام عباس باشا وتفاصيل الوثائق الأرشيفية المتعلقة به انظر: عبد العزيز أمين عبد المجيد، التربية في السودان، جـ ١، القاهرة ١٩٤٩، ص ٢٢ – ٢٧.

أن المدرسين اللازمين لتعليم العربية والتركية سوف يجري إرسالهم من القاهرة[٤٦]. وهناك يبادر موسى حمدي باشا بطلب إقامة خمس مدارس بدلاً من مدرستين في الخرطوم، وتكون كل واحدة منها بسعة مائة تلميذ، وتقام في الخرطوم وغيرها في بربا ودنقله وكردفان والتاكة.

وفي عام ١٨٦٣م أقيمت تلك المدارس بتعليمات من الخديوي ورغبة منه في نشر التعليم الحديث، ودار الحديث عنه لأول مرة في السودان. وكان المنهج الدراسي يضم ضمن مفرداته تعليم اللغة التركية وتدريس كتاب تاريخ واصف في تاريخ الدولة العثمانية. وكان من الشروط الموضوعة لمن يجري تعيينه للتدريس في تلك المدارس الخمس أن يجيد التركية وخط الثلث وخط الرقعة. ويتضح من أسماء المدرسين الذين تم تعيينهم لأول مرة هناك أنهم كانوا من أصول تركية؛ فقد عُيّن محمد شاكر من الآستانة (على الخرطوم)، والحافظ محمد الخربوطلي (على دنقلة)، ومحمد بودالي (على بربر)، واسكليبلي حافظ خليل (على التاكة)، وخربوطلي يوسف (على كردفان)[٤٧]. وفي عام ١٨٧١م ارتفع عدد تلك المدارس إلى سبع بعد إقامة اثنتين منها في سواكن ومصوع. وتنحصر معلوماتنا حولها فيما قدمه لنا المرحوم أحمد عزت عبدالكريم من معلومات حصل عليها من محفوظات سراي عابدين وهو يقوم بدراسته المهمة عن تاريخ التعليم في مصر.

وقد أغلقت تلك المدارس في عام ١٨٧٧م مع تعيين غوردن باشا البريطاني والياً على السودان، وعلى ذلك انقطع تعليم التركية فيها قبل أن يمضي وقت طويل[٤٨].

٥- انحسار التعليم التركي في المدارس ثم زواله

عرفت مصر عهداً مختلفاً بدأ بعزل إسماعيل باشا عن الخديوية وتعيين ابنه توفيق باشا بدلاً منه (٢٦ يونيه ١٨٧٩م)؛ فقد تضاعفت تدخلات القوى الأوروبية في شئون مصر الداخلية، وبدأت مصر في وضع سياستها الجديدة مع مراعاة التوازن بين تلك القوى، وتنفيذها تبعاً لذلك. وقبل أن يمضي وقت طويل قام الانجليز باحتلال مصر (سبتمبر

(٤٦) للأمر الصادر عن الخديوي إسماعيل بتاريخ ٦ شعبان ١٢٧٩ (يناير ١٨٦٣) انظر: تقويم النيل، جزء ٣، مجلد ٢، ص ٤٥٢ – ٤٥٣.

(٤٧) عبد العزيز أمين عبد المجيد، المصدر السابق، ص ٧٥ – ٧٦.

(٤٨) للمعلومات العامة عن التعليم في السودان انظر: أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في مصر، جـ ٢، ص ٣٨٠ – ٣٩٣.

١٨٨٢م)، وانقلبت لصالحهم كل الموازين. وكان من نتيجة استيلاء الانجليز الفعلي على مقاليد الأمور عقب الاحتلال أن بدأ يتضاءل النفوذ العثماني على مصر، وأدى هذا – بالطبع – إلى انحسار اللغة التركية في التعليم كما انحسرت في شئون إدارة البلاد.

فقد قضت الخطة التي وضعتها لجنة "إصلاح التعليم" في العام الأول من حكم توفيق باشا والتي كانت تحت رئاسة علي إبراهيم باشا ناظر المعارف بإضعاف مكانة اللغة التركية في التعليم (تاريخ الموافقة عليها ٢٧ مايو ١٨٨٠م)، أما الدروس الخاصة بالثقافة العثمانية فقد ألغيت من مناهج التدريس. وكانت اللجنة تضم سبعة أعضاء، ثلاثة من المصريين (عبدالله فكري باشا وسالم باشا عدا رئيس اللجنة)، وأربعة من الأوربيين (لارميه باشا Larmée ودور بك Dor وروجرز بك Rogers وفيدال بك Vidal). وأشارت اللجنة في تقريرها إلى أن تعليم اللغة التركية في العديد من المدارس في مدن مصر ومراكزها المختلفة إنما هو أمر لا طائل من ورائه، وأوصت أن ينحصر تدريسها لأبناء العائلات التي تتحدث التركية فقط وتكون مادة اختيارية. وعلى هذا النحو جرى من جديد تغيير وضع اللغة التركية وترتيبها في برامج التدريس، وهي التي تبوأت مكاناً أساسياً في الأنشطة التعليمية منذ عهد محمد علي باشا، واستمر تدريسها في مدارس الولاية المختلفة بل وفي السودان أيضاً ضمن نظام تعليمي وطني. وفي سياق ذلك الترتيب الجديد تتم مرة أخرى إعادة تنظيم الأقسام الخاصة باللغات الفرنسية والانجليزية والألمانية التي كان تدريسها مستمراً. ويدلنا التقرير على أن اللغة التركية كانت تحتل مكانة متميزة ضمن الفعاليات التعليمية منذ عهد محمد علي باشا، وأن مدرسة الألسن التي أعيد تشكيلها من جديد في عهد إسماعيل باشا (في ١٨٧٨م) قد أجروا عليها تعديلاً آخر جديداً. وتقرر في إطار ذلك التعديل الجديد إعادة تنظيم أقسام اللغات الفرنسية والانجليزية والألمانية التي كانت تمارس نشاطها التعليمي، وتقرر بناءً على ذلك زيادة العناية باللغتين الانجليزية والفرنسية، وإلغاء تدريس الألمانية، أما في أمر اللغة العربية واللغة التركية فقد تقرر زيادة الاهتمام بالأولى، ثم جَعْل الثانية لغة اختيارية. وأوصت اللجنة أن لا يزيد عدد مدرسي اللغة التركية عن شخص واحد، وهي التي كان تعليمها يحتل مكانة متميزة في مدرسة الألسن في عهد محمد علي باشا والعهود التي أعقبته. وتقرر من ثم تحويل اللغة التركية إلى لغة ثانوية.

وقد أوصى نفس التقرير بإلغاء تدريس اللغة التركية في كلية الحقوق التي أقيمت عام ١٨٦٧م بدعوى أنها "لغة غير قضائية". وقد كان لابد من خطوة يكون من شأنها إضعاف الرابطة القانونية القائمة بين الخديوية المصرية والدولة العثمانية ثم قطعها في النهاية، وأول الأمور التي يجب فعلها حتى يقطع رجال القانون من خريجي تلك المدرسة علاقاتهم بالقوانين العثمانية من جذورها هو الحيلولة دون تعلمهم اللغة الرسمية للدولة العثمانية، اللغة التي دُوّنت بها تلك القوانين.

وقد استند الطلب في تقرير اللجنة بضرورة التقليل من تعليم اللغة التركية في مدارس مصر بوجه عام إلى حجة أنها لغة لا يتحدث بها إلاّ الأقلية، وأن أبناء الأهالي يتعثرون في تعلمها، ولا يستخدموها في حياتهم بعد ذلك. ولاشك أن هذه الحجة تنسحب على اللغات الأخرى أيضاً، ومن ثم فإن صدقها هو محل جدل. وقد وردت تلك الآراء في التقرير على النحو التالي:

"اللغة التركية ماثلة في برامج عدد كبير من المدارس، ويفيد من تعلمها التلاميذ الذين يتكلمها أهلوهم ويستخدمونها في كل يوم. أما أبناء الشطر الأكبر من الأهالي بالأقاليم – بل وفي المدن – فيلتحقون بالمدارس دون أن يعرفوا من هذه اللغة شيئاً وينسون بمجرد تركهم لها كل ما بذلوا من جهد دون حماسة في تعلمه منها، وإن عجزهم عن تعلمها بسبب اليأس لأساتذتهم والتأخر للطلبة الآخرين الأكثر استعداداً وقدرةً على تعلمها"(٤٩).

وكان لزيادة النفوذ الانجليزي في مصر وضعف النفوذ العثماني أن قررت نظارة المعارف في عام ١٨٨٨م، أي في السنة السادسة من الاحتلال، إلغاء تعليم اللغة التركية في المدارس إلاّ إذا شاء أولياء الأمور عكس ذلك، وعندئذ يكون تدريسها اختيارياً وخلال ساعات الفسحة(٥٠).

ولاشك أن الدكتور أحمد أمين (١٨٨٦–١٩٥٤م) هو أحد أبرز الشهود على تراجع تعلم اللغة التركية أمام تعلم الفرنسية أولاً والانجليزية ثانياً. وكان الرجل من أوائل أساتذة جامعة القاهرة، وتحدث في مذكراته حول هذا الموضوع أيضاً. وكان أحمد أمين بعد أن أنهى تعليمه الأولي في كتّاب الحي قد التحق بالمدرسة الابتدائية التي أقيمت باسم والدة الوالي عباس باشا (بنبه قادين)، ثم يقول إنه تعلم التركية فيها إلى جانب ما يقرؤه كل

---

(٤٩) للاطلاع على النص العربي للتقرير انظر: أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في مصر، جـ ٣ (الوثائق)، ص ١٨٣ – ٢٩٣.

(٥٠) نفسه، جـ ٢، ص ٢٢٩ و أمين سامي باشا، التعليم في مصر، الملاحق، القسم الثالث، ص ٣.

تلميذ في البداية من القرآن الكريم والحساب والعربية، وإن هذا البرنامج انحصر بعد ذلك في صف وحيد يعرف بصف الحُفّاظ، بينما يتغير برنامج الصفوف الأخرى ويجري تعليم اللغة الفرنسية بدلاً من التركية، وإن اللغة الانجليزية قد احتلت مكان الفرنسية فيما بعد(٥١).

وبينما كانت إمكانية تعلم اللغة التركية بين أبناء الشعب المصري على هذا النحو آخذة في التلاشي نهض توفيق باشا فأقام لأبنائه ولأبناء رجال حاشيته المتحدثين باللغة التركية مدرسة تتبع سراي عابدين وتستوعب مائة تلميذ، وأتاح لهم بذلك إمكانية تعلم التركية(٥٢). وفي عهد الخديوي عباس حلمي جرى (في عام ١٩٠٤م) افتتاح فصل للتركية في المدرسة المعروفة بالمدرسة العثمانية ليلتحق به من يريد دون شرط أو أجر(٥٣). والذي نعلمه عن تلك المدرسة أنها أقيمت على أيدي عدد من كبار الشخصيات التركية في مصر، وأن أول مدير عين لها هو محمد أفندي الكردي. أما الكيفية التي كان عليها تعليم التركية والمدة التي يقضيها الطالب فيها فلا نعلم عنها شيئاً.

ومع تعسر عملية تعليم التركية في مصر اضطر كل من يريد تعليمها لأبنائه أن يذهب بهم إلى استانبول أثناء العطلات الصيفية. وقام محمد فريد بك زعيم الحزب الوطني والشخصية المناصرة للعثمانيين بالتوجه إلى استانبول وأقنع المسئولين هناك بقبول المصريين ممن يريدون تعلم التركية للالتحاق دون قيد أو شرط في مدارسها. وعلى ذلك تم أيضاً تشكيل لجنة في القاهرة باسم "هيئة المنح" تحت رئاسة حسين تيمور تكون مهمتها تدبير نفقات الطلاب الذين يتقرر ذهابهم إلى استانبول(٥٤).

وعلى هذا النحو تكون دروس الثقافة العثمانية واللغة التركية التي ظل تعليمها متصلاً في مدارس مصر المختلفة منذ ولاية محمد علي باشا وبسرعة مطردة وكثافة متباينة قد تم رفعها تماماً بمجئ الاحتلال الانجليزي. ولم يبق من تلك الدروس سوى حسن الخط،

---

(٥١) أحمد أمين، حياتي، ط. ٢ ، بيروت ١٩٧١، ص ٤٤ - ٤٥.

(٥٢) أحمد محمد البحيري، الأتراك في مصر (رسالة دكتوراه)، ص ١٨٣.

(٥٣) نفس الرسالة، ص ١٨٣، ١٩٧.

(٥٤) نفس الرسالة، ص ١٩٧.

وكانت غالبية معلميه من أصول تركية. ومن الطرافة تلك الصورة التي رسمها أحمد أمين لمعلم الخط التركي وهو يتحدث عن ذكريات طفولته، فيقول:

"ومدرس الخط رجل تركي، جميل الوجه، بهيج الطلعة، له لحية بيضاء، تستخرج من ناظرها الإكبار والإجلال، يلبس اللباس التركي الشرقي ويتكلم العربية بلهجة تركية، هادئ الطبع، بطئ الحركة خافت الصوت لا يضرب ولا يؤذي ولا يسب، وهو مع ذلك محترم، لا تسمع في حصته صوتاً"(٥٥).

ولم يقتصر تعليم الأتراك للخط في مصر على المدارس الخاضعة للنظام التعليمي العام، وإنما بلغ مستوى أكثر تقدماً وتأثيراً بافتتاح مدرسة الخطاطين التي أقيمت في عهد الملك فؤاد كمدرسة تخصصية سبق الحديث عنها في فصل سابق.

ولم يحدث في عهد الاحتلال الانجليزي أبداً أن أقدم أحد علي إقامة مدرسة تركية إلى جانب مدارس الأقليات المحلية والأجنبية (الانجليزية والفرنسية والألمانية والايطالية والرومية والأرمنية واليهودية) التي أخذ عودها يقوى ويشتد، بل ولم يفكر أحد في ذلك. ولم تحدث أيضاً في أي من الولايات المسلمة الخاضعة للحكم العثماني أن وقعت محاولة مشابهة. لأن شعور (الأقلية) أي القدرة على حماية الهويات الثقافية لم يعرفه الأتراك إلاّ في منطقة الروملي التي يغلب عليها طابع الطوائف المسيحية. وهناك في الأماكن المسكونة بالأتراك مثل تراقيا الغربية وبلغاريا وقوصوه كان تعليم التركية مصاحباً للتعليم "الديني". أما في الولايات الأخرى فقد ضعف مع الوقت وجود اللغة التركية أيضاً بزوال نفوذ العثمانيين وتلاشي حكمهم. وكان لزوال الدولة العثمانية عن مسرح التاريخ ثم قيام الجمهورية التركية بدلاً منها وعدم إقامة علاقة فاعلة مع الأتراك الذين عاشوا في الأراضي الواقعة خارج حدود تركيا الجديدة أن ذاب الأتراك هناك مع مرور الزمن وفقدوا القدرة في المحافظة على لغاتهم. وهذا هو ماحدث بعينه في مصر كما سبق وأسلفنا باستفاضة في القسم الخاص بعدد السكان الأتراك وأوضاعهم.

ولم يبدأ تعليم اللغة التركية من جديد في مصر بشكل رسمي إلاّ في الجامعات وعلى المستوى الأكاديمي. وكان محمد عاكف أرصوي (ت ١٩٣٦م) شاعر نشيد الاستقلال

---

(٥٥) أحمد أمين ، المصدر السابق، ص ٤٧.

الوطني يقوم بتدريس اللغة التركية في جامعة القاهرة عندما كان مقيماً بمصر. ومن أشهر الحكايات المأثورة عن ذلك النشاط التعليمي الذي لم يدم طويلاً هي تلك المعاناة التي تكبدها عاكف والطلاب في فَهْم كل منهما للآخر. فقد كان عاكف لا يجيد العامية المصرية كثيراً ويجتهد في استخدام الفصحى والأسلوب الأدبي، كما لم يكن الطلاب قادرين على الحديث بالتركية في مدة قصيرة، فكان يقول لهم: "لن أعيب لغتكم التركية، وانتم كذلك لا تعيبوا لغتي العربية". ومع إقامة جامعة عين شمس، الجامعة الحديثة الثانية في مدينة القاهرة (١٩٥١م)، اكتسب تعليم اللغة التركية في مصر بعداً جديداً. فقد تأسس في قسم اللغات الشرقية وآدابها كرسي اللغة التركية وآدابها، وبدأ في مصر والعالم العربي لأول مرة تدريس اللغة التركية وأدبها وتاريخ الترك على نطاق واسع. وكان البرنامج التعليمي في ذلك الكرسي قد وضع بمبادرة وجهود بذلها العالم اليوزغادي (نسبة إلى يوزغاد في وسط الأناضول) الشيخ محمد إحسان الذي كان يستوطن القاهرة، واستمر ذلك البرنامج جارياً حتى وفاته في عام ١٩٦١م.

وفي ستينيات القرن الماضي كان الدكتور أحمد السعيد سليمان أول مصري يتخصص في التركيات يقوم بتدريس اللغة التركية وأدبها في جامعة القاهرة، بينما كان يقوم بذلك في جامعة الإسكندرية الشاعر التركي التوقادي الأصل (نسبة إلى توقاد في وسط الأناضول) إبراهيم صبري نجل شيخ الإسلام الأخير مصطفى صبري أفندي (١٨٦٩-١٩٥٤م). غير أن تعليم اللغة التركية وثقافتها في هاتين الجامعتين بدأ على نطاق أضيق مما كان عليه في جامعة عين شمس.

ولا زالت جامعة عين شمس إلى اليوم هي المؤسسة الأكاديمية الأولى التي تعنى باللغة التركية على أوسع نطاق، ويجري تطبيق البرنامج التعليمي الموضوع لها منذ عام ١٩٥١م على أيدي متخصصين حصلوا على شهادات الدكتوراه من تركيا(٥٦).

أما دورات تعليم اللغة التركية القصيرة التي نظمتها الجمعية الخيرية التركية التي أسسها عدد من الأتراك المقيمين في مصر فلم يكتب لها أن تعيش طويلاً ولم تجد الفرصة للنجاح. ومع ذلك فلا زالت فعاليات تعليم اللغة التركية التي بدأت في مبنى داخل حديقة

(٥٦) لإلقاء نظرة عامة على الأعمال التي أنجزت في ذلك الخصوص انظر: دراسات في الأدب والتاريخ التركي والعربي، إشراف أحمد فؤاد متولي، القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٨٩م.

السفارة التركية في القاهرة أقامه يشار ياقيش سفير الجمهورية التركية بين عامي ١٩٩٥ – ١٩٩٨م مستمرة بنجاح حتى اليوم.

٦- الكتب المدرسية المقررة في المدارس المصرية

هناك "كتب مدرسية" كثيرة بين الكتب التركية الأخرى التي طبعت في مطبعة بولاق وغيرها من المطابع التي أقيمت بعدها. ونظراً للمكانة المتقدمة التي حظيت بها اللغة التركية في برامج التدريس داخل المدارس التي أقيمت اعتباراً من عهد محمد علي باشا فقد اقتضى الأمر طبع عدد من الكتب التركية الجديدة لاستخدامها في التدريس، ولاسيما في موضوعات الدين والرياضيات وتعليم اللغة. وتلك الكتب التي كان أغلبها من نتاج استانبول كانت للاستعمال المدرسي، ولهذا جرى طبع أغلبها أكثر من مرة.

وبنظرة عامة على الكتب المذكورة فيما يلي تتبين لنا آثار التطور الحاصل في الحياة الثقافية العثمانية. ففي الوقت الذي تجري فيه طباعة كتب العهد الكلاسيكي من أجل تعليم الدين واللغة ثم تقدم للطلاب نرى على الجانب الآخر أن الكتب المقرر تدريسها في الرياضيات كان يجري اختيارها من بين الكتب المترجمة عن اللغات الأوربية أو الكتب المعدة بطريقة الاقتباس والتقريب. أي في الوقت الذي بلغت فيه الكتب والتقاليد التعليمية التي تشكلت في محيط المدرسة العثمانية آفاقاً لم تبلغها من قبل في أرض مصر كان قد بدأ في الوقت نفسه في مدارس مصر تدريس بواكير الانتاج في أدبيات العلم الحديث التي شكلتها مهندسخانة استانبول. ووجود النصوص الكلاسيكية والحديثة معاً على ذلك النحو هو أمر يثير الانتباه في مسيرة التحديث في الثقافة العثمانية وتطبيقها في مصر. ومع تقلص النفوذ العثماني في مصر كما أسلفنا في فصول مختلفة من هذه الدراسة وانحسار مكانة اللغة التركية بالتدريج في الحياة الرسمية والتعليمية تقلصت مكانتها أيضاً في المدارس الحديثة. وبالتالي حدث تناقص في أنواع وأعداد كتب التدريس التركية المقررة عليها. وكانت كتب التدريس التركية المطبوعة بعد عهد محمد علي باشا تكاد تنحصر في الكتب المستخدمة في تعليم اللغة. إذاً يمكن القول إن نظرة عامة على تلك الكتب تجعلنا ندرك بجلاء أثر الانتقال من الرؤية الكلاسيكية إلى الرؤية الحديثة.

- **كتب الدين المقررة في المدارس**

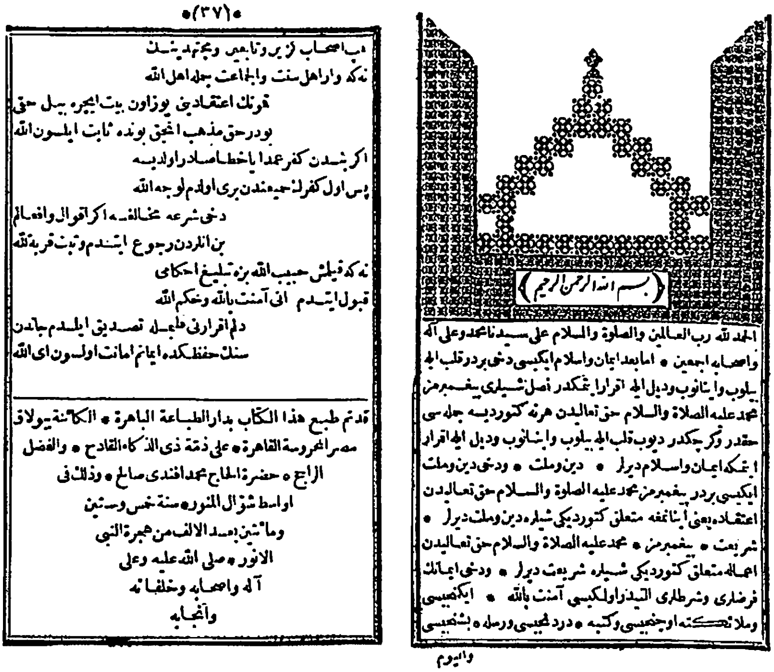
هناك العديد من الكتب التي جرى طبعها وخاصة للمؤلفين العثمانيين وتقررت ككتب مدرسية إلى جانب كتب تعليم اللغة التركية في عهد محمد علي باشا والعهود التي تلته. وكانت مادة الدين تتصدر الدروس المقررة بالتركية. وهناك ثلاثة كتب رئيسية كانت مقررة في ذلك الموضوع، أولها كتاب "شرح الوصية المحمدية" الذي هو شرح على (وصيتنامه) الذي يعرف ايضاً باسم (رسالهٔ برگوي) التي كتبها محمد البرگوي (ت ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م) وطبعت لأول مرة في بولاق سنة ١٢٤٠هـ (١٨٢٥م). وهذا الكتاب تركي في العبادات، وقام بشرحه قاضي زاده الاسلامبولي أحمد بن محمد أمين، وطبع في مصر خمس مرات: ١٢٤٠ (١٨٢٥)، ١٢٥١ (١٨٣٥)، ١٢٥٦ (١٨٤٠ - ١٨٤١)، ١٢٦١ (١٨٤٥)، ١٢٦٣ (١٨٤٧). كما أن هناك شرحاً على هذا الشرح قام به علي صدري قُنَوي (توفي بعد سنة ١١١٤هـ/ ١٧٠٢م)، وعرف باسم (شرح نيازي على شرح البرگوي للقنوي)، وطبع في مصر مرتين: ١٢٦١ (١٨٤٥) و ١٢٦٩ (١٨٥٢).

أما كتاب العبادات الثاني المطبوع في مصر فهو كتاب الدرة الفريدة (در يكتا) الذي وضعه العالم العثماني قاضي العسكر إمام زاده أسعد أفندي وجمع فيه الآراء المعتبرة في الفقه الحنفي. وقد طبع ذلك الكتاب عدة مرات في استانبول، وطبع في بولاق أربع مرات: ١٢٤٥ (١٨٣٠)، ١٢٥٣ (١٨٣٧)، ١٢٥٥ (١٨٣٩)، ١٢٦٤ (١٨٤٧ - ١٨٤٨).

والكتاب الثالث الذي يحتوي المعلومات الدينية الأساسية هو كتاب مبادئ الدين (علم حال) الذي بدأت طباعته عقب تأسيس المطبعة، وظهرت منه في مصر ست طبعات خلال المدة الواقعة بين ١٨٢٤ - ١٨٦٤م. وتحتوي بعض طبعاته على كتاب آخر في نهايتها ألفه إبراهيم حقي الأرضرومي بعنوان (خدا ربم). كما يعتبر كتاب (علم حال) أول كتاب تركي في مبادئ الدين طبع في مصر عقب تأسيس مطبعة بولاق سنة ١٢٣٩ (١٨٢٤م).

وتقرر عدا ذلك أيضاً في المدارس كتاب قنالى زاده (١٥١٠ - ١٥٧٢م) الذي وضعه بالتركية في الأخلاق وعُرف بأخلاق علائي، وأخذ مكانه بين الكتب المطبوعة في هذا الموضوع. وكان ذلك الكتاب فيما بعد مصدراً لكتب الأخلاق كلها تقريباً، وذاع انتشاره في الأخلاق بين الناس وظل مقرراً في المدارس التقليدية والحديثة حتى عهد متأخر، وكانت طباعته في مصر عام ١٢٤٨هـ (١٨٣٣م).

ويتبين لنا عند النظر في تواريخ آخر الطبعات التي ذكرناها أن تعليم الدين باللغة التركية في مصر أخذ ينحسر اعتباراً من سنة ١٨٤٨م، وأن ذلك التاريخ كان يصادف وفاة إبراهيم باشا وبداية تولي عباس باشا.


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين • اما بعد ايمان واسلام ايكيسى دخى بردر قلب ايله بيلوب وايناوب ودل ايله اقرارا تمكدر اصل شيلرى بيغمبرمز محمد عليه الصلاة والسلام حق تعاليدن هرنه كتورديسه جمله سى حقدر ديو كرچكدر ديوب قلب ايله بيلوب وايناوب ودل ايله اقرار ايتمكه ايمان واسلام ديرلر • دين وملت • ودخى دين وملت ايكيسى بردر بيغمبرمز محمد عليه الصلوة والسلام حق تعاليدن اعتقاده يعنى اينانمغه متعلق كتورديكى شيلره دين وملت ديرلر • شريعت • بيغمبرمز • محمد عليه الصلاة والسلام حق تعاليدن اعماله متعلق كتورديكى شيلره شريعت ديرلر • ودخى ايمانك فرضلرى وشرطلرى التيدر اولكيسى آمنت بالله • ايكنجيسى وملائكته اوچنجيسى وكتبه • دردنجيسى ورسله • بشنجيسى

واليوم

•(٣٧)•

دب اصحاب كزين وتابعين ومجتهدينك

نه كه وار اهل سنت والجماعت جمله اهل الله

قمونك اعتقادى بوزاون بيت ايچره بيل حق

بودر حق مذهب انجق بونده ثابت ايلسون الله

اكر شيدن كفر عمدا يا خطا اصادر اولديسه

پس اول كفرلرنجمه مندن برى اولدم لوجه الله

دخى شرعه مخالف اكرقوال وافعالم

بن انلردن رجوع ايتدم وتبت قربة لله

نه كه قيلمش حبيب الله بزه تبليغ احكامى

قبول ايتدم انى آمنت بالله وحكم الله

دلم اقرارنى طبعا تصديق ايلدم جاندن

سنك حفظ كده ايمانم امانت اولسون اى الله

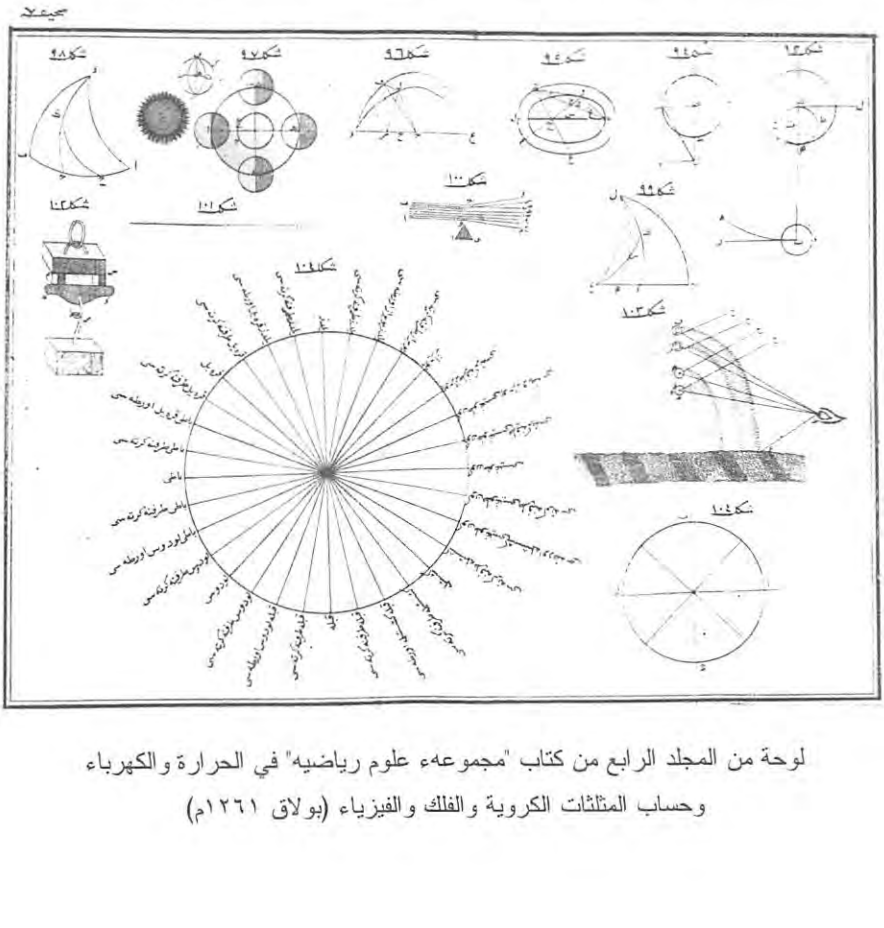
قد تم طبع هذا الكتاب بدار الطباعة الباهرة • الكائنة ببولاق مصر المحروسة القاهرة • على ذمة ذى الذكاء القادح • والفضل الراجح • حضرة الحاج محمد افندى صالح • وذلك فى اواسط شوال المنور سنة خمس وستين ومائتين بعد الالف من هجرة النبى الانور • صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وخلفائه وانجابه

الصفحتان الأولى والأخيرة من كتاب "علم حال" طبعة بولاق ١٢٦٥هـ (١٨٤٩م)

- **كتب الرياضيات المقررة في المدارس**

عندما أقيمت المهندسخانة المصرية إحدى المؤسسات الرئيسية في حركة التحديث التي بادر بها محمد علي باشا كانت مهندسخانة استانبول هي المثل الذي تم الاحتذاء به، وجرى استدعاء بعض رجال تلك المدرسة إلى القاهرة. وكثير من كتب الرياضيات التي كانت تدرس هناك تم طبعها في مطبعة بولاق التي كانت تقع في الحي الذي تقع فيه المهندسخانة المصرية. وتدعونا النتائج التي توصلنا إليها إلى القول إن هناك ثلاثة عشر كتاباً تركياً في الرياضيات تم طبعها خلال ثلاثين عاماً في مصر (١٢٤٠ – ١٢٧١هـ/ ١٨٢٥ – ١٨٥٤م). إذ نلاحظ خلال السنوات العشر الأولى عقب تأسيس المطبعة أن

كتابي حسين رفقي طماني (ت ١٢٣٢هـ/١٨١٧م) معلم أول (باش خوجه) مهندسخانة استانبول، وهما: (مجموعة المهندسين) (١٢٤٠ و ١٢٤٧هـ) (١٨٢٥ و ١٨٣١م) (استانبول ١٨٠٢م)، و(كتاب أصول هندسه) قد طبعا في مصر أيضاً سنة ١٢٦٤هـ (١٨٣٠ – ١٨٣١م) بعد طبعهما في استانبول (استانبول ١٧٩٧ – ٩٨)(٥٧).



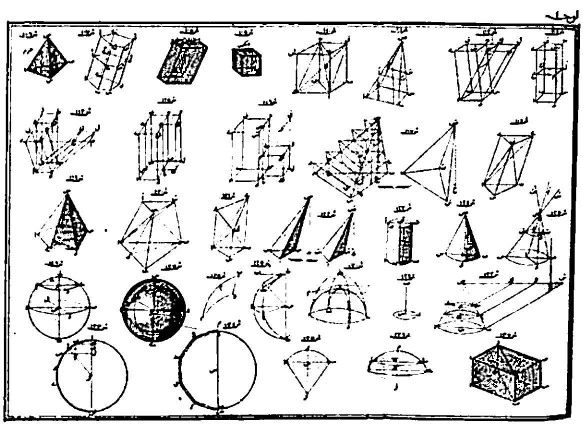
لوحة من المجلد الرابع من كتاب "مجموعهء علوم رياضيه" في الحرارة والكهرباء وحساب المثلثات الكروية والفلك والفيزياء (بولاق ١٢٦١م)

(٥٧) هذا الكتاب ترجمة لكتاب اوقليدس *Euclid's Elementes* الذي ألفه جون بونيكاستل John Bonnycastle عام ١٧٨٩م. وللمزيد من المعلومات حول حسين رفقي الطماني وأعماله انظر: *Osmanlı Matematik Literatürü Tarihi*, no. 180, s. 266 - 272


مبادئ هندسه

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد بی حد وقیاس • اول مفیض درك واحساس • تعالى شأنه عن
ادراك القوى والحواس • وتنزهت ذاته عن التعریف بالفصل والاجناس
• حضرتلرینه سزاوار وسزادر كه اضلاع متنوعهٔ كائناتی مركز عدمدن
ممدود • ودوائر نعم جلیله سنی منشور لوحهٔ وجود • بیوردی وخطوط
مستقیمهٔ تحیات غیر متناهیه • واشكال منتظمهٔ تسلیمات زاكیه • اول
محیط كمالات بی انتها • ومظهر قاب قوسین أو ادنی • حضرتلرینه
اولسونكه بو أمت مرحومه یی فیافیء ضلالتدن تحویل • وخط مستقیم
هدایته توصیل • بیورمشدر وترضیهٔ مرضیهٔ بی حساب • آل واصحاب
هدایت نصاب • حضراتنه اولسونكه اشعهٔ تمشیر اجتهادلری زوایای
عالی



الصحيفة الأولى من كتاب "مبادىء هندسه" ولوحة من لوحاته
لبعض الأشكال (طبعة بولاق ١٢٧٠هـ/١٨٥٤م)

وبعد كتابي الطماني قام إبراهيم أدهم بك – أحد الذين كان لهم إسهامات بارزة في العديد من مشروعات التحديث وما واكب ذلك من حركـــة ترجمة نشطة في عهد محمد علي باشا – بترجمة كتابين من الفرنسية إلى التركية في الهندسة للرياضي الفرنسي لوجاندر [١٧٥٢ – ١٨٣٣م]. وكان الكتاب الأول بعنوان *Elements de géométrie* فنقله إلى التركية تحت عنوان (كتاب أصول الهندسة)، وطبع سنة ١٢٥٢هـ (١٨٣٦م)، ثم تُرجم أيضاً إلى اللغة العربية. أما الكتاب الثاني فهو (مقالات الهندسة)، وتم إعداده ليكون عوناً للطلاب المبتدئين في الهندسة، واحتوى على بعض الأجزاء من الكتاب الأول. ولم نعثر على نسخ ذلك الكتاب وإن كان مدرجاً ضمن قائمة مطبوعات بولاق التي تبين أنه طبع في سنة ١٢٥٢هـ (١٨٣٦ – ١٨٣٧م).

وكانت الطبعة الثانية من كتاب إسحاق أفندي المعروف باسم (مجموعه' علوم رياضيه) والذي يضم أربعة مجلدات قد ظهرت في مصر بعد الطبعة الأولى في استانبول. والمعروف أن صاحب الكتاب هو إسحاق أفندي المشهور كبير معلمي مهندسخانة استانبول في تلك الأونة (١٨٤١ – ١٨٤٥م)، وكان بعد أن أدى مهمته في ترميم بعض المباني المقدسة في المدينة المنورة قد مر على مصر في طريق عودته إلى استانبول، لكنه توفي في السويس سنة ١٨٣٦[٥٨].

وإلى جانب كتب الرياضيات التركية التي أعدها الطماني وإسحاق أفندي وإبراهيم أدهم بك نقلاً عن الإنجليزية والفرنسية أو ترجمةً مباشرة منهما هناك كتب أخرى أعدت بترجمة غير مباشرة بعد عام ١٨٤٠م ثم طبعت. وقد ذكرنا في الفصل الخاص بحركة الترجمة في مصر أن مدرسة الألسن أقيمت بغرض تنشئة مترجمين مقتدرين على الترجمة بين اللغات المختلفة، غير أن تنشئة مترجمين للترجمة المباشرة من الفرنسية إلى التركية لم يكن أمراً يسيراً، ولأجل هذا كانت جهود المترجمين خريجي هذه المدرسة في الاتجاه الأيسر وهو الترجمة من الفرنسية إلى العربية، ثم الترجمة من العربية إلى

(٥٨) للمزيد من المعلومات حول المعلم الأول إسحاق افندي انظر: Ekmeleddin İhsanoğlu, *Başhoca İshak Efendi: Türkiye'de modern bilimin öncüsü*, Ankara: Kültür Bakanlığı, 1989 ولنفس المؤلف انظر: "Başhoca İshak Efendi Pioneer of Modern Science in Turkey", *Decision Making and Change in the Ottoman Empire*, ed. Caesar E. Farah, Kirksville: The Thomas Jefferson University Press, 1993, p. 157-168.

التركية، حتى حظيت اللغة التركية ببعض كتب الرياضيات بطريقة غير مباشرة. ومن تلك الأعمال كتاب (مبادئ هندسه) (طبع مرتين: ١٢٥٩هـ [١٨٤٣م] و ١٢٧٠هـ [١٨٥٤م]) الذي كان رفاعة رافع الطهطاوي قد ترجمه من الفرنسية إلى العربية، ثم قام مترجم يدعى محمد عصمت (ت ١٨٥٧م) بترجمته من العربية إلى التركية، وكتاب (ترجمة إفاضة الأذهان في رياضة الصبيان) (١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م) الذي ترجمه الطهطاوي أيضاً من الفرنسية إلى العربية، ثم قام شخص يبدو من اسمه أنه مصري الأصل يدعى علي جيزه لي بترجمته من العربية إلى التركية.

وبعد عام ١٨٤٣م تناقص عدد الكتب التركية المطبوعة في الرياضيات، أما الكتاب الذي طبع في مطبعة المهندسخانة المصرية الخديوية سنة ١٢٧١هـ (١٨٥٤ – ١٨٥٥م) تحت عنوان (علم الحساب) فهو الكتاب التركي الأخير الذي طُبع في مصر في مجال الرياضيات، وكان إشارة في الوقت نفسه إلى انتهاء التعليم التركي في المهندسخانة.

– الكتب المقررة لتعليم اللغات في المدارس

من المعروف أن الوالي محمد علي باشا لم يتلق أي تعليم بالشكل الرسمي المعروف، كما تعلم القراءة والكتابة أيضاً عندما كان في سن الأربعين، ومن ثم فإن سيادة التقاليد التعليمية العثمانية على نظام التعليم الحديث الذي أقامه الباشا أمر قد يبدو في ظاهره متناقضاً. وأبرز خصائص هذا التعليم أن يجري تطبيق برنامج تعليمي واحد على أبناء الأغلبية الساحقة التي تتحدث العربية لغتها الأم، وعلى أبناء الأتراك المحليين وأبناء المنحدرين من أعراق مختلفة في الأناضول والروملي ويتحدثون اللغة التركية؛ وأن يشمل تعليم اللغات في ذلك البرنامج "الألسنة الثلاثة" أي العربية والتركية والفارسية.

وكانت الكتب المستخدمة في تعليم العربية في مدارس مصر الحديثة هي في الغالب كتب جرى استخدامها في استانبول للغرض نفسه. فإلى جوار الأزهر الشريف الذي مارس تدريس علوم الدين واللغة العربية وآدابها بأكثر الأساليب عراقة في العالم الإسلامي، وترسخت فيه التقاليد الأكاديمية منذ مئات السنين كان يجري استخدام كتب ترسخ وجودها مع الزمن في استانبول وهي ما عُرفت باسم (صرف جمله سى) و (نحو جمله سى) لأجل تعليم اللغة العربية في المدارس الحديثة التي أقيمت بعيداً عن تلك التقاليد

بدلاً من النصوص القديمة التي كانت مقررة في الأزهر. وهو الأمر الذي طالما أشرنا إليه، والمثال الأبرز على مدى تأثير التقاليد الثقافية التركية العثمانية في مصر. فبعد (كتاب الأمثلة) الذي يُعد أول كتاب يجري تدريسه لتعليم العربية في المدارس الشرعية العثمانية وتحفيظه لطلاب العلم فيها كان يأتي – بالترتيب – كتاب بناء (الأفعال) ثم كتاب (المقصود) المجهولي المؤلف، ثم كتاب (التصريف العزي) لعز الدين الزنجاني، وكتاب (مراح الأرواح) لأحمد بن علي بن مسعود؛ وهذه الكتب الخمسة كانت تعرف باسم (صرف جمله سى) أي كتب الصرف. وقد طُبع (كتاب الأمثلة) في مصر أربع مرات مع كتب الصرف الأخرى (صرف جمله سى): ١٢٤٠هـ (١٨٢٥م)، ١٢٦١هـ (١٨٤٥م)، ١٢٦٨هـ (١٨٥٢م) و ١٢٨٢هـ (١٨٦٦م). وكتاب (العوامل) للبركوي، وكتاب (إظهار الأسرار) وهو الشكل الموسع من سابقه، ثم (الكافية) لابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٩م)، وكلها طبعت تحت اسم (نحو جمله سى)، أي كتب النحو وظل تدريسها سارياً في المدارس الشرعية العثمانية مخطوطة أو مطبوعة لمئات السنين. وقد بدأت طباعة تلك الكتب في مصر اعتباراً من سنة ١٢٣٩ – ١٢٤٠هـ (١٨٢٤ – ١٨٢٥م)، وتوقفت طباعتها في سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٢ – ١٨٨٣م)[٥٩]. وكان آخر كتاب تركي طبع في مصر في ذلك الموضوع هو الكتاب المعروف باسم (علم صرفدن بنا ومقصود شرحلرى) الذي طبع سنة ١٣٠٠هـ [١٨٨٢م – ٨٣].

ومن المظاهر الواضحة على وجود التقليد العثماني في استخدام الألسنة الثلاثة داخل المؤسسات التعليمية الحديثة في مصر ظاهرة طباعة وتدريس المعاجم التي هي من نتاج استانبول وتعتبر استمراراً للتقليد المذكور. وكان معجم (نخبهء وهبي) الذي وضعه شعراً سنبل زاده وهبي (ت ١٨٠٩م) عام ١٧٩٩م هو أول معجم عربي تركي يطبع في مصر. وكان قد جرى طبعه في استانبول عام ١٢٢٠هـ (١٨٠٥م)، ثم طبع في بولاق مرتين: ١٢٤٦هـ(١٨٣٠م)، ١٢٥٤هـ (١٨٣٨ – ١٨٣٩م). وكتاب (تحفهء عاصم) الذي وضعه المترجم عاصم شعراً محاكياً فيه سنبل زاده قد كُتب هو الآخر لتعليم اللغة العربية،

---

(٥٩) للتعرف على كتب الصرف والنحو التي طبعت في مصر انظر رسالة هسو (ص ١٤٢ – ١٤٤، ٦٢٦ – ٦٢٧).

وتم تقديمه إلى السلطان سليم الثالث عام ١٧٩٨م. وهو يقع في ١٢٥١ بيتاً، وطبع في مصر سنة ١٢٥٤هـ (١٨٣٨م). وهناك عدا هذين المعجمين معجم آخر منظوم تركي وعربي طبع في مصر سنة ١٢٤٩هـ (١٨٣٣م) وعرف باسم (سبحهء صبيان). وهذا المعجم المطبوع قد ظهرت منه طبعتان مختلفتان في بولاق في نفس التاريخ؛ ويختلف الغلاف الداخلي في كلتيهما، فيوجد في إحداهما اسم الكتاب والبسملة، بينما تفتقد الثانية إلى البسملة، ولا تضم إلاّ اسم الكتاب. أما في الخصائص الأخرى فالطبعتان لا تختلفان في شئ، ولعل تفسير هذا الوضع هو أنهم وجدوا أن عملية الطبع تسير دون وجود البسملة، فوضعوها ثم أعادوا عملية الطبع بها.

وكتاب (ترجمان تركي وعربي) كتاب طبع في عهد استخدمت فيه الطرق القديمة والأصول الحديثة معاً، وظهرت طبعته الأولى في عهد محمد علي باشا سنة ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م)، ثم تكررت الطبعات الأخرى بعد ذلك حتى بلغت خمس طبعات إلى سنة ١٢٨٣هـ (١٨٦٧م).

وكان تدريس اللغة الفارسية التي هي الجزء المتمم لمنظومة "الألسنة الثلاثة" في المؤسسات التعليمية الحديثة التي أقامها محمد علي باشا وفي الثقافة العثمانية قد تحقق هو الآخر بواسطة الكتب المستخدمة في استانبول. ومن بين تلك الكتب (مفاتح الدريه رساله سى) في قواعد اللغة الفارسية. فقد طُبع ذلك الكتاب مع معجم منظوم (تركي عربي فارسي) بعنوان (تحفهء جوهرعيار أوج زبان) الذي وضعه حيرت أفندي الدارندوي (١٢٤٢ و ١٢٥٥هـ) (١٨٢٦ و١٨٣٩م) [٦٠]. ويمكن اعتبار معجم سنبل زاده وهبي (تحفهء وهبي) المنظوم من الفارسية إلى التركية واحداً من هذه المجموعة. ويذكر سيف الدين اوزاگه (Özege) عن ذلك العمل الذي كتب عام ١٧٨٢م أن له نحو خمسين طبعةً. أما في مصر

(٦٠) ولد حيرت أفندي في دارنده التابعة لولاية ملاطية في شرق الأناضول، ثم دخل للعمل كاتباً في قلم الديواني الهمايوني. وفي سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨-١٩ توجه إلى مصر، وهناك عمل كاتباً في ديوان الوالي محمد علي باشا نحو خمس أو ست سنوات، وتوفي في سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤-٢٥م. وكان أول معجم طبعته مطبعة بولاق بعد أربعة أعوام من تأسيسها واحداً من أعماله. كما طبع له في مصر عدا المعجم كتابٌ في الإنشاء والترسل (للمزيد من المعلومات انظر: عثمانلى مؤلفلرى، جـ ٢ ص ٤٤ وسجل عثمانى، جـ ٢، ص ٢٦٣، وتذكرة فطين، ص ٧٩، وانظر أيضاً موسوعة اللغة التركية وآدابها *TDEA* المجلد الرابع ص ١٨٠).

فقد تم طبعه تسع مرات بين سنتي ١٢٥٤هـ – ١٢٨٢هـ (١٨٣٠ – ١٨٦٦م). وهناك أيضاً كتاب (شرح التحفة المنظومة الدُرية في اللغة الفارسية الدَرية) الذي أعده سيد أحمد حياتي (ت ١٢٢٩هـ/ ١٨٥٣م) [٦١]، وطبع مرتين أيضاً في مصر سنة ١٢٥٤هـ (١٨٣٨ – ١٨٣٩م) وسنة ١٢٧١ (١٨٥٥م)، وهو شرح للتحفة الوهبية المذكورة من قبل.

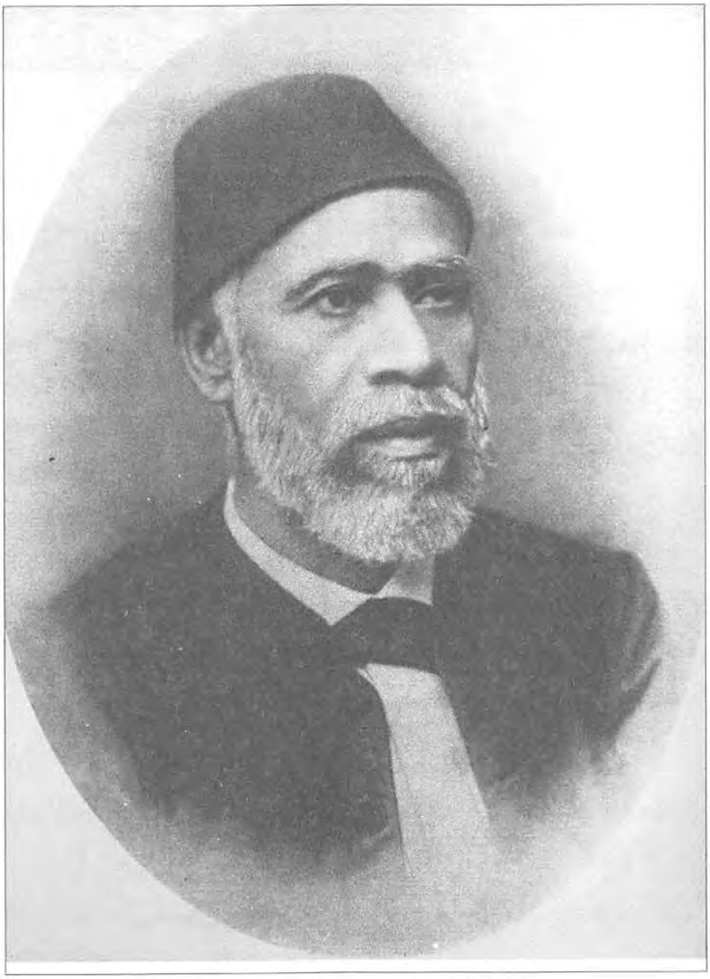
وعدا المعاجم وكتب النحو والصرف المنظومة للمرحلة الابتدائية في تعليم اللغة هناك أيضاً معجمان كبيران أساسيان جرى استخدامهما في مجال تعليم اللغة وطبعا في مصر. وهذان المعجمان المهمان هما: (الأوقيانوس البسيط في ترجمة القاموس المحيط) وهو الترجمة التركية للقاموس المحيط العربي الذي وضعه الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٥م)، ثم (برهان قاطع ترجمه سى) الذي هو ترجمة للمعجم الفارسي الذي أعده محمد حسين بن خلف التبريزي (ت ١٦٩٢م). وقام بترجمة المعجمين أحمد عاصم العالم العثماني الذي عُرف بعد ذلك بلقب (المترجم) (ت ١٨١٩م). فقد استطاع المترجم عاصم بعد عامين من وصوله إلى استانبول أن يبدأ في ترجمة البرهان القاطع وينتهي من الترجمة بعد ست سنوات. وقد طبع في بولاق مرتين: ١٢٥١هـ (١٨٣٥م)، ١٢٦٨ (١٨٥٢). أما (الأوقيانوس البسيط في ترجمة القاموس المحيط) والمعروف اختصاراً بترجمة القاموس فقد أتمه في خمس سنوات، وظهرت أول طبعة له في استانبول في ١٢٣٠ – ١٢٣٣هـ (١٨١٥ – ١٨١٧م)، وصدر أمر بعد ذلك من السلطان محمود الثاني بإرساله إلى كافة مكتبات استانبول. أما في مصر فقد طبع في بولاق سنة ١٢٥٠هـ (١٨٣٤م) في ثلاثة مجلدات. ويدلنا فهرس مطبعة بولاق لعام ١٢٦٢ على أنهم طبعوا منه ٢٤٤٢ نسخة. كما يُستدل من نفس هذه الفهارس على أن النسخ الموجودة من المعجم في عام ١٢٦٠هـ كانت تبلغ ٧٠٦ نسخ، فانخفضت إلى ٦٠٧ نسخ بعد عامين.

وكان تطور التعليم بصفة عامة وظهور الأساليب الجديدة في تعليم اللغة بصفة خاصة قد أدى إلى التخلي عن النصوص القديمة المتوارثة تقليدياً، وظهرت بدلاً منها كتب وضعت على الأصول الحديثة. وكانت مظاهر التحول الذي واكب حركة التجديد التي

(٦١) كان أحمد حياتي أفندي قد بدأ في شرح كتاب التحفة أيضاً لكن الأجل لم يمهله فأكمله ابنه (عثمانلى مؤلفلرى، جـ ١ ، ص ٢٨٤).

أجريت في استانبول في هذا المجال قد بدأت تظهر في مصر أيضاً اعتباراً من أواسط القرن التاسع عشر، وأول مثال على ذلك كتاب القواعد التركي المعروف باسم (قواعد عثمانيه). وقام على إعداده أحمد جودت باشا وكچه جى زاده محمد فؤاد باشا ليكون أول كتاب ضمن فعاليات المجمع العلمي (أنجمن دانش) الذي تأسس عام ١٨٥١م في استانبول، وقُدم الكتاب أثناء افتتاح المجمع إلى السلطان عبد العزيز. كما ينطوي كتاب "القواعد العثمانية" أيضاً على أهمية خاصة باعتباره باكورة كتب القواعد التركية بعد إعلان التنظيمات الخيرية. وقد طبع الكتاب في مصر سنة ١٢٩١ – ١٢٩٢هـ (١٨٧٤ – ١٨٧٥م) بعد أن ظهرت طبعته الأولى في استانبول (١٨٦٤م).

وطبع في ذلك العهد الجديد عدد كبير من الكتب المدرسية الحديثة لتعليم التركية، وكانت بداية ظهور تلك الكتب في ستينيات القرن التاسع عشر، وأولها هو كتاب (ترجمان نافع لتعليم اللغة التركية باللغة العربية). وبعد هذا الكتاب الأول الذي طبع في مطبعة بولاق عام ١٢٧٠هـ (١٨٥٤م) لتعليم اللغة التركية بالأصول الحديثة لمن يتحدثون العربية جرى طبع كتاب آخر في سنة ١٢٧٤هـ (١٨٥٨م)، وهو معجم بعنوان (ترجمان في اللغة الفارسية والتركية والعربية)، لكنه كان آخر الكتب التعليمية التي جمعت بين اللغات الثلاث المذكورة. ثم أعقبه كتاب بعنوان (هدايت مبتديان ومفتاح لغت عثمانيان) أعده أحد معلمي المدارس ويدعى مصطفى أفندي صفوت. وطبع للمرة الأولى سنة ١٢٧٥هـ (١٨٥٩م)، ثم أعيد الطبع مرتين أخريين بعد ذلك سنة ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م). وفي عام ١٢٨٥هـ (١٨٦٨م) يجري طبع كتاب تركي عربي بعنوان تسهيل التحصيل في اللغة التركية)، وهو كتاب أعده عمر فائق أفندي معلم اللغة التركية في المدارس المدنية الخاصة بالخديوية المصرية. ثم يجري إعداد كتاب مدرسي آخر بالتركية تحت عنوان (إرشاد مبتديان درلغت عثمانيان) ويطبع في نفس السنة (١٢٨٥هـ/ ١٨٦٩م). ونلاحظ في مقدمة ذلك الكتاب الذي أُعد لتعليم التركية بالمنهج الحديث في المدارس أن هناك أمراً صدر من علي مبارك بك (باشا بعد ذلك) المسئول عن التعليم في عهد



علي مبارك باشا (١٨٢٣-١٨٩٣م)

الخديوي إسماعيل (مدير المدارس العمومية) وأحد الشخصيات العلمية البارزة من "أولاد العرب" الذين نشأوا في عهد محمد علي باشا حول "تأليف كتاب ترجمان جديد وحديث.."[٦٢]. وتشير مقدمة الكتاب إلى أن طلاب المدارس في مصر كانوا مضطرين

(٦٢) يرد ذلك الأمر في مقدمة الكتاب على النحو التالي:

"... إن المقصد الأقصى لعلي مبارك مدير المدارس العمومية هو تقدم تلاميذ المدارس في كل فن ومعرفة، وتلاميذ المدارس حتى وإن كانوا يقرؤن كتب الترجمان القديمة من أجل تحصيل اللسان التركي، إلاّ أن تلك الكتب المذكورة لا تشتمل على

لقراءة النصوص القديمة من أجل تعلم اللغة التركية، فلما أصدر علي مبارك باشا أمره هذا حول إعداد كتاب جديد حتى يشرح القواعد التركية بأسلوب منظم ويزيح الغموض في الكتب الأخرى تم تكليف عثمان نوري أفندي معلم أول التجهيزية بإعداد قسم القواعد والمعجم، بينما كلف كل من محمد طالب أفندي وإبراهيم ممتاز أفندي من معلمي المدارس المُلْكية باختيار النصوص الأدبية وإعداد القسم الخاص بها، وانتهى العمل من الكتاب ثم "جرى تقديمه لأبناء الوطن المولعين بتعلم اللسان العثماني العذب البيان".

وفي سنة ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م) طبع الكتاب المدرسي التركي (النخبة الزكية في اللغة التركية) الذي أعده مراد مختار موره لي الذي كان قد استقر في مصر وعمل ناظراً للمكتبة الخديوية[٦٣]. وقد تحققنا من أربع طبعات ظهرت لهذا الكتاب في مصر: ١٢٩٠ (١٨٧٣)، ١٢٩٤ (١٨٧٧)، ١٣٠٠ (١٨٨٢ – ٨٣)، ١٣٠٩ (١٨٩١ – ٩٢). ثم كان من بعده آخر الكتب المدرسية في اللغة التركية، إذ انقطع بعده ظهور مثل هذه الكتب التي تهدف إلى تعليم قواعد اللغة التركية في مصر، وهو كتاب (نخبة الأنجاب في اللغة التركية) الذي أعده محمد طالب أفندي. وقيل إن طبعته الأولى ظهرت سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٢م)، لكننا لم نعثر على نسخ تلك الطبعة، ولم نتحقق إلاّ من نسخ طبعته الثانية التي ظهرت سنة ١٣٠٤هـ (١٨٨٧م).

وكانت كتب اللغة الفرنسية المشروحة بالتركية والعربية أيضاً قد بدأت تطبع في مصر اعتباراً من ستينيات القرن التاسع عشر. وباكورة تلك الكتب هو (قلائد الجمان في فوائد الترجمان) الذي أعده من قسمين خليفة بن محمود المصري[٦٤]، واحتوى القسم الأول على معجم بالعربية والتركية والفرنسية، بينما احتوى القسم الثاني قواعد اللغة الفرنسية مع شرح مقابلها بالعربية والتركية. وقد طُبع الكتاب على أيام عباس باشا في سنة ١٨٥٠م. أما الثاني فكان كتاباً للمحادثة بالفرنسية والتركية والعربية، أعده محمد قدري باشا الذي تولى نظارة

القواعد التركية كما ينبغي، ومن هنا فقد تفضل المدير المومى إليه بالأمر والتنبيه لتأليف كتاب ترجمان جديد وحديث يشرح ويوضح القواعد التركية بما لها من أهمية..".

(٦٣) هدية العارفين ، جـ ٢، ص ٤٢٤.

(٦٤) هو أحد طلاب رفاعة بك في مدرسة الألسن. وقد عمل بالتدريس في المدارس المصرية، وعمل معلماً للبرنس مصطفى بك ابن الخديوي. وكان يعمل عضواً في مجلس المعارف خلال المدة التي مكثها في استانبول (يوسف الياس سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة من يوم ظهور الطباعة إلى نهاية ١٩١٩، القاهرة مكتبة سركيس ١٩٢٨، ص ٨٣٤).

المعارف في مصر، وجاء تحت عنوان (الدر المنتخب من لغة الفرنسيس والعثمانيين والعرب)، ثم طبع سنة ١٨٧٥م. أما المثال الأخير على ذلك النوع من الكتب فهو كتاب محمد مهري أفندي (ت ١٩٢٥) [٦٥]، المعروف باسم (تحفة العباسية للمدرسة العلية التوفيقية) (١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م). وكان مهري أفندي قد لقي تقديراً كبيراً في مصر، وأتحف كتابه هذا إلى الأمير عباس بك، وهو معجم بالفرنسية والعربية والفارسية والتركية.

وتُعد طباعة رسالتي (تعليم الفارسي) و (فارسي تكلم رساله سى) في سنة ١٢٦٦هـ (١٨٤٩ – ١٨٥٠م) مؤشراً على أن تعليم اللغة الفارسية أصبح يجري على المنهج الحديث هو الآخر. والرسالة الأولى (تعليم الفارسي) كتبها كمال أفندي (باشا فيما بعد) ناظر المعارف الذي فتح مدارس الرشدية[٦٦] في الدولة العثمانية، وطبعت في المرة الثانية في مصر (بمطبعة المدارس) عام ١٢٨١هـ (١٨٦٤ – ٦٥). بينما كانت الطبعة الأولى للرسالتين المذكورتين في استانبول. أما الكتاب المعروف بعنوان (فارسي قواعدي) فهو الأخير في ذلك النوع، وطبع في عهد الخديوي محمد توفيق باشا في سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م).

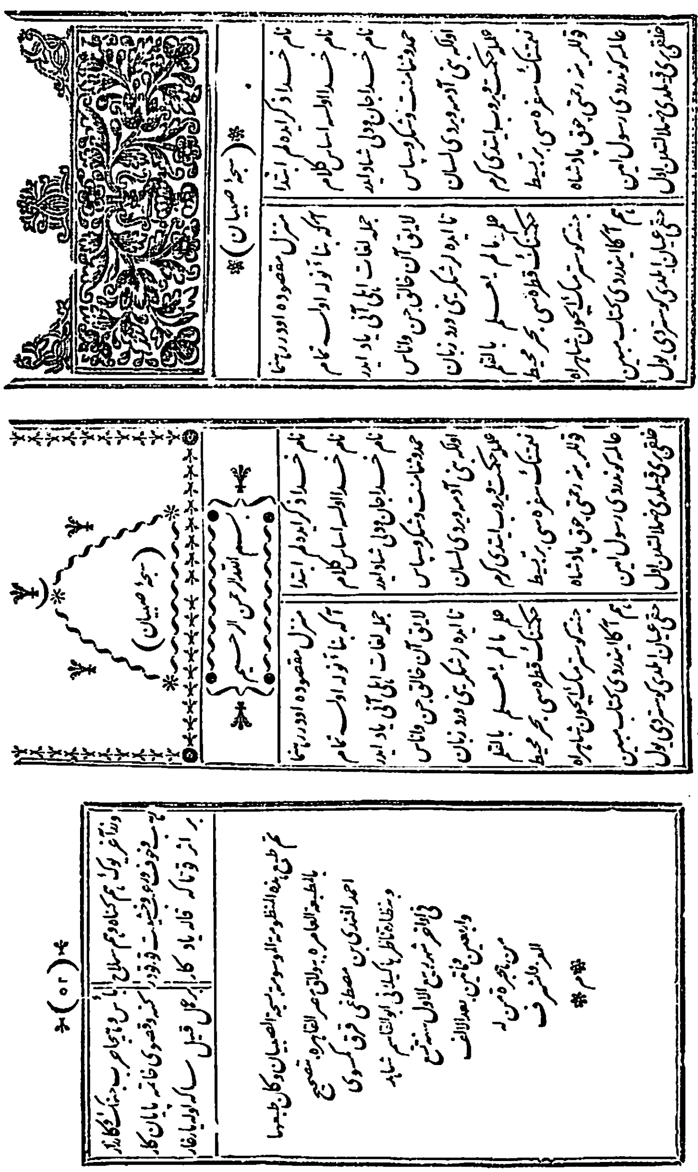
وكان كتاب (تعليم عربي) الذي طبع بالتركية في مصر لتعليم العربية سنة ١٣١٢هـ (١٨٩٤م) هو آخر الكتب في تعليم اللغة هناك. وقد جرى تأليفه بشكل يختلف عن كتب التدريس المستخدمة في مجال تعليم العربية في المدارس الشرعية العثمانية التي أشرنا إليها من قبل، إذ هو موجّه لتعليم تلك اللغة لمن يريدون تعلمها ممن يتحدثون التركية ولخريجي المدارس الحديثة، وقام إسماعيل يوسف مساعد المندوب السامي العثماني في مصر بترجمته إلى اللغة التركية[٦٧].

---

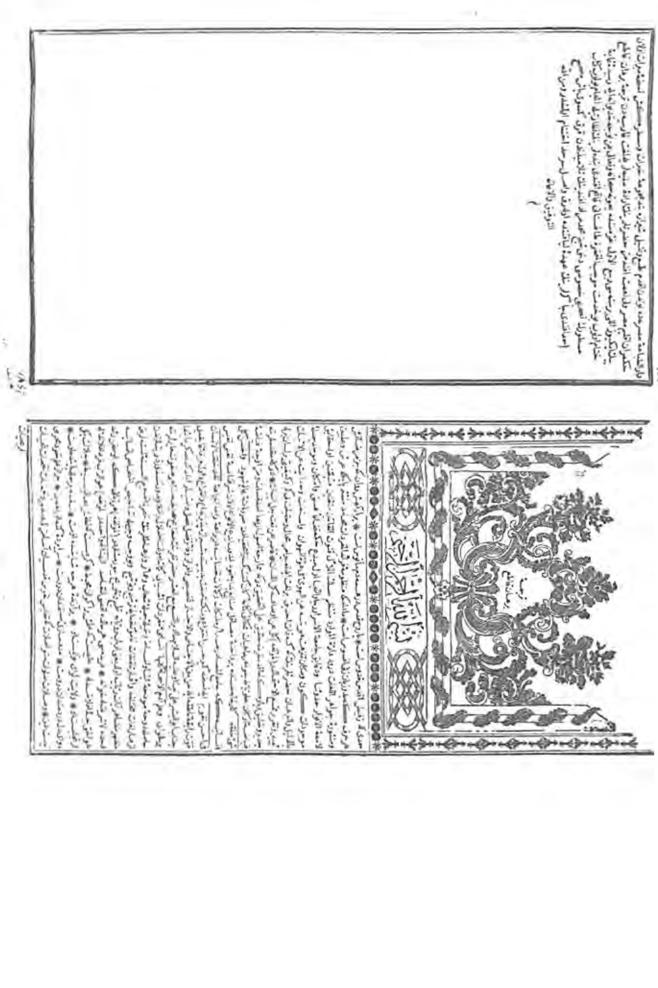
(٦٥) ولد محمد مهري أفندي في كركوك (١٨٤٩م) وبعد أن نال حظاً من التعليم الخاص توجه إلى استانبول (١٨٦٤م). وهناك انتسب إلى الأمير المصري مصطفى فاضل باشا، وتولى مهمة تعليم أبنائه. وبعد أن عمل تسع سنوات في غرفة الترجمة بالباب العالي تم تعيينه شهبندراً في مدينة خوي بإيران. ولما عاد إلى استانبول بلغه خبر وفاة الأمير مصطفى فاضل باشا، ولأجل هذا توجه إلى مصر، وحظي فيها بالتقدير والاحترام. وكتابه المعروف باسم (تهنيتنامهء خديويه) يضم أشعاراً كتبها في مدح الخديوي محمد توفيق باشا بمناسبة توليه الحكم. وهو يجيد العربية والفارسية والفرنسية والانجليزية إلى جانب التركية، وألّف عدداً من الكتب، أهمها كتابه (سياحتنامهء سودان) الذي وصف فيه رحلته التي قام بها إلى السودان في صحبة الأمير يوسف كمال وكاظم بك ابن عزت باشا من الأسرة الخديوية (استانبول ١٩١٠م). وقام هو نفسه بترجمة تلك الرحلة من التركية إلى العربية، ثم طبعت في مصر سنة ١٩١٤م (Richard Hill, *A biographical dictionary of the Anglo-Egyptian Sudan,* Oxford: At the Clarendon Press, 1951, s.266)

(٦٦) هي مدارس من النوع المتوسط ظهرت في بداية تحديث نظام التعليم العثماني، وكانت تمارس التعليم للطلاب بعد مدارس الصبية (صبيان مكتبي)، وتجهز الطلاب في الوقت نفسه للالتحاق بالمدارس العالية. وبعد عام ١٨٦٩م أصبحت تأتي في الدرجة بعد "المدارس الابتدائية" وتحت "المدارس الإعدادية" التي هي في مستوى الثانوية الحالية.

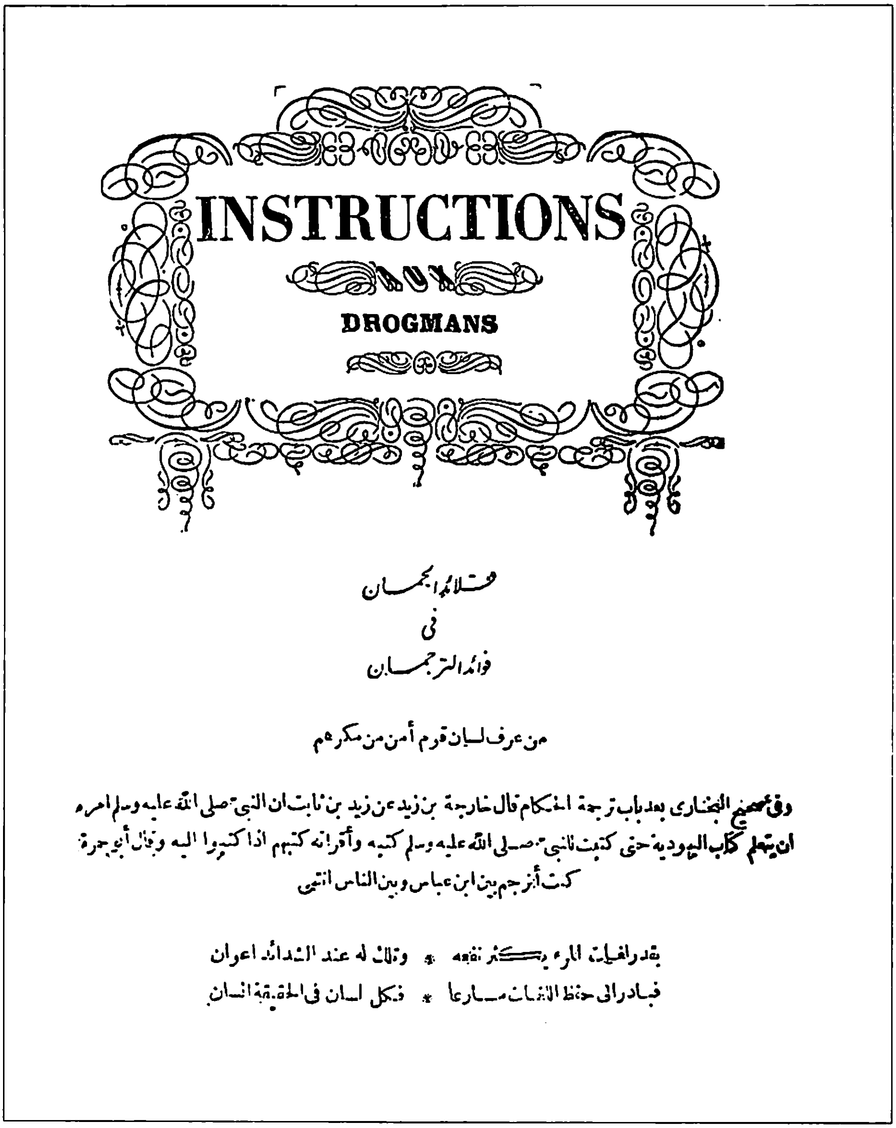
(٦٧) Osman Nuri Ergin, *Türkiye Maarif tarihi,* c.I-II, s.111.



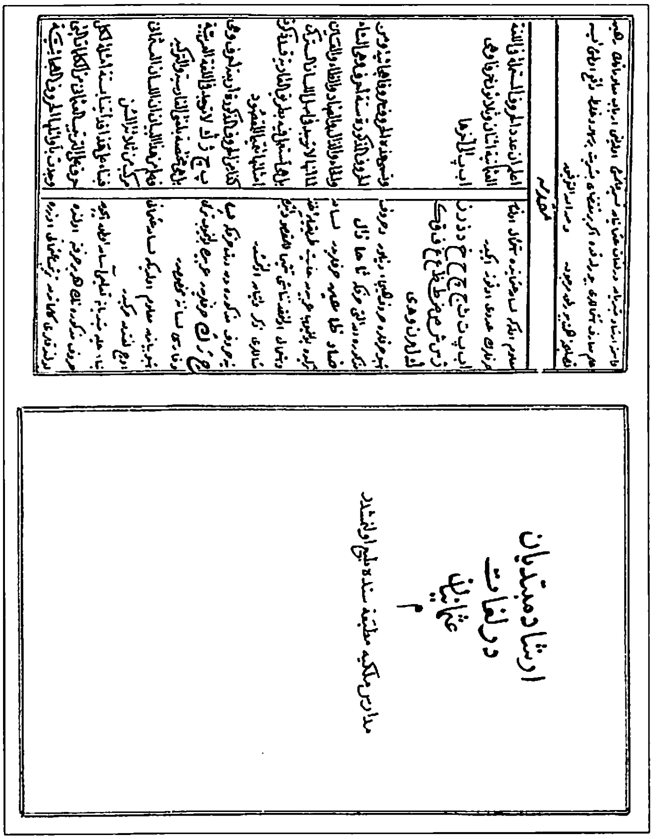
الصحيفة الأولى والأخيرة من كتاب "سبحه صبيان" وطبعتان منه في تاريخ واحد
كما يلاحظ من عبارة الختام في كلتا الطبعتين



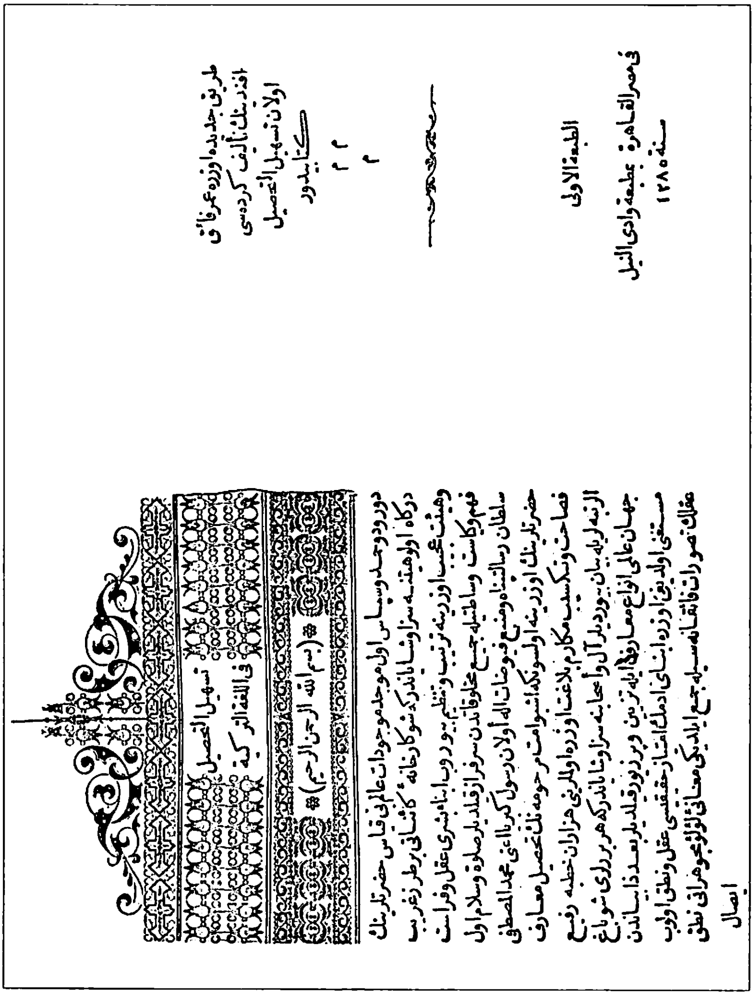
الصفحتان الأولى والأخيرة من كتاب "برهان قاطع ترجمه سى" وهو الترجمة التركية للمعجم الفارسي الذي وضعه محمد حسين بن خلف تبريزي (مطبعة بولاق ١٢٥١هـ ١٨٣٥م)



المعجم العربي التركي الفرنسي مع كتاب النحو الذي وضعه خليفة بن محمود المصري بعنوان "قلائد الجمان.." (مطبعة بولاق ١٢٦٦هـ [١٨٥٠م])



كتاب تعليم التركية وضعه كل من محمد طالب وابراهيم ممتاز بناء على طلب من علي مبارك باشا بعنوان "إرشاد مبتديان در لغات عثمانيان" (مطبعة المدارس الملكية بالقاهرة ١٢٨٥هـ [١٨٦٩م])



الغلاف الداخلي و الصحيفة الأولى من كتاب تسهيل التحصيل في اللغة التركية أعده عمر فائق أفندي

سادساً
تدريس اللغة الفارسية وآدابها
في مصر

حظيت اللغة الفارسية وآدابها بمكانة كبيرة في عهد محمد علي باشا باعتبارها عنصراً أساسياً في التقاليد الثقافية العثمانية. فقد كانت الفارسية لغة مثالية لإنتاج الأدب الرفيع الذي أبدعه المثقفون العثمانيون في العهد التقليدي في الأدب ولا سيما الشعر، واستطاعت الفارسية أن تحافظ على تلك المكانة المتميزة في عهد التحديث العثماني أيضاً حتى إعلان الجمهورية التركية مع تقاسمها لتلك المكانة مع اللغة الفرنسية. وفي مصر أيضاً حظي تعليم الفارسية بنصيب في المدارس الحديثة التي أقامها محمد علي باشا وذلك في إطار منظومة "الألسنة الثلاثة"، وواكب ذلك طبع عدد من الكتب الفارسية وبعض الكتب المترجمة من الفارسية إلى التركية في تواريخ سابقة وبعض المعاجم في مطبعة بولاق فضلاً عن بعض كتب تعليم الفارسية المستخدمة في نظام التعليم العثماني في استانبول. والملاحظ أن الطبعات الأولى التي ظهرت في مصر لبعض تلك الكتب قد سبقت استانبول، بل وظهرت لها أكثر من طبعة خلال مدة قصيرة. وتنقسم الكتب الفارسية المطبوعة في مصر إلى ثلاث مجموعات:

١ – الكتب والمعاجم المستخدمة في تعليم الفارسية:

كانت الفارسية كما ذكرنا هي العنصر المتمم في منظومة "الألسنة الثلاثة" التي تمثل لغات الثقافة العثمانية، وكان تدريسها في المؤسسات التعليمية الجديدة التي أقامها محمد علي باشا جارياً من خلال الكتب المستخدمة في استانبول. وكان أول كتاب طبع في مصر استمراراً لذلك التقليد هو كتاب القواعد الذي وضعه حيرت أفندي دارندوي[١] تحت عنوان

---

(١) للتعرف على حياة حيرت أفندي انظر: هامش رقم ٦٠ في فصل الكتب المدرسية المقررة في المدارس المصرية.

(مفاتيح الدريه رساله سى). وظهرت الطبعة الأولى منه سنة ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م وكانت مع معجم منظوم تركي عربي فارسي تحت عنوان (تحفه ٔ جوهر عيار أوچ زبان) لنفس المؤلف أيضاً. أما الطبعة الثانية من هذين الكتابين فقد ظهرت سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م. ومن المعاجم المهمة التي تدخل ضمن هذه المجموعة أيضاً معجم (تحفه ٔ وهبى) الفارسي التركي الذي وضعه نظماً سنبل زاده وهبي وجعله من ٥٨ قطعة، وأكمله سنة ١٧٨٢م، وظهر منه في استانبول ما يربو على الخمسين طبعة. أما في مصر فقد طبع ذلك المعجم تسع مرات خلال سنوات: ١٢٤٥هـ (١٨٣٠م) - ١٢٨٢هـ (١٨٦٥ - ٦٦). وكان العالم العثماني أحمد حياتي أفندي (ت ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م) قد وضع كتاباً أتمه في حياة سنبل زاده وهبي (١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م) تحت عنوان (شرح التحفة المنظومة الـدُرية في اللغة الفارسية الدُرية) وعُرف ذلك الكتاب اختصاراً باسم (شرح تحفه ٔ وهبي)، ثم أتحفه إلى الصدر الأعظم في ذلك الوقت قوجه يوسف باشا. ثم طبع في استانبول ثماني مرات خلال تاريخ ١٢١٥هـ (١٨٠٠م) - ١٢٦٦هـ (١٨٥٦م). أما في مصر فقد طبع مرتين سنة ١٢٥٤هـ (١٨٣٨م - ٣٩) وسنة ١٢٧١هـ (١٨٥٥م).

ولا شك أن المعجم الفارسي (برهان قاطع) الذي وضعه محمد حسين بن خلف تبريزي (ت ١٦٩٢م) ثم قام أحمد عاصم أفندي (ت ١٨١٩م) [٢] بترجمته إلى التركية تحت عنوان (برهان قاطع ترجمه سى) هو أهم المعاجم التي طبعت في مصر عدا تلك الكتب المذكورة. وكان أحمد عاصم قد بدأ في الترجمة بعد عامين من وصوله إلى استانبول، واستطاع انجازها بعد عمل استمر ست سنوات، ثم قدمها للسلطان سليم الثالث (١٧٩٧م). وتحققت أول طبعة في استانبول بأمر من السلطان سنة ١٢١٤هـ (١٧٩٩م)، أما في مصر فقد طبعت مرتين سنة ١٢٥١هـ (١٨٣٥م) وسنة ١٢٦٨هـ (١٨٥٢م) في مطبعة بولاق.

---

(٢) هو في الأصل من عينتاب، واشتهر أكثر بالمعاجم التي ترجمها وقد طبعت كتبه في مصر استمراراً للتقليد الجاري في استانبول. وله خمسة كتب مطبوعة في مصر، أربعة منها طبعت أولاً في استانبول، ثم طبعت بعد ذلك في مصر. أما كتابه المعروف باسم (ترجمه ٔ سير حلبى) فقد طبع في مصر فقط (١٢٤٨هـ) و(١٢٥١هـ) [١٨٣٣م و ١٨٣٥م/ ٣٦].

وعقب ذلك التاريخ توقفت طباعة كتب تعليم اللغة الفارسية لمدة في مصر. أما الكتابان (تعليم الفارسي) و (فارسي تكلم رساله سى) اللذان طبعا في سنة ١٢٦٦هـ (١٨٤٩ – ١٨٥٠م) فقد كانا مؤشراً على أن الفارسية قد أصبحت تدرس هي الأخرى بالأصول الحديثة وجزءاً من التغيير الذي ظهر على التعليم في مصر. فالرسالة التي كتبها كمال أفندي (باشا) ناظر المعارف الذي فتح مدارس الرشدية في الدولة العثمانية باسم (تعليم الفارسي) من أجل تعلم اللغة الفارسية بطريقة سهلة قد جرى طبعها للمرة الثانية في مصر سنة ١٢٨١هـ (١٨٦٤ – ١٨٦٥م). بينما كانت الطبعة الأولى من كلا الكتابين في استانبول. أما الكتاب المعروف باسم (فارسي قواعدى) فقد طُبع في عهد الخديوي محمد توفيق باشا سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م)، وكان يمثل آخر الكتب من ذلك النوع. فلم يحدث أن طُبع كتاب بالتركية بعد ذلك في قواعد اللغة الفارسية.

وقد كان المعجم المعروف باسم (كتاب ترجمان في اللغة الفارسية والتركية والعربية) الذي طُبع في مصر سنة ١٢٧٤هـ (١٨٥٨م) هو آخر كتاب تعليمي يضم اللغات الثلاث معاً.

٢- الكتب المترجمة من الفارسية إلى التركية:

كانت طباعة الكتب المترجمة من الفارسية إلى التركية في العهد العثماني الكلاسيكي مظهراً آخر من مظاهر منظومة اللغات الثلاث في الثقافة العثمانية كما سبق وأشرنا بإيجاز. وبعض تلك الكتب أيضاً كانت طبعاتها الأولى في مصر قبل استانبول. فهناك حكايات الشيخ ضياء الدين النخشبي (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) المعروفة باسم (طوطى نامه) وترجمتها التي قام بها صاري عبد الله أفندي ثم طبعت في بولاق أربع مرات خلال سنوات: ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م) – ١٢٦٧هـ (١٨٥٠ – ١٨٥١م). أما الطبعة الأولى لذلك الكتاب في استانبول فقد ظهرت سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م). كما أن حكايات (كليلة ودمنه) التي ترجمها حسين واعظ الكاشفي (ت ٩١٠هـ/ ١٥٠٥م) إلى الفارسية تحت عنوان (أنوار سهيلي) ثم ترجمت منها إلى التركية تحت عنوان (همايوننامه) قد طبعت هي الأخرى في بولاق سنة ١٢٥١هـ (١٨٣٥م) وسنة ١٢٥٤هـ (١٨٣٨م). وكان هذا

النوع من الكتب مما يلزم على المثقف العثماني أن يقرأه آنذاك، فلما توفي محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا توقفت طباعتها.

وإلى جانب ذلك كانت الترجمة التركية التي قام بها محمد سليمان نحيفي (ت ١١٥١هـ/ ١٧٣٨م) لمثنوي جلال الدين الرومي وعُرفت باسم (مثنوي معنوي لمولانا جلال الدين رومي) قد حظيت بأهمية كبيرة، وجرى طبعها في مصر عام ١٨٥٢م مع نصها الفارسي في سبعة مجلدات. أما الشرح الذي قام به الشيخ إسماعيل الأنقروي (ت ١٦٣١م) للمثنوي فقد طبع سنة ١٨٣٥م في مصر في ستة مجلدات.

وعدا تلك الأعمال المهمة في الأدب الفارسي هناك ديوان حافظ الشيرازي الشاعر الإيراني البارز، فقد وضع له بوسنه لى سودي أفندي(٣) شرحاً بالتركية وطبع في بولاق سنة ١٨٣٤م، كما وضع له محمد وهبي أفندي شرحاً آخر في مجلدين طبع في بولاق أيضاً سنة ١٨٥٧م. وهناك كتاب آخر طبع في بولاق، وهو رسالة العروض (رساله عروض) التي كتبها عبد الرحمن جامي وشَرَحَهَا بالتركية أحمد صافي، ثم طبعت في مصر سنة ١٨٥١م.

ومن بين الكتب المترجمة من الفارسية إلى التركية والمطبوعة في مصر وحظيت بأهمية كبيرة ترجمة (رشحات عن الحياة) التي قام بها محمد شريف العباسي (ت ١٥٩٣ – ١٥٩٤م) لكتاب في التصوف كتبه حسين واعظ الكاشفي بالفارسية وطبعت الترجمة سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) وسنة ١٢٦٩هـ (١٨٥٢ – ١٨٥٣م)؛ ثم تفسير الجلالين الذي قام شاه ولي الله بن شاه عبد الرحمن الهندي الدهلوي بترجمته إلى الفارسية تحت اسم (فتح الرحمن) ونُقل عنها إلى التركية تحت اسم (كتاب التفسير الجمالي على التنزيل الجلالي)، وجرى طبعه في أربعة مجلدات سنة ١٢٩٤هـ (١٨٧٧م). ومن تلك الكتب أيضاً كتاب (دلائل نبوت محمدي وشمائل فتوت أحمدي) الذي هو ترجمة تركية لكتاب

---

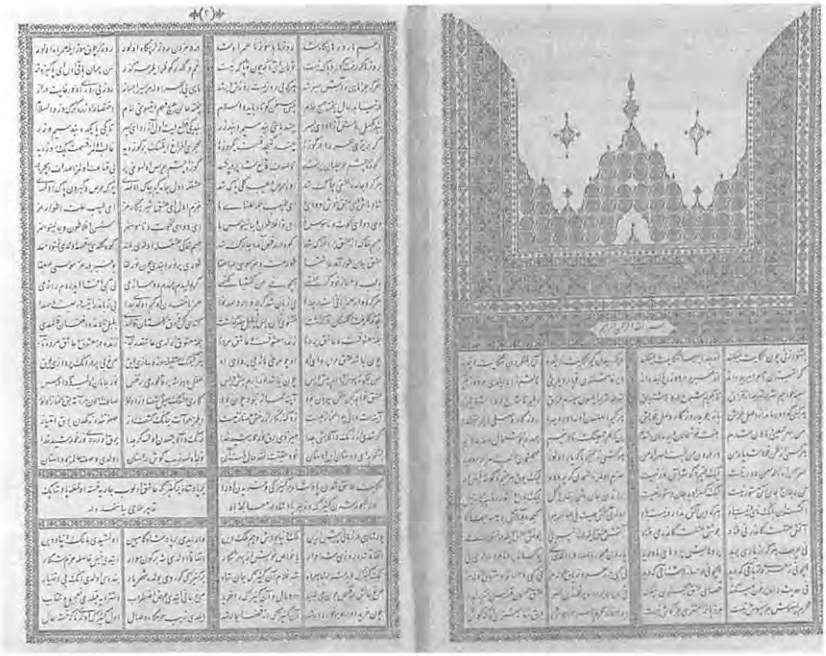
(٣) يمثل سودي البوسنوي نموذجاً واضحاً على عمق الثقافة العثمانية ذات اللغات الثلاث في البلقان. فقد ولد في قرية لا تتكلم التركية، ولكنه من خلال سلوكه سلم التعليم العثماني الكلاسيكي برز في تلك اللغات الثلاث، وكتب أفضل شرح لديوان حافظ الشيرازي بالتركية، وتمكن من العربية بحيث استطاع أن يشرح كافية ابن الحاجب وجعل الشرح في الكتاب.

فارسي باسم (معارج النبوة في مدارج الفتوة) كتبه منلا مسكين في تاريخ الأنبياء وسيرة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، وقد طبع ذلك الكتاب في بولاق سنة ١٢٧١هـ (١٨٥٥م).

وفي غضون تلك السنوات طبعت في مصر أيضاً ترجمة تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الأمم والملوك ترجمه سى) وهي لتاريخ الطبري المشهور الذي ألفه أبو جعفر محمد بن جرير الطبري أحد كبار العلماء والمؤرخين المسلمين. وهو تاريخ عام وإن كان التاريخ الإسلامي يشكل القسم الأساسي فيه، وجرت ترجمته من الفارسية إلى التركية ولغات أخرى كثيرة. وقد طبعت الترجمة التركية لأول مرة في استانبول سنة ١٨٤٤م، ثم طبعت في مصر سنة ١٨٥٨ -١٨٥٩م في خمسة أجزاء. أما الطبعة التي أخرجتها مطبعة ديوان عموم المدارس سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٤م) فقد ترجمت لأجل الطلاب الذين يتعلمون اللغة التركية، ولم يُعرف حتى الآن من قام بترجمة هاتين الطبعتين.

أما كتاب (ترجمهٔ قصيدهٔ سنگلاخ در مدح إزمير) أي ترجمة قصيدة سنگلاخ في مدح إزمير الذي طبع في مصر سنة ١٢٦١هـ (١٨٤٥م) فهو يحتل مكانة متميزة عن الكتب الأخرى باعتبار أنه من الانتاج المصري المحلي وترجمة جرت في مصر من اللغة الفارسية إلى التركية. فالكتاب ترجمة تركية لقصيدة فارسية كتبها الخطاط الخراساني ميرزا سنگلاخ (ت ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م) في حق مدينة إزمير التركية[٤].

(٤) سنگلاخ الخراساني شاعر وكاتب وخطاط من العصر القاجاري في القرن ١٣هـ/١٩م، واسمه الأصلي محمد علي بجنوردي، وهو ينتمي لإحدى قرى خراسان، وكان درويشاً عازفاً عن الدنيا، ثم تعلم الخطوط وبرع في خط التعليق الفارسي. وكان محمد علي قد سمع عن شهرته فاستقدمه مع آخرين غيره للاستعانة بهم في زخرفة عمائره بالخطوط المختلفة، فقدم مصر للعمل في خدمة الوالي سنة ١٨٢١م. أمضى ميرزا سنگلاخ الخراساني شطراً من حياته في الأراضي العثمانية وفي مصر، وقد جرى استخدام الحروف التي أعدها في مطبعة بولاق. وقام خلال مدة إقامته في مصر بتعليم اللغة الفارسية لمنيف باشا، انظر: علي أكبر دهخدا، لغت نامه، دانشكاه تهران، دانشكدهء أدبيات وعلوم انسانى ١٣٥٢هجري شمسي (١٩٦٩م)، جـ ١٩، ص ٦٨٢.
Ali Budak, *Batılılaşma sürecinde çok yönlü bir Osmanlı aydını: Minif Paşa*, İstanbul: Kitabevi, 2004, s. 15.



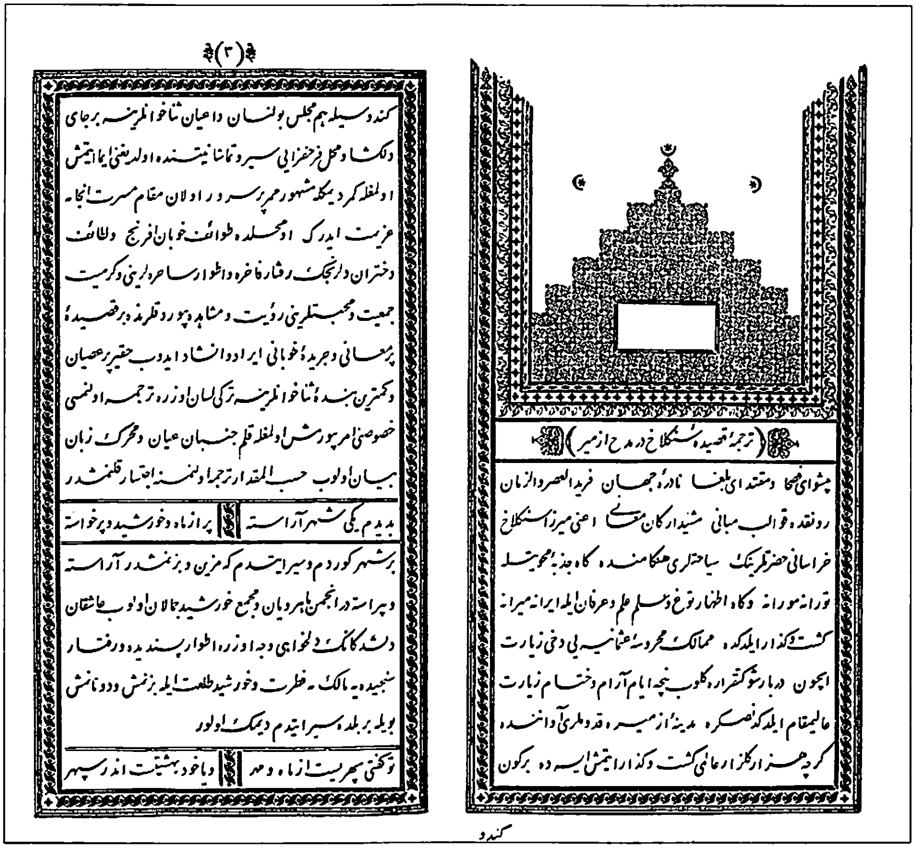
الترجمة التركية لمثنوي جلال الدين الرومي ووضعها محمد سليمان نحيفي بعنوان مثنوئ معنوي لمولانا جلال الدين رومي (مطبعة بولاق ١٢٦٨هـ [١٨٥٢م])

وكان آخر كتاب تركي طبع في مصر بعد ترجمته من الفارسية هو (چاي رساله سى) الذي كتبه أبو الخير إسماعيل ثم ترجمه داماد زاده أبو الخير أحمد أفندي ابن مصطفى راسخ أفندي (ت ١٧٤١م). وقد طبع ذلك الكتاب مع كتابي (خواص بيبريه) و (شفاء الفؤاد) سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م).

٣- الكتب الفارسية المطبوعة في مصر

لابد من الإشارة هنا إلى أن الكتب الفارسية المطبوعة في مصر إنما ظهرت هي الأخرى انعكاساً لتقليد "الألسنة الثلاثة" الذي عرفت به الثقافة العثمانية. وعند النظر في تلك الكتب ندرك أنها من عيون الأدب الفارسي، فقد طبع كتاب (گلستان) المشهور لسعدي الشيرازي ثماني مرات في مصر خلال سنوات ١٨٢٨م - ١٨٧٣م. أما ديوان حافظ الشيرازي الشهير فقد طُبع هو الآخر أربع مرات خلال سنوات ١٨٣٤ - ١٨٦٥م. وطُبع أيضاً كتاب (نصايح الفارسية) في علم المواعظ مرتين، في سنة ١٢٦٦هـ (١٨٥٠م)

وسنة ١٢٨٦هـ (١٨٧٠م)، بينما طبع كتاب (پندنامه) الشهير لفريد الدين العطار في النصيحة أيضاً تسع مرات في مصر خلال سنوات ١٨٢٨م – ١٨٧٨م.



(ترجمهٔ قصيدهٔ سنگلاخ در مدح ازمير)

پيشواى فصحا ومقتداى بلغا نادرهٔ جهان فريد العصر والزمان
رونقدهٔ قوالب مبانى مشيد اركان معانى اعنى ميرزا سنگلاخ
خراسانى حضرتلرينك سياحتلرى هنگامنده كاه جذبهٔ محويتله
تورانه مورانه وكاه اظهار تنوع وعلم علم وعرفان ايله ايرانه ميرانه
گشت وگذار ايلدكده ممالك محروسهٔ عثمانيه يى دخى زيارت
ايچون دربار شوكتقراره كلوب نيچه ايام آرام وختام زيارت
عاليمقام ايلدكدنصكره مدينهٔ ازميره قدوملرى آواننده
كرچه هزاركلزار رعنايى گشت وگذار ايتمش ايسه ده بركون
كندو

(٣)

كندو وسيله هم مجلس بولنسان داعيان ثناخوانلرينه برجاى
دلكشا ومحل فرحفزايى سير وتماشا نيتنده اولديغنى ايما ايتمش
اولمغله كرديكلر مشهور ممر پرسرور اولان مقام مسرت انجامه
عزيمت ايدرك اومحلده طوائف خوبان افرنج ولطائف
دختران دلرنجك رفتار فاخره واطوار ساحره لرينى وكرميت
جمعيت ومحبتلرينى رؤيت ومشاهده بورد قلرنده بر قصيدهٔ
پرمعانى وجريدهٔ خوبانى ايراد وانشاد ايدوب حقير پرعصيان
وكمترين بندهٔ ثناخوانلرينه تركى لسان اوزره ترجمه اولنمسى
خصوصنى امر بيورمش اولمغله قلم جنبان عيان ومحرك زبان
بيان اولوب حسب المقدار ترجمه اولنمسنه ابتدار قلنمشدر

بديدم يكى شهر آراسته	پر از ماه وخورشيد و پرخواسته

برشهر كوردم وسير ايتدم كه مزين وبزنمشدر آراسته
وپيراسته در انجمن ماهرويان ومجمع خورشيد جمالان اولوب عاشقان
دلشدكانك دلخواهى وجه اوزره اطوار پسنديده ورفتار
سنجيده يه مالك مه فطرت وخورشيد طلعت ايله بزنمش وودونانمش
بويله بر بلده سير ايتدم ديمك اولور

توگفتى سپهر يست از ماه ومهر	ويا خود بهشتيست اندر سپهر

الصحيفتان الأولى والثانية من كتاب "ترجمهء قصيدهء سنگلاخ در مدح إزمير"

وهناك عدا ذلك كتابان آخران هما من الإنتاج المصري المحلي تم طبعهما في مصر، أحدهما هو (تهنيتنامهٔ خديويه) (١٨٧٩م) الذي يضم أشعاراً بالتركية والفارسية أنشدها محمد مهري أفندي في مدح الخديوي محمد توفيق باشا بمناسبة اعتلائه سدة الحكم، والثاني هو ديوان عائشة التيمورية (١٨٩٨م). ونلاحظ في كلا الكتابين أنهما يحتويان أشعاراً فارسية إلى جانب الأشعار التركية. ويُذكر هنا أيضاً كتاب گلستان المشهور لسعدي الشيرازي، وهو كما ذكرنا في قسم الترجمات قد جرت ترجمته إلى العربية ثم طبع في بولاق سنة ١٢٦٣هـ (١٨٤٦ – ١٨٤٧م).

وإذا نظرنا إلى تواريخ طبع تلك الكتب المصنفة في هذه العناوين الثلاثة عن اللغة الفارسية وثقافتها بحسب ترتيبها الزمني لوجدنا أن أغلبها طبع في عهد محمد علي باشا. فبعد إنحسار أهمية اللغة التركية مع تحول النسخة المصرية في الثقافة العثمانية من التقليد الاستانبولي إلى الطرز المصري وانحسار تأثيرها الذي كان لها في السنوات الأولى، ثم استبدالها بالثقافة الأوربية وخاصة الفرنسية تضاءلت أيضاً وبشكل أسرع أهمية اللغة الفارسية باعتبارها أحد عناصر منظومة "لألسنة الثلاثة" إلى جانب التركية، ولم يطبع أي كتاب في هذا الموضوع بعد سنة ١٨٩٨م[٥].

(٥) يخرج على التقليد الذي أشرنا إليه سابقاً كتاب (حضرت عبد البهانك لاهاي صلح عمومى جمعيتنه كوندردكلرى جواب) الذي ترجم من الفارسية إلى التركية في سنة ١٩٢١.

سابعاً
حركة الترجمة في مصر ومكانة اللغة التركية فيها

بدأت في مصر في عهد محمد علي حركة ترجمة نشطة ومتشعبة تدعو للاهتمام. وكان من أبرز جوانبها أنها لم تقتصر على الترجمات التي كانت تجري طبقاً للتقاليد المعروفة فيما بين لغات الثقافة العثمانية، أيّ التركية والعربية والفارسية، وإنما تعدتها إلى اللغات الأوربية. وقد وُصفت الترجمات التي جرت عن اللغات الأوربية بأنها ذات خصائص وميزات مختلفة اعتقاداً بأنها تناولت موضوعات تختلف عن الموضوعات التي تناولتها الترجمات التي تمت من قبل في استانبول. وإذا نظرنا إلى نوعية الكتب المترجمة عن اللغات الأوربية التي شملتها حركة الترجمة في مصر لوجدنا بجانب الكتب – التي يمكن اعتبارها استمراراً لترجمة كتب الشئون العسكرية والتقنية التي بدأت في استانبول تلبية للاحتياجات التي تقتضيها إقامة جيش حديث – كتباً أخرى في موضوعات مختلفة ترجمت عن اللغات الأوربية وتم طبعها، وكلاهما يحتلان بلا شك مكانة متميزة في الأدبيات العثمانية.

وبنظرة عامة على حركة الكتب المترجمة في مصر خلال ذلك العهد نلاحظ وجود عدد من الأوجه المشتركة – في مسيرتها – مع حركات ترجمة مشابهة وقعت في التاريخ. إذ أن تلك الحركة في مصر كان لها أسباب تشبه الأسباب الجد معقدة لحركات الترجمة التي سبقتها في التاريخ، وتشابهها في مسيرة تطورها. وكان أهم ما تميزت به تلك الحركة هو أنها سعت لترجمة الكتب التي تلبي من حيث الأساس حاجة الحاكم الإدارية في المقدمة، ثم تقوم إلى جانب ذلك بكتابة كتب جديدة أو ترجمة ما يُطلب من كتب ثم تحويل كل ذلك إلى كتاب مطبوع يخاطب وسطاً ثقافياً محوره السراي قد تشكل حول عائلة الحاكم وحاشيته.

ومن الضروري ألاّ نعتقد أن حركة الترجمة التي جرت في مصر على أيام محمد علي باشا منفصلة تماماً عن حركة الترجمة المتشعبة التي دشنها الصدر الأعظم الداماد إبراهيم

باشا في استانبول قبل قرن من الزمان، لأنه عند النظر إلى حركة الترجمة في مصر على أنها استمرار لعقلية متواصلة وتقليد ترسخ فإنه يمكننا أن ندرك بصورة أفضل خصائص تلك الحركة وقيمتها. فتلك الحركة المهمة التي جرت في عهد السلطان أحمد الثالث يجب النظر إليها كحركة منظمة لم يظهر لها نظير من قبل في التاريخ العثماني. وإلى جانب كتب تاريخ العالم كان يوجد في هذه الحركة التي استهدفت في الأساس إثراء اللغة التركية بمصادر الثقافة الإسلامية التقليدية ومصادر التاريخ كتبٌ أخرى حول التعريف بجيران الدولة العثمانية، وكتب يمكنها معالجة الحساسيات التي تفرضها علاقاتها السياسية مع جيرانها في ذلك العهد. فقد أمر إبراهيم باشا بترجمة كتب تتعلق بتاريخ بعض الدول الآسيوية مثل إيران وبلاد الأفغان والصين، كما أمر بترجمة كتاب حول النمسا التي هي أبرز خصم للدولة العثمانية في الغرب، وعُرف ذلك الكتاب باسم (نمچه تاريخى)(١).

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن حركة الترجمة تلك كان لها علاقة بمصر أيضاً حتى وإن كان بطريق غير مباشر. إذ قام والي مصر عبد الرحمن باشا بتكليف شخص يدعى أحمد بن سليمان في عام ١٧١٦م بترجمة الكتاب المشهور الذي وضعه السيوطي العالم المصري الكبير، حول تاريخ مصر والمعروف باسم (حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة). والطريف أن هذا الوالي كلف شخصاً آخر بترجمة نفس الكتاب(٢)، مما يدل على مدى أهميته، وأهمية تاريخ مصر في نظره. وكون هذا الكتاب قد تُرجم إلى التركية بأمر من أحد الباشوات العثمانيين إنما هو نقطة مهمة تكشف لنا أن رجال الدولة العثمانية عدا إبراهيم باشا كانوا أيضاً مهتمين في ذلك العهد بترجمة الكتب إلى اللغة التركية. وهذه الترجمة التي قام بها أحمد بن سليمان لا يُعرف كيف دخلت مجموعة الصدر الأعظم

---

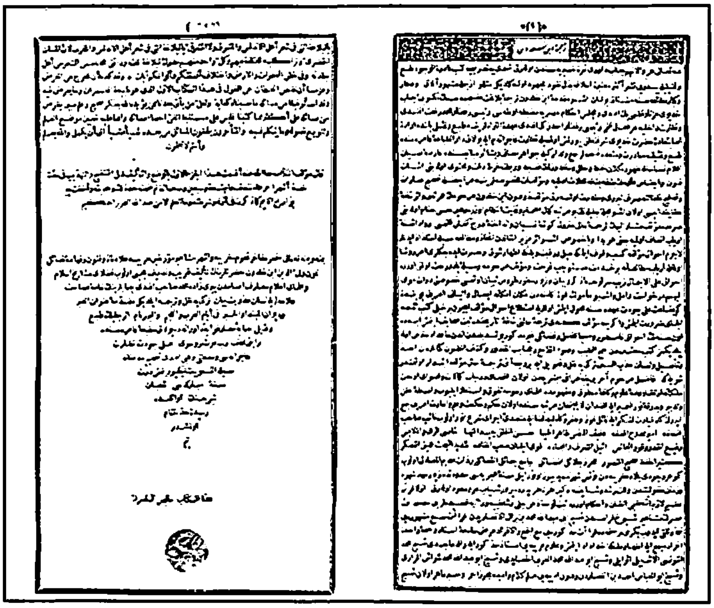
(١) أهم دراسة تدعم رأينا في هذا الموضوع هي التي قام بها سالم آيدوز انظر: Salim Aydüz, "Lâle devrinde yapılan ilmî faaliyetler", *Dîvân İlmî Araştırmalar* (1997/1): 143-170. ولنفس المؤلف دراسة أخرى بعنوان: "The role of translations in the eighteenth century in transferring modern European science and technology to the ottoman State", *Akademik Araştırmalar* (2000 /4-5), s. 499-511.

(٢) نسخة الترجمة التي قام بها محمود بن عبد الله بن محمد البغدادي محفوظة في مكتبة السليمانية (أسعد أفندي رقم ٢٢١٥)، أما نسخة الترجمة التي قام بها أحمد بن سليمان فهي محفوظة بنفس المكتبة (داماد إبراهيم باشا ٩١٠). والنسخ المخطوطة الخاصة بترجمتي هذا الكتاب محفوظة في مكتبة دار الكتب القومية المصرية (نسخة ترجمة أحمد بن سليمان في: ١٢٨م تاريخ تركي؛ ونسخة ترجمة محمد بن عبد الله بن محمد البغدادي: ٢١٥م تاريخ تركي).

الداماد إبراهيم باشا. ولكن وجود الكتاب ضمن مجموعة الصدر الأعظم قد يدل على أنه كان على علم بأمره، ولعلها تساعد على تفسير السبب الذي دفع الباشا أثناء حركة الترجمة إلى أن يأمر بترجمة العديد من الكتب الخاصة بدول آسيا وأوربا.

ومما يلفت النظر في حركة الترجمة المنظمة المتشعبة التي جرت في عهد الصدر الأعظم إبراهيم باشا أنها قد تزامنت مع إقامة أول مطبعة عثمانية وأن الكتب المترجمة لم يطبع منها شئ عدا ترجمة واحدة، وهي الترجمة التي قام بها إبراهيم متفرقة مؤسس المطبعة، وسنتناولها فيما يلي. ولم تطبع الترجمات العديدة التي تمت باسم إبراهيم باشا، في حين أن أغلب الترجمات التي جرت في مصر على أيام محمد علي باشا قد تم طبعها. وهذا الأمر – في اعتقادنا – ذو مغزى كبير، إذ يكشف عن التقدم الذي اقتضاه مرور قرن من الزمان لصالح ترسيخ التقاليد الخاصة بطباعة الكتب؛ وهو أحد المميزات البارزة في حركة الترجمة التي جرت في عهد محمد علي باشا.

وكانت فعاليات الترجمة التي ظهرت في عهد محمد علي باشا قد بدأت – في الغالب – بمحاولات شخصية منه ومن ابنه إبراهيم باشا، واتصلت وتيرتها تبعاً للحاجة ومقتضيات الجهود التي كان يبذلها الوالي لإقامة جهاز إداري فعال وجيش حديث. وأهم ما تميزت به حركة الترجمة تلك أن الكتب التي أراد قراءتها محمد علي والرجال المحيطون به قد جرت ترجمتها على الفور، وما وجد مناسباً منها جرت طباعته حتى تطلع عليها الفئة الملتفة حوله، بينما بقي غير المناسب منها على شكل مخطوط. وافتقار حركة الترجمة التي دشنها الصدر الأعظم إبراهيم باشا في استانبول قبل قرن من الزمان إلى مثل هذا النوع من الاهتمام، أي أن تتحقق طباعة كتاب بعد انقضاء مدة طويلة على ترجمته، إنما يدل على فارق التقدم بين الحالتين، وعلى أن دور المطبعة في الحياة الثقافية قد تَكشّف إذن، وأن عادة قراءة الكتاب المطبوع أخذت تترسخ بين الناس، وهو أمر لم يكن بالسهل في اعتقادنا، إذ كانت هناك تقاليد قرون طويلة في قراءة الكتاب المخطوط.



الصحيفتان الأولى والأخيرة من كتاب "ترجمهء مقدمهء ابن خلدون"
المطبوع في بولاق سنة ١٨٥٨م

والملاحظ بجلاء أن محمد علي اهتم بأمر الترجمة حتى يتعلم هو منها ويُعَلِّم المحيطين به، وأن كتباً عدة جرت ترجمتها لهذا الغرض من لغات الشرق أو الغرب. ويبدو من الأحاديث التي أجراها جويسيپي أشربي Giuseppe Acerbi قنصل النمسا في القاهرة (١٧٧٣ – ١٨٤٥م) مع الباشا في عامي ١٨٢٤ و ١٨٢٨م أن الأخير قال له إنه بتوصية من بعض الزوار الأوربيين أمر أن يترجم كتاب مكيافيللى المعروف باسم الأمير إلى التركية، ولكنه بعد قراءته[٣] لم يجد فيه ما يستهويه، فأمر بدلاً من ذلك بترجمة مقدمة ابن خلدون إلى التركية، ثم قرأها، إذ كان ينظر إليه باعجاب وتقدير كبيرين[٤]. ويذكر القنصل النمساوي قول الباشا له إن ابن خلدون أكثر تفتحاً من مكيافيللى، وإن كتابه (المقدمة) أكثر

(٣) يذكر جمال الدين الشيال أن الترجمة العربية التي عملت في القاهرة لهذا الكتاب آنذاك موجودة، بينما لا يوجد أي أثر حول نسخة الترجمة التركية (جمال الدين الشيال، المصدر السابق، ص ٨٠ – ٨٢). وهناك نسخة مخطوطة من ترجمة قام بها مترجم يدعى إسحاق برسم السلطان عبد المجيد محفوظة في دار الكتب المصرية (١ اجتماع تركي طلعت).

(٤) تعقد المقارنة في الغالب بين ابن خلدون ومكيافيللى، وهناك تشابه بين مقدمة الأول وكتاب الأمير للثاني (انظر حول ذلك الموضوع: İbn Haldun, *Mukaddime*, I, hazırlayan: Süleyman Uludağ, İstanbul: Dergah Yayınları, 1988, s.150-152)

فائدة من كتاب مكيافيللّي. وطلب محمد علي باشا من عبد اللطيف صبحي باشا أن يترجم إلى التركية كتاب التاريخ المعروف بكتاب العبر لابن خلدون، إذ كان عبد اللطيف يعمل كاتباً في ديوانه، وهو ابن عبد الرحمن سامي باشا. غير أن وفاة محمد علي وابنه إبراهيم حالت دون طباعة تلك الترجمة في مصر آنذاك(٥)، فلم تطبع الترجمة التركية للمقدمة(٦) إلاّ بعد مرور عشر سنوات على وفاة محمد علي. أما الترجمة التي طبعت لأول مرة في مطبعة بولاق عام ١٨٥٨م وعُرفت باسم (ترجمه ٴ مقدمه ٴ ابن خلدون) فهي الترجمة التي قام بها پيري زاده محمد صاحب أفندي (ت ١٧٤٩م) قبل مائة عام. واستطاع پيري زاده أن يصل بها حتى مبحث "الفقه" في الباب السادس. وقد طبعت في مصر مرتين في عامين متتاليين (١٨٥٨ و ١٨٥٩م)، إذ ظهرت الطبعة الأولى في بولاق، ثم تبعتها الطبعة الثانية في العام التالي في مطبعة (طپوغرافيا دستگاهي)، ويلاحظ في كلتا الطبعتين وجود فصول لم يقم پيري زاده بترجمتها فظهرت بالعربية(٧).

وهذا الاهتمام الواضح من محمد علي باشا بكتاب ابن خلدون قد انتقل إلى ابنه إبراهيم باشا أيضاً، ففي أمر صدر عام ١٨٤٠م نشهد طلباً لاستنساخ نسخة جديدة من إحدى نسخ الكتاب الموجودة في المغرب، ثم ترجمتها إلى اللغة التركية. وينص ذلك الأمر أيضاً على التفضل بإرسال ما ترجم منه إليه كي يمرن أولاده عليه ويعلم أصوله(٨).

---

(٥) كان عبد اللطيف صبحي باشا قد بدأ ترجمة الكتابين الثاني والثالث من كتاب العبر إلى اللغة التركية بإيعاز من محمد علي باشا، فأكمل القسم الخاص بالساسانيين في إيران، ونشر في استانبول عام ١٨٥٩ تحت عنوان مفتاح العبر. أما الذيل الذي كتبه بعد ذلك فقد طبع هو الآخر في استانبول تحت اسم تكملة العبر (١٨٦٠). ويذكر عبد اللطيف صبحي في صدر مفتاح العبر (ص ٣) السبب وراء ترجمة هذا الكتاب وعدم طباعته في مصر فيقول: "... كنت قد بدأت في ترجمة التاريخ المذكور بإيعاز من والي مصر الأسبق المرحوم محمد علي باشا، فلما توفي الوالي [ومن قبله] خلفه إبراهيم باشا بعد فترة وجيزة رحلت عن مصر..".

(٦) ظهرت الطبعة العربية الأولى للمقدمة في بولاق عام ١٢٧٤/ ١٨٥٧ على يد الشيخ نصر الهوريني.

(٧) وقد طبعت ترجمة پيري زاده - بعد مصر - في استانبول أيضاً، وظهرت في مجلدين عام ١٢٧٥هـ (١٨٥٩م). ولكن الترجمة التي قام بها پيري زاده من القسم السادس وكذلك النص العربي لم تدخل ضمن هذه الطبعة. وقام أحمد جودت باشا بعد ذلك بترجمة القسم السادس من المقدمة مرة أخرى، ثم طبع في استانبول أيضاً عام ١٢٧٧ [١٨٦٠م] تحت عنوان (مقدمه ٴ ابن خلدون فصل سادسنك ترجمه سيدر).

(٨) جمال الدين الشيال، المصدر السابق، الملحق ٣ / ٥٠، نقلاً عن أرشيف : سراي عابدين، محفظة ٢٥٩، نمـ ٥٧، ٧ صفر ١٢٥٦.

١- كيف كانت تجري الترجمة في مصر

مما يلحظ على محمد علي باشا في موضوع الترجمة وكعادته في موضوعات أخرى عديدة أنه كان ينحى منحى براجماتيا، ويسلك طرقاً مختلفة تمكنه من تلبية احتياجاته بأسرع الوسائل. فقد اعتاد الوالي بذكائه العملي حل العديد من المشاكل والمعضلات، وجرى على النهج ذاته في مجال الترجمة أيضاً. وقد شرع في ذلك بإحالة الأمر إلى من يجيدون اللغات بين الملتفين حوله، ثم أعقب ذلك بطلب الكتب التي سبق أن ترجمت وطبعت في استانبول لإعادة طبعها، وكذلك الكتب التي ترجمت هناك ولم تطبع لكنها توافق أغراضه، ثم أمر بطباعتها. وعمل في الوقت نفسه على استدعاء مترجمين جدد من استانبول حتى يلتحقوا بالمترجمين الموجودين في مصر لتولي أمور الترجمة، ثم أخذ سلسلة من التدابير كان من بينها في النهاية إقامة مدرسة لتخريج مترجمين محليين قادرين على الترجمة من مختلف اللغات. وبعد أن نجح الوالي في حل معضلة الترجمة بوسائل شتى، كان يتابع بدقة أمر ترجمة الكتب اللازمة. فقد سأل يوماً كبير المترجمين عن المدة التي تستغرقها ترجمة كتاب أهداه إليه أحد الحكام الأوربيين، فلما قال له ثلاثة أشهر أمر بتقسيم الكتاب إلى ثلاثة أقسام وإعطائها لثلاثة مترجمين، حتى تنتهي الترجمة في شهر بدلاً من ثلاثة[٩].

وبهذا الأسلوب البرجماتي أدار محمد علي أمر الترجمة، كما سلك مسالك مختلفة في طباعة الكتب. فالكتب التي تُرجمت وقام على ترجمتها مترجمون يوثق في قدراتهم كانت تذهب مباشرة إلى المطبعة، أما الكتب التي يرون حاجة لمراجعة ترجمتها فكان الباشا يطلب مراجعتها وتصحيح أخطائها قبل الطباعة. ويُوجد في أيدينا عدد من الوثائق والمعلومات حول أن الوالي كان يتابع تلك الأمور بنفسه، ومن الأمثلة على اهتمامه الواضح وعنايته المباشرة بها أمر أصدره في ١١ جمادى الآخره ١٢٤٥هـ (٨ ديسمبر ١٨٢٩م) بأن يقوم في أقرب وقت مترجم الكتاب المتعلق بتاريخ إيطاليا بالتوجه إلى الاسكندرية ومعه أصل الكتاب، ويلتقي هناك بعزيز أفندي الذي يقوم بتصحيح الترجمة، ويراجعا معاً بعض التصحيحات والتصويبات. كذلك التعليمات التي أصدرها الوالي حول طبع الكتاب المشتمل على اصطلاحات اللغات الخمس بعد ترجمته واصلاحه، بشرط أن يقوم المترجم بمباشرة طبعه، وأن يذهب بذاته لمراجعة تصحيحه بالمطبعة، ويكون بمعيته رجل خبير باللغات[١٠].

---

(٩) انظر: جاك تاجر، ص ١٥ – ١٦ نقلاً عن: Comte d'Estormel, *Journal d'un Voyage au Levant*, Paris, 1844.

(١٠) انظر لهذين المثالين: جاك تاجر، حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر، القاهرة دار المعارف (بدون تاريخ)، ص ٣٧ – ٣٨. قدم سريوس أفندى هذا المعجم الذي أعده في اللغات الخمس إلى محمد علي، فأمر الأخير بطباعته. وقد نشرت

ومن البرجماتية التي جرى عليها الباشا في موضوع الإسراع بإعداد الكتب اللازم ترجمتها من الفرنسية إلى التركية والعربية هو تكليفه الطلاب الموفدين للدراسة في أوربا أن يقوم كل واحد منهم بترجمة كتاب واحد على الأقل في التخصص الذي درسه (وأحياناً في غير تخصصه). فعندما تخرج الطلاب الذين أوفدهم الباشا للدراسة في أوربا في بعثة عام ١٨٢٦م، ثم عادوا إلى مصر استقبلهم في ديوانه بالقلعة، وأعطى لكل واحد منهم كتاباً بالفرنسية في الموضوع الذي درسه في أوربا، ثم أمرهم بترجمتها إلى العربية، وأمر بعدم مغادرتهم القلعة حتى الانتهاء من الترجمة، وهذا يدل على مدى الأهمية التي كان يوليها لهذا الموضوع[١١]. ولم ينقطع ذلك الاهتمام؛ بل ظل مستمراً، ففي أمر أرسله إلى كلوت بك في عام ١٨٣٣م، وعاد وأرسل أمراً مثله إلى بوغوص بك في ٢٢ ربيع الأول ١٢٤٩ (٩ أغسطس ١٨٣٣م) ذكّره فيه بضرورة أن يقوم الطلاب الموفدون إلى أوربا لدراسة الطب بترجمة الكتب التي يدرسونها إلى العربية أولاً بأول وإرسالها، فإذا لم تكن وصلت الترجمات يكتب للطلبة أنفسهم على أوراق أوامر (امرنامه) من المختومة بختمه (الوالي) والموجودة طرف زكي أفندي مأمور ديوان الخديوي بالاسكندرية في هذا المعنى، بحيث تكون الأوامر بالعربي لأولاد العرب، وبالتركي لأولاد الترك..[١٢].

ومن أطرف الأمثلة على حرص محمد علي الشديد في موضوع الاستفادة من قدرات الطلاب على الترجمة هو أمره بتقديم كتب إلى الطلاب العائدين من أوربا لترجمتها إلى التركية أو العربية خلال فترة احتجازهم في الحجر الصحي في الاسكندرية[١٣].

وكان الوالي يترك للخبراء المعنيين أمر اختيار الكتب المكتوبة بمستوى تقني في موضوعات العلوم والهندسة والشئون العسكرية ، أما اختيار الكتب التي يرى تعلقها بموضوعات حساسة فكان يقرره بنفسه. وقد ذكرنا فيما سلف كيف أنه بعد مطالعة كتاب الأمير لمكيافيللى لم ير ضرورة في أن يقرأه كل شخص، بل فضّل عليه تاريخ ابن خلدون ومقدمته، وأمر الباشا كذلك بترجمة الكتاب المتعلق بعوائد المصريين ضمن مجموعة

الوقائع المصرية هذا الخبر في عددها الصادر بتاريخ ٣ رمضان ١٢٤٧، رقم ٣٤٨ (انظر لذلك جاك تاجر، المصدر السابق ص ٣٧، والشيال ، المصدر السابق ص ١٩٠). و لكننا لم نعثر خلال الدراسة على أي أثر لذلك الكتاب.

(١١) عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، القاهرة دار المعارف ١٩٨٢، ص ٥٣٧.

(١٢) أمين سامي باشا، تقويم النيل، جـ ٢ ، ص ٤١٤، والشيال ، المصدر السابق ، ص ٩٣ – ٩٤.

(١٣) أمين سامي باشا، تقويم النيل ، جـ ٢، ص ٤٣٤.

"وصف مصر" التي وضعها علماء الحملة الفرنسية أثناء احتلال نابليون لمصر، لكن الباشا لم يلبث أن اطلع عليه ولم يوافق على طباعته(١٤).

وهنا يجب الحديث عن وجود حركة ترجمة منظمة تلبي حاجات معينة، وخاصة حاجات المدارس الحديثة والجيش. وعدا الدراسات الأولية التي قام بها الشيال وجاك تاجر في هذا الموضوع فإن أحداً لم يتعرض بدراسة واسعة لحركة الترجمة في مصر ويلقي الضوء على جوانبها المختلفة. والمعلومات المتاحة في أيدينا تدل على أن أبعاد تلك الحركة كانت كبيرة الحجم، وجرت بصورة منظمة. ففي كتاب مرسل من ديوان المدارس إلى مدرسة الألسن في عام ١٨٤٢م يدور الحديث عن أن المترجمين في قلم الترجمة ومدرسة الألسن التابعين لديوان المدارس قاموا خلال عام بترجمة ٦٧ كتاباً من الفرنسية إلى العربية والتركية في موضوعات شتى، وتطبيقاً للأمر العالي (أمر محمد علي) الذي صدر قامت هيئة مشكلة من سليمان باشا (سيف الفرنسي) رئيس الأركان الحربية، ومحمود بك (جركسي)، وكاني بك (تركي)، وحكاكيان بك (أرمني) (١٥)، وآخرين بفحص جيد لتلك الكتب، واختارت منها أربعة عشر كتاباً تلبي حاجة، ورأت من المناسب طبعها. كما يرد في متن ذلك الخطاب المرسل طلبٌ بضرورة أن تخضع – تلك الترجمات الأربع عشرة اللازمة آنذاك – لعملية مقارنة دقيقة مع أصولها قبل أن تطبع، وتجرى مراجعة مصطلحها الفني؛ فإذا كان هناك نقص في هذا الموضوع في أفرع العلم المختلفة داخل قلم الترجمة يجري تكليف ناظره للقيام بدراسة جادة لوضع مصطلحات جديدة(١٦).

– من كان يتولى الترجمة التركية في مصر؟

لقد درس المرحوم الأستاذ جمال الدين الشيال حركة الترجمة في مصر بطريقة جادة، ورأى – وهو على حق في ذلك – أن المترجمين يمكن تناولهم في ثلاث مجموعات، الأولى تضم المترجمين من أصول سورية، وكانت عنايتهم في الغالب بترجمة النصوص الطبية من الفرنسية إلى العربية؛ والمجموعة الثانية تضم الشبان المصريين الذين درسوا في أوربا أو تخرجوا من مدرسة الألسن، وترجموا النصوص المتعلقة بتخصصاتهم في الغالب من

---

(١٤) لهذا الخطاب المؤرخ في ٢١ ذي القعدة ١٢٥٢هـ/ ٢٧ فبراير ١٨٣٧م انظر: الدفتر ٧٩ – معية تركي رقم ٧٧٥. وللاطلاع على ملخص الوثيقة التركية انظر: جاك تاجر، المصدر السابق ص ١٧.

(١٥) درس الهندسة في انجلترا ثم عاد إلى مصر، وعيّن في سنة ١٨٣٦م مهندساً على مصنع الورق. وبعد عامين جرى منحه البكوية، واستطاع بوساطة من شقيق زوجته لدى محمد علي باشا أن يحل محل المهندس الفرنسي لينان Linan de Belfon. ولأنه درس الهندسة ثماني سنوات في انجلترا طلب إبراهيم باشا تعيينه للتفتيش على الاستحكامات التي أقيمت في الإسكندرية.

(١٦) للاطلاع على الترجمة العربية للوثيقة التركية انظر: جاك تاجر، المصدر السابق ص ٣٨.

الفرنسية إلى العربية؛ أما المجموعة الثالثة فهي تضم المترجمين إلى اللغة التركية. ويذهب الشيال إلى أن جميع الذين تولوا الترجمات التركية كانوا من ذوي الأصول التركية أو الموظفين الذين يتحدثون التركية ويخدمون في الجيش أو الجهاز الإداري للولاية، ولا يوجد بينهم أحد من خريجي مدرسة الألسن الذين لم يكونوا يعرفون التركية بشكل جيد[١٧]. إلا أن رأي المرحوم الشيال حول المجموعة الثالثة يحتاج إلى مراجعة كما سيظهر فيما يلي عند الحديث عن خريجي مدرسة الألسن الذين قاموا بعملية الترجمة بين اللغتين التركية والعربية.

كان محمد علي في محاولات التجديد التي قام بها في السنوات الأولى قد يمم وجهه شطر استانبول، فكان يطلب إحضار الترجمات الجاهزة منها كما أسلفنا، ويأمر بطباعتها في مصر. ولما رأى أن عدد العارفين للغات حوله لا يكفي لتلبية الحاجة المتزايدة في أمور الترجمة طلب استدعاء مترجمين من استانبول ممن يجيدون اللغة الفرنسية.

وكانت أولى الترجمات التي بدأ بها محمد علي في مصر هي الترجمات التي قام بها عثمان نور الدين بنفسه أو أشرف عليها، إذ لعب ذلك الرجل دور الريادة في العديد من مشاريع التجديد. وهو في الأصل من أتراك جزيرة ميديللى، وعُرِف باسم نور الدين بن السقا (سقازاده) لأن والده كان يعمل سقاءً في السراي، وقد لفت نور الدين أنظار الباشا بذكائه، فكان أن أصبح واحداً من أوائل الشبان الموفدين إلى أوربا للدراسة، وبعد عودته عام ١٨١٧م شرع في مشروعات تجديد عديدة. فقد أنشأ أول مكتبة عصرية في سراي إبراهيم باشا ببولاق، وبدأ يُعلِّم الهندسة واللغة العربية والتركية والإيطالية لعدد من الطلاب الموجودين في معيته عام ١٨٢٠ – ١٨٢١م.

فلما رأى الوالي في عام ١٨٢٠ أن عدد العارفين للغة الفرنسية بين العاملين في معيته وعدد المترجمين القادرين على الترجمة من تلك اللغة إلى اللغة التركية لا يكفي لتلبية الحاجة في حركة التحديث كتب إلى كتخداه [وكيله] في استانبول خطاباً بتاريخ ٥ ربيع الأول ١٢٣٦هـ (١١ ديسمبر ١٨٢٠م) أخبره فيه أن هناك حاجة عاجلة للمترجمين في مصر ممن يستطيعون الترجمة من الفرنسية إلى التركية، ثم طلب منه التعرف على المترجمين الذين يجيدون هاتين اللغتين، ويستطيعون نقل الكتب الفرنسية في مختلف العلوم

---

(١٧) راجع الشيال، المصدر السابق، ص ١٥٩.

إلى اللغة التركية بلسان فصيح، وأمره بصرف النفقات اللازمة لإرسال اثنين من هؤلاء المترجمين الآن على وجه السرعة لمباشرة ذلك العمل[١٨].

وفي تلك الأثناء بدأوا في توزيع كتب فن الحرب والصناعة على التلاميذ الموجودين ضمن معية عثمان نور الدين ممن تخرجوا من المدارس التي أسلفنا الإشارة إليها، حتى يقوموا بترجمتها تحت إشرافه. وقام عثمان نور الدين – وجيش مصر الحديث يجري تأسيسه في عام ١٨٢٢م – بإعداد البرامج في هذا الموضوع مع الفرنسي سيف والمهندس أحمد أفندي، وأعد العدة لترجمة الكتب التي سيتقرر تدريسها. ولما تم تعيين عثمان نور الدين قائداً عاماً (سَرْ عَسْكر) على الجيش المصري في عام ١٨٢٣م جرت تحت إشرافه ترجمة القوانين واللوائح الخاصة بالبحرية الانجليزية. وفي عام ١٨٢٧م تم تعيين عثمان نور الدين الذي أسس العديد من المدارس المدنية والعسكرية قائداً للأسطول المصري، وحصل على رتبة الباشوية. وكان لنور الدين باشا نصيب كبير في تدشين العديد من مشروعات التحديث ونجاحها بعد ذلك، فلما اختلف في الرأي مع الوالي محمد علي باشا في أمر الحوادث التي ظهرت في جزيرة كريت عام ١٨٣٣م، ولم يتفق معه في سياساته قدم استقالته، ودخل في في خدمة السلطان[١٩].

وكان لعثمان نور الدين نصيب وافٍ من الكتب التي ترجمت إلى التركية عن لغات الغرب وخاصة الكتب العسكرية، كما طبعت له بعض الكتب التي ترجمها هو نفسه إلى التركية[٢٠]. والكتب التي تحققنا من ترجمته لها وطباعتها هي:

- قانوننامه° عساكر سواريان جهاديه ١٢٤٥هـ (١٨٣٠م).
- قواعد متعبره° أمور بحريه ١٢٤٣هـ (١٨٢٨م).
- سياستنامه° جهاديه° بحريه ١٢٤٢هـ (١٨٢٧م) ١٢٨٢هـ (١٨٦٥م).
- تعليمنامه° پيادگان (مع أحمد خليل أفندي) ١٢٣٩هـ (١٨٢٤م)، ١٢٤٥هـ (١٨٣٠م).

---

(١٨) للاطلاع على ملخص الوثيقة انظر: جاك تاجر ، المصدر السابق، ص ٢٠ – ٢١.

(١٩) حول عثمان نور الدين باشا انظر: الشيال المصدر السابق ص ٣٦، ٧٠ – ٧١، ٩٥ – ١٠١. وأحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في عصر محمد علي، القاهرة مطبعة الاعتماد ١٩٣٨، ص ٢٣٤ – ٢٣٥، ٤٣٤ – ٤٣٦. وعبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، ص ٣٨٦ – ٣٨٨.

(٢٠) وتوجد لعثمان نور الدين أيضاً ترجمة أخرى لم تطبع بعنوان (منافع المجاهدين)، كتبها شخص أوربي يدعى كبرت Kibert حصل من محمد علي على رتبة ميرالاي. انظر: *Osmanlı Askerlik Literatürü Tarihi*, s. 73.



أدهم بك (باشا)

وعدا المترجمين الذين ذكرناهم في فصل أدبيات العسكرية بالتركية في مصر هناك كتبٌ تم طبعها لترجمات عن اللغات الأوربية أيضاً في مجال الرياضيات والتاريخ. والمعروف أن إبراهيم أدهم بك (باشا، ١٧٨٥ – ١٨٦٥م) هو أحد رجال السراي الذين تولوا مناصب عدة، عسكرية وإدارية وتعليمية على أيام محمد علي باشا[٢١]، وكان صاحب الكلمة في اختيار الكتب التي تتقرر ترجمتها إلى التركية والعربية في مدرسة الألسن، وكان يفحص الترجمات ويعيد غير الصحيح منها إلى أصحابها ليعيدوا ترجمتها من جديد، أي أنه كان

(٢١) كان إبراهيم أدهم بك بعد دراسة فنون المدفعية في انجلترا قد عمل بالتعليم في المؤسسات الصناعية، وهناك استطاع اجادة اللغة الانجليزية وعلّم نفسه بنفسه اللغة الفرنسية بدرجة جيدة. وكان متخصصاً بدرجة عالية في فنون المدفعية والرياضيات، وهو واحد ممن أسسوا سلاح المدفعية في مصر. انظر: رضوان، المصدر السابق، ص ٩، ٩٥، ١٤٥، ١٥٤، ٤٥٧، ٤٦٣. وأحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في عصر محمد علي، ص ١١٤ – ١١٥، ٤٠٧، ٤٢٣.

يقوم بمهمة التحرير والإشراف بمعناها الحقيقي. وقد قام إبراهيم أدهم نفسه بترجمة كتاب الرياضيات الفرنسي المعروف باسم *Eléments de géometrie* والذي وضعه أدريان – مارى لوجاندر Adrien – Marie Legendre (١٧٥٢ – ١٨٣٣م) إلى التركية تحت عنوان (أصول الهندسة). ولإبراهيم أدهم كتاب آخر في الرياضيات يعرف باسم (مقالات الهندسة) يتضمن الأجزاء الأولى في (أصول الهندسة).

ويرد في هذا المجال ذكر حسن أفندي الذي لا نعلم إلا أنه كان أحد مماليك إبراهيم باشا، وكان يمارس الترجمة عن اللغات الأوربية في التاريخ بأمر من محمد علي. وقد قام حسن أفندي بترجمة كتاب كارلو بوتا إلى التركية تحت عنوان (تاريخ إيطاليا) وكتاب الدوق دى روفيجو تحت عنوان (تاريخ ناپليون بوناپرته). وفي هذا الصدد يُذكر أيضاً علي رضا أفندي الذي كان واحداً من علماء مصر ويمارس الترجمة عن اللغات الأوربية. فقد قام في عهد الخديوي سعيد باشا بترجمة كتاب ويليام روبرتسون المعروف باسم *History of America* من الانجليزية إلى التركية تحت عنوان (تاريخ أمريكا)، وطبع ذلك الكتاب عام ١٢٧٤هـ (١٨٥٨م).

٣- تحول شؤون الترجمة إلى المؤسسات

- مدرسة الألسن:

كان محمد علي باشا يشعر بالحاجة الماسة إلى حركة ترجمة بين اللغات المختلفة حتى يمكن نقل العلوم والمعارف الحديثة اللازمة لإقامة دولة عصرية حديثة وخلق بلد غني ينعم بالرفاه، إلاّ أن مصر لم تكن تحظ بعدد كافٍ من المترجمين حتى يمكنهم تلبية الاحتياجات العاجلة للترجمة، ولهذا أقام محمد علي باشا مدرسة الترجمة أو مدرسة المترجمين في سنة ١٨٣٥م (١٢٥١هـ). وهذه المدرسة التي اشتهرت فيما بعد باسم مدرسة الألسن – قد تولاها عالم مشهور في ذلك العهد هو رفاعة الطهطاوي الذي تخرج في الأزهر ودرس في باريس. وكانت مدة الدراسة فيها خمس سنوات، ويدرس التلاميذ – إلى جانب العربية والتركية والفرنسية – الرياضيات والجغرافيا والتاريخ وغير ذلك. ولأن غالبية التلاميذ كانوا من المصريين فمن الصعب القول إن المدرسة حققت نجاحاً كبيراً في موضوع تعليم اللغة التركية، فلم يكن مدير المدرسة رفاعة بك يعرف غير العربية والفرنسية، وقد يكون لذلك تأثيره. ومع هذا فمن المؤكد أن تدريس اللغة التركية خمس سنوات في المدرسة للطلاب قد أتاح الفرصة لأن يظهر من بين الشبان المصريين ممن

تعلموا التركية ونشأوا على خبرة ومعرفة يستطيعون بهما أن يقوموا بالترجمة بين اللغتين العربية والتركية. ويمكننا أن نذكر هنا عدداً من الأسماء لبعض الذين قاموا بالترجمة التركية العربية من بين خريجي مدرسة الألسن التي أسهمت بشكل فعال في الحياة التعليمية والثقافية في مصر حتى وفاة محمد علي باشا(٢٢):

- خليفة بن محمود المصري: التحق بالمدرسة عام ١٨٣٦ – ١٨٣٧، ودَرّس في المدارس المصرية المختلفة، ثم عمل معلماً للأمير مصطفى. وكان عضواً في مجلس المعارف في استانبول خلال الفترة التي مكثها فيها. وقد طبع له كتاب "قلائد الجمان في فوائد الترجمان" (١٢٦٦هـ/ [١٨٥٠م]) الذي يضم في قسمه الأول معجماً للعربية والتركية والفرنسية، وفي القسم الثاني يضم فصلاً لقواعد اللغة الفرنسية مشروحاً بما يقابله في العربية والتركية.
- مراد مختار موره لى: التحق بالمدرسة في سنة ١٨٣٧م، ثم عمل بعد ذلك ناظراً لدار الكتب الخديوية. وكان يعرف التركية واليونانية والعربية والفرنسية، وله كتاب مطبوع في مصر ألفه بعنوان "النخبة الزكية في اللغة التركية" (١٨٧٣، ١٨٧٧، ١٨٨٢ – ٨٣، ١٨٩١ – ٩٢)، وله أيضاً ترجمة عربية مطبوعة بعنوان "قصة أبي علي بن سينا وشقيقه أبي الحارث وما حصل لهما من نوادر العجائب وشوارد الغرائب" (١٨٨٠، ١٨٨٨، ١٩٨٩٥، ١٨٩٦).
- لاظ محمد أفندي: التحق بالمدرسة عام ١٨٣٧م. ولا نعلم عن حياته الكثير. وله عدة ترجمات عربية، وكتاب نقله إلى التركية من ترجمة قام بها مرعشلي محمد أفندي من الفرنسية إلى العربية، وعُرف باسم "ايرماقلر ودره لرك استكشافنه دايردر" (١٨٥٩ – ٦٠).
- مصطفى الكريدي: التحق بالمدرسة عام ١٨٣٧م. وكان يعرف التركية واليونانية والعربية والفرنسية.

---

(٢٢) أخذنا تلك المعلومات عن هذه المدرسة من: أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعلم في عصر محمد علي، وجاك تاجر، حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر، وجمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، و. ج. هيورث-دن، *Introducation to the history of education in modern Egypt*. ولم نر حتى الآن دراسة مستقلة مفصلة حول هذا الموضوع ولهذا قد تحققنا من الأسماء المذكورة اعتماداً على معلومات حصلنا عليها خلال هذه الدراسة.



محمد قدري بك (باشا) صاحب معجم "الدر المنتخب من لغات الفرنسيس والعثمانيين والعرب"

- محمد قدري باشا (١٨٢١ - ١٨٨٨م): ممن التحقوا بالمدرسة بعد عام ١٨٣٧. وهو من أب أناضولي وأم مصرية. واختاره الخديوي مربياً لولي عهده، وتولى وزارة الحقانية في وزارة شريف باشا الدستورية سنة ١٨٨١م على عهد الخديوي توفيق باشا، ثم وزيراً للمعارف في عهد وزارة شريف باشا الرابعة. وقد ألف عدداً من الكتب وخاصة في مجال الحقوق، ووضع معجماً سماه "الدر المنتخب من لغات الفرنسيس والعثمانيين والعرب" (١٨٧٥م) [٢٣].
- علي جيزه لى: وهو كما يبدو من اسمه نشأ في منطقة الجيزة جنوب القاهرة، ولا نعلم عن حياته شيئاً سوى أنه عمل بالتدريس في المدارس المصرية، وربما يكون

(٢٣) عبد الرحمن الرافعي، عصر اسماعيل، جـ ١، القاهرة: دار المعارف ١٩٨٢م/ ١٤٠٢هـ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

قد تعلم في مدرسة الألسن. وقام بترجمة كتاب من العربية إلى التركية باسم (ترجمة إفاضة الأذهان في رياضة الصبيان) (١٢٥٩هـ [١٨٤٣م])، وهو في الأصل كتاب في الرياضيات نقله رفاعة الطهطاوي من الفرنسية إلى العربية.

ويبدو من خلال هؤلاء الأشخاص الستة الذين تحدثنا عنهم أن الشخص الأخير وحده أي علي جيزه لى يختلف عن الآخرين في أن لغته الأم أو لغة ثقافته الأساسية ليست هي اللغة التركية، وأنه مصري من الأهالي المحليين. كما يبدو أنه تعلم اللغة التركية في المدرسة، وعمل كما سبق وأشرنا بعض الترجمات فيما بين اللغتين العربية والتركية، والفرق بينه وبين الآخرين هو أنه لم يكن يملك القدرة على الترجمة المباشرة من لغة أوربية ثالثة إلى اللغة التركية.

- غرفة الترجمة

لما زاد عدد المترجمين من الفرنسية إلى العربية ممن تخرجوا في مدرسة الألسن ظهرت الحاجة لجهاز يمكنه الإشراف والرقابة على صحة الترجمات التي قاموا بها. فلم يكن ممكناً الاكتفاء بمعرفة النحو والصرف للترجمة عن الفرنسية وخاصة كتب العلوم، فجرى داخل مدرسة الألسن وفي سنة ١٨٤١م (١٢٥٨هـ) تأسيس "غرفة ترجمة" تكون مكلفة بالرقابة والإشراف على أعمال الترجمة الجارية(٢٤). وكانت تتشكل تلك الغرفة من أربعة أقسام يعرف الواحد منها باسم قلم، ويقوم الأول بالترجمة في العلوم الرياضية والثاني في العلوم الطبية والطبيعية، والثالث في العلوم الاجتماعية والبشرية، أما القلم الرابع فقد اقتصر عمله على الترجمة التركية. والواضح من ذلك الترتيب أن الامكانيات لم تكن تسمح بعملية تخصص في الترجمة التركية كما هو الحال في اللغة العربية، وذلك لقلة عدد المترجمين فيها.

وعلى رأس كل قلم كان يجري تعيين شخص من ذوي الخبرة في مجاله، ويساعده شخص آخر فضلاً عن عدد معلوم من تلامذة مدرسة الألسن. وقد تم تعيين ميناس أفندي مترجم ديوان المدارس رئيساً للقلم التركي، ووُضع تحت إمرته أربعة من تلامذة مدرسة

---

(٢٤) للتعرف على غرفة الترجمة انظر: أحمد عزت عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٣٣٩ – ٣٤٤ وجمال الدين الشيال، المصدر السابق ، ص ٤٢ – ٤٤.

الألسن وأربعة كتبة للقيام بأعمال التبييض. وفي ولاية إبراهيم باشا التي لم تطل كثيراً أعيد تنظيم غرفة الترجمة من جديد بحيث تضم قلمين (العربي والتركي)، وعين الميرلوا كاني بك رئيس قلم التركي رئيساً على غرفة الترجمة في نفس الوقت، وطلب إبراهيم باشا تعيين المترجمين المقتدرين وتعيين المساعدين من الدوائر المختلفة في مصر للعمل في غرفة الترجمة[٢٥].

ولا شك أن الحيوية التي أتاحتها هاتان المؤسستان لحركة الترجمة كانت سبباً في الزيادة الملحوظة في عدد الكتب المترجمة إلى العربية والتركية. وهذا التطور الجديد قد استلزم ضرورة المراجعة والإشراف على تلك الترجمات التي يقوم بها المترجمون المتخرجون حديثاً من مدرسة الألسن. ولهذا قام محمد علي باشا بعد عامين من تشكيل غرفة الترجمة بتشكيل هيئة من ذوي الخبرة في ذلك الموضوع تضم سليمان باشا ومحمود بك وكاني بك وحكاكيان بك، فقامت بمراجعة ٦٧ كتاباً تمت ترجمتها إلى العربية والتركية ووافقت على طباعة ١٤ كتاباً منها.

٤- الترجمات عن اللغات الشرقية

يلاحظ خلال حركة الترجمة الواسعة في مصر أن جانباً من الترجمات المختلفة التي جرت بين التركية والعربية والفارسية التي تمثل اللغات الثلاث في التقاليد الأدبية العثمانية الكلاسيكية قد سبق طبعها في استانبول قبل ذلك. وبعض الترجمات التي جرت بين هذه اللغات الثلاث قد تم طبعه لأول مرة في مصر، بينما ظل البعض الآخر مخطوطاً دون طباعة.

وتحتل رسالة قوچي بك (قوچى بك رساله سى) مكانة متميزة بين الكتب المترجمة من التركية إلى العربية. وهذه الرسالة كتبها صاحبها للسلطان مراد الرابع حول أوضاع الدولة العثمانية، واللافت للنظر أن يطلب محمد علي باشا ترجمتها من التركية إلى العربية. وتولى الترجمة كاتب الديوان عبدالله أفندي عزيز بن خليل، وانتهى منها في عام

---

(٢٥) جريدة الوقائع المصرية، ٢٦ ذي القعدة ١٢٦٤ [٢٤ أكتوبر ١٨٤٨]، العدد ١٢٧.

١٨٢٥م[٢٦]. ولا بد أن هذه الترجمة أنجزت حتى يطلع عليها الرجال الذين يتحدثون العربية ضمن حاشية محمد علي باشا الذي لا يعرف العربية. وكونها ظلت مخطوطة دون طباعة إنما يؤكد أنها كانت معدة لكي تطلع عليها فئة محدودة من الملتفين حول الباشا ممن لا يعرفون اللغة التركية.

ونلاحظ أن رسالة قوچي بك في الوقت الذي كانت تترجم فيه إلى العربية في مصر ويجري تقديمها لمن يقرأون بالعربية كانت تجري ترجمة أخرى موازية لها في استانبول لكتاب آخر. وتلك الترجمة هي لكتاب التاريخ المعروف باسم (مظهر التقديس بخروج طائفة الفرنيس) الذي ألفه المؤرخ المصري المشهور عبد الرحمن الجبرتي (ت ١٨٢٥م) حول احتلال الفرنسيين لمصر وجلائهم عنها. فقد انتهى الجبرتي من كتابه في عام ١٢١٦هـ (١٨٠١ – ١٨٠٢م)، ثم أتحفه إلى الوزير العثماني يوسف باشا، فلما عاد الوزير إلى استانبول قدّمه إلى السلطان سليم الثالث. ونزولاً على رغبة السلطان جرت ترجمة الكتاب إلى التركية على يدي رئيس الأطباء (الحكيمباشى) مصطفى بهجت أفندي. أما الترجمة التي تولاها المترجم عاصم أفندي (ت ١٨١٩م) بعد ذلك فقد انتهت عام ١٢٣٥هـ (١٨١٩م) [٢٧].

وعدا هذه الترجمات التي أشرنا إليها بين العربية والتركية، توجد هناك ترجمات طبعت لأنها تخاطب كتلة عريضة من القراء، وتأتي في مقدمتها ترجمة كتاب إبراهيم الحلبي التي قام بها المترجم عاصم أفندي. وهذا الكتاب في السيرة النبوية، وخرجت ترجمته تحت عنوان (ترجمهٔ سير الحلبي)، وطبعت في مصر مرتين متتاليتين في عام ١٢٤٨هـ (١٨٣٣م) وعام ١٢٥١هـ (١٨٣٥ – ١٨٣٦م). وهناك كتاب هام ترجمه المترجم عاصم أفندي أيضاً من العربية إلى التركية، وطبعت الترجمة في مصر أيضاً، ألا وهو "الاوقيانوس البسيط في ترجمة القاموس المحيط" المعروف اختصاراً بترجمة

---

(٢٦) الشيال، المصدر السابق ، الملحق رقم ٥.

(٢٧) لقد اكتملت الترجمة التي قام بها مصطفى بهجت أفندى في عام ١٨٠٧، وطبعت في استانبول عام ١٢٨٢ [١٨٦٥] تحت عنوان (تاريخ مصر). أما ترجمة عاصم فقد انتهت عام ١٢٢٥هـ (١٨١٠ – ١٨١١م)، وتوجد منها نسختان في دار الكتب المصرية، الأولى تقع في ١٠٣ ورقات (٣٣ تاريخ تركي خليل أغا)، والثانية تقع في ١١٥ ورقة (٥٨ م تاريخ تركي).

القاموس. وقد ظهرت في استانبول أول طبعة (١٢٣٠-١٢٣٣هـ) (١٨١٥-١٨١٧م) لذلك المعجم الذي أتمه عاصم أفندي في خمس سنوات، ثم أرسلت نُسَخُهُ بأمر من السلطان محمود الثاني إلى مكتبات استانبول. أما طبعة مصر فقد خرجت في ثلاث مجلدات عام ١٢٥٠هـ (١٨٣٤م).

والكتاب القيم الثاني الذي طبع بعد هذا المعجم النفيس هو ترجمة تركية لـ "مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق" الذي ألفه محي الدين أحمد بن إبراهيم. وهذا الكتاب الذي وُضع في فضائل الجهاد وأحكامه قام بترجمته إلى التركية الشاعر العثماني الشهير باقي بأمر من الصدر الأعظم صقوللى محمد باشا عام ٩٧٥هـ (١٥٦٧م) تحت عنوان (فضائل الجهاد). ويبدو من المسح الذي قمنا به أن الترجمة التركية لهذا الكتاب طبعت في مصر وحدها سنة ١٢٥١هـ (١٨٣٥-١٨٣٦م)[٢٨]. وهناك كتاب آخر ترجم من العربية إلى التركية، وهو الذي ألفه أبو النجيب عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله في الأخلاق السياسية، وعرف باسم (نهج السلوك في سياسة الملوك)، وقام على ترجمته الشاعر العثماني نحيفي. وقد طبع ذلك الكتاب في مصر مرتين، عام ١٢٥٧٨هـ (١٨٤١م) وعام ١٢٧٢هـ (١٨٥٦م).

والملاحظ على الكتب المترجمة من العربية إلى التركية أن طباعتها تركزت في عهد محمد علي باشا، وأن الغالبية منها في الموضوعات الدينية. وأبرز تلك الكتب (ترجمة التبيان في تفسير القرآن) الذي هو ترجمة لكتاب "التبيان في تفسير القرآن"[٢٩] التي قام بها دباغ زاده محمد بن حمزة العينتابي التفسيري (ت ١٦٩٩م). وقد طبعت تلك الترجمة في مصر ست مرات خلال الفترة الواقعة بين ١٢٦٥ - ١٢٧٩هـ/ ١٨٤٠ - ١٨٦٣م. كذلك فإن كتاب (الدرر والغرر) الذي ظل لقرون مع كتاب (ملتقى الأبحر) مرجعاً فقهياً شبه رسمي للقضاة في الدولة العثمانية قد تُرجم إلى اللغة التركية في زمن السلطان محمد الثالث (١٥٩٥ - ١٦٠٣م) على يدي مترجم يدعى سليمان بن ولي الأنقروي. وقد طبعت

---

(٢٨) لم نستطع الوصول مع الأسف إلى نسخة تركية مطبوعة من ذلك الكتاب، وتوجد نسخة مخطوطة منه بخط المترجم في مكتبة ملت باستانبول. كما توجد نسخة مخطوطة منه أيضاً في دار الكتب المصرية (٥٦ فقه حنفي تركي قوله).

(٢٩) صاحبه خضر بن عبدالرحمن الأزدي الدمشقي (ت ٧٧٣هـ).

تلك الترجمة في مجلدين في مصر عام ١٢٥٨هـ (١٨٤٢م)، ثم لم تلبث أن طبعت في استانبول خلال نفس السنة. وطبع في السنة نفسها أيضاً كتاب (ترجمه° كتاب السواد الأعظم) في مصر، ثم أعقبته الترجمة التي تمت لـ (رسالة) خالد البغدادي التي قام بها الشريف أحمد بن علي وطبعت في عام ١٢٦٢هـ (١٨٤٦م) وعام ١٢٦٥هـ (١٨٤٩م). أما في عام ١٢٦٣هـ (١٨٤٧م) فقد طبعت في مصر الترجمة التي أعدها نوح بن مصطفى (ت ١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩ - ١٦٦٠م) لكتاب الشهرستاني المشهور باسم الملل والنحل.

ويلاحظ أن الوالي - إلى جانب مقدمة ابن خلدون التي تعد من أبرز كتب الثقافة الإسلامية في التاريخ وأمر بترجمتها حتى يطالعها أفراد عائلته - قد أمر أيضاً وبصورة خاصة أن تترجم إلى التركية بعض الكتب التي يتعلمون منها معارفهم الدينية الأساسية. فالمعروف - مثلاً - أن بعض الرسائل في الفقه الحنفي جرت ترجمتها في عام ١٨٤٥م(٣٠).

وإلى جانب الكتب المذكورة التي ترجم أغلبها من العربية إلى التركية لأجل الوالي نفسه وأبنائه وأحفاده ولم يصلنا من نسخها إلاّ العدد القليل يوجد أيضاً بعض الكتب التي جرت طباعتها بعد أن ترجمت من العربية إلى التركية. وكان القصد من طباعة ذلك النوع من الكتب هو أن تطلع عليها الفئة العريضة المحيطة بالوالي في مصر ممن يتحدثون اللغة التركية.

وأحد هذه الكتب هو الكتاب العربي (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) الذي يحكي المشاهدات والانطباعات التي سجلها عن أيامه في باريس العالم الشاب خريج الأزهر رفاعة الطهطاوي الذي كان الوالي قد أرسله إلى هناك ليكون إماماً ومرشداً على رأس الطلاب الموفدين. فقد طبع الأصل العربي للكتاب عام ١٨٣٤م، ثم طبعت ترجمته التركية في مصر عام ١٨٣٩م، وهي الترجمة التي قام بها رستم بسيم أفندي كاتب عرضحالات الوالي.

---

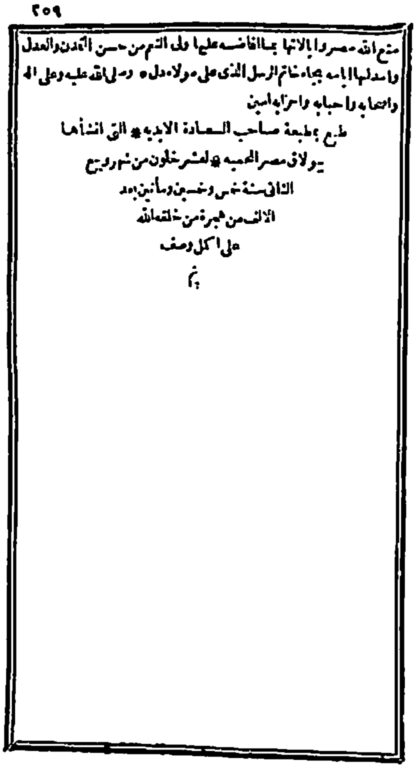
(٣٠) الشيال، المصدر السابق، الملاحق، ص ٥٠ نقلاً عن: سراي عابدين، ٧ صفر ١٢٥٦ (المحفظة ٢٠٩).



٢٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم



٢٥٩

متع الله مصر وابلاتها بما افاضه عليها ولى النعم من حسن التمدن والعدل
واسدلها الباسه بجاه خاتم الرسل الذى على مولاه دله وصلى الله عليه وعلى اله
واصحابه واحبابه واحزابه امين
طبع بمطبعة صاحب السعادة الابديه التى انشأها
ببولاق مصر المحميه لعشر خلون من شهر ربيع
الثانى سنة خمس وخمسين ومائتين بعد
الالف من هجرة من خلقه الله
على اكمل وصف
تم

الصحيفتان الأولى والأخيرة من الترجمة التركية التي قام بها رستم بسيم للكتاب العربي الذي وضعه رفاعة الطهطاوي بعنوان تخليص الابريز في تلخيص باريز (بولاق ١٢٥٥هـ [١٨٣٩م])

وهناك عدا ذلك قسم آخر من الكتب المترجمة من العربية إلى التركية، وهي في الأساس نصوص ترجمت أولاً من الفرنسية إلى العربية، ثم نقلت من العربية إلى التركية. فلم يكن في القاهرة عدد كافٍ من المترجمين القادرين على النقل من الفرنسية إلى التركية مباشرة كما أشرنا من قبل، بينما كان يوجد – على العكس من ذلك – مترجمون كثر يمكنهم الترجمة من تلك اللغة إلى العربية (ممن أوفدوا إلى أوربا وخريجو مدرسة الألسن)، فأتاح ذلك ترجمة تلك الكتب إلى اللغة العربية. ويبدو أن سهولة ترجمة الكتب إلى اللغة التركية على أيدي مترجمين أتراك يجيدون العربية ومترجمين مصريين تعلموا اللغة التركية هي التي جعلتهم يفضلون الطريق غير المباشر هذا.

وهناك بين الكتب المطبوعة في مصر كتابان تحققنا من ترجمتهما عن الفرنسية إلى العربية، ثم من العربية إلى التركية، وقام على تأليفهما بأمر من محمد علي باشا الطبيب الفرنسي انطوان كلوت (كلوت بك) [٣١] بقصد نشر المعارف العامة في الطب والصحة بين الأهالي، وإرشادهم إلى الوقاية من أمراض معينة. ثم جرت بعد ذلك ترجمتهما إلى العربية والتركية، وتم طبعهما. وأول هذين الكتابين هو (معالجه' أطفال) الذي هو ترجمة لكتاب *Maladie des Enfants*. وهذا الكتاب – في طب الأطفال – قد طُبع في مطبعة بولاق مع النص العربي في عام واحد، أي في سنة ١٢٦٠هـ (١٨٤٤م). أما الكتاب الثاني فهو بعنوان (ترجمة كتاب كنوز الصحة). وظهرت طبعته العربية عام ١٢٦٠هـ (١٨٤٤-٤٥)، بينما ظهرت الطبعة التركية عام ١٢٦١هـ (١٨٤٥م). وقام على ترجمتهما إلى التركية مصطفى رسمي الجركسي.

كما يوجد كتابان – من الكتب المترجمة على ذلك النحو – في مجال الرياضيات. أحدهما بعنوان (ترجمة إفاضة الأذهان في رياضة الصبيان)، وهو الذي ترجمه رفاعة الطهطاوي من الفرنسية إلى العربية ، ثم ترجمه علي جيزه لي إلى التركية، وطُبع النصان العربي والتركي معاً عام (١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م). والكتاب الثاني بعنوان (مبادئ هندسه) الذي ترجمه محمد عصمت إلى التركية عن الترجمة العربية التي قام بها الطهطاوي أيضاً. وكانت الطبعة الأولى منه عام ١٢٥٩هـ (١٨٤٣م)، والثانية عام ١٢٧٠هـ (١٨٥٤م)، و لكن بعد تدارك الأخطاء الواقعة في الطبعة الأولى وإدراج معجم في أوله. أما تاريخ الطبعة العربية فهو عام ١٢٥٨هـ (١٨٤٢م). وهناك كتاب آخر جرت ترجمته بنفس الطريقة، وهو كتاب تركي عربي، ترجمه يوسف فرعون في فن البيطرة من الفرنسية إلى العربية، ثم ترجم من العربية إلى التركية (قانوننامه' بيطارى)، وطبع عام ١٢٥٠هـ (١٨٣٤ – ١٨٣٥م)[٣٢]. أما الكتاب الأخير الذي جرت ترجمته

---

(٣١) عمل كلوت بك (١٧٩٣ – ١٨٦٨) طبيباً في مرسيليا، ثم استدعاه محمد علي باشا ليكون طبيباً له في مصر. وقد عمل كلوت بك ناظراً لمدرسة الطب التي أقيمت بالقرب من القاهرة، ولعب دوراً أساسياً في إقامة مؤسسات طبية تعليمية مختلفة في مصر. وقد اشتهر بمكافحته لوبائي الطاعون والكوليرا، وحصل بسبب ذلك على رتبة البكوية. وقد عاد إلى مرسيليا بعد وفاة محمد علي.

(٣٢) يقول الشيال إن يوسف فرعون هو الذي ترجم هذا الكتاب إلى اللغة التركية، ولكن يبدو من الاطلاع على سيرته أنه لم يكن يعرف اللغة التركية، ويبدو أنه ترجمه من الفرنسية إلى العربية.

بصورة مشابهة فهو كتاب (إيرماقلر ودره لرك استكشافنه دايردر) [أي حول استكشاف الأنهر والوديان] (١٢٧٦هـ) [١٨٥٩ – ٦٠] الذي هو ترجمة تركية للترجمة العربية التي قام بها محمد أفندي المرعشلي عن الفرنسية.

ويوجد بين الترجمات التي جرت من العربية إلى التركية أيضاً تقرير رسمي طبع في عام ١٢٦٦هـ (١٨٤٩ – ١٨٥٠م). وقد ذكرنا في موضع آخر أن اللغة التركية كانت هي اللغة الأولى في الحكم والإدارة، فكانت القرارات والتقارير الإدارية تكتب أولاً باللغة التركية، ثم تجري ترجمتها بعد ذلك إلى العربية. والتقرير الذي نتناوله هنا جاء عكس ذلك، إذ كُتب أولاً بالعربية ثم تُرجم إلى التركية وطُبع. وتلك حالة ناجمة عن قلة عدد القادرين على الترجمة من الفرنسية إلى التركية مباشرة. فقد تم إعداد ذلك التقرير حول الخدمات الصحية التي يتولى أمرها كلوت بك، ولا بد أنهم وجدوا من اليسير أن يترجم من الفرنسية إلى العربية أولاً، ومنها إلى التركية بعد ذلك.

ويلاحظ في خضم البيئة الثقافية النشطة التي تشكلت في مصر أن حركة الترجمة بين اللغات الشرقية كانت تتميز ببعض التجديدات تأثراً بالتقاليد العثمانية التي كانت تنتظم اللغات الثلاث. وأبرز الأمثلة على ذلك التجديد هو ترجمة كتاب (گلستان)، ذلك العمل الأدبي المشهور للشاعر الإيراني سعدي الشيرازي من الفارسية إلى العربية ثم طباعته. وقد قام بتلك الترجمة جبرائيل بن يوسف المخلع الكاتب السوري بالديوان الخديوي بثغر الاسكندرية. فقد رأى وهو يعمل بالديوان شيوع اللغة التركية وكثرة استخدامها فَقَرّ في نفسه أن يتعلمها بحكم وظيفته، ولما اكتشف الأهمية التي توليها الثقافة العثمانية للأدب الفارسي شرع أيضاً في تعلم الفارسية، ووثق بذلك صلته بالثقافة العثمانية ذات اللغات الثلاث. فلما شرع في مطالعة كتاب سعدي الشيرازي بالفارسية خلال تلك المسيرة التعليمية التي طوّرها على هواه تأثر بحلاوة الشعر الفارسي، حتى تمكن خلال مدة وجيزة من اللغة الفارسية بعد تمكنه من اللغة التركية، فأتم ترجمة الگلستان في شهر وبضعة أيام (٦ رمضان – ١٦ شوال ١٢٥٨هـ). وعلى ذلك النحو ظهرت الطبعة العربية الأولى من گلستان سعدي الشيرازي في مطبعة بولاق عام ١٢٦٣هـ

(١٨٤٦ - ١٨٤٧م)، وقام بها - كما أسلفنا - مترجم سوري مسيحي متأثراً بالتقاليد الثقافية العثمانية في استخدام اللغات الشرقية الثلاث[٣٣].

أما الكتاب الذي تُرجم من الفارسية إلى التركية وطبع في بولاق عام ١٨٤٥م تحت عنوان (ترجمهٔ قصيدهٔ سنگلاخ در مدح ازمير) فهو يمثل نموذجاً طريفاً في تراث الثقافة العثمانية الثلاثية اللغة.

٥- الترجمات عن اللغات الغربية

يلاحظ الباحثون نشاطاً كبيراً في الترجمة عن لغات الغرب في مصر في عهد محمد علي. والجانب الأكبر من تلك الترجمات هي الأعمال التي رأى المسئولون أنها تسهم في بناء جيش حديث، وتلبي الحاجة في شئون الحرب والتعليم التقني والفني. وهناك قسم من الكتب سواء كانت ترجمة أم تأليفاً وطُبعت آنذاك في المجال التقني العسكري - قد ظهرت طبعاتها الأولى في استانبول والطبعات الثانية في بولاق، مما يدل على أن استانبول كانت مصدر الإلهام في المراحل الأولى، وسمة بارزة لحركة التحديث في مصر. ومن الأمثلة على ذلك يمكننا أن نذكر كتابي حسين رفقي طماني معلم أول المهندسخانه البرية الهمايونية (تلخيص الأشكال) (استانبول ١٨٠١م والقاهرة ١٨٢٤م) و(مجموعة المهندسين) (استانبول ١٨٠٢م والقاهرة ١٨٢٥م)، وكتاب المعلم الأول إسحاق أفندي (مجموعهٔ علوم رياضيه) (استانبول ١٨٣١ -١٨٣٤م والقاهرة ١٨٤٥م)، وكتابي تروگه (أصول المعارف) (استانبول ١٧٨٨م والقاهرة ١٨٢٦م) و (رسالة في قوانين الملاحة) (استانبول ١٧٨٨م والقاهرة ١٨٢٦م).

وإلى جانب هذه الكتب المطبوعة أولاً في استانبول ثم في بولاق لتلبية الحاجات المحلية نجد أيضاً كتابين تم طبعهما في بولاق للمرة الأولى، ولم يطبعا في استانبول، على الرغم من أن صاحبهما شاني زاده أنجزهما في استانبول. والكتاب الأول منهما هو

---

(٣٣) طبعت النسخة الفارسية من الكلستان في بولاق ثماني مرات خلال الفترة الواقعة بين ١٨٢٧ - ١٨٧٣ (HSU, *a.g.t.*, no.104, s. 268-270.)

(وصايانامه° سفريه) الذي يضم نصائح ملك بروسيا فردريك الثاني إلى قواده[٣٤]. ولأن ذلك الكتاب هو أول ما طُبع في بولاق عام ١٨٢٢م ووصلنا عن مطبعتها (انظر الفصل المتعلق بذلك في هذه الدراسة) فمن الممكن أن يعطينا ولو لمحة أو فكرة عن ماهية مشاريع التحديث التي كانت تدور في رأس محمد علي باشا. أما الكتاب الثاني الذي طبع لشاني زاده في بولاق فهو قانون الجراحين (م. بولاق ١٨٢٨م)، وهو الكتاب الرابع ضمن مجموعة الخمسة كتب المعروفة بخمسة شانئ زاده في مجال الطب[٣٥]. وهناك مثال آخر على الكتب التي وُضِعت في استانبول ثم طُبعت للمرة الأولى في مصر، وهو كتاب الميكانيكا الذي ترجمه عن الفرنسية محمد نور الدين، وعُرف باسم (كتاب جر الأثقال) [٣٦].

وتمثل كتب التعليم والتدريب اللازمة للجيش جانباً مهماً من الكتب التي ترجمت ثم طبعت في مصر على أيام محمد علي باشا. وعدا النماذج التي أشرنا إليها سابقاً فإن قسماً كبيراً من الكتب اللازمة للتعليم العسكري قد جرت ترجمته في مصر عن اللغة الفرنسية، ثم أعد للطباعة وطبع استجابةً للحاجة المحلية. وأول تلك الكتب التي تضم قائمتنا العديد منها هو الكتاب الذي طُبع عام ١٨٢٣م وعُرف باسم (قانوننامه° عساكر پيادگان جهاديه). ويلاحظ بعد هذه الترجمة التي قام بها أحمد خليل أحد موظفي الباشا أن هذا النوع من

---

(٣٤) لم تطبع الترجمة التي قام بها شاني زاده لكتاب ملك بروسيا فردريك الثاني (١٧١٢ – ١٧٨٦) في استانبول، وإنما طبعت الترجمة التي قام بها أحمد رفيق (آلتيناي) للكتاب في استانبول عام ١٣١٦/ ١٩٠٠ تحت عنوان (بيوك فردريكك جنرالرينه تعليمات عسكريه سى).

(٣٥) مما تجدر الإشارة إليه أن محمد علي كان يقوم بالتعرف على الكتب التي تصلح له فيستجلبها من استانبول إلى القاهرة ويطبعها في بولاق. وللاطلاع على وثيقة مؤرخة في ١٩ سبتمبر ١٨٢٥ أرسلها إلى ممثله في استانبول صادق أفندي حول هذا الموضوع انظر الشيال، المصدر السابق ص ٤٧.

(٣٦) محمد نورالدين (ت ١٨٦٥) هو ابن يحيى ناجي (ت ١٨٢٤) أول مترجم مسلم عمل بالديوان الهمايوني باستانبول، وكان محمد نورالدين يعمل كاتباً في مهندسخانة استانبول وقام بعمل ترجمة تركية لكتاب الميكانيكا الذي وضعه آبه شارلس بوصو Abbé Charles Bossut (١٧٣٠ – ١٨١٤) وقد طبع هذا الكتاب في بولاق عام ١٨٣٤.

الكتب قد طبع بكثرة خلال الفترة الواقعة بين ١٨٢٣ - ١٨٦٨م[٣٧]. وهذه الكتب التي طبعت لتلبية الاحتياجات العاجلة وخاصة في السنوات الأولى في فنون الحرب والقتال إنما تحمل قيمة تاريخية كبيرة في هذا المجال، وإن كان البعض منها لم يصلنا مع الأسف.

وكان من بين الشخصيات الأولى التي دعمت عملية ترجمة الكتب العسكرية في مصر عثمان نور الدين باشا وأحمد خليل أفندي وإبراهيم أدهم بك وكاني باشا واسطفان رسمي أفندي. وهؤلاء الرجال هم الذين قاموا - بأوامر من محمد علي باشا أو من ابنه إبراهيم باشا - بترجمة أو بالإشراف على ترجمة الكتب التي تم اختيارها لتعليم الجيش في مصر من اللغات الأوربية إلى اللغة التركية، وهي الكتب التي نطلق عليها في هذه الدراسة تعبير "إنتاج محلي أو إنتاج مصري".

وعدا الترجمات التي أنجزت لسد الاحتياجات العسكرية وما يشبهها توجد أيضاً الترجمات التي تمت عن اللغات الأوربية في مجال التاريخ خاصةً، وهي تتميز بالتشعب ضمن حركة الترجمة الواسعة. وكان مؤرخ الأدب التركي إسماعيل حبيب ساوك هو أول من لفت الأنظار لتلك الحركة، وخرج لنا بالرأي التالي: "عندما ننظر في الترجمات التي أنجزت في النصف الأول من القرن التاسع عشر في مجالات التاريخ والفلسفة والأدب - ما عدا ترجمات العلوم - قبيل عهد التنظيمات [في تركيا] ندرك أن فن الترجمة ظهر أولاً في مجال التاريخ. والأمر الذي يلفت الأنظار أن فن الترجمة في التاريخ قد ظهر في مصر قبل ظهوره عندنا (يقصد استانبول). فقد أمر محمد علي باشا قبل تسع سنوات من إعلان التنظيمات عندنا بترجمة تاريخ روسيا في سنة ١٨٣٠م، وتاريخ إيطاليا في سنة ١٨٣٣، وتاريخ بونابرت في نفس السنة"[٣٨].

---

(٣٧) لم تظهر إلى الآن أي دراسة حول الكتب العسكرية التي ترجمت من الفرنسية بوجه عام، والقوائم التي أدرجناها في هذه الدراسة تظهر لأول مرة.

(٣٨) انظر: İsmail Habib Sevük, *Avrupa edebiyatı ve biz : Garpten tercümeler*, II, İstanbul : Remzi Kitabevi, 1941, s.599. إن تاريخ روسيا الذي تحدث عنه هنا اسماعيل حبيب هو نفسه تاريخ كاترينا، وكانت طبعته الأولى في بولاق عام ١٨٢٩، والثانية عام ١٨٣٠.

ومن الواجب علينا أن نتوقف قليلاً عند هذا الرأي، لأن القسم الخاص بتاريخ الغرب في الترجمات التي تمت في عهد محمد علي باشا عن اللغات الأوربية والتي سنتناولها بالتفصيل فيما يلي تشبه في كثير من الجوانب حركة الترجمة المنظمة التي سبق وجرت [في استانبول] بريادة الصدر الأعظم الداماد إبراهيم باشا في عهد السلطان أحمد الثالث. غير أن حركة الترجمة في مصر قد كشفت عن التجديد في أحد جوانبها. ومهما كانت الترجمات التي أنجزت خلال حركة إبراهيم باشا أقل عدداً من الترجمات التي أنجزت في عهد محمد علي باشا بعد قرن من الزمان فإن ذلك أيضاً راجع لأسباب سياسية. ونشهد إلى جانب الأعمال التاريخية المهمة التي ترجمت عن العربية والفارسية في استانبول خلال ثلاثينيات القرن الثامن عشر وجود كتابين جرت ترجمتهما عن اللغات الأوربية إلى اللغة التركية. وهذان الكتابان حول تاريخ النمسا وإيران جارتي للدولة العثمانية وخصميها في الوقت نفسه، وتُرجم الأول عن الألمانية بينما تُرجم الثاني عن اللاتينية، ويُعرف الأول باسم (نمچه تاريخي)، ويكشف عن معلومات مهمة حول تاريخ النمسا خلال الفترة الواقعة بين ٨٠٠ –١٦٦٢م والعلاقات العثمانية النمساوية. وقام على ترجمته عثمان بن أحمد بأمر من الصدر الأعظم إبراهيم باشا، ولا يزال مخطوطاً إلى اليوم(٣٩).

وكان الداماد إبراهيم باشا قد أمر أيضاً بترجمة كتاب المؤرخ الفارسي خواندمير المعروف باسم (حبيب السير) حول تاريخ إيران، فأمر هذه المرة بترجمة كتاب آخر إلى التركية حول تاريخ إيران ألفه باللاتينية جوداز تاتوز كروسينسكي. وهذا الكتاب قد ترجمه إبراهيم متفرقة، ويضم أحداث التاريخ الإيراني خلال الحقبة الواقعة بين ١٥٠٠ – ١٧٢٠م. وجعله إبراهيم متفرقة تحت عنوان (تاريخ سيّاح در بيان ظهور اغوانيان وسبب انهدام بناى دولت شاهان صفويان)، ثم طبعه في مطبعته عام ١٧٢٩م. وعدا هذا الكتاب لم يُطبع كتاب آخر قط من الكتب التي تُرجمت إلى التركية في عهد الصدر الأعظم

(٣٩) المخطوطة الوحيدة المعروفة لهذا الكتاب محفوظة في مكتبة كوبريلي ضمن مجموعة حاجي أحمد باشا رقم ٢٢٠.

إبراهيم باشا. في حين أن الكتب التي أمر بترجمتها محمد علي باشا إلى التركية عن اللغات الأوربية وحول تاريخ الدول الأوربية التي كانت في بؤرة اهتمامه لدوافع مشابهة قد طبعت كلها تقريباً كما سنرى فيما يلي. والجدير بالذكر أن وقوع مثل هذه الترجمات في استانبول قبل قرن من الزمان ثم عدم الإقبال على طباعتها – إلاّ ما ترجمه إبراهيم متفرقة نفسه – واستنساخ أكثر من نسخة منها تلبية لحاجة القراء إنما يلفت نظرنا إلى نقطتين ترتبط إحداهما بالأخرى، الأولى هي أن تلك الترجمات لم تكن موجهة لكتلة عريضة من القراء، وإنما كانت موجهة للسلطان والصدر الأعظم ومراجع اتخاذ القرار من النفر القليلين المحيطين به أو الأشخاص المعنيين بالموضوع. أما النقطة الثانية فهي أن عادة انتاج الكتاب المطبوع وعادة قراءته لم تكن قد سادت بعد، ولهذا كان على كل من يرغب في الاطلاع على تلك الكتب أن يقوم باستنساخها جرياً على العادة السائدة(٤٠).

وخلاصة القول إن حركة الترجمة التي قادها محمد علي باشا في مصر قد جرت تطبيقاً للتقاليد العثمانية السابقة، سواء فيما كان بين اللغات الشرقية أو عن اللغات الأوربية. ولكن الفارق المهم هنا هو أن أغلب الترجمات التي تمت في عهده لم تترك مخطوطة، بل جرت طباعتها وقدمت لكتلة أعرض من القراء. وهذا الحدث يكشف أن الحاكم أدرك أهمية الدور الذي تقوم به المطبعة في نشر المعلومة وتسجيلها، كما يكشف – على الجانب الآخر – أن هناك كتلة جديدة تشكلت من القراء الذين اعتادوا قراءة الكتاب المطبوع، فضلاً عن عادتهم في قراءة الكتاب المخطوط(٤١).

---

(٤٠) كان الصدر الأعظم الداماد إبراهيم باشا النوشهري قد قرأ تاريخ السلانيكي وأعجب به، وقام باستنساخ عدد من النسخ قدمها أولاً للسلطان أحمد الثالث ثم احتفظ لنفسه واحدة منها وقدم الأخريات للمقربين إليه، وذلك مثال واضح على ما ذهبنا إليه.

(٤١) تتمثل الفئات القارئة للكتاب المطبوع في مصر في طبقة الموظفين العاملين في خدمة الدولة على مختلف المستويات، وفي معلمي المكاتب الحديثة التي أقيمت والطلاب والخريجين بوجه عام. وحول تحول عادات القراءة من الكتاب المخطوط إلى الكتاب المطبوع انظر: Ekmeleddin İhsanoğlu, Hatice Aynur, "Yazmadan Basmaya geçiş: Osmanlı Basma kitap geleneğinin doğuşu (1729 – 1848) ", *Osmanlı Araştırmaları*, 22 (Prof. Dr. Nejat Göğünç Aramağanı 1, 2003, s. 219 – 255. .

وعند النظر إلى قسم كبير من الكتب التي ترجمت من اللغات الأوربية إلى التركية في مصر ثم طبعت نلاحظ – على ضوء الأحداث التي أشرنا إليها بإيجاز – أن الموضوع قد حظي بأهمية أكبر. وفي الوقت نفسه فإننا إذا وضعنا الأحداث السياسية لذلك العهد في الاعتبار فسوف يساعد ذلك على فهم الدوافع التي كانت وراء حركة الترجمة. فهنالك سلسلة من الأحداث بدأت بالقضاء على الأسطول المصري في موقعة نوارين عام ١٨٢٧م، ثم حصول اليونان على الاستقلال والحرب العثمانية الروسية (١٨٢٨ – ١٨٢٩م) والهزيمة الفادحة التي أسفرت عنها للعثمانيين، وتمرد محمد علي باشا على السلطان وتقدم الجيش المصري بقيادة ابنه إبراهيم باشا حتى مدينة كوتاهية ودعوة السلطان محمود الثاني الروس لمساعدته، وغير ذلك من الأحداث، مما دعا محمد علي باشا والمحيطين به للتعرف على تاريخ روسيا. ومن ثم كانت النتيجة أن ترجموا إلى التركية كتاباً في ذلك الموضوع تحت عنوان (قترينه تاريخى)، وطبع في مصر مرتين متتاليتين في عامي ١٨٢٩ و ١٨٣٠م.

وهذه الترجمة التي قام بها في استانبول جاكوفاكى أفندى (ياقوواكى) (١٧٧٦ – ١٨٥٠م) المترجم الأول في الديوان الهمايوني، وظلت مخطوطة لمدة، ثم طبعت في مصر للمرة الأولى، إنما تدلنا على أنهم شاءوا لهذا النوع من الكتب أن يخاطب قطاعاً أعرض من القراء. وكانت قد ظهرت تلك الترجمة استمراراً للحركة التي دشنها الصدر الأعظم إبراهيم باشا في عهد السلطان أحمد الثالث، ثم طبعت مع أعمال أخرى مشابهة في عهد محمد علي باشا، مما يدلنا كذلك على أن الغرض منها هو تثقيف وتعليم الفئة المحيطة به في مجال التاريخ الغربي. ويبدو أن هذا الكتاب قد وجد رواجاً في مصر بسبب الأحداث السياسية المختلفة، مثل هزيمة الدولة العثمانية أمام روسيا، واستعانة الباب العالي بالروس لمواجهة محمد علي في حربه ضد الدولة بعد ذلك.



بسم الله الرحمن الرحيم

سپاس حمد وثنا بالاشی والاشراق ذات اقدس منعم على الاطلاق

اما بعد باعث انطاق ترجمان قلم قاصر اللسان وسبب اطلاق زبان خامهٔ ركيك البيان
اولدر كه فن تاريخ اطلاع مزاياى زواياى عالمه اقدم وسائل واسباب اولوب
على الخصوص ممالك محروسة المسالك خاقانيه به مسامت وهمجوار ومؤيد من عندالله
اولان سلطنت سنيهٔ فلك دستگاه ايله گاه سلم وآشتى وگاه حرب ودرشتى اوزره اوقاتگذار
اوله گلش دول نصارادن نوبنو عكس انداز مرآت ظهور ونقش صحايف ايام ودهور اولان
صور رنگارنگك حادثاتى مشتمل بعض تواريخ وآثارك اعيان دولت واركان سلطنت
حقلرنده تتبع واستصحابى (بيت) عارفان بايد نكه دارند شرط حزم را * پيشتر از دوستان
دانند حال دشمنان * مغزاسنجه اقتضاى مدارج وجوبه ملحق وقسارای مقاصد لزومه
مرتقى اولديغى وارستهٔ قيد بيان اولمغله بوندن اقدم اصحاب وقوفدن برذات باهر الحيثيت
معالى منقبت تواريخ افرنجيه دن روسيه دولتنك احوالنى متضمن برجلد مختصره نك
لسان لطافترسان تركيه نقل وترجمه سى خصوصى برمقتضاى تقدير ممتنع التغيير
نهانخانهٔ مأمورهٔ كتابى وعزلتده زاويه گزين احتقار اولان بوعبد عاجز كم بضاعه يه
سپارش وحواله بيورد قلرنده بالوجوه عدم اقتدار ولياقتمى بيان ايله هرچند بسط
مقدمات اعتذاره جسارت ايتمش ايسه م دخى (شعر) فاعمل باحسن ماقدرت فجد به *
من اهل احسان الورى تحسينا * خطابيله درجهٔ وسع واقتدار عاجزانه م مرتبه ده بذل
سعى واهتمام اولنمق مطلوب ايدوكى على وجه التأكيد والتكرار افاده بيورلمغين
بوندن اقدم اوتوز بش سنه مقدارى قرار كبر مسندلى حكومت اولان ايلخى * قترينه نام
روسيه ايمپراطوريچه سنك وقتنى فرانسز عباره سنده ضبط وتحرير ايدن قستره نام كسنه نك

تاليف

الصحيفة الأولى من كتاب تاريخ كاترينا (بولاق ١٢٤٤هـ [١٨٢٩م])

وهذا الكتاب الذي أخذ اسم تاريخ كاترينا هو ترجمة لكتاب كان يتصدر الكتب الأكثر مبيعاً في أوربا آنذاك، وألفه بالفرنسية جان هنري قستيرا (١٧٤٩ – ١٨٣٨م) تحت عنوان: *Histoire de Catherine II, İmpératrice de Russie*، وجرت ترجمته إلى الانجليزية والألمانية والفلمنكية والدنماركية. والترجمة التركية التي قام بها جاكوفاكى أفندي لم تكن – في رأي جوهان شتراوس – مجرد ترجمة بسيطة فحسب، وإنما قام المترجم باختصار الأصل إلى حد كبير، وجعله على قسمين. وتأتي الفصول الخاصة بالجغرافيا والحكومة والمؤسسات وتغيير السلطة وغيرها مما يعني القارئ العثماني بصفة خاصة في القسم الثاني الذي يتحدث عن الامبراطورية الروسية. وكان المترجم يعلم جيداً أبرز الفروق بين الدولتين العثمانية والروسية، وبذل جهداً كبيراً في جعل الكتاب لا يجرح مشاعر القارئ العثماني. وقضت الضرورة بتفسير العديد من المصطلحات التي يجهلها القارئ، ففسرها المترجم بالعديد من الحواشي، بل والإضافات على النص نفسه. وتم اللجوء إلى أسلوب حديث نسبياً، إذ جرى إدراج تلك المصطلحات في كشاف وُضع في صدر الكتاب المطبوع.

ويتناول فصل التاريخ السياسي ازدهار الامبراطورية الروسية في القرن الثامن عشر، واعتلاء القيصر ألكساندر الأول سدة الحكم (١٨٠١م). و يذكر المترجم أنه استفاد في أثناء الترجمة من المصادر الغربية الأخرى أو "الكتب الافرنجية" على حد تعبيره. ويمكننا أن نتصور المصاعب العديدة التي تجشمها المترجم في اللغة والمحتوى على السواء، إذ يُعد هذا الكتاب أول ترجمة لعمل واسع كُتب حول تاريخ أوربا. ولكن كانت النتيجة أن ظهر كتاب يستهوي القارئ ويجذب انتباهه. وكان ياقوواكي أفندي وهو يقوم بالترجمة يستهدف – بحسب ما ذهب إليه شتراوس وفصّل القول فيه – القارئ العثماني المعني في الأساس بالتاريخ السياسي، ولذلك استبعد من الترجمة فصولاً عدة من كتاب قستيرا، مثل المكانة التي حازها عشاق كاترينا ثم ضياع تلك المكانة. كما لم يدرج المترجم في ترجمته النجاحات التي حققتها الامبراطورة في المجال الثقافي. وأشار – من ناحية أخرى – إلى

الأخطاء في كتابة الأسماء التركية والفارسية والتترية الواردة في النص الأصلي وقام بتصحيحها، بل وعرض أفكاراً نقدية في بعض المواضع. ولا يتحدث قستيرا بروح عدائية تجاه العثمانيين، فيصبح من الطبيعي أيضاً أن يذكر بعض الفقرات التي تمتدحهم. إذ يؤكد مثلاً على تمسك العثمانيين بالمواثيق ووفائهم بالعهود. وكان للأسلوب البديعي الذي استخدمه المترجم أثره في التخفيف من وطأة الفقرات الواردة في الكتاب حول حالة الفوضى والضعف التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية. ولفت جاكوفاكي أفندي الأنظار إلى الإصلاحات التي قام بها بطرس الأكبر، وكان واضحاً أن هناك العديد من أوجه الشبه في المشاكل التي أعاقت الإصلاح في كل من روسيا القيصرية والدولة العثمانية: فهناك الجنود حملة البنادق (strelitizes) المتمردون، وهنا جنود الإنكشارية. وكان تحديث الجيش والأسطول هو الهدف الأول من الاصلاحات لدى بطرس الأكبر من ناحية والسلطان سليم الثالث ومن بعده السلطان محمود الثاني من ناحية أخرى. ويبدو بشكل جازم أن رجال الدولة العثمانية الذين طلبوا انجاز تلك الترجمة كانوا يتحركون بإيعاز من السلطان. ولهذا السبب يُعد تاريخ جاكوفاكي أفندي "كتاباً للعبر" من جانبين: أحدهما أنه يصور بأسلوب بليغ ما هي "المؤسسات التي تدهورت وما هي قوانينها" في الغرب، والثاني أنه يساعد القارئ الفطن حتى يفهم أن أغلب ما ورد في الكتاب يشكل درساً للدولة العثمانية(٤٢).

وهذه الترجمة التي أُنجزت في استانبول كما أسلفنا بإيجاز قد ظلت مخطوطة جرياً على التقاليد القديمة، لكنها طبعت في مصر بأمر من والِيها النشط حتى يطلع عليها رجاله وعلى رأسهم ابنه إبراهيم باشا. وقد طبع ذلك الكتاب في مصر مرتين بفاصل عام واحد بين الطبعتين حتى يطّلع العديد من الأشخاص عليه، ويتعلموا تاريخ روسيا، بعد أن نهضت كقوة عسكرية كبرى، وحققت بنجاح حركة التحديث التي بدأتها.

---

(٤٢) انظر: Johann Strauss, "The Millets and the Ottoman language: the contribution of Ottoman Greeks to Ottoman letters (19th – 20th centuries)", *Die Welt Des Islams* XXXV/2 (1995). p. 201-202.

أما الكتاب الثاني الذي ترجم من الفرنسية إلى التركية وطبع في مصر حول تاريخ أوربا فهو الذي قيل إن نابليون كتبه بنفسه عندما كان منفياً في جزيرة سانت هيلانة وأرسله للطباعة في أوربا[٤٣]. وقد قام على ترجمته حسن رضا أفندي، وطبع في بولاق عام ١٨٣١م. واستنتج جوهان شتراوس أن هذا الكتاب الذي قيل إنه قصة حياة نابليون التي كتبها في سانت هيلانة ثم قُدِّم للقراء هو كتاب مزيف، إذ كتبه مهندس زراعي يدعى فردريك لولان دو شاتوفييه (١٧٧٢ – ١٨٤١م) لتزكية وقت فراغه، ونجح في تلفيق حكاياته في لحظات إلهام. ثم تجاسر بإرساله إلى لندن عام ١٨١٧م، وهناك جرى نشره على الفور "بعد وصوله بشكل غير معلوم عن طريق سانت هيلانة". فلما وصلت نسخة منه إلى يد نابليون وهو في منفاه أعلن احتجاجه، ولكن هذه الاحتجاجات ذهبت سدى[٤٤]. وظهرت الطبعة التركية من هذا الكتاب مرة أخرى في بولاق عام ١٨٤٤م[٤٥].

وهناك كتاب تركي آخر طبع في مصر حول تاريخ أوربا، وهو المعروف باسم (تاريخ إيطاليا) الذي أعد اعتماداً على كتاب كـــارلو بوتا Botta وظهرت طبعته الأولى عام ١٨٢٤م تحت عنوان *Storia d'Italia del 1789 al 1814*. وطُبع تاريخ إيطاليا التركي في الاسكندرية عام ١٨٣٣م. وكان محمد علي معجباً بعبقرية نابليون العسكرية، وموقناً هو وابنه إبراهيم أن المعلومات المفصلة عن حملاته وتكتيكاته الحربية سوف تكون مفيدة إلى حدٍ كبير في تثقيف ضباط الجيش المصري. ومن ثم كان القسم المترجم من ذلك الكتاب هو القسم الذي يضم في الأساس تلك الفصول المتعلقة بحروب نابليون. وقد قام بالترجمة التركية حسن أفندي. وفي نفس السنة التي طُبعت فيها تلك الترجمة (١٨٣٣م) عن كتاب بوتا نلاحظ ظهور ترجمة أخرى لكتاب آخر وُضع عن نابليون أيضاً، وهو كتاب الدوق دى روفيجو Duc de Rovigo المعروف بعنوان *Mémoires*

(٤٣) اسم الكتاب بالعثمانية: (أفريقا جزايرندن سانتا ألن نام جزيره دن واصل اولوب اول طرفده جزيره بند اولان بوناپرته نك سرگذشتي شامل فرنسوي العباره بر قطعه رساله سنك خلاصه، ترجمه سيدر كه بوناپرته نك كنديسى طرفندن تحرير اولنوب بر تقريبله توارد ايتمشدر). وقد طبع ذلك الكتاب مرة أخرى عام ١٨٤٤ تحت عنوان (كتاب تاريخ بوناپرته).

(٤٤) انظر: J. Strauss, "Turkish translations...", p. 116.

(٤٥) للمقارنة بين الترجمتين انظر: J. Strauss, "Turkish translations...", p 130 - 132.

du Duc de Rovigo (الطبعة الأولى ١٨٢٣م). والأحد عشر فصلاً التي تُرجمت عن هذا الكتاب تتعلق جميعها بحملة نابليون على مصر. وقام بها أيضاً حسن أفندي، ثم طبعت في الاسكندرية تحت عنوان (تاريخ نابليون بونابرته) (١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م).

ويشكل كتاب الاسكندر (تاريخ اسكندر بن فيلبوس) الذي طُبع عام ١٨٣٨م نموذجاً خاصاً، إذ جرت ترجمته عن مصدر كلاسيكي يختلف عما تناولناه من قبل. وهو كتاب ألفه فلافيوس اريانوس النيكوميدي Flavious Arrianus (٩٦ – ١٨٠ بعد الميلاد)، ولا يزال من أهم المصادر المتاحة في أيدينا حول الاسكندر الأكبر[٤٦]. ومن ناحية أخرى فإن الاسكندر في العديد من كتب السير والمناقب الإسلامية وفي التقاليد الغربية (في العصور الوسطى) يبدو شخصية ميثولوجية، ولأجل هذا لا تتكشف صورته واضحة المعالم في تلك المصادر. وينسحب الأمر نفسه – مثلما هو الحال في كتب التاريخ – على الأعمال الأدبية مثل كتاب الأحلام (خوابنامه) المشهور الذي كتبه الشاعر العثماني وَيْسي (١٥٦٧ – ١٦٢٨م) راوياً فيه رؤياه عن السلطان أحمد الأول والإسكندر الأكبر، والذي طبع في مصر في نفس الفترة (١٨٣٦م). ومن ثم لا يكون من قبيل المصادفة أن تطبع تلك الترجمة عن الاسكندر بعد الشعور بالحاجة إلى مصدر تاريخي موثوق.

وكان كتاب "حملات الاسكندر"(*Anabasis Alexandrou*) عملاً جذاباً عند محمد علي باشا، مثلما كان عند أسلافه من حكام المسلمين. وقد تبين أن السلطان العثماني محمد الثاني (١٤٣٢ – ١٤٨١م) وكان شغوفاً ببطولات الاسكندر الأكبر. إذ تقول مصادر ذلك العهد إنه طالع كثيراً نسخة من ذلك الكتاب كانت محفوظة في مكتبة سراي طوپ قاپى. ويبدو أن محمد علي هو الآخر كان يتخيل في نفسه وجهاً للشبه مع الاسكندر. إذ يقول رفاعة الطهطاوي – الذي كان معجباً بالوالي وسماه "المقدوني الثاني" – إن محمد علي كان يشعر باللذة من قراءة حياة الاسكندر. فقد كانت رواية أريان منصبة على الجانب العسكري في حملاته، وصورّها بشكل دقيق، وهو أمر لا بد أنه من تجارب أريان

(٤٦) انظر: Michael Grant, *Greek and Latin authors*, New York. H.W. Wilson Co. 1980, p. 53 vd.

وخبراته العسكرية. كما يبدو – إلى جانب كل ذلك – أن وصف مصر والمناطق الأخرى التي يعرفها قد جذب إليه حاكم مصر(٤٧).

وعلى الرغم من عدم ذكر اسم المترجم فالواضح أن الترجمة التركية لكتاب حملات الاسكندر قام بها عالم عثماني يوناني الأصل كان مشهوراً في ذلك الزمان، يدعى جورج راسيس George Rhasis (ولعله من الجزر اليونانية في غرب اليونان). وراسيس في الوقت نفسه هو مؤلف معجم فرنسي عثماني طبع باللغتين في سانت بترسبورج عام ١٨٢٨م، ومؤلف كتاب في النحو الفرنسي طبع بالعثمانية في استانبول عام ١٨٣٨م(٤٨).

وبعد وفاة محمد علي ومن قبله ابنه إبراهيم تباطأت حركة الترجمة إلى اللغة التركية من اللغات الغربية كما حدث في أمور أخرى كثيرة. ولكن يجب علينا الوقوف قليلاً عند كتابين يمثلان أوائل الكتب التركية في موضوعيهما، الأول هو تاريخ أمريكا (أمريقا تاريخى) الذي طبع عام ١٨٥٨م، والثاني في التاريخ القديم بعنوان (ترجمه٬ مختصر تاريخ قديم) حول الحضارة اليونانية وطبع عام ١٨٦٤م. فكتاب تاريخ أمريكا الذي وضعه ويليام روبرتسون تحت عنوان *History of America* قد ترجمه من الانجليزية إلى التركية علي رضا أفندي في عهد الوالي سعيد باشا، وطُبعت منه طبعة أخرى في استانبول عام ١٨٨٠م وكانت أول الكتب التركية التي قدمت معلومات في هذا الموضوع للمتحدثين باللغة التركية. أما الكتاب الثاني الذي طُبع عام ١٨٦٤م حول تاريخ اليونان القديم فقد قام على ترجمته من الفرنسية إلى التركية أحمد راسخ أفندي أحد العاملين في جريدة الوقائع المصرية على أيام الخديوي إسماعيل. وهذا الكتاب لم يتم التحقق بعد من لغته الأصلية، وجرت ترجمته لكي يدرسه الطلاب الذين يعرفون التركية في المكاتب المختلفة ويتعلمون منه ما يتعلمه الطلاب في أوربا حول تاريخ اليونان، ثم جرى طبع مقدار خمسمائة نسخة منه في مطبعة بولاق.

(٤٧) انظر: J. Strauss, "Turkish translations...", p. 117-118.

(٤٨) حول جورج راسيس انظر: J. Strauss, "The Millets...", p. 203-206.

ونشهد بين الترجمات التي طُبعت في مصر بعضَ الكتب التي تُرجمت من الفرنسية إلى التركية بصورة غير مباشرة. وهي الكتب التي تناولناها قبل ذلك تحت عنوان (ترجمات عن اللغات الشرقية)، فقد جرت ترجمتها من الفرنسية إلى العربية أولاً، ثم تُرجمت من العربية إلى التركية بعد ذلك.


تاريخ اسكندر بن فيلبوس

الصحيفتان الأولى والثانية من كتاب تاريخ اسكندر بن فيلبوس المطبوع في بولاق ١٢٥٤هـ (١٨٣٨م)



الكتاب الذي قيل إن نابليون كتبه عندما كان منفياً في إحدى جزر أفريقيا" آفريقا جزايرندن سانته النه نام جزيره دن واصل اولوب اولطرفده جزيره بند اولان بوناپارطه نك سركذشتني شامل فرانسوي العبارة بر قطعه رساله نك خلاصه" ترجمه سيدركه بوناپارطه نك كندوسى طرفندن تحرير اولنوب بو تقريبله توارد ايتمشدر"



كتاب "تاريخ آمريقا" الذي هو ترجمة تركية لكتاب وليام روبرتسون بعنوان:

History of America (١٢٧٤هـ/ ١٨٥٨م)

ثامناً
نظرة عامة على الكتب التركية المطبوعة في مصر[1]

كان أول كتاب بالحروف التركية ظهر في مصر هو – كما ذكرنا في فصل تاريخ الطباعة – كتاب *Alphabet arabe, Turk et persan a l'usage* الذي طبع سنة ١٢١٣هـ/ ١٧٨٩م في المطبعة التي أقامها نابليون إبان حملته الفرنسية. بينما كان آخر كتاب تركي استطعنا التحقق منه أثناء هذه الدراسة ديوان (صولغون برگل) "وردة ذابلة" للمرحوم الدكتور مجيب المصري قد طبع سنة ١٩٩٧م. فقد تحققنا من طباعة ٥٣٤ كتاباً تركياً في مصر ظهرت في ٦٧١ طبعة على مدى ١٩٩ عاماً تقع بين ١٧٩٨ – ١٩٩٧م[2]. ويوجد بينها كتب عديدة طبعت منها طبعات كثيرة مثل كتاب تحفة وهبي (تحفهء وهبي).

وإذا نظرنا إلى الكتب التركية المطبوعة في مصر بصفة عامة فإننا سنرى أن هناك فترتين تشكلان مرحلتين أساسيتين ارتفع فيهما عدد الكتب المطبوعة، والمرحلة الأولى في عهد محمد علي باشا (١٨٠٥ – ١٨٤٨م)، والثانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ – ١٩٠٩م). والواضح عند النظر إلى الكتب المطبوعة خلال هاتين المرحلتين من حيث الهدف من طباعتها أن هناك اختلافاً كبيراً بينهما، فالكتب المطبوعة في عهد محمد علي باشا هي الكتب التي تخدم النظام الرسمي المصري وبناءه آنذاك وتدعم

---

(١) هناك ٤٤ مدخلاً لم يجر التأكد بعد من اللغة التي طبعت بها، وذلك بسبب عدم التحقق بشكل قاطع من طباعتها وإن كان بعض المصادر قد ذكر طباعتها في مصر، أو بسبب عدم رؤية أية نسخة من نسخها. ولأجل هذا لم ندرجها ضمن قائمة الكتب التركية، وإنما جعلنا لها قائمة خاصة، كما لم نخضعها في عملية التقييم التي خضعت لها الكتب الأخرى.

(٢) وإلى جانب ظهور المطبوعات التركية (العثمانية) المكتوبة بالحرف العربي في مصر ظهرت أيضاً مطبوعات تركية بالحرف الأرمني. وتلك المطبوعات التي رأينا نماذجها الأولى في مطلع القرن العشرين كان أغلبها في الحكايات الشعبية والنصوص الدينية، بينما جاء بعضها في الملاحم واللوائح التنظيمية والتاريخ والمعاجم. وأكثر ما يلفت الأنظار في تلك المطبوعات في اعتقادنا هو تلك الرسالة التي ظهرت سنة ١٩٠٢م وجاءت في ٢٣ صحيفة تحت عنوان (شرق مسأله سى وآنك حلى ابله بتون عالم انسانيت ايچون حصوله كله جك ثمره) أي المسألة الشرقية والخير الذي سيحصل لكل البشرية من وراء حلها. كما رأينا إلى جانب تلك الكتب التركية المكتوبة بالحرف الأرمني عدداً من الصحف والجرائد. انظر حول هذه المطبوعات: Hasmik A. Stepanyan, *Ermeni harfli Türkçe kitaplar bibliyoğrafyası*, Erivan 1985 وانظر أيضاً لنفس المؤلف: *Ermeni harfli Türkçe kitaplar ve süreli yayınlar bibliyoğrafyası (1727- 1968)*, İstanbul: Turkuaz Yayınları 2005.

حركات الإصلاح الجارية وتلبي الاحتياجات الثقافية للأتراك المقيمين هناك. وبالإضافة إلى ذلك فإن الكتب المطبوعة في مصر قد صارت – بوجه عام – مصدراً لانتاج جديد يغذي سوق الكتاب التركي إلى جانب مطابع استانبول، واتجهت إلى تركيا العثمانية وبوجه عام إلى سوق الكتاب فيها. أما الكتب المطبوعة في المرحلة الثانية فهي الكتب التي أصدرتها جماعة تركيا الفتاة ورجالها المعارضين للسلطان عبد الحميد والمقيمين في مصر ولا سيما حول الوضع السياسي آنذاك ومناهضتهم لسياسته.

وإذا قسّمنا الكتب التركية المطبوعة في مصر إلى مراحل على عشر سنوات ونظرنا إلى النسبة المئوية في مجموعها فسوف نلحظ أن العدد الأكبر منها تم طبعه خلال سنوات ١٨٣٢ – ١٨٤١م. وهذا الرقم يمثل نسبة ٢٠% من مجموع الكتب تقريباً.

١ – مطبعة بولاق ومحمد علي باشا[٣]

لم يطبع باللغة التركية في مصر قبل قيام مطبعة بولاق سوى كتابين اثنين. وأول هذين الكتابين المطبوعين في المطبعة التي جاء بها الفرنسيون عند احتلالهم لمصر هو عبارة عن قائمة تضم الأحرف المستخدمة في المطبعة. ولهذا السبب يمكننا اعتبار الكتاب الثاني الذي طبع عام ١٨٠٠م حول محاكمة سليمان الحلبي الذي اغتال القائد الفرنسي كليبر وعُرف باسم (فرانچه سرگرده لرندن قله بر اسميله مشهور سرگرده نك قاتلى اولان سليمان نام حلبي حقنده وقوع بولان فحص وتفتيش وحكم شرعي حاوي أوراقك مجمعيدر) هو أول كتاب طبع بالتركية في مصر.

وكانت فعاليات طباعة الكتب عند العثمانيين قد بدأت مع إقامة مطبعة إبراهيم متفرقة في استانبول (١٧٢٩م)، وزاد عددها إلى ثلاث مطابع كانت تطبع الكتب بالحرف العربي في عاصمة الخلافة حتى سنة ١٨٢٢م، وهي السنة التي أقيمت فيها المطبعة في بولاق بالقرب من القاهرة[٤]. ولكن عناية محمد علي باشا بفن الطباعة إثر تأسيس المطبعة في مصر ساعدت على زيادة عدد الكتب التركية المطبوعة إلى حدٍ كبير، حتى بلغ عددها

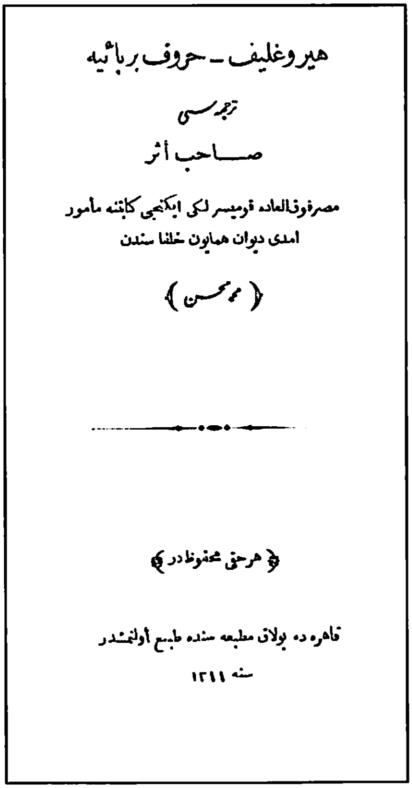
(٣) لمعلومات مفصلة حول طباعة الكتب التركية في مصر وموضوع الطباعة انظر: الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(٤) يبلغ مجموع الكتب التركية والعربية والفارسية والفرنسية التي طُبعت في مطابع استانبول حتى تأسيس مطبعة بولاق ١١٢ كتاباً. فإذا أضفنا إلى هذا العدد ثلاثة كتب تركية أخرى طبعت في مطبعة السفارة الفرنسية خلال عامي ١٧٨٦ – ١٧٨٧م يكون المجموع ١١٥ كتاباً. وطبع منها ٢٤ كتاباً في مطبعة إبراهيم متفرقة، و ١٦ كتاباً في مطبعة المهندسخانة، و ٧٢ كتاباً في مطبعة اوسكودار.

٢٥٣ كتاباً تركياً مطبوعاً في مطبعة بولاق منذ تأسيسها وحتى وفاة محمد علي باشا (١٨٢٢ – ١٨٤٨م). وكان أول كتاب تركي طبعته وفاتحة انتاجها من الكتب بوجه عام كتاب عُرف باسم (وصايا نامهٔ سفريه). أما آخر الكتب التركية التي تحققنا من طباعتها في مطبعة بولاق فهو كتاب في اللغة الهيروغليفية (هيروغليف حروف بربائيه ترجمه سى) الذي أعده باندرمالى زاده محمد محسن وطبع في سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م.


١١٣

دلالات لغتيه	محصول تركيب	معناسى	قرائتى


هيروغليف – حروف بربائيه

ترجمه سى

صاحب أثر

مصرفوق العاده قوميسرلكى ايكنجى كاتبنه مأمور

امدى ديوان همايون خلفا سندن

(محمد محسن)

﴿ هر حقى محفوظ در ﴾

قاهره ده بولاق مطبعه سنده طبع أولنمشدر

سنه ١٣١١

كتاب "هيروغليف – حروف بربائية ترجمه سى"، وهو آخر كتاب تركي تأكدنا من طباعته في بولاق سنة ١٣١١هـ (١٨٩٣م)

وتتبوأ مطبعة بولاق فيما بين المطابع التي قامت بطبع الكتب التركية مكانة متميزة في ذلك المجال في مصر، سواء كان من حيث العدد أم كان من حيث الجودة وخصائص الطبـاعة. وقد تحققنا من طباعة ٣٧١ كتاباً بالتركية في مطبعة بولاق منذ السنة التي أسـست فيها (١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م) حتى سـنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م، وهو التاريخ الذي طبع

فيه آخر كتاب تركي[٥]. وقامت المطبعة إلى جانب اللغة التركية بطبع العديد من الكتب العربية وبعض الكتب الفارسية، لكننا لم نتعرض لها، فهي تخرج عن موضوعنا في هذه الدراسة. وقد قدّم لنا الباحث هستّو معلومات عن الكتب المطبوعة خلال الثلاثين عاماً الأولى بعد إقامة تلك المطبعة (١٨٢٢ – ١٨٥١م)، فقال إن هناك ٥٧٠ كتاباً طُبعت في مصر خلال تلك المدة، وإن ٥٢٦ منها طبعت في مطبعة بولاق. كما يذكر أن ٢٥٩ كتاباً من مجموع الكتب العام جاء باللغة التركية، بينما جاء منها ٢٥٥ كتاباً بالعربية، و ١٤ كتاباً بالفارسية، أما الكتب التي لم يتحقق من اللغة المكتوبة بها فيبلغ عددها ٤٢ كتاباً. كما يُذكر في نفس هذه الدراسة أن مجموع الكتب المطبوعة ٥٧٠ كتاباً، منها ٢٥٩ كتاباً بالتركية، و٢٥٥ كتاباً بالعربية، و١٤ كتاباً بالفارسية. أما الكتب التي تعسر التحقق من لغاتها فهي ٤٢ كتاباً. وقد استطعنا نحن في دراستنا هذه أن نتحقق من طباعة ما مجموعه ٢٩٢ كتاباً بالتركية ظهرت في الأعوام الثلاثين الأولى من إقامة مطبعة بولاق في مصر، ووضعت تلك الكتب في ٢١٣ مدخلاً مختلفاً[٦].

والقدر الذي تمثله الكتب التركية المطبوعة في عهد محمد علي باشا ضمن المجموع العام للكتب التي طبعتها المطبعة هو بلا شك دلالة واضحة على مدى الأهمية التي حظيت بها المطبعة في ذلك العهد. وتلك الكتب المطبوعة هي الكتب التي كانت تغذي حركات الإصلاح الجارية، وتخدم النظام الحديث الذي سعى الباشا لإقامته في مصر، وتلبي الاحتياجات الثقافية للأتراك المقيمين هناك، وتعينهم على أداء الخدمات التي كانوا يقومون بها. وفوق هذا كانت الكتب المطبوعة في مصر بوجه عام وكما سيبدو فيما بعد مصدر انتاج جديد يغذي سوق الكتاب التركي في استانبول إلى جانب ما كانت تنتجه مطابعها.

(٥) لا يوجد تاريخ طبع فوق ١١ كتاباً تركياً من الكتب التي طبعتها مطبعة بولاق.

(٦) يدخل ضمن هذا العدد كافة الكتب التركية التي طبعت في مصر خلال تلك المدة.

أ- الكتب المطبوعة في بولاق إبان عهد محمد علي باشا

ذكرنا أن عدد الكتب التركية التي طبعت في مطبعة بولاق في عهد محمد علي باشا بلغ ٢٥٣ كتاباً. وكانت أعدادها على النحو التالي بحسب موضوعاتها:

٦٦	في الشئون العسكرية
٥٧	في الأدب
٥١	في الدين الإسلامي
٢٠	في اللغة
١١	في التاريخ
١٢	في الرياضيات
١٢	في شئون الحكم والإدارة
٣	موسوعات
٥	في الطب
٣	في الصيدلة
٣	في الزراعة
٢	في الفلك
٢	في التراجم
٢	في الجغرافيا
٢	فهارس
١	في الأخلاق السياسية
١	في الطب البيطري
المجموع	٢٥٣

والواضح كما نرى أن الكتب التي طبعتها مطبعة بولاق في عهد محمد علي باشا تلفت الأنظار في تنوع موضوعاتها. وهذا التنوع هو نتيجة للعناية الخاصة التي حظيت بها المطبعة من محمد علي باشا والمعنيين بإدارتها كما ذكرنا سابقاً، ويرتبط الأمر كذلك بطباعة كتبٍ مست إليها الحاجة آنذاك.

فالكتب العسكرية كما نرى تحتل مكانة خاصة بين الكتب التركية المطبوعة آنذاك، وجميعها تقريباً مترجمة عن لغات أجنبية. والمعروف أن قسماً كبيراً من تلك الكتب جرت ترجمته من الفرنسية ولا سيما في عهد محمد علي باشا(٧)، فقد كان الباشا – كما ذكرنا في الفصول السابقة – يُعنى عناية كبيرة بترجمتها. ونظراً لأن القسم الأكبر من تلك الكتب لا يحمل اسم من قام بالترجمة فليس من السهل دائماً أن نتعرف على الشخص الذي تولى الترجمة، وإن كان المعروف كما سبق وأسلفنا أن هناك بعض الأشخاص ممن قاموا بعدد كبير من الترجمات مثل أحمد خليل وعثمان نور الدين وغيرهما ممن كانوا بين الدفعات الأولى من الطلاب الذين أوفدهم محمد علي باشا إلى أوربا للدراسة هناك اعتباراً من سنة ١٨٠٩م. كما أن تلك الكتب المترجمة في الشئون العسكرية قد طُبعت في مصر وحدها وتكررت طبعاتها هناك على مدى فترات قصيرة. ولم يكن لها طبعات أخرى كبقية الكتب في استانبول.

وتمثل كتب الأدب أيضاً قدراً كبيراً بين الكتب المطبوعة في عهد محمد علي باشا في بولاق، فهناك ٥٧ كتاباً في الأدب، منها ٢٨ ديواناً تركياً طبعت بشكل يفوق طبعات استانبول جمالاً وتنظيماً. فهذه الدواوين التركية المطبوعة خلال مرحلة تبلغ عشر سنوات (١٨٣٦ – ١٨٤٦م) قد خرجت علينا بأجمل النماذج التي تبرز انعكاس جمال الكتاب المخطوط وتقاليده على الكتاب المطبوع. ونرى بين كتب الأدب الأخرى المطبوعة عدداً من كتب القصص والحكايات التي تُرجمت من اللغة الفارسية مثل: (قصه٬ أبو علي سينا وأبو الحارث) و (طوطي نامه) و (كتاب همايوننامه). وقد طبع الثاني ثلاث مرات (١٨٣٧، ١٨٣٨، ١٨٣٩ – ١٨٤٠م)، بينما طبع الثالث مرتين في مطبعة بولاق (١٨٣٥، ١٨٣٨م).

---

(٧) أربعة وستون من كتب العسكرية المطبوعة في عهد محمد علي باشا هي من الكتب المترجمة، طبع ثمانية وخمسون كتابا منها في بولاق.

أما الكتب الدينية التي طبعت في عهد محمد علي باشا فقد بلغ عددها ٥١ كتاباً، جاء القسم الأكبر منها في الفقه (٢٠ كتاباً). ونرى من بينها كتباً مدرسية كان يجري تدريسها في المدارس، مثل (علم حال) و (در يكتا) و (شرح الوصية المحمدية)، وتم خلال تلك الفترة طبع شرح الوصية في مطبعة بولاق خمس مرات، وطبع كتابا (علم حال) و (در يكتا) أربع مرات. ثم تأتي بعد كتب الفقه كتب التصوف (٩ كتب) وكتب السير (٦ كتب). كما طُبعت عدا هذه الكتب وفي نفس الفترة كتبٌ أخرى في التفسير والأدعية والوعظ والعقائد والأخلاق.

ونرى غير ذلك كتباً في اللغة والنحو طبعت لأجل تعليم التركية والعربية والفارسية في مصر، وتحتل مكاناً مهماً بين سائر الكتب. فهناك عشرون كتاباً في اللغة والنحو طبعت في عهد محمد علي باشا، وهو ما يدل أوضح دلالة على ذلك. وهناك كتاب (تحفه° وهبي) التركي الفارسي الذي كان مستخدماً في تعليم الفارسية، وطباعته في مصر ست مرات إنما كان لأن الفارسية في عهد محمد علي كانت درساً إجبارياً في المدارس (طبع هذا الكتاب ثلاث مرات أخرى بعد عهد محمد علي).

وكان عام ١٢٥٤هـ (١٨٣٨ – ١٨٣٩م) هو أكثر الأعوام طباعةً للكتب التركية في مطبعة بولاق، فقد طَبَعَتْ في تلك السنة وحدها عشرين كتاباً تركياً، ثمانية منها في الأدب، وأربعة في الشئون العسكرية، وأربعة في في اللغة، وثلاثة في الدين الإسلامي، وواحد في التاريخ. وكانت مطبعة بولاق قد طبعت قبل هذا التاريخ وبالتحديد في سنة ١٢٥٢هـ (١٨٣٦ – ١٨٣٧م) عدداً آخر كبيراً من الكتب التركية (١٨ كتاباً)، أما في سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤٠ – ١٨٤١م) فقد طبعت ١٧ كتاباً، أي أن هذه التواريخ الثلاثة هي أكثر السنوات التي أخرجت فيها مطبعة بولاق كتباً تركية في عهد محمد علي باشا. وفيما يلي توزيع الكتب المطبوعة في بولاق حسب سنة الطبع:

١٢٣٨هـ (١٨٢٢-٢٣م)	٢
١٢٣٩هـ (١٨٢٣-٢٤م)	٤
١٢٤٠هـ (١٨٢٤-٢٥م)	٦

١٢٤١هـ (١٨٢٥-٢٦م)	٣
١٢٤٢هـ (١٨٢٦-٢٧م)	٩
١٢٤٣هـ(١٨٢٧-٢٨م)	٣
١٢٤٤هـ (١٨٢٨-٢٩م)	٣
خلال ١٢٤٥-١٢٤٧هـ (١٨٣٠-٤٢م)(*)	٢
١٢٤٥هـ (١٨٣٠م)	٨
١٢٤٦هـ (١٨٣٠-٣١م)	٧
قبل ١٢٤٦هـ (*)	١
خلال ١٢٤٦ - ١٢٥٨هـ (١٨٣٠-٤٢م)(*)	١
١٢٤٧هـ (١٨٣١م)	٤
١٢٤٨هـ (١٨٣٢-٣٣م)	١٣
١٢٤٩هـ (١٨٣٣-٣٤م)	٤
١٢٥٠هـ (١٨٣٤-٣٥م)	٦
١٢٥١هـ (١٨٣٥-٣٦م)	١٢
خلال ١٢٥٢-٥٤هـ (١٨٣٦ - ١٨٣٨م)(*)	١
١٢٥٢هـ (١٨٣٦-٣٧م)	١٨
١٢٥٣هـ (١٨٣٧م)	١٢
١٢٥٤هـ ١٨٣٨-٣٩م)	٢٠
١٢٥٥هـ (١٨٣٩-٤٠م)	١٦
١٢٥٦هـ (١٨٤٠-٤١م)	١٧
قبل ١٢٥٧هـ(*)	١
١٢٥٧هـ (١٨٤١-٤٢م)	١٥

١٢٥٨هـ (١٨٤٢-٤٣م)	١٠
١٢٥٩هـ (١٨٤٣م)	٨
قبل ١٢٦٠هـ(*)	٢
١٢٦٠هـ (١٨٤٤م)	١٣
١٢٦١هـ (١٨٤٥م)	٩
قبل ١٢٦٢هـ(*)	٢
١٢٦٢هـ (١٨٤٥-٤٦م)	٧
١٢٦٣هـ (١٨٤٧م)	٢
١٢٦٤هـ (١٨٤٧-٤٨م)	١١
قبل ١٢٦٤ (١٨٤٨م)	١

وكان هناك مطبعتان أخريان في عهد محمد علي باشا تقومان بطباعة الكتب التركية، هما مطبعتا سراي الإسكندرية وديوان الجهادية. فقد قامت الأولى بطباعة أربعة منها (بالإضافة إلى شرح ديوان حافظ لسودي - ١٢٥٠هـ [١٨٣٤م] الذي بدأت في طباعته لكنها لم تكتمل إلاّ في مطبعة بولاق)، بينما قامت مطبعة ديوان الجهادية بطبع تسعة كتب تركية أخرى.

ب- طباعة الكتاب التركي بعد محمد علي باشا في بولاق

يلاحظ بعد وفاة محمد علي باشا أن هناك انخفاضاً كبيراً في عدد الكتب التي طبعتها مطبعة بولاق. فقد بدأت المطبعة تفقد أهميتها، وانحسرت طباعة الكتب المدرسية التركية نتيجة التغييرات التي حدثت في مجال التعليم، وبالتالي تضاءلت أعداد الكتب التركية المطبوعة. وهناك عامل آخر أدى إلى ذلك، ألا وهو عدد المطابع الخاصة التي أخذت في

(*) لم نستطع الاطلاع على بعض تلك الكتب ولم نجد تاريخاً للطباعة على البعض الأخر، ولهذا اعتمدنا على فهارس مطبعة بولاق وعلى المصادر الأخرى لوضع هذه التواريخ التقريبية.

الزيادة بعد عام ١٨٥٩م. غير أن تلك المطابع لم تبلغ رغم الزيادة في عددها ما بلغته مطبعة بولاق في طباعة الكتب التركية في عهد محمد علي باشا.

وها هو جدول توزيع الكتب التركية التي طبعتها مطبعة بولاق بعد عهد محمد علي باشا موزعة حسب ترتيب السنين:

١٢٦٥هـ (١٨٤٩م)	١٣
١٢٦٦هـ	٨
خلال ١٢٦٦-١٢٧٣هـ[٨]	١
١٢٦٧هـ	٥
١٢٦٨هـ	٤
١٢٦٩هـ	٧
١٢٧٠هـ	٤
١٢٧١هـ	٥
١٢٧٢هـ	٤
١٢٧٣هـ	١
١٢٧٤هـ	٣
١٢٧٥هـ	٣
١٢٧٦هـ	٣
١٢٧٩هـ	٥
١٢٨٠هـ	٢
١٢٨١هـ	٢
١٢٨٢هـ	٥
١٢٨٣هـ	٣
١٢٨٥هـ	١
١٢٨٦هـ	١

(٨) انظر الهامش السابق.

١٢٨٧هـ	٢
١٢٨٨هـ	١
١٢٩٠هـ	١
١٢٩١هـ	١
١٢٩٢هـ	١
١٢٩٣هـ	١
١٢٩٤هـ	٢
١٢٩٦هـ	١
١٣٠٠هـ [١٨٨٢-٨٣م]	١٠
١٣٠١هـ	١
١٣٠٢هـ	١
١٣٠٣هـ	١
١٣٠٤هـ	٢
١٣٠٩هـ	٢
١٣١١هـ (١٨٩٣م)	١
المجموع	١٠٨

وإثر الضائقة الاقتصادية التي تعرضت لها مطبعة بولاق تم بيعها في سنة ١٨٦٢م إلى عبد الرحمن رشدي بك، وعُرفت مدة وجودها القصيرة في يده (عامان وأربعة أشهر) باسم "مطبعة عبد الرحمن رشدي" (مطبعهٔ عبد الرحمن رشدى)، ثم عاد الخديوي اسماعيل واستعادها منه سنة ١٨٦٥م. وقد استطعنا التحقق من أنها طبعت ثلاثة كتب تركية خلال تلك الفترة، وهي: (شرح الصلوة المشيشية) (١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢ - ١٨٦٣م)، و (إنشاي جديد) (١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م)، و (معرفتنامه) ١٢٨٠هـ [١٨٦٣م].

وفي عام ١٨٨٠م ازداد الاهتمام بمطبعة بولاق في أول عهد الخديوي توفيق، فقد استردت الحكومة ملكية المطبعة بعد أن كان والده قد جعلها من الأملاك الخاصة أي الدائرة السنية. ففي أعقاب هذا التاريخ مباشرة، أي في سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٢ - ١٨٨٣م) وقعت

زيادة في عدد الكتب المطبوعة، إذ أخرجت مطبعة بولاق خلال تلك السنة عشرة كتب تركية. غير أن هذه الزيادة كانت بمثابة الوهج الأخير قبل أن ينفد زيت القنديل.

ورغم انحسار عدد الكتب التي طبعتها مطبعة بولاق عقب وفاة محمد علي باشا إلاّ أن طباعة الكتاب التركي استمرت وإن كان بأعداد قليلة في المطابع المختلفة التي أقيمت آنذاك. فلم يبلغ عدد الكتب التركية التي طبعتها في مصر مطابع وادي النيل والمهندسخانة والمدارس المصرية أكثر من ٥٧ كتاباً حتى عام ١٨٩٥م الذي بدأ فيه ظهور مطبوعات جماعة تركيا الفتاة[٩].

٢- الكتب المطبوعة في مصر إبان عهد السلطان عبد الحميد الثاني

كان من الملحوظ إبان عهد السلطان عبد الحميد أن عدد الكتب التركية المطبوعة في مصر قد تزايد بعض الشئ. وكان السبب الأساسي وراء ذلك هو أن عدداً كبيراً من المعارضين الفارين من استانبول قد توجهوا إلى مصر حيث يمكنهم هناك إصدار أعمالهم المناهضة لسياسته وممارسة نشاطهم في مناخ أكثر ملاءمة. وكان وجود المناخ الملائم لممارسة أعمال النشر في مصر الواقعة تحت احتلال الانجليز قد لعب دوراً مهماً في مضاعفة تلك الأعمال. وكان رجال تركيا الفتاة يرسلون تلك الكتب التي طبعوها في مطابع أقاموها هناك مثل مطبعتي اجتهاد وعثمانلى إلى مدينة استانبول ومدن أوربا المختلفة، وقاموا اعتباراً من عام ١٨٩٥م بإصدار العديد من الكتب والصحف في مصر. وكان من بين تلك الكتب أيضاً أعمال رجال تركيا الفتاة وكبار الرواد منهم من أمثال عبد الله جودت وطونه لى حلمي وأحمد صائب والبرنس صباح الدين وغيرهم، وكان القسم الأكبر منها من النوع الجدلي الذي ينطوي على هجوم شديد على السلطان عبد الحميد، بينما كان القسم الآخر من النوع الذي كشف عن المنازعات والحزازات المتفشية فيما بين رجال تركيا الفتاة أنفسهم. وقد استمرت طباعة ذلك النوع من الكتب حتى إعلان المشروطية (الدستور)، بينما بدأ المعارضون لجمعية الاتحاد والترقي في نشر أعمالهم في مصر بعد ذلك.

(٩) يدخل في هذا العدد الكتب التركية المطبوعة في ذلك التاريخ ولكن مطبعتها غير معلومة، وكذلك الكتب التي طبعتها مطبعة بولاق عندما كانت في ملكية عبد الرحمن رشدي بك.

وفي الفصول التالية من هذا الكتاب سوف يجري جمع الكتب التركية التي تحققنا من طباعتها في مصر تحت عناوين عامة بقصد تقويمها والتعرف عليها بإيجاز.

٣- كتب دينية

تحتل الكتب الدينية مكانة بارزة من حيث عددها وتنوع موضوعاتها بين الكتب التركية التي طبعت في مصر. فبعد كتاب (علم حال) الذي تحدثنا عنه ضمن الكتب المدرسية وطبع سنة ١٨٢٤م يأتي الكتاب الديني التركي الثاني، وهو (شرح الوصية المحمدية) على كتاب البركوي المعروف باسم (وصيتنامه).

وبعد هذين الكتابين ظهر كتاب مهم آخر طبع في مصر هو (شرح الموقوفاتي) على كتاب إبراهيم الحلبي (ت ٩٥٦هـ / ١٥٤٩م) المعروف باسم ملتقى الأبحر. وهو مصدر أساسي في الفقه الحنفي طالما رجع إليه القضاة والمفتون في العالم العثماني، كما كان يجري تدريسه لطلبة العلم في المدارس الشرعية. وقد طبع الشرح الذي كتبه محمد الموقوفاتي (ت ١٦٥٤ – ١٦٥٥م) له ثلاث مرات في مصر (الطبعتان الأولى والثانية في سنة ١٢٤٥هـ [١٨٣٨م] وسنة ١٢٥٦هـ [١٨٤١م]، أما الثالثة فهي لا تحمل تاريخاً).

أما كتاب الدرر والغرر – الذي هو بمثابة المصدر الجامع في الفقه شبه الرسمي في الدولة العثمانية لسنوات طويلة مع ملتقى الأبحر – فقد جرت ترجمته إلى التركية في زمن السلطان محمد الثالث (١٥٩٥ – ١٦٠٣م) على يدي رجل يدعى سليمان بن ولي الأنقروي. وطبعت تلك الترجمة في مطبعة بولاق في مجلدين سنة ١٢٥٨هـ (١٨٤٢م)، كما طبعت في استانبول في نفس السنة.

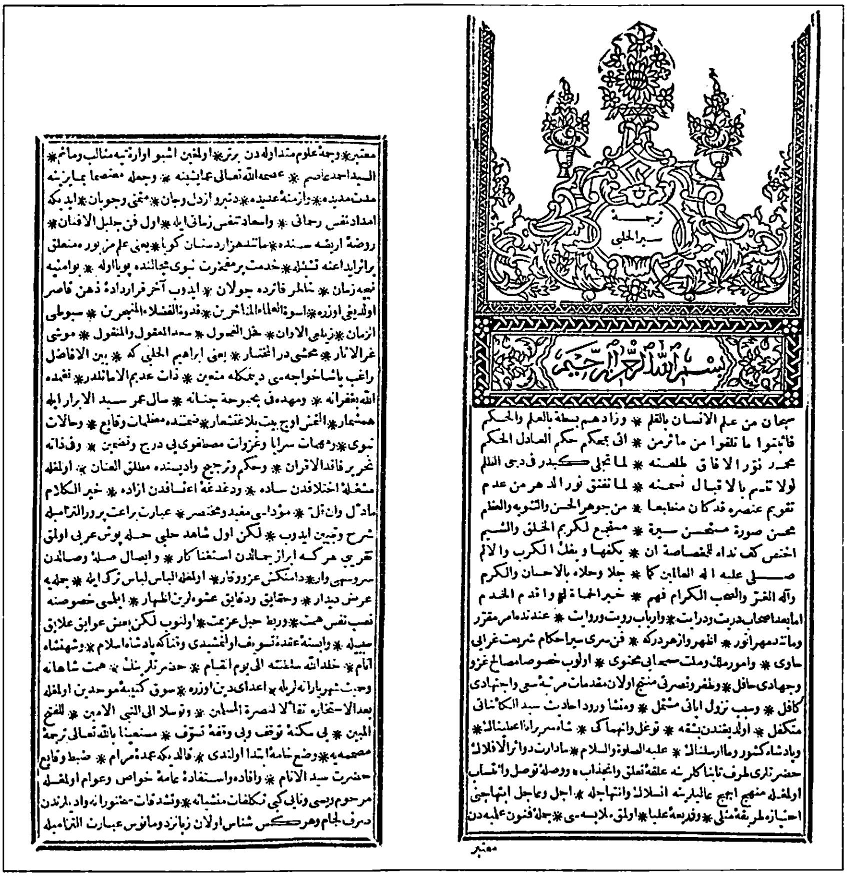
وقد ظهرت عدا ذلك كتب فقهية أخرى في مصر؛ فهناك كتاب (فتاوای علي أفندي) الذي يضم فتاوى شيخ الإسلام چتالجه لى علي أفندي (ت ١١٠٣هـ / ١٦٩٢م)، وهي ٤٤١٢ فتوى تتعلق بالحياة اليومية أو الموضوعات الجدلية في الوسط الديني بالدولة العثمانية. وقد طبع الكتاب أكثر من عشر مرات في استانبول خلال سنوات ١٢٤٥ – ١٢٥٨هـ، ثم طبع مرة في بولاق سنة ١٢٥٧هـ (١٨٤١ – ١٨٤٢م). وهناك أيضاً كتاب العقائد التركي المعروف باسم (تحفة الشاهان) الذي ألفه أبو البقاء الكفوي (ت ١٠٩٥هـ/ ١٦٨٤م)[١٠] الذي اشتهر أكثر بكتابه (الكليات). وقد طبعت التحفة في بولاق في سنة

(١٠) Hulusi Kılıç, "Ebu'l-Bekâ el-Kefevi", *DİA*, c.X, s.298.

١٢٦٤هـ (١٨٤٨م) مع كتاب باسم (معاملات رساله سى) لمن يدعى دارنده لى حمزة أفندي. ويمكننا أن نذكر أيضاً من الكتب الدينية كتاباً طبع في بولاق سنة ١٢٦٥هـ وعرف باسم (مفتاح الجنة، كتاب علم حال مزراقلى)، وهو يقع في ١١٤ صحيفة وطُبع على هامشه ثلاثة كتب تركية أخرى، هي: (جواهر الإسلام) (ص ١ – ٢٥)، و (رساله ٔ صوفيه) (ص ٢٦ – ٢٩)، و (أدعيه ٔ أبو السعود) (ص ٣٠ – ٦١). ويُعد كتاب يوسف الصديق بك الجركسي المعروف باسم (كتاب الزكاة) الذي طبع في مطبعة هندية في مصر سنة ١٩٢١م هو آخر الأمثلة على ذلك النوع من الكتب. وهو يضم تقاريظ لمحمود شكري باشا، ولعضو المجلس العلمي للمحكمة الشرعية ومدرس الطلبة الأتراك في الجامع الأزهر الشيخ راشد أفندي الجركسي، ولعضو مجلس المعارف محمد ذهني أفندي الآستانه لي.

كما تحتل كتب السيرة النبوية مكانة متميزة إلى جانب كتب الفقه والكتب الدينية الأخرى. وأقدم الكتب المطبوعة في مصر منها الكتاب المشهور باسم (سير ويسي) الذي وَضَعَه ويسي (ت ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٨م)، والاسم الأصلي له هو (درة التاج في سيرة صاحب المعراج)، وهو أول كتاب تم تأليفه بالتركية في السيرة النبوية. وقد طبع في بولاق لأول مرة سنة ١٢٤٥هـ (١٨٣٠م)، ثم طبع في استانبول بعد نحو أربعين سنة. وكان الشاعر نابي قد كتب له ذيلاً بعد سنتين (١٢٤٨هـ) [١٨٣٢م] من تأليف ويسي له، وطبع الذيل في بولاق.

وفي نفس السنة (١٢٤٨هـ/ ١٨٣٣م) طُبعت في مصر الترجمة التي قام بها المترجم عاصم (ت ١٨١٩م) للسيرة التي كتبها إبراهيم الحلبي وعُرفت باسم (ترجمه ٔ سير الحلبي)، ثم لم تلبث أن طبعت مرة أخرى هناك سنة ١٢٥١هـ (١٨٣٥ – ١٨٣٦م). وبعد مدة وجيزة من ذلك التاريخ أيضاً تم طبع (كتاب شرح شمائل) الذي هو شرح لكتاب شمائل النبي أو الشمائل النبوية الذي ألفه الإمام الترمذي (١٢٥٤هـ) [١٨٣٨ – ١٨٣٩م]. ثم تلا ذلك طبع كتاب مهم آخر في السيرة النبوية في سنة ١٢٥٧هـ (١٨٤١م) في مصر، وهو (شرح الشفا) الذي هو ترجمة وشرح لكتاب القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) والمعروف باسم (الشفا في تعريف حقوق المصطفى). وقام بإعداده إبراهيم حنيف أفندي، وعُرف كذلك باسم (خلاصة الوفا في شرح الشفا) أو (شفاء شريف ترجمه سى).



الصحيفتان الأولى والثانية من نسخة بولاق ١٢٤٨هـ [١٨٣٣م] لكتاب "ترجمه سير حلبى"
وهو الترجمة التركية التي قام بها المترجم عاصم لسير ابراهيم الحلبي

أما كتاب (دلائل نبوت محمدي وشمائل فتوت أحمدي) الذي هو ترجمة لكتاب فارسي كتبه منلا مسكين في تاريخ الأنبياء وحياة محمد (صلى الله عليه وسلم) بعنوان (معارج النبوة في مدارج الفتوة) فقد جرى طبعه أولاً في استانبول في سنة ١٢٥٧هـ، ثم ظهرت له بعد ذلك أيضاً طبعات أخرى. بينما كانت طبعة بولاق في سنة ١٢٧١هـ (١٨٥٥م). ويُذكر من الكتب المطبوعة في مصر أيضاً كتاب ألفه المدرس يوسف شكري بن عثمان خربوطي (ت ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م) صاحب رموز التوحيد (بولاق ١٢٨٧هـ [١٨٧٠م]) وهو (سلسلهٔ صفا لمحمد مصطفى) الذي تحدث فيه عن نسب النبي محمد (صلى الله عليه

وسلم). وقد طبع ذلك الكتاب أولاً في استانبول، ثم طبع في بولاق بعد ذلك مرة واحدة في سنة ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م). ثم كان الكتاب الأخير الذي طبع في ذلك الموضوع في مصر، وهو كتاب محمد شمس الدين المصري الذي ظهر في سنة ١٩٢٤م[١١] تحت عنوان (مسار شمس المصري في المولد المحمدي).

أما في مجال التفسير فتخرج علينا الترجمة التي قام بها دباغ زاده العينتابي (ت ١٦٩٩م) تحت عنوان (ترجمة التبيان في تفسير القرآن) باعتبارها أكثر التفاسير التركية رواجاً. فقد ظهرت طبعتها الأولى في مجلدين سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م)، ثم لم تلبث أن أعقبتها ست طبعات أخرى في مطبعة بولاق حتى سنة ١٢٧٩هـ (١٨٦٣م). أما الطبعة الأولى لذلك التفسير في استانبول فلم تظهر إلاّ في سنة ١٨٦٦م[١٢]. وهناك تفسير آخر طبع في مصر، ألاَ وهو (كتاب التفسير الجمالي على التنزيل الجلالي) الذي هو ترجمة تركية لترجمة فارسية باسم (فتح الرحمن) قام بها شاه ولي الله بن شاه عبد الرحيم الهندي الدهلوي لتفسير الجلالين. وقد طبعت تلك الترجمة التركية في أربعة مجلدات بمطبعة بولاق سنة ١٢٩٤هـ (١٨٧٧م) [١٣].

وحظي موضوع التصوف هو الآخر بنصيب كبير من النصوص التركية في مصر، ويأتي في مقدمتها شرح لفصوص الحكم التي ألفها محي الدين بن عربي وجاءت من أمهات كتب التصوف. وقد قام بهذا الشرح الشيخ عبد الله البوسنوي (١٥٨٤ – ١٦٤٤م)، وتم طبعه تحت عنوان (شرح فصوص الحكم) في سنة ١٢٥٢هـ (١٨٣٧م)، أما طبعة استانبول فقد ظهرت سنة ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م).

وكان الشرح الذي كتبه الشيخ اسماعيل الأنقروي (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) للمثنوي – كتاب التصوف المشهور الذي نظمه مولانا جلال الدين الرومي – قد طبع سنة ١٢٥١هـ

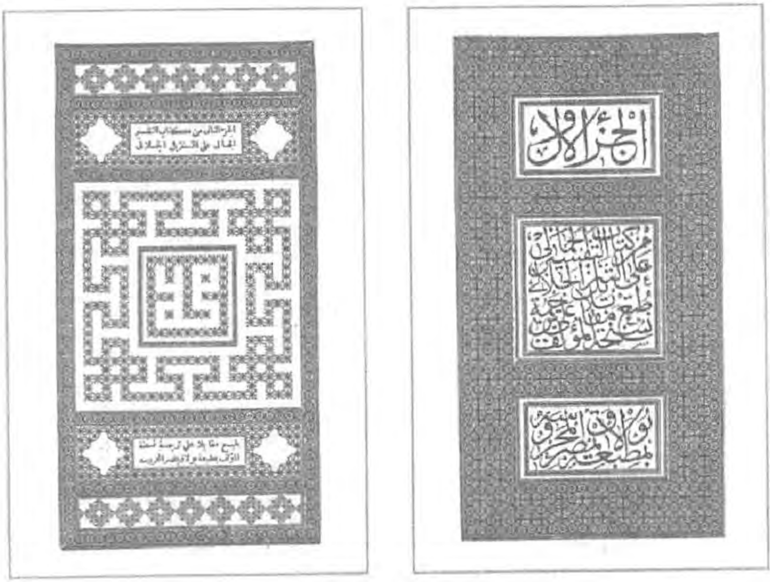
---

(١١) ورد على الكتاب أن تاريخ طبعه هو ١٩٢٤م إلا أن تاريخ المقدمة جاء على شكل ١٩٢٦م.

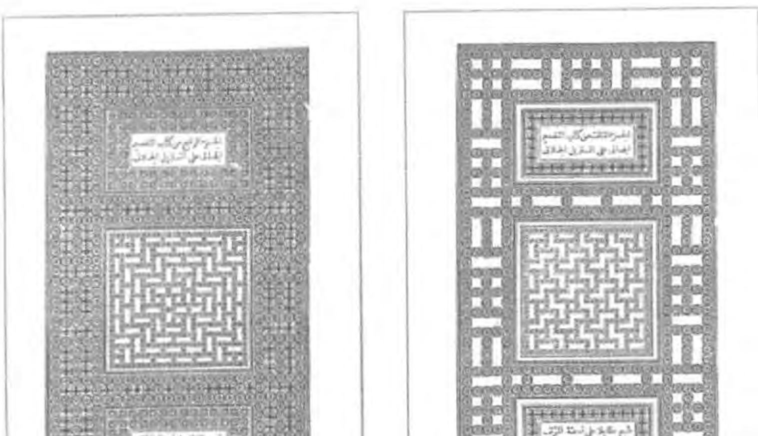
(١٢) للتعرف على الطبعات الأخرى للتفسير انظر: İsmet Binark ve Halit Eren, *World bibliography of translations of the meanings of the Holy Qur'an printed translations 1515-1980*, edited by Ekmeleddin İhsanoğlu, İstanbul: The Research Center for Islamic History, Art and Culture, 1986, s. 465 vd.

(١٣) للتعرف على التفسير الجمالي على التنزيل الجلالي انظر: İsmet Binark ve Halit Eren, *a.g.e.*, s.464-465.

(١٨٣٥م) في ستة مجلدات؛ بينما طبعت الترجمة التي قام بها محمد سليمان نحيفي (ت ١١٥١هـ/ ١٧٣٨م) مع النص الفارسي في سبعة مجلدات بمطبعة بولاق سنة ١٢٦٨هـ (١٨٥٢م). وللشيخ اسماعيل الأنقروي – الذي اشتهر بلقب شارح المثنوي – كتبٌ أخرى في التصوف عدا شرحه للمثنوي طبعت في مصر. منها (كتاب منهاج الفقرا) الذي طبع مع كتاب له بعنوان (رساله ٔ حجة السماء) في سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م). أما (شرح المنفرجة) الذي هو ترجمة وشرح للقصيدة المنفرجة التي نظمها أبو الفضل يوسف بن محمد فقد تم طبعه في مصر في سنتي ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م) و ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م)، وكانت الطبعة التي تحمل التاريخ الثاني بعنوان (الحِكَمُ المندرجة في شرح المنفرجة). كذلك فإن الترجمة التي قام بها محمد شريف العباسي (ت ١٠٠٢هـ/ ١٥٩٣ – ١٥٩٤م) لكتاب (رشحات عين الحياة) لحسين بن علي الواعظ الكاشفي (ت ٩١٠هـ/ ١٥٠٤ – ١٥٠٥م) تعد من كتب التصوف، وطبعت في مصر سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) وسنة ١٢٦٩هـ (١٨٥٢ – ١٨٥٣م). كما أن الشرح والترجمة اللذين قام بهما اسماعيل حقي البرسوي لـ (صلوات) عبد السلام بن مشيش التي شرحها مؤلفون عدة قبل ذلك قد تم طبعهما في كتاب ظهر في استانبول أولاً سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) ثم في مصر بعدها سنة ١٢٧٩هـ (١٨٦٢ – ١٨٦٣م). وهناك كتاب آخر مطبوع في مصر في هذا الموضوع معروفٌ باسم (غاية الدقائق در ترجمه ٔ زبدة الحقايق) الذي هو ترجمة قام بها سيد حافظ محمد أفندي عن كتاب النسفي، ثم طبعت في سنة ١٢٩١هـ (١٨٧٤م).



c. I–II



c. III-IV

التفسير الجمالي على التنزيل الجلالي أغلفة المجلدات الأربعة (طبع بولاق ١٢٩٤هـ [١٨٧٧م])

ومن الكتب الدينية التركية المطبوعة في مصر ما أُلِّف منها حول الطريقة النقشبندية بوجه خاص. فهناك "رسالة" خالد البغدادي مؤسس فرع الخالدية في الطريقة النقشبندية والتي قام بترجمتها الشريف أحمد بن علي في سنة ١٢٥٧هـ (١٨٤١م) ثم طبعت في مصر مرتين سنة ١٢٦٢هـ (١٨٤٦م) وسنة ١٢٦٥هـ (١٨٤٩م)، وطبعت في استانبول أيضاً بعد ذلك (١٢٩١هـ). وهناك في الطريقة النقشبندية كتاب آخر هو (مفتاح كنز الأسرار في الطريقة النقشبندية) المطبوع مرتين في سنة ١٢٦٨هـ (١٨٥٢م) وسنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) في مصر، ولم يطبع في مكان آخر غيرها. كما طبع كتاب المتصوف الشيخ أسعد صاحب أفندي أحد مشايخ الخالدية المعروف باسم (الجواهر المكنونات الأنيقة في آداب الذكر والطريقة) مع كتاب آخر له في التصوف أيضاً هو (فرائد الفوائد) (١٣١٣هـ [١٨٩٥م]).

وفي مصر طبعت كتب العقائد أيضاً منذ السنوات الأولى، وكان أولها كتاب (تحفهٔ سليميه در عقايد) المطبوع سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤٠ - ١٨٤١م)، وكتاب (ترجمهٔ كتاب السواد الأعظم) المطبوع سنة ١٢٥٨هـ (١٨٤٢م). وبعد هذين الكتابين ظهر في مصر كتاب العقائد التركي الذي وضعه قاضي زاده أحمد شمس الدين (ت ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م) بعنوان (فرائد الفوائد في بيان العقائد) وطبع في بولاق سنة ١٢٦٢هـ (١٨٤٦م). كما ظهر كتاب يوسف شكري بن عثمان الخربوطي (ت ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م) المعروف باسم (رموز التوحيد) في "كشف وبيان بعض أسرار وحقايق كلمة التوحيد" (١٢٨٧هـ [١٨٧٠م]. ثم ظهر بعده بمدة طويلة (كتاب العنايات الربانية في ترجمة كتاب الحصون لمحافظة العقائد الإسلامية) الذي ترجمه عن العربية صاروخاني تيمورجوى كمال الدين زاده محمد نور الله أفندي، وطبع سنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م).

أما طباعة ترجمات كتب الحديث فقد بدأت متأخرة في مصر، وأول كتاب تركي أمكننا التثبت من طباعته هناك هو ترجمة وشرح لأحاديث البخاري بعنوان (بخارئ شريف ترجمه سى)، وقام به شيخ علي افندي زاده محيي الدين أفندي، وطبع في سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٦ - ١٨٩٧م). وتوجد على الكتاب عبارة تركية تقول: "إنها الترجمة التركية والشرح المجمل للبخاري الشريف الذي لم يُقدِّم إلى اليوم أحدٌ على ترجمته إلى اللسان التركي وهو أصح الكتب بعد القرآن الكريم في فن الحديث الجليل". وأعقب ذلك كتاب

آخر في الحديث وضعه محمد عارف بك (ت ١٨٩٧م)[١٤] تحت عنوان (بيك بر حديث شريف شرحى) أي: شرح ألف حديث وحديث، اختارها محمد عارف بك من كتاب جلال الدين السيوطي المعروف بالجامع الصغير. وهو ليس شرحاً للأحاديث بالمعنى التقليدي، وإنما شاء الشارح أن يختار الأحاديث التي يمكن أن تقدم حلولاً للمشاكل اليومية[١٥]. وقد طبع ذلك الكتاب في القاهرة مرتين بعد وفاة صاحبه، وكانت الطبعة الأولى في سنة ١٣١٩هـ (١٩٠١م)، ثم أعقبتها الطبعة الثانية في سنة ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م). أما كتاب محمد فائق أفندي الدياربكري[١٦] (ت ١٩٣٠م) المعروف بعنوان (شرح مختصر، بخاري ترجمه سندن برنجى حديث) فقد طبع في مصر سنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م).

ووسط هذا التنوع في موضوعات الكتب الدينية حظيت الأدعية هي الأخرى بنصيب. وكان أول كتاب فيها لمحمد توفيق بعنوان (دعوات خيريه)، إذ طبع مرتين (١٨٤٨م، ١٨٦٣م) مع كتاب آخر لمن يدعي عثمان بن حسين بن أحمد الهبوي بعنوان (درة الناصحين). ثم طبع بعد ذلك كتاب (أدعيه' ابو السعود) مع كتاب (مفتاح الجنة) في سنة ١٢٦٥هـ (١٨٤٨ – ١٨٤٩م). أما كتاب (حزب الأبرار حصن الأخيار) لمن يدعي سيد محمد حقي بن علي بن إبراهيم النازللى (ت ١٨٨٤م) فقد طبع في سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م). ولنفس هذا المؤلف كتاب آخر طبع في مصر هو (نصرة الجنود عهدة الشهود) المطبوع في نفس السنة مع كتابه السابق. وهناك كتاب (خواصّ أسماء الله الحسنى) الذي طبع سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م) مع كتاب آخر هو (فضائل شهور).

وفي غضون ذلك ظهر كتاب مهم في مصر عن تاريخ الأديان. إذ قام نوح بن مصطفى (ت ١٠٧٠هـ / ١٦٥٩ – ١٦٦٠م) بترجمة الكتاب المشهور لمحمد بن عبد الكريم

---

(١٤) ولد محمد عارف بك في أرضروم سنة ١٨٤٥م، وبعد أن أكمل تعليمه تولى بعض الوظائف، وفي سنة ١٨٩٣م قام برحلة إلى أوربا، وهناك سنحت الفرصة أمامه للتعرف على المجتمع الغربي. وكانت آخر وظيفة تولاها هي وظيفة الكاتب الأول لدى المندوب السامي العثماني في مصر. إذ مرض أثناء ذلك وعاد إلى استانبول وتوفي فيها سنة ١٨٩٧م. انظر: İbrahim Alaeddin Gövsa, *Türk meşhurları ansiklopedisi*, İstanbul: Yedigün Matbaası, [1946], s.44

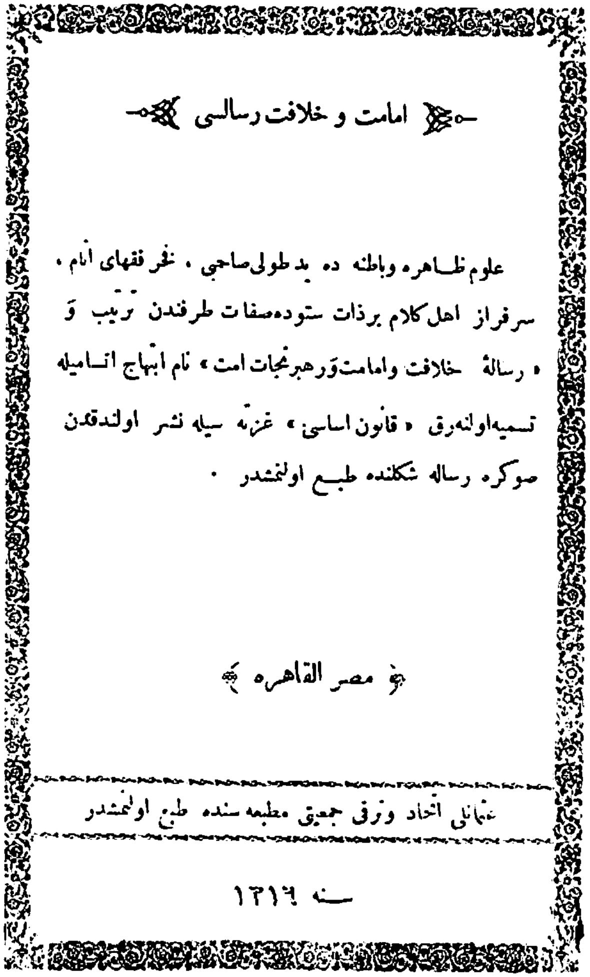
(١٥) للمزيد من المعلومات حول الكتاب انظر: Mehmed Ârif Bey, *Hadisleri anlamada toplumsal boyut: Bin bir Hadis-i Şerîf Şerhi'nden seçme kırk hadis*, yay. haz. İbrahim Hatiboğlu, İstanbul: Dârulhadis yay., 2000.

(١٦) اشتهر محمد فائق أفندي بكتبه وخاصة في المجال الديني. وقد ولد في دياربكر، وبعد أن أكمل تحصيله توجه إلى مصر واستوطنها. وعمل في المحكمة الشرعية هناك ثم توفي سنة ١٩٣٠م. انظر: Şevket Beysanoğlu, *Diyarbakırlı fikir ve sanat adamları*, c.II, İstanbul: Diyarbakır'ı Tanıtma Derneği, 1959, s.327.

الشهرستاني المعروف بالملل والنحل، ثم طبعت الترجمة سنة ١٢٦٣هـ (١٨٤٧م). وقد أتحف الكتاب إلى أبي القاسم محمد مظفر وزير السلطان السلجوقي سنجر، وهو واحد من الكتب التي تناولت موضوع تاريخ الأديان وحده خلال العصور الوسطى، وقدّم معلومات مستفيضة حول مختلف الفرق الإسلامية والأديان. وبعد طبعه في مصر جرت طباعته في استانبول مرتين في سنة ١٨٦٢م وسنة ١٨٨٧م. وذكر نوح بن مصطفى في صدر الترجمة الحرة التي قام بها عن ذلك الكتاب أنه أنجزها بتشجيع من رجل يدعى يوسف أفندي (عزتلو) من وجهاء مصر. ويتكون الكتاب من مقدمة وبابين وخاتمة.

وتجدر بنا الإشارة عدا ذلك إلى كتب دينية أخرى طبعت في مصر، ومنها كتب الوعظ، مثل كتاب (درة الناصحين) لعثمان بن حسن بن أحمد الهبوي المار الذكر؛ وكتب الكلام مثل كتاب (سنوحات وهبيه وأسرار نونيه) (١٣١٨هـ) [١٩٠٠م] الذي هو شرح للقصيدة النونية التي قرضها خضر بك؛ وكتاب قنالى زاده علاء الدين علي چلبي المعروف باسم (أخلاق علائي) (١٢٤٨هـ) [١٨٣٣م]؛ وكتاب حسن أمي سنان زاده المعروف باسم (فضائل الشهور) المار الذكر. أما كتاب (نهجة المنازل) الذي كتبه محمد أديب في الحج فقد طبع في مصر ثلاث مرات مع كتاب آخر بعنوان (ترتيب أجزا) (١٢٥٠هـ [١٨٣٤م]، ١٢٥٢هـ [١٨٣٦م]، ١٢٥٦هـ [١٨٤٠م]).

وهناك أيضاً الرسالة المحمدية (رساله ٔ محمديه) التي كتبها يازيجي زاده وشاع انتشارها كثيراً بين عامة الناس وظهرت منها طبعات عديدة في أماكن عديدة، ثم قام الشيخ اسماعيل حقي البرسوي بشرحها تحت عنوان (شرح المحمديه الموسوم بفرح الروح)، وطبع ذلك الشرح في مصر ثلاث مرات، في سنة ١٢٥٢هـ (١٨٣٦م) وسنة ١٢٥٥ – ١٢٥٦هـ (١٨٣٩ – ١٨٤٠م) وسنة ١٢٥٨هـ (١٨٤٢م). كما طبع كتاب (أنوار العاشقين) مرتين في مصر، وكان هو الآخر من الكتب الشائعة بين الناس. وهو ترجمة تركية حرة قام بها أحمد بيجان لكتاب أخيه يازيجي زاده محمد المعروف باسم (مغارب الزمان لغروب الأشياء في العين والعيان)، وتقع في مقدمة وخمسة أبواب. ويُذكر في الصحيفة الأخيرة من الطبعة المؤرخة في ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م) والتي أمكن رؤيتها أن أنوار العاشقين طبع قبل ذلك في مطبعة بولاق، ومن ذلك نفهم أن هناك طبعة أخرى ظهرت في مصر، ولكننا لم نشهد نسخةً منها.



امامت و خلافت رسالسى

علوم ظاهره وباطنه ده يد طولى صاحبى ، فخر فقهاى انام ، سرفراز اهل كلام برذات ستوده صفات طرفندن ترتيب و « رسالهٔ خلافت وامامت ورهبر نجات امت » نام ابتهاج انساميله تسميه اولنه رق « قانون اساسى » غزته سيله نشر اولندقدن صوكره رساله شكلنده طبع اولنمشدر .

مصر القاهره

عثمانلى اتحاد وترقى جمعيتى مطبعه سنده طبع اولنمشدر

سنه ١٣١٦

رسالة في الإمامة والخلافة "امامت وخلافت رساله سى"
(مطبعة القانون الأساسي ١٣١٦هـ [١٨٩٨-١٨٩٩م])

ويتبين من كل ما تقدم أن طباعة الأدبيات الدينية التركية ونشرها في مصر ظلت جارية على مستوى عالٍ. ولكن تبدل الأمور اعتباراً من العقد التاسع من القرن التاسع عشر، أي مع احتلال الانجليز لمصر ونتيجة لضعف روابطها مع مركز الدولة العثمانية انحسرت إلى حدٍ كبير طباعة الكتاب الديني التركي كما هو الحال في سائر المجالات، ووقعت تغيرات ملموسة في نوعية الكتب المطبوعة. وفي خضم المطبوعات المختلفة التي

عارض بها أعضاء تركيا الفتاة استانبول اعتباراً من سنة ١٨٩٦م طُبعت أعمالٌ عدة جعلت الدين آلة للسياسة. وهناك عامل آخر دفع إلى طباعة تلك الأعمال اعتباراً من التاريخ المذكور، ألاَ وهو التقارب القوي في تلك السنة بين جمعية الاتحاد والترقي وعلماء المسلمين. وأول ذلك النوع من الأعمال كتابٌ بعنوان (علماى دين إسلامه دعوت شرعيه) كتبه شخص باسم مستعار في صيغة (فضلاى مدرسيندن بر ذات) أي: واحد من فضلاء المدرسين(١٧). وعقب تلك الرسالة التي طبعت مرتين في عام واحد من قبل شعبة جمعية الاتحاد والترقي في مصر (١٣١٤هـ) [١٨٩٦م] طبعت كذلك رسالة الإمامة والخلافة (امامت وخلافت رساله سى) بعد أن نشرت في جريدة القانون الأساسي (قانون أساسي) التي أصدرها أعضاء تركيا الفتاة في سنة ١٨٩٧م(١٨)، وناقشت تلك الرسالة مسألة الخلافة الإسلامية. كما أن هناك عدة رسائل أخرى تتعلق بمســألة الخلافــة طبعت في مصر، منها كتاب خوجه شاكر أفندي المعروف باسم (فتاواى شريفه) (الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٢٥هـ [١٩٠٧م])، وكانت الطبعة الأولى قد ظهرت في جنيف عام ١٣١٤هـ (١٨٩٦م)، ويبدو بوضوح من نشرة التعريف بالكتاب المدرجة في "فهرس مطبعة الاجتهاد"(١٩) أن أعضاء تركيا الفتاة كانوا يستخدمون الدين آلة لسياستهم، إذ تتميز الفتاوى التي صاغوها بأسلوب يتفق وأصول الفتوى التقليدية وهدفها الأساسي دحض شرعية حكم السلطان عبد الحميد الثاني، فتقول: "إذا كان الشاغلون لمنصب أمير المؤمنين يعتدون على العباد وجاءت الأحكام العلية للشريعة الغراء المحمدية وآراء علماء الإسلام أنار الله براهينهم بما يلزم على المسلمين عمله في حقهم من معاملات وتصرفات...". كما يتصدر الكتاب نصٌ كتبه عبد الله جودت بعنوان "إلى المسلمين".

ومن ذلك النوع من الأعمال أيضاً هناك رسالة تقع في ١٣٢ صحيفة كتبها محمد قدري ناصح تحت عنوان (استنصاف) (الطبعة الأولى، القاهرة ١٣١٥هـ [١٨٩٧م]). كما تُذكر رسالة أخرى من نفس النوع ظهرت تحت عنوانٍ مطول هو "تذكرة العلماء،

---

(١٧) للمزيد من المعلومات حول الكتاب ونصه التركي بالأحرف اللاتينية انظر: İsmail Kara, "Ulema-Siyaset ilişkilerine dair önemli bir metin: Muhalefet yapmak / Muhalefete katılmak", *Dîvân İlmî Araştırmalar* (1998/1), s.1-25.

(١٨) تاريخ النشر في الجريدة هو السنة الثانية، رقم ١١ – ٢٢ (٦ ذي القعدة ١٣١٥هـ/ ١٦ مارس ١٣١٤ رومي – ٢٧ ربيع الأول ١٣١٦هـ/ ٢ أغسطس ١٣١٤ رومي).

(١٩) فهرست نشريات مطبعة الاجتهاد، الطبعة الثالثة، القاهرة مطبعة الاجتهاد [١٣٢٦هـ] ١٩٠٨م.

اقتباسات علماء العرب من الشرع المبين والأخبار الصحيحة في موضوع الخلافة وخطاب من الداماد محمود باشا إلى السلطان عبد الحميد خان" (تذكره" علما، علماى عربك خلافت حقنده شرع مبين وأخبار صحيحه دن اقتباسلرى وداماد محمود پاشادن سلطان عبد الحميد خان ثانى يه مكتوب). وقد طبعت تلك الرسالة في مصر سنة ١٣١٦هـ (١٨٩٨م)، واشتملت على قسمين، أولهما: اقتباسات من الشرع المبين والأخبار الصحيحة عن علماء العرب في الخلافة، والثاني: رسالة من الداماد محمود باشا إلى السلطان عبد الحميد الثاني. وكل هذه الرسائل تناقش خلافة السلطان عبد الحميد وتدفع بعدم مشروعيتها[٢٠].

وتوجد هناك كتب دينية تركية أخرى عدا ما تناولناه إجمالاً إلى الآن، ونذكر من تلك الكتب التي لم تسعنا الفرصة لتقييمها كتابين بارزين، أحدهما: (إمداد المسلمين في بيان عقائد المؤمنين)، والثاني: (گلزار المدينة المنورة). ويبدو أن الحافظ علي رضا قاشقجي (١٨٨٣ – ١٩٦٩م) كتبهما لمن اعتادوا قراءة الكتب الدينية بالأحرف القديمة في تركيا وللأتراك الذين يعيشون مثله في المدينة المنورة. ومع خلو الكتابين من تاريخ ومكان الطبع إلاّ أننا تأكدنا من طباعتهما في القاهرة.

٤- دواوين الشعر والكتب الأدبية

عند النظر كماً وكيفاً إلى مختلف الكتب المطبوعة في مصر على أيام محمد علي باشا سوف تتكشف لنا أبعاد العناية بالثقافة التركية الرفيعة التي سبق وأشرنا إليها في العديد من المواضع. فهناك ٢٥٣ كتاباً طبعت في بولاق، منها ٥٧ كتاباً، أي أكثر من الربع، تمثل أرفع الأمثلة في الأدب العثماني، مما يثبت أن انتاج الكتاب التركي في مصر لم يكن منحصراً في تلبية الاحتياجات الإدارية والعسكرية، أو توفير الكتب المدرسية اللازمة للمؤسسات التعليمية، وإنما كانت حركة جادة لإرضاء الأذواق الأدبية لدى الصفوة من المثقفين وتلبية رغباتهم الجمالية الرفيعة.

(٢٠) للتعرف على هذه الرسائل وغيرها في موضوع الخلافة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني انظر: İsmail Kara, *Hilâfet risâleleri* 1-2, İstanbul: Klasik, 2002.

ويلاحظ أن من بين الكتب الأدبية المطبوعة في مصر دواوين شعر تركية لكبار الشعراء العثمانيين من أمثال فضولي ونفعي ونديم والشيخ غالب وغيرهم. فمن بين الأعمال الأدبية السبعة والخمسين المطبوعة في عهد محمد علي يوجد ثمانية وعشرون ديواناً شعرياً. وهذه الدواوين التركية المطبوعة في مصر ظهر أغلبها خلال سنوات ١٢٥٢هـ (١٨٣٦م) – ١٢٦٢هـ (١٨٤٦م).

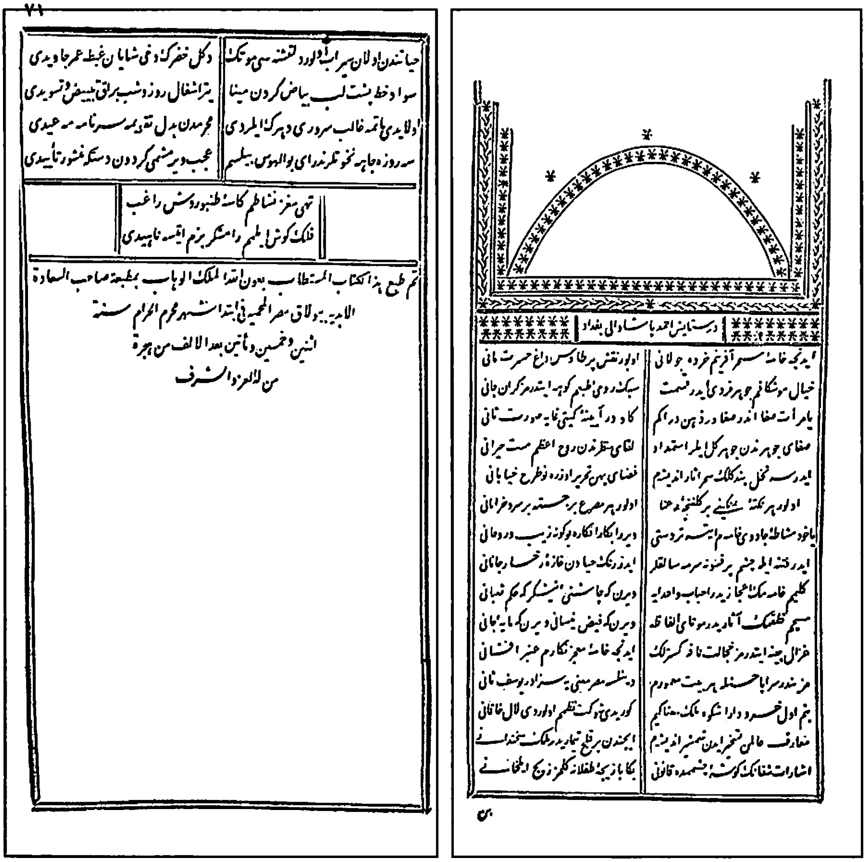
وكان أول ديوان تركي طبعته مطبعة بولاق هو ديوان الصدر الأعظم راغب محمد باشا الذي كان والياً على مصر (١٧٤٤ – ١٧٤٨م) بالإضافة إلى وظائف أخرى مختلفة. وكان الديوان الثاني هو ديوان الشاعر التركي الشهير نفعي(٢١). ثم أعيد طبع ديوان راغب باشا مرة أخرى في سنة ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م).

والجدير بالذكر أن قسماً كبيراً من الدواوين التي طبعتها مطبعة بولاق كان لحساب (أشخاص أو تجار كتب) عرفوا باسم الملتزمين. ولكن الملاحظ بعد سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) أن اثني عشر ديواناً فقط مما طبع من تلك الدواوين هي التي حملت في نهاياتها أسماء الملتزمين الذين طبعوها لحسابهم. أما في الدواوين التي طبعت قبل ذلك التاريخ فلا نشهد فيها شيئاً من ذلك. ونرى في القائمة المدرجة في فهرس مطبعة بولاق المؤرخ في ١٢٦٢هـ (١٨٤٦م) تحت عنوان بالتركية "الكتب المطبوعة في المطبعة العامرة لحساب الملتزمين" وجود ١٩ ديواناً. وتدلنا عبارات الختام (كولوفون) الواردة في نهايات تلك الدواوين على أسماء عدد من الملتزمين الذين طبعت تلك الدواوين لحسابهم، وهي(٢٢):

- ديوان سزايئ گلشني (١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م): حاجى عثمان نوري أفندي الإسلامبولي.
- ديوان فضولي (١٢٥٦هـ) [١٨٤٠م]: أسطى علي يومره لي.

(٢١) على الرغم من أن الديوانين قد طبعا في سنة واحدة فإن عبارات الختام فيهما تدلنا على أن ديوان راغب باشا (ديوان سلطان الشعراء وشيخ الوزراء مرحوم ومغفور راغب محمد باشا رحمة الله عليه) قد طبع في أول شهر المحرم ١٢٥٢هـ (١٨ ابريل ١٨٣٦م)، أما ديوان نفعي (ديوان نفعي) فقد طبع في آخر شهر رجب سنة ١٢٥٢هـ (١٠ نوفمبر ١٨٣٦م).

(٢٢) للتعرف على الكتب الأخرى المطبوعة في مصر لحساب الملتزمين وقائمة أسمائهم انظر الملحق (٣).



٧١

تم طبع هذا الكتاب المستطاب بعون الله الملك الوهاب بمطبعة صاحب السعادة الابدية ببولاق مصر المحمية في ابتداء شهر محرم الحرام سنة اثنين وخمسين ومائتين بعد الالف من هجرة من له العز والشرف

الصحيفتان الأولى والأخيرة من أول ديوان تركي طبع في مصر
وهو لسلطان الشعراء وشيخ الوزراء المرحوم راغب محمد باشا

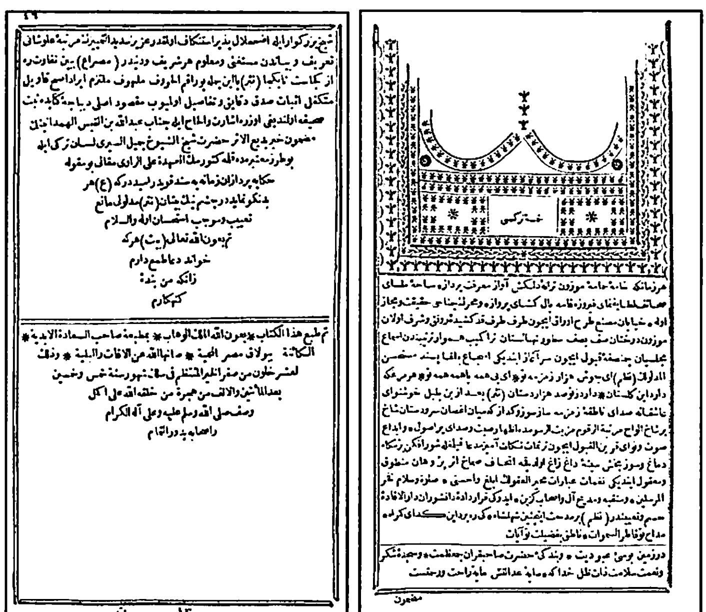
- ديوان گلشن أفكار واصف أندروني (١٢٥٧هـ [١٨٤١م]: الحاج محمد كامل أفندي والحاج عمر أغا الإسلامبولي، وحسن أفندي القريمي والحاج عثمان أفندي الإسلامبولي.
- ديوان نابي (١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م): محو بك.

- ديوان اسماعيل حقي (١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م): حسين حافظ أفندي الطرابزوني.
- ديوان حشمت (١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م): شريف مصطفى أفندي.
- ديوان عارف (١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م): محمد أمين أفندي الإزميري وبكير أفندي الموروي.
- ديوان فاضل بك أندروني (١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م): عمر أغا البزستاني [الإسلامبولي].
- ديوان نيازي (١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م): الحاج محمد كامل أفندي وحاجي محمود أفندي الصحافي.
- ديوان ليلى خانم (١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م): محمد كامل أفندي الأدرنوي.
- منتخبات مير نظيف (١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م): محمد كامل أفندي الأدرنوي.
- أشعار الحاج عاكف أفندي (١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م): محمد كامل أفندي الأدرنوي.

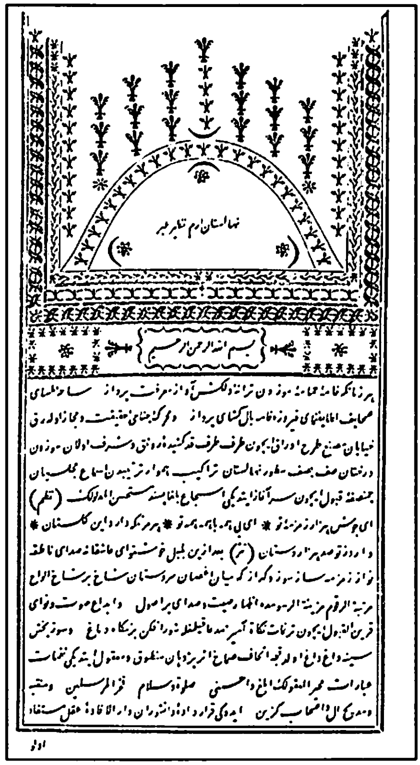
ويمكننا أيضاً من خلال فهارس مطبعة بولاق التحقق من أعداد نسخ كل ديوان تم طبعه، ونرى منها أن (ديوان سامي) الذي نظمه آريه أميني زاده مصطفى سامي (ت ١١٤٦هـ/ ١٧٣٣ – ١٧٣٤م) هو أكثرها حظاً في عدد النسخ، إذ طُبع منه ١٥٠٩ نسخ. ويأتي بعده في ترتيب عدد النسخ ديوان راغب (١٠١٠ نسخ)، ثم ديوان واصف أندروني (١٠٠٤ نسخ).

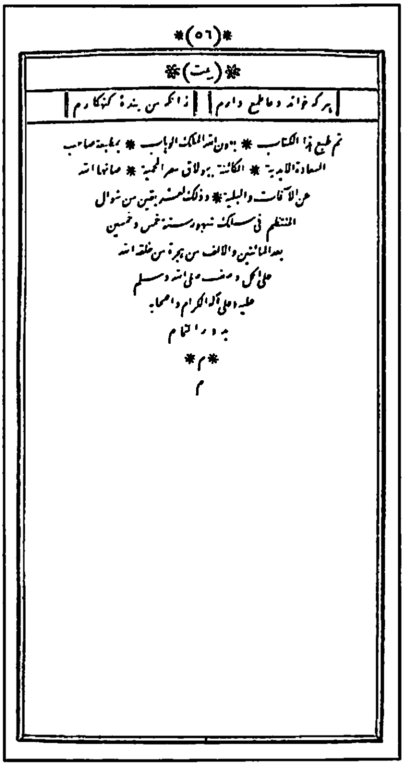
وعند النظر في تلك الدواوين التركية المطبوعة في بولاق، ومحاولة معرفة ما هو الذي طبع منها في استانبول أو في أماكن أخرى قبل ذلك نرى أن الثمانية والعشرين ديواناً المطبوعة في بولاق فيها ما طبع في بولاق دون غيرها، وعدد آخر طبع في بولاق وفي غيرها. فأما ما طبع في بولاق وحدها دون غيرها هو أحد عشر ديواناً، بينما يوجد هناك اثنا عشر ديواناً طبع في استانبول وغيرها بعد طبعته الأولى في بولاق، بينما يوجد ديوان واحد طبع في استانبول أولاً (١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م)، ثم طبع في بولاق بعدها بثلاث سنوات (١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م)، وهو ديوان (أشعار الحاج عاكف أفندي). كما يوجد ديوان آخر من بينها طبع في استانبول وبولاق في نفس السنة، وهو (ديوان گلشن أفكار واصف أندروني)

(١٢٥٧هـ) [١٨٤١م]. وهناك ثلاثة دواوين منها طبعت مرتين في بولاق، وهي: ديوان راغب ١٢٥٢هـ (١٨٣٦م)، ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م)؛ وديوان فضولي ١٢٥٤هـ (١٨٣٨م)، ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م)؛ وديوان نيازئ مصري ١٢٥٤هـ (١٨٣٨م)، ١٢٥٩هـ (١٨٤٣م). أما عدد الدواوين المطبوعة في استانبول خلال نفس المدة فهي تبلغ ١٩ ديواناً. وقد طبعت في مطابع مختلفة واستخدمت فيها حروف خط النسخ، وتبدو أكاليل الصفحات الأولى وعناوين الأقسام فقيرة وبسيطة إذا ما قورنت بدواوين مطبعة بولاق. أما الدواوين المطبوعة في بولاق فقد جاءت جميعها بخط التعليق (ما عدا ديوان نفعي [١٨٣٦م] وديوان فطنت خانم [١٨٣٦ – ١٨٣٧م])، ووردت حول ذلك عبارة بالتركية في فهرس مطبعة بولاق المؤرخ في ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م تقول: "انتهت طباعة ديوان الشاعرة ليلى خانم بحروف خط التعليق التي تم إنشاؤها وابتكارها كثمرة من جملة الآثار البديعة لحضرة الخديوي، كما أن منتخبات المرحوم نظيف بك الجاري طبعها قد تم التحقق من أنها سوف تنتهي في وقت قريب...". وجرى الإعلان لمن يريدون طباعة كتب لحسابهم أنه في الإمكان استخدام تلك الحروف فيها. ونلاحظ كذلك من بين تلك الدواوين التركيـــة المطبوعـــة


تم طبع هذا الكتاب * بعون الله الملك الوهاب * بطبعة صاحب السعادة الابدية *
الكائنة ببولاق مصر المحمية * صانها الله من الآفات والبلية * وذلك
لعشر خلون من صفر الخير المنتظم في سلك شهور سنة خمس وخمسين
بعد المائتين والالف من هجرة من خلقه الله على اكمل
وصف صلى الله وسلم عليه وعلى آله الكرام
واصحابه بدور التمام

الصحيفتان الأولى والأخيرة من "خمسه نركسي" المطبوعة في بولاق بأحرف النسخ


بسم الله الرحمن الرحيم


(٥٦)

(بيت)

| هركه خواند دعا طمع دارم | زانكه من بندهٔ كنهكارم |

تم طبع هذا الكتاب * بعون الله الملك الوهاب * بمطبعة صاحب
السعادة الابدية * الكائنة ببولاق مصر المحمية * صانها الله
عن الآفات والبلية * وذلك لعشر بقين من شوال
المنتظم في سلك شهور سنة خمس وخمسين
بعد المائتين والالف من هجرة من خلقه الله
على اكمل وصف صلى الله وسلم
عليه وعلى آله الكرام واصحابه
بدون التمام
م
م

الصحيفتان الأولى والأخيرة من "خمسه" نرگسي" المطبوعة في بولاق بأحرف التعليق

في مصر ديوانين لشاعرتين من شواعر العثمانيين هما ديوان فطنت خانم[٢٣] (ت ١٧٨٠م)، وديوان ليلى خانم[٢٤] (ت ١٨٤٧م). غير أن ديوان الأولى لا يحمل إشارة للطبعة أو المطبعة، وإن كان مندرجاً في فهارس مطبعة بولاق، أضف إلى ذلك أن التقنية المستخدمة في طباعته ونوع الورق والحروف تدل على أنه من نتاج مطبعة بولاق. أما تاريخ الطباعة فقد جرت الأقلام على ذكره في الفترة الواقعة بين (١٢٤٥ – ١٢٥٨هـ) اعتماداً على بيانكي (Bianchi CG- 60/236). ولكن يبدو من زخرفة الأكاليل التي تتصدر الكتب التي طبعتها مطبعة بولاق خلال تواريخ معينة أن تاريخ طباعة الديوان هو

(٢٣) Ömer Faruk Akün, “Fıtnat Hanım”, *DİA*, c.XII, s.39-46

(٢٤) İsmail Ünver, "Leylâ Hanım", *DİA*, c. XXVII, s. 157.

عام ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦ – ١٨٣٧م[٢٥]. أما ديوان ليلى خانم فقد طبع في مطبعة بولاق سنة ١٢٦٠هـ [١٨٤٤م].

وكانت أجمل دواوين الشعر العثمانية تطبع في بولاق بأشكال غاية في النفاسة، وتلقى تلك الطبعات اهتماماً كبيراً في أسواق الكتب العالمية. وبعد ٥٣ عاماً من ذلك التاريخ طبع في مصر ديوانان تركيان لشاعرتين أيضاً، أولاهما الشاعرة والكاتبة المصرية عائشة عصمت تيمور (١٨٤٠ – ١٩٠٢م) أخت أحمد تيمور باشا. وكان ديوانها الذي يضم أشعارها التركية والفارسية قد طبع في مصر سنة ١٣١٥هـ (١٨٩٨م). والشاعرة الثانية هي چشم آفت خانم زوجة الخديوي اسماعيل باشا، وطُبع ديوانها التركي في مصر في تلك الفترة[٢٦].

وهناك عدا تلك الدواوين كتاب طبع في مطبعة بولاق خلال تلك الفترة، يضم مختارات من أشعار الدواوين ومجموعات الشعر المختلفة. وهذا الكتاب هو (نوادر الآثار في مطالعة الأشعار) الذي وضعه رجائي زاده أحمد جودت أفندي (ت ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١ – ١٨٣٢م) وانتقى أبياته من شعراء عدة في أدب الديوان الذي هو أيضاً نتاج ذوق أدبي رفيع. وقد قام بنشر ذلك الكتاب عقب وفاة أحمد جودت أفندي أخوه مصطفى سامل في سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م). وهو يقع في ١٧٩ صحيفة بخط النستعليق، وتعهد محمد كامل أفندي بطباعته لحسابه.

وهناك الكتاب الذي حمل عنوان (ترجمهٔ قصيدهٔ سنگلاخ در مدح إزمير) وهو ترجمة تركية لقصيدة فارسية نظمها ميرزا سنگلاخ الخراساني في مدح مدينة إزمير التركية، وتم طبعه في مطبعة بولاق سنة ١٢٦١هـ (١٨٤٥م).

ويلاحظ على الدواوين التركية المطبوعة في مطبعة بولاق أن أغلبها طبع مع كتب أخرى لنفس المؤلف، ويمكننا ذكر تلك الدواوين على النحو التالي:

(٢٥) Hatice Aynur, "Bulak Matbaası'nda basılan Türkçe divanlar", *Journal of Turkish Studies: Fahir İz armağanı,* c.14 (1990), s.60.

(٢٦) للمزيد من المعلومات حول عائشة التيمورية وچشم آفت هانم وأعمالهما انظر فصل شاعرات وأديبات نشأن في السّراي وحوله.

ديوان الشيخ غالب دده (ت ١٢١٣هـ/ ١٧٩٩م) ومعه منظومته الصوفية الشهيرة (حُسن وعشق)؛ وديوان سنبل زاده وهبي (ت ١٨٠٩م) ومعه كتاب (لطفيه ٔ وهبي) الذي هو كتاب منظوم في النصح والإرشاد كتبه إلى ابنه لطف الله في سنة ١٧٩١م ليرشده به إلى الطريق الذي يجب عليه أن يسلكه في الحياة ؛ وديوان الشاعر حشمت (١١٨٢هـ/ ١٧٦٨ – ١٧٦٩م) ومعه كتاب منثور باسم (انتساب الملوك) يحكي فيه رؤيا رآها عندما اعتلى السلطان مصطفى الثالث سدة الحكم؛ وديوان فاضل الأندروني ومعه (دفتر عشق) الذي روى فيه مغامراته الغرامية؛ وديوان اسماعيل حقي البرسوي ومعه (مقالات اسماعيل حقي)؛ وديوان رفعت أفندي ومعه كتابه في الإنشاء والترسل (منشآت رفعت أفندي).

ولم تقف مطبعة بولاق عند طباعة الدواوين التركية وحدها، وإنما تعدت ذلك إلى العديد من الأعمال الأدبية الأخرى في أدب العثمانيين. فهناك كتاب (حديقة السعدا) الذي تحدث فيه الشاعر فضولي (ت ٩٧٣هـ/ ١٥٥٩م) بأسلوب نثري عن "حادثة كربلاء"، وطبع في مصر ثلاث مرات: ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م)، ١٢٦١هـ (١٨٤٥م)، ١٢٧١هـ (١٨٥٤ – ١٨٥٥م). أما أول طبعة منه في استانبول فقد ظهرت سنة ١٢٧٣هـ (١٨٥٦م). ويجدر بنا أن نذكرَ هنا كتاباً آخر كتبه نرگسي أحد كبار كتاب النثر الفني القدامى، ويُعرف باسم (خمسه)، إذ يتشكل من "خمسة" أعمال مختلفة، وظهرت منه طبعتان مختلفتان في نفس السنة من حيث شكل الصفحة الأولى ونوع الخط المستخدم وترتيب الأعمال الخمسة التي يتشكل منها الكتاب، وهو أمر يلفت الأنظار. وتاريخ العمل المطبوع بخط النسخ جاء على شكل: "لعشر خلون من صفر الخير ١٢٥٥هـ (٢٥ ابريل ١٨٣٩م)، بينما جاء تاريخ العمل المطبوع بخط التعليق على شكل: "لعشر بقين من شوال المنتظم ١٢٥٥هـ (٢٧ ديسمبر ١٨٣٩م).

كما طُبع في بولاق أيضاً عدد من كتب المنشآت التركية، ومنها كتاب دارندوي حيرت أفندي (ت ١٨٢٦م) المعروف باسم (رياض الكتباء وحياض الأدباء)أو (إنشاي حيرت أفندي) (١٢٤٢هـ) [١٨٢٦م]؛ وكتاب رفعت أفندي (ت ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م) المعروف باسم (منشآت رفعت أفندي) الذي سبق وذكرنا أنه طُبع مع ديوانه في سنة ١٢٥٤هـ (١٨٣٨م)؛ وكتاب بوزوقلى محمد

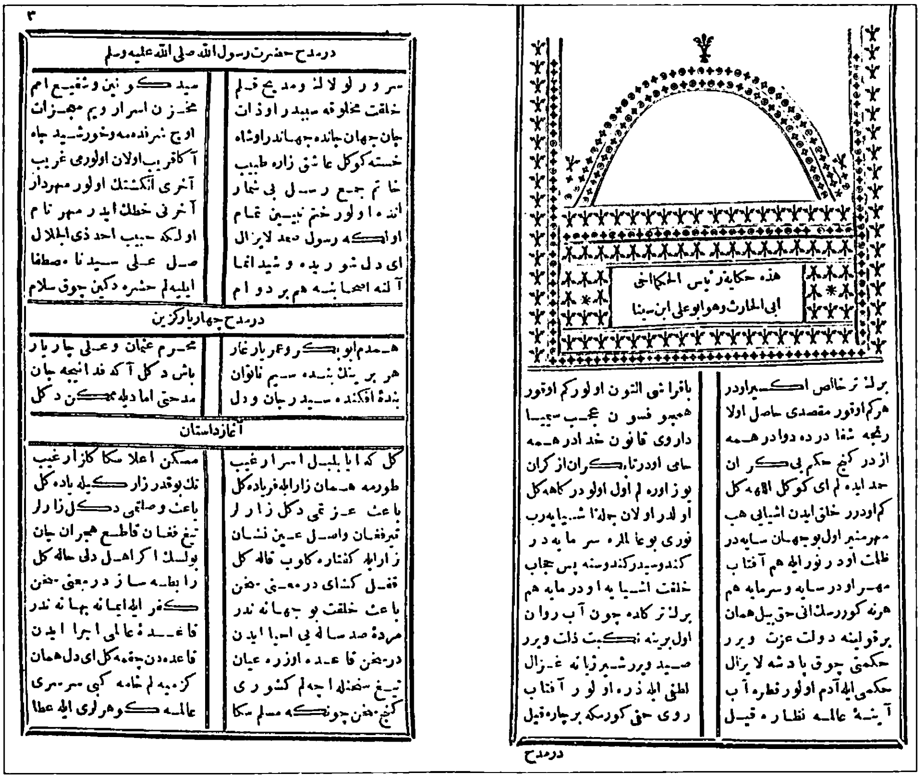
عاكف[٢٧] المعروف باسم (منشآت عاكف) الذي طبع في سنة ١٢٦٢هـ (١٨٤٦م) مع ديوانه المعروف بعنوان (أشعار الحاج عاكف أفندي). ولم يتوقف ظهور كتب الإنشاء التي تضع القواعد والنماذج للمكاتبات الرسمية بعد عهد محمد علي باشا، وإنما استمرت طباعتها، فهناك كتاب مجهول المؤلف باسم (إنشاي جديد) طُبع في مصر ثلاث مرات في سنوات: ١٢٧٠هـ (١٨٥٣ - ١٨٥٤م)، ١٢٧٥هـ (١٨٥٩م)، ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م). كما طبع في مصر أيضاً كتاب المترجم عاصم المعروف باسم (نمونهٔ انشا) وإن كان بعد ظهوره في استانبول بنحو عشر سنوات (١٢٩٩هـ) [١٨٨٢م].

وإلى جانب تلك الأعمال هناك كتبٌ تُرجمتْ إلى اللغة التركية من اللغتين العربية والفارسية، أي بين تقليد "الألسنة الثلاثة" في الثقافة العثمانية، وتناولناها باستفاضة في فصل الترجمة. وأول تلك الأعمال ديوان حافظ الشيرازي الشاعر الإيراني المشهور، إذ قام سودي البوسنوي بشرحه بالتركية تحت عنوان (شرح ديوان حافظ لسودي) وهو أشهر شروحه التركية، وطبع في مصر في ثلاث مجلدات سنة ١٢٥٠هـ (١٨٣٤م). وكانت طباعة الديوان قد بدأت في مطبعة الإسكندرية، لكنها لم تكتمل بعد ذلك إلاّ في مطبعة بولاق. كما طبع بعد ذلك التاريخ بمدة في مطبعة بولاق شرح آخر كتبه محمد وهبي أفندي لديوان حافظ في مجلدين عام ١٢٧٣هـ (١٨٥٧م)، ولكن من منظور صوفي. أما في استانبول فقد جرى طبعه عام ١٢٨٦هـ (١٨٧٠م). وهناك كتاب آخر طبع في بولاق، وهو الشرح الذي كتبه أحمد صافي على رسالة العروض (رسالهٔ عروض) التي كتبها الشاعر عبد الرحمن الجامي، وطبع ذلك الشرح في سنة ١٢٦٧هـ (١٨٥١م). وتُذكر عدا ذلك الترجمة التركية التي قام بها صاري عبد الله أفندي لمجموعة الحكايات المعروفة باسم (طوطي نامه) التي كتبها الشيخ ضياء الدين النخشبي (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)، ثم طبعت في بولاق أربع مرات خلال سنوات: ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م) - ١٢٦٧هـ (١٨٥٠ - ١٨٥١م). وهناك أيضاً (كتاب همايوننامه) الذي هو ترجمة لحكايات كليلة ودمنة التي أعاد حسين واعظ الكاشفي صياغتها من جديد باللغة الفارسية، وطُبع ذلك الكتاب في بولاق مرتين في سنة ١٢٥١هـ (١٨٣٥م) وسنة ١٢٥٤هـ (١٨٣٨م).

---

(٢٧) محمد عاكف باشا هو في الأصل من بوز اوق (بوزغاد) في وسط الأناضول، وكان عند عودته من الحج في سنة ١٢٦١هـ (١٨٤٥م) قد مرض وهو في سبيله إلى ركوب السفينة في الإسكندرية فتوفي هناك ودفن في الإسكندرية.

ومن الكتب التركية المترجمة عن اللغة العربية ديوان الإمام علي (كرم الله وجهه)، إذ قام مستقيم زاده سليمان سعد الدين (١١٣١ – ١٢٠٢هـ/ ١٧١٨ –١٧٨٧م) بشرحه بالتركية، وطبع في سنة ١٢٥٥هـ (١٨٣٩م)؛ وكذلك قصيدة البردة التي نظمها البوصيري الشاعر المصري في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقام أحمد بن مصطفى لعلي (ت ٩٧١هـ/ ١٥٦٣م) بشرحها بالتركية، وطبعت في سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م).



الصحيفتان الأولى والثانية من كتاب "هذه حكاية رئيس الحكما الآخى أبي الحارث وهو أبو علي ابن سينا" (طبع بولاق ١٢٥٤هـ [١٨٣٩م])

وفي غضون ذلك نشهد أيضاً طباعة عدد من الأعمال في الأدب الشعبي التركي، وأولها حكايات نصر الدين خوجه(لطائف نصر الدين) التي طبعت في مصر ثلاث مرات: ١٢٥٤هـ (١٨٣٨ – ١٨٣٩م)، ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م)، ١٢٥٧هـ (١٨٤١م). أما العمل

الثاني فهو الحكاية التي كتبها في نهاية القرن السادس عشر درويش حسن مهدي بعنوان (قصهٔ أبو علي سينا وأبو الحارث) وروى فيها حكاية أخوين، ثم أعيدت كتابتها من جديد في القرن السابع عشر بعنوان (گنجينهٔ حكمت) على يدي سيد ضياء الدين يحيى، ثم طبعت في مصر تحت عنوان (حكايهٔ رئيس الحكما أخي أبو الحارث وهو أبو علي ابن سينا) (١٢٥٤هـ) [١٨٣٩م]. وقد طبعت تلك الحكاية في استانبول بعد ذلك عدة مرات تحت عنوان (حكايهٔ أبو علي سينا). وقد قام مراد مختار أفندي في مصر بترجمة ذلك الكتاب إلى العربية، ثم طبع بها أربع مرات بعد أربعين سنة من ظهور الطبعة التركية. أما النماذج الأخرى في ذلك المجال فهي: كتاب (مجموعهٔ حكايات) الذي يتضمن عدداً من حكايات الحيوان والطير (١٢٩١هـ) [١٨٧٤م] و (حكايهٔ شابور چلبي) (١٢٩٣هـ) [١٨٧٦م] التي تروي قصةً وقعت في عهد هارون الرشيد.

والكتب التي تحتاج إلى عناية خاصة بين الكتب الأدبية التركية المطبوعة في مصر هي – على عكس الكتب التي ذكرناها – كتب أدبية صدرت عن الوسط الأدبي الذي تكوّن حول محمد علي باشا، أي الكتب التي أطلقنا عليها صفة "الانتاج الأدبي المحلي". وأول تلك الكتب عمل شعري كتبه سعد الله سعيد أفندي (١٧٥٩–١٨٣١م) كبير مصححي مطبعة بولاق تحت عنوان (قصيدهٔ زيباي فتح شهر ميسولونگي) (١٢٤١هـ) [١٨٢٦م] وطبعت في نفس المطبعة[٢٨]. وقد كتبت تلك القصيدة إثر نجاح إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا في فتح ميسولونجي أثناء قيامه بإخماد عصيان جزيرة المورة باليونان (١٨٢٦م). وهي أول قصيدة

---

(٢٨) ولد سعد الله سعيد أفندي في دياربكر سنة ١٧٥٩م. وبعد أن أكمل تعليمه توجه إلى استانبول، ومنها إلى مصر في سنة ١٨٢١م. وقد حظي بعطف الوالي محمد علي باشا، وعينه رئيساً لمصححي مطبعة بولاق براتب قدره ألف قرش. وفي سنة ١٨٣١م توفي في مصر، وله عدا الكتاب المذكور ديوان لم يطبع. وهو الذي قام على أمر تصحيح الكتب التالية: قانون الجراحين (١٢٤٤هـ/١٨٢٨م)، درة التاج (١٢٤٥هـ/١٨٣٠م)، أخلاق علائي (١٢٤٨هـ/١٨٣٣م)، روضة الأبرار المبين بحقايق الأخبار (١٢٤٨هـ/١٨٣٢م)، سليمان نامه (١٢٤٨هـ/١٨٣٢م)، نيل نابي (١٢٤٨هـ/١٨٣٢م). للمزيد من المعلومات انظر حول سعد الله سعيد أفندي: Şevket Bcysanoğlu, *Diyarbakırlı fikir ve sanat adamları*, I, İstanbul: Diyarbakır'ı Tanıtma Derneği, 1957-59, s.316-318; İbnülemin Mahmud Kemal İnal, *Son asır Türk şairleri*, III, İstanbul: Maarif Basımevi, 1930-40, s. 1602-1603)

في مدح حاكم عثماني تكتب وتطبع، بل وقد تكون الأولى في تاريخ الإسلام بالمعنى العام. وبعد مرور سنة من ظهورها تم طبع مجموعة من الأشعار التركية المهداة إلى الوالي تحت عنوان (مصر واليسى محمد علي پاشايه صونيلان تركچه شعرلر كتابى) (١٢٤٢هـ/١٨٢٦م]. وظهر عمل آخر من الانتاج المصري المحلي في الإنشاء والترسل كتبه عزيز أفندي المنشي والمترجم والمصحح في مطبعة بولاق أيضاً تحت عنوان (فُلك عزيز)، وطبع في مطبعة الإسكندرية سنة ١٢٤٩هـ (١٨٣٣م)، ويضم حسب تعبير صاحبه "بعض نماذج من تلخيصات ومعروضات وتحريرات الفقير وتسويداته".

وبعد عام ١٨٧٠م بدأت تطبع في مصر نصوص أدبية أخرى، ولكنها ليست من الأدب الكلاسيكي. ومن أبرز تلك الأعمال جذباً للانتباه النص المترجم عن الإيطالية لأوبرا عايده التي جرى تمثيلها لأول مرة في ٢٤ ديسمبر ١٨٧١م. وقد تُرجم العمل إلى التركية في سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧٢م) وطُبع تحت عنوان (آيده اسميله مسمى أوپرانك ترجمه سيدر).

وإلى جانب ذلك فقد طبعت أيضاً بعض الأعمال المسرحية، أولها مسرحية طُبعت في مطبعة بولاق، لكنها لا تحمل تاريخاً للطباعة، وهي (حُسن وجمال ايله مشهور اولان ألينه تياتروسنك فصلى). ثم بدأ توافد أعضاء جمعية تركيا الفتاة على مصر، وبعدها بدأت الزيادة المطردة في عدد الأعمال المسرحية المطبوعة. ومنها مسرحية نامق كمال المعروفة باسم (جلال الدين خوارزمشاه) التي تمثل إحدى عيون المسرح التركي. وكانت قد طبعت في استانبول عام ١٢٩٢هـ (١٨٧٥م)، ثم طبعت في مصر عام ١٣١٥هـ (١٨٩٧م) مع شرحٍ يقع في ٦٩ صحيفة تحت عنوان (مقدمهٔ جلال). وعدا هذا العمل لنامق كمال تعاقب ظهور الأعمال المسرحية المنشورة في مصر تأليفاً وترجمة، وكان منها مسرحية (شمديكى ازدواجلر) لعمر لطفي فكري باشا زاده[٢٩] التي طبعت عام ١٩٠٥م (وهي من ثلاثة فصول)، ثم مسرحيته

(٢٩) عمر لطفي فكري باشا زاده هو أحد رجال الفكر والسياسة المشهورين عند الأتراك، وقد درس الحقوق في باريس ثم عاد إلى استانبول. وبعد أن سجن لمدة بسبب كفاحه من أجل المشروطية عمل في بعض الوظائف في بوردر وقونية. ثم لم يلبث أن فر إلى أوربا، ومن هناك توجه إلى مصر واشتغل بالمحاماة، ثم عاد إلى استانبول مرة أخرى بعد سنة ١٩٠٨م. وعمل لفترة مبعوثاً في

الهزلية (أرككلرآراسنده) ذات الفصل الواحد التي طبعت سنة ١٩٠٧م؛ ومسرحية مصطفى حمدي سلسترة لي ذات الفصل الواحد المعروفة باسم (عفو ايله محكوم ياخود شرف قربانلرى)؛ ومسرحية باسم حكاية امرأة جركسية (برچركسك سرانجامى) لمؤلف يدعى زكريا. أما الأعمال المسرحية المترجمة فنذكر منها مسرحية (مهم بركيجه) ذات الثلاثة فصول التي ترجمتها الأميرة قدرية حسين عن الفرنسية لكاتب روسي هو ليوپولد كامپوف، وكانت بحسب تعبير الكاتب "من أجل إذكاء المشاعر القومية الآخذة في اليقظة". وقد طبع ذلك الكتاب في مصر سنة ١٩٠٩م. كما طبعت هناك أيضاً تلك الأعمال المسرحية التي ترجمها عبد الله جودت عن شكبير، وهي (هاملت) و (جول سزار) و (ماكبث).

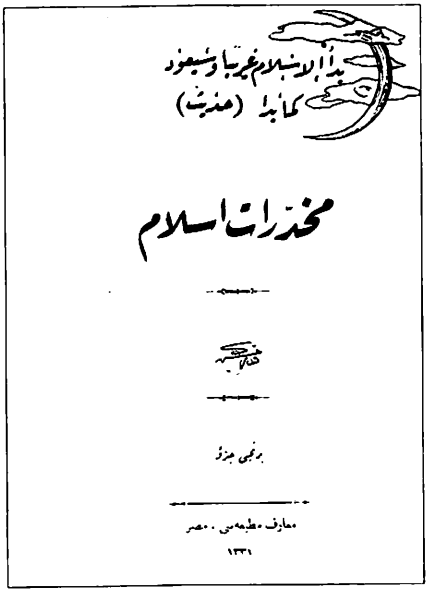
ويُلاحظ كذلك أن نماذج "النثر الساخر" التي كانت من أنواع النثر الفني في عهد التنظيمات قد نُشرت في مصر، وكان عالي بك (١٨٤٤ – ١٨٩٩م) واحداً من روّاد ذلك النوع. وقد عرف بجريدته الساخرة ديوجن Diyojen التي كان يُصدرها بمفرده تقريباً. أما في مصر فقد طُبع له كتابان، أولهما قصته الخيالية المعروفة باسم (سياره لر)، والثاني معجمه الهزلي الساخر المسمى (لهجة الحقايق). وقد عرض عالي بك في ذلك الكتيب نحو ٤٠٠ كلمة مع معانيها الهزلية والفكاهية، وقسمٌ منها يتعلق مباشرة بما كان يجري في ذلك العهد. وأُدرج قسمٌ من تلك الألفاظ في جريدة (طريق) في سنة ١٣٠٠ [بالتقويم الرومي][٣٠] (١٨٨٤–١٨٨٥م). وطُبع

البرلمان ثم توفي في سنة ١٩٣٤م (انظر (Gövsa, *a.g.e.*, s. 230)، وله عدا أعماله المسرحية كتاب آخر طبع في مصر تحت عنوان (تجربه" انتقاد: دوختر هندو) وهو نقد كتبه لكتاب عبد الحق حامد المعروف باسم (دوختر هندو)، ويقع في ٣٥ صحيفة، وطبع في المطبعة التركية بمصر سنة ١٩٠٥م.

(٣٠) كان التقويم الهجري القمري هو المستعمل في التأريخ لكافة الأمور والمعاملات عند العثمانيين حتى النصف الثاني من القرن السابع عشر. فقد رأى المسؤلون ضرورة استخدام تقويم آخر بدلاً منه، وذلك بسبب التضارب الناتج عن فارق الأحد عشر يوماً بين السنة القمرية والسنة الشمسية ولاسيما في المعاملات المالية، فقاموا بتطوير نظام جديد من التقويم الشمسي أطلقوا عليه اسم التقويم الرومي أو المالي وبدأوا في استخدامه سنة ١٢٥٦ هجرية. ومع ذلك فقد استمر استخدام التقويم الهجري إلى جانب التقويم الرومي لسنوات طويلة في وثائق ومعاملات الدولة. وفي تلك الأثناء كان العثمانيون يطلقون هذا الاسم أيضاً على التقويم الجولياني المستخدم في أوربا والذي يبدأ من أول شهر مارس.

وقد كان التخطيط أن تسير السنوات الرومية مع السنوات الهجرية، بينما تسير الأشهر مع الأشهر الموجودة في التقويم الجولياني، ولكي يتم التغلب على فارق الأحد عشر يوماً بين العام الهجري والعام الجولياني كان يجري كل ٣٣ سنة إسقاط سنة هجرية من

الكتابان في مصر سنة ١٣١٥هـ (١٨٩٧م). كما يلاحظ أيضاً كثرة الأعمال المطبوعة في مصر حول الهجاء، ولا سيما في أيام جمعية تركيا الفتاة.



مخدرات إسلام للأميرة قدرية حسين

ونذكر من الأعمال الأدبية التي طبعت في مصر للأميرة قدرية حسين التي تحدثنا عنها قبل ذلك رسالتها التي استخدمت فيها أسلوباً أدبياً متميزاً بالصنعة، وعُرفت باسم (نه لَريم) (١٣٢٩ رومي) [١٩١٣م]؛ وكتابها الذي يضم اثنتي عشرة مقالة في التاريخ والأدب وعُرف باسم (تموجات أفكار) (١٣٣٠هـ) [١٩١٢م]؛ ثم رسالتها التي تناولت فيها عدداً من المسائل

التقويم الرومي، وهي السنة التي تعرف بسنة الإزدلاف. وعلى هذا النحو فإن سنة ١١٢٢ الهجرية تعقبها سنة ١١٢٠ الرومية، وسنة ١١٥٣ تعقبها سنة ١١٥٥. وهذه العملية التي تجري كل ٣٣ سنة لم تحدث في سنة ١٢٨٧، وبعد ذلك التاريخ راح يتضاعف ذلك الفارق بين الأعوام الرومية والأعوام الهجرية. وفي سنة ١٩٢٦م التي تم التوقف فيها عن استخدام التقويم الرومي كان الفارق قد وصل إلى ثلاث سنوات.

أما مسألة إزاحة الفارق الظاهر بين التقويم الرومي والتقويم الميلادي (الذي بلغ ١٣ يوماً في سنة ١٩٠٠م) فقد وقعت بقانون صدر بحيث يكون ١٦ فبراير/شباط ١٣٣٢ (رومي) = ١ مارس ١٣٣٣ (رومي)= ١ مارس ١٩١٧ (ميلادي). ومنذ سنة ١٩٢٦م تم التوقف عن استخدام التقويم الرومي أو المالي في كافة المعاملات الرسمية ما عدا الميزانية، إلى أن تم إلغاؤه تماماً. (Faik Reşit .(Onat, *Tarih Çevirme Kılavuzu*, c. 1, Ankara, TTK, 1997, s. XXIII

الأخلاقية والاجتماعية وعرفت باسم (محاسن حيات) (١٣٢٧هـ) [١٩١١م]؛ وكتابها الذي يقع في مجلدين وتناولت فيه سيرة أربع سيدات مشهورات في التاريخ الإسلامي وعُرف باسم (مخدرات إسلام) (١٣٣١ - ١٣٣٣هـ) [١٩١٣ - ١٩١٥م].

٥- كتب التاريخ والتراجم والجغرافيا

يتبين لنا بنظرة عامة على كتب التاريخ التركية المطبوعة في مصر أنها حوليات خاصة بالتاريخ العثماني وكتب تتعلق بتاريخ العالم، وتشمل أيضاً أولى الترجمات عن اللغات الأوربية في تاريخ أوربا في عهد محمد علي باشا. وقد استمر هذا النوع من الكتب في الظهور بعد عهد محمد علي وإن كان بقدر أقل، وبدأت تُطبع إلى جوارها بعض أمهات الكتب في التاريخ الإسلامي. كما جرى أيضاً طبع كتب تتناول مسائل تاريخية بأسلوب جدلي وخاصة تلك المسائل المتعلقة بالتاريخ العثماني المعاصر بعد سنة ١٨٩٥م واتخاذ أعضاء تركيا الفتاة والمعارضين السياسيين الآخرين من مصر قاعدة لهم. وسوف نتعرض لهذه الكتب في القسم الذي خصصناه لأعمال أعضاء تركيا الفتاة والمعارضين السياسيين. أما كتب التاريخ المترجمة من لغات أخرى إلى التركية فيجدر بنا أن نشير إليها هنا باختصار بعد أن تناولناها بالتفصيل في فصل الترجمة.

فعند النظر بأسلوب تحليلي إلى كتب التاريخ التركية المطبوعة في عهد محمد علي نلحظ وراء طباعتها بعض العوامل السياسية، ووجود أسباب متشعبة كالرغبة في تعلم تاريخ أوربا ومحاولة الانفتاح على العالم الخارجي. فقد كان محمد علي باشا يريد التعرف على الإسكندر الأكبر ابن بلده المقدوني الذي شاء أن يحذو حذوه لإشباع رغبة في نفسه، أو التعرف كذلك على السيرة السياسية والعسكرية لنابليون بونابرت، إذ كان الباشا جندياً انكشارياً في شبابه ثم وجد نفسه مكلفاً للتصدي لجيش نابليون في مصر، فأمر بترجمة الكتب المتعلقة بحياة القائدين المقدوني والفرنسي من اللغات الأوربية والمبادرة بطباعتها.

وكان عام ١٨٢٧م الذي طُبع فيه "تاريخ واصف" أحد كتب التاريخ التركية الأولى التي أمكننا التثبت من طباعتها في مصر قد صادف عهداً توافقت فيه مصالح محمد علي مع مصالح الدولة العثمانية في إخماد ثورة اليونان. وهذا التاريخ يشير إلى قيام الجيش المصري بإخماد ثورة اليونانيين وتسليم أثينا. وكتاب (محاسن الآثار وحقايق الأخبار) الذي

كتبه أحمد واصف أفندي (١٧٣٦ – ١٨٠٦م) كاتب الوقائع العثماني المشهور وعُرف اختصاراً بتاريخ واصف إنما يذكر الأحداث التي وقعت بين تاريخ ١٧ نوفمبر ١٧٥٢م وتاريخ ٧ سبتمبر ١٧٧٤م. وظهرت أول طبعة له في استانبول سنة ١٢١٩هـ (١٨٠٤ – ١٨٠٥م)، بينما ظهرت طبعة مصر الأولى في سنة ١٢٤٣هـ (١٨٢٧م)، والثانية في سنة ١٢٤٦هـ (١٨٣٠م) في مجلدين.

وفي مقدمة الكتب التي طبعت إثر تطورات سياسية يأتي تاريخ كاترينا الذي تحدثنا عنه بالتفصيل ضمن حديثنا عن الترجمات التي جرت من اللغات الأوربية. فقد ظهرت الطبعة الأولى من ذلك الكتاب أثناء الحرب العثمانية الروسية التي اندلعت في ابريل ١٨٢٨م وانتهت بمعاهدة أدرنة الموقعة في ١٤ سبتمبر ١٨٢٩م، وهو تاريخ مارس – ابريل ١٨٢٩م؛ أما الطبعة الثانية فقد ظهرت عقب انتهاء الحرب مباشرة، في أكتوبر – نوفمبر ١٨٣٠م.

ويأتي في مقدمة الكتب القيمة التي طبعت للمؤلفين العثمانيين في نفس الفترة أيضاً كتابا قره چلبي زاده عبد العزيز أفندي (ت ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٨م). والجدير بنا أن نقف على الأسباب وراء طبع هذين الكتابين في نفس السنة التي انهزم فيها الجيش العثماني أمام الجيش المصري في قونية بقيادة إبراهيم باشا (١٨٣٢م). فقد كان محمد علي باشا يتطلع إلى الاستقلال عن الدولة العثمانية وتوسيع رقعة الأراضي الموجودة تحت إدارته وجَعْل ولاية مصر في أسرته من بعده، ولكن على الرغم من تراجع قوة الدولة العثمانية في المجال السياسي ورغبته في اقتسام أراضيها إلاّ أنه امتزج هو وعائلته بالثقافة العثمانية. وطَبْع كتابي قره چلبي زاده عبد العزيز أفندي المعروفين باسم (روضة الأبرار المبين بحقايق الأخبار) و (سليمان نامه) في مصر هو خير دليل على ذلك. فهذان الكتابان اللذان كتبهما المؤرخ وشيخ الإسلام العثماني عبد العزيز أفندي في مجال التاريخ قد تم طبعهما في مطبعة بولاق في نفس السنة. والكتاب الأول تاريخ إسلامي عام يبدأ من آدم عليه السلام وينتهي عند أحداث سنة ١٠٥٨هـ (١٦٤٨م). وقد أكمله المؤلف في سنة ١٦٤٩م، ثم قَدّمه إلى السلطان محمد الرابع. أما طباعته في مصر فقد وقعت سنة ١٢٤٨هـ (يونيه ١٨٣٢م). ويأتي الكتاب الثاني (سليمان نامه) في الفتوح التي تحققت من اعتلاء السلطان سليمان القانوني سدة الحكم حتى وفاته، ويذكر الأحداث التي وقعت آنذاك

وتراجم العلماء والوزراء الذين ظهروا في عصره. وقد طُبع ذلك الكتاب في غرة جمادى الأولى ١٢٤٨هـ (سبتمبر ١٨٣٢م). ويبدو أن محمد علي باشا – وقد عمل على ترجمة بعض الكتب التاريخية إلى اللغة التركية ثم طباعتها ككتاب الإسكندر في تاريخ اليونان القديم وكتاب نابليون بونابرت في تاريخ أوربا المعاصر – كان قد اختار السلطان سليمان القانوني في التاريخ العثماني ليكون مثله الأعلى. وقد جرى طبع كتابي قره چلبي زاده في مصر وحدها.

وفي عهد محمد علي أيضاً يجري طبع كتاب (مرآة الكائنات)، وهو بالتركية في تاريخ العالم، وكتبه مؤرخ وقاض عثماني آخر هو نشانجي زاده محمد بن أحمد (ت ١٦٢١م)، ويتكون من ثمانية أقسام. ويقع الكتاب في مجلدين يتحدثان عن تاريخ العالم منذ بدء الخليقة حتى عصر السلطان سليمان القانوني، وهو جَمْع للمعلومات من عدة تواريخ قديمة وجديدة، ويفيض بالكثير من الحكايات الخرافية. وقد طبع ذلك الكتاب في سنة ١٨٤٢م عقب حل المسألة المصرية سنة ١٨٤١م ومنح ولاية مصر لمحمد علي باشا وأسرته بالوراثة، ثم طبع في مصر مرة أخرى في سنة ١٨٥٣م، بينما لم تظهر طبعة استانبول إلاّ في سنة ١٨٧٣م.

وعقب وفاة محمد علي باشا توقفت طباعة كتب التاريخ لفترة طويلة، حتى جاء عهد سعيد باشا فطبعت ترجمة الكتاب المشهور باسم تاريخ الطبري الذي ألفه العالم والمؤرخ الكبير أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. فقد قام الوزير أبو علي محمد البلعمي (وزير منصور بن نوح الساماني) بترجمة الكتاب إلى الفارسية سنة ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م، ثم تُرجم إلى التركية في عهد العثمانيين. وهو في تاريخ العالم، ويشكل تاريخ الإسلام الجانب الأساسي فيه، ويُعد من أكبر المصادر أيضاً في تاريخ الأتراك، وجرت ترجمته إلى لغات متعددة، وكانت ترجمته إلى التركية عن اللغة الفارسية. وقد طبع لأول مرة في استانبول عام ١٨٤٤م، وفي مصر عام ١٢٧٥هـ (١٨٥٨م) في خمسة أجزاء. كما يوجد للكتاب طبعة أخرى مختلفة قامت بها مطبعة ديوان عموم المدارس في سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٤م). وهذه الطبعة تبدأ من مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم تنتهي بعهد الخليفة العباسي المقتدر بالله. وكانت قد جرت ترجمة ذلك الكتاب لأجل الطلاب الذين يتعلمون اللغة التركية، ولم يُطبع منه إلاّ المجلد الأول، وكلتا الطبعتين لا يُعرف من قام بترجمتهما.

وهناك كتاب مهم طُبع في مصر بعد نحو عشر سنوات من وفاة محمد علي باشا هو المعروف بالمقدمة التي وضعها المؤرخ وعالم الاجتماع التاريخي المشهور ابن خلدون

(٨٠٨هـ/١٤٠٦م). وقد قام شيخ الإسلام پيري زاده محمد صاحب أفندي بترجمتها، ثم طبعت في مصر مرتين، سنة ١٢٧٤هـ (١٨٥٨م) وسنة ١٢٧٥هـ (١٨٥٩م).

وفي سنة ١٨٦٤م طُبع كتاب مترجم عن الفرنسية كان يُدَرَّس في بعض المدارس الأوربية في تاريخ اليونان القديم، وهو (ترجمهٔ مختصر تاريخ قديم) الذي يمكن اعتباره جزءاً من إصلاحات الخديوي اسماعيل في مجال التعليم، وقام بترجمته إلى التركية أحمد راسم أفندي محرر روزنامة الوقائع المصرية. وترد العبارة التالية في خاتمته فتقول بالتركية: "تم طبع ٥٠٠ نسخة من هذا الكتاب لحساب الميري تنفيذا للإدارة السنية حتى يستفاد منه هنا أيضاً ويجري توزيعه على طلاب المكاتب".

ويُذكر أن الجزء الثالث من كتاب المؤرخ ورجل الدولة البارز أحمد جودت باشا المعروف باسم (قصص أنبيا وتواريخ خلفا) طُبع في مصر سنة ١٢٩٤هـ (١٨٧٧م)، والكتاب في الأصل يضم ١٢ جزءاً[٣١].

أما الكتاب الذي عُرف باسم (مختصر انگلترا تاريخ انقلابى) الذي طبع في نهاية القرن التاسع عشر فهو أحد مطبوعات جمعية الاتحاد والترقي العثمانية، وتاريخ طبعه هو عام ١٣١٦هـ (١٨٩٨م).

وفي مطلع القرن العشرين تم طبع كتاب ألفه عبد الرشيد إبراهيم (١٨٥٧ – ١٩٤٤م) أول ممثل سياسي لأتراك روسيا في مصر. وهذا الكتاب طبع قبل ذلك في استانبول تحت عنوان (چولپان يلديزى) أي كوكب الزهرة (استانبول ١٨٩٠م، بترسبورغ ١٩٠٧م)، بينما طبع هذه المرة تحت عنوان مختلف هو (روسياده مسلمانلر يا خود تتار أقوامنك تاريخچه سى) أي المسلمون في روسيا أو تاريخ أقوام التتار. وقام على إعداده للطباعة في مصر صالح جمال، وظهرت طبعته في القاهرة سنة ١٩٠٠م، وهو يقدم معلومات شتى عن التتار، كما يتحدث عن سياسة الروس تجاه المسلمين والأعمال التي قامت بها محكمة اورنبرغ الشرعية[٣٢].

---

(٣١) Özege E-7499 ve Özege K-10724.

(٣٢) للاطلاع على نص مبسط لهذا الكتاب انظر: Seyfettin Erşahin, "Rusyada Müslümanlar: Tatar kavimlerinin tarihçesi", *Ankara Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi*, c. XXXV (1996), s. 561-602,

ويدلنا الغلاف الداخلي لكتاب (بوگونكى تركستان وياقين ماضيسى) أي تركستان اليوم وتاريخها الحديث للمؤرخ التركي المعروف زكي وليدي طوغان (١٨٩٠ – ١٩٧٠م) على أنه طبع في مصر (١٩٢٩ – ١٩٣٩م). وقد كتبه مؤلفه بالعثمانية ثم وَضَعَ له في النهاية مقدمة بالحرف اللاتيني شرح فيها السبب وراء طباعته في السنة التي وقع فيها الانتقال من الأحرف العربية إلى الأحرف اللاتينية في تركيا، أي في سنة ١٩٢٨م فرأى المؤلف أن مهاجري تركستان الذين يعيشون في بلدان آسيا ولا يعرفون الأبجدية اللاتينية سوف يقرأون هم أيضاً الكتاب ومن ثم يجب طبعه بالأحرف العثمانية، فطُبع الكتاب على تلك الصورة في مصر سنة ١٩٢٩م، ولكن المطبعة توقفت بعد طباعة الصحيفة ٤٤٨ بسبب الضيق المادي، ولم يبدأ العمل لاستكمال الطباعة إلاّ بعد مرور إحدى عشرة سنة.





الغلاف الداخلي والصحيفة الأولى من كتاب تراجم شعراء المولوية ومناقبهم بعنوان "سفينهٔ نفيسهٔ مولويان" (القاهرة، المطبعة الوهبية ١٢٨٣هـ [١٨٦٧م])

وعدا كتب التاريخ فقد شهدت مصر أيضاً طباعة بعض كتب التراجم التركية، ومنها كتاب لعبد الرحمن أشرف أفندي[٣٣] المشهور باسم المنلا القبرصي، وهذا الكتاب طبع في مصر سنة ١٢٥٢هـ (١٨٣٦م)، وهو كتاب موسوعي في التراجم عُرف باسم (تذكرة الحكم في طبقات الأمم). وقد انتهى عبد الرحمن أشرف من كتابته بالتركية في سنة ١٧٢٨م، وتحدث فيه عن أقوام وأمم شتى، وعن شعراء المسلمين في صدر الإسلام، وعن الدقائق والمزايا التي عرفت بها اللغة العربية، وعن أئمة القراءات المشهورين والقراءات السبع، وعن أصحاب المعاجم ومعاجمهم في العربية، وعن كبار المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين. وهذا الكتاب قد طبع مرة أيضاً في استانبول سنة ١٢٩١هـ بعد طباعته في مصر فجاء على هامش كتاب شمس الدين السيواسي المنظوم بعنوان (مناقب إمام أعظم). وفي سنة ١٢٦٢هـ (١٨٤٦م) قامت مطبعة بولاق بطبع كتاب آخر في التراجم والسير، وذلك الكتاب بعنوان (مناقب أولياى مصر) الذي هو ترجمة لكتاب (مرشد الزّوار إلى قبور الأبرار) الذي كتبه موفق الدين أبو محمد عبد الرحمن أبو الحزم الخزرجي الأنصاري، وتناول فيه تراجم الأولياء والمشايخ الذين عاشوا في مصر. كذلك فإن كتاب (سفينه ٔ نفيسه ٔ مولويان) الذي كتبه الشيخ المولوي مصطفى ثاقب دده هو الآخر واحد من كتب التراجم التي طبعت في مصر. والذي يبدو من عنوانه أنه في تراجم مشايخ الطريقة المولوية ومناقبهم. وقد استخدم فيه المؤلف أسلوباً أدبياً مغالياً في الصنعة، وطبع في ثلاثة مجلدات سنة ١٢٨٣هـ (١٨٦٧م).

ويُلاحظ أن كتب التراجم المستقلة هي التي بدأت تظهر بعد ذلك وليس كتب التراجم الجامعة على النحو السابق. ويمكننا أن نذكر من تلك الكتب كتاب (تبه دلنلي علي پاشا) الذي كتبه أحمد مفيد (١٩٠٣م)، وكتاب (قنديل ومختار پاشا) ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م) الذي كتبه علي فخري، وكتاب (مدحت پاشانك حيات سياسيه سى، خدماتى، شهادتى) ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م) الذي كتبه علي حيدر مدحت عن حياة والده مدحت باشا، والكتاب الذي يروي حياة الأمير بدرخان أحد أفراد عائلة بدرخان (١٩٠٧م).

(٣٣) انظر: Abdülkadir Özcan, "Abdurrahman Eşref", *DİA*, c.I, s. 161.



رفاعة رافع الطهطاوي

وكان لكتب الرحلات التركية أيضاً حظها في الطباعة في مصر، ومن أبرزها بلا شك كتاب (سياحتنامه ٔ رفاعه) الذي هو ترجمة للرحلة التي كتبها رفاعة الطهطاوي (١٨٠١ – ١٨٧٣م) عن زيارته لباريس وجعل عنوانها (تخليص الإبريز في تلخيص باريز). وكان رفاعة الطهطاوي واحداً من أبرز الشخصيات في عهد محمد علي باشا، ورائداً من رواد التعليم الحديث في مصر. وهو في رحلته يقارن بين الأماكن التي شاهدها في طريقه إلى باريس وبين ما يعرفه في مصر، ويروي انطباعاته عنها، ويقدم العديد من المعلومات

حولها[٣٤]. وقد قام بترجمة الرحلة إلى التركية رستم بسيم، ثم طبعت الترجمة في سنة ١٢٥٥هـ (١٨٣٩م) في بولاق.

وبعد ذلك الكتاب الذي هو من الإنتاج المصري المحلي طبعت رحلة تركية ثانية، وهي كتاب (منتخبات أوليا چلبي) الذي يضم مختارات من رحلة (سياحتنامه) للرحال العثماني المشهور أوليا چلبي، وتاريخ الطبع هو سنة ١٢٦٤هـ (١٨٤٧م).

وهناك أيضاً كتاب وَضَعَه اسماعيل اوغلى حاجى مصطفى ماهر أفندي، وهو من الرحلات المهمة التي طبعت في مصر تحت عنوان (قفقاسيا قبيله لرينك علامات وامرالرينك بعض حكايات ووقعه لرى). وكان اسماعيل اوغلى الجركسي الأصل قد انتسب في سنة ١٨٤٧م إلى محمد شريف باشا الكبير القوله لى، وراح يتعلم القراءة والكتابة في كنفه، ثم سافر في سنة ١٨٦٤– ١٨٦٥م إلى بلاد الجراكسة موطنه الأصلي. ولدى عودته من هناك بادر بتقديم كتابه الذي ألفه (سياحتنامه) إلى علي شريف باشا وقد ضمّنه معلومات هامة حول علاقات قبائل القوقاز ووقائع وأخبار أمرائها. ثم جرى إعداده بعد ذلك للطبع تحت العنوان الطويل الذي أشرنا إليه، وطبع به في سنة ١٨٩٢م.

وعدا رفاعة الطهطاوي هناك مؤلف مصري آخر حكى رحلاته إلى أوربا، وهو يوسف سامح الأصمعي الذي ذكرنا قبل ذلك أننا لم نعرف الكثير عن حياته، فقد كتب كتاباً باسم (سياحت أصمعي) أي رحلة الأصمعي روى فيها مشاهداته وانطباعاته عن أوربا، وطبعت سنة ١٣٠٨هـ (١٨٩١م)؛ أما كتابه الذي يحمل عنوان (صقليه – سيجيليا خاطره سى) أي ذكريات صقلية، فهو يروي فيه رحلته التي قام بها مع الأميرة قدرية حسين هانم ابنة حسين كامل في سنة ١٩٢٠م، وطبع في مصر سنة ١٩٢٢م.

---

(٣٤) "... اثناى راهده وپاريسده مدت اقامتنده بالمعاينه گوروب تيقن ايلديكى شيلرى وكنديسنه مشاهده ومعاينه سى ميسر اولميان نسنه لرى داخى اييجه بيلنلردن... گوزلجه تحقيق ايتمش واشبو ترجمه نك اصلى اولان كتابك تأليفى تاريخنه قدار فرنگستانه گيدوب كلان كيمسه لر سفارت يعنى الچيلك ويا ديگر بر مصلحت ايله گيدوب گلمش ايسه لر ده لسان بيلمديكلرندن قفصده محبوس بلبل گبى گيدوب گلوب مطالعه ايله فرنگستان احوالنه وقوف پيدا ايده جك بر كتاب و بر رساله جمع و ترتيب ايده مديكلرينى..."

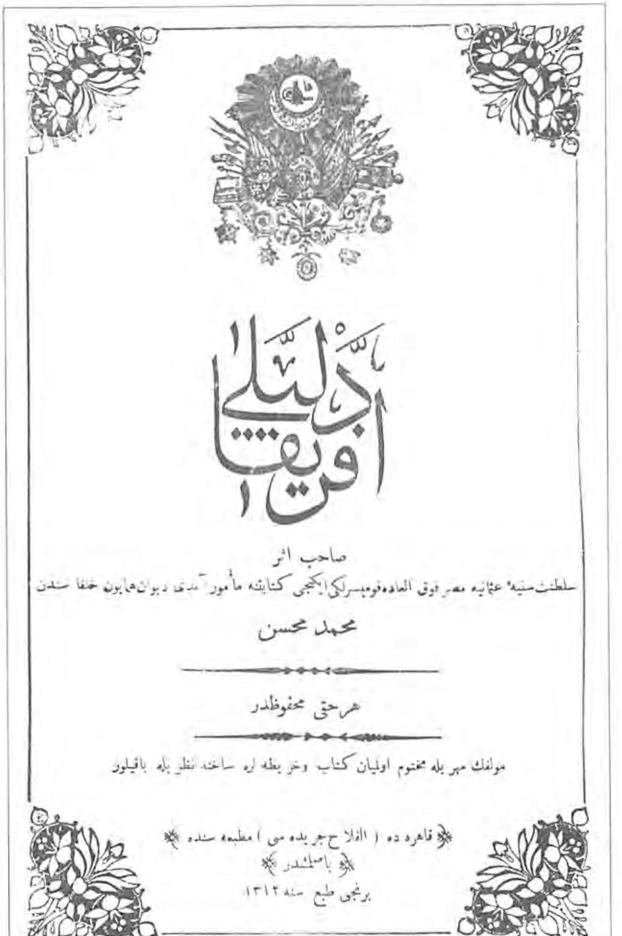


الأميرة قدرية حسين مع الأصمعي في رحلة إلى صقلية (١٩٢١م)

وفي سنة ١٨٩٤م ظهر في مصر كتاب جغرافي مهم وضعه باندرمالى محمد محسن (١٩٠٦م)[٣٥] بعنوان (افريقيا دليلى) أي دليل افريقيا. وهو كما يبدو من عنوانه يقدم معلومات حول قارة افريقيا التي يسكنها العديد من البشر ممن يتقاسمون الدين الإسلامي مع العثمانيين، ويتحدث في القسم الثاني منه عن مصر بوجه خاص، ويُفَصِّل القول في كافة جوانبها. وقد تم التوصل إلى أن المجلد الأول فقط هو الذي طبع منه، وأُدرج في

(٣٥) محمد محسن بك أديب مولع بالتاريخ، وكان بعد استكمال تعليمه قد عمل مدة طويلة كاتباً أول في معية المندوب السامي العثماني أحمد مختار باشا في مصر. وبعد عودته إلى استانبول عمل في ديوان التوقيعي، كما كان عضواً في مجلس الشورى. وقد توفي في استانبول سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، وله كتابان مطبوعان في مصر (انظر: *OCLT*, C. I, No: 216, s. 368).

نهايته تقريظ كتبه أحمد مختار باشا. ويُعد ذلك الكتاب من أشمل الكتب التي ألفت عن أفريقيا خلال السنوات الأخيرة من عمر الدولة العثمانية. أما الهدف منه فهو تعريف المسئولين العثمانيين بالقارة الإفريقية وإيقاظ الحكومة العثمانية أمام خطر الاستعمار الأوربي الزاحف عليها. ولا شك أن هذا النوع من الكتب كان بمثابة الخفقات الأخيرة لقلب الدولة العثمانية في أفريقيا.


افريقا دليلى

صاحب اثر

سلطنت سنيه عثمانيه مصر فوق العاده قومیسرلکی ایکنجی کتابته مأمور ديوان همايونی خلفا سندن

محمد محسن

هر حقى محفوظدر

مولفك مهر يله مختوم اولميان كتاب وخريطه لر ساخته نظر يله باقيلور

قاهره ده (الفلاح جريده سى) مطبعه سنده

باصلمشدر

برنجى طبع سنه ١٣١٢

كتاب دليل افريقيا "آفريقا دليلي" لمحمد محسن باندرمالى زاده

(مطبعة جريدة الفلاح ١٣١٢هـ [١٨٩٤م])

وكان تاريخ الطباعة لكتاب (بغدادن حلبه عربستان سياحتى) الذي هو ترجمة قام بها محمد سعاد عن الرحلة التي كتبها جان بابتيست لويس جاك روسو (مات سنة ١٨٣١م) هو سنة ١٣٢١هـ (١٩٠٣م). ولا نعلم شيئاً عن المترجم، أما المؤلف فقد عمل في خدمة فرنسا سنوات طويلة، إذ كان قنصلاً لها في البصرة عام ١٨٠٣م، وقنصلاً في حلب خلال سنوات ١٨٠٨ – ١٨١٤م، وقائماً بالأعمال وقنصلاً عاماً في طرابلس الغرب سنة ١٨٢٤م، وعضواً في أكاديمية الآثار التاريخية والأدبية، وكان قد ألف ذلك الكتاب عن مشاهداته وانطباعاته خلال الوظائف التي تولاها في بغداد وحلب.

وهناك رحلة أخرى طبعت في مصر، وهي التي كتبها الدكتور شرف الدين المغمومي في ثلاثة مجلدات. ويأتي المجلد الأول من تلك الرحلة المعروفة باسم (سياحت خاطره لرى) عن الأناضول وسوريا؛ بينما جاء المجلد الثاني عن بروكسل ولندن؛ أما الثالث فكان عن فرنسا وإيطاليا وسويسرا. وطُبع الكتاب خلال سنوات ١٩٠٨ – ١٩١٤م.

٦- كتب تركية في العلم الحديث

كان من أهم الجوانب في حركة التحديث التي سعى محمد علي باشا لتحقيقها في مصر هو نقل العلوم الحديثة والعمل على تدريسها في المدارس الحديثة التي أقامها. وكان الشئ الذي شرع به في هذا المجال، كما هو الحال في المجالات الأخرى، هو الاستفادة من تلك العلوم والاقتباس منها احتذاءاً بحركة التحديث التي بدأت في استانبول في مجال العلوم الحديثة. فكانت البداية هي النظر إلى الكتب التي ترجمت عن اللغات الأوربية في العديد من أفرع العلم كالطب والرياضيات والميكانيكا وغيرها وطبعت في استانبول، وإعادة طبعها من جديد في مطابع القاهرة، ثم استخدامها كتباً مدرسية في المدارس. غير أن ازدياد النفوذ الفرنسي في مصر – كما ظهر في الفصل الخاص بمكانة اللغة التركية في التعليم في مصر – وشروع السان سيمونيين في الجري وراء مشروع قناة السويس، ثم تعيين لامبرت Lampért من تلك الجماعة مديراً على رأس المهندسخانة المصرية قد أدى إلى تراجع طباعة كتب الرياضيات التركية في مصر.

ولا شك أن موضوع المصطلح العلمي واحد من أهم الجوانب في ترجمة كتب العلم الحديث عن اللغات الغربية واستخدام تلك الكتب في التدريس. كما أنه يشكل الجانب الأبرز أيضاً في حركة الترجمة، إلاّ أننا لم نتعرض له في الفصل الخاص بها، وفضّلنا الحديث عنه هنا لاعتبارات فنية. ولا شك أن هذا الموضوع في تاريخ العلوم العثمانية واحد من الموضوعات المتشعبة، ولكن أحداً لم يتعرض له حتى اليوم بصورة مفصلة جادة. فمن أهم الجوانب في حركة التحديث في العلوم في الدولة العثمانية هو الاستمرار – من ناحية – في استخدام المصطلحات العديدة التي جرى استخدامها منذ قرون في فروع العلم في أدبيات العلم الإسلامي، والقيام – من ناحية أخرى – بوضع مصطلحات جديدة ليس لها مقابل في الأدبيات القديمة من أجل التعبير عن المكتشفات والمعاني الجديدة في العلم الحديث، ثم كيفية اشتقاق ووضع تلك المصطلحات. ولا شك أن هذا الموضوع يستحق دراسة جادة. والجانب الآخر الجدير بالنظر في هذا الموضوع أيضاً هو حركة التحديث في العلم التي بدأت على المستوى التركي العثماني في استانبول وكيف بدأت وتطورت بالمقارنة مع ما حدث في القاهرة بعد عام ١٨٢٠م في المناخ العثماني – المصري/ العربي، وفي بيروت بعد عام ١٨٥٠م في المناخ التبشيري/ العربي.

وعلى قدر ما لمسنا من الدراسات القليلة التي قمنا بها حتى اليوم فإن موضوع المصطلح العلمي في حركة التحديث التي بدأت في مجال العلم في استانبول كان في الغالب ثمرة جهود جرت باسم العالم الإسلامي. فقد كان المثقفون ورجال العلم العثمانيون وهم يضعون المصطلحات الجديدة التي ليس لها مقابل في الأدبيات القديمة مدركين لأهمية الأدبيات العلمية الإسلامية القديمة، فشاؤوا إنشاء علم حديث على أسسها والحفاظ على استمرارية المصطلحات القديمة. أي أنهم أجمعوا من حيث الأساس على مواصلة استخدام المصطلحات التي لها مقابل في الأدبيات القديمة كما هي، أما المصطلحات التي ليس لها مقابل فقد عملوا على وضع المقابل المناسب لها. والملاحظ هو ندرة الدراسات في هذا الأمر الذي يقتضي تناول تلك الموضوعات في شتى فروع العلم. وتدلنا النتائج التي توصلنا إليها أن المصطلحات القديمة ظلت مستخدمة في الرياضيات والفلك في المراكز الثلاثة التي أشرنا إليها سابقاً (استانبول والقاهرة وبيروت)، بينما جرى وضع العديد من المصطلحات الجديدة في الطب تبعاً للحاجة. ويقدم لنا محور

(استانبول – قصر العيني) إمكانية لدراسة مقارنة غنية في هذا المجال. ولا شك أن "معجم مصطلحات الطب العثماني"[٣٦] الذي ظهر حديثاً في ذلك المجال سوف ييسر دراسة أحد الجوانب في تلك المقارنة ذات الثلاثة جوانب.

وبنظرة مقارنة في عملية وضع عدد من الأسماء والتعابير الخاصة التي ليس لها مقابل في الأدبيات الإسلامية يمكننا أن ندرك أن هناك شيئاً من الاستلهام. فقد اطلع رفاعة الطهطاوي على كتاب (جهاننما) الذي وضعه العالم العثماني الشهير كاتب چلبي أو حاجي خليفة وطبع في سنة ١٧٣٢م، ويُفهم مما قاله الطهطاوي في مقدمة كتابه المعروف باسم "التعريبات الشافية لمريدي الجغرافيا" أنه – وهو يتحدث عن الأسماء الجغرافية التي ليس لها مقابل في العربية – قد اهتدى بكاتب چلبي في هذا الموضوع[٣٧].

وكانت مصطلحات الكيمياء الحديثة أيضاً واحداً من أفرع العلم التي كشفت عن طرق مختلفة في وضع المصطلح الحديث فيما بين استانبول العثمانية والقاهرة العثمانية. إذ يلاحظ وجود فوارق بين استانبول والقاهرة عند وضع المقابل للعناصر التي ليس لها وجود في أدبيات الكيمياء القديمة. والمثال على ذلك عنصر الأوكسجين الذي اكتشف عام ١٧٧٤م، وعنصر الهيدروجين الذي اكتشف عام ١٧٧٦م، فكلاهما ليس له مقابل في لغات العالم. وكان العلماء الذين نقلوا تلك المعارف الجديدة من استانبول إلى شتى أنحاء العالم العثماني قد وضعوا لهما اسمين مستمدين من العربية بطريقة تشبه طريقة الاشتقاق في اللغات الأوربية، فجعلوا اسم الأول "مولد الحموضة" والثاني" مولد الماء". بينما قام العاملون على الترجمة من اللغات الأوربية في عهد محمد علي باشا باستخدام هذين الاسمين الأجنبيين كما هما بعد إخضاعهما لطريقة النطق العربية، فقالوا: اوكسجين وهيدروجين. واليوم يجري استخدام هاتين الكلمتين الأوربيتين في كل أنحاء العالم العربي تأثراً بالمدرسة المصرية إلاّ في سوريا التي ظلت

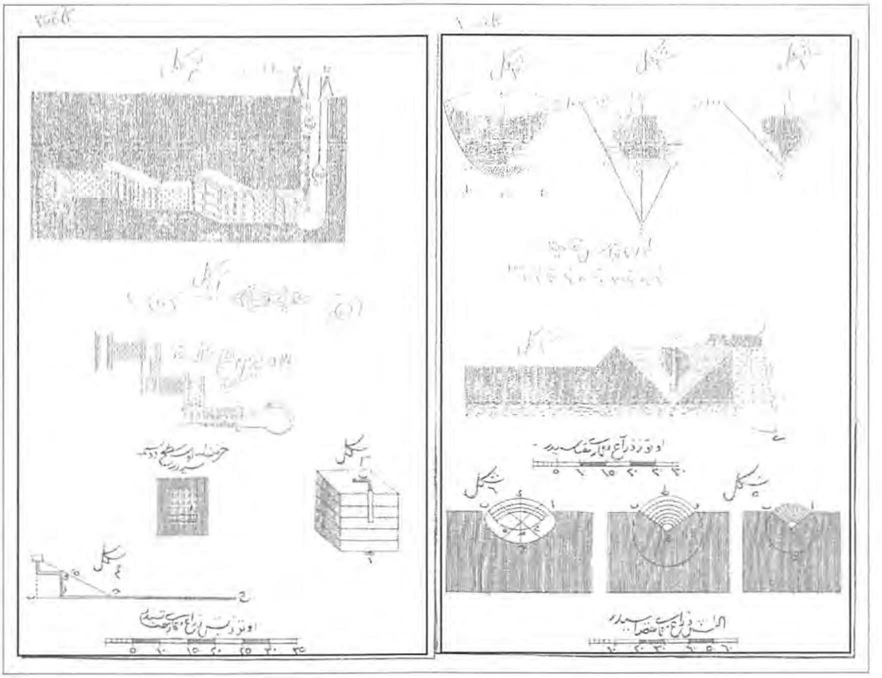
---

(٣٦) Ekrem Kadri Unat, Ekmeleddin İhsanoğlu, Suat Vural, *Osmanlıca tıp terimleri sözlüğü*, Ankara: Türk Tarih Kurumu Yayınları, 2004.

(٣٧) انظر: التعريبات الشافية لمريدي الجغرافيا، بولاق ١٢٥٠/١٨٣٤، انظر ايضا في هذا الموضوع جمال الدين الشيال، المصدر السابق، ص ٢١٣.

تستخدم المقابل العثماني (مولد الحموضة ومولد الماء) حتى عهد متأخر تأثراً بكلية طب الشام التي كانت تتبع دار الفنون (الجامعة) في استانبول[٣٨].

ويتبين من هذه الأمثلة وغيرها من الأمثلة العديدة التي يضيق المكان عن ذكرها هنا أن جهود وضع المصطلح العلمي الحديث في استانبول لم تكن عملية نقل مباشرة، وإنما كانت أمراً أبعد من ذلك، إذ استهدفت طرح "مقابل" أو "معادل" للفظ الأجنبي باسم العالم الإسلامي الذي تمثله الدولة العثمانية.



صحيفتان من كتاب حسين رفقي الطماني المعروف باسم
"تلخيص الأشكال في معرفة ترفيع الأثقال في فن لغم"

وكان نقل العلوم الحديثة في القاهرة في المرحلة الأولى قد بدأ احتذاءً بنموذج استانبول، وعلى هذا النحو جرى في مصر طبع أعمال حسين رفقي طماني وإسحاق أفندي من جديد في سنوات ١٨٢٤، ١٨٢٥، ١٨٣٠، ١٨٣١، ١٨٤١ – ١٨٤٥م، وكلا المؤلفين كانا

(٣٨) انظر أكمل الدين احسان اوغلى، المؤسسات الصحية العثمانية الحديثة في سوريا، المستشفيات وكلية طب الشام، عمان ٢٠٠٢م.

يعملان معلمين أولين (باش خوجه) في مهندسخانة استانبول. كما طُبعت إلى جانب ذلك في مصر أعمال في الرياضيات قام بترجمتها إلى اللغة التركية من اللغات الأوربية أتراك مصريون من أمثال إبراهيم أدهم وطبعت بعدها.

أما في مجال الطب فقد سارت الأمور منذ البداية لغير صالح اللغة التركية واستعمالها لغةً للعلم[٣٩]. فقد بدأ التعليم الطبي باللغة العربية نتيجة لنفوذ الفرنسيين، ولم يكن للغة التركية دور في ذلك. ورغم أن أول كتاب في الطب تم طبعه عام ١٨٢٨م بأمر من محمد علي باشا هو (قانون الجراحين)، الكتاب الرابع ضمن (خمسة) شانى زاده المشهورة، فإنه لم يطبع في مصر من بعده كتاب في الطب بالمعنى الحقيقي. اللهم إلاّ كتابين في الطب الشعبي ألفهما أنطوان كلوت (كلوت بك) لأجل الوالي محمد علي باشا وأفراد عائلته والمحيطين بهم ممن يتحدثون التركية، ثم جرت ترجمتهما من الفرنسية إلى التركية وطبعا. وأولهما هو كتاب (معالجهٔ أطفال) الذي هو ترجمة تركية لكتاب *Maladie des Enfants* في طب الأطفال، وطبع في مطبعة بولاق سنة ١٢٦٠هـ (١٨٤٤م). والثاني هو (ترجمة كتاب كنوز الصحة) الذي طبع سنة ١٢٦١هـ (١٨٤٥م). وقام بترجمة الكتابين إلى التركية مصطفى رسمي الجركسي.

وعلى الرغم من محدودية استخدام اللغة التركية لغةً للطب في مصر إلاّ أنها حظيت بمكانة أبرز في النظم واللوائح الرسمية الخاصة بالصحة، إذ جرى طبع ثلاثة قوانين (قانوننامه) باللغة التركية في ذلك المجال، وأول تلك القوانين واحد عن المستشفيات، وهو الذي عُرف باسم (اوسبتاليالر قانوننامه سندن مستخرج)، وطبع سنة ١٢٤٨م (١٨٣٢ – ٣٣). أما الثاني فهو حول المستشفيات العسكرية، وعُرف باسم (عسكرى بيمارخانه لرك فرمانى) أو (قوانين الصحة)، وهو في الخدمات الصحية العسكرية، وطبع سنة ١٢٥٠هـ (١٨٣٥م). وكان القانون الثالث عن المحاجر الصحية والنظافة وغيرها تحت اسم (كورنتينه ونظافته داير قصاصنامه نك صورتيدر) في مجال الطب، وطبع سنة ١٢٦٠هـ (١٨٤٤م)

---

(٣٩) الواقع أن هناك كتباً كثيرة في الطب طبعت في مصر، ويذكر هسو أن هناك ٤٧ كتاباً في الطب طبعت خلال الثلاثين عاما الاولى من تاريخ المطبعة (هسو، الرسالة السابقة، ص١٣٧-١٣٨). ولكن قسما كبيرا من تلك الكتب بالعربية.

باللغتين التركية والعربية. كما طُبع بعد تلك القانوننامات تقرير عن الأحوال الصحية في مصر في سنة ١٢٦٦هـ (١٨٤٩ – ١٨٥٠م) تحت عنوان (مجلس صحيه دن بر قوميسيون ترتيبيله مصرده أحوال صحيه [يه داير] تقديم ايتمش اولدوقلرى ريپورت ترجمه سيدر).

وعدا تلك الكتب فقد استمرت طباعة بعض كتب الثقافة الطبية في القاهرة، والمثال على ذلك كتاب أعده مصطفى رشيد أفندي (ت ١٨٣٠م) دليلاً للصحة لأجل الحجاج تحت عنوان (ترتيب أجزا). فقد ذهب الرجل إلى الحج سنة ١٨١٦م، فلما شهد أثناء الرحلة مرض العديد من الحجاج ووفاة بعضهم قام بكتابة رسالة في الأدوية المجربة. ثم قام بهجت مصطفى أفندي (ت ١٨٣٤م) رئيس الأطباء في عهدي سليم الثالث ومحمود الثاني بمراجعة تلك الرسالة، ووضع لها بعض الإضافات، ثم جرى طبعها في استانبول مع كتاب آخر باسم (نهجة المنازل) كتبه محمد أديب في موضوع الحج سنة ١٢٣٢هـ (١٨١٧م)، ثم أعيد الطبع ثلاث مرات في بولاق سنة ١٢٥٠هـ (١٨٣٤م)، ١٢٥٢هـ (١٨٣٦م) و ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) [٤٠].

وفي سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م طبع في بولاق ثلاثة كتب في الطب دفعةً واحدة. وكان الكتاب الأول هو الذي كتبه زين العابدين بن خليل (ت ١٠٥٦هـ/ ١٦٤٧م)، وعُرف باسم (شفاء الفؤاد) [٤١] في الصحة العامة، ثم قدمه للسلطان مراد الرابع. والكتاب الثاني هو كتاب زكي علي بك المعروف بعنوان (خواص ببريه). ويذكر زكي في مقدمته أنه عمل مع طبيب أوربي يدعى كاستور وترجم هذا الكتاب، وتحدث فيه عن نبات باسم (ببريه) وعن فوائده. أما الكتاب الأخير فهو رسالة في الشاي (چاي رساله سى) كتبها أبو الخير اسماعيل وترجمها داماد زاده أبو الخير أحمد أفندي ابن مصطفى راسخ أفندي (ت ١١٥٤هـ/ ١٧٤١م).

---

(٤٠) طبعة الكتاب التي ظهرت في استانبول عام ١٢٧٤ كانت مع كتاب آخر بعنوان (نبذة المناسك) لمراد نقشبندي.

(٤١) للتعرف على ذلك الكتاب انظر: Ayşe Özakbaş, “17. yüzyılda yazılan bir tıp kitabı: “Şifâ’ü’l-Fu’âd li-Hazreti Sultan Murâd” İstanbul kütüphanelerindeki nüshaları ve muhtevası”, *Journal of Turkish Studies: Abdülbaki Gölpınarlı Hâtıra sayısı-II*, (1996), s.133-168.

وهناك من بين الكتب التركية المطبوعة في مصر كتابان يحتويان قانونين تركيين في الطب البيطري. وطبع الاثنان في سنة ١٢٥٠هـ (١٨٣٤ - ١٨٣٥م)، والأول بعنوان (بيطره خدماتنه داير ترتيبات)، والثاني بعنوان (قانوننامهٔ بيطارى)، ولم يطبع بعدهما كتب تركية في الطب البيطري في مصر.

وفي غضون ذلك جرى طبع ثلاثة كتب في الشئون الهندسية، وكان الأول منها حول الترتيبات الخاصة بالترع والجسور، وحمل عنوان (أقاليم معمورهٔ مصريه ده ترع وجسور عمليه سنه داير ترتيب اولنان قانوننامه نك بيانده در)، وقد طبع سنة ١٢٦٠هـ (١٨٤٤م) مع ترجمة عربية له. والثاني كتاب عن الأنهار والترع تمت ترجمته من الفرنسية إلى العربية، ثم من العربية إلى التركية، وطبع سنة ١٢٧٦هـ (١٨٦٠م) تحت عنوان (ايرماقلر ايله دره لرك استكشافنه دائر در). أما الكتاب الثالث فهو عن السكة الحديد التي تقرر إنشاؤها للربط بين مصر والسودان وخلاصة تقرير المستر فاولر عن السطح المائل اللازم إقامته لتسهيل مرور المراكب من على الشلال الأول، وقد طبع ذلك الكتاب سنة ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م) تحت عنوان (خطهٔ مصريه نك أقاليم سودانيه يه تقريب واتصالى ايچون إعمالى مصمم اولان دميريولى ايله برنجى شلاله نك اوزرندن مرور سفائنى تسهيل ايچون انشاسى لازم گلان سطح مائل حقنده مستر فاولرك خلاصهٔ تقريريدر).

أما طباعة الكتب التركية الخاصة بالعلم الحديث في القرن العشرين فقد سارت في سياق مختلف، لأن اللغة التركية لم تعد لغةً للتعليم، ولم يعد هناك مجال لأن تكون الكتب الخاصة بالعلم الحديث مكتوبة بالتركية. وفي تلك المرحلة الجديدة نلاحظ أن الوافدين على مصر من تركيا ممن اشتغلوا بالعلوم الحديثة قد قاموا بطبع بعض الكتب في مصر كلٌّ بحسب تخصصه. ولكن الواضح أيضاً أنها كانت موجهة إلى سوق استانبول أكثر من غيرها.

وفي مقدمة ذلك تسترعي الانتباه كتب الغازي أحمد مختار باشا. وكان قد تم تعيينه من قبل الدولة مندوباً سامياً في مصر (١٨٣٩ - ١٩١٨م) بقصد حل المسألة المصرية التي بدأت مع دخول الإنجليز مصر عام ١٨٨٢م وإعداد شروط جلائهم عنها، وطُبع له أثناء

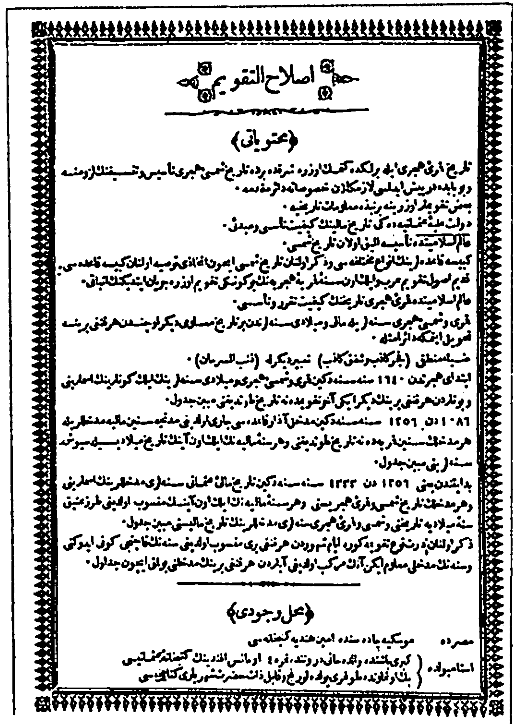
ذلك كتابان مهمان في الفلك. فقد كان – إلى جانب أنه رجل دولة وقائد عسكري – مشغولاً بأمور العلم، وله غير أعماله في الرياضيات والفلك كتب مطبوعة في الدين والتاريخ والجغرافيا أيضاً[٤٢].

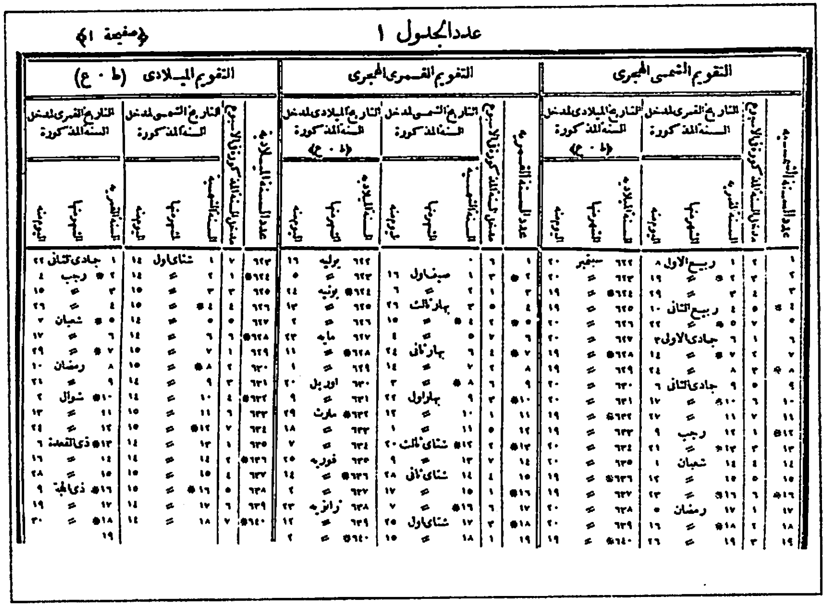
والكتاب الأول الذي طُبع للغازي أحمد مختار باشا في مجال الفلك في مصر كان قد كتبه في استانبول، فلما تم تعيينه في مصر طبع هناك في القاهرة تحت عنوان (رياض المختار مرآة الميقات والأدوار مع مجموعة الأشكال) (١٣٠٣هـ) [١٨٨٦م]، أما قسم الأشكال فيه فقد طُبع في مجلد منفصل. وهو يتناول الحديث عن أشكال البسائط (الساعات الشمسية)، وماهية الساعات المضبوطة على الزوال والغروب والاسطرلاب وعن مختلف التقاويم. كما كتب الباشا ذيلاً لهذا الكتاب، وطبع معه في مصر سنة ١٣٠٤هـ (١٨٨٦م). وقد قام شفيق باشا يكن بترجمته إلى العربية ثم طبعت الترجمة في مصر أيضاً سنة ١٣٠٦هـ (١٨٨٩م).

أما في كتابه (إصلاح التقويم) (١٣٠٧هـ) [١٨٩٠م] الذي طبع في مصر مع الترجمة العربية التي قام بها شفيق باشا فقد أدرج فيه بدايات أكثر التقاويم شيوعاً في الشرق وأسباب الاختلاف بينها، كما أدرج الدراسات والجداول الخاصة باختيار أساس سليم لأجل التقويم الشمسي، واقترح فيه نظاماً جديداً وسليماً تبعاً لأسس السنة الهجرية الشمسية وأوضح فيه أخطاء التقويم المالي العثماني، كما وضع فيه جدولاً مفصلاً يكشف عن بدايات الأعوام الشمسية والقمرية حتى سنة ٢٢١٢.

---

(٤٢) احمد مختار باشا هو احد رجال الدولة والعلماء البارزين الذين نشأوا في المرحلة الاخيرة من عمر الدولة العثمانية، وقد ولد في بورصة سنة ١٨٣٩. وبعد أن تخرج في المدرسة الحربية متصدراً دفعته بدرجة الاول في سنة ١٨٦٠ عمل سنوات طويلة في وظائف مختلفة. وقد تمت ترقيته إلى رتبة المشير في عهد السلطان عبدالعزيز عندما قام بجهوده لربط إيالة اليمن بمركز الدولة، وفي سنة ١٨٧٥ تم تعيينه رئيسا لأركان جيش الخاصة الذي كان تحت قيادة ولي العهد يوسف عزالدين افندي. وتولى احمد مختار عدة مهام في شمني [بلغاريا] وارضروم [الأناضول] والبوسنه والهرسك، ولما حقق نجاحا ضد الروس في الحرب العثمانية الروسية (١٨٧٧-١٨٧٨م) كافأه السلطان عبدالحميد الثاني بلقب الغازي وقلده سيفا ذهبياً. ومع دخول الانجليز مصر في عام ١٨٨٨ تم تعيينه مندوباً سامياً هناك، وظل سنوات طويلة في هذه الوظيفة، ولم يعد الى استانبول إلا بعد إعلان المشروطية الثانية في سنة ١٩٠٨. وهو يجيد اللغة الفرنسية وله مؤلفات كثيرة. (للمزيد من المعلومات حول حياة احمد مختار باشا ومؤلفاته في الفلك والرياضيات والجغرافيا انظر: *OALT*, nr. 543; *OMLT*, nr. 369; *OCLT*, nr. 360; Rifat Uçarol, "Gazi Ahmed Muhtar Paşa", *DİA*, c.XIII, s.445-448.)





صفحة الغلاف الداخلي التي تضم محتويات كتاب "إصلاح التقويم" (١٣٠٧هـ [١٨٩٠م] ثم نموذج من التقويم



قاموس طبى

(بالجمله علوم وفنون طبيه وطبيعيه : يعنى [حكمت طبيعيه، كيمياى عضوى ومعدنى ، نباتات ، حيوانات ، طبقات الارض ، مستحاثات ، معدنيات ، تشريح ، فيزيولوژى ، پسيقولوژى ، انساج عضويه ومرضيه ، امراض عموميه وخصوصيه وداخليه وجراحيه ، حفظ الصحه ، مفردات طب وفن اسپنجيارى ، باقتريولوژى ، مبحث الرشيم والجنين ، ولادت ويا قابله « ابه لك » ، عجائبات خلقيه وطب قانونى يه] عائد كافه اسما وكلماتى جامع وهر بيرى حقنده تعريفات وتفصيلات لازمه يى حاوى فرانسزجه دن توركجه يه آنسيقلوپدى يعنى محيط المعارف طرزنده وهركسك آكلايه بيله جكى ساده لكده يازلمش بر اثر عمومى در .)

محررى

دوقتور

شرف الدين مغمومى

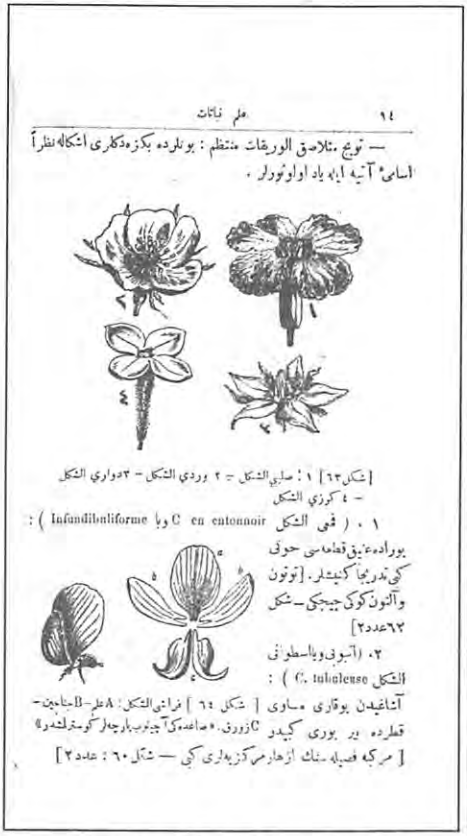
— برنجى جلد —

DICTIONNAIRE
ENCYCLOPÉDIQUE MÉDICAL
Français-Turc
PAR
Dr CHEREFEDDIN BEY MAGMOUMY
TOME I
Imprimerie (OSMANIÉ) Le Caire
1910

مصرده عثمانلى مطبعه سنده طبع اولنمشدر

١٣٢٨

القاموس الطبي للدكتور شرف الدين مغمومي (القاهرة – المطبعة العثمانية ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م)



١٤ علم نباتات

— توبج متلاصق الورقات منتظم : بونلرده بكزه دكلرى اشكاله نظراً اسامئ آتيه ايله ياد اولونورلر .

[شكل ٦٣] ١ : صليبي الشكل – ٢ وردي الشكل – ٣ دواري الشكل – ٤ كوزي الشكل

١ . (قمعى الشكل en entonnoir C ويا Infundibuliforme) : بوراده عتيق قطعه سى حونى كبى تدريجا كنيشلر . [توتون وآلتون كوكى جيجكى – شكل ٦٣ عدد ٢]

٢ . (آنبوبى ويا اسطوانى الشكل C. tubuleuse) : آشاغيدن يوقارى مساوى قطرده بر بورى كيدر [مركبه فصيله سنك ازهار مركزيه لرى كبى — شكل ٦٠ : عدد ٢]

[شكل ٦٤] فراشى الشكل : A علم – B جناحين – C زورق . « صاعده كى آچيلوب پارچه لر كوسترلمشدر »

صحيفة من كتاب علم النباتات للدكتور شرف الدين مغمومي (القاهرة المطبعة العمومية ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٩م)

وطبعت في مصر أيضاً بعض أعمال الدكتور شرف الدين مغمومي[٤٣] أحد أعضاء جمعية تركيا الفتاة الذين التجأوا إلى مصر. ومنها كتابان مهمان في مجال العلم الحديث بوجه خاص، وأولهما معجمه الطبي (قاموس طبي) *Dictionaire encyclopédique médical Français - Turc* الذي طبع في مصر في مجلدين سنة ١٩١٠ – ١٩١١م. ويضم ذلك العمل الموسوعي عن الطب معلومات وتعريفات من الفرنسية إلى التركية للعديد من المصطلحات في علم النفس والكيمياء ووظائف الأعضاء والصيدلة وغيرها. أما

(٤٣) حول شرف الدين المغمومي انظر: Nâzım H. Polat, "Şerafeddin Mağmûmî (1869-1927): Hayatı, eserleri, dil ve edebiyat görüşleri", *Tıp Tarihi Araştırmaları* 8 (İstanbul 1999), s. 62-160.

الكتاب المهم الثاني للمغمومي فهو (علم نباتات) الذي وضعه في علم النبات وطبع قبل ذلك في استانبول (١٣٠٩هـ)، وكان مخصصاً للتدريس لطلاب المدارس الطبية والبيطرية والصيدلانية والمداومين من دار الفنون [الجامعة] وطلاب مدارس الزراعة والغابات. ويتناول الكتاب موضوعات: تعريف علم النبات، والفرق بين النبات والحيوان، وتقسيم علم النبات، وفسيولوجيا النبات، وأصول تصنيف النباتات وتوصيفها. وقد طبع الكتاب في مصر سنة ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م).

أما آخر الأعمال التي استخدمت اللغة التركية لغةً للعلم في مصر فهو معجم النباتات المتعدد اللغات الذي طبع هناك سنة ١٩٣٦م، وهو معجم أعده أرمناك ك. بدويان[٤٤] (١٨٨٤ – ١٩٥٧م)، الذي ينحدر من عائلة أرمنية من عربگير (في شرق الاناضول)، وولد في حلب ثم رحل صغيراً مع عائلته إلى القاهرة فاستوطنها، وهناك تخرج في مدرسة زراعة القاهرة، ثم عمل بعد ذلك في وزارة الزراعة المصرية. ويضم الكتاب ٣٦٥٧ اسماً للنباتات باللاتينية والعربية والأرمنية والانجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والتركية، كما يضم ١٧١١ صورة. وقد عرف ذلك المعجم باسم: *Illustrated polyglottic dictionary of plant names in Latin, Arabic, Armenian, English, Franch, German, Italian and Turkish Languges* وهو بلا شك ثمرة لمجهود كبير، ولا زال محافظاً حتى اليوم على قيمته العلمية. ويضم قائمة واسعة بالمراجع، كما ضمّنه المؤلف تجاربه الشخصية فأضفى عليه قيمة لا يستهان بها. وعدا قسم المعجم الأساسي الذي يقع في ٦٤٤ صحيفة فإن الكتاب يتشكل من كشافات وإيضاحات بلغات مختلفة. فهو يضم في أوله "إيضاحات" بالتركية، بينما يضم في القسم الثاني كشافاً بالتركية يحمل اسم (الفبا صيراسيله نباتلرك اسم فهرستى) أي فهرس أسماء النباتات مرتبة ألفبائياً. ويحتل ذلك القسم مكانه بين الصحيفة رقم ٢٦١ والصحيفة رقم ٣٠٦. وقد جرى طبع المعجم في مصر مرة أخرى سنة ١٩٩٤م بطريقة الأوفست.

٧- جماعة تركيا الفتاة وإصدارات المعارضة السياسية

كان واضحاً أن احتلال الانجليز لمصر عام ١٨٨٢م قد ساعد على مضاعفة قوة المعارضين للنظام العثماني، وأدى إلى تراجع النفوذ العثماني بها وانحسار الثقافة التركية عن ذي قبل. إلاّ أننا نشهد تزايداً في عدد الكتب التركية المطبوعة في مصر، وكان

(٤٤) لمعلومات موجزة عن ارمناك بدويان انظر: Kevork Pamukciyan, "Botanist ve dilci Armenak Bedevyan (1884-1957)", *Toplum ve Tarih,* III / 13 (Ocak 1985), s.65.

العامل الأهم وراء تلك الزيادة هو أن الانجليز كانوا يدعمون النشاط السياسي المناهض للدولة العثمانية، ويعملون على تهيئة الظروف التي تتيح للمعارضين السياسيين مناخاً آمناً في مصر حتى استطاع المعارضون لاستانبول من رجال الصحافة أن يجدوا المأوى والملاذ بها لمدة طويلة. وهذا النشاط في عمليات النشر التي بدأت مع مقدم جماعة تركيا الفتاة في عام ١٨٩٥م قد ظلت مستمرة حتى إعلان المشروطية في سنة ١٩٠٨م، وطُبعت لجماعة تركيا الفتاة أثناء ذلك عدة كتب بالتركية متفاوتة الأحجام، كما صدرت عدة صحف منظمة أو غير منظمة (للتعرف على صحف وجرائد جمعية تركيا الفتاة انظر قسم "الصحف والجرائد التركية الصادرة في مصر"). وقد قلت المطبوعات السياسية المعارضة لاستانبول بعد فترة وجيزة من إعلان المشروطية. فلا نشهد بعد ذلك التاريخ بين الكتب التركية المطبوعة في مصر إلاّ القليل الذي يتحدث عن السياسة.

وتلك الأعمال التي سنحاول التعريف بها فيما يلي تحت عنوان: إصدارات تركيا الفتاة لا يمكننا وصفها جميعاً بأنها تعتمد أسساً سياسية وفكرية واحدة. ودون الدخول كثيراً في تقييم تلك الأعمال من الناحية السياسية والفكرية أو التعرض للأحزاب التي يتبعها هذا الكاتب أو ذاك والأسباب التي دفعته لخوض عملية النشر فإننا سوف نتناول كل تلك الأعمال من خلال نظرة عامة. وللحصول على معلومات أشمل عن نشاط أحزاب تركيا الفتاة في مصر يكون من المفيد أن يجمع القارئ بين هذا القسم والقسم الآخر الخاص بالصحافة التركية في مصر.

– إصدارات جماعة تركيا الفتاة

كانت جمعية الاتحاد والترقي قد نظمت نفسها في مصر وباريس اعتباراً من سنة ١٨٩٥م، وتم تعيين اسماعيل إبراهيم رئيساً لشعبتها في مصر. وعقب وصول ميزانجي مراد بك إلى مصر في نفس السنة ومبادرته بإصدار جريدة (ميزان) هناك، بدأت مصر تتحول إلى مكان يمكن لأعضاء تركيا الفتاة أن يعبروا فيه عن أفكارهم بانفتاح. وكان يقيم في القاهرة آنذاك من جماعة تركيا الفتاة الدكتور اسماعيل إبراهيم وحسن عارف بك ورشيد بك. كما كان أحمد صائب بك الذي يعمل (ياوراً) مساعداً للغازي أحمد مختار باشا

المفوض السامي للحكومة العثمانية لا يضن بعون لحركة تركيا الفتاة، ولأجل هذا أيضاً أصبحت مصر واحداً من المراكز القوية لرجال تركيا الفتاة.

واستمرت مصر على ذلك الوضع مدة من الزمن بعد أن اختارها للإقامة وممارسة النشاط عددٌ من رجال تركيا الفتاة ممن كان بقاؤهم مستحيلاً في الأراضي العثمانية، وقاموا بنشر الكتب في العديد من المجالات بما فيها الأدب والموضوعات الدينية. غير أن جانباً كبيراً من تلك الكتب كان صادراً ضد السلطان والحكومة العثمانية. ويمكننا تقسيم الكتب التي نشروها إلى عدة مجموعات؛ هي: الكتب التي تتناول قضايا الدولة والمجتمع، والكتب الصغيرة التي تنتقد النظام الحاكم ومؤيديه، ثم الكتيبات الإعلامية التي تنادي بالاتجاه العثماني، ثم الأعمال التي تعكس الصدام الفكري الايديولوجي داخل حركة تركيا الفتاة نفسها. وصدر في تلك المدة عدد كبير من الكتب والصحف والمجلات في جنيف وباريس وفي مصر بصفة خاصة، بل ويمكننا القول "إن القاهرة كانت عاصمة الأدب التركي غير الشرعي"(٤٥).

وكان أول كتاب طبع في مصر لرجال تركيا الفتاة هو الذي ألفه ميزانجي محمد مراد (١٨٥٤ – ١٩١٧م)(٤٦) وعُرف باسم (يلديز سراى همايونى وباب عالى ياخود شرق درد أصليسى) ١٣١٣هـ [١٨٩٥م]. وكان قد نشره بالفرنسية في باريس قبل ذلك ثم عاد فترجمه إلى التركية العثمانية ثم نشره في مصر. كما نَشَرَ أيضاً جريدته (ميزان) في مصر عدة سنوات. وكان السبب وراء اختياره لمصر لممارسة أعماله في النشر هو أنها منذ مدة كانت قد أصبحت واحداً من مراكز المعارضة التي يخوضها أفراد جماعة تركيا الفتاة ضد السلطان عبد الحميد الثاني. ولا شك أن أعمال النشر في مناخ آمن على هذا النحو سوف تكون أكثر يسراً وتأثيراً.

واعتباراً من سنة ١٨٩٦م بدأت تتضاعف إصدارات تركيا الفتاة المطبوعة في مصر، بل وطُبعت في ذلك العام نفسه الترجمة التي قام بها عبد الله جودت (١٨٦٩ – ١٩٣٢م) أحد

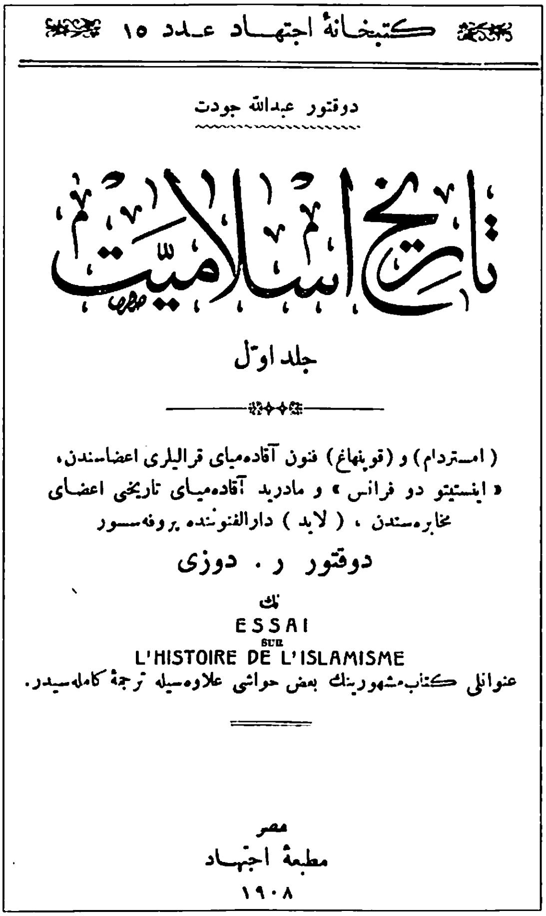
---

(٤٥) انظر: Yuri A. Petrosyan, "Jön Türklerin Yasa Dışı Yayınları", *Osmanlı: Düşünce*, c.VII, s. 428-435.

(٤٦) للمزيد من المعلومات حول ميزانجي مراد انظر: Birol Emil, *Mizancı Murad Bey: hayatı ve eserleri*, İstanbul: İ.Ü.E.F., 1979.

زعماء الحركة في مصر تحت عنوان (غيوم تل). وهو كتاب ترجمه إلى التركية في سنة ١٨٩٥م عن شيلر Schiller وصَدّر له بمقدمة مهمة تركت أثراً كبيراً في أوساط تركيا الفتاة، ثم طُبعت تلك المقدمة بعد ذلك في مصر مرتين تحت عنوان (ايكى أمل) (مطبعة جمعية الاتحاد والترقي العثمانية ١٣١٦هـ [١٨٩٨م] ومطبعة الإجتهاد [١٣٢٤] ١٩٠٦م).

وكان عبد الله جودت قد انتقل إلى مصر في سنة ١٩٠٥م، وشرع هناك في إصدار جريدة (اجتهاد) التي كان يصدرها في جنيف، وأثار بكتاباته المناهضة للعائلة السلطانية جدلاً واسعاً.


كتبخانۀ اجتهاد عدد ١٥

دوقتور عبدالله جودت

تاريخ اسلاميت

جلد اول

(امستردام) و (قوپنهاغ) فنون آقادەمیای قراليلرى اعضاسندن، « اينستيتو دو فرانس » و مادريد آقادەمیای تاريخی اعضای مخابرەسندن ، (لايد) دارالفنوننده پروفەسور

دوقتور ر . دوزى

نك

ESSAI
SUR
L'HISTOIRE DE L'ISLAMISME

عنوانلى كتاب مشهورينك بعض حواشى علاوەسيله ترجمۀ كاملەسيدر.

مصر
مطبعۀ اجتهاد
١٩٠٨

الغلاف الداخلي لكتاب "تاريخ إسلاميت" الذي أثار جدلاً واسعاً عندما ترجمه عبد الله جودت ثم طُبع (المجلد الأول، مصر – مطبعة الاجتهاد ١٩٠٨م)

وشعر بالتعاطف آنذاك مع مجموعة البرنس صباح الدين، ثم آثر البقاء في مصر بعد الخلافات التي نشبت بينه وبين أعضاء جمعية الاتحاد والترقي بعد إعلان المشروطية الثانية. وقام في غضون ذلك بترجمة كتاب دوزي (R. Dozy) إلى التركية تحت عنوان (تاريخ اسلاميت)، ثم طبعه في القاهرة (١٩٠٨م)، وهو الكتاب الذي أثار ضجة كبرى بسبب أقواله التي تحط من قدر الدين الإسلامي والنبي محمد (عليه الصلاة والسلام) وعُرف في الفرنسية باسم *Essai sur L'histoire de L'islamisme*. وقام عبد الله جودت بنشر العديد من الكتب تأليفاً وترجمةً، فبلغ عدد الأولى ستة وأربعين، بينما بلغ عدد الثانية ثلاثين كتاباً[٤٧]. وهي تتنوع في موضوعاتها وتتشعب ابتداءاً من الأعمال المسرحية إلى الطب، وطُبع قسمٌ منها في مصر. ويوجد من بين الترجمات المنشورة ثلاث مسرحيات لشكسبير (هاملت وجول سزار وماكبث). وها هي الكتب التركية التي طبعت لعبد الله جودت في مصر:

- گييوم تل = *Guillaume Tell* (ترجمة عبد الله جودت عن فريدريك فون شيلر) الطبعة الثانية ١٣١٤هـ [١٨٩٦م].
- ايكي أمل ١٣١٦هـ [١٨٩٨م] و ١٩٠٦م.
- فراق (م. ماجد، المقدمة لعبد الله جودت) ١٩٠٦م.
- فنون وفلسفه، ط ٢، ١٩٠٦م.
- حكمدار وأدبيات[٤٨] / (ترجمة عبد الله جودت ڤيتوريو آلفييري) ١٩٠٦م.
- قهريات، ط ٢، ١٩٠٦م.
- مسلمانلر اويانك، ايقاظ مسلمين (ترجمة وإضافات عبد الله جودت عن محمد الغوري) ١٩٠٧م.
- روح الأقوام (ترجمة عبد الله جودت عن لوبون غستاف) ١٩٠٧م.
- اويانكز اويانكز! ١٩٠٧، ١٩٠٨م.
- استبداد (ترجمة عبد الله جودت) ط ٢، ١٩٠٨م.
- جول سزار (ترجمة عبد الله جودت) ١٩٠٨م.

---

(٤٧) للمزيد من المعلومات حول عبد الله جودت انظر: M. Şükrü Hanioğlu, *Bir siyasal düşünür olarak Doktor Abdullah Cevdet ve dönemi*, İstanbul: Üçdal Neşriyat, 1981 ve aynı yazar, "Abdullah Cevdet", *DİA*, c. I, s.90-93.

(٤٨) كتب على الغلاف الداخلي عبارة (جنيف ١٩٠٥م)، وعلى الغلاف الخارجي (مصر ١٩٠٦م). فقد جرت طباعة الغلاف الداخلي في جنيف بينما اكتملت طباعة الكتاب في مصر.

- هاملت (ترجمة عبد الله جودت) ١٩٠٨م.
- محكمهٔ كبرى، ١٩٠٨م (طبعتان في نفس السنة) (٤٩).
- موسيقى ايله تداوي (ترجمة عبد الله جودت) ١٩٠٨م.
- تاريخ اسلاميت (ترجمة عبد الله جودت) ١٩٠٨م.
- بر خطبه همشهريلريمه، ١٩٠٩م.
- انگليز قومي (ترجمة عبد الله جودت عن أميل بوتمي) ١٩٠٩م(٥٠).
- استانبولده كوپكلر، ١٩٠٩م.
- ماكبث (ترجمة عبد الله جودت) ١٩٠٩م.

وقد لعبت مطبعة الاجتهاد التي أقامها عبد الله جودت في القاهرة دوراً مهماً في تاريخ جماعة تركيا الفتاة. فقد قامت خلال سنوات ١٩٠٤ – ١٩٠٩م بطباعة ٣٤ كتاباً كان من بينها ما هو في التاريخ والفلسفة والعلوم وغيرها من الموضوعات المتعددة. وتوجد بين هذه الكتب عدا أعمال عبد الله جودت كتبُ سليمان نظيف (الجزيره مكتوبلرى) (١٩٠٦م) و (گيزلي فغانلر) ١٩٠٦م) و (معلوم إعلام) (١٩٠٨م)، وكتاب نامق كمال (رؤيا ماغوسه مكتوبى) (١٩٠٨م)، وكتاب علي فخري (قنديل ومختار پاشا) (١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م).

ولعلي فخري أحد رجال تركيا الفتاة اللاجئين لمصر(٥١) ثلاثة كتب أخرى – عدا كتابه المذكور – طبعت في مصر، هي: (برنجى عريضه م سلطان عبد الحميد حضرتلرينه) [١٣١٥هـ/ ١٨٩٧ – ٩٨]، و(سلطان عبد الحميد ثاني يه ايكنجى عريضه م) (١٣١٥ [١٨٩٧م])، و(آچيق مكتوب علي پنهان [علي كمال] بكه) (١٣٢٢هـ [١٩٠٤م]).

---

(٤٩) توجد بعض الفروق القليلة بين هاتين الطبعتين. ويذكر سيف الدين أوزاگه أن الطبعة الثانية ربما تكون مهربة (Özege K- 11936).

(٥٠) تقع تلك الترجمة في أربعة مجلدات، وطبع الأول في مصر في مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٠٩م. بينما طبع الثاني والثالث معاً في استنبول (١٩١٠ – ١٩١١م)، والرابع في استنبول أيضاً سنة ١٩١٢م.

(٥١) حول علي فخري بك (١٨٦٤ – ١٩٢٨م) وجريدتي (انتقام) و (طوقماق) اللتين أصدرهما في سويسرا انظر:
Muammer Göçmen, *İsviçre'de Jön Türk basını ve Türk siyasal hayatına etkileri: 1889-1902*, İstanbul: Kitabevi, 1995 ve Ahmed Bedevî Kuran, *Osmanlı İmparatorluğunda inkılâp hareketleri ve millî mücadele*, İstanbul: Baha Matbaası, 1956, s.301-302; Taha Toros, "Fahri Bey ve Ömer Lütfi Paşa", *Tarih ve Toplum,* XIV/82 (Ekim 1990), s. 9.

وعاش في تلك المرحلة أيضاً طونه لي حلمي (١٨٧١ - ١٩٢٨م) أحد روّاد تركيا الفتاة ممن فروا إلى خارج تركيا وأقام في مصر مدة ومارس فيها نشاطه(٥٢). وكان في زمن السلطان عبد الحميد الثاني قد هرب إلى سويسرا عندما كان في الصف الأخير في مدرسة الطب، ثم عمل آنذاك مدة كاتباً عمومياً لدى جمعية الاتحاد والترقي. ثم قام أيضاً بإدارة جريدة (عثمانلى) واستمر في ذلك مدة، ثم لم يلبث أن انتقل إلى مصر في سنة ١٩٠٤م، وهناك في القاهرة عمل في جريدتي (قانون أساسي) و (حق)، وطبعت له هناك عدة أعمال هي:

- اوننجى خطبه/ ١٣١٦هـ [١٨٩٨م]؛ ١٣٢٧هـ [١٩٠٩م] (وقد ترجم ذلك الكتاب إلى العربية ثم طبع مرتين في مصر سنة ١٣١٧هـ [١٨٩٩م] وسنة ١٣٢٦هـ [١٩٠٨م].
- مقدونيا ماضي حالي استقبالي، ١٣١٦هـ [١٨٩٨م]، ١٣٢٦هـ [١٩٠٨م].
- مراد، ١٣١٧هـ [١٨٩٩ - ١٩٠٠م].
- رذالت پورتكيزده، ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م.
- قونغره جوابلرى - جوابمز، ١٣١٩هـ [١٩٠١م].
- قونغره نه در، نصل اولماليدر؟ ١٣١٩هـ [١٩٠١م].
- عثمانليده أهالي حاكملكي، انتخابلر بر شرط بر ديلك (الطبعة الثانية ١٣٢٤ رومي ١٣٢٦هـ [١٩٠٨م]).
- مبعوثلر مجلسى قاپيسنده بركويلى، ١٣٢٦هـ [١٩٠٨م].
- اوخ! غربت يولداشلريم عثمانلي قردشلريمه بر آرمغان (الطبعة الثانية ١٣٢٧هـ [١٩١١م]).

وكان علي حيدر مدحت (١٨٧٢ - ١٩٥٠م)(٥٣) نجل مدحت باشا (١٨٢٢ - ١٨٨٤م) قد هرب في شبابه هو الآخر خارج تركيا وانضم إلى جماعة تركيا الفتاة وأقام في مصر مدة. وكان انضمامه إليهم قد أثار أصداءً واسعة فلما قضى وقتا في مصر عاد وانزوى بعد ذلك، وراح يؤلف الكتب ويكتب المقالات للصحف حول والده. وقد ظهرت له أثناء إقامته في مصر مقالات نشرتها جريدة المقطم (١٩٠٠م)، وكان أول كتاب سياسي طبع له

---

(٥٢) للتعرف على طونه لى حلمي انظر: "Tunalı Hilmi", *TDEA*, c.VIII, s.381.

(٥٣) للتعرف على علي حيدر مدحت انظر: Ali Birinci, "Ali Haydar Mithat", *OA.*, c.I, s. 212-214.

هناك هو (لايحه واستطراد) (١٣١٧هـ [١٨٩٩م])، أما الثاني فهو كتاب (مدحت پاشانك حيات سياسيه سى خدماتى شهادتي ١٣٢٢هـ [١٩٠٤م]) الذي ألفه عن والده. وقام عدا ذلك في سنة ١٣١٧هـ [١٨٩٩م] بإعادة نشر خطاب والده مدحت باشا الذي نشرته في لندن مجلة "القرن التاسع عشر" *Nineteenth Century* وجعل عنوانه (ممالك عثمانيه ماضيسى استقبالي).

وكان الشاعر محمد أشرف (١٨٤٧ - ١٩١٢م) هو الآخر قد دخل السجن بسبب كتاباته ضد السلطان عبد الحميد الثاني، فلما خرج من السجن هرب إلى مصر (١٩٠٣م). واشتهر أشرف بأشعاره في الهجاء، ووضع هناك كتاباً ضد السلطان عبد الحميد سمّاه (دجّال) (المجلد الأول ١٩٠٤، والثاني ١٩٠٧م – عنوان المجلد الثاني هو الدجال: تسالي عاطفية)، وبسببه صدر الحكم عليه بالحجر على أمواله في بلده، ولكن كتبه لم تتوقف عن الصدور. فله كتاب بعنوان (استمداد ١٣٢٣هـ [١٩٠٥م]) هو مخمس شعري يتشكل من ٢٣ بنداً، يخاطب فيه النبي محمداً (عليه الصلاة والسلام) شاكياً إليه السلطان عبد الحميد. وله قصيدة طبعت سنة ١٩٠٦م بعنوان (شاه وپادشاه) يقارن فيها بين حاكم إيران مظفر الدين شاه والسلطان عبد الحميد. أما كتاب (حسبحال) (١٩٠٨م) الذي طبع في مصر هو الآخر فهو يضم "النظيرة" و "الذيل" اللذين نظمهما لمعارضة قصيدة نامق كمال المعروفة باسم قصيدة الحرية (حريت قصيده سي).

وكان أحمد صائب (١٨٥٩ - ١٩٢٠م) ياور (معاون) الغازي أحمد مختار باشا المندوب السامي العثماني في مصر قد ترك وظيفته تلك وراح يمارس النشاط السياسي، فقام لهذا القصد بنشر العديد من الكتب والصحف والمجلات (مثل جريدتي: سنجاق وشوراي أمت). كما طبعت له مصر أعمال متعددة خلال سنوات ١٩٠٠ - ١٩١١م، غير أن تلك الأعمال التي طبع أغلبها أكثر من مرة كانت تعارض النظام السياسي في البلاد وتناهض السلطان عبد الحميد بصفة شخصية، ولهذا منعت من الدخول إلى تركيا مثل غيرها من أعمال روّاد تركيا الفتاة. وهي على النحو التالي:

- رهنماي انقلاب، ١٣١٨هـ [١٩٠٠م]، رجب ١٣٢٧هـ [١٩١١م].
- وقعهٔ سلطان عبد العزيز، ١٣٢٠هـ [١٩٠٢ - ١٩٠٣م]، ١٣٢٦هـ [١٩٠٨م] (تُرجم هذا الكتاب إلى العربية وطبع في مصر مرتين: ١٣١٩هـ [١٩٠١م] و ١٣٢١هـ [١٩٠٣م]).
- تاريخ سلطان مراد خامس، ١٣٢٢هـ [١٩٠٤م]، ١٣٢٦هـ.

- عبد الحميدك أوائل سلطنتي، ١٣٢٦ رومي [١٩١٠م] (ظهرت منه طبعتان في هذا التاريخ).
- صوكٔ عثمانلى روس محاربه سي، رجب ١٣٢٧هـ [١٩١١م].

وكان طرسوسي زاده منيف (١٨٧٣ – ١٩٣٠م) الذي اشتهر بما أصدره من صحف وجرائد بوجه خاص قد فرّ إلى أوربا عندما كان يَدْرُس في مدرسة الإدارة المدنية (مُلكيه مكتبي)، وفي جنيف ومن بعدها في مصر راح يكتب المقالات ضد الحكومة العثمانية، وأصدر أثناء إقامته في مصر جريدتين هما (عثمانلى) و (يلديز)(٥٤). كما صدر له هناك كتاب شعري بالتركية تحت عنوان (صَوْلات) (١٣١٨هـ/ ١٩٠٠٠م).

يُذكر أيضاً علي كمال (١٨٦٧ – ١٩٢٢م) الذي ناصر لفترة حركة تركيا الفتاة ثم عاد بعد ذلك وانقلب عليها، وفي سنة ١٩٠٠م توجه إلى مصر لتولي إدارة مزرعة لأحد الأمراء المصريين، وهناك أصدر جريدة (مجموعهء كمال) (التي صدر منها عدد واحد سنة ١٩٠١م) وجريدة (تُرك). وعاش علي كمال حياة سلسة في ممارسة التأليف والصحافة خلال المدة التي قضاها في مصر، وأصدر كتاباً طُبع له بعنوان (مسألهٔ شرقيه) (١٩٠٠م) تحدث فيه عن ماهية المسألة الشرقية وملابسات ظهورها ومراحل تطورها. وقام بكتابة مقالة بعنوان (جوابمز) انتقد فيها ما جاء في مقالة ليوسف آقچورا بعنوان (اوچ طرز سياست) نُشرت في جريدة (تُرك). ففي تلك المقالة – التي كتبها آقچورا عندما كان في قازان (عاصمة تتارستان) وأرسلها للنشر في جريدة (تُرك) الصادرة في مصر – عرضٌ لأفكار تدور حول ثلاثة أشكال من الحلول التي يمكن التفكير فيها لمواجهة التفكك الذي تتعرض له الدولة العثمانية. وكان يوسف آقچورا معروفاً باتجاهه القومي، فطبعت تلك المقالة في مطبعة الاجتهاد بمصر وخرجت في كتاب يضم أجوبة علي كمال وأحمد فريد [تك] (١٩٠٧م).

ولم تكن مصر مجرد بلد تُطبع فيه الأعمال التي وضعها اللاجئون إليها من جماعة تركيا الفتاة، بل إن كتب الذين عاشوا ومارسوا نشاط النشر في أماكن مختلفة من أوربا أيضاً كانت تُطبع في مصر، وكانت هي المكان المفضل الذي توزع الكتب منه إلى استانبول والأماكن الأخرى في أنحاء الدولة العثمانية. وكان كتاب نامق كمال الذي طُبع

---

(٥٤) حول طرسوسي زاده والصحف التي أصدرها انظر: Z. Fahri Fındıkoğlu, *XIX. asırda Türkiye dışında Türk gazeteciliği ve Tarsûsîzâde Münif Bey hayatı ve neşrettiği gazeteler (1873-1930)*, İstanbul: Türkiye Harsi ve İçtimai Araştırmalar Derneği, 1962.

في "مطبعة القانون الأساسي" عام ١٨٩٧م تحت عنوان (جلال الدين خوارزمشاه) واحداً من تلك الكتب(٥٥).

وأحمد رضا بك (١٨٥٩ – ١٩٣٠م) أحد زعماء حركة تركيا الفتاة كان هو الآخر واحداً ممن نُشِرَتْ لهم كتبٌ عدة. وقد أصدر في باريس جريدة (مَشْوَرَتْ)، وبعد انتقال ميزانجي مراد من استانبول إلى مصر وإصداره هناك جريدة (ميزان) فسدت علاقة أحمد رضا بك بمجموعة مصر من رجال تركيا الفتاة، ومع ذلك فقد نُشر له هناك الجزءان الأول والثاني من كتابه المعروف باسم (وظيفه ومسئوليت). ويتحدث في الجزء الأول الصادر في سنة ١٣٢٠هـ (١٩٠٢م) عن السلطان وولاة العهد، بينما يتناول في الجزء الثاني المطبوع سنة ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) حرب ٩٣ (سنة ١٢٩٣هـ). أما الجزء الثالث فقد طبع في باريس (١٣٢٤هـ).

وكان الداماد محمود جلال الدين باشا (١٨٥٣ – ١٩٠٣)(٥٦) أحد معارضي السلطان عبد الحميد الثاني وزوج أخته الأميرة سنيحة إحدى بنات السلطان عبد المجيد معروفاً أكثر بكونه والد البرنس صباح الدين أحد زعماء تركيا الفتاة. وكان الباشا كثير الانتقاد للحكم العثماني، فلما رأى أنه لن يستطيع أن يكتم أفكاره المعارضة هرب إلى أوربا مع ولديه البرنس صباح الدين والبرنس أحمد لطف الله. وكان الداماد محمود جلال الدين يقرض الشعر التركي بمخلص (آصف)، وطبعت أشعاره في القاهرة في كتاب حمل اسم (داماد خليل پاشا زاده داماد محمود پاشا أشعارى) (١٣١٦هـ) [١٨٩٨م]. كما طبعت له رسالة تقع في خمس عشرة صحيفة في نفس السنة تحت عنوان (تذكرهء علما، علماي عربك خلافت حقنده شرع مبين وأخبار صحيحه دن اقتباسلرى وداماد محمود پاشادن سلطان عبد الحميد خان ثاني يه مكتوب).

أما البرنس صباح الدين(٥٧) ابن الداماد محمود جلال الدين باشا فقد اضطلع بدور فعّال داخل حركة تركيا الفتاة، حتى إنه قام بتشكيل مجموعة ثالثة من أعضاء تركيا الفتاة عدا مجموعتي أحمد رضا وميزانجي مراد واستمرت مدة. ولما حصل في مؤتمري عام

(٥٥) Ahmed Bedevî Kuran, *İnkılâp tarihimiz ve İttihad ve Terakki*, İstanbul: Tan Matbaası, 1948, s.112.

(٥٦) حول محمود جلال الدين باشا انظر: İbnülemin Mahmud Kemal İnal, *Son asır Türk şairleri*, I, s. 55-64; Gövsa, *a.g.e.*, s.233

(٥٧) عن حياة البرنس صباح الدين (١٨٧٧ – ١٩٤٨م) وأعماله انظر: Nezahat Nurettin Ege, *Prens Sabahaddin hayatı ve ilmî müdafaaları*, İstanbul: 1977 ve Abdullah Uçman, "Sabahaddin (Prens)", *Yaşamları ve yapıtlarıyla Osmanlılar Ansiklopedisi*, c.II, s. 473-475.

١٩٠٢م وعام ١٩٠٧م على وظيفة فاعلة قام بتأسيس جمعية جديدة تحت اسم "المبادرة الفردية واللامركزية" (تشبث شخصي وعدم مركزيت). ومع إعلان المشروطية الثانية عاد البرنس إلى أرض الوطن مثل باقي المعارضين. وكان قبل "مؤتمر تركيا الفتاة الأول" قد أعد هو وأخوه ووالده بياناً في رسالة بعنوان (عموم عثمانلى وطنداشلريمزه بياننامه) ثم طبعت في مصر (١٩٠١م).

وهناك كتابان لإسماعيل حقي جرى طبعهما سنة ١٩٠٨م بعنوان (جدال ياخود معكس حقيقت) و (وطن أوغورنده ياخود يلديز محكمه سى)، وهما يكشفان عن أفكاره وآرائه حول قصر يلديز. فالكتاب الأول يتجه الخطاب فيه إلى أحمد رضا بك صاحب جريدة (مشورت) بسبب مقالة كتبت ضد صباح الدين، أما في كتابه الثاني الذي أهداه إلى ولده فقد حكى ما تعرض له من أحداث.

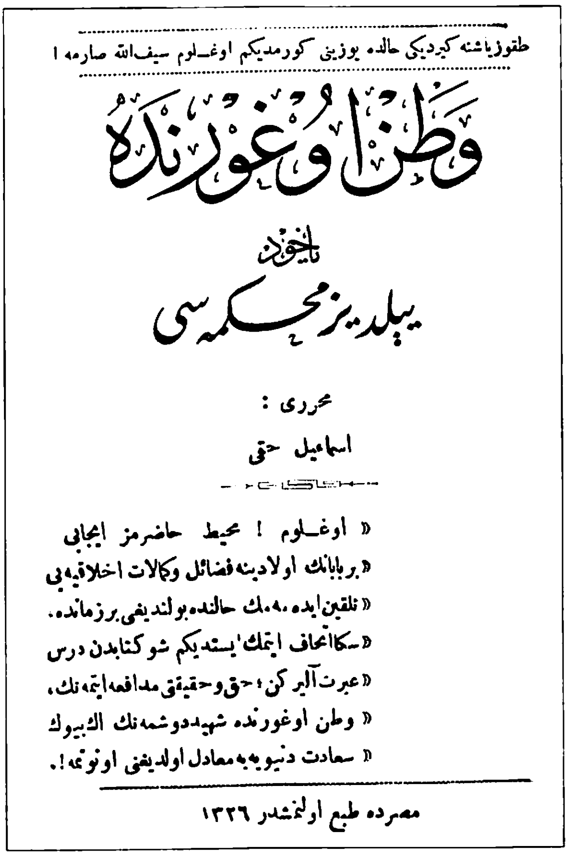
ويُذكر هنا أيضاً شرف الدين مغمومي الذي لعب دوراً بارزاً في تأسيس "حزب الاتحاد والترقي"، فقد استطاع بعد ممارسة الطب مدة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني أن يهرب من وطنه بمساعدة بعض الأصدقاء ويتوجه إلى باريس. ولما ساءت صحة المغمومي هناك توجه إلى مصر، فاستقر في القاهرة (١٩٠١م)، ولم يعد إلى استانبول مرة أخرى، إذ أمضى حياته هناك حتى وافته المنية(٥٨). وقام في تلك الأثناء بوضع العديد من الكتب، وله كتاب في ثلاثة مجلدات يحمل اسم (سياحت خاطره لرى) (١٩٠٨ – ١٩١٤م). ولا شك أن كتابه الذي أعده في مجال الطب – حرفته الأصلية – هو من أهم أعماله، وهو المعجم الطبي الذي يقع في مجلدين ويُعرف باسم (قاموس طبي)= *Dictionnaire encyclopédique médical Français - Turc* (١٣٢٨ -١٣٢٩هـ/ ١٩١٠ – ١٩١١م). وكذلك كتابه في علم النبات (علم نباتات) الذي لا نعلم شيئاً عن طبعته الأولى، بينما ظهرت الطبعة الثانية في استانبول سنة ١٣٠٩هـ، والثالثة في القاهرة سنة ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م). وكان شرف الدين مغمومي يقوم فوق ذلك بكتابة سلسلة من المقالات كانت تنشر له في جريدة (تُرك) الصادرة في القاهرة خلال سنوات (١٩٠٣ – ١٩٠٦م) تحت عنوان "رأيت أن" (دوشوندم كه)، فتم جمعها وطبعها في كتاب صدر عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م.

---

(٥٨) Şerafeddin Mağmumi, *Bir Osmanlı doktorunun anıları: yüzyıl önce Anadolu ve Suriye*, Çeviren Cahit Kayra, İstanbul: Büke Yayınları, 2001, s. 9-10. وللمزيد من المعلومات حول شرف الدين مغمومي انظر: Nâzım H. Polat, "Şerafeddin Mağmumi (1869-1927): Hayatı, eserleri, dil ve edebiyat görüşleri", *Tıp Tarihi Araştırmaları* (İstanbul, Ağustos 1999,) sayı 8, s.62-160.

وتدور مقالات ذلك الكتاب بوجه عام حول الأحداث السياسية التي عاصرها آنذاك. كما طُبع له في مصر عدا ذلك كتابان أحدهما تحت عنوان (ناصل زنگين اولونويور؟) (١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م) و (پاريسدن يازدقلريم) (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م).

وكان خالد خليل بك (چركش شيخي زاده) (١٨٦٩ – ١٩٣١م) قد دخل ميدان الكتابة بمساعدة أبو الضيا توفيق، وتعرض للملاحقة بسبب موقفه المناهض للسلطان عبد الحميد فاضطر لمغادرة أرض الوطن في سـنة ١٩٠٤م، وخرج في رحلة إلى مصر والسودان


طقوزياشنه كيرديكى حالده يوزينى كورمديكم اوغـلوم سيف‌الله صارمه ا

وطن اوغورنده

ياخود

يلديز محكمه سى

محررى :

اسماعيل حقى

« اوغـلوم ! محيط حاضرمز ايجابى
« بابالك اولادينه فضائل وكمالات اخلاقيه‌يى
« تلقين ايده‌مه‌مك حالنده بولنديغى برزمانده.
« سكا اتحاف ايتمك ايسته‌ديكم شو كتابدن درس
« عبرت آلير كن؛ حق وحقيقتى مدافعه ايتمه‌نك،
« وطن اوغورنده شهيد دوشمه‌نك الكبيوك
« سعادت دنيويه‌يه معادل اولديغنى اونوتمه!.

مصرده طبع اولنمشدر ١٣٢٦

كتاب اسماعيل حقي.. في سبيل الوطن أو محكمة يلديز (مصر ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م)

استغرقت نحو ثلاث عشرة سنة. و كان يعرف – إلى جانب العربية والفارسية والانجليزية – اللغات الألمانية والفرنسية والأوردية، وطبعت له في مصر أعمال بالتركية والعربية. وقد شارك خليل خالد في "مؤتمر المستشرقين الرابع عشر" الذي انعقد في

الجزائر سنة ١٩٠٥م ممثلاً عن العثمانيين، فوضع بعدها كتاباً باسم (جزاير خاطراتندن) (١٩٠٦م) تحدث فيه بوجه عام عن أحوال الدولة العثمانية وقضية الخلافة الإسلامية وموضوع العلاقات التركية العربية. وبعد نشر ذلك العمل على صفحات جريدة (تُرك) تم طبعه في كتاب. أما كتابه المهم الذي طرح فيه آراءه عن الامبريالية الغربية وسَمّاه (هلال وصليب منازعه سى) (١٣٢٥هـ [١٩٠٧م]) فقد ظهر أولاً بالإنجليزية، ثم قام شخص يدعى رمزي أفندي بترجمته إلى العربية تحت عنوان الهلال والصليب، ثم طبع في القاهرة (١٣٢٨هـ [١٩١٠م]).

ولخليل خالد بك كتاب آخر طبع في مصر، وظهر بالتركية والعربية معاً (تورك وعرب مخادنتى = العرب والترك) [١٩١٢م]. وتحدث فيه عن بعض القضايا التي كانت موضعاً للنقاش في العلاقات التركية العربية في مطلع القرن العشرين، مثل انفصال العرب عن العثمانيين، وآرائه حول الخلافة الإسلامية واللغة العربية(٥٩). وقد قام عمر رضا دوغرول بترجمته إلى العربية.

وكانت السنوات التي قضاها الغازي أحمد مختار باشا في مصر مندوباً سامياً عن الدولة العثمانية توافق مرحلة نشطة في حياة روّاد تركيا الفتاة هناك. ولم يكن الباشا يظاهرهم بشكل علنيٍ، لكنه منحهم الفرصة في حرية الحركة. والشاهد على ذلك أن حسن فهمي زعيم زاده (الذي جرى نفيه إلى فزان ثم إلى طرابلس الغرب بعدها، وبعد عودته إلى طرابزون بمدة فرّ إلى مصر ومنها إلى ڤينا فدرس الحقوق والاقتصاد هناك ثم عاد إلى مصر ودخل بعدها في معية المندوب السامي أحمد مختار باشا وذلك عدا أحمد صائب الذي كان واحداً من مساعديه وعضواً من تركيا الفتاة) قد تم تعيينه في المفوضية كاتباً للتحريرات الأجنبية ثم رئيساً للكتاب. وكان حسن فهمي يجيد العربية والفرنسية والألمانية والانجليزية والإيطالية والروسية، وصدرت له ثلاثة كتب في مصر ترجمها من ثلاث لغات مختلفة، وهي:

- چار، ١٣٢١هـ [١٩٠٣م] (ترجمة عن الانجليزية).
- دولت عليه نك ضعف وقوتي، ١٣٢٤ رومي [١٩٠٨م] (ترجمة عن الألمانية).
- دها نه در؟، ١٣٢٨هـ [١٩١٠م] (ترجمة عن الإيطالية).

ولم يكن الأمر مقصوراً على ما تصدره جماعة تركيا الفتاة في مصر من كتب، وإنما طبعت فيها كتب المعارضين لهم ايضاً. وأولها الكتاب الذي ألفه محمد عبيد الله افندي (١٨٥٨

---

(٥٩) Mustafa Uzun, "Halil Hâlid Bey", *DİA*, c. XV, s.313-316.

– ١٩٣٧م) [٦٠] خلال المدة التي أمضاها في القاهرة وانتقد فيه جماعة تركيا الفتاة تحت عنوان (گچيد دوغرى يوله بمبه مسئله سى = المعبر لسبيل الرشاد حادثة القنبلة) (١٣٢٣هـ [١٩٠٥م]). وبعد صدور هذا الكتاب بالتركية والعربية معاً قامت جماعة تركيا الفتاة في مصر بالرد عليه في رسالة تحت عنوان (اوچوروم) (١٩٠٥م). كما قام عبيد الله أفندي بترجمة كتاب باسم (قوام اسلام) عن العربية لعظم زاده رفيق بك، وطبع في مصر عام ١٣٢٤هـ [١٩٠٦م].

– الإصدارات المعارضة لحكم جمعية الاتحاد والترقي وكذلك للجمهورية

ظلت مصر مكاناً يمارس فيه المعارضون بحرية طباعتهم لأعمالهم حتى الوقت الذي تولت فيه جمعية الاتحاد والترقي مقاليد الحكم في تركيا. ولكنها تحولت هذه المرة إلى مكان تصدر فيه الأعمال المناهضة لجمعية الاتحاد والترقي، وكان مولانزاده رفعت (ت ١٩٣٠م) واحداً من أشد المعارضين لها، وواحداً من الوجوه المثيرة للانتباه في عهد المشروطية الثانية وإن كنا لا نعلم عن حياته الكثير. والمعروف عنه أنه عاد من حياة المنفى عقب إعلان المشروطية الثانية، فدخل حياة الكتابة في سنة ١٩٠٨م، ولم يتركها بعد ذلك أبداً. ومع جريدة (سربستي) التي أصدرها اعتباراً من أول ديسمبر ١٩٠٨م راح يؤيد حزب الأحرار العثمانيين (عثمانلى أحرار فرقه سى)، وأخذ مكانه بين المعارضين لجمعية الاتحاد والترقي. وعقب "وقعة ٣١ مارس" اضطر مولانزاده رفعت للهرب كرة أخرى إلى خارج أرض الوطن، فتوجه إلى مصر، وبعد مدة قصيرة سافر إلى باريس. وهناك أصدر جريدته (سربستي)، ثم لم يلبث بعد مدة أن عاد مرة ثانية إلى مصر. وهناك أصدر سبعة أعداد من الجريدة، ولأجل هذا أيضاً وجد العون من الخديوي[٦١]. وله رسالة ألفها عندما كان في مصر تحت عنوان (يمن حقنده داخليه ناظرى طلعت بك أفندي يه آچيق لايحه) (١٣٢٦هـ [١٩١٠م])، وهو يعرض فيها أفكاره عن اليمن – آخر منفى له – وعن ثوراتها ضد الدولة العثمانية. ولا شك أن أهم مؤلفات مولانزاده هو كتابه الذي وضعه عن "حادثة ٣١ مارس" تحت عنوان (انقلاب عثمانيدن بر ييراق ياخود ٣١ مارت

---

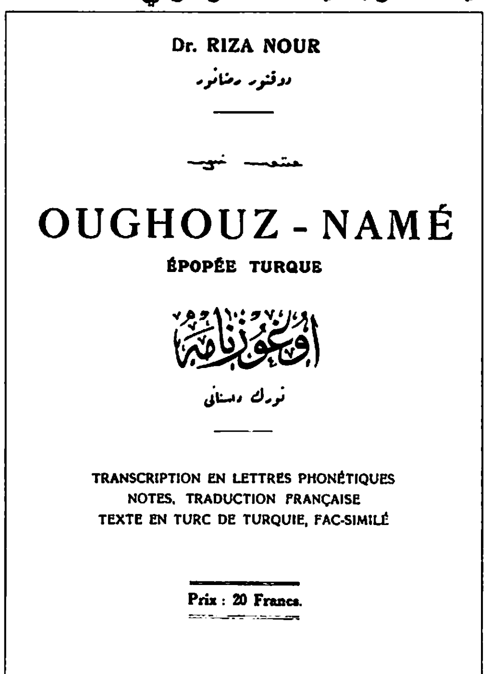
(٦٠) محمد عبيد الله افندي هو أحد الروّاد في جماعة تركيا الفتاة، وقد ولد في إزمير، وأقام مدة في باريس، وشارك في معرض شيكاغو سنة ١٨٩٣م، ثم نفي بعدها إلى الطائف، ولكنه استطاع الفرار إلى مصر قبل انقضاء مدة سجنه، وهناك التقى بأصدقائه، ثم راح يواصل الكتابة، وللمزيد من المعلومات عنه انظر: Ahmet Turan Alkan, *Ubeydullah Efendi'nin Amerika hatıraları*, İstanbul: İletişim Yayınları, 1989.

(٦١) Ali Birinci, "Rıfat Bey (Mevlanzâde),, *OA*, c.II, s.461. وقد صدرت هذه الصحيفة له في مصر باسم (يكى سربستي)، ولكن لم يظهر منها سوى العدد الأول فقط. انظر قسم : (الصحف والجرائد التركية الصادرة في مصر).

١٣٢٥ قيامي) (١٣٢٩هـ [١٩١١م]). غير أنه لا توجد نسخة واحدة كاملة بين نسخ ذلك الكتاب الموجودة في مكتبات استانبول.

وهناك كتاب طبع في مصر سنة ١٩١٣م لأحد الضباط العثمانيين هو اليوزباشي أحمد حمدي بعنوان (عثمانلى أوردوسنك أسباب مغلوبيتي وارناؤودلر) ينتقد فيه الاتحاديين بلسان حاد. وجرت ترجمة ذلك الكتاب إلى العربية في نفس السنة ثم طبع.

ولمحمد صلاح الدين بك كتاب بعنوان (بيلدكلريم) قال إنه طبعه في مصر تجنباً لشر الاتحاد والترقي، و ظهر في سنة ١٩١٨م. وفي هذا الكتاب – وهو المعروف أيضاً باسم (اتحاد وترقينك قورولوشى وعثمانلى دولتتك يقيليشى حقنده بيلدكلريم) – يعرض المؤلف آراءه حول جماعة تركيا الفتاة وجمعية الاتحاد والترقي.



اوغوزنامه للدكتور رضا نور طبع الاسكندرية ١٩٢٨م

وكان رضا نور (١٨٧٨ – ١٩٤٢م) – الذي انخرط في صفوف جمعية الاتحاد والترقي عندما كان طالباً في مدرسة الطب العسكري فلما لم تعجبه أطوارها استقال من الحزب – قد التحق بحزب الأحرار الذي شكله جماعة من الرجال الذين آمنوا بفكر

البرنس صباح الدين، ثم أخذ يعمل بعد ذلك لتأسيس "حزب الحرية والإئتلاف"، لكنه استقال منه أيضاً عقب انتخابات ١٩١٢م، وراح يمارس نشاطه المناهض للاتحاديين. وبعد "حادثة مداهمة الباب العالي" في سنة ١٩١٣م غادر البلاد بحجة دراسة الطب، وبعد أن قضى مدة في باريس توجه إلى مصر. لكنه لم يلبث بعد الهدنة أن عاد إلى استانبول، ودخل مجلس المبعوثان العثماني الأخير نائباً لعدة دورات عن ولاية سينوب. ولما انفض ذلك المجلس سارع بالاشتراك في مجلس أنقرة، وتولى عدة وكالات (وزارات). كما شارك رضا نور في مؤتمر لوزان أيضاً، ثم فاز في الانتخابات التي جرت سنة ١٩٢٣ عن ولاية سينوب مرة أخرى، لكنه وهب نفسه للكتابة بعد هذا التاريخ أكثر من أي شئ آخر، ثم غادر الوطن عام ١٩٢٦م. وبعد أن قضى مدة طويلة في باريس (١٩٢٦ – ١٩٣٣م) توجه إلى الإسكندرية وعاش فيها مدةً (١٩٣٣ – ١٩٣٨م)، ثم عاد إلى أرض الوطن. وكان أثناء إقامته في الإسكندرية قد أصدر مجلة باسم *Revue de Turcologie*[٦٢]. وقد طُبعت له عدة أعمال في مصر، أولها كتابه الذي يحمل عنوان (غزبت داغرجغى) الذي ظهر في سنة ١٩١٩م، ويضم بعض المختارات من كتاباته الأدبية. أما كتاب (اوغوزنامه، تورك داستانى = *Oughouz-nâme: Epopée Turque*) فقد طبع سنة ١٩٢٨م، والنص التركي الفرنسي هو إملاء نقلي (transcription) للنسخة المدونة بالأويغورية في المكتبة الوطنية بباريس. أما كتاباه الآخران فهما: (شهنامه وتوران–إيران جنكلرى= *Le châh-nâme et les guerres entre le Touran et l'Iran*) الذي ترجمه باختصار عن شهنامة الفردوسي وطبع في ١٩٣٣ – ١٩٣٤م، ثم كتابه (نامق كمال) الذي طبع سنة ١٩٣٦م.

وكان محمود مختار باشا (١٨٦٧ – ١٩٣٥م) نجل الغازي أحمد مختار باشا قد أمضى شطراً كبيراً من حياته في أوربا، ثم تزوج بالأميرة نعمة الله ابنة الخديوي اسماعيل باشا، وظل في مصر حتى آخر العمر[٦٣]. وقد ألف كتابا عن موقف الاتحاديين من حرب البلقان، وطبع في مصر مرتين. وكانت طبعة مصر الأولى بعنوان (١٣٢٨ بلقان حربنده شرق أوردوسى قومندانى عبد الله پاشانك خاطراتنه ايكنجى شرق أوردوسى قومندانى

---

(٦٢) تم نشر (Türkbilik Revüsû) في ثمانية مجلدات خلال سنوات ١٩٣١ – ١٩٣٧م. وللمزيد من المعلومات حول رضا نور انظر: "Rıza Nur", *TDEA*, c.VII, s. 82-84 ve Rıza Nur, *Hayat ve hatıralarım,* yayına hazırlayan Abdurrahman Dilipak, İstanbul: İşaret Yayınları, 1992.

(٦٣) قدمت لنا ابنته السيدة أمينة فؤاد طوغاي معلومات مفصلة عن العائلة في كتابها بعنوان: *Threee centuries family chronicles of Turkey and Egypte* (London: Oxford University Press, 1963) ولمعلومات موجزة حول محمود مختار باشا وعائلة قاطرجى أوغلى انظر: N. Sakaoğlu, "Katırcıoğulları", *Dünden bugüne İstanbul ansiklopedisi*, c. IV, s. 489.

محمود مختار پاشانك جوابى) (القاهرة ١٩٣٠م)، أما الطبعة الأخرى فقد حملت عنوان (آجى بر خاطره) (الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٣٢م)، كما جرى طبعه أيضاً بنفس العنوان في طرابلس الشام سنة ١٩٣١م (الطبعة الثانية).

٨- نظرة عامة على الكتب التركية المطبوعة في القرن العشرين

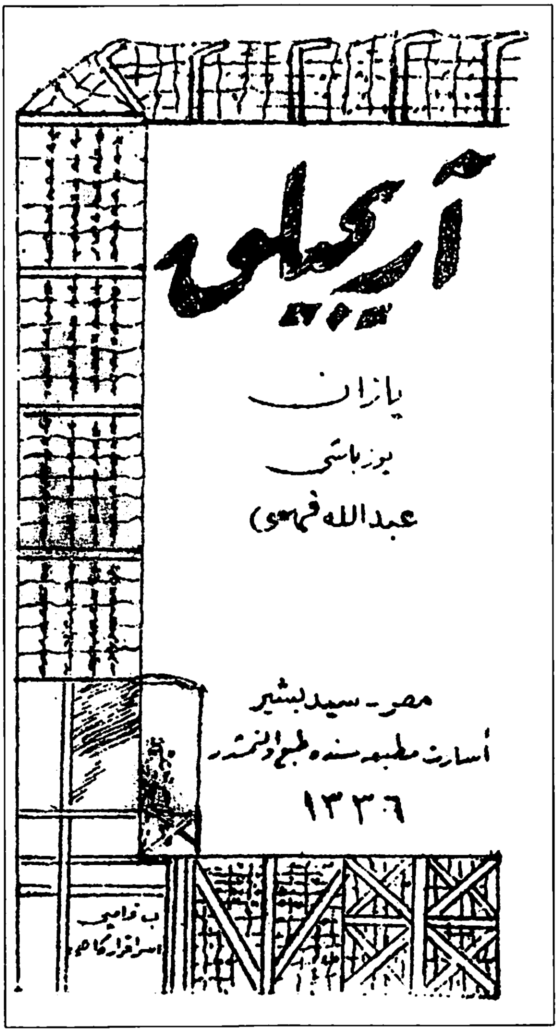
لقد كان من نتيجة انتشار التعليم الحديث بين الفئات العريضة في مصر اعتباراً من أوائل القرن العشرين وتزايد عدد المتحدثين باللغة العربية داخل الجهاز الإداري وتنامي الشعور الوطني تجاه اللغة العربية وآدابها أن بدأ يتقلص استخدام اللغة التركية ولم تعد بالقدر الذي كانت عليه في مطلع القرن التاسع عشر ولا سيما في عهد محمد علي باشا والعقود الأولى التي أعقبته باعتبارها لغة الثقافة العليا. أضف إلى ذلك أن احتلال الانجليز لمصر في سنة ١٨٨٢م ومحاولاتهم لانتزاعها من الدولة العثمانية في المجال السياسي قد أسفرت عن تدهور نفوذ العثمانيين وإضعافه فيها، ومن ثم لم تعد تطبع فيها الكتب التركية الأدبية والدينية والتاريخية أو غيرها من الكتب ذات المستوى الرفيع في الثقافة التركية العثمانية التي كانت تطبع في القرن التاسع عشر. وإذا ألقينا نظرة عامة على المائتين وسبعة كتب[٦٤] التي تحققنا من طبعها من بداية القرن العشرين إلى نهايته (١٩٠٠ - ١٩٩٧م) فسوف نرى أن قسماً قليلاً منها يمكن اعتباره استمراراً للفعاليات التي كانت جارية في القرن التاسع عشر، بينما جاء القسم الأعظم منها استجابة للظروف السياسية والثقافية الجديدة.

فهناك قسم من الكتب التي تناولناها قبل ذلك بشكل عام تحت عنوان "مطبوعات جمعية تركيا الفتاة والمعارضة السياسية" قد تم طبعها خلال سنوات ١٩٠٠ - ١٩٠٩م، أما بعد سنة ١٩٠٩م فقد تولى المناهضون للإتحاديين مواصلة نشاط الطبع في القاهرة.

وتجدر بنا الإشارة هنا إلى كتاب ذي أهمية خاصة في تاريخ ذلك اليوم جرى طبعه سنة ١٩٠٩م. وهذا الكتاب ألفه في حق الأرمن أرتين اصلانيان بالتركية والفرنسية تحت عنوان (آدنه ده عدالت نصل محكوم اولدى) أي كيف أدينت العدالة في أدنة (٢٢ + ٤ ص).

(٦٤) تدخل ضمن هذا العدد أيضاً الكتب المعروفة بأنها طبعت في القرن العشرين رغم عدم وجود تاريخ للطباعة فوقها.

وهناك ستة عشر كتاباً بين الكتب التركية التي تحققنا من طباعتها في مصر في تلك المرحلة، وهي تحظى بأهمية كبيرة من حيث المكان الذي طبعت فيه. إذ هي أعمال قام بتأليفها أو ترجمتها ضباط أتراك عثمانيون ممن وقعوا في الأسر في أيدي الانجليز خلال الحــرب العالميــة الأولى، ووضــعوا في عامي ١٩١٩ - ١٩٢٠م في معســكر سيدي بشر



كتاب في تربية النحل لليوزباشي عبد الله فهمي

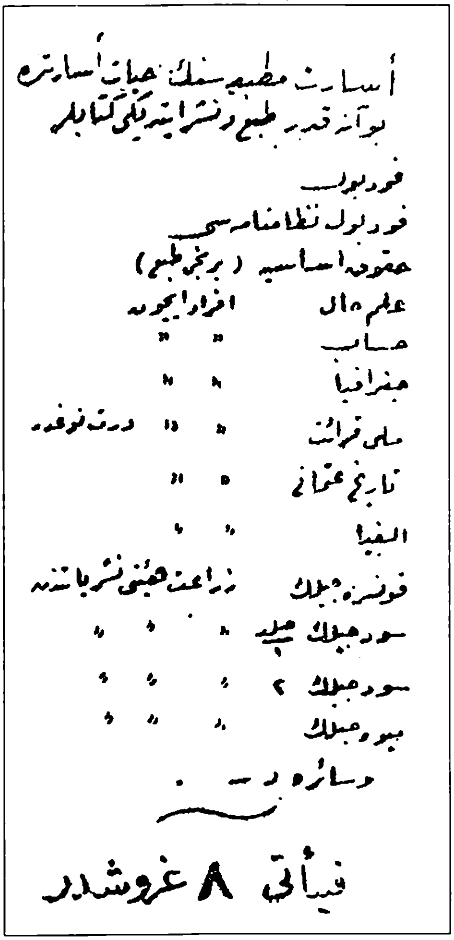
(مطبعة الأسر في سيدي بشر ١٣٣٦ رومي [١٩٢٠م])

بالإسكندرية. وعند النظر في موضوعات وأساليب كتابة تلك الأعمال المطبوعة في الغالب بطريقة التكثير المعروفة باسم شاپيروغراف داخل المعسكر يظهر لنا بوضوح أنها أُعدت بهدف تعليم الكتابة والقراءة للجنود الأسرى من ناحية، وتيسير السبيل أمام المتعلمين من ناحية أخرى لأن يصبحوا أصحاب مهنة أو حرفة تنفعهم في المستقبل. وأول تلك الأعمال كتابٌ مترجم باسم (توران تاريخندن برقاچ سطر)، وكتب عليه عبارة بالتركية تقول "مطبعة الوجود التركي". ويأتي الكتاب الثاني في شكل ألبوم للصور تحت عنوان (خاطرهء أسارت) أي ذكرى الأسر، وأعده شخص يدعى سليمان سُهَيْل. أما الكتب الثلاثة الأخرى التي استطعنا الاطلاع عليها فقد جرت طباعتها في "مطبعة الأسر" داخل معسكر أسرى سيدي بشر وضمن "السلسلة الزراعية". والكتابان الأولان من تلك الكتب عن صناعة الألبان، وقام بترجمتهما إلى التركية شخص يدعى صبري. أما مؤلف الكتاب الذي يقع في ٨٨ صحيفة ويحمل عنـــوان (آريجيلق) أي صناعة عسل النحل فقد وضعه ضابط يدعى اليوزباشي عبدالله فهمي. ويوجد على أحد وجهي هذا الكتاب قائمة بأسماء عدة كتب قيل إنها طبعت في معسكر أسرى سيدي بشر، ووردت تلك القائمة تحت عنوان "الكتب التي طبعتها ونشرتها حتى الآن مطبعة الأسرى"[٦٥].

وهناك أربعة من الكتب التي تحققنا من طباعتها في مصر في تلك الفترة تحمل كلها تاريخ ١٩٢٠م على الرغم من اختلاف موضوعاتها، وهي تنطوي على أهمية كبيرة من حيث المكان الذي نشرت فيه. فهي كتب ألفها أو ترجمها ضباط أتراك عثمانيون كانوا أسرى في معسكر سيدي بشر بالاسكندرية عقب وقوعهم في أيدي الإنجليز خلال الحرب العالمية الأولى. وهذه الكتب التي طبعت بوجه عام بآلة التكثير المعروفة باسم "شاپيرغراف" قد جاء الكتاب الأول الصادر عن ذلك المعسكر في شكل ألبوم تحت عنوان (خاطرهٔ أسارت) أي ذكريات الأسر، ويرد فيه أن الذي قام على إعداده شخص يدعى سليمان سهيل، بينما جاء الكتاب الثاني على شكل ترجمة تحمل اسم (توران تاريخندن برقاچ سطر) أي عدة سطور من تاريخ توران. وجاء اثنان في صناعة الألبان، وقام بترجمتهما إلى اللغة التركية ضابط يسمى صبري، ثم صدر تحت اسم سلسلة "المكتبة الزراعية". وعدا تلك الكتب الأربعة ظهرت عدة من "مجلات الأسر" في معسكرات الأسْر المصرية (انظر لهذه المطبوعات قسم الدوريات التركية). وتحتل كل

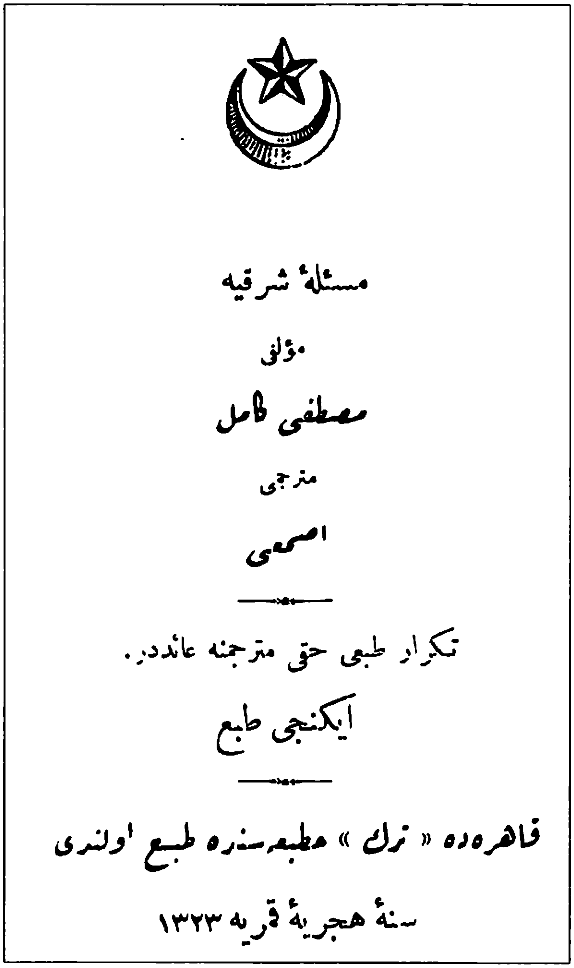
(٦٥) قام الدكتور هدايت نوح اوغلى بالحصول على كتاب (آريجيلق) من ندرت ليشلي، ومن ثم نشكرهما.

تلك المطبوعات مكانة خاصة، إذ تكشف في مجال تاريخ الثقافة التركية عن الأنشطة الثقافية التي كان يمارسها الجنود الأتراك في معسكرات الأسْر الانجليزية في مصر وظروف المعيشة التي كانت تحيط بهم.


أسارت مطبعه سنك حيات أساريه
بو آنه قدر طبع ونشر ايتديكي كتابلر
قورديول
قورديول نظامنامه سي
حقوق اساسيه (برنجي طبع)
علم مال افراد ايجون
حساب " "
جغرافيا " "
ملي قرائت " " " درت قوفه
تاريخ عثماني " "
الفبا " "
قونسره جيلك زراعت عمليات نشرياتندن
سودجيلك جلد ١ " " "
سودجيلك ٢ " " "
بيوجيلك " " "
وسائره ده .
فياتي ٨ غروشدر

قائمة الكتب المطبوعة في مطبعة الأسْر في معسكر سيدي بشر،
وهي مدرجة على الغلاف الخلفي لكتاب تربية النحل

وتحتل الكتب المترجمة من العربية إلى التركية مكانة مهمة بين الكتب التركية الأخرى التي طبعت في مصر خلال القرن العشرين. ولا شك أن الأصمعي (يوسف سامح) هو أبرز الأسماء التي أثْرَت اللغة التركية بهذه الكتب التي وضعت في الأصل بالعربية


مسئلهٔ شرقيه

مؤلفى

مصطفى كامل

مترجمى

اصمعى

تكرار طبعى حق مترجمنه عائددر.

ايكنجى طبع

قاهره‌ده « ترك » مطبعه‌سنده طبع اولندى

سنهٔ هجريهٔ قمريه ١٣٢٣

ترجمة كتاب المسألة الشرقية للزعيم مصطفى كامل باشا وقام بالترجمة الأصمعي

(الطبعة الثانية ١٣٢٣هـ [١٩٠٥م])

في المجالات الدينية والسياسية وكان أغلبها لشخصيات من صفوة رجال مصر في الدين والسياسة والفكر. وأول تلك الكتب كتاب الشيخ محمد توفيق البكري أحد كبار رجال الدين في مصر، والمعروف باسم (اسلامك استقبالى واردر) (١٩٠٢م). ومن بين الكتب السياسية التي ترجمها الأصمعي عن العربية كتابه عن "المسألة الشرقية" الذي كتبه الزعيم المصري نصير الخديوي عباس حلمي ومؤيد الدولة العثمانية مصطفى كامل باشا (١٨٧٤

– ١٩٠٨م) [٦٦]. وقد قام الأصمعي بترجمة مقدمة ذلك الكتاب – التي وضعها مصطفى كامل تحت عنوان "المسألة الشرقية" – إلى اللغة التركية، إذ وجد فيها خلاصة للكتاب كله، ثم طبع الكتاب في مصر مرتين خلال مدة قصيرة (في سنة ١٨٩٨م وسنة ١٨٩٩م).

والجدير بنا أن نذكر هنا كتاب قاسم أمين بك (١٨٦٣ – ١٩٠٨م) الذي عمل مستشاراً في محكمة الاستئناف المصرية، وعرف بمناصرته للمرأة ودفاعه عن حريتها. فالكتاب من نتاج الفكر المحلي، وعُرف باسم (تحرير المرأة ياخود حريت نسوان) (١٩٠٨م). وكان مؤلف هذا الكتاب الذي أثار جدلاً واسعاً في العالم الإسلامي هو ابن لشخصية تركية من الطبقة الأرستقراطية المصرية. وكان بركتزاده جمال الدين عبد الله أفندي[٦٧] رجل القضاء العثماني في العهد الأخير وقاضي مصر قد كتب كتاباً باسم (احتجاب) رد فيه على كتاب قاسم أمين، فقام الأصمعي بنشره في القاهرة بناءً على وصية المؤلف في سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م. وقد نُشر الكتابُ بالتركية أولاً ثم بالعربية بعد ذلك. كما قام الأصمعي بنشر كتابين آخرين في مصر لبركت زاده جمال الدين عبد الله أفندي، وهما: (آثار جمال الدين) (١٣١٩هـ) [١٩٠١م]، و(السياسة الشرعية في سيادة الراعي وسعادة الرعية) (١٣١٩هـ) [١٩٠١م]. وكان الكتاب الأخير قد كتب في الأصل بالتركية، لكن الأصمعي ترجمه أولاً إلى العربية ثم نشره سنة ١٣١٨هـ (١٩٠٠م)، أما النص التركي فقد نُشر من بعده (١٣١٨هـ [١٩٠١م]).

وكان الأصمعي قد عمل مدةً مراسلاً لجريدة (ترجمان حقيقت) في مصر، ثم قام بعد ذلك في سنة ١٨٨٩ – ١٨٩٠م بإصدار جريدة تركية باسم (مصر). كما يُعرف الأصمعي بنشر العديد من الأعمال التركية والعربية هناك، غير أننا لا نملك معلومات كافية عن حياته.

(٦٦) كان مصطفى كامل باشا من المناصرين للسلطان عبد الحميد الثاني، وظهرت أول طبعة من كتابه المسمى بكتاب المسألة الشرقية في مصر في سنة ١٨٩٨ – ١٨٩٩م.

(٦٧) يعرف جمال الدين عبد الله أفندي بلقب (بركت زاده دامادى)، وهو من رجال الحقوق العثمانيين وقاضي مصر في العهد الأخير. وقد تولى عدة وظائف، ثم عين قاضياً على مصر في سنة ١٨٩١م، وقضى في تلك الوظيفة نحو عشر سنوات. وخلال تلك المدة حصل على رتبة قاضي عسكر الأناضول والنيشان المجيدي من الدرجة الأولى، ثم توفي في القاهرة سنة ١٩٠١م. (انظر: Saffet Köse, "Cemâleddin Abdullah Efendi", *DİA*, c.VII, s. 307-308)

وقد ذُكر أنه من آضنه واسمه الأصلي آضنه لى يوسف ضيا أفندي[٦٨]، وكان يوقِّع باسم يوسف سامح. وكتبه التي ألفها وكتبت في مصر هي:

- سياحت أصمعي، ١٣٠٨هـ (١٨٩١م).
- ليڤرپول مسلمانلغى، ط. ٢، ١٣١٣هـ (١٨٩٥م).
- صقليه – سيجليا خاطره سى، [١٣٤٠ – ١٣٤١هـ] ١٩٢٢م.
- يازمز [١٣٤٥ – ١٣٤٦هـ] ١٩٢٧م.
- تورك سوزى، آناطولى آغزى [١٣٤٩ – ١٣٥٠هـ ١٩٣١م.

وللأصمعي عدا ذلك كتابان هما:

- الفاصل بين الحق والباطل، ١٣١٦هـ (١٨٩٨م).
- خلاصة الكلام في ترجيح دين الإسلام، ١٣١٨هـ (١٩٠٠م).

وله أيضاً كتابان هامان آخران طبعا في مصر من نتاجها المحلي، أحدهما الكتاب المسمى (مؤيد ودولت عليهء عثمانيه = بيان في خطط المؤيد تجاه الدولة العلية العثمانية)، وهو يضم أفكار علي يوسف صاحب جريدة المؤيد العربية اليومية حول موقفه من الدولة العثمانية (وطبع بالعربية والتركية معاً في سنة ١٩٠٩م). والكتاب الثاني هو خطبة قصيرة ألقاها شيخ الأزهر سليم البشري (١٨٣٢ – ١٩١٧م) في سنة ١٩١١م فترجمها الأصمعي إلى التركية ونشرها مع نصها العربي الأصلي تحت عنوان (كلمة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر).

– عهد ما بعد قيام الجمهورية التركية

إن التطورات السياسية التي أعقبت الحرب العالمية الأولى، وزوال عوامل التوحد السياسية والثقافية التي كانت تتيحها الدولة العثمانية، ثم قيام العلاقات الديبلوماسية فيما بين الجمهورية التركية والمملكة المصرية الواقعة تحت حماية الانجليز هي كلها أمور لم تكن تساعد على خلق المناخ الذي يسمح باستمرار الحياة الثقافية التركية في مصر بشكل فعال. ولأجل هذا أيضاً بدأ يشعر الأتراك المقيمون في مصر أنهم انقطعوا عن النبع الأساسي، وكان تأثير الثقافة التركية في الحياة الاجتماعية حتى وإن عاش جيلاً آخر قد أخذ يتراجع

(٦٨) لم نعثر على شئ حول يوسف سامح بك وحياته في كتب التاريخ والتراجم التركية والعربية لذلك العهد. ويوجد للأصمعي، أي له ما يزيد على خمسة عشر كتاباً باللغتين أمكننا التثبت من وجودها، انظر: (Saffet Köse, “Cemâleddin Abdullah Efendi”, *DİA*, c.VII, s. 308).

مع انعدام الدعم السياسي، حتى فَقَدَ ذلك التأثير مع مرور الوقت ثقله وكثافته داخل السراي الملكي وبين أفراد الطبقة الأرستقراطية المتحدثة بالتركية وبين مجموعات العوائل ومجموعات الصداقات الصغيرة. وإذا نظرنا إلى الكتب التركية المطبوعة في مصر خلال تلك المرحلة فسوف ندرك الانحسار الكبير في عددها.

والكتاب المطبوع في القاهرة في عام ١٩٢٢م قبيل إعلان الجمهورية التركية بعنوان الأناضول قد تم حظر دخوله إلى تركيا بقرار صادر عن الهيئة التنفيذية لمجلس الوزراء التركي بتاريخ ١٩٢٣/٧/٢٢م ورقم ٢٦١٩[٦٩].

وعلى الرغم من أن قسماً من المعارضين لأنقرة ممن ظهروا مع إعلان الجمهورية التركية عام ١٩٢٣م (مجموعة المائة والخمسين) قد عاشوا في مصر مدةً إلاّ أن أحداً منهم لم ينشر شيئاً بالتركية. فقد كان النشاط الوحيد الذي رصدناه لتلك المجموعة في مجال النشر هو جريدة (مساوات) التي ذكرناها في الفصل الخاص بالدوريات. فقد قام حافظ اسماعيل وهو واحد من مجموعة المائة والخمسين بإصدار جريدة (مساوات) في مصر لمدة بعد أن كان ينشرها في إزمير قبل ذلك، ومارس من خلالها معارضة حادة. أما الكتاب الذي ناهض به الأصمعي حركة التحول إلى الحرف اللاتيني (يازمز) وطبع سنة ١٩٢٧م فهو من الناحية الثقافية تجربة نقدية لا تحمل صفة سياسية.

ونُشر في مصر عقب إعلان الجمهورية التركية وحركة التحول إلى الحرف اللاتيني مباشرة كتاب عُرف باسم (إداره لى واسطهء نقليه شفروليه Chevrolet اوتومبيللرينك چاليشمه لرينده دقت ايدله جك نقاط حققنده معلومات). وقد طبع ذلك الكتاب في الإسكندرية، وهو بالقطع الكبير ومزود بالصور ويحتوي معلومات حول سيارات شيفروليه الأمريكية الصنع. ويبدو أن شركة (جنرال موتورز) الأمريكية أعدت الكتاب للتسويق في تركيا فلما وقع الانقلاب اللغوي فيها في أول نوفمبر ١٩٢٨م اضطرت الشركة إلى طبعه في الإسكندرية وأوصلته بهذا الأسلوب إلى زبائنها في تركيا[٧٠]. وهذا هو ما حدث أيضاً لكتاب زكي وليدي طوغان (بوگونكى تركستان وياقين ماضيسى)، إذ اضطر صاحبه إلى طبعه في مصر بعد الانقلاب اللغوي[٧١].

---

(٦٩) Aydın Safa Akay, *Türkiye'de insan haklarının tarihi gelişimi 1919-1938*, Ankara : Hacettepe Üniversitesi 2004, s. 258. (رسالة دكتوراه لم تطبع).

(٧٠) كنا نحاول – أثناء عمليات المسح الواسعة التي قمنا بها – الاهتداء إلى السبب وراء طبع مثل هذا الكتاب في الإسكندرية، فإذا بالمرحوم الأستاذ زياد أبو الضيا يخرج علينا بهذا التفسير للموضوع.

(٧١) انظر فصل كتب التاريخ والتراجم والجغرافيا.

كما نُشرت في مصر عدة كتب تركية أخرى غيرةً من بعض الكتّاب والمترجمين الذين عاشوا فيها بعد إعلان الجمهورية في تركيا. فقد قام بعض من آثروا البقاء في مصر في العهد الجمهوري بمواصلة طباعة أعمالهم فيها. ومن أبرز هؤلاء محمد عاكف أرصوي شاعر نشيد الاستقلال الوطني. فقد استطاع خلال إقامته في مصر (١٩٢٤ – ١٩٣٦م) أن ينجز مشروعين مهمين نالا شهرة واسعة، أحدهما ترجمته التركية لمعاني القرآن الكريم، والثاني طباعته لديوانه المعروف باسم ظلال (گولگه لر) (القاهرة ١٩٣٣م) الذي هو السابع ضمن أعماله الشعرية الكاملة المعروفة باسم (صفحات). ويُعد ديوان ظلال من روائع الشعر التركي الذي كتب في القرن العشرين، وهو يضم أشعاراً متنوعة كتبها في مصر وعبر في أغلبها بأسلوب غنائي عن مشاعره وأحاسيسه في أيام غربته الحزينة. وهذا الديوان جرت ترجمته إلى العربية فيما بعد ثم طبعت الترجمة في مصر (١٩٥٣م).

ومما يلفت النظر أيضاً في التاريخ الثقافي التركي منشورات الدكتور رضا نور أحد المعارضين السياسيين الذين عاشوا في مصر. فقد عاش هناك في مرحلتين مختلفتين، وأعماله التي نشرها هي:

- غربت داغرجغى، ١٩١٩م.
- اوغوزنامه: تورك دستانى، ١٩٢٨م.
- شهنامه وتوران – إيران جنكلرى (ترجمة باختصار من شهنامة الفردوسي)، ١٩٣٣ – ١٩٣٤م.
- نامق كمال، ١٩٣٦م.

وهناك أعمال أدبية تأتي في الدرجة الثانية جرى نشرها في تلك المرحلة، ومنها: الأشعار التي كتبها نقيب زاده رفيـق طرسـوسي[٧٢] تحت عنوان (أزهار ياخود مجموعهء أشـعار) وظهـرت في رجب سنة ١٣٢٧هـ (١٩١١م)، ثم الأشـعار التي كتبها آدنه لى صبحى أمين تحت عنـوان (گوزل وطن) وطُبعـت في سنة ١٩٢٩م، وديوان إحسان عدلي سرتر الذي كتبه في ثلاثة أجزاء وطبع خلال أعوام ١٩٥٠ – ١٩٥٥م تحت عنوان

(٧٢) هو ابن نقيب زاده محمد اسحق أفندي معلم الرشدية في طرسوس. وقد ولد في طرسوس سنة ١٨٨٠م، وبعد أن أنهى تعليمه في المدرسة الرشدية راح يواصل الدرس في المدارس الشرعية. وقد توجه رفيق أفندي إلى مصر، وهناك درس في جامع الأزهر الشريف. وفي سنة ١٩٠٧م عاد إلى طرسوس، وتولى التدريس بالمدرسة الشرعية فيها. وله منظومات شعرية لم تطبع. (انظر: İbnülemin Mahmud Kemal İnal, *Son asır Türk şairleri,* II, s. 1415).

(شعرلرم). أما كتابه المسمى (بر صيحه ٔ ماتم) الذي نشره عندما وصل مصر لأول مرة في سنة ١٩١٧م فكان قد كتبه عند وفاة السلطان حسين كامل.

وقد بدأ في مصر خلال تلك المرحلة طبع بعض الأعمال المتعلقة بالبلدان التركية الأخرى، وبلهجات أخرى غير اللهجة التركية العثمانية، وأول تلك الأعمال كتاب وضعه أحمد زكي وليدي طوغان عن تركستان وعرف باسم (بوگونكى تركستان وماضيسى) (١٩٢٩ – ١٩٣٩م). وأعقبت ذلك الكتاب كتب أخرى مثل كتاب الصرف الأويغوري (أويغور صرف) المطبوع ١٩٣٩م، وكتاب العقائد (عقايد) الذي وضعته السيدة منوّر قاري (١٨٨٠ – ١٩٣٣م) إحدى رائدات الحركة الوطنية التركستانية، وقام بنشره بالتركية الأوزبكية سنة ١٩٥٣م محمد موسى تركستاني، وكتاب مختارات الأدب التركستاني الذي أعده محمد أمين إسلامي تركستاني تحت عنوان (تركستان أدبياتندن پارچه لر) وطبع سنة ١٩٦٠م. أما أكثر الكتب جذباً للانتباه بين الكتب المطبوعة بغير اللهجة التركية العثمانية فهو كتاب الانجيل المقدس أو العهد الجديد (انجيل مقدس يعنى ينكى عهدينك كتابى) الذي نشرته الجمعية الخارجية البريطانية British Foreign Society في عام ١٩٣٩م. وقد تُرجم ذلك الكتاب من الإغريقية إلى التركية الچغتائية. وهناك كتاب محمد رامح المسمى (قالق بوروسى) أي نفير اليقظة الذي طبعته جمعية تركستان الخيرية في سنة ١٩٤٨م وتبرعت بدخله لمسلمي فلسطين.

والقول بأن الرغبة في تعلم اللغة التركية في مصر قد تلاشت تماماً عقب إعلان الجمهورية في تركيا قول قد يجافي الحقيقة التاريخية. ومن أبرز الأمثلة على ذلك معجم الجيب العربي التركي الذي عبر عن التغيرات الواقعة في تركيا وطبع في سنة ١٩٢٤م تحت عنوان (عروس انقره). وكذلك كتاب تعليم اللغة التركية الحديثة المطبوع في سنة ١٩٣٠م بعد الانقلاب اللغوي بالأحرف اللاتينية تحت عنوان (رسالة في تعليم اللغة التركية الحديثة).

وكان تعليم اللغة التركية على المستوى الأكاديمي في الجامعات المصرية قد بدأ في مرحلة مبكرة، غير أن طباعة الكتب المطلوبة لها لم تتحقق إلاّ في مرحلة تالية، وكان الأستاذ محمد إحسان قد بدأ برنامجاً تعليمياً محدوداً سنة ١٩٥١م ولكنه على مستوى عالٍ في اللغة التركية وآدابها في كلية الآداب بجامعة عين شمس، وتخرج فيه عدد من الدارسين المصريين كان في مقدمتهم الصفصافي أحمد المرسي وأحمد فؤاد متولي ومحمد

حرب وفتحي النكلاوي وغيرهم. وقام بعض هؤلاء بإعداد وطباعة عدد من الكتب المدرسية لتعليم اللغة التركية وآدابها، فظهر بعضها بالمطابع والبعض الآخر بطريقة التكثير. كما قام الدكتور الصفصافي في سنة ١٩٧٩م بطبع معجم تركي عربي باسمه عُرف بمعجم صفصافي، وقام الدكتور النكلاوي بوضع كتاب في قواعد اللغة التركية مع النصوص والتمارين ظهر في سنة ١٩٨٢م *Alıştırmalar ve metinlerle Türk dilbilgisi*. واستمر بعد ذلك التاريخ أيضاً ظهور الكتب التي تيسر تعليم اللغة التركية العثمانية، ومنها الكتاب الذي وضعه الدكتور سيد محمد السيد تحت عنوان "قواعد اللغة التركية العثمانية ونصوص مختارة" (١٩٩١م)، ثم الكتاب الذي وضعه الدكتور عبد الله عطية عبد الحافظ باسم "اللغة التركية العثمانية" (١٩٩٧م).

والكتاب الذي نتوقف عنده باعتباره آخر الكتب الجديرة بالنظر والتي طبعت في الربع الأخير من القرن العشرين في مصر هو ديوان الشعر التركي (صولغون برگل) الذي نظمه أستاذ اللغة التركية وآدابها الدكتور حسين مجيب المصري.

وكان مجيب المصري من أوائل متخصصي اللغة التركية الذين تخرجوا في قسم اللغات الشرقية وآدابها بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٩م، إذ درس فيه اللغتين التركية والفارسية، وقد جمع في ديوانه المذكور أشعاره التركية التي نظمها في مناسبات مختلفة مع مقابلها شعراً باللغة العربية، ثم نُشر الديوان في القاهرة سنة ١٩٨٣م. وقام الدكتور مجيب المصري اعتباراً من سنة ١٩٤٨م بترجمة نماذج من الأدبين التركي والفارسي، ونَشَر بالعربية أول كتاب يؤرخ للأدب التركي في سنة ١٩٥١م. وكان مجيب المصري من عائلة ارستقراطية، فوجد الفرصة لتعلم لغات أوربية عدة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية وغيرها، وتوجه إلى استانبول لجمع المادة العلمية من أجل رسالته للدكتوراه. وأصبح بتلك الرسالة التي أعدها عن الشاعر فضولي البغدادي وناقشها في جامعة القاهرة سنة ١٩٥٥م أول باحث مصري يحصل على تلك الدرجة العلمية في مجال الدراسات التركية[٧٣] . وله أعمال كثيرة بما فيها ترجمته العربية لمولد سليمان چلبي

(٧٣) كنا قد أرسلنا في ١٤ مايو ١٩٩٥م خطاباً إلى سعادة السفير متين مكيك سفير تركيا في القاهرة، واقترحنا فيه منح درجة الدكتوراه الفخرية لثلاثة من العلماء المصريين هم الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري (١٩١٦-٢٠٠٤م) الذي أفنى نحو نصف قرن من عمره في خدمة الثقافة التركية والأستاذ أحمد عيسى (١٩١٥-١٩٩٦م) مؤرخ الفنون والأستاذ نصر الله مبشر الطرازي (١٩٢٢-٢٠٠٢م) عالم الفهرسة والببليوغرافيا، وبعد عدد من الإجراءات الدبلوماسية والبيروقراطية الطويلة قامت

التركي، وسلك في ترجماته بوجه عام أسلوباً حراً في الترجمة، وسعى إلى ترغيب القارئ العربي في ذلك الأدب من خلال النقول والمقارنات التي عقدها بين الآداب الشرقية، وصاغ أعماله بأسلوب شيق.

وقد جاءت أشعاره التركية – التي جمعها في ديوانه وردة ذابلة (صولغون برگل) ووضع لها مقابلهما العربي شعراً – بالوزن المقطعي في أغلبها. وهو يشير في مقدمة ذلك الديوان إلى التقليدي العثماني للألسنة الثلاثة (ألسنه ٔ ثلاثه) التي طالما تحدثنا عنها في فصول هذه الدراسة، أي اللغات: العربية والتركية والفارسية، ويذكر أنه أدرك منذ شبابه قوة الرابطة القائمة بين آداب تلك اللغات، فوقف حياته للعكوف على دراستها والتعريف بها، وأنه أعجب كثيراً بأشعار الشاعر فضولي موضوع رسالته للدكتوراه التي استمرت سنوات طويلة، واستفاد من التعبير الرمزي الصوفي في الأشعار التركية والفارسية (مثل: الوردة والبلبل والسرو والشمعة والفراشة وغير ذلك)، وأنه أول شاعر عربي يستخدم تلك الرموز في اشعاره العربية. ونعرض فيما يلي نموذجين من أشعاره التركية لينظر فيهما نقاد الأدب التركي:

استانبول

اســــــتانبوله ايــــــــشته گلـــــــــدم
اوكـــــا نـــــــه حــــــسرت طاشـــــــيدم

يــــــالكز وجـــــــود لــــــــه آيريلـــــــدم
جانملـــــــــــه آنـــــــــــده بولنـــــــــدم

گــــــوزل رويـــــا ايـــــــدى مـــــــدام
يوركمـــــــــــده صــــــــــباح اقـــــــشام

مـــــصرده نيــــــل گـــــورور گـــــــورمز
ديــــــدم دگــــــل نيـــــل، بـــــو بوغـــــاز

جامعة مرمرة بمنحهم الدكتوراه الفخرية. وكان الدكتور مجيب المصري لم يستطع المشاركة في مراسم ذلك الحدث في جامعة مرمرة في ٩ نوفمبر ١٩٩٥م بسبب حالته الصحية. وفي إحدى الزيارات التي قمنا بها إلى القاهرة تم تقديم الدرجة إليه في احتفال قام بتنظيمه سعادة السفير التركي يشار ياقيش.

بـــــــــوراده اوتــــــــــن بلبـــــــــل
اوراده وار اوكـــــــــــا برگـــــــــــل(٧٤)

ويقول في قصيدة باسم (اتحاف) صَدَّر بها الديوان:

گـــــوزل شـــــعر چيقـــــار جانـــــدن
گـــــوزل قوقـــــو گبـــــى گلـــــدن

عربچـــــــه ديـــــــوانلر يـــــــازدم
دخـــــــى عجمجـــــــه نظـــــــم ايتـــــــدم

وارمـــــــى يـــــــوقمى بـــــــر اوقويـــــــان
عجبـــــــا وارمـــــــى بـــــــر يـــــــازان

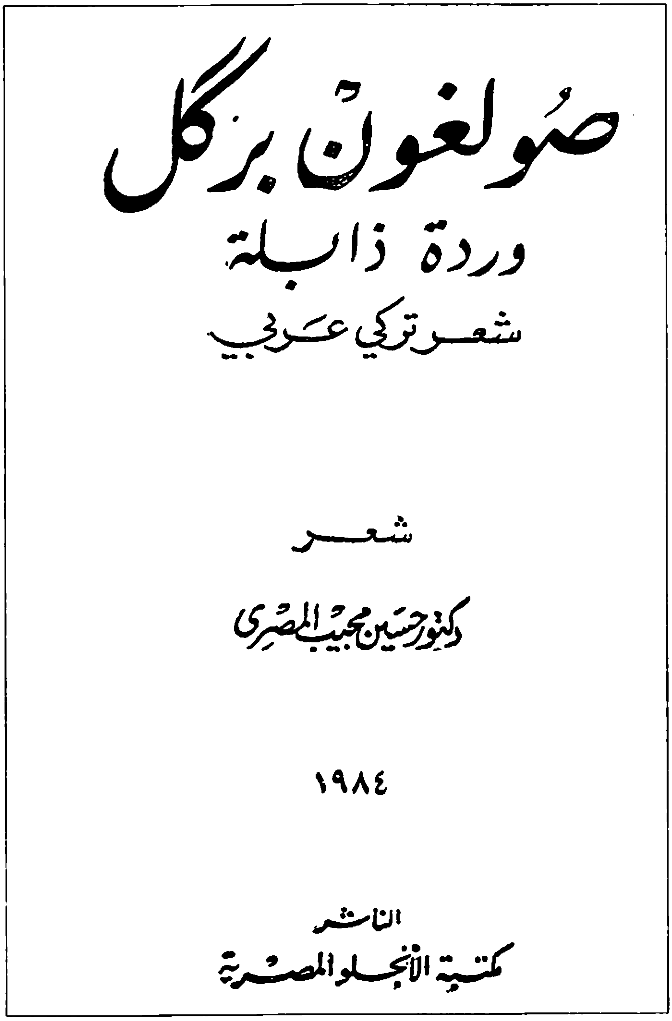
نـــــــه اولـــــــه جـــــــق ايلريـــــــده
بيرتلـــــــه جـــــــق مـــــــى بـــــــو پـــــــرده

توركچـــــــه ديـــــــوانم ألمـــــــــــده
يوصـــــــــمه نگـــــــــارم قلبمـــــــــده(٧٥)

(٧٤) انظر مقدمة ديوانه العربي (شوق وذكرى)، القاهرة ١٩٨١م.

(٧٥) صولغون برگل، حسين مجيب المصري، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٣، ص ٣٢. وقد جاءت ترجمته في الصفحة المقابلة (٣٣) على النحو التالي:

منها الشعـــر انبثـــق زهرة منها العبق
بلســـان العُرب شعري بلسان الفرس سحري
أين مـــن فيـــه نظـــر منه بيتاً قد سطر
في غد ما سوف يجري لي من يرفع ستري
شعري التـــركي هاكا أنت من قلبي حواكا


صولغون برگل

وردة ذابلة

شعر تركي عربي

شعر

دكتور حسين مجيب المصري

١٩٨٤

الناشر

مكتبة الأنجلو المصرية

الغلاف الداخلي لديوان شعر "وردة ذابلة"

وبهذا الديوان الذي سماه صاحبه بسبب تقدمه في العمر "وردة ذابلة" تكون طباعة الكتاب التركي في مصر قد بلغت نهايتها بعد حركة ظلت مستمرة منذ مطلع القرن التاسع عشر، كما يمثل ذلك الديوان أيضاً آخر الأمثلة المبسطة على انتقال تقليد الألسنة الثلاثة عند الأتراك العثمانيين والنهاية الرمزية التي وضعت لتلك المسيرة.

تاسعاً
الصحف والجرائد التركية الصادرة
في مصر

كان للصحافة التركية في مصر دور رائد داخل العالم العثماني من حيث بداية ظهورها. فجريدة الوقائع المصرية هي أول جريدة تركية-عربية تصدر فيه (١٨٢٨م). أما جريدة تقويم الوقايع في استانبول فلم تظهر إلاّ بعد ثلاث سنوات من ظهور الأولى (١٨٣١م).

وكان تطور الصحافة التركية بمصر قد ارتبط بمكانة اللغة التركية فيها مع مرور الوقت، وارتبط كذلك وبشكل مباشر بالتطورات السياسية وتبدل هذه المكانة. فقد أصبحت مصر نحو أواخر القرن التاسع عشر هي المكان الذي بدأ فيه أعضاء تركيا الفتاة ممارسة أعمالهم في النشر بسهولة ضد استانبول، ففي ذلك العهد (١٨٩٥ – ١٩٠٨م) ظهر لهم في مصر ما يزيد على ثلاثين جريدة تركية. أما بعد إعلان الجمهورية التركية فقد وجد المعارضون لأنقرة هذه المرة مناخاً مناسباً أيضاً لإصدار جرائدهم في مصر. وكانت آخر دورية تركية صدرت بمصر هي جريدة (جبهه) التي أصدرها الانجليز وكانت موجهة إلى الرأي العام في تركيا أثناء الحرب العالمية الثانية.

وخلال المدة الواقعة بين سنة ١٨٢٨م وسنة ١٩٤٧م، أي منذ ظهور الجريدة الأولى الوقايع المصرية وحتى صدور جريدة الجبهة التي توصلنا إلى أنها آخر الجرائد التركية في مصر، صدر هناك ما مجموعه ٦٤ جريدة ومجلة تركية.

وتنقسم الجرائد والدوريات التركية الصادرة في مصر من حيث طبيعة القراء المهتمين بها إلى قسمين، أما من ناحية الزمن فيمكن تقسيمها على خمسة مراحل. إذ يوجد في القسم الأول ما كان يصدر موجهاً للعارفين باللغة التركية في مصر، وتأتي في مقدمتها جريدة الوقايع المصرية الرسمية. كما يمكننا أن نذكر معها ضمن هذا القسم جريدة (مصر) التي هي أول دورية خاصة بالتركية تصدر في مصر، وكانت تُنْشر في الإسكندرية خلال عامي ١٨٨٩ – ١٨٩٠م. أما جريدة (مساوات) (١٩٢٧ – ١٩٣٠م) وجريدة (مخادنت)

اللتان تمثلان وجهتي نظر متضاربتين للتأثير على فئة العارفين باللغة التركية في مصر فهما الجريدتان الأخيرتان في هذا القسم. ولا شك أن مسألة فَقْد الفئة العارفة للغة التركية مكانتها في مصر في المرحلة التالية أو إبعادها عن دائرة الضوء، وخروج اللغة التركية عن كونها اللغة المعروفة والأكثر انتشاراً في مصر بعد اللغة العربية وفقْدها لأهميتها لدى النخبة المستنيرة لتحل محلها اللغات الغربية تماماً إنما هي أمور يجب علينا أن نتناولها مجتمعة. أما الدوريات التي وضعناها ضمن القسم الثاني من طبيعة قرائها، أي المناهضين للسلطان عبد الحميد الثاني وحكمه، فهي الدوريات التي أصدرتها جمعية الاتحاد والترقي وأعضاء تركيا الفتاة الذين لجأوا إلى مصر فيما بين ١٨٩٥ – ١٩٠٨م. وهي موجهة إلى الرأي العام في استانبول، والمناصرين لهم في الولايات العثمانية الأخرى وغيرهم من مناصري "الداخل" حسب تعبيرهم، والمناصرين المنفيين إلى أوربا. وهذه المطبوعات لم تكن تعني الأتراك المقيمين في مصر بالدرجة الأولى، واستطاع بعضها البقاء مدة طويلة، بينما كان أغلبها مثل الفقاعات، فانسحب من حياة النشر بعد عدة أعداد، بل وهناك ما صدر منها عدد وحيد. وهناك دورية تركية أخرى يمكننا وضعها ضمن مجموعة القسم الثاني، ألا وهي جريدة الجبهة (جبهه) التي صدرت في القاهرة خلال ١٩٤٣ – ١٩٤٧م مرتين في الشهر. وهذه المجلة الموجهة للرأي العام في تركيا و كانت تنشر أخبار الحرب لدى انجلترا وحلفائها قد صدرت في القاهرة نتيجة للسياسة الحيادية التي جرت عليها تركيا فيما بين الحلفاء والألمان في الحرب العالمية الثانية.

وعند النظر إلى الدوريات التركية في مصر من حيث زمن صدورها نجد – عقب المرحلة الأولى التي بدأت بالوقايع المصرية في سنة ١٨٢٨م – أن هناك مرحلة ثانية بدأت بإقامة شعبة القاهرة لجمعية الاتحاد والترقي في سنة ١٨٩٥م، وانتهت تلك المرحلة بإعلان المشروطية (الدستور) الثانية في سنة ١٩٠٨م. أما دوريات المرحلة الثالثة، وهي الأكثر إثارة للإهتمام ولم يُعرف عنها الشئ الكثير حتى الآن فهي الدوريات التي أصدرها الجنود الأتراك الذين وقعوا في أسر الإنجليز عامي ١٩١٩ – ١٩٢٠ في معسكرات الأسرى داخل مصر، وعُرفت باسم جرائد الأسر (أسارت غزته لرى)، وكتب أغلبها باليد وطبعت على ماكينات التكثير(النسخ). أما المرحلة الرابعة فهي التي بدأت سنة ١٩٢٧م

وانتهت في سنة ١٩٣٨م لتمثل قيام الجمهورية التركية (١٩٢٣م)، والخلاف بين استانبول وأنقرة الذي انتهى بإلغاء الخلافة الإسلامية (١٩٢٤م)، وتداعيات كل ذلك في القاهرة. أما رائدتا تلك المرحلة فهما جريدة (مساوات) وجريدة (مخادنت) اللتان أشرنا إليهما قبل ذلك وقلنا إنهما كانتا موجهتين للقراء العارفين باللغة التركية في مصر. بينما تمثل المرحلة الخامسة والأخيرة جريدة الجبهة (جبهه) التي كانت تصدر موجهة إلى تركيا خلال ١٩٤٣ – ١٩٤٧م، وكانت في الوقت نفسه آخر دورية تركية تصدر في مصر. وفيما يلي سوف نتناول الجرائد والصحف بحسب عهودها وزمن صدورها.

١ – المرحلة الأولى: جريدة الوقايع المصرية وصحيفة مصر

لقد بدأت جريدة الوقايع المصرية كأول صحيفة في العالم العثماني يقوم على إصدارها المسلمون في القاهرة سنة ١٨٢٨م، ولكونها بدأت قبل جريدة (تقويم وقايع) الصادرة في استانبول عام ١٨٣١م فإنها تعد في الواقع التاريخي واحداً من النجاحات المهمة التي تسجل لحساب محمد علي باشا والي مصر في سباق حركة الحداثة بين استانبول والقاهرة، وتشكل النموذج الأول في الصحافة الرسمية في العالم العثماني والإسلامي[١].

فقد صدر العدد الأول من جريدة الوقايع المصرية في ٢٥ جمادى الأولى ١٢٤٤هـ (٣ ديسمبر ١٨٢٨م – الثلاثاء)، ولا زال الصدور مستمراً إلى اليوم. وكانت عند ظهورها تصدر بالتركية والعربية (في العدد الأول عمود بالتركية في اليمين وعمود بالعربية على اليسار)، ثم صدرت بعد ذلك في نسختين إحداهما بالتركية والأخرى بالعربية، وبعد انحسار أهمية اللغة التركية في مصر اتصل ظهورها بالعربية، واستمرت في حياة النشر كجريدة رسمية للحكومة المصرية تحت أسماء مختلفة حتى وقتنا الحاضر.

(١) وكانت الجريدة التركية الثانية بعد الوقايع المصرية هي أيضاً على يد محمد علي باشا، وهي جريدة وقايع كريدية التي نشرت في كريت (١٨٣٠م). انظر حول هذه الجريدة: Orhan Koloğlu, “Girit’te Türkçe basın”, *Tarih ve Toplum*, VIII/48 (Aralık 1987), s. 9-12

ولكن قبل الاسترسال في الحديث عن جريدة الوقايع المصرية يجدر بنا الإشارة إلى جريدة "جرنال الخديوي" التي كانت بمثابة التمهيد لها أو التبشير بوصولها. فالمعروف أن هذا الجرنال كان يصدر بالتركية والعربية بصورة منتظمة عن "ديوان الجرنال" أحد الأجهزة الفرعية في حكومة الباشا المركزية، وتُنشر فيه التقارير المطلوبة من مختلف المناطق في مصر. غير أن معلوماتنا حول تلك الجرنالات التي لم نعثر على أي نسخة منها حتى اليوم لا تتعدى المعلومات التي أتاحتها لنا وثائق ومصادر ذلك العهد(٢).

وهناك رواية تقول إن تلك التقارير كانت تُطبع كل يوم بالتركية والعربية في مائة نسخة، وكانت تحتوي – إلى جانب أخبار الحكومة الرسمية – بعض حكايات ألف ليلة وليلة(٣). وهناك بعض الإشارات من المعلومات المتاحة في أيدينا إلى أن الذي كان يقوم على إعدادها هو محمود أفندي ناظر الجرنال، وأنها كانت تصدر قبل سنة ١٨٢٢م. ورغم أننا لا نعلم متى ظهر العدد الأول من جرنال الخديوي لكن المعروف أنه استمر في الصدور حتى بعد صدور جريدة الوقايع المصرية. وبواسطة تلك الجرنالات المطبوعة في مطبعة خاصة أقيمت في القلعة باسم "مطبعة الجرنال" كان الوالي محمد علي باشا ومساعدوه يتلقون الأخبار الواردة من كافة أنحاء مصر إلى ديوان الجرنال حول كافة التصرفات الإدارية والمالية، ويتعرفون على التطورات الخاصة بشأن الأعمال التي تقوم بها الحكومة في مجالات الزراعة والإعمار. ونعلم أن تلك الجرنالات استمرت حتى عام ١٨٣١م على الأقل، ولكننا على ضوء الدراسات الحالية لا يمكننا الجزم بالتاريخ الذي توقف نشرها فيه.

وعقب تجربة الجرنال هذه التي مهدت لظهور جريدة الوقايع المصرية صدرت الأوامر إلى مديري أو رؤساء الدوائر الرسمية في كافة أنحاء الولاية بتسجيل الوقائع التي تجري في دوائرهم ويكون التسجيل في صورة تقارير. وتقرر إرسال تلك التقارير التي أعدت بأمر الوالي مع أخبار مجلس الشورى وديوان الوالي إلى "قلم الوقايع" الذي سيتولى

---

(٢) إبراهيم عبده، تاريخ الوقايع المصرية، ١٨٢٨ – ١٩٤٢، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٨٣م.

(٣) F. Bonala, Una visita a Mohemed Ali nel 1822. La Prima Stamporia e el Primo Giornale. *Revue International d'Egypte II.* 1905 p. 151; وانظر أيضاً إبراهيم عبده، المصدر السابق، ص ٣٢.

إدارة أعمال الجريدة التي ستصدر حديثاً، ومن ثم القيام بالإعداد والمراجعة بحيث تصدر باللغتين. وكان القصد الأول الذي رمى إليه محمد علي باشا من استصدار تلك الجريدة أن يشرح أعماله وانجازاته لأفراد عائلته والمحيطين به والموظفين الرسميين الذين يتحدثون التركية والعربية (من المُلْكيين والعسكريين) (٤)، ولعلماء مصر (الأزهريين)؛ ثم العمل على كسب ولائهم ورضاهم عن برامجه في الحكم من وجهيه في السياسة والإعمار. وانضم إلى تلك الفئات بعد ذلك معلمو وطلاب المدارس التي أقيمت. وكان يجري توزيع جريدة الوقايع في البداية بالمجان، ثم شرعت الحكومة بعد ذلك في تحصيل ثمنها من الموظفين المدنيين والعسكريين ممن تصل رواتبهم إلى ألف قرش أو يزيد. وكان من أكثر الأمور طرافة في ذلك التحصيل الإجباري أنه كان يسري حتى على الموظفين الإفرنج ممن لا يعرفون التركية ولا العربية. وكان الباشا يتابع بنفسه كل أمور الجريدة من إعداد وطباعة وتوزيع، وعمل على إيصالها بالبريد الخاص إلى الجيش المصري في حملاته على الشام وجزيرة كريت.

وجاء في العدد الثاني والثلاثين من جريدة الوقايع المصرية أنها تصدر لتأمين المنافع للأهالي من الأتراك والعرب على السواء. وهذا الأمر ينطوي على أهمية خاصة، إذ يدل على مكانة اللغة التركية ودرجة الوجود التركي في مصر. وجاءت الأفكار الأساسية لمحمد علي في هذا بالتركية على النحو التالي في الجريدة:

"المعروف لدى الكافة أن أقوال وأفعال مؤرخي العالم ومن يقومون بتسجيل وقايع المجتمعات إنما يكتبونها باللغة التي يجري الحديث بها. ولأجل هذا جاءت الوقايع المصرية باللغتين التركية والعربية حتى يستطيع أهالي مصر الذين هم خليط من الترك والعرب الاستفادة منها تأكيداً لقول القائل:

---

(٤) إذا نظرنا إلى المصطلحات المستخدمة في مصر في تلك المرحلة نرى أن كلمتي ملكي بضم الميم وجهادي اللتين تعنيان حسب المصطلح العثماني "مدني وعسكري" طرأ عليهما بعض التغيير نحو أواخر القرن التاسع عشر، إذ بدأت كلمة عسكري تحل محل كلمة جهادي، بينما أصبحت كلمة ملكي بضم الميم تنطق على سبيل الخطأ ملكي بالفتح لتدل على ما يخص المَلَكية في مصر، وظل مصطلح الذوات الملكيين والعسكريين مستخدماً في المجال الرسمي ولغة الأهالي حتى ثورة ١٩٥٢م.

"إن البراعـــــة هـــــي فـــــي إيجـــــاد طـــــرزٍ
وعندئـــــذٍ يجـــــري تـــــشييد المدينـــــة
فالمهندســـــون يرفعـــــون البنيـــــان فيهـــــا
ولكـــــن ابتكـــــار الطـــــرز لـــــيس ميـــــسراً للكـــــل

وقد تفضل حضرة أفندينا ولي النعم فأمر بأن تكتب الوقايع المصرية باللسان العربي الفصيح واللسان التركي المليح وتكون خليطاً منهما حتى يتسنى لأهالي مصر من الترك والعرب أن يحظوا بنصيب منها. ونظراً لأن أحداً لم يسمع أو يشهد حتى اليوم جريدة للوقائع تحتوي التركية والعربية معاً فلا عُد هذا الطرز المبتكر الجميل من قبيل المداهنة، فالواضح أنه مصدر براعة، وبما أنها وقايع مختارة من كتاب العرب والعجم والروم (الترك) فالواضح أنها سوف تكون هدية إلى كافة الناس حتى يوم القيامة"(٥).

وتقول النتيجة التي توصل إليها أورخان قول أوغلى إن محمد علي كان يجد حظه من الفخر في استخدام اللغتين معاً أكثر من كونه أصدر أول جريدة، والأهم من ذلك أنه آثر استخدام اللغتين اللتين يتحدث بهما الأهالي، وخطا بذلك خطوة لا يستهان بها. ففي الوقت الذي سعت فيه الصحافة في أوربا مع مرور الوقت إلى تبسيط اللغة كانت الخطوة الأولى في الشرق هي الحديث بشكل رسمي عن اللغة المبسطة، وكان الوالي لا يحيد عن ذلك. وتأتي أهمية العمل الذي قام به من أنه بذل جهداً كبيراً للوصول إلى أسلوب بسيط ودون خطأ في الكتابة.

---

(٥) جريدة الوقائع المصرية، العدد ٣٢، ٢٧ ذو القعدة سنة ١٢٤٤هـ (٣٠ مايو ١٨٢٩م). وانظر أيضاً:
Orhan Koloğlu, *İlk Gazete İlk Polemik*, Ankara 1989, s. 33-34. وهذه الدراسة التي قام بها أورخان قول أوغلى هي الوحيدة باللغة التركية لهذا الموضوع وتنطوي على أهمية كبيرة في تاريخ الصحافة العثمانية والثقافة التركية، إذ تشكل نموذجاً مهما من حيث منهجها التحليلي.



نمره ١

في ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٢٤٤

يوم الثلاث

وقايع مصريه

طبعت هذه الوقايع المصريه بعون خالق البريه بمطبعة صاحب الفتوحات السنيه ببولاق مصر المحميه

أول عدد يصدر من جريدة الوقائع المصرية

(في ٢٥ جمادى الأولى ١٢٤٤هـ/ ٣ ديسمبر ١٨٢٨م)

وكان اهتمام محمد علي بأمر اللغة بوجه خاص شيئاً طريفاً، فمع عدم عثورنا على شئ يدل على أنه كان يقف عند الأخطاء الموجودة في النص العربي نجد الكثير من

الإشارات التي تبين أنه كان يتابع عن كثب أخطاء النص التركي. فكان النص التركي هو الذي يجري إعداده أولاً للنشر في الجريدة، أما النصوص المنقولة عن اللغات الأجنبية إلى اللغة التركية فكان يتم أولاً عرضها على الوالي، ثم تجري بعد ذلك ترجمة المناسب منها إلى اللغة العربية. أي أن القسم العربي هو ترجمة للقسم التركي، ولأجل هذا فمن الضروري قبل كل شئ أن يكون النص الأساسي أي التركي سليماً. ولم يكن محمد علي يعرف اللغة العربية ومن ثم لم يستطع العناية بالقسم الخاص بها. وظلت الكتابات المنشورة في جريدة الوقايع المصرية منذ تأسيسها وعلى مدى أربع عشرة سنة تكتب باللغة التركية أولاً، ثم تترجم إلى العربية، ويُنْشر الأصل مع الترجمة. ومع تعيين رفاعة الطهطاوي ناظر مدرسة الألسن مشرفاً على جريدة الوقايع المصرية (١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م) بدأت تزداد العناية بالقسم العربي في الجريدة. إذ كانت المهمة المطلوبة منه هي إعداد نصوص الكتابات المقرر نشرها في الجريدة بالعربية أولاً ثم نقل تلك الكتابات إلى اللغة التركية. ولكن الاقتباسات المأخوذة من جرائد استانبول وكذلك الحوادث المنقولة عن الصحافة الخارجية لكي يطلع عليها الوالي فقد كانت تترجم من أصولها التركية إلى اللغة العربية، واستمرت مهمة الطهطاوي حتى سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥١م، ونجح في أن جعل العربية في المقدمة في مرحلة الإعداد الأولى للجريدة، لكنه لم يستطع تحقيق نفس النجاح في التغييرات التي شاء تحقيقها من ناحية الشكل. فقد قام في سنة ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م بنقل النص العربي في الجريدة من العمود الأيسر إلى العمود الأيمن ليحل محل النص التركي، لكن ذلك لم يدم إلاّ عاماً واحداً، إذ عاد النص التركي إلى موضعه القديم في اليمين مرة أخرى.

وفي السنوات الأخيرة من عمر الوالي محمد علي (ت ١٨٤٩م) تحقق تجديد مهم ومنطقي في جريدة الوقايع المصرية، إذ توقف أمر طباعتها بلغتين في آن واحد في سنة ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م، وبدأت تظهر على شكل جريدتين منفصلتين في تلك اللغتين. فكانت كل واحدة منهما تصدر في شكلها الجديد بلغة واحدة، وتضم ثلاثة أعمدة، ورغم بعض

حركات الصعود والهبوط التي تعرضت لها بعد عهد محمد علي وفي عهود أبنائه الولاة إلاّ أنها استمرت تواصل مسيرتها بنفس الشكل.

وفي عهد الخديوي إسماعيل (١٨٦٣ – ١٨٧٩م) استمرت الطباعة للجريدتين منفصلتين بلغتين مختلفتين، ومع ذلك فقد ظل اسم الوقايع المصرية منحصراً في النسخة العربية، بينما أطلق على النسخة التركية اسم (روزنامهٔ وقايع مصريه). واهتمت الجريدة في ذلك العهد أيضاً بالأخبار الخارجية المختارة من البرقيات القادمة (وهي نماذج الاستفادة الأولى من اختراع التلغراف كمصدر للأخبار)، وذلك إلى جانب أخبار الحوادث الداخلية؛ وزاد الاهتمام بأخبار إفريقيا والحجاز واليمن والهند. وعلى ذلك النحو انعكست في الصحافة الرسمية الصورة السياسية التي تشكلت للحديقة الخلفية لمصر في عهد الخديوي إسماعيل.

ولم نستطع الحصول على معلومات حول المدة التي استمر فيها صدور روزنامة الوقايع المصرية باللغة التركية، فليس هناك من مجموعة كاملة لجريدة الوقايع المصرية، كما أن الدراسات المعتبرة التي تناولت تاريخ الجريدة لم تتحدث في ذلك الأمر بشكل قاطع. ولكن إذا نظرنا إلى القرار الصادر عن مجلس النظار في ٢٣ ديسمبر ١٨٨٤م ووجدناه يذكر الجرائد الرسمية اللازم إصدارها (الوقايع المصرية) العربية و (مونيتور اجبسيان *Moniteur Egyptien*) الفرنسية ولا يشير إلى نسخة تركية، فإنه يجعلنا نعتقد – الآن على الأقل – أن هذا التاريخ هو التاريخ الذي توقفت قبله طباعة النسخة التركية[٦]. وقياساً على التطورات الأخرى التي طرأت على مكانة اللغة التركية في مصر يمكن التكهن بأنها منعت من الصدور بعد احتلال مصر على أيدي الانجليز.

وكانت مصر واقعة تحت تأثير الدول الأوربية سياسياً واقتصادياً وخاصة فرنسا وانجلترا، وازداد تحكم هاتين الدولتين بشكل خاص في عهد الخديوي توفيق باشا (١٨٧٩ – ١٨٩٢م). فلم يكن توفيق باشا ناجحاً في حكمه بقدر نجاح والده الخديوي إسماعيل، وقد

(٦) إبراهيم عبده، المصدر السابق، ص١٩٧ – ١٩٨.

واصل سياسته في الابتعاد بمصر عن الولاء والتبعية للدولة العثمانية، ورضخ لتحكم القوى الأوربية، ولم يفلح في الحفاظ على التوازنات التي كانت قائمة في المجتمع المصري وفي الجيش. وكبر السخط الذي بدأ مع ظهور التوتر فيما بين الضباط المصريين الذين تربوا في المدارس العسكرية التي أقامها محمد علي باشا وبين الضباط الأتراك والجراكسة الذين كانوا يشكلون طبقة القيادة العليا في الجيش منذ زمن، حتى أدى إلى ظهور حادثة عرابي باشا المشهورة، وتفاقم الأمر حتى أسفر عن قيام الانجليز بإرسال جنودهم إلى مصر واحتلالها بالفعل (١٨٨٢م). وهنا عند النظر إلى ذلك المخطط السياسي والاجتماعي يمكننا أن ندرك أهم الأسباب التي أدت إلى انسحاب النسخة التركية للوقايع المصرية من حياة النشر. فعقب قيام الانجليز باحتلال مصر والسيطرة على إدارتها من كافة الجوانب باعتبارها مستعمرة لهم كان مما قام به الموظفون والإداريون الكبار الذين تم تعيينهم في الجهاز البيروقراطي أن رسخوا السيادة الانجليزية في البلاد، ومن ثم تبوأت اللغة الانجليزية أعلى الدرجات بين اللغات الرسمية في مصر.

واعتباراً من سنة ١٨٨٩م أيضاً تحولت الانجليزية إلى لغة للتعليم، وبهذا انحسر استخدام اللغة التركية في المؤسسات التعليمية ودوائر الدولة إلى أدنى مستوى. وبعد تحول الفرنسية إلى لغة رسمية ثالثة في عهد الوالي سعيد باشا (١٨٥٤ - ١٨٦٣م) ثم إضافة اللغة الإيطالية إلى اللغات المستخدمة في عهد إسماعيل باشا ارتفع عدد اللغات الرسمية إلى أربع لغات. وهكذا اهتزت مكانة اللغة التركية، أو بعبارة أخرى، المكانة المطلقة للغة التركية مع اللغة العربية لغة الأهالي في مواجهة النفوذ المتزايد للغات الغربية. أما في عهد توفيق فقد تلقى الوجود الرسمي للغة التركية ضربة قوية باحتلال الانجليز لمصر. وعلى هذا النحو تُرِكتْ اللغة التركية خارج نطاق الحياة الرسمية، وابتعدت بالتالي عن الحياة التعليمية، ولم تستطع أن تواصل بقاءها إلاّ في السراي، وفي الأوساط الأرستقراطية التركية الجركسية، وبين الأتراك المقيمين في مصر.

وكان لتطور الصحافة الخاصة في مصر في ثمانينيات القرن التاسع عشر أن ظهر نحو ثلاثين جريدة كانت تصدر بعدة لغات، ثماني عشرة منها عربية، وخمس باليونانية، وثلاث بالفرنسية، وواحدة لكل من الانجليزية والإيطالية والأرمنية، ومع ذلك فإنه عقب توقف روزنامة الوقايع المصرية - التي هي استمرار لجريدة الوقايع المصرية - عن الصدور لم تظهر أية جريدة تركية في ذلك الوقت. وعقب قيام حكومة الخديوي بإيقاف نشر الروزنامة لم يقم الأتراك بمحاولة من جانبهم لإصدار جريدة باسمهم لمدة من الزمن على عكس الانجليز والفرنسيين والإيطاليين واليونانيين والأرمن الذين يقلون عدداً عن الأتراك في مصر وأصدروا جرائد باسمهم كما سبق وذكرنا. ولكن في شهر يونية ١٨٨٩م صدرت جريدة أسبوعية باسم (مصر) حاولت تلبية".. رغبة آلاف الأشخاص ممن يقبلون على الأشياء المكتوبة باللسان العثماني وطلب هؤلاء منذ زمن لتأسيس جريدة عثمانية في مصر.."(٧). فكانت (مصر) هي الجريدة الأولى التي نشرها أتراك مصر بصورة غير رسمية.

وهذه الجريدة الأولى الموجهة لقراء التركية في مصر بدأت في الظهور في الإسكندرية يوم ١٤ يونية ١٨٨٩م. أما نسخة العدد الأخير الذي اطلعنا عليه فهو يحمل تاريخ ٢٢ يناير ١٨٩٠م. وكان يوسف سامح بك المعروف باسم مستعار هو الأصمعي يدير شئون التحرير فيها، وكانت تمارس نشاطها في الإسكندرية حول تكية الطريقة القادرية وشيخها التركي الأصل، وتُطبع في المطبعة التي أقامها الشيخ دون أن تكون خاضعة للطريقة أو جهازاً من أجهزتها بشكل من الأشكال. ويبدو أن الأصمعي واحد من الأتراك المقيمين في مصر، وقام بتأليف وترجمة العديد من الأعمال، غير أننا لا نعرف الكثير عن حياته(٨).

---

(٧) أصمعي، ترجمان حقيقت، ٣١ حزيران ١٨٨٩، عدد ٣٣٠٦، ص ٣.

(٨) انظر الهامش رقم ٥٥ في الفصل السابق.









نماذج من الصفحات الأولى في جريدة الوقائع المصرية


١ نومرو — پنجشنبه — برنجی سنه

مصر ١٣٠٦

١٥ شوال ١٣٠٦ — فنون وادبيات وتاريخه متعلق شؤوندن بحث ايدر — ٢ – ١٤ حزيران ١٨٨٩

فاتحه

العدد الأول من جريدة "مصر" التي أصدرها الأصمعي في مصر من ١٥ شوال ١٣٠٦هـ الموافق ١٤ يونية ١٨٨٩م إلى ١٣ جمادى الآخرة ١٣٠٧هـ الموافق ٢٢ يناير ١٨٩٠م

ويبدو أن جريدة مصر تلقت عقب صدورها خطابات ورسائل تعبر عن امتنان أصحابها وتشجعها حتى أنها دفعت الأصمعي رئيس تحرير الجريدة إلى القول بأن "هذه الرسائل وتلك الأقوال المعبرة عن الامتنان هي التي بنت للجريدة مستقبلها على طريق الاستمرار والنجاح"، كما دفعته تلك الرسائل وأمارات الامتنان إلى الاعتقاد بأن مستقبل الجريدة في الاستمرار والنجاح منوط بها(٩).

---

(٩) ترجمان حقيقت، ١٧ تموز ١٩٨٩، عدد ٣٣٢٩.

وكانت الجريدة قد ركزت في الأغلب على الأخبار المحلية، مثل نشاط الخديوي وأعماله، وأخبار الغازي أحمد مختار باشا المفوض السامي عن الدولة العثمانية في مصر. وعنيت إلى جانب ذلك ببعض الأخبار القادمة من استانبول وبعض الحوادث المقتبسة من جرائدها. وكشفت جريدة مصر بوضوح عن صدقها وإخلاصها للدولة العثمانية وولائها واحترامها للسلطان عبد الحميد الثاني من الناحية السياسية. وأفسحت الجريدة مكاناً على صفحاتها لأعمال بعض الكتاب والشعراء ممن يعيشون في مصر ويكتبون باللغة التركية. وقامت منذ عددها الأول بنشر قصة للأصمعي استمرت على شكل حلقات حتى العدد الأخير، وكانت هذه القصة من نوع الفنتازيا التاريخية وتجري أحداثها في أحد أحياء القاهرة القديمة بعنوان "حكاية فتى غريب".

وقد استطعنا التحقق من صدور ثلاثين عدداً من تلك الجريدة، ويُفهم من أحد الإعلانات المنشورة فيها أنه كان هناك اتفاق مع كيرقور أفندي صاحب مكتبة (عصر كتبخانه سى) باستانبول حول إيصال جريدة مصر إلى القراء هناك عن طريق الاشتراك وإرسال الجرائد الصادرة في استانبول إلى القراء الأتراك المقيمين في مصر.

ولا يضم العدد الأخير من جريدة مصر الموجود بين أيدينا إشارةً تدلنا على السبب الذي أدى إلى إغلاقها. وبعد العدد الأخير الذي طبع في ٢٢ يناير ١٨٩٠م لم يتحدث الأصمعي عن شئ من ذلك في الخطابات التي أرسلها إلى جريدة (ترجمان حقيقت) (فبراير-مايو). وحتى تظهر معلومات ووثائق جديدة حول الموضوع يمكننا الاعتقاد بأن السبب الرئيسي وراء توقف الجريدة عن الصدور لم يكن سياسياً، وإنما كان لضعف الإمكانات المالية. لأن الجريدة لم تكن تنتهج خطاً يناهض الخديوي والسلطان، بل على العكس كانت كتاباتها متزنة وتنم عن الاحترام لكلا الطرفين، وحرصت منذ عددها الأول على الابتعاد عن التعرض للمسائل السياسية.

٢- المرحلة الثانية: صحف ومجلات جماعة تركيا الفتاة

عُرفت الحركة الصحفية التي بدأها أعضاء تركيا الفتاة باسم صحافة "تركيا الفتاة"(١٠). ومن بين تلك المطبوعات الصادرة في العديد من البلدان كان هناك عدد كبير من الصحف والمجلات. وتلك الصحف والمجلات التي أصدرها أعضاء تركيا الفتاة هي الدوريات المعارضة التي بدأت بعد عام ١٨٦٠م واستمرت مدة حتى عهد المشروطية الثانية [الدستور]، وظهرت في بلدان مثل سويسرا وفرنسا ومصر وغيرها من الأماكن التي لجأ إليها الفارون من الوطن تخلصاً من الاضطهاد السياسي الواقع من السلطان والحكم بوجه عام و خاصة في عهد السلطان عبدالحميد الثاني. وهناك دراسات عديدة في هذا الموضوع، ونُشرت قوائم له في مصادر متعددة(١١).

وكانت القاهرة وباريس وجنيف(١٢) هي أهم الحواضر التي صدرت فيها جرائد ومجلات كثيرة في هذا الموضوع(١٣)، وسوف نتحدث هنا بإيجاز عن جرائد تركيا الفتاة التي ظهرت في مصر، وعن الظروف والعوامل التي ساعدت على نشرها.

عقب احتجاب جريدة مصر عن الصدور في مطلع سنة ١٨٩٠م حتى بداية الفعاليات السياسية لجمعية الاتحاد والترقي في مصر عام ١٨٩٥م لم تصدر هناك أية جريدة تركية. وكانت أول جريدة ظهرت بعد ذلك هي جريدة (بصير الشرق) التي أصدرتها شعبة الجمعية في القاهرة، ودشنت بذلك عهداً أكثر حرارة في تاريخ الصحافة التركية في مصر، وبدأت مرحلة أكثر حركة ونشاطاً في التاريخ السياسي.

---

(١٠) لمعلومات عامة حول صحافة تركيا الفتاة انظر: M. Şükrü Hanioğlu, "Jön Türk Basını", *Tanzimat'tan Cumhuriyet'e Türkiye Ansiklopedisi,* c.III, s.844-850.

(١١) للتعرف على القوائم المفصلة لجرائد تركيا الفتاة انظر: Selim Nüzhet Gerçek, "Jön Türk Gazeteleri", *Akşam Gazetesi,* 19 Mart 1941; "Jön Türk Neşriyatı", *Akşam Gazetesi,* 3 Nisan 1941, sayı 8062; Dündar Akünal, "Jön Türk Gazeteleri", *Tanzimat'tan Cumhuriyet'e Türkiye Ansiklopedisi,* c.III, s. 850-856.
وللتعرف على معلومات علمة في هذا الموضوع انظر: Paul Fesch, *Abdülhamid'in son günlerinde İstanbul,* çev. Erol Üyepazarcı, İstanbul: Pera Turizm ve Ticaret, 1999.

(١٢) وللتعرف على جرائد تركيا الفتاة الصادرة في سويسرا انظر أيضا: Muammer Göçmen, *İsviçre'de Jöntürk basını ve Türk siyasal hayatına etkileri,* İstanbul: Kitabevi, 1995.

(١٣) قدم دوندار آق أونال أسماء ١٥٣ جريدة، وقال إن ٤٢% منها كانت تصدر في القاهرة (انظر المقالة السابقة، ص ٨٥١).

وكانت جمعية الاتحاد والترقي قد كثفت نشاطها في داخل تركيا وخارجها اعتباراً من عام ١٨٩٥م، وكان أول ما فعلته خارج تركيا هو قرارها بإقامة شعبتين لها في القاهرة وباريس، وترأس الأولى إسماعيل إبراهيم، بينما ترأس الثانية أحمد رضا بك[١٤] الذي كان متأثراً بالفلسفة الوضعية لأوغست كونت (١٧٩٨ – ١٨٥٧م)، وشرع في إصدار جريدة نصف شهرية في باريس تخرج بصورة منتظمة باللغة الفرنسية تحت اسم مَشْوَرَت *Mechveret*. بينما ظهرت في نفس السنة في القاهرة (١٨٩٥م) جريدة (بصير الشرق) على يدي أحمد رشيد المهندس الزراعي باعتبارها "جريدة عثمانية سياسية وأدبية وزراعية". لكن هذه الجريدة لم تعمر طويلاً (١٢ سبتمبر ١٨٩٥ – ٢٤ أكتوبر ١٨٩٥م)، واحتوت أعدادها التي لم تتجاوز السبعة مقالاتٍ بالتركية لأحمد رضا بك والدكتور إسماعيل إبراهيم[١٥].

وكانت الجريدة الثانية التي أصدرها أعضاء تركيا الفتاة في القاهرة هي جريدة (ميزان) وصاحبها ميزانجي مراد بك (١٨٥٤ – ١٩١٧م). وكان ميزانجي أحد الأعضاء الناشطين في حركة تركيا الفتاة واقترن اسمه باسم الجريدة التي أصدرها، ولما ذهب إلى مصر بسبب التنافس والانقسام في صفوف تركيا الفتاة في أوربا شرع في إصدار جريدته هناك. فقد غادر مراد بك باريس حيث يصدر جريدته في ٢٩ ديسمبر ١٨٩٥م، وكان وجود بعض أعضاء الحركة في مصر ممن فروا إليها أو تطوعوا لمناهضة السلطان عبد الحميد منذ مدة قد شكل مناخاً مناسباً شجعه على مواصلة أعمال النشر. فقام بنشر أول عدد من جريدة (ميزان) في مصر (العدد ١٥٩) في يوم ١٦ يناير ١٨٩٦م بصفته مديراً لشعبة جمعية الاتحاد والترقي في مصر. وكانت القاهرة بالنسبة لمراد بك مقراً ملائماً أكثر من أوربا، سواء من ناحية الدعم السياسي أو من ناحية التأثير على الرأي العام في

---

(١٤) Şükrü Hanioğlu, *Bir Siyasal Örgüt Olarak Osmanlı İttihad ve Terakki Cemiyeti ve Jön Türklük*, İstanbul [1985], s. 184.

(١٥) لقد أعادت نشرها مجلات تركيا الفتاة وذلك بسبب الملحوظة التي وضعها أحمد رضا بك في صدر أعماله وتقول إنه يمكن نشرها لكل من يرغب.

موضوع السلطان عبد الحميد. لأن مصر كانت قد تحولت منذ احتلال الانجليز لها إلى بلد من المناطق الحساسة في سياسة السلطان عبد الحميد.

وكان مراد بك فور وصوله إلى القاهرة قد دخل في وسط بيئة واسعة نسبياً، وهذه البيئة كانت تضم شخصيات بارزة، أهمها رئيس الوزراء مصطفى فهمي باشا، والمندوب السامي العثماني الغازي أحمد مختار باشا، والمندوب السامي البريطاني اللورد كرومر، والأميرة نازلي هانم ابنة البرنس مصطفى فاضل باشا، وأحمد صائب بك، ورشيد بك الذي كان يُصدر آنذاك جريدة (بصير الشرق)، والدكتور إسماعيل إبراهيم، والدكتور حسن عارف، والصيدلي مصطفى أفندي، ولطيف بن سليم أحد الأعيان، وألكسان صرافيان أفندي من أوائل العثمانيين الجُدد وأحد أعضاء جريدة (عبرت) السابقين في الوقت نفسه، ونوبار باشا الأرمني الأصل أحد كبار رجال الدولة في مصر. وحظي مراد بك بمساعدتهم واحداً واحداً، سواء في حياته الشخصية أم في مجال نشره لجريدة (ميزان).

وكانت الفعاليات الأساسية لمراد بك خلال مرحلة وجوده في مصر قد تجمعت كلها حول جريدته التي أعاد إصدارها في ٤ كانون الثاني ١٣١١ رومي (١٦ يناير ١٨٩٦م). وأخذت حدة المقالات في الزيادة، وخاصة ما صدر منها تحت عنوان "واحد من اثنين"، إذ أثارت قصر يلديز [في استانبول] وألهبت مشاعر العثمانيين الجدد، وتركت أثراً كبيراً على الرأي العام بين المسلمين. وكان مراد بك يبدو آنذاك بصورة الثائر الذي ينشر البيانات التحريضية بين حين وآخر والكتابات التي تدعو الناس أحياناً إلى الثورة الدامية، وليس بشخصيته التي عُرف بها في المرحلة الأولى من اتزان وأداء تحليلي متبصر(١٦).

وكانت المقالة التي كتبها مراد بك في العدد الأول من جريدته في مصر تحت عنوان "خط تحرك الحزب" وكشف بها عن معارضته لريادة أحمد رضا بك قد أكدت حالة الانقسام بين صفوف العثمانيين الجدد. وكانت آراؤه التي حددت أنه طرف مختلف هي أن

---

(١٦) للتعرف على نشاط ميزانجي مراد في مصر انظر: Şükrü Hanioğlu, *a.g.e.*, s. 191-209 ولتحليل محتوى الأعداد المنشورة في القاهرة من جريدة ميزان انظر: Birol Emil, *Mizancı Murad Bey Hayatı ve Eserleri*, İstanbul .1979, s. 143-153.

اهتماماته كمدير لشعبة الجمعية في مصر لا تنحصر في مفهوم "الاتجاه العثماني" وأن أمر تحرير المسلمين كافة هو أيضاً من بين أهدافه الأساسية. وبهذه المواقف أصبحت جريدة الميزان عقب بداية ظهورها في القاهرة تغطي على جريدة مشورت *Mechveret* التي كان يصدرها أحمد رضا بك في باريس وكانت بمثابة الممثل الأول لجمعية الاتحاد والترقي(١٧). أضف إلى ذلك أن وصول الجرائد من مصر إلى استانبول كان أكثر كثافة من وصولها من باريس، ولهذا زادت مساحة التأثير لدى مراد بك.

ومع بداية الضغوط التي مارسها قصر يلديز وإفصاح الحكومة المصرية عن عدم ارتياحها تجاه حركة تركيا الفتاة قرر مراد بك مغادرة مصر حتى يتبوأ مكانة أكثر نفوذاً في إدارة الجمعية، فتوجه إلى الإسكندرية في ١٠ يولية ١٨٩٦م، ومنها وصل إلى باريس في السادس عشر من نفس الشهر. وهكذا تكون مرحلة الظهور الثانية لجريدة الميزان – التي أصدرها خلال مدة بقائه في القاهرة وبدأت بالعدد ١٥٩ – قد انتهت بالعدد رقم ١٨٤ الصادر في ٨ يو لية ١٨٩٦م(١٨).

وعقب مغادرة مراد بك لمصر عاد إلى شعبة الجمعية في مصر زعيمها السابق إبراهيم إسماعيل بك فتولى رئاستها من جديد. ولم يمض وقت طويل حتى شرع زعماء بارزون من مجموعات المعارضة في حركة تركيا الفتاة في الوفود إلى مصر. فكان أول من وفد منهم وانضم لتلك الشعبة الخوجه قدري (من العلماء) الذي حظي بإعجاب كبير من كتاباته في جريدة مشورت، ثم أعقبه صالح جمال الذي قامت الجمعية بتهريبه من جزيرة رودس وأرسلته إلى مصر، ثم جاء الخوجه محي الدين أفندي (من العلماء) الذي مارس دوراً فعالاً في باريس. وبوصول اثنين من العلماء بوجه خاص وانضمام الطلاب العثمانيين الذين يدرسون في الأزهر إليهما بدأت كفة الميزان ترجع لصالح هذا الطرف، فأعيد تنظيم الشعبة من جديد، حتى بدأت ترى في نفسها وكأنها المركز كما كان الحال في أيام مراد بك(١٩). فكان من شأن الخلاف الناشب بين مركز جمعية الاتحاد والترقي في

(١٧) Şükrü Hanioğlu, *a.g.e.*, s. 205-206.

(١٨) Şükrü Hanioğlu, *a.g.e.*, s. 208-209; Birol Emil, *a.g.e.*, s.153.

(١٩) Hanioğlu, *Osmanlı İttihad ve Terakki Cemiyeti*, s. 242-43.

استانبول وشعبته في باريس أن جعل من مصر مركزاً للجمعية، كما جرى إرسال إسحاق سكوتي إلى مصر بعد فراره حديثاً من جزيرة رودس حتى يتولى إعادة تنظيم الجمعية هناك.

وفي غضون ذلك طُرح الحديث حول موضوع إصدار جريدة في مصر، حيث كانت شعبة الجمعية بها تتمتع بنفس الحقوق التي يتمتع بها مركز باريس، وكان يحق لها أن تصدر جريدة دون الرجوع لأحد. ولكن الازدواجية ظهرت بين المعارضين في ذلك الموضوع، فكان الخوجة محي الدين – على الرغم من علاقاته الوثيقة مع الجمعية – لا يميل تماماً إلى التحرك المشترك، وإذا نظرنا إلى حديثه عن الخوجة قدري فسوف يتضح لنا أن الأخير أيضاً كان يوافقه الرأي. وفي النهاية، وفي خضم تلك الظروف تقرر إصدار جريدة القانون الأساسي (قانون أساسي)، ولكن النتيجة التي أسفر عنها الاجتماع الطارئ المنعقد في ذلك التاريخ، وتشكيل هيئة للتفتيش والتنفيذ باسم (هيئت تفتيش وإجرا) كانا بمثابة النهاية لمركزية شعبة مصر التي لم تدم طويلاً. ولأن الجريدة موضوع الحديث جرى تقديمها على أنها جريدة يصدرها علماء مثلما أشار المركز الجديد أيضاً فلم تظهر مشكلة في موضوع الإذن. وبهذا الحدث يكون الخوجة محي الدين ومجموعة العلماء قد فرضوا سيطرتهم التامة على المعارضين في مصر[٢٠].

وكان الإعلان عن تلك الجريدة المقرر صدورها باسم القانون الأساسي أمراً مهماً في أنه يعكس ذلك الاتجاه الفكري والسياسي الجديد. وجاء الإعلان على النحو التالي: "هي جريدة الجمعية المسماة باسم القانون الأساسي التي أسسها في مصر باسم الهيئة العلمية المشكلة من علماء الدين الإسلامي وطلبة العلوم أخونا شيخ زاده حاجي محي الدين..."[٢١]. وهذا يدلنا على أن السياسة الجديدة للجمعية كانت تتمحور حول عنصرين أساسيين، أولهما الجزم بعدم قبول المسيحيين في عضوية الجمعية، والثاني هو التصدي لتدخلات الدول الأجنبية. وللتعبير عن تلك الهوية الجديدة تم تغيير اسم الجمعية فأصبح "جمعية

(٢٠) Hanioğlu, *Osmanlı İttihad ve Terakki Cemiyeti*, s. 244.

(٢١) *Mizan* , no. 4, Kânun-ı Sani 1897-7 Şaban 1314 s. 2 ; Şükrü Hanioğlu, *a.g.e.*, s. 244 not 376.

الاتحاد والترقي العثمانية شعبة مصر" (عثمانلى اتحاد وترقى جمعيتى مصر شعبه سى). وصدر العدد الأول من جريدة القانون الأساسي في ٢١ ديسمبر ١٨٩٦ حاملاً ذلك الاسم الجديد للجمعية، وطُرح مع ذلك الاسم أيضاً عدد من الشعارات والأقوال التي ترسم تلك الشخصية الجديدة. فعلى سبيل المثال وُضعت فوق عنوان الجريدة آية الشورى في القرآن الكريم "وأمرهم شورى بينهم" لتأكيد هذا المبدأ، وإلى اليمين منها عبارة "إعلاء كلمة الدين"، وإلى اليسار عبارة "تحرير الوطن"، وفي أسفلها عبارة "شورى الأمة". وهذه التطورات الفكرية والسياسية أدت إلى نشوب خلاف بين الخوجة محي الدين والأعضاء الآخرين، وانسحابه من إدارة الجريدة والتخلي عنها لهيئة جديدة. وبينما كان المتوقع مجئ الرئيس السابق إسماعيل إبراهيم بك لتلك المهمة مرة أخرى تحول الخوجة قدري إلى رئاسة الشعبة، واستمر التيار الإسلامي الذي بدأه الخوجة محي الدين(٢٢).

ويذهب الباحث شكري هاني أوغلى إلى أن المساومة التي دخل فيها إسحاق سكوتي بك مع أحمد جلال الدين باشا الموجود في مصر حول موضوع إيقاف نشاط شعبة مصر مقابل تسليمه الأوراق للباشا قد انتهت بالاتفاق مقابل دفع ألف جنيه استرليني. ومن هذا المبلغ يجري تسليم ٢٦٠ جنيهاً لشعبة مصر في دورة نشاطها الجديدة، وتنفرج على ذلك النحو أزمة التمويل التي كانت تعاني منها(٢٣).

وبعد مدة من إعادة تنظيم شعبة الجمعية في مصر وتولي صالح جمال بك رئاستها يجري اتهامه بالتحرك المستقل عن المركز، ويبدأ مركز جنيف في عدم الاعتراف به. وتدخل الأمور المالية أيضاً ضمن الخلاف بين مركز جنيف وشعبة مصر، ثم يجري إرسال طونه لي حلمي بك إلى القاهرة بقصد التفتيش على شعبة مصر، حتى تعطل عمل الشعبة وارتبكت أمورها في أواخر عام ١٨٩٨م. وكان من نتيجة توقف إرسال المساعدة الشهرية اللازمة لنشر جريدة القانون الأساسي والمقدرة بأربعين فرنكا، والوضع المختل

---

(٢٢) Şükrü Hanioğlu, *a.g.e*, s. 246-47.

(٢٣) A. Bedevî Kuran, *İnkılâp Tarihimiz ve İttihat ve Terakki*, İstanbul 1948, s. 106-108; Şükrü Hanioğlu, *a.g.e.*, s. 277.

داخل الشعبة أن توقف نشر الجريدة لمدة (٢٨ محرم ١٣١٥هـ/ ٢٩ يونية ١٨٩٧م). أما الجدل والخلافات الناشبة حول ملكية المطبعة فقد وصلت إلى حد مراجعة القضاء[٢٤].

واستمر توقف النشاط في شعبة مصر نحو ستة أشهر، وبتعليمات من سكوتي – بعد أن تعهد بوقف نشاط الجمعية في مصر وبوقف نشر جريدة القانون الأساسي – تبدأ الجهود في إصدار جريدة باسم (عثمانلى) لتكون جهاز النشر الرسمي الجديد في جنيف (العدد الأول في أول ديسمبر ١٨٩٧م). وفي ١١ شعبان ١٣١٥هـ (٢٥ كانون أول ١٣١٣ رومي/ ٥ يناير ١٨٩٨م) تعود جريدة القانون الأساسي للصدور من جديد في القاهرة (العدد ٢٤) [٢٥]. فتخرج لمدة باسم "جمعية الاتحاد والترقي العثمانية شعبة مصر" وتحت إدارة المدير المسئول صالح جمال. وتبادر جريدة عثمانلى الصادرة في جنيف بالإعلان عن ذلك التطور لقرائها بعبارة: "إن هذه الجريدة الصادرة للترويج لأفكار جمعيتنا ولتكون واسطة النشر لدى شعبتنا في مصر قد أعيد تأسيسها وإحياؤها، وصدر منها العددان الأول والثاني".

وقد تقرر أن تنشر في القاهرة نسخة عربية من جريدة (قانون أساسي) بقصد استقطاب الرأي العام العربي والتأثير عليه للانقلاب على السلطان عبد الحميد وخلق نوع من التوازن في سياسة التضامن الإسلامي، وأن يكون الاسم لتلك الجريدة التي ستصدر أسبوعياً وتتناول سياسة السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية وقضايا العالم الإسلامي هو الترجمة العربية للإسم التركي أي: القانون الأساسي[٢٦].

والعدد الأخير الذي استطعنا الاطلاع عليه من جريدة (قانون أساسي) هو العدد الأربعين الصادر في عامها الخامس في ٢٨ محرم ١٣١٧هـ / ٢٦ مايو ١٣١٥ رومي/ ٨ يونيه ١٨٩٩م.

---

(٢٤) للتعرف على التطورات الخاصة بالمطبعة انظر القسم الخاص "بالمطبعة العثمانية".

(٢٥) عثمانلى، ١ شباط ١٨٩٨، عدد ٥ (جنوره).

(٢٦) عثمانلى، ١٥ شباط ١٨٩٨، عدد ٦ (جنوره).

ونشهد في نهاية العقد الأخير من القرن التاسع عشر الذي عمل فيه أعضاء تركيا الفتاة بنشاط وفعالية في مصر ظهور جريدة جديدة تختلف تماماً في مضمونها عن نظيراتها، إذ كانت على النقيض من مطبوعات تركيا الفتاة، تؤيد الدولة العثمانية وتناصر السلطان عبد الحميد. غير أن هذه الجريدة التركية التي عُرفت باسم (السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني) لم نطلع إلاّ على العدد الثالث منها. وعلى ذلك العدد المؤرخ في ١٩ جمادى الأولى ١٣١٧هـ (٢٥ سبتمبر ١٨٩٩م) وردت عبارة "تدافع عن الحقوق المقدسة لجناب



عدد ٣ برنجی سنه ١٩ جمادی الاول سنة ١٣١٧ بازار ایرتسی ١٣ ایلول سنة ١٣١٥

مدیر مسئول: اصدقای بندگان شهریاریدن پ . ك

ذات اقدس حضرت خلافتپناهی تام قسمیت انسانه مجاناً تقدیم اولنور

مسلکمزه موافق مقالات مع الممنونیه درج اولنور

السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني

SULTAN ABDUL HAMID HAN II

﴿ جریدهٔ سیاسیه ﴾

باش محرری: اصدقای بندگان شهریاریدن م . توفیق

Adresse: Administr. et Redaktion (Poste restante) LE CAIRE (Egypte)

ادرس: مصر القاهره ده (صداقت اداره‌سی) (مکتوبلر پوست رستانت اولملیدر)

پادشاه شوکتکه چوق یشا — حقوق اقدس شهریاری‌یی مدافعه ایدر اون بش کونده بر نشر اولنور — شهریارم قدرتکله بیك یشا

(معارف عثمانیه من وزهدی پاشا)

معارف ملتك مابه الحیاتی وجمعیت بشریه نك اس الاساسی انتظام وترقیسی ومادیاتك لازم غیر مفارقیدر . بو نقاط اساسیه بالجمله حکومات طرفلرندن تقدیر قلندیغی جهتله هر دولت ملتك ترقیسی ، انتظامی ایچون اوته دنبری بر چوق معارف اختیاریله مکتبلر کشاد واحتیاجات حال وزمانه کوره امر تدریساته اهتمام ایدرك بو کون اوروپا مملکتلرینك قسم اعظمنده اوقویوب یازمق بیلمیان همان هیچ بر کسه یه تصادف اولنه مدیغی کورلمکده در .

بو کون ممالك عثمانیه مز ترقیاتك مبدئی وسعادت ملتك بدایتی صایلان دور جلیل بیمثیل پادشاهیده دخی معارفك تعمیم وانتشاری نزد معالی وفود حضرت خلافتپناهیده بغایت ملتزم بولنمقله بوندن اون بش سنه مقدم شرف صادر اولان ارادهٔ حکمت عادهٔ جناب ظل اللهی موجبنجه هر ولایت مرکزنده بر لیلی والویه مرکزلرنده نهاری اولمق اوزره اوروپالیلرك (لیسه) دیدکلری درجهٔ ثانیه تحصیله مخصوص اعدادی مکاتبی انشا ایدلش وذکور واناثه مخصوص رشدی وابتدائی مکتبلری یله قضا وقرایه تعمیم قلنمشدر .

مکتبلرك انشا آنه بیکلرجه لیرالر صرف اولندی . بوبانی مکتب بنالری منتظم بر حال کسب ایتدی . هرکس اولادلرینی بو مکتبلره قید ایتدیر دی .

نظارتك انتخاب ایلدیکی کتابلری قدرتی اولیالریله ایکیشر اوچر مثل فیاتله صاتون الدیلر . بو نظارتك مناسب کوردیکی

وجمله چوجقلرینه پارلاق دوکمه لی ، قرمزی شریتلی البسه بایدیر دیلر . حاصل اولیای اطفال چوجقلرینك تحصیل علم ، تهذیب اخلاقنه بر چوق فداکارلقده بولندقلری حالده حالا بر ثمره کوریله مدی .

کیمی بر نیچی اوکرنمدن مکتبدن چیقدی ، کیمی ترك تحصیل ایتدی . ایشك حقیقته واقف اولمیان اولیای اطفال نعمت معارف عثمانیه ایله پرور شباب کمال اوله میه جقلرینی اکلادقلرندن چوجقلرینی اجانب مکتبلرینه نیده وبناء علیه آداب اسلامیه اوررینه تربیه سی پدرلرنجه مطلوب وملتزم اولان مسلمان چوجقلری فرنك عادات واخلاقیله پرورده اولمه باشلادی که تعمیم معارفدن ، تهذیب اخلاقدن منتظر اولنان فوائد یرینه افکار اطفالده قائم اولان فرنك تربیه سی ، فرنك عادتی ، فرنك اخلاقی اکثریا قبول ایتدیکمز فرنك تربیه سنك ، عاداتك ، اخلاقك تمامیله عکسی اولندی . یعنی مسلمان قزلری مکشوفیت نسوانك ، کلیساده دعا ایتمك ، شراب ایچمك حاصل آداب وعادات اسلامیه یه تمامیله ضد بوکبی ایشلرك فرائض دینیه دن اولدیغنی بله مکله برابر مکتب بر فرانسز مکتبی ایسه فرانسزلر ، انکلیز ایسه انکلیزلر ، امریقان ایسه امریقانلر بونلرده بر محبت حاصل وکوچکدن کور دیکی بو اصول تربیه ایله ارتق بیودکده تصکره کسب ایتدیکی حال زائل اوله میه جق بر درجه یه واصل اولدی .

بزم لسکی اصولده تربیه وتحصیل کورمش کوی چوجقلرمزك عقائد دینیه وتربیهٔ ملیه لری از چوق تمدن ایچنده بولنان قضاء

العدد الثالث المؤرخ في ١٩ جمادى الأولى ١٣١٧هـ الموافق ١٣ سبتمبر ١٣١٥ رومي من جريدة بعنوان "السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني"

السلطان"، كما أن المقالات التي نشرت فيه تؤكد ذلك الاتجاه. ولا يوجد على الجريدة بشكل صريح اسم الشخص الذي أصدرها، وإن ورد اسم (م. توفيق) كرئيس للتحرير. ويضم العدد الثالث كذلك رسالة تعرب عن الامتنان بصدور الجريدة. ويجري الحديث بالإطراء على السلطان ومدحه في كل مناسبة. والواضح في تلك الجريدة – التي ذُكر فيها أنها تُوَزَّع بالمجان – أن السبب وراء نشرها هو دحض الآراء التي ينادي بها أعضاء تركيا الفتاة، ولكننا لم نصل بعد إلى معلومات عن صدور الجريدة بعد ذلك.

كان من نتيجة الجهود التي بذلها زعماء الجمعية الفارين إلى أوربا أن بدأ صدور جريدة في جنيف باسم (عثمانلى) يكون من شأنها سد الفراغ الناشئ عن إغلاق جريدة (ميزان). وبصدور تلك الجريدة التي صدر أول عدد منها في أول ديسمبر ١٨٩٧م بدأ عهد جديد في تاريخ الجمعية. وكانت هيئة التحرير تضم ثلاث شخصيات بارزة من تركيا الفتاة، هم: إسحاق سكوتي وعبد الله جودت وطونه لي حلمي بك. واستمر صدور تلك الجريدة نحو سبع سنوات، وكانت واحدة من أبرز جرائد تركيا الفتاة.

وكانت جريدة عثمانلى تنتهج أسلوباً لغوياً بسيطاً إلى حدٍ ما، وتضم هيئة للتحرير تكاد تمثل كل عناصر التركيب الفسيفسائي العثماني بالمقارنة مع جريدتي (ميزان) و (مشورت). ومما يلفت الأنظار أن الأشخاص الذين أصدروها كانوا من ذوي النشأة العسكرية، إذ يبدو من تأثير تلك النشأة أن كتابات الجريدة كانت تسير في اتجاه أكثر حدة ومنحىً ناشطاً[٢٧]. وقد سعت جريدة عثمانلى إلى تحليل حكم عبد الحميد الثاني من خلال نظرية السيكلوجية الجماعية لغوستاف لوبون، كما انتقدت الحكم من الناحية الدينية من خلال كتابات العلماء، وحاولت الكشف بهذا النهج عن أنه فَقَدَ مشروعيته. ويبدو أن الجريدة حظيت باهتمام واسع، واستطاعت توزيع ألفي نسخة، وهو رقم لم تبلغه جرائد

---

(٢٧) Muammer Göçmen, *a.g.e.*, s. 189.

تركيا الفتاة بعد إغلاق جريدة (ميزان)، بل وزاد الرقم بعد ذلك حتى وصل إلى ٢٣٠٠ نسخة(٢٨).

وهذا النجاح الذي بلغته جريدة (عثمانلى) أوقع قصر يلديز في حيرة، حتى اضطر للتفاوض مع مديري الجريدة في سنة ١٨٩٨م حيث كانت تمر في الأساس بضائقة مالية، وحتى يمكنه تحييدها؛ فنجح في اقناع المعارضين فيها بالتخفيف من حدة المعارضة مقابل تخصيص رواتب شهرية لهم. وعلى هذا النحو قبل كل من عبد الله جودت وإسحاق سكوتي وطونه لي حلمي فتوجهوا إلى وظائفهم الجديدة وانسحبوا في الظاهر من المعارضة تاركين إدارة الجريدة لأدهم روحي. غير أن هؤلاء الأشخاص على الرغم من ذلك الوضع ظلوا على دعمهم للجريدة سواء بكتاباتهم أم بقسم من رواتبهم التي كانوا يرسلونها إليها. وهذا الاتفاق الذي تم في سنة ١٨٩٩م كان إسهاماً كبيراً في تعزيز وضعها من الناحية المالية، إلاّ أنه قوبل بالرفض من أشخاص عدة، ولقيت الجريدة في تلك الأثناء دعماً قوياً من الداماد [صهر السلطان] محمود باشا وأبنائه الذين فروا إلى أوربا. كما انضم إلى هيئة التحرير فيها عدد من الكتاب مثل حسين سيرت وعلي حيدر مدحت وإسماعيل كمال والبرنس صباح الدين.

وكان من نتيجة الضغوط التي مارسها الحكم على الحكومة السويسرية أن قررت الجريدة نقل نشاطها إلى لندن. وكان أول عدد ظهر منها هناك هو العدد ٦٢ المؤرخ في ١٠ يونيه ١٩٠٠م، لكنها لم تلبث أن انتقلت بعد ذلك إلى فولكستون Folkestone اعتباراً من عدد أول أكتوبر ١٩٠٠م بغية الاتصال الأقرب مع مجموعات تركيا الفتاة في أوربا وتهرباً من الاحتكاك بالمسئولين الانجليز. وكان للبرنس صباح الدين بك أثناء ظهورها هناك تأثير واضح.

---

(٢٨) M. Şükrü Hanioğlu, "Jön Türk Basını", s. 848.



العدد ١٢٠ المؤرخ في ١٥ أغسطس ١٩٠٣م من جريدة "عثمانلى" التي كانت تصدرها جمعية الاتحاد والترقي في مصر

ونشهد على صفحات جريدة (عثمانلى) تفاصيل المباحثات التي دارت في مؤتمر تركيا الفتاة عام ١٩٠٢م، وتنجح المجموعة المعروفة بتأييدها للتدخل الأجنبي في كسب الأغلبية في نهاية المؤتمر، وتقوم بإعلان أن (عثمانلى) هي الجريدة الرسمية، وعلى هذا النحو تصدر المجموعة بيانها على صفحات العدد ١٠٤ المؤرخ في ١٦ ابريل ١٩٠٢م بأن جريدة (عثمانلى) سوف تبدأ في الصدور باعتبارها الجهاز الإعلامي لجمعية أنصار الحرية العثمانية (عثمانلى حريت پروران جمعيتي). ثم تستمر في الصدور لمدة في فولكستون بعد ذلك، ولكن مع ظهور الخلاف بين أدهم روحي والبرنس صباح الدين في

موضوع اللامركزية تنتقل الجريدة إلى مصر وتشرع في الصدور هناك. وكان العدد الأول الذي صدر هذه المرة هو العدد ١٢٠ المؤرخ في ١٥ أغسطس ١٩٠٣م، وقام على إصدار الجريـــدة أدهم روحي [بلقان] ونجم الدين عارف، ولكننا لا نشـــهد تفاعـــلاً



ثلاث جرائد كان يصدرها طرسوسي زاده، إحداها جريدة "حقيقت" التي صدرت في جنيف أما جريدتا "عثمانلی" و "ييلديز" فكانتا تصدران في مصر

فكرياً منظماً في الجريدة وإنما خلال تلك الفترة مظاهر لتدهور فكري. وعاشت جريدة (عثمانلى) ضيقاً أيضاً في النواحي المالية، حتى تم نقلها مرة أخرى إلى جنيف اعتباراً من العدد ١٣٦. وهناك بدأت في الظهور من جديد وبمساعدة أيضاً من عبد الله جودت، وأصبحت إذن الجهاز الإعلامي لجمعية الاتحاد والانقلاب العثمانية (عثمانلى اتحاد وانقلاب جمعيتي). وهي جمعية كانت تميل إلى العنف فلما وقعت الجريدة تحت سيطرتها

بدأت تفقد أهميتها[٢٩]، حتى توقفت عن الصدور في النهاية عند العدد ١٤٢ الذي خرج يوم ٢١ سبتمبر ١٩٠٤م.

وفي اليوم الذي بدأت فيه جريدة جمعية الاتحاد والترقي في الصدور في جنيف باسم (عثمانلى) بدأت في الصدور أيضاً جريدة أخرى تحمل نفس الاسم في مصر. وتلك الجريدة – التي قيل إنها لا تمت بصلة للجمعية – كان يصدرها طرسوسي زاده منيف بك.

وكان منيف بك المولود في طرسوس عام ١٨٧٣م قد فر من استانبول إلى أوربا أثناء دراسته في مدرسة الإدارة المُلْكية، ثم انتقل من هناك إلى القاهرة. وقام خلال مدة وجوده القصيرة في جنيف بإصدار جريدة لم تعمر طويلاً تحت اسم (حقيقت)، ولما وَفَد على مصر أصدر هناك أيضاً جريدتين باسم (عثمانلى) و (يلديز). وصدر العدد الأول من جريدة (عثمانلى) (*The Osmanlı*) في مطلع شهر كانون الأول [ديسمبر] ١٨٩٧/ ٦ رجب ١٣١٥هـ، وورد فيها التالي حول الهدف من صدورها: "إننا نشرع اليوم في إصدار جريدة باسم (عثمانلى) سبيلها هو مطالبة الحكومة العثمانية التي تتصرف بشكل غير مشروع بالعدالة وحكم الشورى والحرية. وسوف نقوم بطبعها ونشرها في القاهرة الآن مرة كل خمسة عشر يوماً". وكانت من القطع المتوسط وتقع في ثماني صفحات، كما ورد أنها سوف تصدر في ثلاث لغات: التركية والعربية والانجليزية، بينما كانت الجريدة تضم – إلى جانب التركية – تقديماً باللغة العربية. ولكن القسم الانجليزي في الجريدة ينشر في شكل موجز كثيراً، ثم يظهر تحت اسم الجريدة التركي (وهو: عثمانلى) اسمها بالانجليزية على شكل (*The Osmanlı*) مبشِّراً بمقدم النسخة الإنجليزية. واستمرت جريدة (عثمانلى) في الصدور حتى العدد الثامن في أول يونيه ١٨٩٨م، ولكنها بدأت في التحول إلى جريدة شهرية ابتداءاً من العدد الثالث المؤرخ في يناير ١٨٩٨م. وكان طرسوسي زاده منيف بك قد أصدر في تلك الأثناء جريدة أخرى باسم (يلديز) *The Yıldız*، القصر الذي يقيم فيه السلطان عبد الحميد، فكانت تظهر مرة كل خمسة عشر يوماً أحياناً ومرة كل شهر أحياناً أخرى، وصدر العدد الأول منها في أول فبراير ١٨٩٨م. أما الهدف من نشرها فقد ورد على النحو التالي: "إن هذه الجريدة تتحرى الحقوق المغصوبة والضائعة لكافة العثمانيين

(٢٩) M. Şükrü Hanioğlu, *a.g.m.*, s. 849.

وتطالب باستردادها، فهي ترجمان لكل عثماني شريف يسعى للعدالة والإرشاد". ولم يظهر منها إلاّ ستة أعداد، وتاريخ طبع العدد الأخير هو نفسه تاريخ طبع العدد السادس من نظيرتها التي تحمل اسم "عثمانلى" (أول يونيه ١٨٩٨م). ومن الجدير بالذكر أن هاتين الجريدتين لم تكونا أيضاً على صلة رسمية بجمعية الإتحاد والترقي. والشاهد على ذلك عبارة وردت في جريدة (عثمانلى) الصادرة في جنيف باسم الجمعية تكشف بوضوح عن ذلك الأمر فتقول: "لقد بدأ صدور جريدة في مصر من قِبل محرر جريدة (حقيقت) طرسوسي زاده منيف بك باسم (عثمانلى). ولأنها تحمل الاسم الذي تحمله جريدتنا فإن بعض القراء يطلبون منا إيضاح الأمر، والواقع أنه لا توجد أي رابطة رسمية بين تلك الجريدة وجريدتنا (عثمانلى)، ولكننا بالطبع نتمنى مواصلة النجاح للشقيقة سَمِيّة جريدتنا التي هي محط اهتمامنا في أمر المطالبة بالحقوق"[٣٠]. كما قامت جريدة (عثمانلى) الصادرة في جنيف بالإعلان عن خبر ظهور جريدة (يلديز) بعبارة: "قام أخيراً طرسوسي زاده منيف بك محرر جريدة (حقيقت) بإصدار جريدة باسم (يلديز)، وقد اطلعنا على نسخة من عددها الأول في أسلوبه الرائق وبيانه الشائق، ونتمنى لها دوام التوفيق"[٣١]. وفي مايو ١٩٠١م توجه منيف بك من الإسكندرية إلى أوربا مرة أخرى بمساعدة الإنجليز، ثم عاد بعد سنة من إعلان المشروطية إلى طرسوس. والواضح أن هناك خلطاً في الأسماء بين جريدة (عثمانلى) التي أصدرها منيف بك ونظيرتها التي أصدرتها جمعية الاتحاد والترقي في جنيف أولاً ثم في انجلترا ثم في القاهرة بعد ذلك[٣٢]. وهذا الخلط موجود في الدراسات المعنية بموضوع صحافة تركيا الفتاة.

---

(٣٠) عثمانلى، ١٥ كانون ثاني ١٨٩٨، عدد ٤ (جنوره).

(٣١) عثمانلى، ١٥ شباط ١٨٩٨، عدد ٦ (جنوره).

(٣٢) من الملاحظ وجود خلط في بعض فهارس الدوريات وذلك على الرغم من الدراسة التي قام بها المرحوم فندق أوغلى التي توضح هذا الأمر. وللتعرف على الجرائد التي أصدرها طرسوسي زاده منيف بك خارج تركيا انظر: Z. Fahri Fındıkoğlu, *XIX. asırda Türkiye dışında Türk gazeteciliği ve Tarsûsîzâde Münif Bey: hayatı ve neşrettiği gazeteler*; İstanbul 1930, s. 1014; وللتعرف على سيرته انظر: Ibnül'Emin Mahmut Kemal, *Son asır Türk şairleri*, وانظر أيضاً: Taha Toros "İsviçre'deki Jön Türkler Arasında Tarsuslu Bir Gazeteci", *Çukurova Bayram Gazetesi*, 4 Aralık 1976, sayı 9. كما أن رواية بكر فخري المعروفة باسم *Jönler* تقدم معلومات حول حياة طرسوسي زاده في مصر.

وفي تلك السنوات أيضاً بدأ الخوجة قدري بعد انفصاله عن شعبة مصر بإصدار جريدة جديدة باسم (خواطر). وجرى طبعها في مطبعة القانون الأساسي بالقاهرة، وظهر العدد الأول منها في ٣٠ ربيع الأول ١٣١٦هـ (١٧ – ١٨ أغسطس ١٨٩٨م). وسعت الجريدة لستر اسم المحرر فعبرت عن ذلك بقولها إنه "رجل حجب اسمه حتى يصبح بمنأى عن محاولات الإزعاج التي لا طائل منها لأجل إسكاته". وقد استمرت تلك الجريدة – التي قيل إنها "سوف تنشر في الوقت المناسب" – في مواصلة الاتجاه الإسلامي الذي قلنا إن الخوجة قدري تبناه من قبل، وذلك حتى العدد السادس عشر المؤرخ في ٣٠ جمادى الأولى ١٣١٨هـ (٢١ أكبور ١٩٠٠م)، كما نشرت على صفحاتها كتابات ومقالات بالعربية إلى جانب التركية حتى يمكنها الوصول إلى رأي عام إسلامي أوسع. وكان من بين الأفكار التي نادت بها هي أن الدولة العثمانية تقف صامدة بفضل الشعوب الإسلامية التي تحتويها كالترك والعرب والأرناؤوط وغيرهم.

وقد ظهر أيضاً في مصر آنذاك جريدة كردية تركية، كانت هي الأولى من نوعها باسم (كردستان)، وصدر العدد الأول منها على يدي مقداد مدحت بدرخان في ٩ ابريل ١٣١٤ (رومي) الموافق ٢٢ ابريل ١٨٩٨م. وكانت في البداية تصدر باللغة الكردية وحدها، ثم لم تلبث في عددها الرابع أن بدأت تضم مقالات وكتابات باللغة التركية. وكشف مقداد مدحت بدرخان عن هدف الجريدة في العدد الأول بقوله إنه "تعريف الأكراد بفضل العلم والسعي في طلبه.. وأين يمكنهم تحصيل العلم.. وأين توجد أحسن المدارس..."، ثم يؤكد أن (كردستان) هي الجريدة الكردية الأولى. وبعد ذلك انتقلت الجريدة إلى جنيف، وتولى أمرها هناك عبد الرحمن بدرخان ابتداءاً من العدد السادس، ثم بدأت في الصدور تحت رقابة جمعية الاتحاد والترقي إذ كان الأعضاء ينشرون فيها كتاباتهم وخاصة الأعضاء المؤسسين من أمثال إسحاق سكوتي وعبد الله جودت[٣٣]. ثم تعود الجريدة إلى مصر مرة أخرى ابتداءاً من العدد العشرين، وبعد صدور أربعة أعداد هناك تنتقل إلى لندن، ومن بعدها إلى فولكستون[٣٤]. وكان العديد من مقالاتها يسعى لإيقاظ شعب كردستان وتوعيته، كما نشرت

---

(٣٣) Şükrü Hanioğlu, *a.g.e.*, s. 282.

(٣٤) إن المجموعة الوحيدة المعروفة لهذه الجريدة توجد محفوظة في المكتبة الوطنية بمدينة ماربورغ في ألمانيا. وتاريخ آخر عدد موجود هو ٦ محرم ١٣٢٠/ أول ابريل ١٣١٨ رومي. والأعداد ١٠ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ناقصة في هذه

مقالات حول الوطنية ووحدة الأمة، بينما خصصت القسم الأكبر من صفحاتها لمناهضة حكم السلطان عبد الحميد الثاني ودعوة الناس للتمرد عليه. واستمرت الانتقادات في اطراد حتى اتجهت في النهاية للنيل من شخص السلطان نفسه. وكانت الجريدة تحمل عبارة "سوف نرسل إلى كردستان ألفي نسخة لتوزيعها بالمجان على الناس هناك". ولم تلبث أن أغلقت بعد صدور ٣١ عدداً منها.

وكانت جمعية الاتحاد والترقي قد أرسلت طونه لي حلمي بك إلى القاهرة لإعادة تنظيم الشعبة في مصر، ونجح الرجل في إعادة تشكيلها ضمن هيئة جديدة، وهذه الهيئة التي عُرفت باسم "الهيئة المؤقتة والطارئة لشعبة مصر " قد قررت إصدار جريدة باسم (حق) لتكون الواسطة الإعلامية للشعبة ولكن بشرط أن تكون ذات صفة شبه رسمية (أي لا تكون اللسان الرسمي للجمعية)[٣٥]. وفي ٣١ أغسطس ١٨٩٩م صدر العدد الأول منها واستمرت الجريدة حتى صدور العدد ٣١ وهي تحمل عبارة "ناشرة أفكار جمعية الإتحاد والترقي"، أما من العدد الثاني والثلاثين وحتى العدد التاسع والثلاثين (أول ابريل ١٩٠١م) وهو العدد الأخير الذي تحققنا من وجوده فقد حملت الجريدة عبارة "ناشرة أفكار جمعية الشَّفَق للاتحاد العثماني". وقد استخدمت جريدة (حق) منهجاً إسلامياً بقصد موازنة نشريات الخوجة قدري التركية والعربية، وقَطْع الطريق على الإصدارات العربية التي تؤثر على الرأي العام الإسلامي وتتهم الاتحاديين بمعادة الإسلام وخاصة على صفحات الجرائد العربية القوية مثل جريدة المؤيد وجريدة المرصاد وغيرهما[٣٦].

وكان التغيير الذي أجروه على اسم الجمعية في العدد الثاني والثلاثين من جريدة (حق) (٢٣ شعبان ١٣١٨هـ) إنما هو نتيجة لانقسام جديد وعميق بين صفوف تركيا الفتاة، فقد كانت المرحلة الجديدة التي بدأت بالجلوس للتفاوض بين جمعية الاتحاد والترقي ورجال الدولة في أواخر عام ١٨٩٩م قد أدت إلى تمزيق شعبة مصر. وكان البحار رضا بك الذي

المجموعة. وقد طبعت الجريدة في عام ١٩٩١ اعتماداً على تلك المجموعة الموجودة في ألمانيا مع إضافة الشروح والترجمة التركية ونطقها بالكردية وغير ذلك.

(M. Emin Bozarslan, *Kurdistan, I-II*, Uppsala 1991.).

(٣٥) *Hak*, 31 Ağustos 1899, no 1, s.3.

(٣٦) Şükrü Hanioğlu, *a.g.e.*, s. 302, 332-333.

كان بمثابة زعيم شعبة مصر قد دخل في مساومة في أواسط عام ١٩٠٠ مع السراي العثماني حول بيع جريدة (حق)، وعندئذٍ عارضته المجموعة وبدأت في إصدار جريدة لنفسها باسم (حق صريح). فصدر أول عدد منها في ٢٥ يوليه ١٩٠٠م، وجاء فيه أن الجريدة تصدر باسم "جمعية الاتحاد والترقي العثمانية". غير أننا لم نتحقق إلاّ من أربعة أعداد فقط صدرت منها (صدر العدد الرابع بتاريخ ٢٤ أغسطس ١٩٠٠م)، فلم يطل عمرها كثيراً على الرغم من دعم صالح جمال بك لها، إذ كان زعيماً سابقاً لشعبة مصر وكان يسيطر على شئون المطبعة. ومن جانب آخر كانت جريدة (حق) تواصل الصدور حتى شهر ابريل ١٩٠١م كما أشرنا من قبل، وذلك على الرغم من خروج مطبعة الجمعية من بين يديها واتهام المجموعات المعارضة للجريدة بقولهم إنها "حق للبيع".

وقد أدى هذا النزاع فيما بين أعضاء تركيا الفتاة إلى انهيار شعبة مصر، كما كان قيام الخديوي عباس حلمي بإرسال عدد منهم إلى استانبول في نهاية عام ١٩٠١م قد حدّ من نشاطهم هناك إلى درجة كبيرة. وفي الفترة التي مضت حتى إعلان المشروطية (١٩٠٨م) كانت هناك جرائد عدة تصدر في مصر لأعضاء تركيا الفتاة والمعارضين للحكومة العثمانية بما فيهم المجموعات التي تنتمي إلى أصول إثنية مختلفة. ومن تلك الجرائد (سنجاق) و (شواري أمت) و(تُرك) و(اجتهاد) التي تتفاوت في مدة الصدور ودرجة التأثير على الرأي العام.

فقد كانت جريدة (سنجاق) واحدةً من جرائد تركيا الفتاة التي صدرت لمدة طويلة في مصر (١٨٩٩ – ١٩٠٢، ١٩٠٦ – ١٩٠٨م)، وكان يقوم على إصدارها أحمد صائب بك الذي كان يعمل مساعداً للغازي أحمد مختار باشا المفوض السامي للدولة العثمانية في القاهرة. بل إن أحمد صائب استمر في إصدارها حتى بعد عودته إلى استانبول عقب إعلان المشروطية. وكان العدد الأول قد صدر منها في مصر في ١٤ رجب ١٣١٧هـ/ ١٨ تشرين ثاني ١٨٩٩م وذكر فيه أحمد صاحب أن الجريدة لا صلة لها بجمعية الاتحاد والترقي، ولكنه على الرغم من ذلك بدأ – بعد اتصاله بأحمد رضا بك وترحيبه برأيه – في نشر تلك الأفكار على صفحات جريدته (سنجاق)، وعلى هذا النحو أصبح أحمد رضا بك صاحباً أيضاً لوسيلة إعلامية تركية إلى جانب جريدة (مشورت) الفرنسية، ووجد بذلك فرصة أوسع لنشر هجومه وانتقاداته الموجهة للحكومة في استانبول. ونرى من المفيد هنا

تسجيل الشعارات التي نادت بها جريدة (سنجاق) للكشف عن اتجاهاتها المتغيرة، فقد وردت في عددها الأول عبارة "جريدة أسبوعية تخدم المصالح الإسلامية والعثمانية"، أما في العدد الأول من السنة الثانية (وحتى العدد ٣٦) فقد تغير الشعار إلى عبارة "جريدة تروّج لأفكار الأحرار العثمانيين".


سنجاق

صاحب ومدیر مسئول
احمد صائب

محل مراجعت
صندوق البوسته نومرو ۲۵۲
مصر القاهره

Adresse
Boîte Spéciale No. 252
Caire Egypte

بدل اشتراك

۱ تشرین اول سنه ۱۹۰٦ — دولت علیه‌ده ادارهٔ مشروطه و اصلاحات عمومیه طرفداریدر — ۱۳ شعبان سنه ۱۳۲٤

افادهٔ مخصوصه

مقالهٔ مخصوصه

حال و مستقبل

احمد صائب

جريدة "سنجاق" إحدى جرائد جمعية تركيا الفتاة

وقد اطلعنا على العدد الرابع والستين من جريدة (سنجاق) (٥ مارس ١٩٠٢م) الذي يكاد يتحدث بكامله عن مؤتمر الأحرار العثمانيين ويضم خطاباً من أحمد رضا بك إلى

أحمد صائب بك حول ما سيجري القيام به عقب المؤتمر(٣٧)، وبهذا العدد تكون الجريدة قد بلغت نهاية مرحلتها الأولى. وفي تلك المرحلة التي بلغت فيها حركة تركيا الفتاة أكثر أدوارها ضعفاً وتدهوراً وقع تطور مهم؛ إذ فر إلى فرنسا في الشهر الأخير من عام ١٨٩٩م الداماد [صهر السلطان] محمود جلال الدين باشا ومعه ولداه البرنس صباح الدين والبرنس لطف الله، فاكتسبت الحركة بانضمامهم إليها روحاً جديدة. وبمبادرة من الأميرين تم عقد "مؤتمر الأحرار العثمانيين"، وكان في باريس تحت رئاسة البرنس صباح الدين في ٤ – ٩ فبراير ١٩٠٢م، وشارك فيه سبعة وأربعون مندوباً من الترك والعرب والروم والأرمن والأرناؤوط والجركس واليهود. وكان أحمد صائب بك واحداً من بين هؤلاء المندوبين، فكان يؤيد مجموعة أحمد رضا بك المعروفة باسم "الأقلية" بين تلك المجموعات التي لم تتحد إلا في هدف الإطاحة بالسلطان عبد الحميد، والمتناحرة من الناحية الإثنية والمشاعر القومية. وتثور ثائرة أحمد رضا بك ورفقائه على المندوبين غير المسلمين وخاصة الأرمن، إذ استطاعوا بدعم من البرنس صباح الدين إضافة فقرة للخاتمة في نهاية قرارات المؤتمر يمكن بموجبها السماح للدول الأجنبية بالتدخل في الشئون الداخلية للدولة العثمانية. فكان تعقب الأقليات المسيحية وخاصة الأرمنية لتنفيذ قرار التدخل هذا ومحاولاتهم لاستغلال صفاء طويّة البرنس صباح الدين الذي وصل حد الغفلة أن أدى إلى ظهور الانقسام من جديد بين صفوف أعضاء حركة تركيا الفتاة، ودفع ذلك أحمد رضا بك ورفقاءه المعروفين باسم الأقلية أو المجموعة "التركية" إلى تكثيف جهودهم ونشاطاتهم. وكان هذا الوضع سبباً في ظهور وسيلة إعلامية جديدة في تلك الأثناء، إذ بدأت في الصدور في القاهرة جريدة (شوراي أمت) تحت إدارة محمد علي فاضل باشا من العائلة الخديوية وأحمد رضا بك، ثم ناظم أفندي سلانيكلي وسزائي بك وأحمد صائب بك الذي بادر بإغلاق جريدة (سنجاق).

وكانت المشكلة داخلية في نظر أحمد رضا بك ومؤيديه من الأتراك في حركة الاتحاد والترقي المعروفين بمجموعة الأقلية بعد الخلاف الذي ظهر في مؤتمر باريس الذي سبقت الإشارة إليه. وقد كانت تلك المجموعة تعارض أي تدخل قادم من الخارج، وترى أن

(٣٧) يذكر شكري هاني أوغلى أن النسخة الوحيدة التي أمكنه رؤيتها من العدد ٦٤ من جريدة سنجاق موجودة في مكتبة جامعة ميونيخ.

تدخلاً من هذا النوع سوف يضر بمصالح البلاد. ويتراجع أحمد رضا بك عن نشر (مشورت) التركية التي كان قد قرر نشرها من جديد. ومن ثم قرر أصحاب ذلك الرأي ممن التفوا حول أحمد رضا بك دمج جرائد (استرداد) في جنيف و (انتقام) في جنيف أيضاً و(سنجاق) في مصر والتي أصدروها بأسمائهم، واتفقوا على توحيد الرأي والكلمة، وكانت الجريدة التي تقرر إصدارها مرتين في الشهر باللغة التركية وتحت اسم (شوراي أمت) في القاهرة قد شرعت في الظهور في أول المحرم ١٣٢٠هـ/ ١٠ ابريل ١٩٠٢م، وحملت شعار "وسيلة الإعلام لمن يؤيدون الحكم النيابي والإصلاحات العمومية". أما بعد يوم ٢٧ يولية ١٩٠٦م الذي رُفض فيه برنامج البرنس صباح الدين فقد تغير الشعار إلى "وسيلة إعلام جمعية الترقي والاتحاد العثمانية". وإلى جانب الإشارة في العدد الأول إلى هذا الاندماج فقد ورد أيضاً أن جريدة (كردستان) الكردية وجريدة (مشورت) الفرنسية الصادرتين في مصر منذ مدة سوف تواصلان الصدور كما هو الحال من قبل.

وبدأت جريدة (شوراي أمت) في الظهور مرتين في الشهر وفي أربع صفحات، واستمرت على ذلك مدة طويلة، فلما اختلف أحمد صائب بك مدير شعبة مصر مع الجمعية في باريس أدى ذلك إلى انقطاع صلته بالجريدة أيضاً. وهذه الحادثة تم إعلام القراء بها في العدد ٩٨ الصادر في ١٥ أغسطس ١٩٠٦م[٣٨]. واستمرت جريدة (شوراي أمت) في الظهور في القاهرة حتى العدد ١١٦ الصادر في ١٥ يونية ١٩٠٧م، ثم لم تلبث بعد ذلك التاريخ أن واصلت الظهور في باريس واستانبول، ثم توقفت عن الصدور بعد العدد ٢٢٠ الصادر في ٢٩ ابريل ١٣٢٦ (رومي) (١٢ مايو ١٩١٠م). وقد كانت جريدة (شوراي أمت) تحتل مكانة متميزة ضمن إصدارات تركيا الفتاة، إذ كانت تعالج العديد من الموضوعات مثل تغير المعايير الأخلاقية والتعليم وإدارة الدولة والحياة الاقتصادية وقضايا الثقافة الوطنية وتنوير الناس وقضية الوطنية والأشكال الجديدة التي يجب أن تكون عليها الخلافة والسلطنة ومكانة الإسلام في الثقافة العثمانية الجديدة وغير ذلك[٣٩]. وبعد عام ١٩٠٨م تحولت تلك الجريدة إلى وسيلة إعلامية يومية لجمعية الاتحاد والترقي.

---

(٣٨) لقد صدر العدد ٩٦ من جريدة شورى الأمة وعليه رقم ٩٨ على سبيل الخطأ. ولتلافي ذلك جرى دمج العددين ٩٦ – ٩٧ ونشرهما في عدد واحد فيما بعد.

(٣٩) Şerif Mardin, *Jön Türklerin Siyasî Fikirleri 1895-1908,* İstanbul 1992, s. 251-286.

وفي عام ١٩٠٦م، ونتيجة للخلاف الناشب بين أحمد صائب بك ومجموعة باريس عادت جريدة (سنجاق) إلى الظهور من جديد، وصدر العدد الأول برقم ٦٥ (أول يولية ١٩٠٦م – السنة الرابعة). وفي تلك المرحلة استمرت تلك الجريدة في الصدور في القاهرة – حسبما توصلنا إليه – حتى العدد الواحد والسبعين (أول أغسطس ١٩٠٨م/ ٤ رجب ١٣٢٦هـ)، أي حتى إعلان المشروطية حاملةً شعار "تؤيد الحكم النيابي والإصلاحات العمومية في الدولة العثمانية". أما من ناحية الأفكار التي جرت عليها الجريدة فقد ذَكَرَتْ أنها تتمسك بالحكم النيابي وأسس العائلة العثمانية الحاكمة، وأنها سوف تقوم بالبحوث والدراسات اللازمة لتحري الحقائق حول تغيير أسس اعتلاء العرش مع المحافظة على حقوق الحكم والسلطة، وترصد "أحوال المسلمين على وجه المعمورة" مع التمسك بمبدأ "القومية التركية"، ومسألة "الاتحاد الإسلامي" التي يوليها الأوربيون أهمية كبيرة. ولما عاد أحمد صائب بك إلى استانبول عقب إعلان المشروطية شرع في إصدار جريدة (سنجاق) فيها، وظهر العدد الأول منها في ٢٣ مايو ١٣٢٥ (رومي) (٥ يونيه ١٩٠٩م).

وكان مولانزاده رفعت من المعارضين لجمعية الاتحاد والترقي، واضطر في سنة ١٩١٠م إلى مغادرة تركيا بعد واقعة (٣١ مارس) المشهورة، وقام في مصر بنشر جريدته (سربستى) التي كانت تصدر قبل ذلك. فصدرت لمدة باسم (يكى سربستى) في صفحتين بالتركية وصفحتين بالفرنسية، ولما لم يُسمح لمولانزاده بمواصلة إصدارها تم تعيين أحد الفرنسيين باسم هنري غوزيه Gouzée ليكون المدير المسئول لها. وعلى الرغم مما قيل إن مولانزاده رفعت أصدر من تلك الجريدة سبعة أعداد في مصر، وإنه حصل لأجل ذلك أيضاً على مساعدة الخديوي(٤٠) إلاّ أنه لم يتم العثور إلاّ على عددها الأول الصادر بتاريخ ١٧ يناير ١٩١٠م.

(٤٠) انظر: Ali Birinci, "Rıfat Bey (Mevlanzâde),. *OA*, c.II, s.461.



الصحيفتان الأولى والثانية من جريدة "يكي سربستي" في العدد الأول المؤرخ في ٤ كانون الثاني ١٣٢٥ رومي الموافق ١٧ يناير ١٩١٠م إذ كانت تصدر في مصر في أربع صفحات اثنتان بالتركية واثنتان بالفرنسية



العدد الأول المؤرخ في ٢٤ ابريل ١٩٠٢م من جريدة "آناطولی"

التي كان يصدرها في القاهرة آضنه لی سليمان وحيد

وأصبحت القاهرة بعد مؤتمر عام ١٩٠٢م مركزاً لحركة النشر التي قام بها رجال تركيا الفتاة، فقد شرع أعضاء شعبة القاهرة القدامى من الاتحاد والترقي في نشر جريدة (آناطولی) هناك، وقام بذلك سليمان وحيد بك ويعاونه طرسوسي زاده وصالح جمال، وصدر منها عشرة أعداد حتى تفاهم سليمان وحيد مع السراي[٤١].

---

(٤١) Şükrü Hanioğlu, *Preparation for a revolution: The Young Turks 1902-1908*, Oxford : Oxford University Press, 2001, p. 64.

وعقب تلك الجريدة بدأت تصدر جريدة أخرى فكرية تحت اسم (تُرك *Le Turk*). وكانت من الجرائد التي ظهرت في القاهرة وعمرت طويلاً وساهمت في تشكيل فكر قومي تركي في مصر[٤٢]، وقد بدأت في الظهور أسبوعية (أيام الخميس)، وكان العدد الأول في ٥ نوفمبر ١٩٠٣م، بينما انتهت حياتها في النشر بالعدد ١٨٧ الصادر في ٢٨ نوفمبر ١٩٠٧م/ ٢٢ شوال ١٣٢٥هـ.

وقد ورد في تقديم العدد الأول منها أنها "جريدة علمية وأدبية وسياسية، إذ أسست بشكل خاص للحفاظ على حقوق الترك وشحذ أذهانهم وتنشيط أفكارهم..."، وبذلك أفصحت الجريدة عن هدفها من النشر . أما الذين قاموا على إصدارها فقد قيل "إنهم عدة ذوات من أصحاب العمل المتوطنين في مصر" (العدد ١٠٦). ويظهر من خطاب أرسله أحمد صائب إلى أحمد رضا أن القائمين على النشر هم: علي كمال وشرف الدين مغمومي ونجم الدين عارف بك وأسعد بك وجلال الدين عارف[٤٣]. واستخدمت الجريدة في كتاباتها بصورة عامة أسماء مستعارة بدلاً من اسم المحرر (مثل: برتورك، باغرى يانيق = شخص تركي، الحزين الكدر). ولكن بعد العدد ١٣٤ نشهد أحياناً توقيعات لمحررين باسم ماهر سعيد والخراساني. وكانت الأخبار الصادرة بانتظام فيها هي الأخبار المحلية والأخبار الداخلية والخارجية فضلاً عن الكتابات الأدبية. وقد صدرت الجريدة بعدة أسماء تنوب عن هيئة الإدارة، فكانت حتى العدد العشرين تحمل اسم شخص يدعى فوزي، وحتى العدد ٦٥ باسم شخص يدعى جلال، ومن العدد ٦٦ حتى العدد ١٠٥ باسم شخص يدعى محمد سعيد. أما الأعداد الصادرة بعد ذلك فقد شهدت تغييراً في الإدارة، إذ تحولت المسئولية إلى صاحب الجريدة الجديد وهو حسين عالي. وفي تلك المرحلة لم تشهد الجريدة تغيراً جذرياً، أما حسين عالي فقد انفصل عنها بعد العدد ١٣٤. وبدأت الجريدة تصدر من جديد بتوقيع محمد سعيد، ثم توقفت عن الصدور بالعدد ١٨٧ الذي صدر في ٢٨ نوفمبر ١٩٠٧/ ٢٢ شوال ١٣٢٥هـ. وكان سبب إغلاق الجريدة هو الضيق المادي بحسب ما ورد في العدد الأخير.

(٤٢) للمزيد من المعلومات عن الجريدة انظر المصدر السابق، ص ٦٤ – ٧٣.

(٤٣) المصدر السابق، ص ٦٥.


ترك

LE TURC

5 Novembre 1903

جريدة "تُرك" التي صدر منها في مصر ١٨٧ عدداً من ١٥ شعبان ١٣٢١هـ الموافق ٥ نوفمبر ١٩٠٣م إلى ٢٢ شوال ١٣٢٥هـ الموافق ٢٨ نوفمبر ١٩٠٧م

ولم يصدر في الجريدة شئ يناهض السلطان عبد الحميد، ووردت العبارة التالية في العدد ١٠٧ لتقول في هذا الموضوع "سلطاننا، إن هدف جريدة (تُرك) هو حرية النشر المفقودة مع الأسف في وطننا الحبيب أي في الممالك المحروسة الشاهانية، ولم تُقْدم الجريدة منذ بداية صدورها حتى اليوم على استعمال كلمة أو لفظ يخالف الأدب ضد ذاتكم الشاهانية. فإن منهجها هو قول الحقيقة وعدم الانفكاك عنها قدر ذرة، فاجتهدت كثيراً في هذا الخصوص... ولم تفرق بين السلطان والأمة في أي وقت من الأوقات. فما دام السلطان على طريق الحق فقد تابعوا أعمالهم، ودعوهم عند الابتعاد عن طريق الحق إلى مباشرة واجباتهم. ونظراً لأنهم يرون العظمة في العائلة العثمانية المالكة فلم يطلبوا غير أفرادها لتبوء هذا المنصب..". وقد جاء في رسالة نشرها بدوي قوران من ملف

المراسلات السرية بين أعضاء تركيا الفتاة أن جريدة (تُرك) كانت تصدر تحت رعاية الغازي أحمد مختار باشا(٤٤).

وكان أحمد كمال [آق أونال] أحد من شاركوا في إصدار جريدة (تُرك) قد ساهم أيضاً في إصدار جريدتين تركيتين في مصر، إحداهما هي (حقايق شرق) التي لا نعلم الكثير عنها، وتحدث دوندار آق أونال نجل أحمد كمال عنها فقال إنها صدرت أسبوعية في القاهرة بأربعة لغات (التركية والعربية والفرنسية والإنجليزية)، وإن أحمد كمال كان يدير قسم التركي والعربي فيها، وإنها منعت من الدخول إلى الممالك الشاهانية بسبب ما نشرته عن العقبة ومقدونيا والخديوية المصرية ومقالات تحت عنوان: "نحن الآن في خطر"، ويفهم من تاريخ خطاب كتبه الشاعر أشرف أن تلك الجريدة أصدرت ما يزيد على ثلاثين عدداً(٤٥). أما الجريدة الثانية التي أصدرها أحمد كمال بمساعدة من عبيد الله افندي وعبد الله جودت وكانت تتلقى دعماً جاداً ضد الاتحاد والترقي فهي جريدة طوغرى سوز التي صدر عددها الأول في ٢٢ مارس ١٩٠٦م، واستطعنا الاطلاع على أعدادها حتى العدد ١٣ المؤرخ في ١٢ أكتوبر ١٩٠٦م، فقد توقفت عن الصدور مع توجه أحمد كمال إلى بلاد القوقاز.

وجريدة (اجتهاد) أيضاً هي واحدة من أطول الصحف عمراً في حركة تركيا الفتاة، وقد أصدرها عبد الله جودت في جنيف، وظهر العدد الأول منها في أول سبتمبر ١٩٠٤م. وهذه الجريدة البارزة لدى تركيا الفتاة قد ظهرت في مصر أيضاً، واستمرت هناك مدة من الزمن.

وكان عبد الله جودت بعد تخرجه من مدرسة الطب قد قام مع زملائه الآخرين من نفس المدرسة من أمثال إبراهيم تمو وإسحاق سكوتي ومحمد رشيد وحكمت أمين بتأسيس جمعية الاتحاد العثماني في سنة ١٨٨٩م، وهي الجمعية التي عُرفت بعد ذلك باسم جمعية

---

(٤٤) A. Bedevî Kuran, *a.g.e.* s. 237 (الخطاب رقم ٣٣٦٥ وتاريخ ٧ سبتمبر ١٩٠٧م).

(٤٥) Dündar Akünal- *a.g.m*, s. 850.

الاتحاد والترقي. فقد انتقل عبد الله جودت إلى باريس، وانضم إلى مجموعة المعارضين المعروفين بجماعة تركيا الفتاة (ژون تورك)، ثم راح يكتب المقالات في الصحف والمجلات الصادرة باسم الجمعية مثل: (مشورت وميزان وعثمانلى وقانون أساسي وصداى ملت)، ولما طُرد بعد مدة من فينا التي توجه إليها بعد باريس (١٧ سبتمبر ١٩٠٣م) انتقل إلى جنيف، وهناك واصل إصداره لمجلة (عثمانلى). وفي شهر مارس ١٩٠٤م قام هو وأدهم روحي [يلقان] بتأسيس جمعية الاتحاد والانقلاب العثمانية التي كانت بمثابة التنظيم الوحيد الذي انطوى على تيارات فوضوية واضحة داخل حركة تركيا الفتاة. وشرع عبد الله جودت إلى جانب تلك الأنشطة في إصدار مجلة (اجتهاد) في سبتمبر ١٩٠٤م، بعون مادي من رئيس المباحث السرية السابق أحمد جلال الدين باشا، وكان لها أثرها الواضح لسنوات طويلة على الحياة الثقافية التركية(٤٦).

وتلك المجلة الوحيدة التي عنيت بالشئون الثقافية في حركة تركيا الفتاة كانت تصدر في تلك المرحلة في اثنين وثلاثين صحيفة، نصفها بالتركية، والنصف الآخر بلغة أجنبية. ولكن عبد الله جودت يُقْدم على نشر عمل بعنوان (بر رؤيا) وجّه فيه مؤلفه عبد الحليم حكمت انتقادات قبيحة للسلطان عبد الحميد ورجال حكومته، وهنا يتم طرد عبد الله جودت من سويسرا في أكتوبر ١٩٠٤م. وتستمر مجلة الاجتهاد في الصدور تحت إدارة حسين طوسون بك ومساعدة عبد الرحمن بدرخان. وبعد مغادرة أدهم روحي لمدينة جنيف يتوقف هناك نشاط تركيا الفتاة بكامله(٤٧).

وفي سبتمبر ١٩٠٥م ينتقل عبد الله جودت إلى مصر، ويشرع هناك في إصدار مجلة الاجتهاد (العدد ٩ المؤرخ في تشرين أول ١٩٠٥م) بينما كان على الجانب الآخر يقوم بتأسيس علاقة وطيدة مع مجموعة البرنس صباح الدين، وشارك في إدارة جمعية الشورى العثمانية (التي أقامها عدد من المفكرين العرب المعروفين مع بعض العناصر العثمانية

---

(٤٦) M. Şükrü Hanioğlu, "Abdullah Cevdet", *DİA*, I, s. 90-91.

(٤٧) M. Şükrü Hanioğlu, *Bir Siyasal Düşünür Olarak Doktor Abdullah Cevdet ve Dönemi*, İstanbul 1981, s. 54.

المتباينة من الترك والجركس والأرمن، وكان من بين أعضائها أحمد صائب وعبد الله جودت وغيرهما، وأصدرت جريدة باسم "شوراى عثمانى" ظهرت في أول فبراير ١٩٠٧م). وعلى الرغم من أن مجلة الاجتهاد لم تحمل في تلك المرحلة صفة الوسيلة الإعلامية لأي من مجموعات تركيا الفتاة إلاّ أن النظر في طبيعة الموضوعات التي عالجتها وشخصيات كتابها عدا عبد الله جودت تدلنا على أنها اقتربت من المجموعة المنادية بمبدأ "اللامركزية وحرية المبادرة الفردية". واستمرت المجلة في الصدور في مصر حتى نهاية عام ١٩١٠م، أي حتى بعد أن عاد عبد الله جودت إلى استانبول. أما اعتباراً من الرابع عشر من يونية ١٩١١م فقد بدأت المجلة في الظهور في استانبول، ورغم إغلاقها عدة مرات وتغيير اسمها إلاّ أنها استمرت في الصدور حتى شهر ديسمبر ١٩٣٢م، وكان آخر عدد منها هو العدد الخاص الذي صدر عقب وفاة عبد الله جودت.

وترجع الغالبية العظمى من الكتابات المنشورة في المجلة إلى قلم عبد الله جودت، بينما تحمل المقالات والكتابات الأخرى أسماء العديد من الأدباء والكتاب من أمثال إبراهيم تمو وجلال نوري وعلي كامي ورضا توفيق وسليمان نظيف وجناب شهاب الدين وعبد الحق حامد وغيرهم.

وهناك جريدة أخرى من جرائد تركيا الفتاة عرفت باسم (يكى فكر) وصدر العدد الأول منها في ٢٨ يونية ١٩٠٧م في الإسكندرية. وقد ظلت تطبع هناك حتى إعلان الدستور (المشروطية)، وكان يوسف عز الدين أفندي هو الذي يتولى الانفاق عليها، بينما كانت شؤون الإدارة بيد ديران كلكيان. ويبدو أن الجريدة بدأت تطبع في القاهرة بعد ذلك، وهو ما ظهر من الأعداد التي أمكن الاطلاع عليها (١٢ – ١٤).

وكان هناك في مصر – عدا تلك الصحف والمجلات التي فصّلنا القول فيها – صحف ومجلات أخرى عديدة لجماعة تركيا الفتاة، ولكن الغالبية منها لم تعمر طويلاً. فقد كانت هناك انقسامات أسفر عنها التناحر بين أعضاء جمعية الاتحاد والترقي وشعبتها في مصر، وكذلك بعض الدوريات التي أصدرها بعض الأشخاص مستخدمين إياها وسيلة "للابتزاز"،

فكانت النتيجة أن رأينا بعض الصحف تخبو على الفور بعد صدور العدد الأول منها وكأنها فقاقيع صابون. وتلك الصحف التي صدرت بأعداد قليلة هي – حسب ما توصلنا إليه – على النحو التالي:

– الصحف التي أصدرت أكثر من عدد:

في عام ١٨٩٨م جريدة (نصيحت) (ثلاثة أعداد)، وجريدة (يلديز) (ستة أعداد)؛ وفي عام ١٨٩٩م جريدة (أنين مظلوم) (بالتركية والعربية ٢٣ عدداً)، وجريدة (اتحاد غزته سى)[٤٨] (أربعة أعداد)، وجريدة (تعقيب استقبال) (ستة أعداد)؛ وفي عام ١٩٠٠ جريدة (أمل) (سبعة أعداد)، وجريدة (أميد) (عددان)؛ وفي عام ١٩٠١ – ١٩٠٢م جريدة (شرق مصور) (١٢ عدداً)؛ وفي عام ١٩٠٢م جريدة (آناطولى) (١٠ أعداد)؛ وفي عام ١٩٠٥م جريدة (بارقهٔ سعادت) (ستة أعداد)؛ وفي عام ١٩٠٦م (دوغرو سوز) (١٣ عدداً)؛ وفي عام ١٩٠٧م جريدة (لق لق) [٤٩] (خمسة أعداد)؛ وفي عام ١٩٠٧م جريدة (مرآت علوم) (ثلاثة أعداد)؛ وفي عام ١٩٠٧ – ١٩٠٨م جريدة (يكى فكر) (١٤ عدداً).

– الصحف التي لم يصدر منها إلاّ عدد واحد:

جريدة (پينتي) (١٥ أغسطس ١٨٩٨م)، جريدة (انتباه) (١٠ يونية ١٣١٥ رومي/ ٢٣ يونية ١٨٩٩م)، ومجلة (مجموعهٔ كمال) (أول يونية ١٩٠١م)، وجريدة (جورجينه) (٢٢ يناير ١٩٠٦م)، وجريدة (ظهوري) (١٠ مارس ١٩٠٦م).

---

(٤٨) هذه الجريدة هي الجهاز الإعلامي لجمعية اتحاد الجراكسة وأول جريدة قومية لهم.

(٤٩) جرى إصدارها من قبل جمعية الترقي والاتحاد، وذلك بوساطة محمد فضلي موظف الجمعية في القاهرة. وكان أول عدد لها في أول ابريل ١٩٠٧م.



جزء ١ — سنه ١ قات بالفكر لا بالجسم انسان ٦ حزيران — ١٩٠١

مجموعهٔ كمال

اوچ آيده بر نشر اولونور رسالهٔ سه ماهه‌در

مؤسس : على كمال

مندرجات

مقدمه على كمال

اون سكزنجى عصرده مسئلهٔ شرقيه صورل ـ على كمال

رائحهٔ نادره : عالى پاشايه دائر على سعاوى

فلسفهٔ تاريخيه على كمال

سياحت خاطره‌لرى : جامع الزيتونه على كمال

كوچك حكايه‌لر ***

شعرلر : شاعرلريمز على كمال ـ ***

پاره‌لر... ***

بر بدوى قيزينه على كمال

انتقادات : سلاطين عثمانيه على كمال

اجمال سياسى : روسيه‌ده هيجان على كمال

٣٣ — صندوق البوسته — قاهره

مجلة "مجموعه' كمال" التي أصدرها في القاهرة علي كمال في سنة ١٩٠١م

وهناك صحف قيل إنها صدرت في مصر ولكن أحداً لم يستطع الاطلاع على أي عدد من أعدادها، مثل الجريدة الفكاهية المسماة (قوقوماو) (التي يحتمل أنها صدرت في فبراير ١٩٠٠م)، وجريدة (حقايق شرق) (١٩٠٥م) التي قيل إنها صدرت بالتركية والعربية والفرنسية والانجليزية.

٣- المرحلة الثالثة: جرائد الأسرى في الحرب العالمية الأولى

كان من الطبيعي عقب دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى واندلاع نيران تلك الحرب على عدة جبهات أن يقع في الأسر عدد كبير من جنود الجيش العثماني في

أيدي الانجليز. وهؤلاء الأسرى كان يجري احتجازهم في معسكرات الأسر الموجودة في مناطق مختلفة تقع تحت سلطة الاحتلال البريطاني كالهند ومصر وقبرص. وكانت القوات الانجليزية قد وضعت في مصر قسماً كبيراً من الأسرى الذين أخذتهم من جبهات القلعة السلطانية (في چناق قلعه بالدردنيل) وقناة السويس وفلسطين والعراق واليمن. ولم تكن هناك حتى وقت قريب دراسة شاملة حول المعسكرات التي ضمت هؤلاء الأسرى في مصر وأحوال الأسرى أنفسهم حتى قام الباحث جمال الدين طاشقيران بدراسةٍ نُشرت عام ٢٠٠١م وألقت الضوء على الموضوع من جوانب عديدة[٥٠].

وليست هناك مصادر كثيرة عن حياة الجنود الأتراك في معسكرات الأسر التي تخضع لرقابة الانجليز في مصر[٥١]، اللهم إلاّ بعض كتب المذكرات التي نشرت عن حياة الأسرى الأتراك في معسكرات مصر، أما الصحف والجرائد التي أعدها الضباط الأتراك الأسرى في تلك المعسكرات وبإمكانياتهم الذاتية المحدودة فهي على الرغم من عدم المعرفة الجيدة لها إلاّ أنها تعد مصدراً من المصادر المهمة في ذلك المجال. وقد عُرفت تلك الصحف بوجه عام باسم "صحف الأسْر"، كما كان للأسرى الأتراك المحتجزين في المعسكرات الأخرى خارج مصر أيضاً صحف مشابهة، ومعسكر ثاتميو Thatmyo في بورما واحدٌ من تلك المعسكرات. فقد كانت تصدر فيه صحيفتان هما (إيروادي) و (نه مناسبت)، ويجري إرسالهما إلى المعسكرات الأخرى المجاورة.

ورغم أن الباحث جمال الدين طاشقيران لم يقدم الكثير في كتابه عن صحف الأسرى إلاّ أنه يقول "من الأمور التي ظهرت لنا أثناء الدراسة موضوع جدير بالبحث والتمحيص وهو إصدار الصحف في المعسكرات، وهذه الصحف التي يمكننا القول إنها كانت ذائعة الانتشار كان يجري إعدادها في صفحة واحدة أو صفحتين بخط اليد ثم يتم تكثيرها ونسخها بعدد معين ثم توزع". وبعد أن يذكر عقب ذلك أن إصدار تلك الصحف ظاهرة مهمة نراه يؤكد على أهمية القيام ببحوث جديدة في ذلك الموضوع[٥٢]. ونحن سوف نقوم في هذه الدراسة بتناول مختلف الصحف الصادرة في معسكرات مصر بخطوطها

(٥٠) انظر: Cemalettin Taşkıran, *Ana ben ölmedim: Birinci Dünya Savaşı'nda Türk esirleri*, İstanbul: İş Bankası Kültür Yayınları, 2001.

(٥١) Cemalettin Taşkıran, *a.g.e.*, s. 103.

(٥٢) Cemalettin Taşkıran, *a.g.e.*, s.236.

العريضة، ونحاول من خلال ذلك عرض بعض المقاطع المقتضبة لحياة المعسكرات هناك.

ولا شك أن صحف الأسرى هي الأكثر طرافة بين الدوريات التركية التي نشرت في مصر، لكنها ليست معروفة بالقدر الكافي؛ إذ ظهرت خلال عامي ١٩١٩ – ١٩٢٠م، وكانت – كما أسلفنا – تكتب باليد ثم يجري نسخها وتكثيرها ثم توزيعها. وقد استطعنا التحقق في هذه الدراسة من وجود إحدى وعشرين صحيفة للأسرى جرى إعدادها في معسكرات سيدي بشر وقويسنا وطره والزقازيق بمصر. وهي على النحو التالي(٥٣):

الصحف الصادرة في معسكر أسرى سيدي بشر

- طاك (Tan) [نوفمبر–ديسمبر ١٣٣٥ رومي/١٩١٩م]
- يارين ١ يناير ١٣٣٦ رومي
- نيلوفر ٢٠ كانون ثاني [يناير] ١٣٣٦ رومي/ ١٩٢٠م
- هلال [يناير ١٣٣٦ رومي/١٩٢٠م]
- أوجاق [يناير ١٣٣٦ رومي/١٩١٩م]
- إزمير ٩ فبراير ١٣٣٦ رومي/١٩٢٠م]
- نصرالدين خوجه ١١ مارس ١٣٣٦ رومي/١٩٢٠م]
- صدا ٢٩ مارس ١٣٣٦ رومي/١٩٢٠م]
- زنجير ١ ابريل ١٣٣٦ رومي/١٩٢٠م]
- تورك وارلغى ١٣٣٦ رومي/١٩٢٠م]
- أسارت ألبومى ١٣٣٦ رومي/١٩٢٠م]

الصحف الصادرة في معسكر قويسنا

- أسارت أغسطس ١٣٣٥ رومي / ١٩١٩م
- تراش [أغسطس] ١٣٣٥ رومي / ١٩١٩م
- كاريكاتور [تشرين أول/ أكتوبر ١٣٣٥ رومي/ ١٩١٩م]
- تتبع [تشرين أول/ أكتوبر ١٣٣٥ رومي /١٩١٩م

(٥٣) لم يتم العثور مع الأسف على هذه الصحف بتمامها، وكانت دراستنا لأغلبها من الأعداد الموجودة في استانبول، وخاصة في مكتبتي حقي طارق اوص وأتاتورك، اللتين تحتويان على مجموعات غير كاملة.

- طاك (Tan) تشرين أول/ أكتوبر ١٣٣٥ رومي/ ١٩١٩م
- باديه ٣٠ تشرين أول [أكتوبر] ١٣٣٥ رومي/١٩١٩م

الصحف الصادر في معسكر أسرى طره

- قفس مارس ١٣٣٥ رومي/ ١٩١٩م
- ايشيق[٥٤] ٤ ابريل ١٣٣٥ رومي/ ١٩١٩م

الصحف الصادرة في معسكر أسرى الزقازيق

- قيزيل ألما [يناير] ١٣٣٥ رومي/ ١٩١٩م
- غرنيزون ١٠ كانون ثاني [يناير] ١٣٣٥ رومي/ ١٩١٩م

ويلاحظ من هذه القائمة أن معسكر سيدي بشر بالإسكندرية ومعسكر قويسنا بالمنوفية قد حظيا بالعدد الأكبر من تلك الصحف. فقد ظهر في المعسكر الأول في سيدي بشر الواقعة على ساحل البحر بمسافة ١٥ كيلو متراً من الإسكندرية - ما مجموعه ١٢ صحيفة[٥٥]. ونشهد في داخل ألبوم الأسر (أسارت ألبومى) الذي لم نعثر منه إلاّ على عدد واحد كلاماً يقول إنهم "رسموا ذكرياتهم في معسكرات الزقازيق وقويسنا وسيدي بشر، وهذا العدد الخاص المصور بتمامه جرى تكثيره في **مطبعة نيلوفر**"[٥٦]. أما صحيفة (نيلفور) وهي الدورية الثانية في ذلك المعسكر فقد أفصحت عن الغاية من صدورها بأنها "إضفاء القليل من المذاق على الحياة وهي تمضي خلف الأسلاك الشائكة، والأهم من ذلك هو إكساب الأيام التاريخية التي نعيشها طابعاً فكرياً ووضع وثيقة تسجل مسيرتها". وتحتوي الصحيفة كتابات أدبية واجتماعية إلى جانب الكتابات الفكاهية والكاريكاتير. كما جاء مع العدد الأول منها خريطة لتركيا ملحقة به. وكان رئيس تحريرها إدريس صبيح الذي كان يكتب أيضاً في صحيفتي (قفس) و (تتبع). أما خطوط كرم الدين حلمي رسام الكاريكاتير فيمكننا أن نشهدها في صحف (باديه) و (قيزيل ألما) و (تتبع). وتمتعت صحيفة (نيلوفر) بكوادر عدة من الكتّاب، إذ كانت تضم هيئة التحرير: توفيق جناب الدين

---

(٥٤) صدرت الأعداد ٩٦ - ١٠٤ من تلك الصحيفة في معسكر سيدي بشر.

(٥٥) يقدم لنا جمال الدين في كتابه بعض المعلومات عن ذلك المعسكر، إذ يقول إنه كان يوجد ٤٣٠ ضابطاً فيه خلال مطلع عام ١٩١٧م، وهؤلاء الضباط كان ستون منهم موجودين هناك منذ فبراير عام ١٩١٥م. وكان لهؤلاء الضباط جنود مراسلة يبلغ عددهم ٤١٠.

(٥٦) من الجدير بالذكر أن كلمة مطبعة المستخدمة في تلك الاصدارات لا يقصد منها المطبعة بالمعنى الحقيقي. لأن هذه الإصدارات كانت تكتب باليد داخل المعسكرات ثم يجري تكثيرها بآلات شابيروغراف الكحولية.

وحسني بك وزائد خاكي ورسول بك ومحمد نور الدين بك. وقد صدر العدد الأول من صحيفة (نيلوفر) في ٢٠ يناير ١٣٣٦ رومي، بينما كان العدد ١٨ هو العدد الأخير المؤرخ في ١٠ ابريل ١٣٣٦ رومي (١٩٢٠م). وفي هذه الصحيفة التي ذُكر أنها تُطبع هي الأخرى في "مطبعة نيلوفر" ورد إعلان تجاري يقول" المطبعة مستعدة لطباعة بطاقات الزيارة وتذاكر المسرح والسينما والإعلانات الصغيرة وقوائم الطعام وكافة أنواع الرسائل والكتابات". أما صحيفة (يارين) التي هي مجلة اجتماعية وأدبية وفكاهية فهي من أكثر الصحف التي شهدنا لها أعداداً بين الصحف التي خرجت من معسكر سيدي بشر(٥٧). وذكر خالد رفقي بك في مقالة له في عددها الأول الصادر في أول يناير ١٣٣٦ رومي (أول يناير ١٩٢٠م)" أنهم الأقلام القادرة على الكتابة والأدمغة القادرة على التفكير والأفواه القادرة على الكلام والأصـــوات القوية القادرة على إطلاق الصيحات، وأنهم يأملون كصحيفة أن يكونوا عاملاً للتنبيه والإيقاظ في هذا السبيل". وصدرت الأعداد (٣، ٥، ٢٢، ٢٣) من الجريدة ومعها ملاحق كان يضم كل واحد منها مقالات وكتابات تحت عنوان "ماذا يحدث في العالم؟". كما كانت صحيفة (يارين) تضم – عدا الكتابات السياسية–روايات وقصصاً وأشعاراً. وصدرت من نفس المعسكر صحف أخرى–كما ذكرنا–هي: (هلال) (٥٨) و(نصر الدين خوجة)(٥٩) و(أوجاق) (٦٠) و(صدا)(٦١) و(طاك)(٦٢) و(تورك وارلغى) (٦٣) و(زنجير) (٦٤).

(٥٧) كل أعداد هذه الصحيفة موجودة من العدد الأول المؤرخ في أول يناير ١٣٣٦ رومي /١٩٢٠م حتى العدد الثالث والعشرين المؤرخ في ٢٤ ابريل ١٣٣٦ رومي / ١٩٢٠م.

(٥٨) لم يتم العثور على نسخة من تلك الصحيفة ولكن يفهم من جريدتي يارين و نيلوفر أن هناك صحيفة صدرت بهذا الاسم.

(٥٩) يوجد من تلك الصحيفة الأعداد الخمسة الأولى التي صدرت فيما بين ١١ مارس ١٣٣٦/ ١٩٢٠م – ابريل ١٣٣٦ رومي/١٩٢٠م.

(٦٠) يفهم من صحيفة يارين في عددها الثاني المؤرخ في ٢٠ يناير ١٣٣٦ رومي/ ١٩٢٠م أن هذه الجريدة صدرت، وذلك من خلال الخبر الذي جاء على شكل تهنئة يقول: "نشكر من كل قلوبنا الشقيقة اوجاق التي تكرمت بإرسال التهاني بمناسبة صدور جريدتنا".

(٦١) توجد الأعداد الأربعة الأولى من تلك الصحيفة الصادرة فيما بين ٢٩ مارس ١٣٣٦ رومي/ ١٩٢٠م – ١٩ ابريل ١٣٣٦ رومي/ ١٩٢٠م.

(٦٢) لم نعثر على العدد الأول منها والموجود هو الأعداد (١٠–٤٢) الصادرة فيما بين ١٠ كانون الثاني ١٣٣٦ – ٢٤ ابريل ١٣٣٦ رومي.

(٦٣) لا يوجد من صحيفة تورك وارلغى إلا خمسة أعداد (٢٧–٣١).

(٦٤) لم نعثر منها إلاّ على العدد السادس، وظهر تحت عنوانها تاريخ التأسيس وهو أول ابريل ١٣٣٦ رومي.



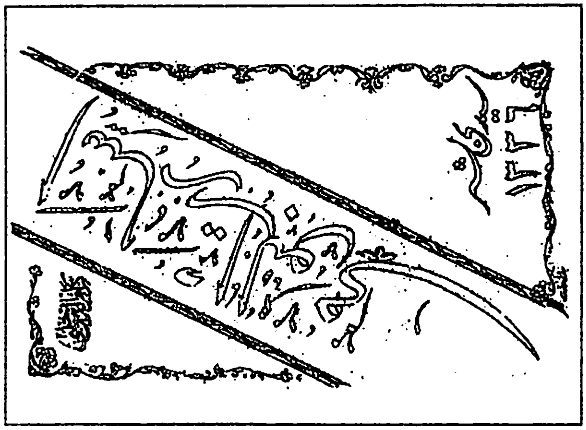
يارين

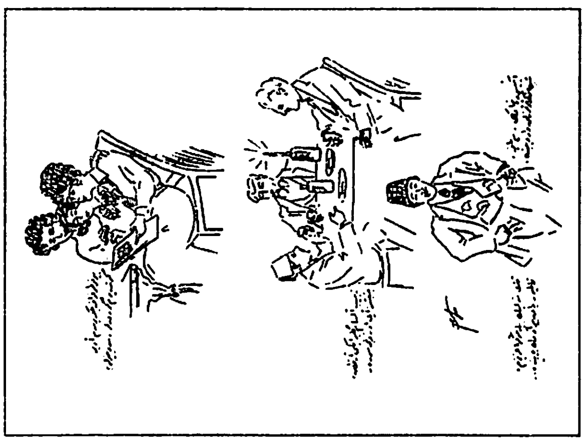
مصر — سيدي بشر

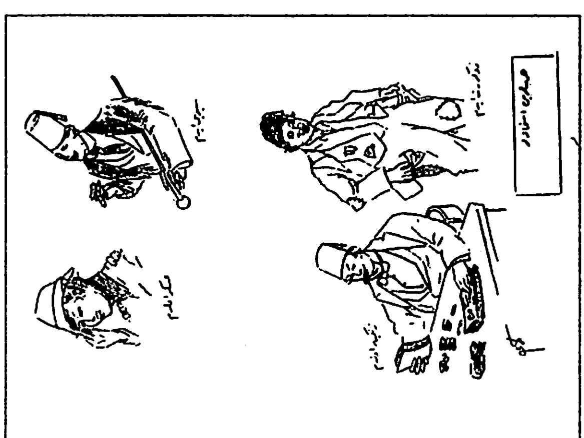
صايي : ٢

تبريك

جريدة "يارين" التي كانت تصدر في معسكر أسرى سيدي بشر بالإسكندرية







بعض صفحات من ألبوم الأسر الذي تم إعداده في معسكر أسرى سيدي بشر بالاسكندرية



جريدة "ايشيق" بتاريخ ٦ يولية ١٣٣٥ رومي/ ١٩١٩م



العدد ٣٤(٢ كانون الأول ١٣٣٥ رومي) من جريدة "باديه" التي كانت تصدر في معسكر الأسرى بقويسنا

أما في معسكر قويسنا الذي أخرج أكثر عدد من الصحف بعد معسكر سيدي بشر فكانت تصدر هناك ست صحف، وكان من أهمها صحيفة (باديه) التي ركزت على المقالات السياسية. وكان أغلب تلك المقالات يحمل اسم فريدون فكري واسم محمد نور الدين. وخرجت على صفحاتها مقالات كانت تؤمن بأن الدولة العثمانية سوف تُبعث من جديد، وتدعو إلى التمسك بالقومية التركية تحت عنوان "ما ذا فعلنا اليوم من أجل القومية التركية؟". أما في عمود: "أحوال العالم العامة" فكنا نشهد الأخبار القادمة من صوفيا وباريس ولندن وفينا وبيروت وأثينا واستانبول. كذلك فإن صحيفة (أسارت) – التي لم نشهد الكثير من أعدادها ولم نتحقق من التاريخ الذي صدر فيه أول عدد لها – كانت هي

الأخرى من الصحف التي صدرت من ذلك المعسكر وعَمّرت طويلاً[٦٥]. وقد عنيت في الغالب بالكتابات السياسية، وكانت تنشر البرقيات القادمة من أثينا وبرلين واستانبول وغيرها. أما الصحف الأخرى الصادرة في معسكر قويسنا فهي صحيفة (كاريكاتور)[٦٦] وصحيفة (تراش)[٦٧] اللتين لم يُعثر منهما إلاّ على عدد وحيد، وصحيفة (تتبع)[٦٨] التي ذُكر أنها طبعت في مطبعة تحمل نفس الإسم (مطبعة تتبع).

أما في معسكر طُره فقد صدرتْ فيه صحيفة (إيشيق) التي يوجد لها في المكتبة الوطنية بأنقرة ١٠٤ أعداد، وكذلك صحيفة (قفس). وقد صدرت الأعداد (١ – ٩٥) من صحيفة (إيشيق) في القاهرة – طره، بينما صدرت الأعداد (٩٦ – ١٠٤) منها في معسكر سيدي بشر (في العنبر A/ 16). ويحمل العدد ١٠٤ تاريخ السابع من يناير ١٣٣٦ رومي. ونشهد في العدد الصادر بتاريخ ٩ يناير من نفس العام في جريدة (يارين) عبارة تقول: "إن الشقيقة (إيشيق) سوف تواصل الصدور تحت اسم (طانْ Tan) كما في السابق"، مما يُفهم أن صحيفة (طانْ) الصادرة في معسكر سيدي بشر هي استمرار لهذه الصحيفة. أما صحيفة (قفس) فهي صحيفة أدبية اجتماعية فكاهية، وكانت تُطبع على يدي إدريس صبيح في مطبعة تحمل نفس اسم الصحيفة، وصدر العدد الأول منها في شهر مارس ١٣٣٥ رومي.

وفي معسكر الزقازيق بدأت تظهر صحيفة باسم (غرنيزون) في مطلع عام ١٣٣٥ رومي (١٩١٩م)، وكانت معنية في أغلب كتاباتها بتطورات الحرب العالمية ومفاوضات الصلح وغيرها من الأمور السياسية، لكن الأعداد التي وصلت منها ليست بالكثيرة[٦٩]. أما صحيفة (قيزيل ألما)[٧٠] المصورة التي صدرت في نفس المعسكر فكان يغلب عليها الطابع الأدبي.

---

(٦٥) الأعداد التي تم العثور عليها هي: ٣٦، ٥٩ – ٦٠ ، ٩٨. وتاريخ العدد الأخير هو ٤ كانون الأول ١٣٣٥ رومي/ ١٩١٩م.

(٦٦) لم نعثر منها إلا على العدد التاسع فقط المؤرخ في ٢٠ تشرين الثاني ١٣٣٥ رومي.

(٦٧) هذه الجريدة من صحيفتين، ولم يعثر منها إلا على العدد التاسع المؤرخ في ٢٥ تشرين الأول ١٣٣٥ رومي/ ١٩١٩م.

(٦٨) لقد عثر على الأعداد (١، ٤ – ٦). وتحتوي على كتابات في موضوعات مختلفة وعلى أشعار.

(٦٩) لم يعثر منها إلا على الأعداد (٧، ٤١، ٥٢، ٥٥، ٥٧)، وتحتوي تلك الأعداد على مقالات تحت عناوين مثل: "الدكتور ويلسون ومؤتمر الصلح" و"أحوال الروس" و"الوضع في برلين" و"مؤتمر باريس" و"الجيش الأمريكي" و"خسائر اليونان" وغيرها.

(٧٠) عثر منها على العددين السادس والسابع.

وكل هذه الصحف، رغم أن بعضها اهتم بالسياسة مثل (أسارت) و (غرنيزون) و (زنجير)، واهتم البعض بالأدب والفكاهة أو الجانب الاجتماعي مثل (أسارت ألبومی) و (قفس) و (كاريكاتور) و (زنجير) إلاّ أنها تتميز بقاسم مشترك، وهو أنها جميعاً عالجت فكرة القومية التركية بحرارة. ويمكننا أيضاً من خلال تلك الصحف متابعة التطورات والتغيرات التي طرأت على العالم وفي أراضي الدولة العثمانية آنذاك. وعدا الأخبار الخاصة بالسلطنة العثمانية ومؤتمر صلح سان ريمو ومؤتمر ويلسون واحتلال إزمير وغير ذلك نشهد أيضاً الكتابات التي سُطِّرت لأجل مساعدة الأسرى في عدم التعرض للمشاكل النفسية.

لكن أحداً لم يستطع حتى الآن التعرف على الكيفية التي أعدت بها تلك الصحف في معسكرات الأسرى، وبأي الإمكانيات كانت تصدر. ولهذا السبب سوف نحاول هنا بالاعتماد على الأخبار الواردة في صحيفة (يارين) بالذات أن نتوصل إلى بعض الوقائع حول ظروف المعيشة في معسكر الأسرى بسيدي بشر الذي خرجت منه الصحيفة.

وعلى الرغم من وجود بعض المعلومات المقتضبة عن المعسكرات في بعض كتب المذكرات التي نُشرت في تواريخ تالية إلاّ أنها لا تتعرض كثيراً لصحف الأسرى فيها. لكن المعلومات الواردة في المذكرات عن المعسكرات بين الحين والآخر وكذلك ما أوردته تلك الصحف إنما تصدق بعضها بعضاً. فعلى سبيل المثال يمكننا الحصول على بعض المعلومات من مذكرات ضابط أسير في معسكر سيدي بشر في عام ١٣٣٥ رومي (١٢ مايو ١٩١٩م)، فعقب حديثه المقتضب عن حالة الخيام التي كانوا يعيشون فيها يذكر لنا معلومات موجزة أيضاً عن إدارة المعسكر، ثم يقول إن أمور الإعاشة في المعسكر كان يتولاها أحد المقاولين[٧١]. وهناك خبر ورد في صحيفة (يارين) يؤكد ذلك، بل وتضيف الصحيفة أن ذلك المقاول (لورنزو أفندي) يبذل ما في وسعه لمساعدة الصحيفة في الحصول على كل ما يلزم لانتشارها ويقدم لها كافة التسهيلات[٧٢].

(٧١) Asaf Tanrıkut, *Yemen notları*, Ankara 1965, s. 132.

(٧٢) *Yarın*, 6 Ocak 1336, sayı 2.

كما يقدم لنا إبراهيم صُرغُج أحد الأسرى في نفس المعسكر معلومات طريفة عنه في مذكراته المنشورة؛ إذ يقول: "اسم المعسكر الذي نحن فيه هو: معسكر الأسرى العسكريين العثمانيين رقم ٤ سيدي بشر قويسنا، وكان أغلب ضباط الفوج ٤٨ في الوحدة ١٦ قد تم جمعهم في ذلك المعسكر... وتم إقامة دورات تدريبية كان يديرها من بين الضباط كل صاحب حرفة أو فن من الفنون. فكان كل شخص يود الترويح عن نفسه وتزكية وقت فراغه يلتحق بالدورة التي يريدها، والتحقتُ أنا بدورتي اللغة الفرنسية والموسيقى. فكنت عندما عدتُ من الأسر إلى أنطاليا أعرف اللغة الفرنسية بالقدر الذي أستطيع به ممارسة الترجمة. كما كانت دورات الموسيقى التركية وأغانيها من الدورات التي تروق لنا كثيراً"(٧٣). وهذه الدورات كانت – كما سنرى فيما بعد – تحظى بالعديد من الأخبار المفصّلة في الصحف.

وكان عبيد الله أفندي نائب إزمير الأسبق واحداً هو الآخر من الأسرى الذين قضوا مدة في نفس المعسكر، وقدم لنا بعض المعلومات عن معسكر سيدي بشر في مقالة نُشرتْ له، فحكى شيئاً عن نشاطه في ذلك المعسكر وظروف الحياة فيه، وإن خلا حديثه عن الصحف التي كانت تصدر هناك، فيقول(٧٤): "كانت الأسلاك الشائكة تفصل بيننا وبين المعسكر المجاور، وكان بائع الصحف يأتي صباح كل يوم إلى الزقاق الذي تَشَكَّل بين تلك الأسلاك الشائكة، فيأتي لنا بصحف مصر والإسكندرية بالعربية والفرنسية والانجليزية فنشتريها منه، كما كان في مقدور كل شخص أن يطلب من بائع الصحف هذا ما يريده من كتب. وكان يجري كل يوم ترجمة الحوادث المهمة في الصحف وبرقيات وكالات الأنباء إلى اللغة التركية بشكل منتظم، ثم يجري تعليقها على لوحات خاصة فوق جدار النادي، ويستطيع بذلك كل شخص أن يطلع على أحوال الدنيا..". وهذا يدلنا على أن صحفاً كثيرة محلية وأجنبية كانت ترد إلى المعسكر، وهو ما تؤكده الأخبار التي وردت في صحف الأسرى.

---

(٧٣) *Yd. P. Tğm. İbrahim Sorguç'un anıları İstiklâl Harbi hâtıratı,* Yay. Haz. Erdoğan Sorguç, 2. bs., İzmir 1996, s.49.

(٧٤) "Esaret Hayatından Bir Sahife", *Yeni Gün*, 7 Teşrin-i sani 1335/1919, sayı 231.

ونشهد بكثرة في صحف الأسرى بعض الأخبار المنشورة في تلك الصحف القادمة إلى المعسكر من الخارج وكذلك الأخبار التي تم الحصول عليها بواسطة الخطابات القادمة والبرقيات، بالإضافة إلى كتابات الأسرى أنفسهم. ويكون من الطريف حقاً مع وصول الصحف من الخارج إلى المعسكر أن يجري أيضاً توزيع قسم من صحف الأسرى خارج المعسكر. ومن ناحية أخرى تكشف الأخبار الواردة في صحف استانبول أن هذه الصحف موضوع البحث كانت تصل إلى استانبول، بل وتلقى تقديراً وتشجيعاً(٧٥). فقد رأينا في خبر نشرته صحيفة (إقدام) الاستانبولية أنها تستخدم اسم "صحف الأسرى".

ويكون من الطبيعي جداً في جريدة يجري إعدادها في معسكر للأسرى أن تُطَبَّق قواعد الرقابة على الأخبار المنشورة فيها. كما أن تلك الصحف نفسها تشير إلى ذلك بوضوح. ففي العدد الأول من صحيفة (يارين) مثلاً يرد أن مقالة" أزمة القوميات" قد مرت على الرقابة ولهذا لم تنشر.

ومن الخصائص المشتركة أيضاً بين هذه الصحف الصادرة في معسكرات الأسر تأكيدها على استمرار الحياة الاجتماعية في تلك المعسكرات وأثناء حياة الأسر بقدر من النشاط، ثم التشجيع منها على ذلك. وكان يتعرض للانتقاد بشكل واضح على صفحات تلك الجرائد كل من يفشل في التوافق مع ذلك النمط من الحياة أو يمتنع عن المشاركة في فعاليات المعسكر، ونشهد مثل ذلك في العبارات التالية(٧٦):

"هناك بعض الإخوة الأتراك داخل الأسلاك الشائكة يقضون أيامهم في الأسر عبثاً، فلا مسلك ولا غاية من أجل المستقبل... في حين أن ساعة واحدة - وليس يوماً - تمضى عبثاً على فتى من أمة كأمتنا التي لم تهن أو تضعف بعد أن استهلكت كل ما تملك هو خسارة قد نبكي لها.. ولا مفر أمامنا جميعاً من انتهاز الفرصة واستثمار أيام الأسر بالشكل الذي يجلب أعظم النفع في سبيل معركة الحياة التي تحمل ذكرانا. وأود ونحن

(٧٥) " علمنا من العدد الذي حصلنا عليه من جريدة إقدام المؤرخة في ١٦ مارس أن أسرانا في معسكر سيدي بشر بمصر قد أصدروا جريدة طبع حجر باسم يارين تصدر مرتين في الأسبوع. والعدد الذي وصلنا منها أخيراً مؤرخ في ٣ مارس. وعلمنا من تلك الصحيفة أن بعض أسرانا في مصر قد شكلوا فريقاً للتمثيل وعملوا على مداعبة الذوق الفني لدى زملائهم ببعض الأعمال المسرحية " (يارين ١٣ ابريل ١٣٣٦، العدد ٢١).

(٧٦) Halid Rıfkı, "Nasıl çalışmalı?", *Yarın*, 13 Nisan [1]336, sayı 21.

بصدد الشروع في العمل التذكير هنا بنقطة مهمة طالما أهملناها، وهي أن الكثيرين منا لا يمكنهم أن يجمعوا جهودهم في حياة الأسر على مقصد واحد دون غيره... وعلى كل شاب تركي أن يقرر من الآن ما هي حرفته المستقبلية ويصرف ما في وسعه لبلوغ أمله. ولا شك أن خير الناس لأهله وأمته هو ذلك الذي تعلم عند عودته إلى الوطن الأم فناً أو لغة أجنبية أو حرفة. فالشاب الذي لا يجيد حرفة أو معرفة لا يمكنه أن يقدم بصيصاً من ضياء في وطنه وبين أهله حتى ولو صَغُرَ قدر شعاع اليراعة أو الحُباحِب".

وكما يتضح لنا فإن هذه المقالة التي تحمل توقيع خالد رفقي تؤكد على ضرورة استثمار الوقت خلال مدة السنتين في حياة الأسر، وتشدد القول على أن الانشغال بعمل نافع وتعلم صنعة أو حرفة لن يكون لصالح الشخص وحده و إنما لأجل البلاد والعباد أيضاً، بل وتذهب إلى أن ذلك فرض. ومما يلفت النظر في تلك المقالة جانبٌ آخر هو بلا شك دعوة أسرى المعسكرات إلى أن يكونوا صالحين لأوطانهم قدر صلاحهم لأنفسهم. كما أن الحفاظ على نبض المشاعر القومية لدى الجندي يحمل أهمية تفوق تذكيره بأشياء كثيرة حارب من أجلها. ولا شك أن الموضوع الذي تم التأكيد عليه بشكل خاص في صحف المعسكرات هو موضوع الوطنية وحب الوطن. فقد خرجت علينا الأخبار في ذلك الموضوع في العديد من الصحف، وسعت للمحافظة على روابط الأسرى بأهلهم وأوطانهم حيةً نابضةً.

وبفضل هذه المنشورات أمكننا الحصول على قدر لا بأس به من المعلومات حول معسكر أسرى سيدي بشر بالإسكندرية، وهو المعسكر الذي خرج منه أكبر عدد منها. كما يتبين بوضوح من تلك الصحف أن الأنشطة التعليمية أيضاً كانت تمارس بعناية في ذلك المعسكر الذي يضم أيضاً أسرى من الضباط الألمان(٧٧)، وكانت توجد ضمن دورات المعسكر ما هو منها لمحو الأمية. وكان الطلاب الذين يتعلمون القراءة والكتابة يحصلون من باب التشجيع على شهادات تقدير. وعُرفت تلك الدورات داخل المعسكر باسم "مكتب الأفراد" أي مدرسة الجنود. فكان الذي يتخرج منهم في تلك المكاتب يحصل على مكافآت متنوعة، كما تُنشر أسماؤهم في صحف المعسكر. ونلاحظ أيضاً أنها كانت تغدق الثناء على تلك المكاتب، فتقول صحيفة (يارين):

---

(٧٧) Erdoğan Sorguç, *aynı yer.*

"في احتفال باهر في الأسبوع الماضي قامت هيئة التدريس في المعسكر الثاني بتخريج ١٣ أفندي إضافةً منها لمجموع القارئين في بلادنا. وفي الوقت الذي لا يستطيع فيه أطفال الترك في قراهم أن يتعلموا شيئاً في مدارسهم على امتداد خمس سنوات بطريقة التدريس القديمة نجح هؤلاء خلف الأسلاك الشائكة وتغيروا خلال مدة قصيرة لا تتجاوز ثلاثة أو أربعة أشهر بالقدر الذي يمكنهم به إزالة كافة آثار الجهل المشئومة... ومكتب أفراد الوجود القومي في المعسكرات هو السمة البارزة على تلك الحقيقة(٧٨).

ونشهد على صفحات جريدة (يارين) أيضاً خبراً من أخبار تلك الاحتفالات التي أقيمت للتكريم، إذ تقول تحت عنوان "يوم مبارك"(٧٩).

"مرة أخرى نشهد في الأسبوع الماضي احتفالاً باهراً من احتفالات التكريم في مكاتب الوجود القومي يشرح صدورنا جميعاً. وكان مسرح المعسكر الثالث هو الموضع الذي تحققت فيه تلك التظاهرة الوطنية الرفيعة في ذلك اليوم الفريد.

فعقب كلمة مدير المكتب صبري بك المحترم استمعنا إلى الأشعار التي قرأها الأفندية الجدد بجمالٍ لا تشوبه شائبة وانضباط يدعو للإعجاب. ولم تكن أيدينا فقط هي التي صفقت بشدة، بل صفقت قلوبنا أيضاً لهؤلاء الأبناء المجتهدين الذين يحمل كل منهم موهبة مختلفة ومزية مغايرة. وكل واحد كان يخرج علينا منهم كانت تبدو على وجهه ملامح الشجاعة والثقة وفي منطقه نبض وحيوية استمدت قوتها من علمه ومعرفته. وقد أينعت فرحة جديدة على وجوه الأفندية الموزعين على مقاعدهم حول المناضد حاملين مكافآتهم وشهاداتهم. فقد كانت البهجة تدخل على كل واحد منهم عندما يرى أن جهوده التي استمرت ثلاثة أو أربعة أشهر قد قوبلت بمكافأة ظريفة على هذا النحو..".

وبعد الإنتهاء من هذا الخبر ترد مباشرة أسماء الحاصلين على الشهادات في شكل قائمة. ونشهد في خبر ورد في العدد (١٣) من جريدة (يارين) أيضاً حصراً لأعداد الموجودين في المعسكرات وعدد المواظبين منهم على الذهاب إلى المكتب على النحو التالي: عدد أفراد البولك في (المعسكر A) ٢٨٩ جندياً، وعدد المواظبين منهم على المكتب ١٠٠ جندي؛

(٧٨) *Yarın*, 16 Ocak 1336, sayı 5.

(٧٩) *Yarın*, 20 Ocak 1336, sayı 6.

وعدد أفراد (المعسكر B) ٣١٠ جنود، وعدد المواظبين منهم على المكتب ١٢٠ جندياً؛ وعدد أفراد (المعسكر C) ٢٧٠ جندياً، وعدد المواظبين منهم على المكتب ١٠٥ جنود. ويبدو من ذلك أن عدد الملتحقين بالمكاتب في المعسكرات كان مرتفعاً نسبياً، وكان كل من ينجح في إنهاء تلك الدورات يحصل على شئ من الهدايا والمكافآت كأقلام الخبر وشفرات الحلاقة والقمصان والمناديل والفانيلات والمناشف وغيرها.

كما نفهم من خبر في العدد الثاني من جريدة (يارين) أيضاً[٨٠] أنهم كانوا ينتخبون ضابطاً من بينهم في المعسكر ليمثل صاحب الأقدمية فيهم، مما يدل على أنهم أقاموا بين الأسرى في المعسكرات نظام حياة يتناسب وطريقة التدرج العسكري.

أما النقطة الأخرى التي تلفت الانتباه في تلك الصحف فهي الإعلانات التجارية، إذ يمكننا أن نشهد العديد منها في صحيفة (يارين)، مما يدل على النشاط داخل المعسكرات. فهناك في المعسكر معلم مالطي للإنجليزية قادر على تعليم القراءة والكتابة بالانجليزية في شهرين[٨١]، وآخر لإصلاح وتعمير الآلات الموسيقية وماكينات الحياكة والساعات وغير ذلك[٨٢]، أو ورشة للأحذية في (المعسكر D) يقوم فيها الصناع الترك بصناعة كافة أنواع الأحذية الرخيصة والمتينة مع الضمان بامتنان كل من يستعملها[٨٣].

وانتقدت الجريدة أيضاً هموم المجتمع التركي كالجهل وافتقاد الهدف قدر امتداحها للقيم الرفيعة فيه[٨٤]، وظهرت عدا ذلك تعليقات وتعقيبات عدة عن الأحداث في استانبول.

كما يبدو أن مسرحيات عدة جرى تمثيلها على أيدي فرق التمثيل التي تم تشكيلها في المعسكر. وكانت جريدة (يارين) بوجه خاص معنية بالتعليق على تلك المسرحيات ونشر الإعلانات الخاصة بالمقرر عرضه منها. إذ تقول مثلاً: "قريباً سوف يجري عرض مسرحيتين فكاهيتين على مسرح (المعسكر C) هما (گردانيه بوسه لك) و (اوج مثلي)

---

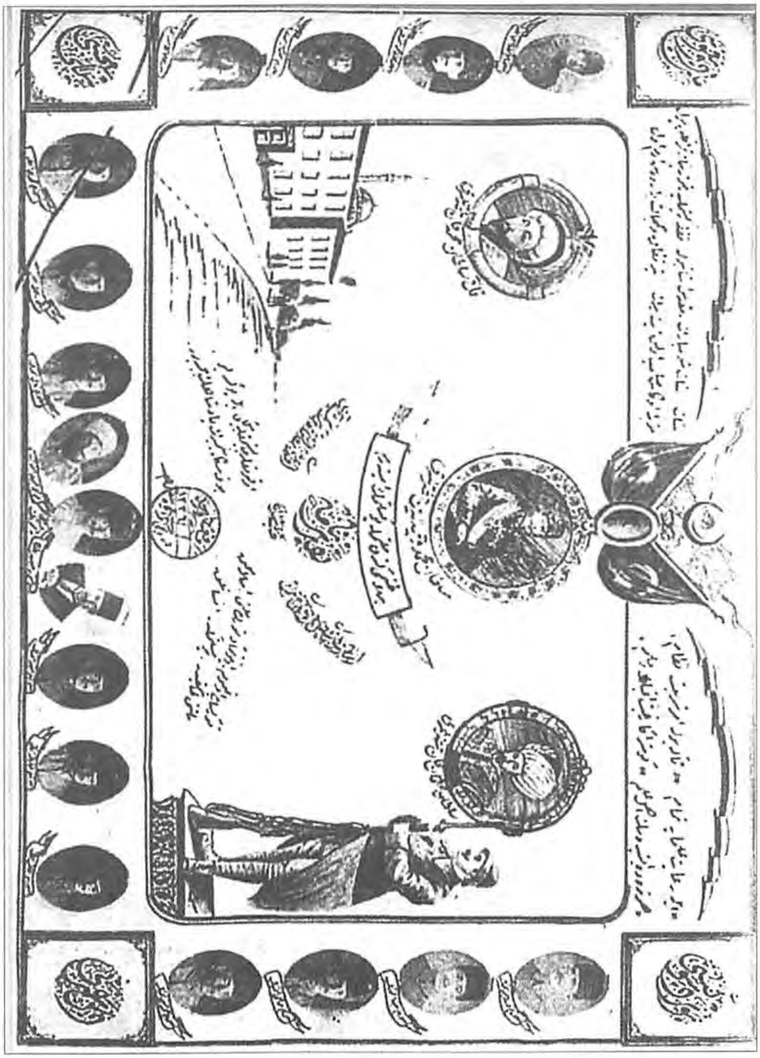
(٨٠) يسعدنا أن نبعث تهانينا إلى القائمقام توفيق بك قائد الفرقة ٥٨ الذي تفضل بقبول وظيفة أقدم ضابط في المعسكر، ونتمنى له النجاح والتوفيق (يارين، العدد ٢).

(٨١) *Yarın*, 26 Mart 1336, sayı 19, s. 12.

(٨٢) *Yarın*, 13 Ocak 1336, sayı 4, s. 6.

(٨٣) *Yarın*, 13 Şubat 1336, sayı 11, s. 8.

(٨٤) جاء في العددين الأول والثالث مقال بعنوان: "همومنا الاجتماعية: الجهل" كتبه: نازك اوغلي م. نامق.



شهادة كانت تُمنح لمن أتموا دورة تعليم القراءة والكتابة في معسكر الأسرى بمصر

وهما آخر أعمال ابن الرفيق أحمد نور الدين الرقيقة والرشيقة. وننصح القراء بالحضور تلك الليلة الترويحيـــة"(٨٥)، "شاهدنا ليلة أمس في (المعسكر A) مسرحية رائعة تبعث الأماني السعيدة في كل قلب وتثير الدهشة والحيرة لدى المشاهدين إذ أعدت تلك المسرحية

(٨٥) Yarın, 6 Ocak 1336, sayı 2.

بأدق التفاصيل. وكنا ونحن في الطريق إليها محملين بأحكام سطحية ومبتورة فإذا بنا ونحن في طريق العودة نجدد تماماً أحكامنا الخاطئة فتتحول إلى فرحة تشوبها الحيرة. وبينما نحن ماضون في السير مع الجميع إذا بنا نفكر في قدرة الإنسان، فهل كان في الإمكان في تلك المساحات الضيقة المحاطة بالأسلاك الشائكة إلاّ ذلك القدر. فبعد مشاهدة الليلة السابقة لا يكون في الاستطاعة بالنسبة لنا ونحن القادمين من طُره أن نفكر بطريقة أخرى"(٨٦). ويفهم من ذلك الجانب أن الحياة الاجتماعية في طُره وربما في المعسكرات الأخرى لم تكن نشطة قدر نشاطها في سيدي بشر. ورغم ذلك فإن هناك إعلاناً في صحيفة (ايشيق) الصادرة في معسكر طُره يمكن من خلاله التعرف قليلاً على الوضع هناك، إذ يقول: "يجري توفير كافة سبل الراحة للزملاء بعد أن تم من جديد تنظيم الكازينو والبوفيه في معسكر الخيمة. ويباع فيه العسل الأسود والبطيخ والعنب والكباب والبيض وغير ذلك بأرخص الأسعار"(٨٧). ونفهم من خبر آخر أيضاً أنه كان يوجد في سيدي بشر أكثر من فريق تمثيل، وأنها عرضت مسرحيات مشتركة(٨٨). بل يفهم من كلام عبيد الله أفندي أن الأسرى في ذلك المعسكر لعبوا بنجاح مسرحية نامق كمال المعروفة باسم (گلنهال)(٨٩)، وأن الدخل الحاصل من مثل تلك الأعمال الترويحية قد جرى استخدامه في أمور مفيدة، إذ أرسل إلى منكوبي إزمير مثلاً(٩٠). كما جرى عدا تلك الأنشطة في المعسكر جمع التبرعات لصالح مهاجرى إزمير، ونُشرت في الجريدة أسماء المتبرعين، كما قام **نادي قرا گون** [اليوم الأسود] **الرياضي** بتنظيم بعض الفعاليات الرياضية المختلفة.

ولكن هذه الحيوية والنشاط في الفعاليات الاجتماعية، وكذلك العلاقات المدنية مع مديري المعسكرات لا يمكننا – مع الأسف – أن نجد لها صدى بهذا الحجم في الجرائد الصادرة في المعسكرات الأخرى. ولأجل هذا تختلف صحيفة (يارين) عن الصحف

---

(٨٦) *Yarın, 9* Ocak 336, sayı 3

(٨٧) *Işık*, 21/7/[13]35, sayı 49, s..4.

(٨٨) *Yarın*, 12 Ocak 336, sayı 5.

(٨٩) “Esaret Hayatından Bir Sahife”, *aynı yer*.

(٩٠) Cemalettin Taşkıran, *a.g.e.*, s.119.

الأخرى في هذا الجانب، كما أنها الصحيفة الوحيدة التي استطعنا الوصول إلى مجموعتها الكاملة، من العدد الأول حتى العدد الثالث والعشرين.

وكل ذلك يدلنا على أن الحياة في معسكرات مصر كانت تسير بكل الحيوية والنشاط. فقد مارس الأسرى العديد من الأنشطة بقصد استغلال أيام وجودهم هناك وسعوا للمحافظة على مشاعرهم الوطنية وروحهم المعنوية عاليةً، بل ومن خلال هذا النظام الجديد الذي أقاموه كان سعيهم دائماً أن يكتسبوا المهارات التي تجعلهم مواطنين صالحين لبلادهم ولأنفسهم، ولم ينسوا أبداً أنهم أسرى.

وهذه الصحف والجرائد تمثل مراجع على درجة كبيرة من الأهمية، إذ يمكن من خلالها التعرف على أفكار مجموعة من الناس عاشت في معسكرات الأسرى بمصر في أيام زخرت بالتطورات والأحداث السياسية المتلاحقة. وهي مصادر فريدة للمعلومات تستحق الدراسة أيضاً من حيث أنها تكشف عن جوانب سياسية وفكرية واجتماعية نفسية، فضلاً عن أهميتها في تاريخ الصحافة التركية. والخصائص المشتركة التي تجمعها هي أنها أعدت في معسكرات الأسرى بطريقة التكثير، وسعت للحفاظ على المشاعر الوطنية حيةً وعلى الروح المعنوية عالية شامخة، وأنها انتهت جميعها مع عودة الأسرى إلى بلادهم، وانطوت على هذا النحو صفحة لا نعلم عنها إلاّ القليل من صفحات الصحافة التركية خارج تركيا.

٤- المرحلة الرابعة: جريدتان بعد إعلان الجمهورية (مساوات) و (مخادنت)

بدأت في مصر عام ١٩٢٧م مرحلة مختلفة بالنسبة للدوريات التركية، فعندما دخلت الإصدارات التركية مراحلها الأخيرة في مصر كان المناخ قد تغير كثيراً سواء كان في مصر أم في تركيا. فقد انتهى الصراع السياسي في تركيا بإعلان الجمهورية سنة ١٩٢٣م، ثم أعقبه إلغاء الخلافة الإسلامية، بينما ظل ذلك الخلاف مستمراً لمدة على صفحات الجرائد الصادرة خارج تركيا. ومنها جريدتان كانتا تصدران في القاهرة وتخاطبان نفس الفئة من القراء وإن اختلفتا في الهدف والغاية، وهما جريدة (مساوات) وجريدة (مخادنت).

وقد صدرت الأولى في ٧ فبراير ١٩٢٧م على يدي حافظ إسماعيل الإزميري الذي سبق وعمل رئيساً لتحرير جريدة أصدرها الاتحاديون في إزمير، لكنه انتقل إلى صفوف معارضيهم بعد ذلك. وهذه المرة دخل حزب الحرية والائتلاف وعمل رئيساً لتحرير جريدة (مساوات) التي يصدرونها. فلما نجح الاتحاديون في الوصول إلى السلطة فر إلى مصر. ثم لم يلبث أن عاد إلى استانبول عقب الهدنة، وهناك عمل باشكاتباً لدار الحكمة الإسلامية، فلما وقع احتلال إزمير من طرف اليونانيين عاد للفرار مرة أخرى إلى مصر[٩١].

وقد جاء في العدد الأول من جريدة (مساوات) مقالٌ بعنوان "المساواة ومنهجها" فذكر المعلومات التالية حولها: "ظهرت جريدة (مساوات) للمرة الأولى في إزمير نحو أواخر سنة ١٩١١م. وكان هدفها سحق المعارضة التي تضاعفت قوتها بحرب طرابلس، والتصدي لجمعية الاتحاد والترقي، والسعي لنشر وتأسيس الحرية والمساواة التي وَعَدَنَا بها القانون الأساسي بين المواطنين. وظهرت جريدة المساواة للمرة الثانية في القاهرة عام ١٩١٨م[٩٢]، وكان هدفها إنقاذ الدولة بصلح منفرد وبأقل الأضرار من تلك الحرب المشئومة التي خسرناها تماماً وانهارت فيها جبهات الألمان والبغار ورُفضت طلبات الصلح فيها مرة أخرى، والسعي لإعادتها إلى السياسة التقليدية المعادية لروسيا البلشفية بالانتقال إلى جانب انجلترا وفرنسا وإيطاليا. ونُسَخُها المحفوظة في المكتبة العمومية شاهد عدل أبدي على صحة قولنا هذا. وفي المرة الثالثة تظهر جريدة (مساوات) في القاهرة أيضاً وفي ذلك البلد المستنير الذي فاقنا كثيراً وتقدم علينا علماً وصناعةً ومدنيةً. وكان هدفها تحرير الوطن من الأوضاع التي سبقت الحرب العمومية بعد أن بلغ اليوم حالاً أكثر سوءاً وأكثر فداحة...". ثم ترد بعد ذلك عبارة تستحق التنويه، إذ تقول: "... وفي نفس الوقت فإن سياسة نشر الجريدة يجب أن تكون مبنية على أساس المنفعة المتبادلة الانجليزية الإسلامية، فإن استطعنا التوافق بين مصالح المسلمين ومصالح انجلترا فإن النفع يكون للطرفين".

---

(٩١) Nuray Mert, "Cumhuriyet'in ilk Döneminde Yurtdışında İki Muhalefet Yayını: *Yarın* ve *Müsâvat*", *Toplum ve Bilim*, 69 (Bahar 1996), s. 141.

(٩٢) لم نعثر على أي عدد من الإصدار الثاني رغم عمليات البحث التي قمنا بها.


مساوات
MUSSAWATE
Journale bimeusuele Turc - Caire
No. 1 - 2 Piastre

بسم الله الرحمن الرحيم

مساوات ومسالكی

الصفحة الأولى في العدد الأول من جريدة "مساوات" بتاريخ ٧ فبراير ١٩٢٧م

الموافق ٤ شعبان ١٣٤٥هـ

وكانت جريدة المساواة التي ظهرت بالموقف الذي اتخذته ضد حكومة استانبول قد انتقدت الحكم الجمهوري لأنه لم يطبق الأسلوب الديمقراطي الذي ادعاه، وأهمل كثيراً الجانب المعنوي في الحياة(٩٣). وزعمت الجريدة أن الدولة سلبت الأمة دينها وتريد بلشفتها [من البلشفية]، ثم عارضت بشدة استخدام الحروف اللاتينية في كتابة اللغة التركية

(٩٣) Nuray Mert, *a.g.m.*, s. 141 vd.

والتعديلات التي أجريت عليها. وتكرر عرض تلك الأفكار بكثرة، ولا سيما في المقالات الموقعة باسم إسماعيل حافظ الإزميري.

ونشهد في الجريدة عبارة تقول: "جاء في الرسائل المتعددة التي تسلمناها من القاهرة والإسكندرية وسوريا وعمان تهاني القراء على ظهور جريدة المساواة، ويطلبون أن تكون أسبوعية على الأقل..." وأخرى تقول "المشتركون في الجريدة من بغداد ورومانيا وبلغاريا"، وهذا يدلنا على أنها وصلت أيضاً إلى تلك البلدان. وكانت المقالات المنشورة فيها تحمل تواقيع: حافظ إسماعيل وإبراهيم شاكر قبرصلي ومصطفى كاظم صبري و م. عزت وجمال نزهت وراصد وعثمان روحي والدكتور صلاح الدين علي وعلي عبد الرزاق ومغموم سروري والشيخ حامد كردستاني ومجاهد ومناو أوغلى.

كما نشهد أيضاً في جريدة (مساوات) – التي كان دخولها محظوراً إلى تركيا[٩٤] – أخباراً منقولة عن جرائد مختلفة تصدر في تركيا، مثل (مليت) و (صوڭ ساعت) و (وحدت) و (حاكميت مليت) و (جمهوريت).

وبدأت جريدة (مساوات) من عددها الثاني في نشر سلسلة أدبية شعرية تصور الانقلاب الأخير في تركيا[٩٥] تحت عنوان "مصطفى الأخير" (صوڭ مصطفى)، واستمرت حلقات ذلك المسلسل حتى العدد ١٩ منها. وكان لجريدة (مساوات) مجادلات ونقاشات مع جريدة (مخادنت) المؤيدة للجمهورية والتي كانت تصدر في مصر فضلاً عن جريدة (يارين) المعارضة مثلها والصادرة في مدينة إسكچه (اليونان)، وانعكست تلك المجادلات والنقاشات على أعمدة "المساواة".

والعدد الأخير الذي أمكن رؤيته من جريدة المساواة المصورة خلال تلك المرحلة الثالثة في مصر هو العدد ٦٦ الذي يحمل تاريخ يناير ١٩٣٠م. فلم نحصل مع الأسف على معلومات حول استمرارها أو عدم استمرارها بعد ذلك التاريخ.

أما الجريدة المهمة الثانية خلال تلك المرحلة فهي جريدة (مخادنت) التي بدأ صدورها في نفس العام مع الجريدة السابقة. وهي جريدة سياسية واقتصادية نُشرت في القاهرة

---

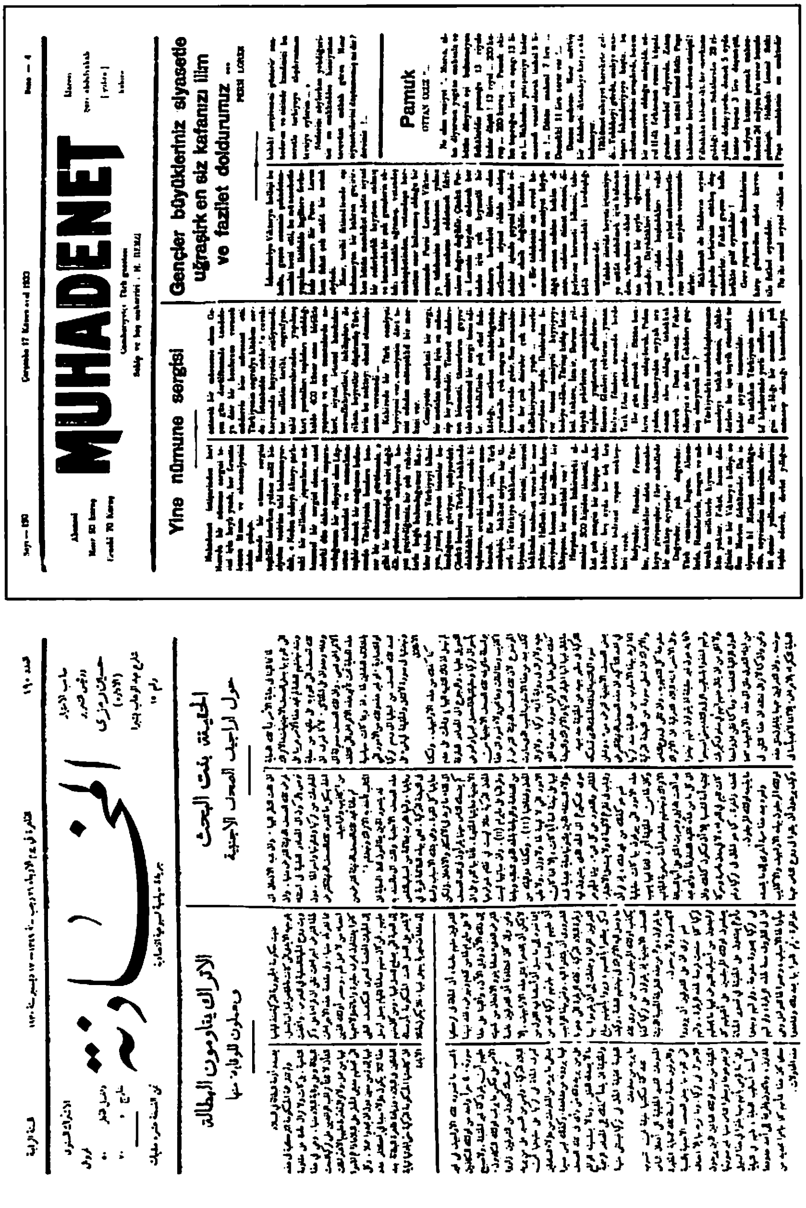
(٩٤) تم حظر دخول جريدة المساواة إلى تركيا بقرار صادر عن مجلس الوزراء التركي بتاريخ ١٩٢٧/٣/٢٠م ورقم ٤٩٣١، انظر: Aydın Safa Akay, *Türkiye'de insan haklarının tarihi gelişimi 1919-1938* , Ankara : Hacettepe Üniversitesi 2004, s. 256. (رسالة دكتوراه لم تطبع).

(٩٥) *Müsâvat*, 7 Şubat 1927, sayı 1, s.3

خلال سنوات ١٩٢٧ – ١٩٣٨م، وكان يملكها حسين رمزي بك، وتميل في الغالب إلى تأييد الجمهورية. وقد كشفت عن خطها السياسي بعبارات كانت تطلقها في هذا الاتجاه، مثل: "جريدة تركية جمهورية" و "طوبى لمن قال أنا تركي" و "تدافع عن كل تركي يتنفس أجواء الثورة خارج الوطن، وغايتنا هي السعي إلى كل ما هو صالح للأمة والنظام". كما تحدثت عن هدفها بشكل واضح في العدد ٥٢ المؤرخ في ٣ فبراير ١٩٢٨م بقولها:

"اتجه العزم على نشر جريدة للجماعة التركية في هذا البلد الشقيق الذي كثرت فيه الإفتراءات سواء كان على ثورات الشعوب المختلفة أم كان على الثورة المباركة المسعودة في جمهورية تركيا، وشَرْح وإيضاح الوجه الحقيقي لثورة تركيا، فتقرر إصدار جريدة المخادنة (مخادنت). بل إن الذين يبدون غاضبين على المقالات المليئة من أولها لآخرها بأقبح الأكاذيب في الجرائد المختلفة المعادية لتركيا والأتراك، وكذلك الذين رأوا في الافتقار إلى جريدة تركية وَهَناً في العزائم قد بادروا على الفور بتغيير توجهاتهم وآرائهم بعد قرار نشر المخادنة. وكانت قناعة من هم أكثر اعتدالاً وأكثر اعتزازاً بحب الوطن قد برزت في قولهم: إن استمرار صدور المخادنة لن يكون ممكناً لأكثر من عدة نسخ. وبناءً على ذلك فإذا كان المصير هو تعطيل النشر بعد ثلاثة أسابيع أو حتى بعد ثلاثة أشهر على أقصى تقدير فإن عدم الشروع في النشر يكون هو الرأي الأصوب. وتحدت المخادنة كل المصاعب فخطت كل يوم خطوة نحو التقدم وانتشرت بفضل الله وهي تَرُدُّ على كل ما يكتب ويقال ضد القومية التركية.

ومنهجنا في النشر للسنة الثانية سوف يكون استلهاماً من مسلكنا الذي جرينا عليه تماماً في السنة الأولى . لأن مظاهر التقدم والنجاح التي تجلت في الوطن التركي خلال عام مضى تثبت إلى أي مدى كان أسلوب النشر الذي شرحناه في العدد الأول وتمسكنا به مصيباً. وعَبّرنا عن ذلك في العدد الأول بعبارات: إن المشاعر التي سوف يشعر بها كل تركي شريف تجاه من يقدسون الثورة التي وقعت في تركيا وتمضي وتتقدم بخطوات مباركة كل يوم على طريق التقدم، وتجاه من يقومون بأمور الانتخابات المباركة لا يجب أن تكون إلاّ مشاعر الشكر والإجلال".



الصفحة الأولى في العدد ١٩٠ الصادر من جريدة "المخادنة" في القاهرة بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٣٠ بالتركية والعربية

وكانت الجريدة تنشر الأخبار عن مصر، وكان صدروها بالعربية والتركية بوجه عام. ولكننا نشهد بعض الاختلافات في محتوى العدد الواحد المطبوع بالعربية والتركية، كما كانوا وهم يعدون أخبار الجريدة يستفيدون من الجرائد الصادرة في مصر مثل: السياسة والبلاغ والأهرام والمقطم ووادي النيل، واستفادوا إلى جانب ذلك من الجرائد الصادرة في لبنان وإزمير.

وذكرت جريدة المخادنة أنها تتبع سبيلاً مهماً لتقوية العلاقات وتوطيدها بين الشعبين الشقيقين(٩٦)، وأنها تقدم أصدق الأخبار المتعلقة بالمصريين(٩٧). كما أكدت على أنها سوف تسعى لكشف الحقيقة وحدها، ولن تتردد في التصفيق لكل ما هو حسن في الثورة التركية وفي جمهورية تركيا، وانتقاد ما تراه من أخطاء(٩٨).

وقد ظهر على صفحات المخادنة مقالات للعديد من الكتاب الأتراك والمصريين، ومنهم: فريد وجدي بك وفريدون عزت ورؤوف يكتا بك و م. هـ. فاضل والمحامي فكري أباظة وصدري أدهم ورفيق أحمد ومحمد فؤاد كوسة ميخال زاده وكوسه رائف باشا زاده فؤاد وتحسين أوزر وعصمت باشا و ح. تحسين و م. أ. حمزة وأحمد حليم و ح. ت. تونج و ف. صروف وعبد الوهاب عزام بك والدكتور إسماعيل شكري ورمزي و (ف. د) وجناب شهاب الدين ومدحت غلنجي و (A. S) و م. جنكيزخان ويكتا راغب.

وكان لجريدة المخادنة في تركيا قراء مشاركون على عكس جريدة المساواة التي جرى حظر دخولها إلى تركيا عدة مرات بسبب كتاباتها المعارضة، وكانت المخادنة توجه حاصل الاشتراكات في تركيا إلى الجمعيات الخيرية. ولكن هناك خبراً في المساواة يكشف عن موقف متناقض من الجمهورية التركية الشابة تجاه تلك الجريدة وهي المناصرة لها، إذ يقول الخبر في العدد ٤٥ من جريدة المساواة بتاريخ ٣ يناير ١٩٢٩م: "لقد جاءنا من مصادرنا الخاصة أن زميلتنا جريدة المخادنة – التي لا زالت تصدر بالحروف العربية كالسابق ومخالفةً بذلك لقوانين الحروف اللاتينية – لن يجري إدخالها إلى تركيا من اليوم". ثم لم تلبث الأعداد التركية من جريدة المخادنة أن بدأت في الصدور بعد ذلك مع طباعتها بالأحرف اللاتينية. وأصبح اسم الجريدة هو "تركيا الجديدة" *Türkiye el- Cedîde* ابتداءاً من العدد المؤرخ في ٢٠ مايو ١٩٣٦م. ولم يصدر القسم التركي فيها لمدة،

---

(٩٦) *Muhâdenet*, 9 Ocak 1933, sayı 344.

(٩٧) *Muhâdenet*, sayı 301.

(٩٨) *Muhâdenet*, 8 Ocak 1932, sayı 258-259

واستمر صدورها بالعربية فقط، حتى أعيد نشر الأعداد ٧٩٥ – ٨٠٠ التي أمكن رؤيتها بالتركية والعربية مرة أخرى. وفي هذه المرة عُرف القسم التركي باسم المخادنة، بينما عُرف القسم العربي باسم تركيا الجديدة.

وكانت الجريدة تنشر الأخبار السياسية والاجتماعية المتعلقة بمصر، أما في الصفحة الأخيرة تحت عنوان "أخبار تركيا" فكانت تنشر الأخبار القادمة من تركيا. ولا يخلو عدد من أعدادها من التأكيد على أهمية الإعلان التجاري، إذ كانت تؤمن بمبدأ "لا تثق في جودة المنتج وحدها، وعليك بالدعاية له" و "إن النجاح في عملٍ إنما يتناسب مع قدر الدعاية له"، وكثيراً ما نشهد في الأطراف السفلى من الصفحات جملاً وعبارات ترد على شكل: "ارفع شأن الفلاح تزداد سعادة الوطن" و "سدد الضريبة في موعدها فهو من حب الوطن" أو تنبيه على شكل: "هل تحافظ على صحتك؟ اشرب ماء طاش دلن"، أو عبارات تمتدح تركيا ومصر، مثل: "التعريف بمصر الشقيقة دين على الترك" و "إن مصر هي المخرج الطبيعي والمفيد لتركيا" و "استانبول هي أجمل المدن صيفاً" و "إن أعذب الماء وأنقى الهواء في استانبول".

ولأن هاتين الجريدتين عاشتا في عهد واحد، وتبنت كل منهما أفكاراً تخالف الأخرى فقد كان لا بد أن يحتدم الجدل والنقاش بينهما. إذ كانت جريدة المساواة تزعم بشكل يصل أحياناً إلى حد الإهانة أن لتركيا أخطاء ومآخذ، بينما ادعت جريدة المخادنة أنها لم تُقْدم على نشر مقال قط ينتقد حكومة تركيا، لأن كافة القرارات التي اتخذتها والأعمال التي أنجزتها صحيحة(٩٩).

٥- المرحلة الخامسة: الحرب العالمية الثانية وجريدة جبهة

كانت (جبهه *Cephe*) آخر الدوريات التركية التي تحققنا من طباعتها في مصر، وهي مجلة ظهرت هناك أثناء الحرب العالمية الثانية. وقد صدر العدد الأول في سلسلتها الأولى في ١٥ يناير ١٩٤٣م، وكان يقوم بإصدارها سعود فخام الدين كمالي سويلمز أوغلى (١٩١٥ – ١٩٨٢م) الذي غادر تركيا متوجهاً إلى مصر خلال ١٩٤٣ – ١٩٤٥م وعاش مدة هناك. واحتوت الأعداد الخاصة بالسلسلة الأولى منها مقالات وكتابات بالانجليزية والفرنسية، ثم بدأ تصدر الجريدة باللغة التركية وحدها اعتباراً من السلسلة الثانية.

---

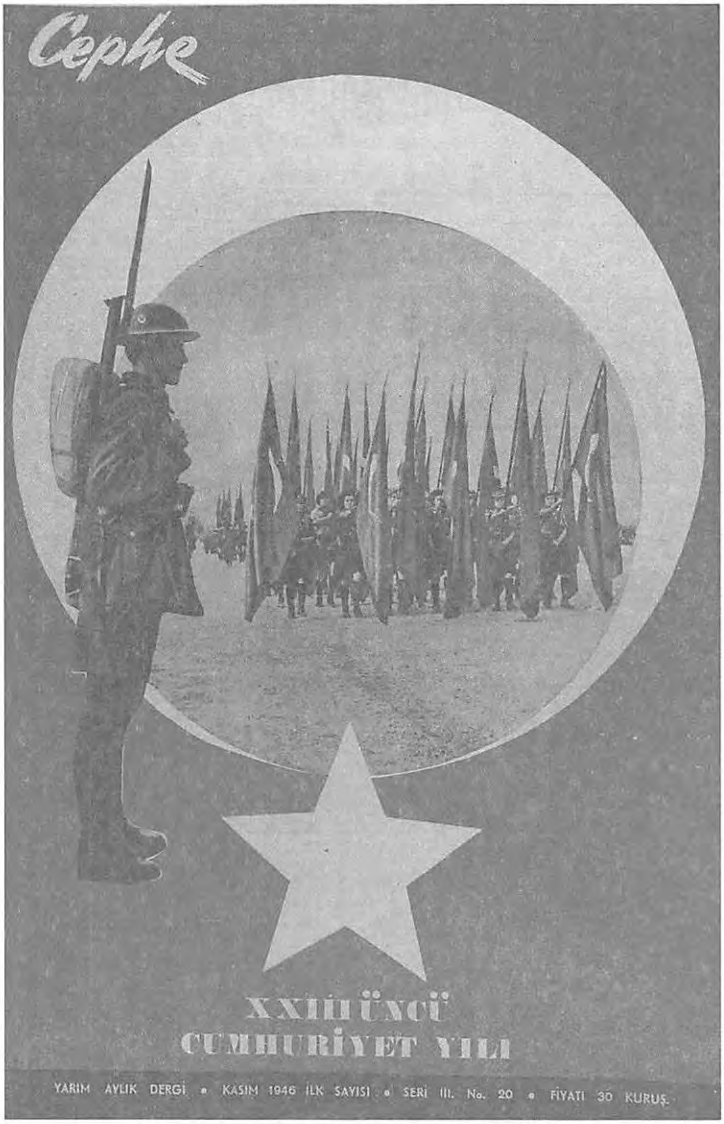
(٩٩) *Muhâdenet*, 8 Ocak 1932, sayı 258-259



جريدة الجبهة بين أيادي قرائها

وكانت جريدة (جبهه *Cephe*) تطبع هناك بالأحرف اللاتينية أثناء الحرب العالمية الثانية. وقد جاء فيها أن العدد الأول الخاص بسلسلتها الأولى صدر في ١٥ يناير ١٩٤٣م. ويبدو أن فخام الدين كان هو المسئول عن تحريرها. إلاّ أن الأعداد التي نجحنا في الوصول إليها تبدأ من السلسلة الثانية. وهناك ملحوظة جاءت عن الجريدة في العدد الأول المؤرخ في يناير ١٩٤٥م والخاص بالسلسلة الثانية تقول: "إن جريدة (*Vangurd*) التي نتابع من على صفحاتها أحداث العالم ونجاحات الدول المتحالفة قد بدأ صدورها باللغة التركية كاملة ابتداءاً من هذا العدد وبإذن من الحكومة التركية". كما جاء في نفس الموضع أن أحد الأهداف الأساسية لجريدة الجبهة هو تعريف شعوب انجلترا وتركيا بالتطورات والانجازات الحادثة في المجالات الاجتماعية والثقافية والفنون لدى كل منهما، وبالتالي المساعدة على إقامة تعارف قوي وتام بين الشعبين حتى يمكن تشكيل الأساس في المفاهيم والرؤى بين الترك والانجليز". ونظراً لأننا لم نشهد الأعداد السابقة من جريدة الجبهة يكون من غير الممكن وضع تصور تام للأمر. وتوجد على صفحاتها – عدا الأخبار الخاصة بنجاحات الدول المتحالفة – مقالات وصور عديدة عن الموضة والرياضة والسينما والزراعة والصحة

والتكنولوجيا وغيرها. كما يلاحظ في الجريدة بوضوح – وهي تنشر العديد من الأخبار حول تركيا وانجلترا – أنها كانت تبث كل ما يؤيد الإنجليز. ويرد في العدد (IV/7) المؤرخ في ابريل ١٩٤٧م والصادر عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية أن الجريدة سوف تتوقف عن الصدور في القاهرة من بعد، لتصدر بشكل أحسن في لندن.



العدد المؤرخ في نوفمبر ١٩٤٦م من جريدة "جبهه" وهي آخر جريدة تركية طبعت في مصر

عاشراً
الكتب التي تُرجمت من التركية
إلى العربية وطبعت في مصر

عملت المطبعة منذ تأسيسها في مصر على طباعة الكتب التركية إلى جانب العديد من الكتب العربية. وكان قسم من تلك الكتب العربية قد تمت ترجمته من التركية. وتضم هذه الدراسة ٢٠٤ مداخل لكتب تحققنا من أنها تُرجمت من التركية إلى العربية ثم طبعت في مصر[(١)].

وكانت أغلبية الكتب التي تُرجمت من التركية إلى العربية وطُبعت منذ قيام المطبعة حتى سنة ١٨٥٨م هي كتب التشريعات والنظم الإدارية والقانونية وكتب التعليم العسكري اللازمة للجهاز البيروقراطي والجيش. وظلت النصوص الإدارية والقانونية العربية (قانوننامه ولايحه وترتيبنامه ونظام نامه..) تطبع لمدة طويلة مع أصولها التركية، بينما كانت كتب التعليم العسكري تطبع منفصلة عن بعضها.

وأغلب الكتب الإدارية هي النصوص التي تستخدم داخل الجهاز البيروقراطي ووُضعت في الأساس باللغة التركية. وكان السبب وراء طباعة تلك النصوص القانونية والإدارية بلغتين معاً في أغلب الأحيان هو أن الجهاز البيروقراطي كان - كما ذكرنا من قبل - مزدوجاً في لغته هو الآخر. وهذا الوضع قد ظل على حاله مرتبطاً بالمكانة التي كانت تحظى بها اللغة التركية داخل الجهاز البيروقراطي في مصر. والشاهد على ذلك هو أول تلك الكتب الذي طُبع في سنة ١٢٤٣هـ (١٨٢٨م) واحتوى المضابط التركية العربية لمجلس المشورة وعُرف باسم (عقد المجالس).

وجميع النصوص القانونية والإدارية المطبوعة أو ما يقرب من ذلك إنما تتعلق بالنظم الداخلية لولاية مصر، ولكن القانون الذي طبع سنة ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م باسم "ترجمة قانون نامه السلطانى"(قانوننامهٔ همايون) هو ترجمة عربية للقانون العثماني (عثمانلى

(١) إن هذه الكتب التي تحققنا من ترجمتها عن التركية ثم طباعتها تمثل في مجموعها ١٦٤ عنواناً مختلفاً تقع في ٢٠٤ طبعات.

قانوننامه سى)، وطبع أيضاً بكلتا اللغتين. كما كان قانون التجارة العثماني (عثمانلى تجارت قانوننامه سى) نصاً جرى طبعه في القاهرة بالتركية والعربية معاً (القوانين التجارية: الصادر بطبعها ونشرها وإعلانها الأوامر العلية السلطانية بسائر الدولة العثمانية ١٨٦٠م). أما نص التنظيم الإداري والقانوني المطبوع سنة ١٨٨٥ الذي ظهر بالتركية تحت عنوان (معاش ترتيبنامه سى) والعربية تحت اسم "قانوننامة المعاشات" فهو في رأينا آخر كتاب ذي طابع إداري تحققت طباعته باللغتين معاً في مصر.

أما الكتب الخاصة بالحياة العسكرية فهي في الغالب مترجمة من الفرنسية إلى التركية، ثم من التركية إلى العربية. والقسم الأعظم من كتب التعليم العسكري تم طبعه باللغة العربية نظراً لأن قوام الجيش يتشكل بطبيعة الحال من الجنود المصريين. وهذه الكتب حتى وإن زخرت بالمصطلحات العسكرية التركية كانت طباعتها بالعربية كافية حتى يفهمها العسكريون المحليون، ولهذا السبب أيضاً لم تكن هناك حاجة لطباعتها باللغتين معاً، فالكتب الخاصة بالقادة العسكريين كانت تطبع بالتركية فقط.

ويوجد أيضاً من بين الكتب المترجمة من التركية إلى العربية في ذلك العهد كتاب في الهندسة وضعه أدريان – ماري لوجاندر، وهذا الكتاب الفرنسي المعروف باسم *Eléments de géométrie* قام بترجمته إلى التركية إبراهيم أدهم بك لتدريسه في المهندسخانة المصرية، وطبع في سنة ١٨٣٦م. ثم تُرجم بعد ذلك من التركية إلى العربية باسم (أصول الهندسة) على يدي محمد عصمت أفندي، وكانت طبعته العربية الأولى عام ١٨٣٩م، والطبعة الثانية في سنة ١٨٦٥م.

أما الترجمات المهمة الأخرى التي طبعت في القاهرة في العلوم الطبيعية والرياضية فنرى منها كتابي الغازي أحمد مختار باشا المطبوعين في مصر بالتركية أيضاً، وهما: (رياض المختار مرآة الميقات والأدوار) و(إصلاح التقويم). وقد قام بترجمتهما إلى العربية شفيق منصور يكن أحد أفراد عائلة محمد علي باشا، وطُبع الكتاب الأول في سنة ١٨٨٩م، بينما طبع الثاني (إصلاح التقويم) في سنة ١٨٩٠م على شكل عمودين في الصفحة الواحدة، أحدهما بالتركية والثاني بالعربية.

وهناك في الأدب التركي أيضاً أعمال كثيرة تحققنا من أنها تُرجمت من التركية إلى العربية وطُبعت في مصر. والغالب على تلك الكتب – عدا بعض نصوص الحكايات

القديمة – أنها تشكلت من ترجمات الأعمال الأدبية في الأدب التركي بعد عهد التنظيمات الخيرية. وأول عمل رأينا أنه طبع في أسلوب القصة التقليدية هو ما طبع عام ١٨٨٠م، وعُرف باسم (قصة أبي علي بن سينا وشقيقه أبي الحارث وما حصل لهما من نوادر العجائب وشوارد الغرائب). وهذه القصة التي طبعت بالتركية في مصر عام ١٢٥٤هـ (١٨٣٩م) قام بترجمتها إلى العربية مراد مختار أفندي، ثم طُبعت هناك أربع مرات (١٨٨٠، ١٨٨٨، ١٨٩٥، ١٨٩٦م). وهناك قصة أخرى أصلها بالفارسية تعرف باسم (مرزبان نامه)، وقام بترجمتها عن الأصل الفارسي إلى التركية شيخ اوغلى سعد الدين مصطفى، ثم قام ابن عربشاه هو الآخر بتوسيع تلك الترجمة، ثم أعيدت كتابتها من جديد باللغة العربية.

وكانت نوادر وحكايات نصر الدين خوجه (جُحَا الترك) في مقدمة الكتب التي ترجمت في القاهرة من التركية إلى العربية وتكررت طباعتها عدة مرات. فقد ظهرت الطبعة الأولى في سنة ١٨٦٤م، ثم أعقبتها عدة ترجمات مختلفة في تواريخ لاحقة. وأمكن التحقق من ثلاث طبعات لتلك الحكايات في (١٩٢٧، ١٩٥٢، ١٩٦٣م) وذلك عدا طبعة أخرى بدون تاريخ عن ترجمة قام بها حكمت شريف الطرابلسي. ولكن يبدو من تاريخ الطبعة الأولى لهذا الكتاب – الذي توجد له طبعات شعبية لم نستطع الوصول إليها وبقيت خارج نطاق القائمة الببليوغرافية – أنه وجد الفرصة للوصول إلى كتل عريضة من الناس في عهد مبكر من ظهور المطبعة في مصر.

وهناك كتاب قصص آخر ترجم من التركية إلى العربية وطبع في مصر، وهو كتاب حسين حسني باشا (ت ١٨٨٦م)[٢] المعروف باسم الدر النثير في النصيحة والتحذير (١٢٩١ [١٨٧٤م]).

ونلاحظ بين الكتب المطبوعة في الأدب أن الأعمال المختارة من أدب الترك الحديث تحتل مكانة رفيعة، ولا سيما أعمال الأديبين الكبيرين في أدب عهد التنظيمات الخيرية، وهما ضيا باشا ونامق كمال. فقد ترجمت أعمالهما إلى العربية وجرت طباعتها اعتباراً

(٢) حول حسين حسني انظر: Cevat İzgi, "Gümülcineli Muhammed Oğlu Hüseyin Hüsnî Paşa", *Batı Trakya'nın Sesi*, sayı 6 (Eylül-Ekim 1988), s.32-33.

من عام ١٨٩٨م، إذ قام محمد بشير الحلبي بترجمة منظومة (ترجيع بند) ضيا باشا، ثم طبع في القاهرة مع نصه التركي سنة ١٨٩٨م باسم حدائق الرند ترجمة ترجيع بند، بينما قام حسين سكوتي بترجمة مسرحية نامق كمال المعروفة باسم (وطن ياخود سلستره) وطبعت في الإسكندرية في نفس السنة. أما العمل الثاني الذي طبع لنامق كمال في القاهرة فهو كتاب "عهد الفتح" الذي قام بترجمته عبد العزيز أمين الخانجي، وتاريخ طبعه ليس معلوماً وإن كان الكتاب يضم في نهايته سيراً لبعض مشاهير الترك في الحرب والسياسة.

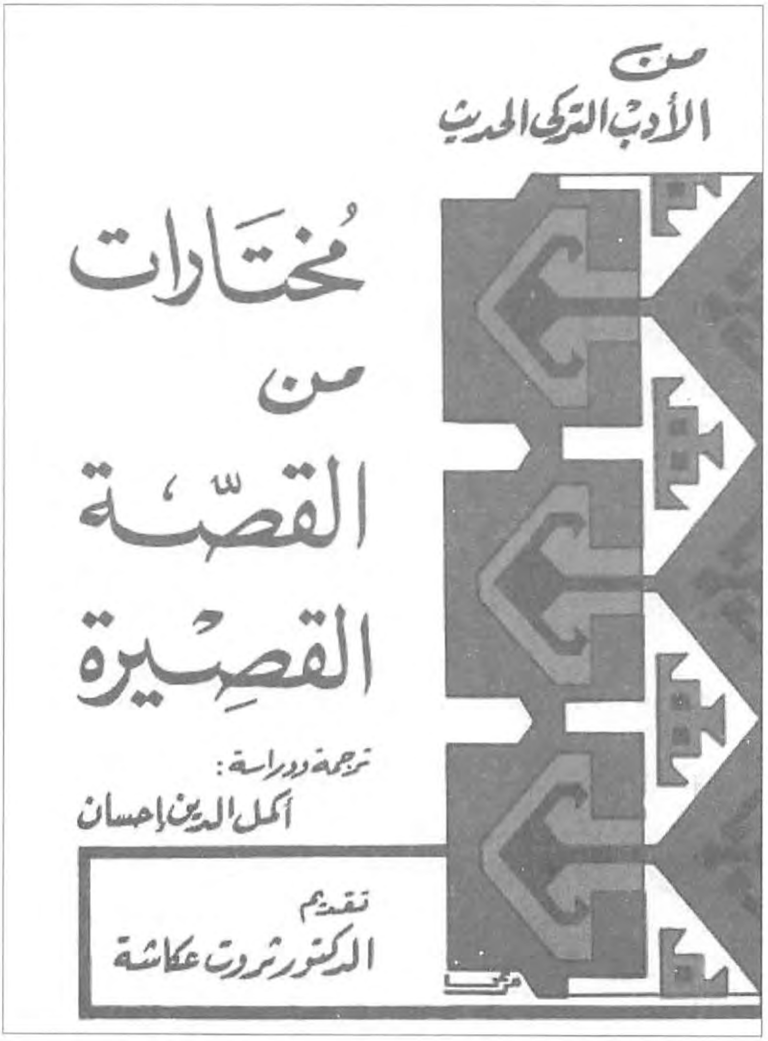
وكانت الطبعة الأولى من ترجمة مسرحية عبد الحق حامد المعروفة باسم (طارق يا خود أندلس فتحي) قد تمت على يدي فتحي عزمي سنة ١٩١٠م، ثم ظهرت الطبعتان الثانية والثالثة في سنتي ١٩١٢م و ١٩٣٥م. ولكن ترجمةً أخرى ظهرت لنفس المسرحية، قام بها إبراهيم صبري في سنة ١٩٥٩م، ونشرت ضمن سلسلة "الألف كتاب". كما قام إبراهيم صبري بترجمة مسرحية أخرى لعبد الحق حامد تعرف باسم (ابن موسى يا خود ذات الجمال) ونشرت في نفس السلسلة عام ١٩٦٢م. وكان أيضاً من بين الأعمال البارزة في الأدب التركي والتي أثرى بها إبراهيم صبري المكتبة العربية عمل معروف باسم (أوراق الأيام)، الذي يضم مقالات متنوعة لجناب شهاب الدين، وتم نشره عام ١٩٦٠م. وبعد عدة سنوات من ظهور تلك الأعمال ظهرت الترجمة العربية للكتاب التركي الذي كتبه رضا توفيق بولوك باشي بعنوان (عبد الحق حامد وملاحظات فلسفيه سى) وطبعت في سنة ١٩٨٨م. وقام إبراهيم صبري بترجمة الكتاب فجعل الترجمة تحت عنوان "الضريح: الملحمة الشعرية الكبرى للشاعر الأعظم عبد الحق حامد"، ثم نشر ضمن سلسلة "من روائع الأدب العالمي المقارن". ويتحدث الكتاب عن علاقة الشاعر بالفلسفة وعن شخصيته الفلسفية ويعقد المقارنات في ذلك.

وبعد الترجمات الأولى عن أدب التنظيمات ظهرت في مصر ترجمات أخرى عن الأدب التركي في مراحل مختلفة في القصة والرواية والمسرحية والشعر، وبذلك تَعَرّف العالم العربي على ملامح ذلك الأدب. فهناك رواية الكاتبة خالدة أديب آديوار المعروفة باسم قميص من نار (آتشدن گوملك) وتمثل أجمل أعمال الأدب القومي، وقام بترجمتها محب الدين الخطيب ثم طبعت (١٩٢٣م)، أما رواية رشاد نوري گونتكين المعروفة باسم

الوصمة (دمغا) فقد قام بترجمتها عبد العزيز الخانجي ثم طبعت (١٩٢٧م). والملاحظ بعد هذا التاريخ أيضاً أن هناك روايات مختلفة من الأدب التركي تم طبعها. ومنها رواية الكاتب رفيق خالد قراي المعروفة باسم (يزيدك قيزى)، فقد تُرجمت تحت عنوان بنت يزيد، ثم طبعت في القاهرة سنة ١٩٥٥م. وفي عام ١٩٥٨م طبعت رواية الكاتبة مبرورة سامي المعروفة باسم (ليلاقلر آلتنده) وتم تحويلها إلى فيلم بعنوان تحت ظلال "الليلاك". أما الرواية الأخيرة فهي الرواية العاطفية التي كتبتها معزز تحسين بركاند بعنوان (چاملر آلتنده)، فقد ترجمت وطبعت في سنة ١٩٩٠م تحت عنوان سر المياه القرمزية.

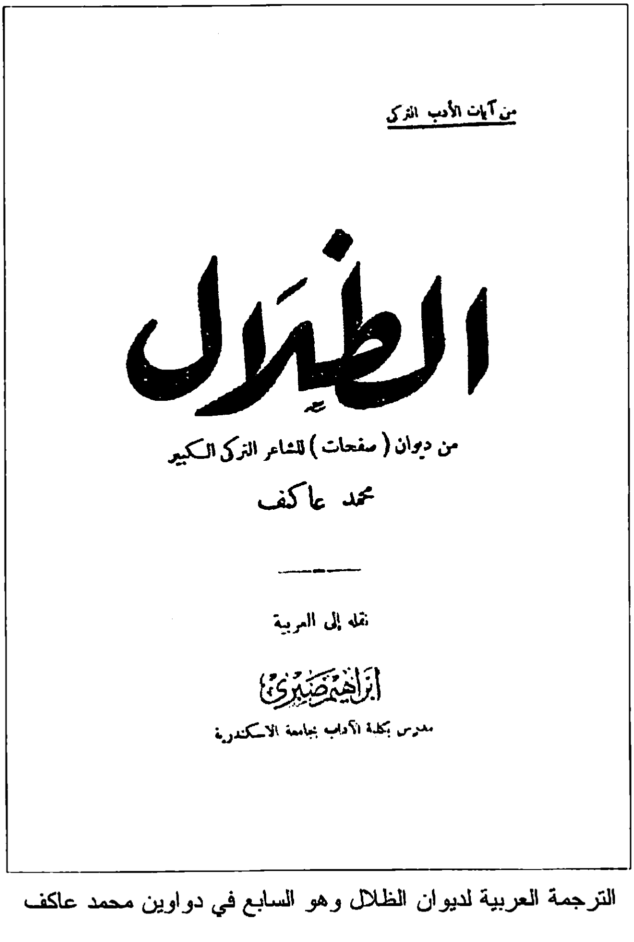
ويوجد بين الكتب المترجمة من التركية إلى العربية والمدرجة ضمن قائمة هذا الكتاب ثلاثة كتب ذُكر أنها تُرجمت من الفرنسية إلى التركية على يدي الأديب نامق كمال، ومن التركية إلى العربية على يدي إبراهيم خليل، وهي: صروف الأقدار (١٩٢٥م) والابنتان المفقودتان (بدون تاريخ)، واللقاء بعد الشتات (بدون تاريخ). غير أن هذه الأعمال أو ما يشبهها لا توجد ضمن أعمال نامق كمال.

وظهر في مصر أيضاً كتابان لمختارات من القصة بغية تعريف القارئ العربي بالأدب التركي الحديث. وقد طبع الأول في سنة ١٩٣٤م، بينما طبع الثاني في سنة ١٩٧٠م، وعُرف الأول باسم: قصص مختارة من الأدب التركي لطائفة من أدباء الأتراك، وقام على إعداده: خلف شوقي الداودي. وقد ظهرت طبعة ثانية منه سنة ١٩٣٦م. أما الكتاب الثاني فقد قام على إعداده أكمل الدين إحسان أوغلى، وطبع في سنة ١٩٧٠م بمقدمة كتبها له وزير الثقافة المصري الدكتور ثروت عكاشة نتيجة لعناية السفير التركي في القاهرة آنذاك المرحوم سميح گونوْر، وعُرف الكتاب باسم: "من الأدب التركي الحديث، مختارات من القصة القصيرة". وجاء في مقدمة الوزير عبارة تقول: "ومن فضائل هذا الكتاب أنه مهد لموضوعه بنبذة عامة عن تاريخ الترك، وعرضٍ موجز لأطوار نشاطهم الأدبي بادئاً بالعصر القديم، فالعصر الإسلامي، ثم العصر الحديث يلحظ من خلاله القارئ أوجه الشبه بين تطور الأدب التركي والأدب العربي وبخاصة عند استنبات الأشكال الأدبية الحديثة في القصة والرواية والمسرحية".



من أعمال المؤلف خلال سنوات حياته في مصر (القاهرة ١٩٧٠م)

ومن الكتب التي احتلت موقعاً متميزاً بين الكتب المترجمة عن الأدب التركي في مصر ترجمة كتاب الشعر (گولگه لر) الذي كتبه الشاعر التركي الكبير محمد عاكف أرصوي عندما كان مقيماً في القاهرة ليكون الكتاب السابع في ديوانه (صفحات) ثم طبعه هناك. فقد قام بترجمة ذلك الكتاب – تحت عنوان: الظلال – إبراهيم صبري نجل مصطفى صبري أفندي آخر مشايخ الإسلام العثمانيين والمعروف بانتقاداته للشاعر محمد عاكف، وطُبع الكتاب في القاهرة سنة ١٩٥٣م(٣).


من آيات الأدب التركى

الظلال

من ديوان (صفحات) للشاعر التركى الكبير

محمد عاكف

نقله إلى العربية

إبراهيم صبرى

مدرس بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية

الترجمة العربية لديوان الظلال وهو السابع في دواوين محمد عاكف

(٣) للاطلاع على انتقادات إبراهيم صبري للشاعر محمد عاكف انظر كتاب أشعاره المعروف باسم: مصر دانه لرى، وهو مكتوب على الآلة الكاتبة، ويوجد محفوظاً في مكتبة إرسيكا.



من ترجمات المؤلف خلال سنوات حياته في مصر (القاهرة ١٩٦٩م)

أما الكاتب الذي حظيت أعماله بأكبر عدد من الترجمات بين الكتّاب الأتراك في العهد الأخير فهو بلا شك الأديب الشاعر ناظم حكمت. وكان أول عمل له خرج على صورة كتاب هو الترجمة التي قام بها أكمل الدين إحسان أوغلى في سنة ١٩٦٩م لمسرحيته (فرهاد ايله شيرين). كما يضم الكتاب دراسة مقارنة حول قصة فرهاد وشيرين في الأدب التقليدي. وقبل هذا التاريخ جرت ترجمة العديد من أشعار ناظم حكمت إلى اللغة العربية، ولكن من لغات أخرى غير اللغة التركية، ونشرت في صحف ومجلات مختلفة. وكان الكتاب الثاني الذي طبع بعد ترجمة فرهاد وشيرين هو مسرحية سيف ديمقليس (٩٠/٣) التي ترجمها عن الروسية ماهر عسل، وطبعت سنة ١٩٧١م. كما ظهرت في نفس السنة

ترجمات لأشعار كتبها ناظم حكمت وقام بترجمتها من الفرنسية محمد بخاري. وفي سنة ١٩٧٤م ظهرت الطبعة الثانية لمسرحية فرهاد وشيرين، وأعقبتها بعد ذلك ترجمات أخرى لأعمال ناظم حكمت راحت تطبع في الأعوام التالية.

وقام الدكتور حسين مجيب المصري الذي ينتمي إلى الجيل الأول من الدارسين المصريين في حقل التركيات بوضع ترجمة عربية للمولد النبوي الشهير الذي نظمه الشاعر التركي القديم سليمان چلبي بعنوان (وسيلة النجات) واحتل مكانة متفردة في الأدب التركي، وجاءت تلك الترجمة نظماً تحت عنوان: "المولد الشريف منظومة للشاعر التركي القديم"، ثم طبعت في القاهرة سنة ١٩٨١م.

وهناك شاعر بارز آخر تُرجمت أعماله في السنوات الأخيرة ثم طبعت، وهـو نجيب فاضل قيصه كورك. وأول عمل تُرجم له وطُبع هو مسرحيته التركية عن صُنْعِ رجل *Bir adam yaratmak* التي ظهرت باسم "خلق الإنسان" (١٩٨٨م). وبعد هذه الترجمة التي قام بها الدكتور محمد حرب الذي ينتمي إلى الجيل الثاني من دارسي التركيات ظهر كتاب له باسم: "ديوان السلام لوحات من السيرة المقدسة"، يتحدث فيه شعراً من خلال ٦٣ لوحة مختلفة عن السيرة النبوية الشريفة، وقام بتلك الترجمة العربية عبد الرزاق بركات، ثم طبعت في سنة ١٩٩٤م. أما كتاب الشعر الذي نظمه سزائي قراقوچ أحد الشعراء الترك في العهد الأخير والمعروف باسم *Hızırla kırk saat* فقد تمت ترجمته وطبع في سنة ١٩٩٢م تحت عنوان: ديوان، أربعون ساعة مع الخضر.

ونذكر من بين الكتب المترجمة من التركية إلى العربية كتاباً فريداً في موضوعه، إذ هو واحد من المراجع الهامة في فن الطبخ التركي، وهو كتاب ملجأ الطباخين الذي أعده محمد كامل أحد معلمي مكتب العدلية الشاهاني وظهرت طبعاته التركية في استانبول قبل ذلك (١٢٦٠هـ و ١٢٧٣هـ)، ثم ظهرت ترجمته العربية في طبعتها الأولى سنة ١٨٨٧م، وأعقبتها طبعتان ثانية وثالثة في ١٨٩٩م و ١٩١٥م. ويبدو من تاريخ الطبعة الأخيرة لهذا الكتاب (١٩١٥م) – الذي ينقل النكهة التركية للطعام بدافع من الأتراك والطبقة الأرستقراطية المتتركة والمتنامية في مصر إلى الكتل العريضة من الناس ولا سيما المقيمين في المدن الكبرى ممن يشعرون بقربهم من تلك النهكة ولا يعرفون غير اللغة العربية – أنها جاءت مباشرة بعد السنة التي انفصلت فيها مصر عن الدولة العثمانية (١٩١٤م). وهذا التاريخ هو الذي بدأ فيه انحسار تأثير الثقافة التركية في الحياة الرسمية والحياة الاجتماعية على حدٍ سواء.

وتحتل المذكرات الشخصية لرجال الدولة في العهد العثماني والجمهوري مكانةً متميزة بين الكتب المترجمة من التركية إلى العربية في مصر. وأول كتاب من ذلك النوع في رأينا هو مذكرات رَسْنَه لي نيازي بعنوان (خاطرات نيازي ياخود تاريخچهء انقلاب كبير عثمانيدن بر صحيفة) التي ترجمها ولي الدين يكن المعروف هو الآخر بأنه من مؤيدي حزب الاتحاد والترقي. وظهرت الطبعة الأولى من تلك الترجمة في سنة ١٩٠٤م بعنوان خاطرات نيازي أو صحيفة من تاريخ الانقلاب العثماني الكبير. ثم أعقبتها طبعة ثانية في سنة ١٩٠٩م. أما الترجمة التي قام بها يوسف كمال حتاتة لمذكرات مدحت باشا فقد طبعت مرتين في سنة ١٩١٣م و ١٩١٧م.

ونذكر من بين كتب المذكرات المنشورة كتابين لضابطين من الضباط العثمانيين الذين خاضوا حرب البلقان والحرب العالمية الأولى، أولهما اليوزباشي أحمد حمدي الذي يحكي فيه وقائع الهزيمة في حرب البلقان. وهذا الكتاب ترجمة عربية قام بها محب الدين الخطيب للأصل التركي الذي طبع في القاهرة سنة ١٩١٣م تحت عنوان (عثمانلى أوردوسنك أسباب مغلوبيتي وارناؤودلر). والثاني هو ترجمة نُشرت سنة ١٩٢٢م لكتاب علي فؤاد (أردن) الذي كتبه عن الحملة على الجبهة المصرية تحت عنوان (پارسدن تيه صحراسنه).

وفي سنة ١٩٢٣م قام علي أحمد شكري بترجمة مذكرات جمال باشا عن الطبعة الانجليزية. بينما قام عبد العزيز أمين الخانجي في سنة ١٩٢٥م بترجمة مذكرات مصطفى كمال باشا وبعض خطَبه ثم طبعت. وانتهى الأمر بقيام محمد حرب بترجمة مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، وطبعت مرتين بالعربية تحت عنوان "مذكرات السلطان عبد الحميد" (١٩٧٨ و ١٩٨٥م).

وبعد إعلان الجمهورية التركية جرى في سنة ١٩٣٤م ترجمة وطبع كتابين بدعم من جريدة المخادنة المؤيدة للجمهورية والصادرة في مصر. وأولهما الكتاب الذي ضم خطب وبيانات الزعيم عصمت اينونو في الشئون الإجتماعية والسياسية، وظهرت ترجمته العربية تحت عنوان "عصمت باشا: خُطبه وأقواله السياسية والإجتماعية"؛ أما الكتاب الثاني فهو ترجمة لآراء الخبير الموسيقي الكبير الأستاذ رؤف يكتا بك عن مؤتمر الموسيقى العربية، وجاء تحت عنوان "مطالعات وآراء حول مؤتمر الموسيقى العربية".

وفي أعقاب حرب الاستقلال التركية وانعكاساتها في مصر وظهور مصطفى كمال باشا بطلاً في أعين المسلمين والعالم الشرقي وبروز مشاعر الحب الكبير نحوه ظهرت رواية تتحدث عن مصطفى كمال باسم (آناطولى وشرق قومندانى مصطفى كمال پاشا)، ولكنها مجهولة الكاتب فترجمت إلى العربية وظهرت بها تحت عنوان: بطل الأناضول والشرق الغازي مصطفى كمال باشا. كما ظهر كتاب آخر عن مصطفى كمال يقع في ٢٣ صحيفة

مترجمة بتوقيع "أديب" وجاء أنها تحكي معارك الأناضول" من أقوال مصطفى كمال باشا نفسه". أما الكتاب الثالث فهو ترجمة لمقابلات أجريت مع مصطفى كمال وتم جمعها على يدي محمد عطية علي. وقد تحققنا من طباعة تلك الكتب الثلاثة في القاهرة، وهي رغم عدم احتوائها على تواريخ الطبع لكن الواضح أنها طبعت إبان حرب الاستقلال أو بعدها مباشرة.

كما ظهرت في القاهرة ترجمات عربية لبعض المؤلفات التي وضعها أعضاء حركة تركيا الفتاة. ونذكر من بينها الترجمة التي قام بها أمين بك أنطاكي لكتاب وَضَعَه طونه لي حلمي بك تحت عنوان الخطبة العاشرة (اوننجى خطبه)، وطبعت مرتين (١٨٩٩ و ١٩٠٨م)؛ وكذلك الترجمة التي قام بها محمد توفيق جانه لكتاب وَضَعَه أحمد صائب بك بعنوان واقعة السلطان عبد العزيز (وقعهٔ سلطان عبد العزيز) مطبوع في القاهرة أيضاً (١٩٠٤ و ١٩٠٨م)، وطبعت تلك الترجمة مرتين (١٩٠١ و ١٩٠٣م).

وعدا كتب المذكرات جرت أيضاً ترجمة بعض كتب الرحلات التركية إلى اللغة العربية. وكان أول ما ظهر منها ترجمةٌ لكتابٍ وضعه عظم زاده صادق المؤيد (ت ١٩١١م) حول تاريخ الحبشة وأحوالها في أواخر القرن التاسع عشر. وقام جميل العظم بالشروع في نشر الترجمة العربية له على صفحات جريدة الإقبال، ثم أكمل الترجمة من بعده ولدا أخيه رفيق العظم وحقي بك العظم، وظهرت في مصر سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م تحت عنوان "رحلة الحبشة"(٤).

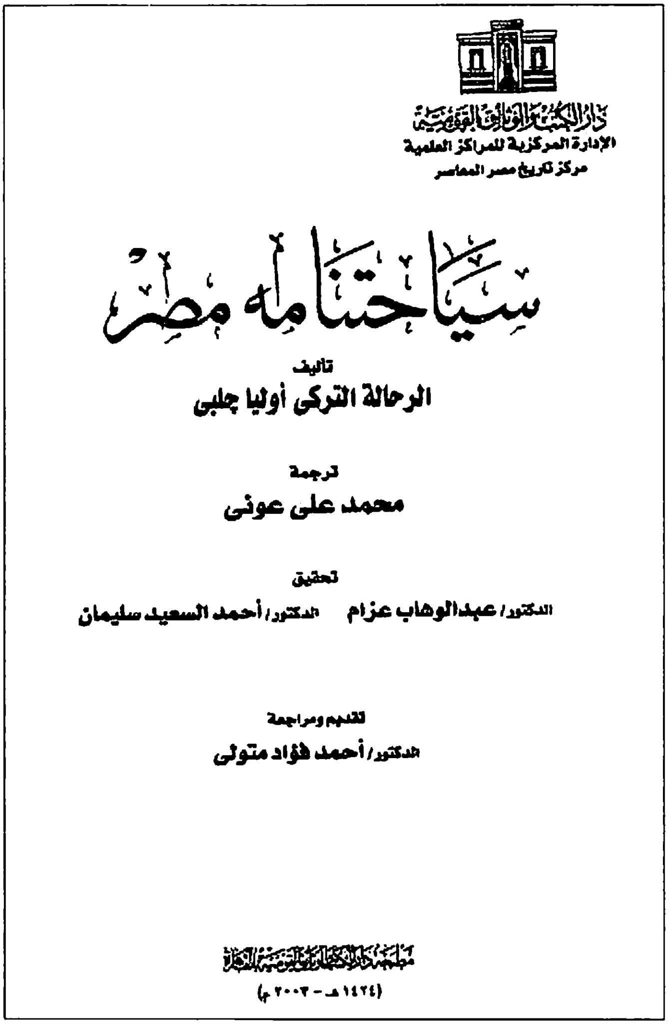
وقبل أن يمضي وقت طويل على ظهور ذلك الكتاب طُبعت رحلة أخرى كتبها كركوكلو محمد مهري أفندي بعنوان (سودان سياحتنامه سى)، ويحكي فيها سفره إلى السودان مع البرنس يوسف كمال من العائلة الخديوية وكاظم بك ابن عزت باشا. وطبعت الرحلة بالتركية في استانبول سنة ١٩١٠م، ثم قام المؤلف نفسه بترجمتها إلى العربية تحت عنوان "رحلة مصر والسودان"، ثم طبعت في مصر عام ١٩١٤م(٥). ويتعرض الكتاب في صفحاته الأخيرة لأحداث ثورة عرابي باشا. وهناك رحلة أخرى مطبوعة، وهي المجلد التاسع المتعلق بالحجاز من رحلة أوليا چلبي (حجاز سياحتنامه سى)، وتَرْجَمَه الدكتور الصفصافي أحمد المرسي من أبناء الجيل الثاني من متخصصي الدراسات التركية في مصر تحت عنوان "الرحلة الحجازية" ثم طبع في مصر سنة ١٩٩٩م. ورأينا في السنوات الأخيرة ظهور ترجمة عربية لقسم آخر من رحلة أوليا چلبي، وهو المجلد العاشر المتعلق

---

(٤) للتعرف على صادق المؤيد وكتابه انظر: *OCLT*, c.II, s.423-427, no. 312

(٥) حول محمد مهري وكتابه انظر: *OCLT*, c.II, s.420-422, no. 309

بمصر في الرحلة. إذ قامت "هيئة الكتاب المصرية" في أواخر الأربعينيات من القرن الماضي بتكليف محمد علي عزمي الدياربكري المولد لتولي عملية الترجمة من التركية العثمانية إلى العربية، ثم تولاها بعد ذلك محمد علي عوني، بينما قام الدكتور عبد الوهاب عزام والدكتور أحمد السعيد سليمان، وأخيراً الدكتور أحمد فؤاد متولي بمراجعـــة الترجمة


دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تاريخ مصر المعاصر

سياحتنامه مصر

تأليف
الرحالة التركى أوليا چلبى

ترجمة
محمد على عونى

تحقيق
الدكتور/ عبدالوهاب عزام الدكتور/ أحمد السعيد سليمان

تقديم ومراجعة
الدكتور/ أحمد فؤاد متولى

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)

الغلاف الداخلي لكتاب "سياحتنامه مصر"

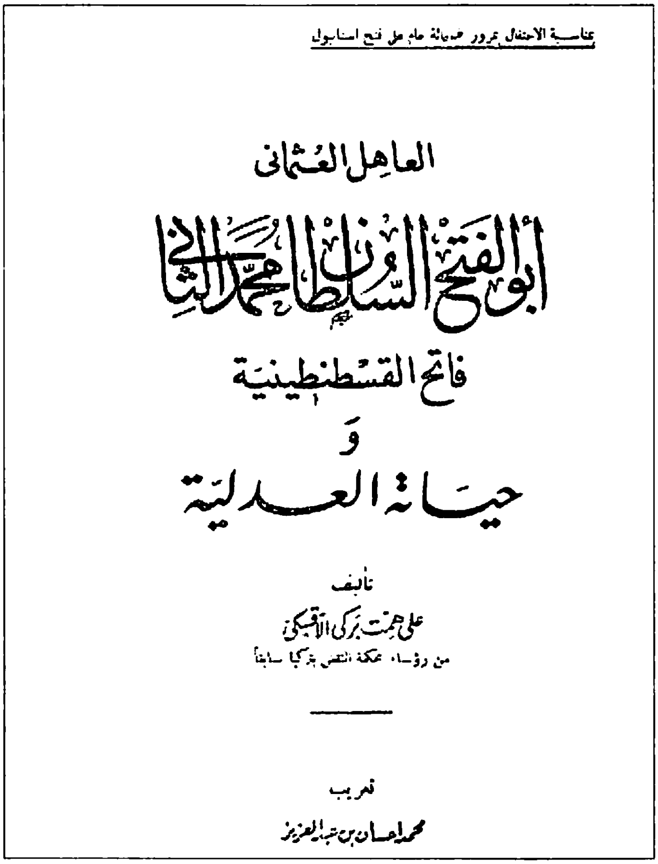
مع التعليقات والتحقيقات، حتى ظهر نص الكتاب في النهاية بتقديم من الدكتور أحمد فؤاد في سنة ٢٠٠٣م تحت اسم (سياحتنامه مصر).

وكان للبحوث التاريخية أيضاً مكانتها بين الكتب المترجمة والمطبوعة في مصر، وهي حول تاريخ الإسلام بوجه عام وتاريخ العثمانيين بوجه خاص، وأولها كتاب عالم التركيات الروسي بارتولد المعروف بعنوان (*İslam medeniyeti Tarihi*) الذي جرت ترجمته من الروسية إلى التركية ثم طبع بإضافات للعالم التركي الكبير محمد فؤاد كوبريلي. وقام بتلك الترجمة العربية باحث تتري استوطن القاهرة هو حمزة طاهر، وجعلها تحت عنوان "تاريخ الحضارة الإسلامية"، ثم طبعت خمس مرات خلال ١٩٤٢ – ١٩٨٣م[٦]. كما قام حمزة طاهر بترجمة أخرى من التركية إلى العربية في التاريخ الإسلامي، وجاءت تحت عنوان "اتحاد المسلمين: الإسلام ماضيه وحاضره ومستقبله". وهذا الكتاب الذي ترجمه حمزة طاهر بالمشاركة مع الدكتور عبد الوهاب عزام هو في أصله التركي لجلال نوري إيلري، ووضعه تحت عنوان (اتحاد إسلام، اسلامك ماضيسى حالي واستقبالى)، وطبعت الترجمة في سنة ١٩٢٠م.

أما كتاب "التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية" الذي جمعه إبراهيم القوقاسي من كتب تركية في التاريخ العثماني ثم ترجمه إلى العربية فهو أول كتاب يصدر بالعربية في ذلك المجال ويطبع في مصر عام ١٩٠٥م. وفي عام ١٩١٤م جرى طبع كتاب أعده جلال الدين نوري بك حول عهد السلطان عبد الحميد بعنوان "عبد الحميد من ولاية العهد إلى المنفى". وظهرت لهذا الكتاب طبعة ثانية في عام ١٩٢٥م.

وانقضت مدة طويلة بعد ذلك التاريخ لم يطبع فيها عمل مترجم عن تاريخ العثمانيين حتى طبعت أول ترجمة لكتاب وَضَعَه علي همت بركي أحد علماء الترك المحدثين عن حياة السلطان الفاتح العدلية. وقد نشرت ترجمة هذا الكتاب في سنة ١٩٥٣م ذكرى مرور خمسمائة سنة على فتح مدينة استانبول، ووقع ذلك نتيجة للقاء الذي تم بين المؤلف وصديقه العالم التركي الأصل محمد إحسان أحد مؤسسي الدراسات التركية في مصر عند زيارة المؤلف للقاهرة في ذلك التاريخ. وجرت الألسنة منذ ذلك على أن تلك الترجمة تحظى بمكانة فريدة بين الترجمات الأخرى في هاتين اللغتين، سواء كان من حيث الرصانة في الأسلوب العربي أم كان في الإضافات التي وضعها المترجم.

(٦) لم نتمكن من الوصول إلى معلومات حول الطبعة الثانية من الكتاب.


بمناسبة الاحتفال بمرور خمسمائة عام على فتح استانبول

العاهل العثماني

أبو الفتح السلطان محمد الثاني

فاتح القسطنطينية

وَ

حياته العدلية

تأليف

علي همت بركي الأقيكي

من رؤساء محكمة النقض بتركيا سابقاً

تعريب

محمد إحسان بن عبد العزيز

الترجمة العربية التي قام بها محمد احسان أفندي والد المؤلف لكتاب علي همت بركي بمناسبة مرور خمسمائة عام على فتح استانبول

وكان البرنس محمد علي توفيق قد اختار بعضاً من الوثائق التاريخية الخاصة بعهدي الخديوي إسماعيل والخديوي توفيق ثم جرت ترجمتها وطباعتها في كتاب تحت عنوان "خديوية مصر: بعض الوثائق التاريخية عن عهد ساكن الجنان إسماعيل باشا وتوفيق باشا". وكان محمد زاهد الكوثري أحد علماء العثمانيين الذين استوطنوا مصر في العهد الأخير هو الذي قام بالترجمة، وطبعت هناك عام ١٩٤٨م. ويبدو أيضاً أن الكوثري هو الذي قام بالترجمة العربية للرسائل التركية التي أرسلتها الأميرة أمينة نجيبة خانم (ت

١٩٣١م) زوجة الخديوي توفيق إلى ابنها عباس (عباس حلمي الثاني)، ثم نُشرت سنة ١٩٤٦م في كتاب يضم خواطر البرنس محمد علي توفيق.

وكان كتاب "تاريخ الترك في آسيا الوسطى" الذي جمع فيه بارتولد محاضراته في ذلك الموضوع هو أول ثمرة في عملية نشر جادة قام بها في الترجمة من التركية الدكتور أحمد السعيد سليمان أحد كبار علماء التركيات المصريين من الجيل الأول في مصر بعد أن أنهى تعليمه في استانبول وباريس وعاد إلى بلده في أواسط العقد السادس من القرن الماضي. وظهرت الطبعة الأولى من الترجمة عن النص التركي في سنة ١٩٥٦م، ثم أعقبتها طبعة ثانية في سنة ١٩٥٨م. أما الترجمة المهمة الثانية التي قام بها أحمد السعيد فكانت للكتاب الذي وضعه فؤاد كوپريلي، وخرجت في سنة ١٩٦٧م تحت عنوان "قيام الدولة العثمانية" *Osmanlı Devleti'nin kuruluşu*، ثم أعقبتها طبعة ثانية في سنة ١٩٩٣م. كما قام أحمد السعيد بترجمة كتاب خليل أدهم (ألدم) المعروف باسم *Düvel-i İslamiye* مع وضع بعض الإضافات عليه ثم طبع سنة ١٩٧٢م تحت عنوان "تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة".

وطُبعت في مصر عام ١٩٠٧م ترجمة لكتاب مهم وَضَعَه النمساوي شلختا Ottocar Schlechta-wssehrd في القانون الدولي تحت عنوان حقوق الأمم. وكان هذا الكتاب قد ظهر في فينا عام ١٢٦٣هـ وفي استانبول عام ١٢٩٥هـ تحت عنوان (حقوق ملل)، فقام نوفل بن نعمة الله نوفل الطرابلسي بترجمته إلى العربية وطبع لأول مرة في بيروت سنة ١٨٧٣م.

ومن الأعمال المهمة الأخرى التي طبعت بالعربية في مصر ترجمة مع بعض الإضافات لقسم قام به الدكتور أحمد فؤاد متولي والدكتور الصفصافي أحمد المرسي من الكتاب المهم (مرآت الحرمين) الذي بدأه في سنة ١٨٧٢م وانتهى منه بعد خمس عشرة سنة رجل الدولة العثماني المربي والمؤرخ أيوب صبري باشا (ت ١٨٩٠م). وهو كتاب يتحدث عن تاريخ شبه الجزيرة العربية وطبيعتها الجغرافية، وطبع في مصر مرتين باسم (مرآة جزيرة العرب) (١٩٨٣ و ١٩٩٩م).

وقام الدكتور محمد هريدي أحد متخصصي الدراسات التركية المصريين من الجيل الثاني بترجمة كتاب *Modern Türk edebiyatının ana çizgileri* الذي وضعه أستاذه المشرف عليه في الدكتوراه البروفسور كنعان آقيوز أحد أساتذة كلية اللغة والتاريخ والجغرافيا في أنقرة تحت عنوان معالم الأدب التركي الحديث، ثم طبعت الترجمة في سنة ١٩٨٢م.

وفي سنة ١٩٩٦م قام الدكتور سيد محمد السيد، وهو باحث مصري في التاريخ العثماني ومن المنسوبين للجيل الثالث وأعد رسالة الدكتوراه مع المرحوم الأستاذ الدكتور بكير كوتوك أوغلى، بترجمة عدد من البحوث في التاريخ العثماني، ثم طبعت في كتاب يحمل عنوان "دراسات في التاريخ العثماني". وهو يضم مقالات كتبها على الترتيب: خليل اينالجيق وعصمت پارمقسز أوغلى ومجتبى إيلگورل وكمال قارپات(٧). وظهر كتاب عربي آخر أعده نفس الباحث تحت عنوان "النقود العثمانية" ضَمّنه عدداً من المقالات في السكة العثمانية له ولاثنين من الباحثين الأتراك هما: مصطفى أوزتورك وشوقي نزيهي آيقوت، ثم طبع الكتاب سنة ٢٠٠٣م.

وهناك ترجمة جادة أخرى نُشرت في السنوات الأخيرة، وهي مذكرات بابورشاه. وكان الأستاذ رشيد رحمتي آرات قد نقلها من الجغتائية إلى لهجة تركيا، *Vekayi: Babur'un hatıratı* (Ankara 1943)، فقامت إحدى تلميذاتنا الدكتورة ماجدة مخلوف من الجيل الثالث بين باحثي التركيات المصريين بترجمة الكتاب فَأَثْرَتْ به المكتبة العربية (٢٠٠٢م).

وفي عام ١٩٩٢م قام إسماعيل صادقلر بترجمة الكتاب الذي ألفه ميم كمال اوكـه *II. Abdülhamid, Siyonistler ve Filistin Meselesi* إلى العربية تحت عنوان "السلطان عبد الحميد الثاني بين الصهيونية والمشكلة الفلسطينية".

أما الترجمة العربية التي قام بها عبد السلام أدهم تحت عنوان "الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية" لكتاب عزيز سامح إيلتر مبعوث ولاية أرزنجان (*Şimâlî Afrika'da Türkler*) فقد طبعت سنة ١٩٩١م.

ونشهد أيضاً عدداً من الترجمات المطبوعة في مصر لكتب وضعها بركت زاده عبد الله جمال الدين أفندي أحد العلماء العثمانيين في العهد الأخير وقاضي مصر. فقد طُبع له في سنة ١٩٠٠م كتابان مترجمان إلى العربية، أحدهما باسم "الاحتجاب" كَتَبَه رداً على كتاب قاسم أمين بك مستشار محكمة الاستئناف في مصر حول موضوع تحرير المرأة،

---

(٧) هو كتاب يتشكل من ترجمات المقالات الموجودة في قسم العثمانيين ضمن مادة "الأتراك في الطبعة التركية من دائرة المعارف الإسلامية" وتوجد فيه المقالات التالية للمؤلفين المذكورين على النحو التالي: Halil İnalcık, "Başlangıçtan XVI. Asrın sonuna kadar"; İsmet Parmaksızoğlu, "XVII. Yüzyıl"; Mücteba İlgürel," XVIII. Yüzyıl" ve Kemal Karpat,"19-20. Yüzyıl,,.

والثاني بعنوان "السياسة الشرعية في حقوق الراعي وسعادة الرعية" كَتَبَه مع بعض الأمثلة من التاريخ الإسلامي في موضوعات شتى تتعلق بالسياسة الشرعية. وفي سنة ١٩٠٢م تم جمع ثلاث رسائل لجمال الدين أفندي فترجمت إلى العربية تحت عنوان "آثار جمال الدين". وكان مترجمها وناشرها هو يوسف سامح المعروف بالأصمعي المقيم في مصر والذي سبق أن تحدثنا كثيراً عنه.

وعدا كل ذلك فقد طُبعت أيضاً كتب مترجمة عن التركية لكاتبات مصريات. إذ تُرجمت إلى العربية بعضُ الكتب التي ألفتها الأميرة قدرية حسين (١٨٨٨ – ١٩٥٥م) ابنة السلطان حسين كامل الذي تولى حكم مصر بعد عزل الانجليز لسلفه الخديوي عباس حلمي، وطُبعت تلك الأعمال خلال سنوات ١٩٢٠ – ١٩٢٤م. وقد قمنا خلال هذه الدراسة بالتثبت من وجود ستة كتب مطبوعة لتلك الأميرة على ذلك النحو. فهناك خمسة منها قام بترجمتها عبد العزيز أمين الخانجي، وواحد ترجمه مصطفى عبد الرزاق، وجميعها تدل على أن الأميرة كانت قادرة على التعبير عن خواطرها وأحاسيسها بأسلوب أدبي رائق.

ونذكر هنا ترجمة أخرى ذات مكانة متميزة بين الترجمات المطبوعة في مصر، وهي لكتاب ألفه بالتركية الصدر الأعظم أحمد عزت باشا (فورغج) (١٨٦٤ – ١٩٣٧م) في موضوع العلاقة بين الدين والعلم تحت عنوان (دين وفن)، وأنجز الترجمة حمزة طاهر السالف الذكر. ولم يكن الرأي متجها لطباعة ذلك العمل في تركيا آنذاك فتم إرساله إلى القاهرة، وهناك تُرجم إلى العربية ثم طبعت الترجمة (١٣٦٧هـ [١٩٤٨م]).

ويُذكر من بين الكتب التي توصلنا إلى أنها تُرجمت من التركية إلى العربية وطبعت في القاهرة كتاب يدلنا على أن اللغة التركية كانت ما تزال تحظى بالأهمية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر في مصر، وهو العمل الذي ترجمه عبد الله فكري باشا مع بعض الإضافات وعُرف باسم "المقامة الفكرية السنية في المملكة الباطنية". وعبد الله فكري هو نجل ضابط مصري نشأ في عهد محمد علي باشا، وولد في مكة عام ١٨٣٤م حيث كان يعمل أبوه، وبعد أن أكمل تعليمه في الأزهر عمل في وظائف رسمية مختلفة اعتباراً من عام ١٨٥١م، حتى لفت نظر الخديوي إسماعيل فعينه في سنة ١٨٦٦م مدرساً لأولاده توفيق وحسين وحسن يقوم بتعليمهم التركية والفارسية. وتم إيفاده إلى استانبول في مهام مختلفة، وتعلم اللغة التركية فأجادها إلى جانب عربيته الرصينة. وقد عمل عبد الله فكري



عبد الله فكري باشا مؤلف "المقامة الفكرية السنية في المملكة الباطنية"

أيضاً في وزارتي المعارف والأشغال العمومية، وهو أحد المؤسسين للكتبخانة الخديوية (١٨٧٠م) التي ستعرف فيما بعد باسم دار الكتب القومية، وقد أصبح وزيراً للمعارف في سنة ١٨٨٢م. ويذكر عبد الله فكري باشا أنه ترجم ذلك الكتاب من اللغة التركية وقال إن اسمه الأصلي هو (المملكة الباطنية). غير أننا لم نستطع خلال هذه الدراسة العثور على نص تركي مطبوع يحمل ذلك الاسم. ويذكر الباشا في صدر الترجمة أنه شهد كتاباً بهذا الاسم أثناء زياراته المتعددة التي قام بها إلى استانبول مقام الخلافة، وأنه مترجم من بعض اللغات الأجنبية إلى اللغة التركية. وخرج كتاب عبد الله فكري باشا عن كونه ترجمة خالصة، وإنما وضعت له بعض الإضافات، وصيغ باللغة الأدبية المصنعة التي تستخدم في المقامة العربية، وأضيفت إليه بعض نماذج من الشعر العربي القديم. وللكتاب طبعتان،

لكننا لم نستطع الوصول إلى الطبعة الأولى، أما الثانية فقد ظهرت عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م وتقع في ٣١ صحيفة.

ويلفت الأنظار على مستوى الدين والسياسة نصٌ مهم جرت ترجمته في القاهرة من التركية إلى العربية ثم طبع هناك، وهذا النص هو ترجمة للقرار الذي أصدره مجلس الأمة الكبير في تركيا بإلغاء مقام الخلافة الإسلامية. والعنوان التركي لهذا النص هو (تركيا بيوك ملت مجلسنك ٣ مارت ١٣٤٠ تاريخنده منعقد ايكنجى اجتماعنده خلافتك ماهيت شرعيه سى حقنده عدليه وكيلي سيد بك طرفندن إيراد اولنان نطق). أما الترجمة العربية فقد قام بها عبد الغني سني وطبعت في سنة ١٩٢٤م تحت عنوان "الخلافة وسلطة الأمة".

ومن الكتب المطبوعة في مصر خلال السنوات الأخيرة أعمالٌ كثيرة وضعها الداعية التركي المشهور سعيد النورسي وترجمت إلى اللغة العربية. وقد ظهرت الطبعات العربية الأولى من تلك الكتب في استانبول والعراق، وقام الأستاذ إحسان قاسم الصالحي بترجمتها إلى العربية، فظهرت خلال سنوات ١٩٨٣ – ٢٠٠٣م.

ونشهد أيضاً في السنوات الأخيرة عدداً من الترجمات التي جرت من اللغة التركية قام بها الباحث والكاتب العراقي أورخان محمد علي، ومنها كتاب شمس الدين آقبولوك. وهذا الكتاب حول دارون ونظريته في النشوء والارتقاء، وجرى طبعه قبل ذلك في أماكن مختلفة، ثم طُبع في القاهرة سنة ١٩٨٦م. وقام أورخان محمد علي بترجمة كتاب آخر طبع في نفس العام تحت عنوان "الإنسان ومعجزة الحياة". وهو ترجمة لكتاب وَضَعَه خلوق نورباقي باسم *İnsan ve hayat*. كما ترجم أورخان محمد علي كتابين آخرين لمؤلف تركي باسم أميد شيمشك، أحدهما بعنوان *Atom* وجعل ترجمته "الذرة تسبح الله" [١٩٩٥م]، والثاني بعنوان *Kâinatın doğuşu: big bang*، وجعل ترجمته "الانفجار الكبير ومولد الكون" (٢٠٠٣م/ ١٤٢٣هـ).

وبعد فهذه نظرة تحليلية عامة حول ما طبع من ترجمات من اللغة التركية إلى العربية في مصر. ولا يمكن للقارئ استيعاب ما في هذا العرض المختصر من نظرات عامة إلا إذا استعان بالمعلومات والملاحظات الواردة حول المؤلفين والمترجمين وظروف الترجمة في ثنايا الفصول المختلفة للكتاب. وإذا نظر القارئ إلى القائمة الكاملة لهذه الترجمات المدرجة في الكتاب لوجد أن حركة الترجمة من التركية إلى العربية قد مرت بمراحل

متعددة تعبر عن تطور العلاقات الثقافية التركية العربية في مصر، إذ تتحول من اهتمام داخلي وعنصر من عناصر الثقافة المحلية في القرن التاسع عشر إلى مرحلة انعكاس الاهتمام العثماني – التركي في المرآة المصرية في بداية القرن العشرين، ثم إلى مرحلة الاهتمام الأدبي والأكاديمي والمشاركة المصرية في الثقافة التركية بعد النصف الثاني من القرن العشرين.

الفصل الثاني

الطباعة في مصر وما طبع بها
من آثار الثقافة التركية

أولا
بداية الطباعة في مصر

١- أوائل الكتب التركية المطبوعة

كانت أول مطبعة معروفة في مصر بعد دخولها تحت الحكم العثماني قد أقيمت على أيدي اليهود. وقام غرشوم بن اليعازر الذي ينحدر من عائلة عملت بالطباعة على مدى أربعة أجيال بطبع كتابين في القاهرة عام ١٥٥٧م تحت عنوان رفعت هاتلمود وبيترون هلمات (*Ref'at ha- Talmud ;Pitron Halamat*)، وذلك بآلات الطباعة التي جلبها من استانبول؛ واستمر يمارس نشاطه في الطباعة بعد ذلك حتى عام ١٥٦٢م. وعلى الرغم من إشارات بوجود كتب مختلفة طبعت في مصر إلاّ أنه لا توجد معلومات قاطعة حول المطابع التي أقيمت بعد المطبعة اليهودية الثانية التي أسسها ابراهام بن موشيه ياطوم عام ١٧٤٠م أو الكتب التي طبعت فيها. وقد طبع في مطبعة ابراهام بن موشيه كتاب بعنوان حوق لي يتسرائيل *Hok Le- Yisrael*[(١)].

أما الطباعة بالأحرف العربية في مصر فالكل يجمع على أنها بدأت بالمطبعة التي جلبها نابليون بونابرت مع الحملة الفرنسية (١٧٩٨م). وكان أول من أقام المطبعة هناك رجلان جاءا مع الحملة هما: الطبّاع المحترف جوزيف مارك عمانويل أوريل (ولد عام ١٧٧٥م) والمستشرق الفرنسي جان جوزيف مارسيل (ولد عام ١٧٧٦م) الذي طبع نصوصاً باللغات الشرقية. وكان أول نص طبع بالأحرف العربية في مصر هو ذلك الإعلان المؤرخ في ٢١ – ٢٢ يونيه ١٧٩٨م، والذي طبع على يدي جان جوزيف مارسيل في المطبعة المحمولة على ظهر سفينة (أورينت) التي كانت في مقدمة الحملة البحرية التي حملت نابليون وجيشه إلى غزو مصر. وهذا الإعلان العربي العبارة هو ما كتب باسم نابليون خطاباً إلى الشعب المصري، ودعاية للاحتلال الفرنسي. وكانت المطبعة الأولى التي أقامها في الإسكندرية جان جوزيف مارسيل ومارست نشاطها في مصر خلال السنوات الثلاث لاحتلال الفرنسيين هي المطبعة المعروفة باسم Impremerie Orientale et Française. ولم تلبث تلك

---

(١) انظر: Abraham Yaari, "Hebrew printing in Cairo", *Encyclopaedia Judaica*, vol. V, p. 31.

المطبعة أن انتقلت إلى القاهرة بعد فترة وجيزة (يناير ١٧٩٩م). وأصبح اسمها مطبعة القاهرة الوطنية Impremerie Nationale du Caire، وكان يعمل فيها مديران وثلاثة مصححين وثمانية عشر طبّاعاً. أما المطبعة الثانية في القاهرة فهي المطبعة التي كان يمتلكها جوزيف عما نويل مارك أوريل، وعرفت باسمه Impremerie de Marc Aurel. وقد قام الفرنسيون بطباعة ما يزيد على عشرين كتاباً في تلك المطابع، وكان أغلبها في الشئون الإدارية والعسكرية، بالفرنسية والإيطالية واليونانية والتركية والعربية[٢]. والكتب التي تحتوي نصوصاً تركية من بينها هي:

- J.J. Marcel, Alphabet Arabe, Turc et Persan à l'usage de L'Impremerie Orientale et Française.

الاسكندرية، المطبعة الفرنسية الشرقية ١٧٩٨ (انظر اللوحة رقم ١).

ويتكون هذا الكتاب من جداول توضح حروف الأبجديات العربية والتركية والفارسية المستخدمة في المطبعة.

– فرانچه سرگرده لرندن قله بر اسميله مشهور سرگرده نك قاتلى اولان سليمان نام حلبى حقنده وقوع بولان فحص وتفتيش وحكم شرعى حاوى اوراقك مجمعيدر

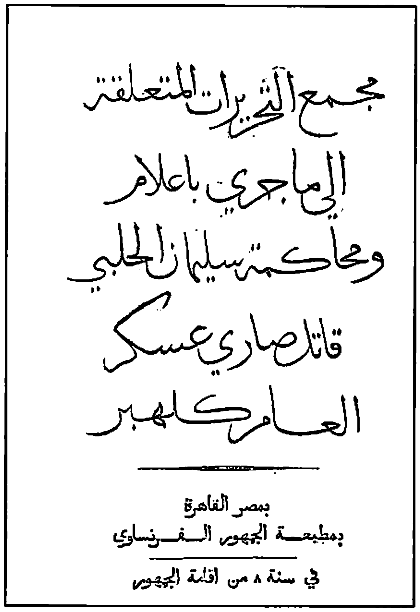
القاهرة، مطبعة الجمهور الفرنساوي، ١٢١٤هـ (١٨٠٠م) (انظر اللوحة رقم ٢).

وهذا الكتاب يروي مصرع جان بابتست كليبر (١٧٥٣ – ١٨٠٠م) قائد الحملة الفرنسية بعد مغادرة نابليون مصر على يدي شاب يدعى سليمان الحلبي في القاهرة، ثم محاكمة ذلك الشاب بعد ذلك، وهو بالتركية والعربية والفرنسية. ويقع القسم التركي في ١٢٨ صحيفة، والقسم العربي في ٨٥ صحيفة، أما الفرنسي فيقع في ٤٧ صحيفة. وتدلنا خاتمة الكتاب على أنهم طبعوا منه ٥٠٠ نسخة. وهو يعد – بغير شك – أول كتاب تم طبعه في مصر باللغة التركية.

---

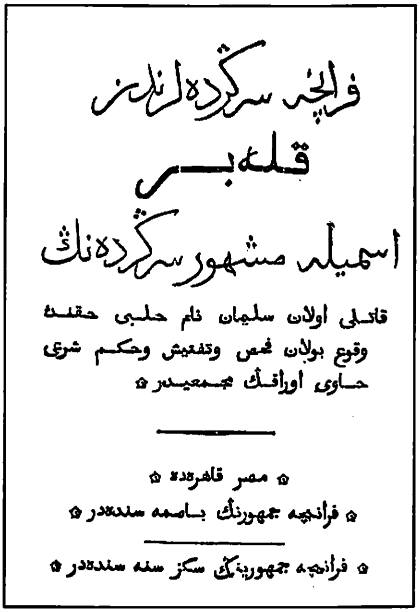
(٢) للتعرف على المطابع المقامة آنذاك والكتب المطبوعة فيها انظر: توفيق اسكاريوس، "تاريخ الطباعة"، الهلال ٢ (٢٢، ١٩١٣/ ١٩٣٧)، ص ١٠٩. وانظر:

Salahaddine Boustany, *The press during the French expedition in Egypt 1798 – 1801*, 2. ed., Cairo: Al Arab Bookshop, 1954; Dagmar Glass- Geoffrey Roper, "The Printing of Arabic books in the Arab world", *Middle Eastern languages and the print revolution: aross- cultural encounter: a catalogue and companion to the exhibition,* ed. Eva Hanebutt- Benz, Dagmar Glass, Geoffrey Roper, Westhofen: WVA-Verlag Skulima, 2002 p. 182 -183.



مجمع التحريرات المتعلقة
الى ماجري باعلام
ومحاكمة سليمان الحلبي
قاتل صاري عسكر
العام كلهبر

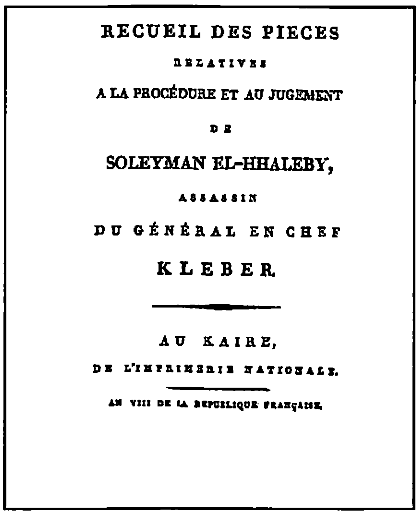
بمصر القاهرة
بمطبعة الجمهور الفرنساوي
في سنة ٨ من اقامة الجمهور



فرانچه سركرده لرندن
قلهبر
اسميله مشهور سركرده نك
قاتلی اولان سليمان نام حلبی حقنده
وقوع بولان فحص وتفتيش وحكم شرعی
حاوی اوراقك مجموعيدر ۞

۞ مصر قاهره ده ۞
۞ فرانچه جمهورنك باصمه سنده در ۞

۞ فرانچه جمهوريتك سكز سنه سنده در ۞

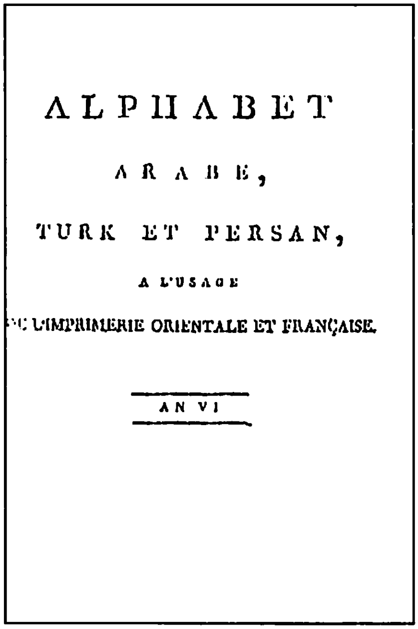


RECUEIL DES PIECES
RELATIVES
A LA PROCÉDURE ET AU JUGEMENT
DE
SOLEYMAN EL-HHALEBY,
ASSASSIN
DU GÉNÉRAL EN CHEF
KLEBER.

AU KAIRE,
DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

AN VIII DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

الأغلفة الداخلية، التركية والعربية والفرنسية لكتاب "فرانچه سركرده لرندن قله بر اسميله..."



ALPHABET

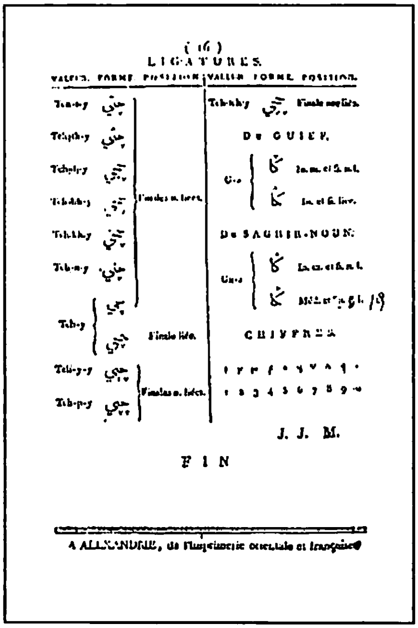
ARABE,

TURK ET PERSAN,

A L'USAGE

DE L'IMPRIMERIE ORIENTALE ET FRANÇAISE.

AN VI



(16)

LIGATURES.

J. J. M.

FIN

A ALEXANDRIE, de l'Imprimerie orientale et française.

الصحيفتان الأولى والأخيرة من كتاب *Alphabet arabe, Turk et Persan al'usage*

كما قامت تلك المطابع أيضاً بطباعة جريدتين فرنسيتين. وكانت جريدة بريد مصر *Le Courier de L'Egypte* هي أولى الصحف التي نشرت في مصر، وبدأت طباعتها في مطبعة مارك أوريل في ٢٩ أغسطس ١٧٩٨م، فأصدرت منها ثلاثين عدداً، ثم طُبعت بعد ذلك في المطبعة الوطنية وتوقفت عند العدد ١١٦. أما جريدة العقد المصري *La Décade Egyptienne* التي صدر عددها الأول في أول أكتوبر ١٧٩٨م فكانت تصدر مرة كل عشرة أيام. بل وفكر الفرنسيون في إصدار جريدة عربية باسم (التنبيه = *L' Avertissment*)، ولكن موضوع صدورها بالفعل أو عدم صدورها أمر لا زال محلاً للجدل(٣). وعندما أضطر الجيش الفرنسي للجلاء عن مصر في عام ١٨٠١م لم يترك شيئاً قط مما يتعلق بالمطبعة.

(٣) Boustany, op.cit., p. 16 – 28.

٢- مكانة الطباعة في حملة التحديث التي بدأها محمد علي باشا

لقد بدأت إقامة المطبعة في مصر وتطورت باعتبارها عنصراً من حملة النهضة المتشعبة الجوانب التي خاضها الوالي محمد علي باشا لتأسيس جيش قوي على الطراز الأوربي. وعلى الرغم من أن استعمال المطبعة لم يكن منحصراً في الأغراض العسكرية وحدها، وشكّل – كما سنرى- المصدر الأساسي للخدمات التعليمية والثقافية المتشعبة فإن فكرة تلبية احتياجات التعليم العسكري في الأساس هي التي شكلت نقطة البداية لإقامة المطبعة.

فقد كان محمد علي يقوم – من ناحية بجهوده من أجل تقوية مصر في المجال العسكري، وشرع من ناحية أخرى في انجاز العديد من التجديدات في مجالات التعليم والزراعة والصناعة والتجارة والاقتصاد. وكان محمد علي يعي العصر الذي يعيشه، ويدرك أهمية التطورات العلمية والتقنية الحادثة في أوربا، ويعرف حملات التجديد التي بدأ تطبيقها في استانبول عاصمة الدولة؛ فشرع هو الآخر في خطوات التحديث في مصر. ولما شعر بحاجته إلى فريق من الخبراء المتخصصين لإحداث التجديدات التي يريد تحقيقها بادر باستدعاء الخبراء من استانبول وأوربا، كما أرسل – إلى جانب ذلك – عدداً من المبعوثين إلى أوربا ابتداءاً من عام ١٨٠٩م حتى يتخصصوا هناك في مجالات بعينها. ولما عاد هؤلاء الطلاب إلى مصر كانت الاستفادة واسعة من معارفهم وتجاربهم(٤). وكان محمد علي يدرك أهمية التربية والتعليم فلم ينتظر عودة الطلاب المبعوثين إلى أوربا، إذ شرع بمساعدة الخبراء القادمين في إقامة المدارس التي تمارس التعليم على الطريقة الغربية اعتباراً من عام ١٨١٦م.

وكان محمد علي يشعر بمدى النقص في الكتب والمصادر، ويدرك أهمية الترجمة في التغلب على ذلك، فكان هدفه من مدرسة الألسن التي أقامها تخريج الطلاب القادرين على الترجمة من اللغات الأوربية، واستطاع بذلك أن يترجم الكتب التي استحضرها من أوربا.

(٤) J. Heyworth – Dunne, *An Introduction to the history of education in modern Egypt*, London: Luzac and Co., p. 106.

ونشهد في مقدمة كتاب بعنوان تاريخ إيطاليا(٥) الذي طبع [بالتركية] في الإسكندرية عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م عبارةً كتبت لأجل محمد علي، وهي من الطرافة إذ تدلنا على أن حركات التجديد التي خاضها محمد علي إنما ظهرت نتيجة لفكر منظم، إذ تقول: "فقد تفضل أولاً ببذل الهمة لتنظيم وتجهيز العساكر المُعَلَّمة المدربة على الأصول الأوربية؛ وصرف ما في مكنته ثانياً لإحداث وإنشاء معامل المدافع والبنادق والبارود وإنشاء المصانع حتى تقوم بتصنيع ما يلزم من أدوات حربية لازمة للعساكر المذكورة؛ وبذل الغالي والنفيس ثالثاً من أجل طبع كتب التعليم (تعليمنامه) وكتب القوانين (قانوننامه)، وطبع ونشر العديد من الكتب النفيسة في فنون الحرب التي هي فرض لأجل تعليم العساكر بحسب الوقت..". وبالنظر إلى العبارة التي توضح المعالم البارزة في حركة التجديد التي بدأها الباشا ومكانة المطبعة في هذا النظام الفكري يتبين لنا أن الهدف الأساسي من التجديد والقوة الدافعة له هو إقامة جيش حديث مدرب على طريقة الجيوش الأوربية. ولا بد لإقامة ذلك الجيش من إقامة المصانع التي تنتج ما يلزم ذلك الجيش من مهمات وسلاح وعتاد عسكري، ثم وجود الكتب التي تساعد على تعليم الجيش وتدريبه وتوفير المعارف الضرورية للجوانب الأخرى في حركة التحديث، ثم إقامة المطبعة التي تزود كل شخص بالقوانين واللوائح والأنظمة اللازمة للإدارة العسكرية والمدنية، فكل ذلك ضروري في خطط تشكيل ذلك الجيش الحديث. وفي عام ١٨١٥م لما فشلت محاولات محمد علي باشا لإقامة جيش نظامي باسم النظام الجديد فكر في تشكيل جيش من السودانيين ومماليكه المخلصين، وقام في نفس الوقت بإرسال شخص سوري يدعى نيقولا المسابكى برفقة ثلاثة شبان آخرين إلى مدينة ميلانو في إيطاليا ليتلقوا تعليمهم هناك من أجل تكوين الفريق الفني الذي سيعنى بأمور المطبعة التي يزمع إقامتها. فلما عاد المسابكى ورفاقه إلى مصر بعد أن درسوا فن الطباعة تم وضعهم تحت إمرة عثمان نور الدين (سقا باشى زاده) أحد رجال الباشا المعتمدين ليشكلوا جميعاً – مع ما كينات الطباعة الثلاث التي أتوا بها من إيطاليا والحروف العربية واللاتينية التي صُبَّت هناك – النواة الأولى لمطبعة بولاق.

(٥) انظر: Carlo G [Botta] تاريخ إيطاليا ، ترجمة عزيز أفندي وحسن افندي، الاسكندرية ، مطبعة سراي الاسكندرية، ١٨٣٣/١٢٤٩، ص ١.

إذاً فقد تأسست تلك المطبعة بيد الحكومة في مصر بعد مضي ما يقرب من مائة عام على قيام المطبعة العثمانية الأولى التي أسسها إبراهيم متفرقة في استانبول عام ١٧٢٧م، وهي تتميز بجانب مهم في قدرتها على الاستمرار وتشكيلها للتقاليد المطبعية في مصر. فالفرنسيون على الرغم من إقامتهم للمطابع في مصر أثناء الاحتلال إلاّ أنها لم تبق طويلاً، وبالتالي لم تترك أثراً باقياً، إذ كانت تعمل في حدود ضيقة، وبالشكل الذي يخدم قوات الاحتلال.

ولم يقتصر الأمر في عهد محمد علي على إقامة مطبعة بولاق وحدها، بل أقيم إلى جانبها مطابع رسمية أخرى بلغ عددها ثماني مطابع، لكنها لم تبلغ ما بلغته مطبعة بولاق في القدرة على البقاء والاستمرار وفي أهمية الكتب التي طبعتها. وقد لوحظ أن مطبعتين فقط من تلك المطابع كانتا تقومان بطبع الكتب التركية، وهما مطبعة ديوان الجهادية في القاهرة ومطبعة سراي الإسكندرية في الإسكندرية.

وكما ذكرنا سالفاً أن إقامة محمد علي للمطبعة كانت مما خطط له كجزء من خطة التحديث، فكان من الطبيعي أن يكون مكان المطبعة المزمع إقامتها في نفس المكان مع أفرع الصنايع الأخرى التي يقيمها ويضعها تحت إشرافه. ومن ثم كانت مدينة بولاق الصناعية الواقعة على شاطئ النيل في شمال غرب القاهرة – حيث توجد الأنشطة الصناعية المختلفة مثل مصانع القطن والكتان والجوخ ومصبغة القماش والمسبك والترسانة ومصنع الورق – هي المكان الطبيعي لإقامة تلك المطبعة. فكانت بولاق – التي تضم أيضاً المهندسخانة – هي أنسب الأماكن لإقامتها وضمان استمرار تقدمها، وستتحول بولاق كذلك إلى جزء من اسم تلك المطبعة التي ستعرف بأسماء مختلفة لمدة من الزمن، وسيصبح اسم (مطبعة بولاق) واحداً من الأسماء اللامعة في تاريخ الطباعة بالحرف العربي.

ثانياً: مطبعة بولاق والكتب التركية التي طبعتها

١- تأسيس مطبعة بولاق

كان لاختلاف التاريخ الذي شُيد فيه مبنى مطبعة بولاق مع تاريخ تركيب آلات الطباعة وتاريخ بداية نشاط الطبع وتاريخ أول كتاب طبع فيها أن تباينت الآراء حول تاريخ واحد لإقامة تلك المطبعة. ولهذا يجب علينا أن نتناول تلك الأمور على انفراد. فقد اختلف الرأي حول أول مكان داخل بولاق أقيمت فيه المطبعة وفي أي تاريخ[٦].

ونشهد أبيات الشعر التركية التالية في نقش كتابي مثبت فوق الباب الرئيسي للمبنى الذي شُيد لأجل مطبعة بولاق (انظر اللوحة رقم ٣) [٧]:



صورة النقش التأسيسي لمطبعة بولاق

حالا خديو مصر محمد علي وزير   أول نامدار دولت ودين صاحب المنح

آثار بيحسابنه ضم ايلدى دخى   يايردى اشبو مطبعه يى بويله پر فرح

هاتف سعيده سويلدى تاريخ تامنى   دار الطباعه در هنرك مصدرى أصح[٨]

---

(٦) للجدل المتعلق بتاريخ إقامة مطبعة بولاق انظر: أبو الفتوح رضوان، تاريخ مطبعة بولاق، القاهرة ١٩٥٣ ص ٤٣ – ٥٠ (حول تاريخ الإنشاء)، و ص ٧٣ – ٧٥ (حول المكان المحدد في بولاق).

(٧) للاطلاع على هذا النقش الكتابي انظر: خليل صابات، تاريخ الطباعة في الشرق العربي، الطبعة ٢، القاهرة دار المعارف ١٩٦٦ ص ١٤٧ وانظر: أبو الفتوح رضوان، المصدر السابق، ص ٤٦.

(٨) وترجمتها:

ويُفهم من الشطر الثاني في البيت الثالث أن إنشاء المطبعة اكتمل في تاريخ ١٢٣٥هـ (١٨١٩ – ٢٠) بحساب الجمل.

وقد جاء في الصحيفة الأخيرة من كتاب وصايا عسكرية (وصايا نامهٔ سفريه) الذي توصلنا إلى أنه أول كتاب طبع في المطبعة وخرج منها في عام ١٢٣٨هـ (منتصف شهر ديسمبر ١٨٢٢م) أنه طبع: "في دار الطباعة التي أنشئت في بولاق ميناء مصر المحروسة".

وكان السوري نيقولا المسابكى هو الذي أرسله محمد علي باشا إلى إيطاليا عام ١٨١٥م ليدرس هناك فن الطباعة، وكان هو المسئول عن شراء آلات الطباعة وتركيبها وصيانتها وإصلاحها، والمسئول كذلك عن تدريب عمال الطباعة، وهو الذي قام بتشغيل المطبعة. وقد تم تركيب ماكينات الطباعة التي اشتراها من ايطاليا في خلال الأول من سبتمبر ١٨٢١م والأول من يناير ١٨٢٢م، وجرى صب حروف المطبعة العربية والتركية واليونانية والإيطالية في ميلانو، بينما تم شراء الأحبار والورق والمواد الأخرى اللازمة من ليغورن وتريستا.

وكان محمد علي يتابع عن كثب عمل المطبعة وما تطبعه من كتب منذ البداية بواسطة عثمان نور الدين ناظر مهندسخانة مصر التركي الأصل الذي عينه الباشا مفتشاً على المطبعة (٨ صفر ١٢٣٧هـ / ٤ نوفمبر ١٨٢١م – يوليه ١٨٢٤) [٩].

وقد ظلت المطبعة تعمل هناك مدة من الزمن، ثم لم تلبث أن انتقلت إلى موضع آخر عام ١٨٢٩م بالقرب من الترسانة، ولما تضاعفت أعمالها تم شراء خمس ماكينات طباعة أخرى عام ١٨٣١م حتى ارتفع عدد الماكينات إلى ثماني.

إنه خديو مصر الحالي الوزير محمد علي　　علم الدولة والدين صاحب المنح
أضافةً إلى آثاره التي لا تحصى　　أقام هذه المطبعة المفرحة
فقال الهاتف لسعيد تاريخها التام:　　إنها دار الطباعة مصدر المعارف الأصح

(٩) أبو الفتوح رضوان، المصدر السابق، ص ٥٦.

ولا توجد لدينا معلومات واحصائيات مفصلة حول عدد العاملين في المطبعة إبان قيامها والفترة القصيرة التي أعقبت ذلك، وكان الرحالة الإيطالي بروشي G. B. Brocchi[١٠] الذي زار المطبعة في ديسمبر عام ١٨٢٢م هو الذي قدم أولى المعلومات عنها، فأشار أثناء الزيارة إلى أنها تعمل منذ أربعة أشهر، ويعمل فيها ١٢ منضداً من الأتراك ومنضد واحد لكل من اللغة اليونانية واللغة الإيطالية. ولعله يقصد بالعدد الأكبر من الأتراك لمن يقومون بالتنضيد العربي والتركي. وبعد ذلك ارتفع عدد العاملين في المطبعة، فبلغ ٤٠ عاملاً في عام ١٨٢٥م، أما خلال عامي ١٨٣٠ – ١٨٤٠م وهي أكثر مراحلها عطاءاً فقد ارتفع العدد إلى ٢٠٠ عامل. ويذكر أبو الفتوح رضوان في جدول أعده للرواتب الشهرية[١١] لعام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م أنه كان يعمل في المطبعة معاون وباشكاتب وباش مصحح وكتبة ومصححون للتركية والعربية والفارسية ومنضدون وخطاطون وصنّاع جداول ومجلدون وغير ذلك من الوظائف التي تبلغ ٢٨ وظيفة مختلفة وتجمع ١٣٦ شخصاً. وبعد عهد محمد علي باشا تضاءلت الأهمية التي كانت تحظى بها المطبعة، فبينما كان عدد العاملين في عام ١٨٤٨م يبلغ ١٦٩ عاملاً انخفض في عهد عباس باشا (١٨٤٨ – ١٨٥٤م) إلى ١٠٣ عمال[١٢].

فلم يكن عباس باشا يهتم كثيراً بالمطبعة، ولم تستطع في عهد خلفه سعيد باشا (١٨٥٤ – ١٨٦٣م) أن تطبع شيئاً عدا الأوراق الرسمية وكتب التدريس لدور النشر الخاصة بسبب عدم كفاية الميزانية. وفي عام ١٨٦١م أقدم سعيد باشا على إغلاق المطبعة بسبب الأزمات الاقتصادية، وجرى إحالتها في ٧ أكتوبر ١٨٦٢م إلى عبد الرحمن رشدي بك[١٣]، وخلال إدارته لها التي استمرت عامين وأربعة أشهر كانت تحمل اسمه (مطبعة عبد الرحمن رشدي). ثم لم يلبث الخديوي إسماعيل باشا أن استعادها منه في فبراير

---

(١٠) G.B Brocchi, *Giornale delle osservazioni fatte nei viaggi in Egitto nella Siria e nella Nubia*,c. I, Bassano 1841, p 173.

ولا يفوتنا أن نشكر هنا الدكتوره ارنديز اوزباي اوغلى على تكرمها بترجمة القسم الذي يتحدث عن زيارة بروشي إلى مطبعة بولاق من الإيطالية إلى التركية.

(١١) أبو الفتوح رضوان ، المصدر السابق ص ١٤٧ –١٤٨.

(١٢) نفسه، ص ١٥٩، ١٧٧، ١٨٠ – ١٨١.

(١٣) نفسه، ص ١٧٥ وما بعدها.

١٨٦٥م لتصبح تابعة للدائرة السنية، وعادت من جديد تحظى بالأهمية والعناية. وفي عام ١٨٦٧م تم تغيير الماكينات اليدوية بماكينات أخرى تعمل بالبخار، فأصبحت المطبعة على أحدث ما يكون، وارتفعت مع ذلك جودة الكتب المطبوعة. وظلت المطبعة تابعة للدائرة السنية إلى أن انتهى عصر إسماعيل وتولى حكم مصر الخديوي توفيق، .. فاستردتها حكومته في ٢٠ يونية ١٨٨٠م (١٣ رجب ١٢٩٧هـ) بعد أن بقيت مدة من الزمن خارجة عن إدارتها[١٤]، وأطلق عليها آنذاك اسم (مطبعة بولاق الأميرية)، الذي ظلت عليه زمناً طويلاً. وبعد هذا التاريخ مباشرة (١٨٨٢ - ١٨٨٣م) رأينا ازدياد عدد الكتب التركية المطبوعة فيها، فقد أخرجت عشرة كتب، ولكن يبدو أن تلك الزيادة كانت بمثابة الوهج الأخير في القنديل عندما ينفد زيته. وعقب التحولات السياسية التي طرأت على مصر وتحويل المطابع إلى مؤسسات مستقلة بقانون صدر في ١٣ أغسطس ١٩٥٦م وضعت مطبعة بولاق تحت إشراف (الهيئة العامة لشئون المطابع).

٢- طباعة الكتاب التركي في مطبعة بولاق

إن طباعة الكتب بالتركية في مصر وهي لغة الأقلية من الناحية الاجتماعية إنما هو أمر لا يتم - حتى وإن كان من الناحية الفنية - إلاّ حسب خطة موضوعة وباتخاذ تدابير ذات أمد طويل. وقد تحقق ذلك بفضل السياسات العملية التي جرى عليها محمد علي باشا وأسلوبه في المتابعة عن كثب، حتى أمكن في خلال فترة قصيرة أن تبلغ الكتب التركية المطبوعة في بولاق درجة يمكنها أن تضارع استانبول من ناحية الكم والجودة على حدٍ سواء.

٣ - جامعو الحروف (المرتبون) والمصححون

شعر محمد علي باشا بحاجته قبل كل شئ إلى منضدين أو مصففين وموظفي تجميع حروف يعرفون التركية، وإلى مصححين يمكنهم مراجعة ما تم تنضيده حتى يمكن انتاج الكتاب التركي في مطبعة بولاق. وتدلنا المعلومات التي توصلنا إليها أنه وجد له - كما وجد لكثير من المشاكل التي تجابهه - حلولاً عملية واقتصادية؛ فقد تم تنشئة المنضدين المصريين ليتولوا عملية التنضيد التي تتطلب جهداً مكثفاً، أما لعملية التصحيح فقد استعان

(١٤) خالد عزب وأحمد منصور، مطبعة بولاق (إشراف وتقديم إسماعيل سراج الدين)، نشر مكتبة الاسكندرية، الإسكندرية ٢٠٠٥م، ص ٨١ - ٨٢.

بالأتراك المدربين المقيمين في مصر. ويزودنا الرحالة الإيطالي بروشي الذي زار المطبعة إبان تأسيسها وسجل انطباعاته حولها بمعلومات جد مهمة في هذا الخصوص، إذ يقول: "قام الباشا قبل ست سنوات من تأسيس المطبعة باختيار مجموعة من الطلاب الذين يدرسون في الأزهر [من المصريين]، وأتاح لهم إمكانية تعلم القراءة والكتابة العربية والتركية بدرجة جيدة. وهؤلاء كانوا من حيث الأساس معدودين من العلماء نظراً لنشئتهم الدينية، ولكنهم عملوا في المطبعة منضددين"(١٥). ويُفهم من تلك العبارة أن مهام التنضيد العربي والتركي كانت تسير معاً. ونلاحظ في جدول الرواتب الشهرية لعام ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م أنه لم تكن هناك تفرقة بين التنضيد العربي والتنضيد التركي فيما بين المنضددين على الرغم من وجود كادر متميز لأجل مصححي اللغة التركية(١٦)، وهذا مما يدعم تلك الفكرة.

إذاً كانت العادة أن يجري اختيار مصححي العربية العاملين في المطبعة من بين علماء الأزهر، بينما يكون اختيار مصححي التركية من بين الأتراك ذوي المهن المختلفة. والغالب أن تذكر في الصحيفة الأخيرة من الكتاب المطبوع أسماء المصححين له مع المعلومات الأخرى المتعلقة بالطبع. وتدلنا إحدى قوائم الرواتب الشهرية لعام ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م أيضاً أن المطبعة في ذلك التاريخ كانت تضم اثنين من المصححين، ويُعرف أقدمهما باسم (باش مصحح). وقد عثرنا أثناء الدراسة في الكتب المطبوعة في بولاق على ما مجموعه ثلاثة عشر اسماً لمصححين للغة التركية (لقائمة المصححين والكتب التي قاموا بتصحيحها انظر الملحق رقم ١).

وكان حسين حسني أفندي (باشا فيما بعد) الذي ارتقى من وظيفة مصحح إلى وظيفة ناظر المطبعة يحتل مكانة متميزة بين مصححي اللغة التركية. وقد بدأ حسين حسني أفندي عمله مساعداً لمصحح التركية نحو عام ١٨٣٠م و "مقابلاً" [أي مراجعاً] في جريدة الوقايع، ثم عمل مصححاً لمدة من الزمن، وجئ به بعد ذلك أيضاً ناظراً للمطبعة مرتين

(١٥) أبو الفتوح رضوان، المصدر السابق، ص ٦٠.

(١٦) نفسه، ص ١٤٨.

(١٨٦٥ – ١٨٨٠ و ١٨٨٢ – ١٨٨٦م)، ثم ترك عمله في عام ١٨٨٦م مع حصوله على رتبة الباشوية[١٧].

٤- طباعة الكتب لحساب الملتزمين

بدأت عملية طباعة الكتب في مطبعة بولاق لحساب الملتزمين ابتداءاً من عام ١٨٣٠م. والملاحظ على هؤلاء الملتزمين أنهم كانوا من باعة وتجار الكتب المخطوطة والمطبوعة ممن يعملون في الغالب داخل سوق الصحافين المجاورة للجامع الأزهر. وكان قصد هؤلاء الصحافين من طباعة الكتب لحسابهم في مطبعة بولاق هو تنويع تجارتهم وتحقيق ربح أكثر[١٨]. وتدلنا المعلومات التي تحتويها القوائم الخاصة بمطبعة بولاق – وهي القوائم الرسمية لمطبوعاتها، وأشرنا إليها في دراستنا هذه على شكل (بولاق ١[١٩]- بولاق ٢[٢٠]- بولاق ٣[٢١]) – على أن كل من شاء طباعة كتاب تركي أو عربي لحسابه كان ملزماً بسداد نفقاته (من ورق وأحبار وغير ذلك فضلاً عن أجور المصححين والعاملين)، ثم يؤدي للميري نسبة العُشر في الربح، وبعدها يسمح له بطباعة الكتاب. كما يُذكر أيضاً أنهم كانوا يتمتعون بتيسيرات في سداد المبالغ، ومهلة من الوقت حتى يسددوها. ونرى في الفهرس المؤرخ في ١٢٦٠هـ [١٨٤٤م] – بعد ذكر أعداد النسخ من الكتب المختلفة المطبوعة وأسعارها في مطبعة بولاق – قائمة لأسماء كتب عربية وتركية في موضوعات العسكرية والتاريخ والرحلات والحقوق والبيطرة والصناعة والهندسة وغيرها جاءت تحت عنوان (في بيان كتب انتهت ترجمتها ولم تبدأ طباعتها، ولكل من يريد فإن هناك رخصة لطباعتها لحسابه)، مما يعني أن المطبعة كانت تدعو الملتزمين الراغبين في طباعة الكتب لحسابهم أن يتقدموا إليها. وتدلنا نوعية الكتب التي يختارها الملتزمون على أنها كانت المفضلة لديهم من الناحية التجارية، وذلك في الوقت نفسه إشارة مهمة على أن الكتب كانت تباع خارج مصر أيضاً.

(١٧) نفسه، ص ١٥٩ – ١٦٢.

(١٨) عايدة إبراهيم نصير ، حركة نشر الكتب في مصر: في القرن التاسع عشر، [القاهرة]، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤.

(١٩) بولاق ١، ص ١١ – ١٢.

(٢٠) بولاق ٢ ، ص ١.

(٢١) بولاق ٣، ص ١.

وقد استطعنا في ضوء المصادر التي أتيحت لنا أن نحصر أسماء أربعة وعشرين ملتزماً ممن كانوا يطبعون الكتب التركية لحسابهم فيما بين عام ١٢٥٥ – ١٣٠٠هـ (١٨٣٩ – ١٨٨٤م) في مطبعة بولاق. وكان أغلبها في الدين الإسلامي والأدب – وخاصة دواوين الشعر – والتاريخ. وهناك من تلك الكتب اثنا عشر ديواناً شعرياً بالتركية. وترد أسماء الملتزمين غالباً في الصحيفة الأخيرة من الكتاب مع المعلومات الأخرى المتعلقة بالطباعة (لأسماء الملتزمين والكتب التي طبعت لحسابهم انظر الملحق ٢).

٥- الحروف المستخدمة في الطباعة

كان نيقولا المسابكي المسئول الفني عن مطبعة بولاق إبان تأسيسها قد أتى معه بالحروف العربية والتركية التي صُبَّت له خصيصاً والحروف الإيطالية واليونانية التي اشتراها جاهزة أثناء وجوده في ميلانو، واستخدمت تلك الحروف في طباعة الكتب الأولى التي خرجت من المطبعة(٢٢). وكانت الحروف العربية والتركية المطبوعة بخط النسخ بثلاثة مقاسات مختلفة. إذ يستخدم الأكبر منها في العناوين، والحجم المتوسط للمتن، بينما يستخدم الأصغر للحواشي والهوامش، وتخلو جميعها من علامات التشكيل. غير أن تلك الحروف المصبوبة في إيطاليا على الأسلوب الأوربي كانت لا تنسجم مع الحس الجمالي ولا مع الذوق السائدين بين القراء في تلقيهم للكتب المخطوطة وعادات القراءة، فلم تحظ بالاستحسان، واتجهت الأنظار إلى استانبول لإعداد قوالب جديدة تناسب ذوق الخط الذي جرى عليه الناس احتذاءاً بالكتب المطبوعة هناك. وقد كان محمد علي باشا يتعقب باهتمام كافة الأحداث الواقعة في استانبول، ويحتذي بها في توجيه خططه للتحديث في مصر، فلم يكن راضياً عن جودة الطباعة في مطبعة بولاق وتدني درجتها عما في استانبول ومخالفة

---

(٢٢) للتعرف على النماذج الأولى من الحروف المستخدمة في مطبعة بولاق يمكن النظر في الصفحات الأولى من الكتب التالية:

- وصايانامهء سفريه (١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م)،
- Dizionario İtaliano e Arabo (1238/1822)
- قانوننامهء عساكر پيادگان جهاديه (١٢٣٨هـ/ ١٨٢٣م)،
- كتاب في صناعة صباغة الحرير (١٢٣٨هـ/ ١٨٢٣م).

الحروف للذوق العثماني المعروف، فطلب هو نفسه أن يجري تغييرها، وأصدر أمره بذلك في وثيقة حملت تاريخ الرابع من نوفمبر ١٨٢١م (٨ صفر ١٢٣٧هـ) [٢٣].

وقد ورد في الوثيقة أن هناك رجلاً هندياً ظهر أنه موجود في مصر آنذاك، وأنه يجيد الخط، ويعرف "بعض اللغات"، ثم يطلب في الأمر تعيينه مدرساً للفارسية و"قيامه بتعليم الخط للعاملين إلى جانب سقا زاده عثمان أفندي في بولاق". ومما يلفت الأنظار في ذلك الأمر أيضاً عبارة "العاملين إلى جانب عثمان أفندي" دون ذكر المطبعة مباشرة. فهي تدلنا على أن مطبعة بولاق كانت في طور التكوين، وتدلنا أيضاً على مدى عناية الباشا بها ومتابعته لحركة سيرها منذ اليوم الأول. ويبدو من ذلك الأمر الصادر قبل تاريخ طباعة أول كتاب في المطبعة (ديسمبر ١٨٢٢م) أنها قامت بطباعة أشياء على سبيل التجربة، ولعلها تكون طبعت أوراقاً ومستندات رسمية مما تحتاجه الدوائر الرسمية. كما يُفهم من مشاهدات بروشي الرحالة الايطالي الذي زار المطبعة في ديسمبر ١٨٢٢م أن المطبعة قامت في أول عهدها بطباعة بعض النصوص الإدارية والحقوقية كاللوائح والقواعد وغير ذلك مما تحتاجه الإدارة ولم تصلنا نماذج منها.

وكان ذلك الرجل – الذي ورد في المصادر المصرية باسم سنكلاخ الهندي[٢٤]– قد كُلِّف بكتابة حروف النسخ والتعليق للمطبعة، والإشراف على صب تلك الحروف، فقام أولاً بكتابة حروف النسخ (عند أواخر عام ١٨٢٣م)، ثم أعقب ذلك بكتابة حروف التعليق (عند أواخر عام ١٨٣١م) التي كانت تتطلب وقتاً أطول وعملاً أكثر تشعباً، ثم جرى إعداد قوالبها وصبِّها.

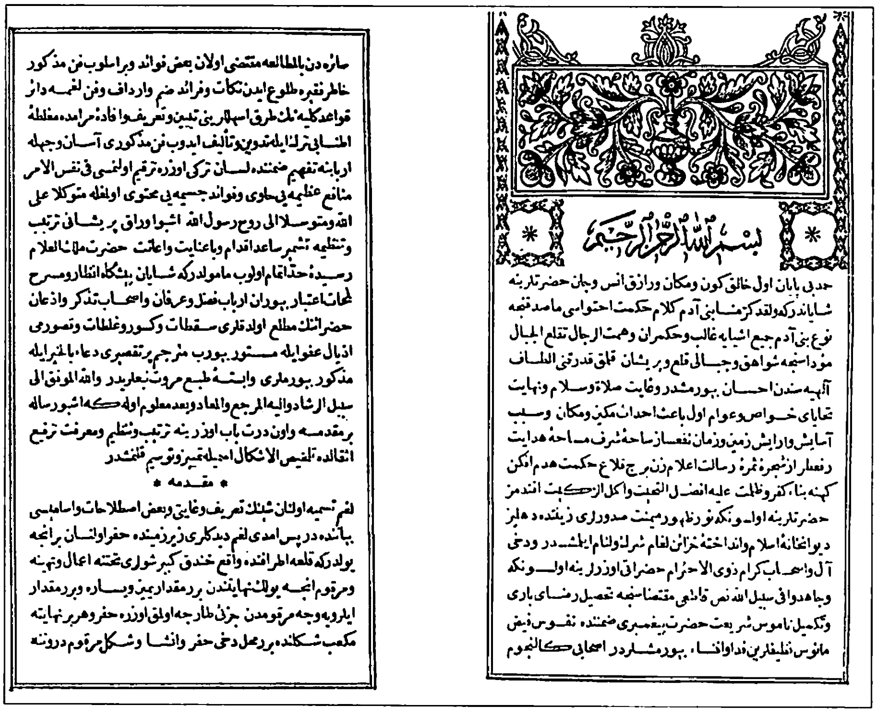
وكان أول كتاب طبع بحروف النسخ الجديدة هو كتاب تركي باسم رسالة الألغام (١٢٣٩هـ/١٨٢٤م)، وأعجب محمد علي باشا بجودته، ووصفه بأنه "بديع الخط والطباعة"[٢٥] (اللوحة ٥). ومن أبرز الأمثلة التي توضح كيف كان محمد علي مشغولاً

(٢٣) دفاتر الأوامر العلية المؤرخة في ٨ صفر ١٢٣٧، الدفتر ٩ ، الوثيقة ١٤٨ أمر من محمد علي باشا إلى الكتخدا لاظ محمد بك ، أرشيف سراي عابدين (رضوان، المصدر السابق، ص ٩١ الهامش رقم ١).

(٢٤) لم نستطع الوصول إلى شخص باسم سنكلاخ الهندي، ولعل المقصود هنا هو سنكلاخ الخراساني، وقد قمنا بالتعريف به (انظر الحاشية رقم ٤ فصل تدريس اللغة الفارسية وآدابها في مصر).

(٢٥) أمر إلى الكتخدا بك ، ٢٤ جمادى الأخرة ١٢٣٩ (٢٦ يناير ١٨٢٤). أرشيف سراي عابدين، دفاتر الأوامر العلية، الدفتر ١٨ ، الوثيقة ١٨ ، ص ١٧ (رضوان، المصدر السابق، ص ٩١ ، الهامش رقم ٢).

بموضوع اللحاق بمستوى الطباعة الاستانبولية، وكيف كان يتابع عن كثب ما كان يطبع من كتب هو طلبه أن تعاد في بولاق من جديد طباعة ترجمة القاموس المحيط للفيروز آبادي التي وضعها المترجم عاصم (ت ١٨١٨م) وطبعت في استانبول في ثلاث مجلدات (١٨١٤-١٨١٧م). ولكي يخرج ذلك الكتاب "بما يوافق طباعة استانبول" ويظهر بذلك المستوى أمر الباشا من رجاله المقربين كتخداه لاظ اوغلى محمد بك وإبراهيم أدهم بك بالتوجه إلى المطبعة لفحص جودة الحروف وإصدار التعليمات اللازمة(٢٦). كما أن نشر الأخبار المتعلقة بذلك الكتاب بعد ذلك في جريدة الوقائع المصرية إنما هو أمر ذو مغزى يكشف عن مدى اهتمام الباشا(٢٧).



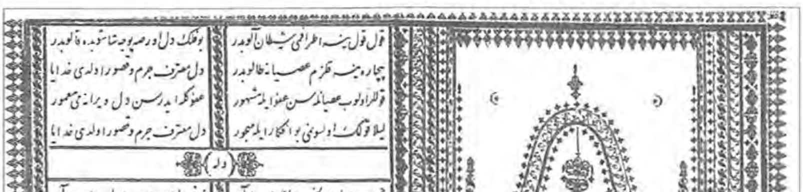
صحيفتان من أول كتاب يطبع في المطبعة بأحرف النسخ الجديدة وكان بعنوان "تلخيص الأشكال في معرفة ترفيع الأثقال في فن لغم" (بولاق ١٢٣٩هـ [١٨٢٤م])

(٢٦) الوقايع المصرية، رقم ٣٥٨ (١٩ شوال ١٢٤٧/ مارس ١٨٣٢).

(٢٧) الوايع المصرية ، رقم ٣٩٨ (٢٩ محرم ١٢٤٨/ يونيو ١٨٢٣).

وكان إعداد قوالب أحرف التعليق وصب الحروف نفسها قد استغرق وقتاً طويلاً مثلما حدث عند كتابتها أيضاً، فلم يكن تجهيزها للاستخدام في الطبع أمراً هيناً (نهاية ١٨٣١-سبتمبر ١٨٣٢م). فلما ظهرت تلك الحروف كانت مفخرة لمطبعة بولاق وسبباً في ذيوع شهرتها، وكان أول كتاب طبع بها كتاب (گلستان)(١٢٤٩هـ/١٨٣٣-٣٤) لسعدي الشيرازي. وقد حازت الطباعة إعجاب الباشا ورجاله المحيطين به، بل ولقيت اهتماماً وتقديراً لدى أوساط المستشرقين المعنيين بوجه خاص بالعالم العثماني والثقافة الإسلامية.

وعلى هذا النحو تقدمت طباعة بولاق بتلك الحروف الجديدة على طباعة استانبول وفاقتها في الجودة، ولسوف تحظى بشهرة واسعة وخاصة لدواوين الشعر التركية التي بدأت بطباعتها اعتباراً من عام ١٢٥٢هـ (١٨٣٦م)، وتصبح محلاً لاهتمام كبير في تركيا العثمانية وبين المتحدثين باللغة التركية.


ديوان ليلا خانم
بسم الله الرحمن الرحيم
نعوت النبي عليه السلام
مناجات

ديوان ليلى هانم (بولاق ١٢٦٠هـ [١٨٤٤م])

ويخبرنا القسم الأخير في قائمة لمطبعة بولاق تحمل تاريخ عام ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م أن حروف التعليق الجديدة قد تم صبّها، وأن ديوان ليلى هانم هو أول ما طبع بها، كما يُذكر أن هذه الحروف الجديدة تفوق حروف التعليق القديمة. وهذا يدلنا على أن حروف التعليق التي جرى استخدامها منذ عام ١٨٣٣م قد تم استبدالها بحروف تعليق جديدة، وبدأ استخدامها ابتداءاً من عام ١٨٤٤م. وقد كانت حروف التعليق التي يغلب استخدامها في طبع دواوين الشعر عاملاً مهماً في رواج تلك الدواوين خارج القاهرة والمدن الأخرى مثل مدينة استانبول.

وفي عهد الخديوي إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩م) عندما جرت عملية إعادة تنظيم مطبعة بولاق وتطويرها من جديد (وهو العهد الذهبي الثاني لها) كُلف أحد الخطاطين ويدعى حسني بإعداد حروف جديدة للمطبعة، ثم تولى صبّها عبد الله خيرت أفندي، ثم شرعوا في استخدامها سنة ١٨٧٢م[٢٨]، بدلاً من الحروف التي كانت مستعملة منذ سنة ١٨٤٤م. وفي معرض فينا لعام ١٨٧٣م تم عرض الكتب المطبوعة بتلك الحروف الجديدة، جنباً إلى جنب مع الكتب المطبوعة بالحروف القديمة الجميلة، فكانت علامة "للافتخار" و"التميز"[٢٩].

٦- التأثير المتبادل بين طباعة استانبول وطباعة بولاق[٣٠].

لقد كانت طباعة الكتب بالحرف العربي التي بدأت مع إقامة مطبعة إبراهيم متفرقة في استانبول هو المثال الأوحد الذي ظهر فوق أراضي الدولة العثمانية، واستمر ذلك حتى قيام مطبعة بولاق بطباعة أول كتاب تركي لها عام ١٨٢٢م. فقد ظلت تلك الكتب المطبوعة في استانبول هي صاحبة الريادة في فن الطباعة لمدة طويلة، ليس في العالم

---

(٢٨) حول أحرف الطباعة المستخدمة في مطبعة بولاق انظر: رضوان، المصدر السابق، ص ٩٠ – ٩٧.

(٢٩) رضوان، المصدر السابق، ص ١٩٠ – ١٩٣. ويذكر رضوان في ص ١٩٠ (الهامش ٣) أنه شهد كتيباً نادراً ليس له عنوان ولا تاريخ صدر بمناسبة السركي العمومي أي المعرض العام الذي أقيم في فينا عام ١٨٧٣م، وأنه يشتمل على مقالة بالعربية في تعديد جوانب نشاط المطبعة ومزايا إقامة المعارض، ثم نماذج من كل القواعد أو حروف الطبع الموجودة بالمطبعة، كل قاعدة موصوفة في بيتين من الشعر طبعاً بحروفها لتصويرها، ثم قائمة ببعض مطبوعات بولاق في عهد الدائرة السنية، ثم ترجمة ذلك كله – ما عدا قائمة المطبوعات – باللغة التركية، وفي الكتاب ٣٣ صحيفة في القسم العربي و ١٣ صحيفة في القسم التركي.

(٣٠) للمزيد من المعلومات انظر: Ekmeleddin İhsanoğlu - Hatice Aynur, "Yazmadan Basmaya Geçiş: Osmanlı Basma Kitap Geleneğinin Doğuşu (1729-1848). Osmanlı Araştırmaları, XXII, Prof. Dr. Nejat Göyünç'e Armağan , I İst. 2003, s. 219 - 255.

العثماني وحدة، وإنما في شتى أنحاء العالم الإسلامي. وكانت تمثل لمطبعة بولاق بوجه خاص نموذجاً يجري الاحتذاء به، أو بمعنى آخر فإن مطبعة بولاق عند قيامها وجدت مرجعها الأعلى جاهزاً في استانبول.

والجدير بالذكر أن العلاقة بين ما طبع في مطابع استانبول وما طبع في مطبعة بولاق جد متشعبة، وتدعونا لدراستها في العديد من الجوانب. وقبل كل شئ لا بد من القول إن مطبعة بولاق قد وجدت – كما ذكرنا سابقاً – تجربة طباعة الكتب في مطابع استانبول جاهزة، ولها تاريخ يقرب من قرن من الزمان بحيث يمكنها أن تمثل نموذجاً للاحتذاء. فكيف تأثرت مطبعة بولاق من تلك المطابع ومن الكتب التي طبعتها، وما هي أبعاد ذلك التأثر، وكم عدد الكتب التي طبعتها بعد طباعة استانبول لها، وهل جرى طبع تلك الكتب بنفس الشكل والمحتوى، وما هي تلك الكتب. إن الإجابة على هذه الأسئلة ذات أهمية كبيرة في إلقاء الضوء على تاريخ الكتاب التركي وعلى تاريخ الطباعة بالحرف العربي بوجه عام.

لقد بلغ عدد الكتب التركية التي طبعت في مطبعة بولاق على أيام محمد علي باشا (١٨٢٢ – ١٨٤٨م) ٢٥٣ كتاباً. وهذه الكتب سبق أن طبع منها في استانبول قبل ذلك ٥٣ كتاباً، بينما طبع لأول مرة ١٢٢ كتاباً منها في مطبعة بولاق أيام محمد علي، ثم أعيد طبعها في استانبول بعد ذلك.

وتظهر ملامح تأثير الكتب المطبوعة في استانبول على الكتب المطبوعة في بولاق في الخصائص الشكلية، أي في أساليب الزخرفة، ونوع الخط، والمعلومات المدرجة في قيد الفراغ (الكولوفون). وهذا التأثير يبدو جلياً في زخرفة الصدرية [الصفحتان الأوليان]. فقد استخدمت بكثرة نفس الأكاليل [الصحيفة الأولى المزينة في صدر الكتاب] في طبعات استانبول وطبعات بولاق على السواء مع بعض الفوارق البسيطة. ولكن الملاحظ أن صدرية الكتاب المطبوع في استانبول لا تستخدم في نفس هذا الكتاب إذا أعيد طبعه مرة أخرى في بولاق، وإنما في كتب أخرى على الأغلب. والمثال على ذلك أن صدرية كتاب **تاريخ واصف** المطبوع في استانبول عام ١٢١٩هـ [١٨٠٤م] لم تتكرر في طبعة بولاق عام ١٢٤٣هـ [١٨٢٧م] ولا في طبعة عام ١٢٤٦هـ [١٨٣٠م]، بينما تكررت بعينها في

طبعات بولاق من كتاب أخلاق علائي المؤرخ في ١٢٤٨هـ [١٨٣٣م] وكتاب جر الأثقال المؤرخ في ١٢٤٩هـ [١٨٣٤م].

وهناك عنصر آخر كان له الأثر الأكبر في تحديد قَطْع وشكل الكتاب المطبوع، سواء كان في استانبول أم كان في بولاق، ألا وهو " تقاليد الكتاب المخطوط " التي ظهرت وتطورت على مدى القرون الماضية. ودواوين الشعر المطبوعة في بولاق هي أبدع الأمثلة على مدى تأثير أساليب وتقاليد الكتاب المخطوط على الكتاب المطبوع. والأمر الذي يلفت النظر أن السبعة والخمسين كتاباً أدبياً تركياً والتي أمكننا التثبت من أنها طبعت في بولاق على أيام محمد علي إنما تمثل الدواوين الشعرية ثمانية وعشرين كتاباً منها. وتدلنا خصائص الطباعة في تلك الدواوين ونوع الخط المستخدم والزخارف على الذوق السائد في طباعة الكتاب آنذاك، أو بمعنى آخر مدى تأثير ذوق الكتاب المخطوط على الكتاب المطبوع.

ونلاحظ أن النص في (وصايا نامهٔ سفريه) أول كتاب خرج من مطبعة بولاق يبدأ من الصحيفة الأولى بالبسملة، أو بمعنى آخر يبدأ بما تبدأ به الكتب المخطوطة في العادة، ولا يوجد في الصحيفة شئ من الزينات. ويأتي الكتاب التركي الثاني المطبوع في بولاق أيضاً وهو (قانوننامهٔ عساكر پيادگان جهاديه) على نفس الشاكلة. ولعل السبب في تلك البساطة الواضحة في كتب العسكرية أنها كانت من كتب التدريس "الإلزامية".

وتأتي عبارة قيد الفراغ (colophon) المستخدمة في الكتب التركية المطبوعة في بولاق جرياً على أسلوب الكتب المخطوطة واستمراراً في نفس الوقت لأساليب الطباعة الاستانبولية. ويلاحظ فوق ذلك أن المعلومات الخاصة بقيد الفراغ، ولا سيما في كتب العسكرية والقوانين التركية قد رجح وضعها باللغة التركية. ولعل ذلك راجع إلى أن مؤسس المطبعة وحاميها الوالي محمد علي باشا لم يكن يعرف لغة غير اللغة التركية، وأن قراء تلك الكتب هم الإداريون العسكريون والمدنيون الذين يتحدثون هذه اللغة.

فاللغة التركية هي لغة قيد الفراغ في كتاب (وصايانامه' سفريه) أول كتاب جرى طبعه في مطبعة بولاق[٣١]. وقد أخذت عبارات المديح الطويلة للوالي محمد علي مكانها فيه، كما ورد مكان المطبعة وتاريخ الطباعة باليوم والشهر. وفي الكتاب الثاني أيضاً جاء قيد الفراغ بالتركية. أما قيد الفراغ في الكتب المطبوعة بعد ذلك فقد ورد بالعربية أحياناً وبالتركية أحياناً أخرى. وكتاب **تلخيص الأشكال في معرفة ترفيع الأثقال** لحسين رفقي الطماني مثلاً المطبوع في بولاق عام ١٢٣٩هـ (١٨٢٤م) قد جاء قيد الفراغ فيه باللغة العربية. كما يتميز قيد الفراغ في الكتب المطبوعة في بولاق أيضاً بخاصية أخرى، وهي ذكر اسم المصحح واسم الملتزم (أي الشخص الذي طُبع الكتاب لحسابه) واسم مدير المطبعة أثناء طبع الكتاب[٣٢].

٧- بيع كتب بولاق في تركيا العثمانية

تشير المراجع المعاصرة إلى أن الكتب المطبوعة في بولاق كانت تلقى استحساناً ورواجاً في تركيا، ووجود نسخ منها اليوم في العديد من المكتبات والمجموعات الخاصة في تركيا دليل واضح آخر على ذلك. ويذكر الدكتور پرون Perron مدير مدرسة الطب المصرية وهو يتحدث في الخطابات التي أرسلها إلى أصدقائه حول المدارس والمطبعة في مصر أن المطبعة كانت تطبع الكتب الرسمية المقررة إلزامياً على المؤسسات التعليمية، وأن هناك عدا ذلك كتب تطبع لحساب الملتزمين من تجارها، ولم تكن تلقى

---

(٣١) ورد في قيد فراغ (كولوفون) كتاب **وصايانامه' سفريه** العبارات التالية (بالتركية): هذه النسخة النادرة في فنون الجهاد النافع للعباد والتي زينت باللسان التركي العذب البيان إنما هي من الآثار الجليلة والفضائل الجزيلة لأستاذ كامل، وهي تتضمن أصول وأساليب الحرب والجهاد التي يلزم معرفتها. وقد تم طبعها وتكثيرها بغية حماية كافة أمة (محمد) خير الأنام وحراسة عامة بلاد أهل الإسلام تطبيقاً للإرادة العلية السامية الصادرة من المشير الحالي صاحب التدبير، الوزير العديم النظير صاحب المرحمة ولي النعم وحامي رقاب الأمم الغازي أفندينا الحاج محمد علي باشا وفقه الله لما يريد وما يشاء. وكان الختام من تنظيم سطورها وتكميل فصولها حتى ازدانت عيونها بكحل الكمال وزينت خدود طبعها بزينة الختام الذي لا نظير له، وذلك في آخر ربيع الأول سنة ١٢٣٨هـ في دار الطباعة التي أقامها جنابه في بولاق التي هي مرفأ مصر المحروسة.

(٣٢) وعلى سبيل المثال يأتي قيد الفراغ في كتاب **سبحه' صبيان** ١٢٤٩ [١٨٣٣] على النحو التالي:

تم طبع هذه المنظومة الموسومة بسبحة الصبيان وكان طبعها بالمطبعة العامرة ببولاق مصر القاهرة . بتصحيح أحمد أفندي بن مصطفى قرق كيمسوى وبنظارة ناظرها گيلانى أبو القاسم شاهد في أواخر شهر ربيع الأول سنة تسعة وأربعين ومئتين بعد الألف من هجرة من له العز والشرف.

رواجاً كبيراً في مصر، ولهذا كانوا يرسلونها إلى قطاعات أكبر في استانبول وإزمير وسلانيك والولايات العربية الأخرى حتى يضمنوا بيعها هناك(٣٣). ونرى في الخطابات التي أرسلها الدكتور پرون بعد عام ١٨٤٠م أنه ينتقد بلسان لاذع مطبعة بولاق إزاء المصاعب التي عاناها وهو يطلب طباعة معجم الفيروزآبادي العربي، وخيبة الأمل التي ظهرت بفعل الهزائم العسكرية والضيق الاقتصادي في مصر، ثم يقول إن طباعة الكتب العربية والتركية والفارسية قد انحسرت كثيراً في مصر(٣٤). أما السبب وراء ذلك فيقول إنه لوجود ثلاث مطابع في استانبول آنذاك، ولأن تكلفة طبع الكتاب فيها تقل كثيراً عما في مصر، ثم يقول إن حركة بيع الكتب لم تعد كما كان في السابق من القاهرة إلى استانبول، وإنما أصبحت بالعكس من استانبول إلى القاهرة(٣٥). وهنا علينا أن نتناول تلك الأقوال منه بحذر للأسباب الشخصية التي أشرنا إليها بإيجاز، إذ تشير كل الدلائل إلى أن الكتب المطبوعة في مصر كانت تباع في تركيا ولاقت فيها رواجاً. فعند ما ننظر في موضوعات الكتب التركية الأربعة والعشرين التي توصلنا إلى أنها طبعت لحساب الملتزمين في مصر بين عامي ١٨٣٩ – ١٨٨٤م، وننظر كذلك في أسماء الملتزمين(٣٦) ندرك أن تلك الكتب إنما طبعت لكي تخاطب قطاعاً عريضاً في تركيا، وليس عدداً محدوداً من القراء في مصر. ولا شك أن قائمة كتب المطبعة المصرية التي كانت تباع عام ١٨٧٤م في دكان في (باغچه قاپى) باستانبول لأحد الكتبيين المشهورين فيها ويدعى تومبكجى حسن(٣٧)، ثم وجود نسخ من تلك الكتب في العديد من المجموعات الخاصة إنما يدلنا على أنها كانت تلقى رواجاً حتى في تلك المرحلة المتأخرة(٣٨). ونظراً لأن ماهية

(٣٣) رضوان ، المصدر السابق، ص ١٤٦ نقلاً عن Perron à Mohl, "Lettres sur les écoles et l'impremerie du Pacha d'Egypte ،" *Journal Asiatique* ،ser. 4, v.II Lettre 18

(٣٤) مجموع عدد الكتب التركية المطبوعة في مصر خلال الأعوام العشرة الأولى بعد عام ١٨٤٠ يبلغ ٩٢ كتاباً.

(٣٥) رضوان ، المصدر السابق، ص ١٤٧.

(٣٦) للتعرف على أسماء الكتب والملتزمين انظر: القائمة المرفقة وانظر كذلك نماذج من صفحات الكتب المطبوعة لحساب الملتزمين في نهاية الكتاب.

(٣٧) J. Strauss, *Egyptien Connection*.... p. 40, not 136.

(٣٨) كانت خزانة والدي المرحوم محمد احسان (١٩٠١ – ١٩٦١) التي تركها في بلدته يوزغاد بوسط الأناضول عند هجرته إلى مصر في عام ١٩٢٣ تضم العديد من الكتب التركية المطبوعة في بولاق، ومنها كتاب اسحاق أفندي المعروف باسم

تجارة الكتب بين استانبول والقاهرة وطبيعة حركتها لم تحظ حتى الآن بدراسة تختص بها فمن العسير علينا أن نمضي في هذا الموضوع أكثر من ذلك.

٨- أول كتاب طبع في مطبعة بولاق: وصايانامه* سفريه

تجمع البحوث التي ظهرت حتى اليوم حول تاريخ مطبعة بولاق على أن أول كتاب طبعته هو معجم إيطالي عربي بعنوان Dizionario İtaliano e Arabo وضعه دون رفائيل D. Raphael[٣٩]. وقد وصل إلى هذه النتيجة كل من جمال الدين الشيال ورضوان وهسو HSU استناداً إلى أن تاريخ طباعة هذا الكتاب مطبوع على الغلافين العربي والإيطالي على النحو التالي: تاريخ عام ١٢٣٨هـ الهجري وتاريخ ١٨٢٢م الميلادي. غير أن التوسع أكثر في دراسة الموضوع وتناول الكتب الأولى المطبوعة بتمامها، أي إذا تفحصنا كل الكتب العربية والتركية التي توصلنا إلى أنها طبعت في مطبعة بولاق عام ١٢٣٨هـ وتناولناها مجتمعة فإننا نصل إلى رأي يخالف الرأي السابق.

فقد قامت مطبعة بولاق بطبع ثلاثة كتب أخرى غير المعجم المشار إليه في عام ١٢٣٨هـ، وبنظرة فاحصة إلى التواريخ المكتوبة على تلك الكتب يظهر لنا الدليل الأساسي على صحة الرأي الذي خرجنا به في هذا الموضوع. فقد تبين لنا من الفحص وعملية المسح التي قمنا بها أن هناك أربعة كتب طبعت في عام ١٢٣٨هـ أمكننا

مجموعه* علوم رياضيه المطبوع في بولاق في أربعة مجلدات بين عامي ١٨٤١ - ١٨٤٥. وقد اكتشفت ذلك الكتاب في السبعينيات من القرن الماضي. فكان بمثابة نقطة التحول في دراساتي حول تاريخ العلوم.

(٣٩) جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، القاهرة دار الفكر العربي ١٩٥١، ص ٧٧، وأبو الفتوح رضوان، المصدر السابق، ص ٤٩. وانظر أيضاً:

Richard N. Verdery, "The Publications of the Bulaq Press under Muhammed Ali of Egypt", *Journal of the American Oriental Society*, (1971), 91 p. 129; HSU Cheng-Hsiang. "The first thirty years of Arabic printing in Egypt, 1238-1267 (1822-1851); a bibliographical study with a check list by title of Arabic printed works". Ph. D. Thesis.- Edinburgh: The University of Edinburgh, 1985, p. 80.

الوصول إليها حتى اليوم، وتأتي مداخلها الكاملة وتواريخ طباعتها المسجلة فوقها على النحو التالي بالترتيب(٤٠):

١- **وصايا نامهٔ سفريه**، فردريك الثاني ملك بروسيا، ترجمة شاني زاده محمد [عطاء الله]، القاهرة مطبعة بولاق، آخر ربيع الأول ١٢٣٨هـ [١٥ ديسمبر ١٨٢٢م].

٢- *Dizionario İtaliano e Arabo*, Don Raphael, القاهرة بولاق، ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م.

٣- **قانوننامهٔ عساكر پيادگان جهاديه**، ترجمة أحمد خليل أفندي، القاهرة بولاق، أواسط رجب المرجب ١٢٣٨هـ [٢٤ مارس – ٢ ابريل ١٨٢٣م].

٤- **كتاب في صناعة صباغة الحرير**، ماركير Marquer، ترجمه إلى العربية دون رفائيل، القاهرة بولاق، ٢٦ ذو القعدة ١٢٣٨هـ [٤ أغسطس ١٨٢٣م].

ونلاحظ فوق المعجم الإيطالي الذي وضعه دون رفائيل وجود تاريخين للطباعة هجري وميلادي (١٢٣٨/ ١٨٢٢)، وعلى ذلك فلا بد أن طباعة الكتاب انتهت في أحد أيام عام ١٢٣٨هـ الهجري التي تقابل عام ١٨٢٢م الميلادي. وهذا اليوم أيضاً لا بد أنه يقع بين ١٨ سبتمبر ١٨٢٢ و ٣١ ديسمبر ١٨٢٢. إلا أن هذا الكتاب يتميز عن بقية الكتب الأخرى له بغلاف داخلي منظم على الطريقة المتبعة في الكتب المطبوعة على الطراز الأوربي، ولهذا لم يُكتب تاريخ الطبع باليوم والشهر، وإنما ذُكر تاريخ السنة فقط.

(٤٠) يقول هسو إن هناك كتابين آخرين طبعا باسم فن الحرب وترجمة قوانين العساكر الجهادية في عام ١٢٣٨هـ وذلك عدا الأربعة الكتب المذكورة آنفاً والمعلومات المقدمة حول هذين الكتابين إنما جاءت في الغالب نتيجة للأخطاء المكررة والمنقولة من الفهارس وعدم الاطلاع على الكتب نفسها. فكتاب فن الحرب الذي أورده هسو في المدخل رقم ٩٠ لم يمكننا العثور تحت هذا الرقم في مكتبة بلدية الاسكندرية كذلك فإن قوله في الكتالوج بأنه نشر من قبل نظارة الحربية إنما يدل على أن هذا الكتاب لا يرجع إلى عهد محمد علي باشا. لأن اسم الإدارة المعنية بجيش ولاية مصر في ذلك العهد كانت تعرف بديوان الجهادية وليس باسم نظارة الحربية الذي ظهر بعد وفاة محمد علي باشا ولا سيما في عهد حفيده الخديوي إسماعيل باشا. أما كتاب ترجمة قوانين العساكر الجهادية، الكتاب الثاني الذي قال هسو أنه طبع في ذلك العام فالواضح للعيان أنه ترجمة لكتاب شاني زاده المعروف باسم وصايانامهٔ سفريه (انظر: هسو ، الرسالة السابقة، المدخل رقم ٣٧٥.

بينما نرى على الجانب الآخر أن تاريخ طباعة كتاب (وصايانامه سفريه) قد تم وضعه بشكل متوازٍ مع قيد الفراغ colophon الجاري في تقاليد المخطوطات، وجاء على شكل (آخر ربيع الأول ١٢٣٨هـ). وهذا التاريخ الهجري يقابل منتصف شهر ديسمبر الميلادي (١٥ ديسمبر ١٨٢٢م).

كما يتبين مما ورد في مذكرات بروشي G. B. Brocchi الرحالة الإيطالي الذي زار المطبعة في ١١ ديسمبر ١٨٢٢م أن طباعة كتاب شاني زاده قد انتهت قبل المعجم الإيطالي، إذ يقول بروشي في ذلك: "وفي هذه الأثناء (١١ ديسمبر) تجري طباعة كتاب عن فنون الحرب قام بترجمته من الفرنسية إلى التركية رجل يدعى Scianisada (شاني زاده). وهناك الآن كتب جاهزة للطباعة، إذ يوجد كتاب عن صباغة الأقمشة (tintoria) جرت ترجمته عن الإيطالية، ومعجم إيطالي عربي أعده دون رفائيل مدرس اللغة العربية في بولاق"[٤١]. فالواضح كما نرى من عبارة بروشي أن كتاب شاني زاده كانت تجري آنذاك طباعته في المطبعة، بينما كان المعجم الإيطالي العربي جاهزاً للطباعة ينتظر وسط الكتب الأخرى. وهذا يكشف بوضوح أن المعجم طبع بعد طباعة كتاب شاني زاده، أي في النصف الثاني من شهر ديسمبر.

وإلى جانب هذه العبارات الواضحة من بروشي نرى له أيضاً عبارات أخرى غامضة، فالعبارة التالية التي تتصدر العبارة التي اقتبسناها قبل قليل تنطوي على تناقض واضح لو قمنا بتقييمها على ضوء معلوماتنا الحالية على الأقل، إذ تقول: "إن أول كتاب طبع هو – عدا بعض الأوراق الخاصة بالحكومة – كتاب في التعليم العسكري كتب لأجل العساكر في مصر العليا ممن يراد تعليمهم على الأساليب التي توافق التطورات الحادثة في أوربا. وهذا الكتاب كتب بالتركية لغة الضباط العثمانيين"[٤٢]. وكما سيظهر من قائمة الكتب الملحقة في نهاية كتابنا والتي أعددناها بعد عمليات المسح والتنقيب التي قمنا بها في العديد

(٤١) G.B Brocchi, *Giornale delle osservazioni fatte nei viaggi in Egitto nella Siria e nella Nubia*, c. I, Bassano 1841, p 173.

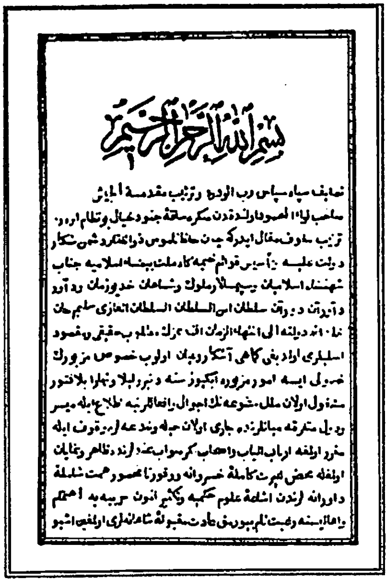
(٤٢) Brocchi, *op., cit.*

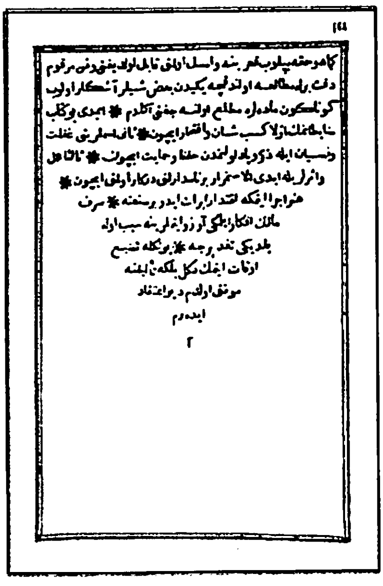
من المكتبات والمجموعات فإنه لا يوجد كتاب تركي في الشئون العسكرية جرت طباعته في شهر ديسمبر عام ١٨٢٢م أو قبل هذا التاريخ عدا كتاب شاني زاده. والكتاب الذي طبع في أقرب تاريخ لهذا التاريخ هو كتاب (قانوننامهٔ عساكر پيادگان جهاديه) الذي طبع فيما بين آخر مارس ١٨٢٣م وأول ابريل من نفس السنة.

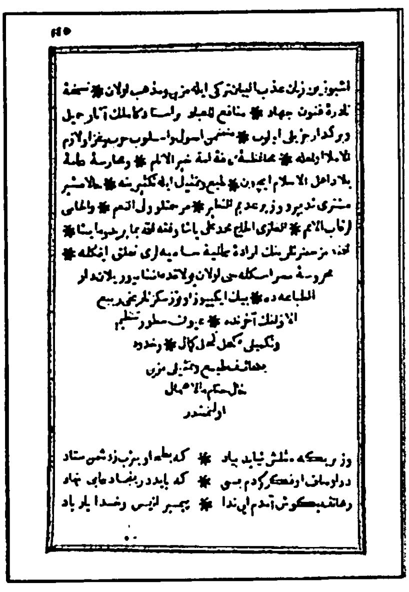
إذاً يقول بروشي إن أول كتاب كان تركياً. وعندما نضع في الاعتبار تلك المعلومات مع نتائج العمل الذي قمنا به يمكننا الوصول إلى رأيين مختلفين، وبالنظر إلى ذلك فإن كتاب العسكرية التركي الذي ذكر بروشي أنه أول كتاب تم طبعه إما أنه كتاب آخر طبع لكي يستخدمه القواد الأتراك القائمون على العملية التعليمية في جنوب مصر، وطبعت منه عدة نسخ قليلة، وبالتالي لم يصلنا منها شئ، وإما أن الملاحظات التي سجلها بروشي عند زيارته للمطبعة قد اختلطت ببعضها، فاعتقد أن الكتاب الأول شيئاً آخر يختلف عن كتاب شاني زاده.

وبما أن أحد العناصر الأساسية في خطة محمد علي باشا للتحديث هو إقامة جيش نظامي يشبه الجيوش الأوربية فلا بد كذلك للكتاب الأول الذي ستطبعه مطبعة بولاق المقامة في إطار تلك الخطة الشاملة أن يكون مما يرغب فيه الباشا شخصياً ويود لقواده أيضاً أن يطالعوه. وهذا الاحتمال أيضاً هو لا شك أمارة على أن كتاب شاني زاده هو الكتاب الأول. كما أن وجود قيد فراغ الطباعة صريح فوقه يمثل هو الآخر أمارة أخرى تدعم هذا التوجه. ويسجل قيد الفراغ أن الكتاب تم طبعه بإرادة من محمد علي باشا، وبعد الإشارة إلى أهميته لدى الجيش يعرج على فائدته الكبيرة، ليس للعثمانيين ومصر فحسب وإنما للعالم الإسلامي كافة. ولعل تلك العبارة الطويلة التي لم نرها في كتاب آخر قد أضيفت إلى كتاب (وصايانامهٔ سفريه) باعتبار أنه باكورة عمل المطبعة.

وفي اعتقادنا أن الكتاب الأول الذي طبع في مطبعة بولاق ليس هو المعجم الإيطالي العربي كما جرى الحديث حتى الآن، والاحتمال الأرجح في رأينا هو كتاب شاني زاده المعروف باسم (وصايانامهٔ سفريه).

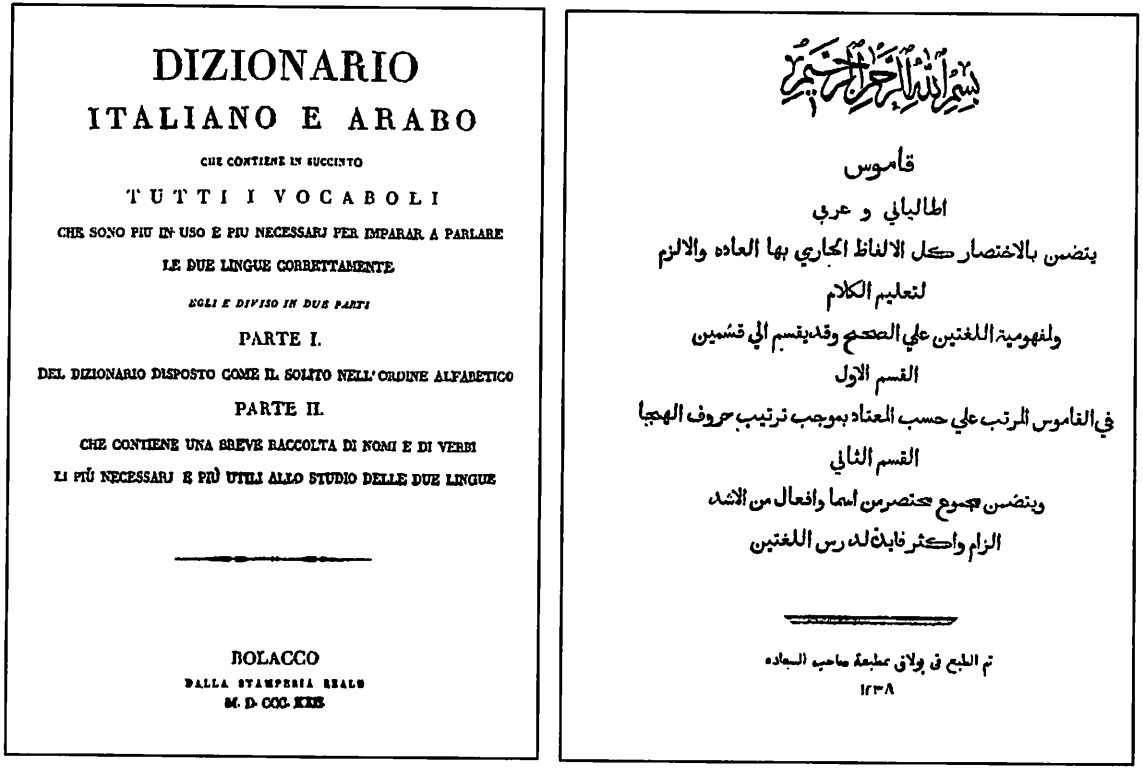

بسم الله الرحمن الرحيم





أول كتاب طبعته مطبعة بولاق "وصايانامه" سفريه" وثلاث صفحات من أوله وآخره

(آخر ربيع الأول ١٢٣٨هـ [١٥ ديسمبر ١٨٢٢م])



DIZIONARIO
ITALIANO E ARABO
CHE CONTIENE IN SUCCINTO
TUTTI I VOCABOLI
CHE SONO PIU IN USO E PIU NECESSARJ PER IMPARAR A PARLARE
LE DUE LINGUE CORRETTAMENTE
EGLI E DIVISO IN DUE PARTI
PARTE I.
DEL DIZIONARIO DISPOSTO COME IL SOLITO NELL' ORDINE ALFABETICO
PARTE II.
CHE CONTIENE UNA BREVE RACCOLTA DI NOMI E DI VERBI
LI PIÙ NECESSARJ E PIÙ UTILI ALLO STUDIO DELLE DUE LINGUE

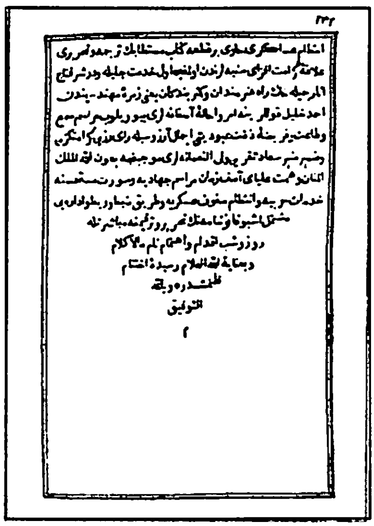
BOLACCO
DALLA STAMPERIA REALE
M. D. CCC. XXII.

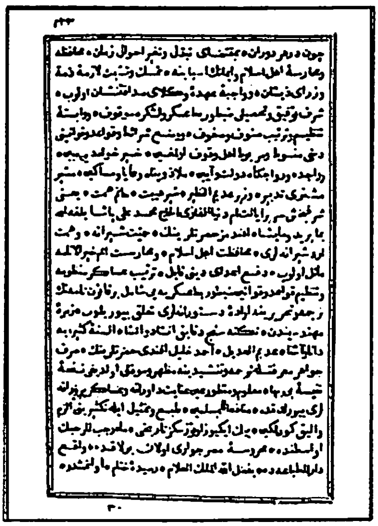
بسم الله الرحمن الرحيم
قاموس
اطالياني و عربي
يتضمن بالاختصار كل الالفاظ الجاري بها العاده والالزم
لتعليم الكلام
ولفهومية اللغتين علي الصحح وقد يقسم الي قسمين
القسم الاول
في القاموس المرتب علي حسب المعتاد بموجب ترتيب حروف الهجا
القسم الثاني
ويتضمن مجموع مختصر من اسما وافعال من الاشد
الزام واكثر فايده لدرس اللغتين

تم الطبع في بولاق مطبعة صاحب السعاده
١٢٣٨

ثاني كتاب طبعته مطبعة بولاق وهو القاموس الإيطالي العربي (بولاق ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م)


بسم الله الرحمن الرحيم





ثالث كتاب تمت طباعته في مطبعة بولاق وهو بعنوان "قانوننامه" عساكر پيادگان جهاديه"
وتلك ثلاث صفحات من أوله وآخره

١١٨

الفاتحة للمترجم

بسم الله ربى * سالته غفران ذنبى

الحمد لله مهدى الانام لاختراع الالوان * بما احكمه صنعا وتدبيرا فى زهر الحقول وميز الانسان عن الحيوان بالعقل والنطق ليستدل بمانى العلل على المعلول * فقد اوضح له جل سخاؤه بعض ما فى غوامض حكمته وما هنالك مخبوء عن ادق العقول واستاقه لمعرفتها ولدرك ما من العلوم والصناعات بما تفضل عليه به من النور الطبيعى افضل دلول ومنحه موهبة الاعتناء للفحص والبحث عما فيها من المبادى والعقائد والرسوم وتلك الاصول وادركه جات قدرته باللطف والعناية والاسعاف والتيسير للحصول والوصول فجعله كفوءا لصنع اشياء غريبة ينعطف اليها كل ناظر وتغدو الديه بعين القبول * فقد اضطررنا لهذه الغاية لجره الى النهاية على كذا منة لنوال الحصول ولسؤاله عز وجل * استمدادا بما يوفقنا الى اسد توفيق واقوم طريق * لانه اكرم مسؤول واعظم مأمول فلا حول ولا قوة الا به وهو القدير الحكيم السميع العليم هذا خير المقول *

فهذا ما قاله مترجمه القس رافائل راهب * وتتلوه

ان يغلى فتعفيص الحرير يعمل بالثلث من عفص حلب فيبرك الحرير اولا على مدة ستة ساعات وبعد اثنى عشر ساعة وباقى ما بقى بموجب الصنعة.

* تم *

٢

لقد تم الكتاب بحسن لطف * وجاء العون من المولى القدير
ونلنا النصر حقا على الاعادى * وفزنا بالهناء وبالسرور
وقد شرقت ليالينا جميعا * بخدمتنا لمولانا الوزير
وقد جاد الزمان لنا بسعد * برفع الكتب للملك الشهير
وصافانا الزمان بطول عز * لان العز فى طبع الحرير
ببولاق لها شان عظيم * حماها الله من كيد الدهور
فقلت زيادة للدوا ارخ * بمطبعة تجدد للوزير

ووافق فراغه يوم الاثنين ستة وعشرين من شهر ذى القعدة سنة ثمانية وثلاثين ومائتين والف من الهجرة النبوية * على صاحبها افضل الصلاة والتحية *

٢

رابع كتاب تطبعه مطبعة بولاق وهو بعنوان كتاب في صناعة صباغة الحرير، وهاتان الصفحتان الأولى والأخيرة منه (٢٦ ذو الحجة ١٢٣٨هـ [٤ أغسطس ١٨٢٣م])

ثالثاً: المطابع التي مارست طباعة الكتاب التركي في مصر عدا مطبعة بولاق

كانت مطبعة بولاق التي أقامها محمد علي باشا هي المطبعة الوحيدة التي مارست طباعة الكتاب التركي في مصر على مدى عشر سنوات متصلة. أما المطبعة الثانية التي رأينا أنها مارست نفس العمل بعد مطبعة بولاق فهي مطبعة ديوان الجهادية التي أقيمت في إطار المدرسة الحربية. وكان أول كتاب تركي توصلنا إلى أنه طُبع في تلك المطبعة سنة ١٢٤٨هـ (١٨٣٣م) هو كتاب بعنوان (قانون أول قواعد تعليميه بيانننده در). وقد تبين لنا خلال هذه الدراسة أن مطبعة ديوان الجهادية قد طبعت خلال سنوات ١٨٣٣ - ١٨٣٦م تسعة كتب تركية يتعلق أغلبها بالحياة العسكرية. وكانت المطبعة الثالثة التي طبعت كتباً تركية هي مطبعة سراي الإسكندرية في مدينة الإسكندرية، وأول كتاب طبعته بالتركية خرج في سنة ١٢٤٩هـ (١٨٣٣م)، ثم أعقبته بكتابين آخرين ليكون المجموع ثلاثة كتب تركية في ذلك التاريخ هي:

تاريخ نابليون بوناپرت (٤ محرم ١٢٤٩هـ)، فُلك عزيز (١٦ ربيع الأول ١٢٤٩هـ)، تاريخ ايتاليا (١٧ جمادى الأولى ١٢٤٩هـ). وخلال سنوات ١٨٣٦ - ١٨٥٤م أي بعد الكتب التي طبعت في مطبعة الجهادية في سنة ١٢٥١هـ وحتى طباعة الكتاب التركي (مبادئ هندسه) في مطبعة المهندسخانة سنة ١٢٧٠هـ (١٨٥٤م) ظلت بولاق تحافظ على مكانتها كمطبعة وحيدة تمارس طباعة الكتاب التركي.

وقد استمر ظهور الكتب التركية في المطابع الحكومية التي أقامتها مصر ودعمت عملها سنوات طويلة. وفي سنة ١٢٧٥هـ (١٨٥٩م) رأينا لأول مرة مطابع خاصة في مصر تقوم بطباعة الكتاب التركي. ففي ذلك التاريخ ظهر كتابان بالتركية في مطبعتي (طبوغرافيا دستگاهي) و(كاستليه) هما: (ترجمهء مقدمهء ابن خلدون) و(هدايت مبتديان ومفتاح لغت عثمانيان). ولما تضاعفت فعاليات النشر التي قام بها في مصر أعضاء جمعية تركيا الفتاة (اعتباراً من سنة ١٨٩٥م) وقعت زيادة كبيرة في عدد المطابع الخاصة

التي كانت تقوم بطباعة الكتب التركية المناهضة للحكومة العثمانية. غير أن أحداً لم يقم حتى الآن بدراسة مفصلة عن المطابع في مصر، ومن ثم لا نملك المعلومات الكافية حول تواريخ إقامة تلك المطابع وأسماء أصحابها والكتب التي قامت بطباعتها وتواريخ إبتعادها عن حياة النشر أو ممارستها لعملها تحت أسماء أخرى وغير ذلك[١].

وقد تحققنا خلال هذه الدراسة من وجود تسع وسبعين مطبعة كانت تقوم عدا مطبعة بولاق بطباعة الكتاب والجريدة التركية. إلاّ أن عشر مطابع منها طبعت خمسة أو أكثر من الكتب التركية. وسنحاولُ هنا التعرض بإيجاز لتلك المطابعَ العشر تبعاً لتواريخ ظهورها.

١- مطبعة ديوان الجهادية

أقيمت تلك المطبعة في إطار مدرسة الحربية في بولاق لتكون تابعة لها، وقامت بطباعة الكتب العربية والتركية والفارسية، كما رأى العاملون عليها إصدار مجلة أسبوعية ايطالية عربية[٢]. وكانت مطبعة ديوان الجهادية هي المطبعة الرسمية الثانية التي تمارس طباعة الكتب التركية في مصر بعد مطبعة بولاق. وعلى الرغم من عدم معرفتنا بالتاريخ القطعي لإقامتها إلاّ أن أولى المعلومات التي تصادفنا عنها نراها في جريدة الوقائع المصرية في عددها (٣٩٦) المؤرخ في ٢٥ محرم ١٢٤٨هـ (٢٤ يونية ١٨٣٢م). فقد جاء في تلك الجريدة أن الأشخاص المقرر عملهم في المطبعة قد جرى اختيارهم من مطبعة بولاق، وأنهم سوف يزاولون عملهم في المطبعة الجديدة بعد فترة تدريب قصيرة وبالراتب الشهري الذي كانوا يحصلون عليه من قبل. كما جاء في العدد (٤٨٣) المؤرخ في ٢٩ ربيع الآخر ١٢٤٨هـ (٢٥ سبتمبر ١٨٣٢م) من نفس الجريدة أن بعض صفحات الكتاب المسمى (تعليمنامه) قد أعيد طبعها من جديد[٣].

---

(١) سوف نحاول هنا الوقوف باختصار على المطابع التي طبعت الكتاب التركي في مصر. ونظراً لأن القيام بدراسة تتعلق بتاريخ تلك المطابع هي أمر قد يتجاوز حدود عملنا الذي نقوم به فإننا سوف نحاول في هذا الفصل إلقاء نظرة عامة تعتمد على ما توصلنا إليه من نتائج، وعلى المعلومات الموجودة في المصادر التالية: أبو الفتوح رضوان، المصدر السابق ص ٣٥٤ وما بعدها؛ عايدة إبراهيم نصير، المصدر السابق؛ هسو، الرسالة السابقة ص ٣٦، ٥١ - ٥٧ ومحمود محمد الطناحي، الكتاب المطبوع بمصر في القرن التاسع عشر: تاريخ وتحليل، [مصر]: دار الهلال، ١٩٩٦م.

(٢) عايدة إبراهيم نصير، المصدر السابق ص ٤٠٤.

(٣) خليل صابات، المصدر السابق، ص ١١٦٩.

وأول كتاب تركي استطعنا التثبت من طباعته في مطبعة ديوان الجهادية هو الكتاب المعروف باسم (قانون أول قواعد تعليميه بيانده در) [٤]. ويظهر من قيد الفراغ أو عبارة الختام (Colophon) العربية في نهايته أنه طبع في مطبعة ديوان الجهادية في أواسط رمضان ١٢٤٨هـ (١-١٠ فبراير ١٨٣٣م).

وقد تحققنا من طباعة تسعة كتب تركية في مطبعة ديوان الجهادية[٥]. وأحد هذه الكتب طبع سنة ١٢٤٨هـ (١٨٣٣م)، وخمسة في سنة ١٢٥٠هـ (١٨٣٤-١٨٣٥م)، وثلاثة في سنة ١٢٥١هـ (١٨٣٥-١٨٣٦م). أما من حيث الموضوعات فإن واحداً من هذه الكتب في الهندسة الحربية (پيرو تكنى ميلتير يعنى حرب ايچون فشنك اعمال ايدوب استعمال ايتمك فنى بيانده در، ١٢٥٠ [١٨٣٥])، وواحد في البيطرة (بيطره خدمانته دائر ترتيبات، ١٢٥٠هـ [١٨٣٤-١٨٣٥م])، وواحد في الطب (قوانين الصحة، ١٢٥٠هـ [١٨٣٥م])، وستة كتب في الحياة العسكرية.

ويذهب خليل صابات إلى أن تلك المطبعة لم تكن ذات نفع كبير وكانت كثيرة النفقات، ولهذا جرى إدماجها بعد فترة في مطبعة بولاق[٦].

٢- مطبعة المدارس المُلكية

عُرفت في المصادر المختلفة باسم مطبعة ديوان المدارس ومطبعة المدارس ومطبعة المدارس الملكية (بضم الميم)، وأنها أقميت عندما كان علي مبارك باشا رئيساً لديوان المدارس (١٨٦٨م). غير أن أول كتاب طبع فيها يحمل تاريخ سنة ١٢٨١هـ (١٨٦٤-١٨٦٥م)، وعليه فإن تاريخ اقامتها يكون سابقاً على ذلك التاريخ. وأول من ذكر تاريخاً لإقامتها هو أبو الفتوح رضوان، فقال إنه سنة ١٨٦٨م، وإن كان ينظر إليه بعين الشك[٧]. وكانت تقوم بطباعة الكتب المدرسية لطلاب المدارس، وتستخدم في ذلك طريقة الحروف وطريقة الليتوغرافيا.

---

(٤) يقول هسو (الرسالة السابقة، ص ٥٣) إن أول كتاب صدر عن مطبعة ديوان الجهادية هو (تعليم النفر والبلك) المؤرخ في ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣- ٣٤.

(٥) يذكر هسو في دراسته أن تلك المطبعة طبعت ثلاثة عشر كتاباً، خمسة منها بالعربية، وثمانية بالتركية (هسو، الرسالة السابقة، ص ٦٤٢). ومع ذلك فقد تبين من دراستنا أن كتاب (قانون رابع اورته تعليمى بيانده در) الذي ذكر هسو أنه طبع في سنة ١٢٥٠هـ لم يطبع في ذلك التاريخ. أما السيدة عايدة نصير فتذكر أن كل ما طبعته تلك المطبعة في كافة اللغات هو ستة كتب (عايدة إبراهيم نصير، المصدر السابق، ص ٤٠٤).

(٦) صابات، المصدر السابق، ص ١٦٩.

(٧) رضوان، المصدر السابق، ص ٣٧٤.

وقد تبين لنا أنها طبعت ستة كتب تركية، وكان أول هذه الكتب كتاب جرى إعداده لتعليم اللغة الفارسية بعنوان (تعليم الفارسي)، ثم طبعت كتاباً مدرسياً آخر في سنة ١٢٨٥هـ (١٨٦٩م) بعنوان (إرشاد مبتديان در لغت عثمانيان)، ثم توقفت بعد ذلك مدة عن طباعة الكتب التركية، ولم تعد لها إلاّ بعد ست سنوات، فقامت في سنة ١٢٩١هـ (١٨٧٤-١٨٧٥م) بطباعة كتابين تركيين. وكان أولهما كتاب محمد صادق رفعت باشا المعروف بعنوان (رسالهء أخلاق في نصيحة الصبيان)، والثاني هو كتاب أحمد جودت باشا المعروف بعنوان (قواعد عثمانيه). وفي سنة ١٢٩٤هـ (١٨٧٧م) قامت المطبعة بطبع كتابين تركيين آخرين، أحدهما الجزء الثالث من كتاب أحمد جودت باشا المعروف باسم (قصص أنبيا وتواريخ خلفا)، والثاني كتاب مدرسي.

٣- مطبعة وادي النيل

هي مطبعة أقامها في سنة ١٨٦٦م واحد من الصحفيين المصريين هو عبدالله أبو السعود أفندي (١٨٢٠-١٨٧٨م). وكان يقوم عدا ذلك بإصدار جريدة عربية باسم وادي النيل أيضاً، وعمل قاضياً في محكمة الاستئناف[٨]. واستمرت المطبعة في طباعة الكتب حتى سنة ١٨٨٣م، حتى أمكنها خلال تلك المدة طباعة ٧٩ كتاباً[٩]. وكان من بين تلك الكتب ثمانية بالتركية طبعتها خلال سنوات ١٢٨٥-١٢٩٤هـ (١٨٦٨-١٨٧٧م). وكان أولها كتاب مدرسي بعنوان (تسهيل التحصيل في اللغة التركية). ثم أعقب ذلك في سنة ١٨٧٣م ظهور كتاب تركي مدرسي آخر بعنوان (هدايت مبتديان ومفتاح لغت عثمانيان). ثم طبعت ثلاثة كتب أخرى في موضوعات دينية. كما كانت الترجمة التركية لنص أوبرا عايده – التي قام بتلحينها الموسيقار الإيطالي ڤيردي بناءً على طلب الخديوي إسماعيل لأجل افتتاح مبنى الأوبرا – واحداً من الأعمال التي طبعتها تلك المطبعة في سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧٢م). أما آخر الكتب التركية التي خرجت منها فهو كتاب مترجم بعنوان (اقونومى پولتيق ترجمه سى فن اداره).

(٨) الطناحي، المصدر السابق، ص ٨٥.

(٩) عايدة نصير، المصدر السابق، ص ٤٣١.

٤- المطبعة العثمانية أو مطبعة القانون الأساسي[١٠]

هي إحدى المطابع المهمة التي كانت تطبع أعمال جماعة تركيا الفتاة في مصر، وكانت سبباً في ظهور العديد من المشاكل مع الحكومة العثمانية وفيما بين الأعضاء أنفسهم.

وتدلنا وثيقة تحمل خاتم المندوب السامي العثماني أحمد مختار باشا وتاريخ ٥ صفر ١٣٢٠هـ (١٣ مايو ١٩٠٢م) على أن المطبعة العثمانية أقيمت على يدي صالح جمال رودسلي في سنة ١٣١١هـ أو السنة التي تلتها[١١]. كما تدلنا الوثيقة على تطور الأحداث المتعلقة بالمطبعة على النحو التالي: فقد قدم الخديوي في تلك الأثناء ألف ليرة حتى يقوم بعض الهاربين من استانبول بمغادرة مصر، ولكن هؤلاء أعطوا صالح جمال مائتي ليرة من ذلك المبلغ وجعلوه يفتح مطبعة يمكنهم بواسطتها مواصلة أعمالهم في النشر. وكانت المطبعة تطبع العديد من الأعمال المناهضة، وأصبحت وكأنها شعبة لأعضاء تركيا الفتاة في جنيف، وبعد نحو عامين توجه طونه لي حلمي إلى مصر، وبدأ التفتيش المالي على المطبعة، مما دفع صالح جمال إلى القول بأنها ملك له ولا علاقة لها بجمعية تركيا الفتاة، فانتقل الأمر إلى المحكمة، وكانت النتيجة أن استمر صالح جمال في تشغيل المطبعة لحسابه[١٢]. وفي تلك الأثناء كانوا يواصلون الاحتفاظ في المطبعة بالمطبوعات المناهضة. وشارك صالح جمال شخص آخر في المطبعة لمدة، غير أن هذا الشريك تم العفو عنه من قبل الخديوي ووافق على العودة إلى استانبول[١٣].

وكان الخديوي يضيق الخناق على أعضاء تركيا الفتاة في مصر حتى يجبرهم على الخروج منها ويضمن تحسين علاقته مع السلطان، فأقدم على محاولة لإغلاق المطبعة

---

(١٠) توجد في مصر مطبعة عثمانية أخرى أقيمت سنة ١٨٣٤ على يدي عثمان عبد الرازق. وقد مارست تلك المطبعة عملها حتى نهاية القرن (انظر عايدة نصير، المصدر السابق ص ٤٣٤ والطناحي، المصدر السابق، ص ١١٠). وقد طبع في تلك المطبعة كتاب: فهرست الكتب التركية الموجودة بالكتبخانة الخديوية (١٣٠٦ [١٨٨٨- ٨٩]) الذي وضعه علي حلمي داغستاني.

(١١) أرشيف رئاسة الوزراء العثماني: يلدز خصوصي ٤٢٩/ ٨٦.

(١٢) لقد دافع صالح جمال عن تصرفاته في هذا الموضوع على صفحات عدد ممتاز بدون رقم من جريدة القانون الأساسي التي كان يصدرها، ووجه أثناء ذلك اتهامات شديدة إلى بعض أعضاء تركيا الفتاة وجمعية الاتحاد والترقي من أمثال طونه لي حلمي وعلي ضيا وجميل وصفوت ووحيي ووهبي وفلاق ومنيف (طرسوسي زاده) الذين بادروا بمقاضاته في المحكمة لانتزاع المطبعة من يديه وقال عنهم إنهم "البهلوانات الذين هجموا على المطبعة".

(١٣) أرشيف رئاسة الوزراء العثماني، الوثيقة السابقة.

العثمانية وإرسال المطبوعات الموجودة فيها إلى استانبول، فدفع أحد ضباط البحرية ويدعى رضا لمشاركة صالح جمال في المطبعة ثم إثارة الخلاف فيما بينهما ودفع الضابط لمقاضاة صالح جمال. وكان من نتيجة قضية الحجز التي رفعها رضا أفندي ضد المطبعة أن أمرت المحكمة باغلاقها بالشمع الأحمر(١٤). غير أن أعضاء تركيا الفتاة استطاعوا بمساعدة اللورد كرومر المندوب السامي البريطاني أن يحولوا دون وقوع الأوراق السرية الموجودة في المطبعة في أيدي رجال الخديوي، ونجحوا في التخلص من تلك الضائقة أيضاً بهذا الشكل. فلم يلتفت اللورد كرومر لقرار المحكمة وأمر الشرطة بتطويق المطبعة وكسر الأختام ثم أخذ الأوراق الموجودة في الداخل وأرسلها إلى انجلترا، وحال بذلك دون وقوعها بين يدي السلطان عبدالحميد الثاني. وقال اللورد كرومر في تصريح له حول الموضوع: "لو قُدِّر للوثائق السياسية الموجودة في المطبعة أن تذاع لكلّف ذلك أصحابها حياتهم. فقد كان رجال الخديوي يسعون منذ عامين للحصول على تلك الأوراق. فلو وقعت في يد الخديوي واستطاع إيصالها إلى السلطان لكان في مقدور الأخير أن يتعرف على أسماء أعضاء الجمعية السرية في تركيا". وبهذه العبارات أفصح اللورد كرومر عن مبرراته السياسية لعدم الالتفات إلى قرار المحكمة(١٥). وقد جرى الحديث بعد ذلك عن بيع المطبعة العثمانية للحكومة السنية ولكنه لم يتحقق(١٦).

ولاشك أن رواية (ژونلر) التي كتبها بكير فخري الذي دخل بين أعضاء تركيا الفتاة في القاهرة وصوّر في تلك الرواية أيامهم هناك والنزاعات التي كانت تنشب بين جماعاتهم المختلفة بشكل يقرب إلى الواقع إنما هي مصدر مهم يساعدنا على فهم الأحداث التي كانت تجري هناك. فهي نص أدبي يلقي الضوء على المرحلة التي أعقبت سنة ١٨٩٧م، ولاسيما المدة من أغسطس ١٩٠٠م إلى مايو ١٩٠١م والتي عاشها أبطال الرواية في القاهرة، فقد تحدثت عن نشاط بعض الأشخاص منهم في القاهرة ورسمت

---

(١٤) المؤيد، ١٢ ابريل ١٩٠٢م.

(١٥) أحمد محمد محمود بحيري، الأتراك في مصر ١٨٨٢ – ١٩١٤م (رسالة دكتوراه من جامعة عين شمس ١٩٩٧م، ص ٧١ – ٧٢).

(١٦) الأرشيف العثماني، نفس الوثيقة.

مشاهد مختلفة من حياتهم هناك مثل طونه لي حلمي وخوجه قدري وصالح جمال وعلي كمال وطرسوسي زاده منيف والداماد محمود جلال الدين باشا[١٧].

وتصور الرواية أيضاً حياة البؤس والمعاناة الشديدة التي عاشها بعض أعضاء تركيا الفتاة، وحياة البذخ والترف التي عاشها البعض الآخر، كما ترسم الرواية بشكل ينبض بالحيوية والحركة أيام مطبعة القانون الأساسي (المطبعة العثمانية) وصاحبها صالح جمال (عارف جميل في الرواية)، وتروي النزاعات والخلافات والشائعات التي ظهرت في القاهرة آنذاك وما أحاط بكل ذلك من صراع وكفاح[١٨].

وقد قامت المطبعة العثمانية بطبع ستة كتب تركية، وطبعت أيضاً بعض الأعداد من جرائد: القانون الأساسي (١٨٩٨-١٨٩٩م)، وسنجاق، وخواطر، وحق صريح (١٩٠٠م)، ومجموعهء كمال (١٩٠١م). وكان أول كتاب تركي من مجموعة الكتب التركية التي طبعتها المطبعة العثمانية خلال سنوات ١٣١٥-١٣١٨هـ (١٨٩٧-١٩٠٠م) هو المعجم الفكاهي الذي وضعه عالي بك بعنوان (لهجة الحقايق). وأربعة كتب أخرى في موضوعات تاريخية، بينما جاء الكتاب الأخير بعنوان (داماد خليل پاشا زاده داماد محمود پاشانك أشعارى). وقامت نفس المطبعة بطباعة أربعة كتب تركية أخرى ولكن تحت اسم مختلف هو: مطبعة القانون الأساسي، وتاريخ طباعتها جميعاً هو سنة ١٣١٥هـ (١٨٩٧م).

(١٧) ظهرت طبعتها الأولى في استانبول، ١٣٢٦هـ (١٩١٠م) ٢٤٨ ص. أما الطبعة الثانية فقد قام بها أتيلا أوزقريملى بالحروف الحديثة بعد تبسيطها وتصديرها بمقدمة إيضاحية (استانبول ١٩٨٥م).

(١٨) يروي أورام غلانتي الذي أقام في القاهرة خلال ١٩٠٤ - ١٩٠٩م في كتابه كيف تدخل المندوب السامي البريطاني اللورد كرومر في شأن المطبعة وحال دون وقوعها في يد الحكومة العثمانية (انظر Avram Galanti, *Küçük Türk tetebbular*, İstanbul 1925, s. 132 - 133). ولكن أورام غلانتي يحكي أن التطورات المتعلقة بالمطبعة قد وقعت عقب وفاة صالح جمال أفندي رودسلي، فلم يكن له من يرثه بعد وفاته، ولهذا قام القاضي المصري بوضع اليد على مطبعة القانون الأساسي، ثم أمر بتشميعها... ثم قام اللورد كرومر فأمر بفتح أبواب المطبعة وأخذ الأوراق الموجودة فيها، وبذلك نجا بحياته عدد كبير من الأشخاص. أما بكير فخري فيقول حول هذه الحادثة: "لقد أشعل الأمر عارف جميل [صالح جمال]. واليوم قام اللورد فأمر بفتح المطبعة عنوة، وأخذت منها الأوراق. وعارف جميل يرقد مريضاً في حلة سيئة...". وكان صالح جمال عند وفاته في القاهرة يبلغ من العمر اثنين وثلاثين أو ثلاثة وثلاثين عاماً، وذلك يوم الخميس ١٧ ابريل ١٩٠٢م/ ٨ محرم ١٣٢٠هـ. وللتعرف على التطورات المتعلقة بالمطبعة عقب وفاة صالح جمال انظر أيضاً (الأرشيف العثماني، يلدز خصوصى ٤٢٩ / ٨٦).

٥- مطبعة جمعية الاتحاد والترقي العثمانية

وهي – كما يبدو من اسمها – ترجع إلى شعبة جمعية الاتحاد والترقي في مصر، وقامت في سنة ١٣١٦هـ (١٨٩٨م) بطباعة خمسة كتب تركية وضعها بعض كبار أعضاء جمعية تركيا الفتاة مثل عبدالله جودت وطونه لي حلمي. فقد طبعت للأول كتاباً بعنوان (ايكى أمل)، وللثاني كتابين بعنوان (مختصر انكلترا تاريخ انقلابى) و(مرشد)، وذلك عدا كتابيه (مقدونيا ماضى، حال، استقبال) و (اوننجى خطبه) كما طبعت المطبعة في نفس التاريخ جريدة باسم (نصيحت).

٦- مطبعة هندية

لا نعرف عن مطبعة هندية شيئاً كثيراً، إذ يرد اسمها على الكتب التي طبعتها في شكل "مطبعة هندية" و"مطبعة أمين هندية". وقد جاء على الغلاف الخلفي لكتاب (مخدرات إسلام) الذي طبعته سنة ١٣٣٣هـ (١٩١٥م) أن مكتبة أمين هندية تقع في شارع الموسكي. وقامت تلك المطبعة بطباعة بعض أعداد من صحف: حق (١٨٩٩-١٩٠١م)، وسنجاق (١٩٠٠م)، وكردستان، ومرآت علوم (١٩٠٧م)؛ وطبعت خمسة عشر كتاباً تركياً[١٩]. ويبدو من كل ذلك أن تلك المطبعة مارست أمور الطباعة خلال سنوات ١٨٩٩-١٩٢٠م، وكان من بين الكتب التركية التي طبعتها ستة كتب ألفها أحمد صائب، وكتاب خليل خالد بك المعروف باسم (هلال وصليب منازعه سى) (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م)، والجزء الثاني من كتاب الأميرة قدرية حسين المار الذكر، وكتاب محمد صلاح الدين بك الذي هاجم فيه جمعية الاتحاد والترقي تحت عنوان (بيلدكلريم) (١٣٣٤ رومي/١٩١٨م)، وكتاب رضا نور المعروف باسم (غربت داغرجغى) (١٣٣٧هـ/١٩١٩م).

٧- مطبعة المعارف

تأسست مطبعة المعارف سنة ١٨٩٠م (١٣٠٧هـ). وتذكر السيدة عايدة نصير أن المطبعة قامت بطباعة سبعة عشر كتاباً حتى نهاية ذلك القرن[٢٠]. واستطعنا نحن خلال

(١٩) تقول عايدة نصير إن مطبعة هندية لم تطبع إلا ثمانية كتب ابتداءاً من سبعينيات القرن التاسع عشر (المصدر السابق، ص ٤٤٤).

(٢٠) عايدة نصير ، المصدر السابق، ص ٤٣٧.

هذه الدراسة التحقق من وجود ثمانية كتب تركية خرجت من تلك المطبعة. وهذه الكتب التي جرت طباعتها خلال سنوات ١٣١٩هـ (١٩٠١م) - ١٣٣١هـ (١٩١٣م) يوجد من بينها ثلاثة طبعت سنة ١٩٠١م، واثنان من هذه الكتب الثلاثة قام الأصمعي [يوسف سامح] بنشرهما لبركت زاده عبد الله جمال الدين أفندي، وهما: (آثار جمال الدين) و(السياسة الشرعية في سيادة الراعي وسعادة الرعية). أما الكتاب الثالث فهو لمحمد عارف بك بعنوان (بيك بر حديث شريف شرحى). كما طُبع في تلك المطبعة أيضاً كتاب آخر لمحمد عارف بك بعنوان (باشمزه گلانلر) (١٩٠٣م). وبالإضافة إلى كتاب الأميرة قدرية حسين الذي جمعت فيه مقالاتها التاريخية والأدبية وعُرف باسم (تموجات أفكار) (١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م) هناك أيضاً الجزء الأول من كتابها (مخدرات اسلام) الذي طبعته مطبعة المعارف في سنة ١٣٣١هـ (١٩١٣م). أما كتاب التاريخ المعروف باسم (العُراضة في الحكاية السلجوقية) الذي طبع سنة ١٩٠٨م فقد جاءت مقدمته وذيله فقط باللغة التركية. وكان آخر كتاب طبع بالتركية في مطبعة المعارف هو ديوان (گلدستهء خاطرات) الذي ضم أشعار سيدة من سيدات القصر الخديوي. تدعى گلبري.

٨- المطبعة التركية (تورك مطبعه سى)

لا نعلم عنها الشئ الكثير سوى أنها بدأت أعمال الطباعة في سنة ١٩٠٣م، وقامت بطباعة عشرة كتب تركية خلال سنوات ١٩٠٣ - ١٩٠٩م. وهناك احتمال أن يكون لتلك المطبعة علاقة بجريدة (تورك) التي كانت تصدر في تلك التواريخ. وبالنظر في الكتب التركية التي طبعتها نرى أن أربعة منها كانت في التاريخ، وأربعة أخرى في الأدب، وواحد في الدين، وآخر في الرحلات.

٩- مطبعة الاجتهاد

مطبعة أقامها الدكتور عبد الله جودت[٢١] في جنيف سنة ١٩٠٤م، وبدأت ممارسة الطباعة والنشر بإصدارها مجلة الاجتهاد (اجتهاد مجموعه سى) في أول سبتمبر من العام

---

(٢١) حول حياة للدكتور عبد الله جودت انظر M. Şükrü Hanioğlu, *Bir siyasal düşünür olarak Doktor Abdullah Cevdet ve dönemi*, İstanbul: Üçdal Neşriyat, 1981.

المذكور. وكان عبد الله جودت واحداً من أبرز الكتاب المعارضين في أوربا للحكم العثماني، فلما وقع التضييق عليه وتوجه إلى مصر في سبتمبر ١٩٠٥م واصلت المطبعة المذكورة نشاطها في مصر. وقامت بإصدار بعض أعداد من جريدة أخرى عدا قيامها على إصدار مجلة الاجتهاد، وتلك الجريدة هي: عثمانلى (١٩٠٣ - ١٩٠٤م)، طوغرى سوز (١٩٠٦م). أما في مجال الكتب فقد قامت تلك المطبعة خلال مرحلة وجوده في مصر بطباعة أربعة وثلاثين كتاباً تركيّاً من سنة ١٩٠٤م حتى سنة ١٩٠٩م، وكان عام ١٩٠٨م هو أكثر الأعوام إزدحاماً بطباعة الكتاب التركي، فقد بلغ عددها اثني عشر كتاباً. وكان للدكتور عبد الله جودت النصيب الأكبر في تلك الكتب، إذ طبعت له تلك المطبعة ستة عشر كتاباً في موضوعات مختلفة كالأدب والتاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس والموضوعات الجدلية وغيرها. وهي تتوزع بحسب الموضوع على النحو التالي: فهناك عشرة كتب في الأدب، وتسعة كتب في السياسة والجدل، وخمسة في التاريخ، وثلاثة في التراجم، وواحد في الرحلات، وآخر في علم النفس، وثالث في علم الاجتماع، ورابع في التعليم، وخامس في الفلسفة، وسادس في الدين، والسابع فهرس للكتب.

وهناك كتابان قامت مطبعة الاجتهاد بطباعة كل منهما مرتين، وهما: (محكمهء كبرى) و(اويانكز اويانكز!).

١٠- المطبعة العثمانية (عثمانلى مطبعه سى).

هي مطبعة قامت بطباعة ثلاثة عشر كتاباً تركياً بين سنوات ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م) - ١٣٣١هـ (١٩١٣م)، وظهر خمسة منها في سنة ١٩٠٨م. وقد جاءت ستة منها في الأدب، وثلاثة منها تناولت الوضع السياسي آنذاك، وواحد منها معجم في الطب، وواحد في علم الاجتماع، وواحد في علم النفس، وكتاب آخر في العلاقة بين الدين والعلم.

مــــــــلاحق

ملحق: ١

الأسماء التي أطلقت على مطبعة بولاق(١)

على الرغم من أن الاسم الذي عُرِف عن المطبعة وشاع استخدامه بين الناس هو "مطبعة بولاق" (بولاق مطبعه سى)، إلا أننا نرى فوق الكتب التي طبعتها أسماءً تركية وعربية متعددة. ويمكننا ترتيبها على النحو التالي اعتماداً على الكتب التي مرت عليها لأول مرة:

- دار الطباعة، وهو الاسم الذي نقش على لوحة تأسيسها بتاريخ (١٢٣٥هـ [١٨١٩-٢٠م])، وجاء على أول كتاب طبعته في تلك السنة وهو كتاب (وصايا نامه ْ سفريه).
- مطبعة صاحب السعادة(١٢٣٨هـ[١٨٢٢م]-*Dizionario Italiano e Arabo*).
- دار الطباعة المعمورة (١٢٤٥هـ[١٨٣٠م]- سير ويسي).
- مطبعة بولاق (١٢٤٧هـ[١٨٣٢م]- روضة الأبرار).
- مطبعة الكبير (١٢٥٠هـ[١٨٣٤-٣٥م]- شرح ديوان حافظ لسودي).
- دار الطباعة الخديوية (١٢٥١هـ[١٨٣٥]- فاتح الأبيات).
- دار الطباعة العامرة (١٢٥٤هـ [١٨٣٨م]- تاريخ اسكندر فيلبوس).
- دار الطباعة الباهرة (١٢٥٧هـ [١٨٤١م] - ديوان كَلشن لُفكار واصف اندروني).
- بولاق مطبعه سى (١٢٦٠هـ[١٨٤٤م]- جدول مبيعات مطبعة بولاق).
- مطبعه ْ عامره (١٢٦٢هـ[١٨٤٥-٤٦م]- جدول مبيعات مطبعة بولاق).
- مطبعة مصر المحروسة (١٢٦٣هـ[١٨٤٦-٤٧م]- ترجمه ْ ملل ونحل).
- دار الطباعة المصرية (١٢٦٥هـ[١٨٤٩م]- إيرادات ديوانيله بو دفعه....).

---

(١) على الرغم من تعدد الأسماء التي أطلقت على المطبعة كما هو واضح من هذا الملحق إلا أن الاسم المعروف لها والذي شاع بين الناس واستمر إلى اليوم هو اسم "مطبعة بولاق" الذي عُرفت به نسبةً إلى الحي الذي أقيمت فيه. ولم نستخدم في مداخل الكتب إلا شكل . M. Bulak أو Bulak. M حتى لا يتسبب ذلك في نوع من الخلط في الأسماء اللهم إلاّ الكتب المطبوعة في المطبعة عندما كانت تحت إدارة عبد الرحمن رشدي بك.

- مطبعهٔ عامرهٔ مصريه (١٢٧١هـ[١٨٥٥م]- شرح التحفة المنظومة الدرية في لغة الفارسية الدرية).
- مطبعهٔ بولاق (١٢٧٦هـ[١٨٥٩م] - قانوننامهٔ اراضي).
- مطبعهٔ سنيه (١٢٨٧هـ[١٨٧٠م] - سلسلهٔ صفا لمحمد مصطفى).
- عبد الرحمن رشدي بك مطبعه سى (كان الخديوي سعيد باشا قد باع مطبعة بولاق في سنة ١٨٦٢م لصديقه عبد الرحمن رشدي بك فتغير اسمها آنذاك. ثم عاد الخديوي إسماعيل فاستردها منه في سنة ١٨٦٥م).
- مطبعهٔ عامرهٔ ميريه (١٣٠٠هـ[١٨٨٣م]- شفاء الفؤاد).

ملحق: ٢

المصححون والكتب التركية التي قاموا بتصحيحها

استطعنا أثناء الدراسة التثبت من أسماء ثلاثة عشر مصححاً كانوا يتولون مهمة التصحيح للكتب التركية في مطبعة بولاق. وأدرجنا هنا تلك الأسماء مرتبة ألفبائياً ومعها أسماء الكتب التي قاموا بتصحيحها، وهي على النحو التالي:

- أحمد أفندي قيرق كيمسوي: ترجمهٔ سير الحلبي (١٢٤٨هـ / ١٨٣٣م)، الأوقيانوس البسيط في ترجمة القاموس المحيط (١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م)، شرح ديوان حافظ لسودي (١٢٥٠هـ / (١٨٣٤م)، معرفتنامه (١٢٥١هـ / ١٨٣٥م)، شرح الوصية المحمدية (١٢٥١هـ / ١٨٣٥م)، شرح المحمدية الموسوم بفرح الروح _١٢٥٥ - ١٢٥٦هـ / ١٨٣٩ - ١٨٤٠م).
- حافظ محمد مراد، شيخ النقشبدية: معرفتنامه (١٢٥١هـ/١٨٣٥م).
- سعد الله سعيد آمدي[٢]: قانون الجراحين (١٢٤٤هـ / ١٨٢٨م)، درة التاج (١٢٤٥هـ / ١٨٣٠م)، أخلاق علائي (١٢٤٨هـ / ١٨٣٣م)، روضة الأبرار المبين بحقائق الأخبار (١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م)، سليمان نامه (١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م)، ذيل نابي (١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م).

---

(٢) انظر: Johann, Strauss, *The Egyptian Connection in nineteenth century Ottoman literary and intellectual history* Beirut: Orient-Institut der Deutschen Morgenländischen, 2000,p 12

- شريف أحمد، شيخ المصححين: شرح المحمدية الموسوم بفرح الروح (١٢٥٥هـ / ١٨٣٩-٤٠م)، ديوان فضولى (١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م)، ديوان سزايى گلشني (١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م) ك. منهاج الفقرا (١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م)، نوادر الاثار في مطالعة الأشعار (١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م)، رشحات عين الحياة (١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م)، رسالهٔ حجت السما (١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م)، شرح قصيدة البردة (١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م)، شرح الموقوفاتي (١٢٥٦هـ / ١٨٤١م)، ترجمة التبيان في تفسير القرآن (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م)، ديوان گلشن أفكار (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م)، نهج السلوك في سياسة الملوك (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م)، مرآت الكائنات (١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م).
- عبد الوهاب داغستاني: أخلاق علائي (١٢٤٨هـ/ ١٨٣٣م)، وروضة الأبرار المبين بحقايق الأخبار (١٢٤٨هـ/١٨٣٢م)، وذيل نابي (١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م)، وسليمان نامه (١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م)، والأوقيانوس البسيط في ترجمة القاموس المحيط (١٢٥٠هـ/١٨٣٤م).
- محمد أفندي معلم التركية في المدرسة التجهيزية: النخبة الزكية في اللغة التركية (١٢٩٤هـ/١٨٧٧م).
- محمد أفندي، داغستاني (١٢٥٦ – ١٢٥٨هـ / ١٨٤٠- ١٨٤٣م): ترجمة التبيان في تفسير القرآن (١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م)، ديوان حشمت (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م)، ديوان إسماعيل حقي (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م)، انتساب الملوك (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م)، مقالات إسماعيل حقي (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م)، معرفتنامه (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م)، دفتر عشق (١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م)، ديوان عارف (١٢٥٧هـ / ١٨٤٢م)، ديوان فاضل بك أندروني (١٢٥٧هـ / ١٨٤٢م)، شرح المحمدية الموسوم بفرح الروح (١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م)، ترجمة كتاب السواد الأعظم (١٢٥٨هـ [١٨٤٢]).
- محمد عصمت أفندي: مجموعهٔ علوم رياضيه (١٢٥٧ – ٦١هـ / ١٨٤١ – ١٨٤٥م).
- محمد مظهر أفندي، مهندس في الإسكندرية: مجموعهٔ علوم رياضيه (١٢٥٧ – ١٢٦١هـ / ١٨٤١ – ١٨٤٥م).

- محمد نجيب مفتي زاده، انطاكيه لى: رموز التوحيد (١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م)، سلسله ْ صفا لمحمد مصطفى (١٢٨٧هـ /١٨٧٠م)، پند عطار شرح كنز نصايح (١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م)، ك. التفسير الجمالي على التنزيل الجلالي (١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م)، چاي رساله سى (١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م)، أنوار العاشقين (١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م)، فضائل شهور (١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م)، خواص بيبريه (١٣٠٠هـ /١٨٨٣م)، خواص أسماء الله الحسنى (١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م)، علم صرفدن بنا ومقصود شرحلرى (١٣٠٠هـ /١٨٨٢ -٨٣م)، شرح المنفرجة (١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م)، شفاء الفؤاد (١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م)، ك. تحفة العباسية للمدرسة العلية التوفيقية (١٣٠١هـ / ١٨٨٤م)، رياض المختار مرآت الميقات والأدوار مع مجموعة الأشكال (١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م).
- مصطفى أفندي وهبي موروي، باش مصحح للكتب التركية في المطبعة العامرة: ديوان حشمت (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م)، ديوان إسماعيل حقي (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م)، انتساب الملوك (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م)، مقالات إسماعيل حقي (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م)، معرفتنامه (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م)، دفتر عشق (١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م)، ديوان عارف (١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م)، ديوان فاضل بك اندروني (١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م)، شرح المحمدية الموسوم بفرح الروح (١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م)، ترجمه ْ كتاب السواد الأعظم (١٢٥٨هـ [١٨٤٢])، ديوان نيازي (١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م)، ترجمة التبيان في تفسير القرآن (١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م، ١٢٦٧هـ / ١٨٥٠ - ٥١م)، ديوان ليلى خانم (١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م)، حديقة السعدا (١٢٦١هـ / ١٨٤٥، ١٢٧١ / ١٨٥٤ - ٥٥م)، منتخبات مير نظيف (١٢٦١هـ / ١٨٤٥م)، أشعار الحاج عاكف افندي (١٢٦٢هـ / ١٨٤٦م)، مناقب أولياء مصر (١٢٦٢هـ / ١٨٤٦م)، منشآت عاكف (١٢٦٢هـ / ١٨٤٦م)، ترجمه ْ رساله ْ خالديه (١٢٦٢هـ / ١٨٤٦، ١٢٦٥ / ١٨٤٩م)، ترجمه ْ ملل ونحل (١٢٦٣هـ / ١٨٤٧م)، ترجمه ْ مثنوي لنحيفي (١٢٦٨هـ / ١٨٥٢م)، تبيان نافع در ترجمه ْ برهان قاطع (١٢٦٨هـ / ١٨٥٢م)، مرآت الكائنات (١٢٦٩هـ / ١٨٥٣م)، شرح نيازي على شرح البركوي للقنوي (١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م)، دلائل نبوت محمدي وشمائل فتوت أحمدي (١٢٧١هـ / ١٨٥٥م)، شرح

التحفة المنظومة الدرية في لغة الفارسية الدرية (١٢٧١هـ / ١٨٥٥م)، نهج السلوك في سياسة الملوك (١٢٧٢هـ / ١٨٥٦م)، شرح ديوان حافظ لوهبي (١٢٧٣هـ / ١٨٥٧م)، ترجمه٬ مقدمه٬ ابن خلدون (١٢٧٤هـ / ١٨٥٨م)، تاريخ الأمم والملوك ترجمه سي (١٢٧٥هـ / ١٨٥٨ - ٥٩م)، ايرماقلر ودره لرك استكشافنه دايردر (١٢٧٦هـ / ١٨٥٩ - ٦٠م)، سفينه٬ نفيسه٬ مولويان (١٢٨٣هـ / ١٨٦٧م).

- مصطفى مستي أفندي: ترجمة التبيان في تفسير القرآن (١٢٧٩هـ / ١٨٦٣م)، معرفتنامه (١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م).
- يعقوب أفندي، مترجم الطبعخانه (مطبعة بولاق): تحفة العباسية للمدرسة العلية التوفيقية (١٣٠١هـ/١٨٨٤م).

وكان هناك في المطابع الأخرى عدا مطبعة بولاق مصححون يتولون نفس المهمة؛ ففي "مطبعة المدارس المصرية" بالقاهرة قام محمد طالب أفندي (١٢٩١هـ/١٨٧٤)، بتصحيح كتاب قواعد عثمانيه، وفي "مطبعة سراى الاسكندرية" قام عزيز أفندي (١٢٤٩-١٢٥٠هـ /١٨٨٣ - ١٨٣٥م)، بتصحيح كتابي تاريخ ايطاليا وتاريخ نابليون بونابرت والمجلد الأول من شرح ديوان حافظ لسودي.

ملحق: ٣

أسماء الملتزمين في مطبعة بولاق والكتب التي طبعت لحسابهم

١- عبدي أفندي أدرنوي: مرآت الكائنات (١٢٥٨هـ/١٨٤٢م).

٢- عبد الرحمن حافظ أفندي خربطلي: ترجمه٬ مقدمه٬ ابن خلدون (١٢٧٥هـ / ١٨٥٩م).

٣- علي يورمالى: ديوان فضولى (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م).

٤- بكير افندي موروي: ديوان عارف (١٢٥٨هـ/١٨٤٢م).

٥ - خليل چاوش: شرح المحمدية الموسوم بفرح الروح (١٢٥٥-٥٦هـ/١٨٣٩-٤٠م)، نهج السلوك في سياسة الملوك (١٢٥٧هـ/١٨٤١م).

٦ - حسن أفندي قريمي: ديوان گلشن أفكار (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م).

٧- حسين أغا، آباظه: شرح المحمدية الموسوم بفرح الروح (١٢٥٥-٥٦هـ / ١٨٣٩ - ٤٠م)، نهج السلوك في سياسة الملوك (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م).

٨- حسين افندي طرنوه لى: ترجمهٔ رسالهٔ خالديه (١٢٦٥هـ / ١٨٤٩م).

٩- حسين أفندي طرابزوني: ديوان إسماعيل حقي (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م)، مقالات إسماعيل حقي (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م).

١٠- إبراهيم أدهم أفندي: معرفتنامه (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م).

١١- محمود بك ناظر المدرسة العلية: ترجمهٔ ملل ونحل (١٢٦٣هـ / ١٨٤٧م)، معاملات رساله سى (١٢٦٤هـ / ١٨٤٧ - ٤٨م)، تحفة الشاهان (١٢٦٤هـ / ١٨٤٧ - ٤٨م).

١٢- محمود أفندي وكيل دائرة كتخدا مصر: مناقب أولياء مصر (١٢٦٢هـ / ١٨٤٦م).

١٣- محمود أفندي امراخورى: شرح الموقوفاتي (١٢٥٦هـ/١٨٤١م)، ترجمة التبيان في تفسير القرآن (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م)، معرفتنامه (١٢٥٧هـ/١٨٤١م).

١٤- محمود أفندي، صحاف: ديوان نيازي (١٢٥٩هـ/١٨٤٣م).

١٥- محو بك: ديوان نابي (١٢٥٧هـ/١٨٤١م).

١٦ – محمد كامل أفندي بن عبدي أدرنوي، شيخ الصحافين والعرضحالجية: نوادر الآثار في مطالعة الأشعار (١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م)، ديوان گلشن أفكار (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م)، شرح الشفا (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م)، شرح المحمدية الموسوم بفرح الروح (١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م)، مرآت الكائنات (١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م)، ديوان نيازي (١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م)، ترجمة التبيان في تفسير القرآن (١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م)، ديوان ليلى خانم (١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م)، حديقة السعدا (١٢٦١هـ / ١٨٤٥م)، منتخبات مير نظيف (١٢٦١هـ / ١٨٤٥م)، أشعار الحاج عاكف أفندي (١٢٦٢هـ / ١٨٤٦م)، منشآت عاكف (١٢٦٢هـ / ١٨٤٦م)، ترجمهٔ رساله خالديه (١٢٦٢هـ / ١٨٤٦م).

١٧ - محمد علي افندي، صحاف: نهج السلوك في سياسة الملوك (١٢٧٢هـ / ١٨٥٦م).

١٨- محمد أمين أفندي لزميري، ناظر روزنامة مصر المحروسة: شرح قصيدة البردة (١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م)، ديوان عارف (١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م)، ترجمهٔ قصيدهٔ سنكلاخ در مدح ازمير (١٢٦١هـ / ١٨٤٥م)، ترجمة التبيان في تفسير القرآن (١٢٦٧هـ / ١٨٥٠ - ٥١م و ١٢٧٩هـ / ١٨٦٣م)، شرح نيازي على شرح البركوي للقنوي (١٢٦٩هـ / ١٨٤٥م)، دلائل نبوت محمدي وشمائل فتوت أحمدي (١٢٧١هـ / ١٨٥٥م)، حديقة السعدا (١٢٧١هـ / ١٨٥٤ - ٥٥م)، شرح التحفة المنظومة الدرية في لغة الفارسية الدرية (١٢٧١هـ / ١٨٥٥م)، تاريخ الأمم و الملوك ترجمه سى (١٢٧٥هـ / ١٨٥٨ - ٥٩م)، معرفتنامه (١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م)، فضائل شهور (١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م)، خواص أسماء الله الحسنى (١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م)، چاي رساله سى (١٣٠٠هـ / ١٨٨٣٣م)، خواص بيبريه (١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م)، شفاء الفؤاد (١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م)، شرح المنفرجة (١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م).

١٩- محرم حافظ افندي: ترجمهٔ مقدمهٔ ابن خلدون (١٢٧٥هـ / ١٨٥٩م).

٢٠- عثمان أغا جانبولاد: شرح الموقوفاتي (١٢٥٦هـ / ١٨٤١م)، ترجمة التبيان في تفسير القرآن (١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م)، معرفتنامه (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م)، شرح الشفا (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م).

٢١- عثمان نورى افندي، الحاج الإسلامبولى: ديوان سزايى گلشنى (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م)؛ كتاب منهاج الفقرا (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م)؛ رسالهء حجت السما (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م)؛ ديوان گلشن افكار (١٢٥٧هـ/١٨٤١م).

٢٢- عمر أغا الإسلامبولي [يزستاني]: ديوان گلشن أفكار (١٢٥٧هـ /١٨٤١م)، دفتر عشق (١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م)؛ ديوان فاضل بك أندروني (١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م).

٢٣- صالح حافظ أفندي: منتخبات أوليا چلبي (١٢٦٤هـ / ١٨٤٧ - ٤٨م).

٢٤- شريف مصطفى أفندي: ديوان حشمت (١٢٥٧هـ [١٨٤١م])، ترجمهٔ كتاب السواد الأعظم (١٢٥٨هـ [١٨٤٢م]).

قائمة المصادر والمراجع

١- الكتب التركية الحديثة والافرنجية

ACAROĞLU, Türker, "Dünyada basılan ilk Türkçe kitap", *Belleten,* L/197 (Ağustos 1986), s. 507-530.

Akay, Aydın Safa, *Türkiye'de insan haklarının tarihi gelişimi 1919-1938,* Ankara: Hacettepe Üniversitesi basılmamış doktora tezi 2004.

AKGÜNDÜZ, Ahmed - Said Öztürk ve Yaşar Baş, *Darende tarihi,* İstanbul: Osmanlı Araştırmaları Vakfı, 2002.

AKÜN, Ömer Faruk, "Fıtnat Hanım", *DİA*, c. XIII, s.39-46

AKÜNAL, Dündar, "Jön Türk Gazeteleri", *Tanzimat'tan Cumhuriyet'e Türkiye Ansiklopedisi,* c.III, s.850-856.

ALBAYRAK, Sadık, *Son devir Osmanlı uleması: ilmiye ricalinin terâcim-i ahvali,* 5 c., İstanbul: Medrese Yayınevi, 1981.

ALKAN, Ahmet Turan, *Ubeydullah Efendi'nin Amerika hatıraları,* İstanbul: İletişim Yayınları, 1989.

ALPAN, Necip P., *Tarihin ışığında Arnavutluk,* Ankara: Kardeş Yayınları, 1975.

Arabic collection Aziz S. Atiya Library for Middle East studies, Salt Lake City: Middle East Center University of Utah Libraries, 1968.

Aşık Çelebi, *Meşâ'irü'ş-şu'arâ, or Tezkere of Aşık Çelebi,* giriş G.M. Meredith – Owens, Cambridge: E.J.W. Gibb Memorial; London: Messrs Luzac ve Co., 1971.

ATALAY, Besim, *Bektaşilik ve edebiyatı,* İstanbul: Matbaa-i Amire, 1340 [1921-22].

AYDÜZ, Salim, "Lâle devrinde yapılan ilmî faaliyetler", *Dîvân İlmî Araştırmalar* (1997/1), s. 143-170.

AYDÜZ, Salim, "The role of translations in the eighteenth century in transferring modern European science and technology to the ottoman State", *Dîvân İlmî Araştırmalar* (2000 /4-5), s. 499-511.

AYNUR, Hatice, "Bulak Matbaası'nda basılan Türkçe divanlar", *Journal of Turkish Studies,* c.14, (Fahir iz Armağanı), Harvard University, 1990, s.43-74.

BABINGER, Franz Carl Heinrich, *Osmanlı tarih yazarları ve eserleri,* çeviren Coşkun Üçok, Ankara: Kültür Bakanlığı Yayınları, 1992.

BANARLI, Nihad Sami, *Resimli Türk edebiyatı tarihi, destanlar devrinden zamanımıza kadar,* 2c., İstanbul: Milli Eğitim Bakanlığı, 1983.

BAYAT, Ali Haydar, *Osmanlı Devleti'nde hekimbaşılık kurumu ve hekimbaşılar*, Ankara: Atatürk Yüksek Kurumu Atatürk Kültür Merkezi Başkanlığı, 1999.

Bayhan, Ahmet Ali, "Osmanlı eğitim müesseselerine Kahire'den iki örnek: Süleyman Paşa ve Sultan I. Mahmud Medreseleri", *Osmanlı dünyasında bilim ve eğitim milletlerarası kongresi: tebliğler (12-15 nisan 1999: İstanbul)*, İstanbul: IRCICA, 2001, s.45-46.

Bayram, Ali, M. Sadi Çöğenli ve Lütfi Bayraktutan, *Seyfettin Özege bağış kitapları ek kataloğu; kitap adına göre*, 5 c., Erzurum: Atatürk Üniversitesi, 1983.

Bayram, Ali, M. Sadi Çöğenli, *Seyfettin Özege bağış kitapları kataloğu; kitap adına göre*, 4 c., Erzurum: Atatürk Üniversitesi, 1978-80.

BAYSAL, Jale, *Müteferrika'dan Birinci Meşrutiyet'e kadar Osmanlı Türkleri'nin bastıkları kitaplar*, İstanbul: Edebiyat Fakültesi Basımevi, 1968.

BEYDİLLİ, Kemal, *Türk bilim ve matbaacılık tarihinde Mühendishâne, Mühendishâne Matbaası ve Kütüphânesi (1776-1826)*, İstanbul: Eren Yayıncılık, 1995.

BEYSANOĞLU, Şevket, *Diyarbakırlı fikir ve sanat adamları*, 3 c., İstanbul: Diyarbakır'ı Tanıtma Derneği, 1957-59.

BIANCHI, T.X., "Bibliographie Ottomane ou notice des ouvrages publies", *Journal Asiatique*, XIII (1859), s.519-555.

BIANCHI, T.X., "Bibliographie Ottomane ou notice des ouvrages publies", *Journal Asiatique*, XIV (1859), s.287-299.

BIANCHI, T.X., "Bibliographie Ottomane ou notice des ouvrages publics", *Journal Asiatique*, XIV (1860), s.323-346.

BIANCHI, T.X., "Bibliographie Ottomane ou notice des ouvrages publies", *Journal Asiatique*, XIX (1863), s.217-271.

BIANCHI, T.X., "Catalogue général des livres arabes, persans et turcs, imprimés à Boulac en Egypte depuis l'introduction de l'imprimerie dans ce pays", *Journal Asiatique*, serie 4, 2 (1843), s. 24-61.

Bibliographie de l'Universite Saint Joseph de Beyrouth, Beyrouth: Soixante Quinze and de Travaux Litteraires et.., 1951.

Bibliography of books translated into Arabic in Egypt 1822-1995, 8 c., Kahire: National Library and Archives Press, 2002.

BİLMEN, Ömer Nasuhi, *Büyük tefsir tarihi: tabakatü'l-müfessirîn*, 2 c., Ankara: Diyanet İşleri Reisliği, 1960.

BİNARK, İsmet ve Halit Eren, *World bibliography of translations of the meanings of the Holy Qur'an printed translations 1515-1980*, editör Ekmeleddin İhsanoğlu, İstanbul: The Research Center for Islamic History, Art and Culture, 1986.

BİRİNCİ, Ali, "Ali Haydar Mithat", *OA.*, c.I, s.212-214

BİRİNCİ, Ali, "Rıfat Bey (Mevlanzâde)„ *OA*, c.II, s.461-463.

BLUNT, Wilfrid Scawen, *Secret history of the English occupation of Egypt: being a personal narrative of events*, London: T. Fisher Unwin, 1907.

BOUSTANY, Salaheddine, *The Press during the French expedition in Egypte 1798-1801*, Cairo: Al-Arab Bookshop, 1954.

BOWRING, John, *Report on Egypt 1828-1839: Under the reign of Mohamed Ali*, London: Triade, 1998.

BOZARSLAN, M. Emin, *Kurdistan, I-II*, Uppsala 1991.

BROCCHI, G. B., *Giornale delle osservazioni fatte nei viaggi in Egitto nella Siria e nella Nubia*, c. I, Bassano 1841.

BROCKELMANN, Carl, *Geschichte der Arabischen litteratur*, 5 c., Leiden: E.J. Brill, 1937-1949.

BROWNE, Edward G., *A hand list of Turkish books*, Cambridge: Cambridge University Press, 1906.

BUDAK, Ali, *Batılılaşma sürecinde çok yönlü bir Osmanlı aydını: Münif Paşa*, İstanbul: Kitabevi, 2004.

Catalogue de la Bibliotheque du Musee Egyptien du Caire 1927- 1958, Le Caire: Ministere du Tourisme et des Antiquities, 1966.

Catalogue of Arabic, Persian and Ottoman Turkish books; authors, titles and personal subjects, 5 c., Cambridge: Harvard University Library, 1968.

CELAL, Melek, *Reisülhattatin Kâmil Akdik*, [İstanbul 1938]

CUNBUR, Müjgan, *Fuzuli hakkında bir bibliyografya denemesi*, İstanbul: Maarif Basımevi, 1956.

GLASS, Dagmar - Geoffrey Roper, "The Printing of Arabic books in the Arab world", *Middle Eastern languages and the print revolution: a cross-cultural encounter: a catalogue and companion to the exhibition*, ed. Eva Hanebutt-Benz, Dagmar Glass, Geoffrey Roper, Westhofen: WVA-Verlag Skulima, 2002,

DAĞLI, Yücel (haz.), *Tarih çevirme kılavuzu*, 5 cilt, Ankara: Atatürk Kültür, Dil ve Tarih Yüksek Kurumu Türk Tarih Kurumu Yayınları, 1997.

DANİŞMEND, İsmail Hami, *İzahlı Osmanlı tarihi kronolojisi*, 6 c., İstanbul: Türkiye Yayınevi, 1971-72.

DENY, J. *Sommaire des archives Turques du Caire*, Caire: l'Institut Français d'Archéologie Orientale, 1930.

DERMAN, M. Uğur, *İslam kültür mirasında hat sanatı*, İstanbul: IRCICA, 1992.

Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi, İstanbul, Türkiye Diyanet Vakfı, 1988-...

Dorn, M. "Catalogue des ouvrages Arabes, Persans et Turcs publiés a Constantinople, en Égypte et en Perse qui se trouvent au Musée Asiatique de l'Académie", *Bulletin de l'Académie Impériale des Sciences*, St-Petersbourg, 1866.

DOUIN, George (ed.), *La mission du Baron Boislecomte, L'Egypte et la Syrie en 1833*, Kahire 1927.

Dosay, Melek, "İbrahim Edhem Paşa", *OTAM*, sayı 7 (Ankara 1996), s. 110-117.

DUMAN, Hasan, *İstanbul Kütüphaneleri Arap harfli süreli yayınlar toplu kataloğu 1828-1928 = Union Catalogue of the periodicals in Arabic script in the Libraries of İstanbul*, önsöz Ekmeleddin İhsanoğlu, İstanbul: İslâm Tarih, Sanat ve Kültür Araştırma Merkezi, 1986.

DURUSOY, M. Orhan, *İstanbul Belediye Kütüphanesi alfabetik kataloğu*, 3c., İstanbul: İstanbul Belediyesi, 1953-54.

EGE, Nezehat Nurettin, *Prens Sabahaddin: hayatı ve ilmi müdafaaları*, İstanbul: Güneş Neşriyat, 1977.

ELLIS, A.G. *Catalogue of Arabic books in the British Museum*, 3 c., London: The British Museum, 1894-1935.

EMİL, Birol, *Mizancı Murad Bey: hayatı ve eserleri*, İstanbul: İ.Ü. Edebiyat Fakültesi, 1979.

ERDEHA, Kâmil, *Millî mücadelede vilayetler ve valiler*, İstanbul: Remzi Kitabevi, 1975.

ERGİN, Osman Nuri, *Türkiye maarif tarihi*, 5 c., 2.bs., İstanbul: Eser Kültür Yayınları, 1977.

ERŞAHİN, Seyfettin, "Rusya'da Müslümanlar: Tatar kavimlerinin tarihçesi", *Ankara Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi*, c. XXXV (1996), s.561-602.

Eski harfli Türkçe süreli yayınlar toplu kataloğu, Ankara: Kültür ve Turizm Bakanlığı Millî Kütüphane Başkanlığı Yayınları, 1987.

FAHMY, Khaled, "The Era of Muhammad 'Ali Pasha, 1805-1848", *The Cambridge history of Egypt*, II: *Modern Egypt, from 1517 to the end of the twentieth century*, M. W. Daly (ed.), Cambridge: Cambridge University Press, 1998, s.139-179.

FAHMY, Khaled, *All the Pasha's men: Mehmed Ali, his army and the making of modern Egypt*, Cambridge: Cambridge University, 1997.

FESCH, Paul, *Abdülhamid'in son günlerinde İstanbul*, tercüme: Erol Üyepazarcı, İstanbul: Pera Turizm ve Ticaret, 1999.

FINDIKOĞLU, Z. Fahri, *XIX. asırda Türkiye dışında Türk gazeteciliği ve Tarsûsîzâde Münif Bey hayatı ve neşrettiği gazeteler (1873-1930)*, İstanbul: Türkiye Harsi ve İçtimai Araştırmalar Derneği, 1962.

FLUGEL, Gustav, *Die Arabischen, Persischen, Turkischen handschriften der Kaiserlichen und Koniglichen Hofbibliothek zu* Wien, 3 c., reprint.- Hildesheim: Georg Olms Verlag, 1977.

FOLTON, Alexander S. ve Martin Lings, *Arabic printed books in the British Museum; second supplementary catalogue*, London: The Trustees of the British Museum, 1959.

GALANTİ, Avram, *Küçük Türk tetebbular*, İstanbul: Kâğıtçılık ve Matbaacılık Anonim Şirketi, 1925/1341

GERÇEK, Selim Nüzhet, "Jön Türk gazeteleri", *Akşam Gazetesi*, 19 Mart 1941.

GERÇEK, Selim Nüzhet, "Jön Türk Neşriyatı", *Akşam Gazetesi*, 3 Nisan 1941.

GERÇEK, Selim Nüzhet, *Türk Matbaacılığı I: Müteferrika Matbaası*, İstanbul: Devlet Matbaası, 1939.

GIBB, J.W., *History of Ottoman Poetry*, 6 c., editör Edward G.- reprint.- London: Luzac, 1958-67.

GORDON, Lady Duff, *Letters from Egypt (1862-1869)*, ed. Gordon Waterfield, London: Routledge & Kegan Paul, 1969.

GÖÇMEN, Muammer, *İsviçre'de Jön Türk basını ve Türk siyasal hayatına etkileri: 1889-1902*, İstanbul: Kitabevi, 1995.

GÖTZ, Manfred, *Türkische handschriften*, Wiesbaden: Franz Steiner Verlag, 1979.

GÖVSA, İbrahim Alaeddin, *Türk meşhurları ansiklopedisi*, İstanbul: Yedigün Matbaası, [1946].

GRANT, Michael, *Greek and Latin authors*, New York. H.W. Wilson Co. 1980

GÜLERSOY, Çelik, *Hidiv'ler ve Çubuklu Kasrı*, İstanbul: Türkiye Turing ve Otomobil Kurumu, 1985.

HAMMER, Joseph von Purgstall. *Geschichte des Osmanischen Reiches*, 10 c., Graz: Akademische Druck Verlagsanstalt, 1963.

HANİOĞLU, M. Şükrü, "Jön Türk Basını", *Tanzimat'tan Cumhuriyet'e Türkiye Ansiklopedisi*, c.III, s.844-850.

HANİOĞLU, M. Şükrü, *Bir siyasal düşünür olarak Doktor Abdullah Cevdet ve dönemi*, İstanbul: Üçdal Neşriyat, 1981.

HANİOĞLU, M. Şükrü, *Bir siyasal örgüt olarak Osmanlı İttihad ve Terakki Cemiyeti ve Jön Türklük (1889-1902)*, İstanbul: İletişim Yayınları, [1985].

HANİOĞLU, M. Şükrü, "Abdullah Cevdet", *DİA*, c. 1, s.90-93.

HELEN, Harry, *Handbook of oriental collections in Finland*, London; Malmo: Curzon Press Ltd., 1978.

Heyworth-Dunne, J., "Printing and translations under Muhammed Ali of Egypt", *Journal of the Royal Asiatic Society*, London, 3 (July 1940), s. 325-349.

Heyworth-Dunne, J., *An introduction to the history of education in modern Egypt*, London: Luzac and Co., [1935]

HILL, Richard, *A biographical dictionary of the Anglo-Egyptian Sudan*, Oxford: At the Clarendon Press, 1951.

HİSAR, Abdülhak Şinasi, *Boğaziçi mehtapları*, İstanbul: Hilmi Kitabevi, 1955

HOCA, Nazif M., *Sûdî, hayatı, eserleri ve iki risâlesinin metni*, İstanbul 1980

HSU, Cheng-Hsiang, "The first thirty years of Arabic printing in Egypt, 1238-1267 (1822-1851); a bibliographical study with a check list by title of Arabic printed works" (Basılmamış Doktora Tezi, The University of Edinburgh 1985)

HUNTER, F. Robert, *Egypt under the Khedives, 1805-1879: from Household Government to modern bureaucracy*, Pittsburgh: University of Pittsburgh Press, 1984.

İBN HALDUN, *Mukaddime*I, hazırlayan: Süleyman Uludağ, İstanbul: Dergah Yayınları, 1988.

İHSANOĞLU, Ekmeleddin - Hatice Aynur, "Yazmadan basmaya geçiş: Osmanlı basma kitap geleneğinin doğuşu (1729-1848)", *Osmanlı Araştırmaları XXII: Prof. Dr. Nejat Göyünç'e Armağan I* (2003), s. 219-255

İHSANOĞLU, Ekmeleddin - Ramazan Şeşen - Cevat İzgi, *Osmanlı matematik literatürü tarihi(OMLT)*, 2 c., İstanbul: İslâm Tarih, Sanat ve Kültür Araştırma Merkezi, 1999.

İHSANOĞLU, Ekmeleddin - Ramazan Şeşen v d., *Osmanlı askerlik literatürü tarihi(OASLT)*, 2 cilt, İstanbul: IRCICA, 2004.

İHSANOĞLU, Ekmeleddin - Ramazan Şeşen ve diğerleri, *Osmanlı astronomi literatürü tarihi(OALT)*, 2 c., İstanbul: İslâm Tarih, Sanat ve Kültür Araştırma Merkezi, 1997.

İHSANOĞLU, Ekmeleddin - Ramazan Şeşen ve diğerleri, *Osmanlı coğrafya literatürü tarihi(OCLT)*, 2 c., İstanbul: İslâm Tarih, Sanat ve Kültür Araştırma Merkezi,

İHSANOĞLU, Ekmeleddin, "Başhoca İshak Efendi Pioneer of Modern Science in Turkey", Decision Making and Change in the Ottoman Empire, ed. Caesar E. Farah, Kirksville: The Thomas Jefferson University Press, 1993, s. 157-168.

İHSANOĞLU, Ekmeleddin, *Açıklamalı Türk kimya eserleri bibliyografyası*, İstanbul: İslâm Tarih, Sanat ve Kültür Araştırma Merkezi, 1985.

İHSANOĞLU, Ekmeleddin, *Osmanlı tabii bilimler literatürü tarihi*, 2c., İstanbul: IRCICA 2006.

İNAL, İbnülemin Mahmud Kemal, *Son asır Türk şairleri*, İstanbul: Maarif Basımevi, 1930-40.

İNAL, İbnülemin Mahmud Kemal, *Son hattatlar*, İstanbul: Maarif Basımevi, 1955.

İNAL, İbnülemin Mahmud Kemal, *Son sadrazamlar*, 4 c., 3. bs., İstanbul: Dergah Yayınları, 1982.

İstanbul kütüphaneleri tarih-coğrafya yazmaları katalogları, İstanbul: Milli Eğitim Bakanlığı, 1962.

İZGİ, Cevat, "Gümülcineli Muhammed Oğlu Hüseyin Hüsnî Paşa", *Batı Trakya'nın Sesi*, sayı 6 (Eylül-Ekim 1988), s.32-33.

JOMIER, J. , "Fikri, Abdullah Paşa", *EI²*, c. II, s.892.

Journal of Turkish Studies = Türklük Bilgisi Araştırmaları, U.S.A.: Harward University, 1971-

KAMPOF, Leopold, *Mühim bir gece*, mütercim: Kadriye Hüseyin, Mısır: Osmanlı Matbaası, 1909

KARA, İsmail, "Ulema-Siyaset ilişkilerine dair önemli bir metin: Muhalefet yapmak / Muhalefete katılmak", *Dîvân İlmî Araştırmalar* (1998/1), s.1-25.

KARA, İsmail, *Hilâfet risâleleri* 1-2, İstanbul: Klasik, 2002.

KARAL, Enver Ziya, *Osmanlı Tarihi*, c. V, 4. Baskı, Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1983

KARATAY, Fehmi Edhem, *İstanbul Üniversitesi Kütüphanesi Arapça basmalar alfabe kataloğu*, İstanbul: İstanbul Üniversitesi, 1951-53.

KARATAY, Fehmi Edhem, *İstanbul Üniversitesi Kütüphanesi Türkçe basmalar alfabe kataloğu; memleketimizde ilk Türk matbaasının kuruluşundan yeni harflerin kabulüne kadar (1729-1928)*, 2 c., İstanbul: İstanbul Üniversitesi, 1956.

KARATAY, Fehmi Edhem, *Türkçe yazmalar kataloğu*, 2 c., İstanbul: Topkapı Sarayı Müzesi, 1961.

KILIÇ, Hulusi, "Ebu'l-Bekâ el-Kefevî", *DİA*, c.X, s.298.

KINALIZÂDE HASAN ÇELEBİ, *Tezkiretü'ş-şuarâ*, 2 c., hazırlayan İbrahim Kutluk, Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1978-81.

KOÇU, Reşad Ekrem, *İstanbul ansiklopedisi*, 10 c., İstanbul: Koçu Yayınları, 1958-71.

KOLOĞLU, Orhan, "Girit'te Türkçe basın", *Tarih ve Toplum*, VIII/48 (Aralık 1987), s. 9-12.

KOLOĞLU, Orhan, *İlk Gazete İlk Polemik*, Ankara 1989.

Konya il yıllığı 1973, Konya: [T.C. İçişleri Bakanlığı Konya Valiliği], 1973.

KONYALI, İbrahim Hakkı, *Abideleri ve kitabeleriyle Üsküdar tarihi*, 2 c., İstanbul: Türkiye Yeşilay Cemiyeti, 1976.

KÖSE, Saffet, "Cemâleddin Abdullah Efendi", *DİA*, c.VII, s. 307-308

KRAFFT, Albrecht, *Die Arabischen, Persischen und Turkischen handschriften der K.K. Orientalischen Akademie zu Wien*, Wien: K.K. Orientalischen Akademie, 1842.

KREK, Miroslav, "The Enigma of the first Arabic book printed movable type", *Journal of Near Eastern Studies*, 38 (4, 1979), s. 203-212

KURAN, Ahmed Bedevî, *İnkılâp tarihimiz ve İttihad ve Terakki*, İstanbul: Tan Matbaası, 1948.

KURAN, Ahmed Bedevî, *Osmanlı İmparatorluğunda inkılâp hareketleri ve millî mücadele*, İstanbul: Baha Matbaası, 1956.

LANE, Edward William, *An account of the manners and customs of the modern Egyptians: written in Egypt during the years 1833-1835*, London: Darf Publishers Ltd., 1986.

Le mondain Egyptien, ed. E.J. Blattner, Le Caire: Grieve and Irwin Ltd., 1944.

LİNGS, Martin - Yasin Hamid Safadi, *Arabic printed books in the British Library third supplementary catalogue 1958-1969*, 4 c., London: British Museum Publications Ltd., 1977.

Mardin, Şerif, *Jön Türkler'in siyasi fikirleri 1895-1908*, İstanbul: İletişim yayınları, 1999.

Afaf Lutfi al-Sayyid Marsot, *Egypt in the reign of Muhammad Ali*, Cambridge: Cambridge University Press, 1984.

Afaf Lutfi el-Sayyid Marsot, *Egypt and Cromer : a study in Anglo-Egyptian relations*, London : John Murray Publishers, 1968.

MEHMED ÂRİF BEY, *Hadisleri anlamada toplumsal boyut: Bin bir Hadîs-i Şerîf Şerhi'nden seçme kırk hadis*, yay. haz. İbrahim Hatiboğlu, İstanbul: Dârulhadis yay., 2000.

"MEHMED İHSAN EFENDİ", *DİA*, c. XXVIII, s. 490-491.

MERT, Nuray, "Cumhuriyet'in ilk döneminde yurtdışında iki muhalefet yayını: *Yarın* ve *Müsâvat*", *Toplum ve Bilim*, 69 (Bahar 1996), s.128-147.

Milli Kütüphane eski harfli Türkçe süreli yayınlar toplu kataloğu-muvakkat basımı, Ankara: Milli Kütüphane, 1963.

Milli Kütüphane'de mevcud Arap harfli Türkçe kitapların muvakkat kataloğu, 3 c., Ankara: Milli Kütüphane, 1971.

OSMANOĞLU, Osman Selaheddin, *Osmanlı Devleti'nin kuruluşunun 700. yılında Osmanlı hanedanı*, İstanbul: İSAR, 1999.

ÖZAKBAŞ, Ayşe, "17. yüzyılda yazılan bir tıp kitabı: "Şifâ'ü'l-Fu'âd li-Hazreti Sultan Murâd" İstanbul kütüphanelerindeki nüshaları ve muhtevası", *Journal of Turkish Studies: Abdülbaki Gölpınarlı Hâtıra sayısı-II*, (1996), s.133-168.

ÖZALP, Nazmi, *Ruşen Ferit Kam*, İstanbul: M.E.B., 1995.

ÖZCAN, ABDÜLKADİR, "Abdürrahman Eşref", *DİA*, c. I, s.161.

ÖZEGE, M. Seyfettin, *Eski harflerle basılmış Türkçe eserler kataloğu*, 5 c., İstanbul: Fatih Yayınevi, 1971-79.

PAKALIN, Mehmet Zeki, *Maliye teşkilatı tarihi [1442-1930]*, 4 c., Ankara: Maliye Bakanlığı, 1978.

PAMUKCİYAN, Kevork, "Botanist ve dilci Armenak Bedevyan (1884-1957)", *Toplum ve Tarih*, III / 13 (Ocak 1985), s. 65.

PETROSYAN, Yuri A., "Jön Türklerin Yasa Dışı Yayınları", *Osmanlı: Düşünce*, c.VII, s. 428-435.

Philologiae Turcicae fundamenta, 2 c., editör Jean Deny ... [ve öte.], Wiesbaden: Franz Steiner Verlag, 1959-64.

POLAT, Nâzım H., "Şerafeddin Mağmûmî (1869-1927): Hayatı, eserleri, dil ve edebiyat görüşleri", *Tıp Tarihi Araştırmaları* 8 (İstanbul 1999), s. 62-160

REİNAUD, J.T., "Notice des ouvrages Arabes, Persans et Turcs imprimes en Egypt", *Journal Asiatique*, VIII (1831), s. 333-343.

René Cattaui (ed.), *Le Règne de Mohamed Aly d'après les archives russes en Égypte*, II, Pt. 2, s. 352, Cairo: Société Royale de Géographie d'Égypte. Publications spéciales

RİEU, CHARLES, *CATALOGUE OF THE TURKİSH MANUSCRİPTS İN THE BRİTİSH MUSEUM*,- REPRİNT, OSNABRÜCK: OTTO ZELLER VERLAG, 1978.

Rıza Nur, *Hayat ve hatıralarım*, yayına hazırlayan Abdurrahman Dilipak, İstanbul: İşaret Yayınları, 1992.

"Rıza Nur", *TDEA*, c.VII, s. 82-84

SAFADİ, Yasin Hamid, "Arabic printing and book production", *Arab Islamic Bibliography*, London: Harvester Press, 1977, s. 221-234.

SAKAOĞLU, N., "Katırcıoğulları", *Dünden bugüne İstanbul ansiklopedisi*, c. IV, s. 489-

SARAÇ, M.A. Yekta, "Türk Edebiyatı'nın Mısır'da Unuttuğu Bir Şair: Aişe İsmet Teymur", *İlmî Araştırmalar*, no: 1 (İstanbul 1995), s. 131-140.

SENIOR, Nassau William, *Conversations and Journals in Egypt and Malta*, 2 vols. London: Sampson Low, Marston, Searle, and Rivington, 1882.

SERİN, Muhittin, *Hattat Aziz Efendi*, İstanbul: Kubbealtı Neşriyat, 1988.

SEVÜK, İsmail Habib, *Avrupa edebiyatı ve biz : Garpten tercümeler*, II, İstanbul : Remzi Kitabevi, 1941

SOHRWEİDE, Hanna, *Türkische handschriften: und einige in den handschriften enthaltene persische und arabische werke*, Wiesbaden: Franz Steiner Verlag, 1974.

SORGUÇ, ERDOĞAN (yay. Haz.), *Yd. P. Tğm. İbrahim Sorguç'un anıları İstklâl Harbi Hâtıratı*, 2. bs., İzmir 1996.

STEPANYAN, HASMİK A., *Ermeni harfli Türkçe kitaplar ve süreli yayınlar bibliyografyası (1727-1968)*, İstanbul: Turkuvaz yayınları, 2005.

STOREY, C.A. *Persian literature: a bio-bibliographical survey*, 2 c., reprint, London: Luzac and Company Ltd., 1970-77.

STRAUSS, Johann, "The *Millets* and the Ottoman language: the contribution of Ottoman Greeks to Ottoman letters (19th – 20th centuries)", *Dıe Welt Des Islams* XXXV/2 (1995), s.189-249.

STRAUSS, Johann, "Turkish translations from Mehmed Ali's Egypt: A Pioneering Effort and its Results," *Translations (re)shaping of literature and culture*, editör Saliha Paker, İstanbul Boğaziçi University Press, 2002, s. 108-146.

STRAUSS, Johann, *The Egyptian connection in nineteenth century Ottoman literary and intellectual history*, Beirut: Orient-Institut der Deutschen Morgenländischen, 2000.

ŞERAFEDDİN MAĞMUMİ, *Bir Osmanlı doktorunun anıları: yüzyıl önce Anadolu ve Suriye*, Çeviren Cahit Kayra, İstanbul: Büke Yayınları, 2001

ŞEŞEN, RAMAZAN, "Ahmed Şevki", *DİA*, c. II, s. 136-138.

ŞEŞEN, Ramazan - Cemil Akpınar ve Cevat İzgi, *Catalogue of Islamic medical manuscripts in the libraries of Turkey*, editör Ekmeleddin İhsanoğlu, İstanbul: The Research Centre for Islamic History Art and Culture, 1984.

ŞEŞEN, Ramazan - Cevat İzgi ve Cemil Akpınar, *Köprülü Kütüphanesi yazmalar kataloğu*, 3 c., önsöz Ekmeleddin İhsanoğlu, İstanbul: İslâm Tarih, Sanat ve Kültür Araştırma Merkezi, 1986.

TADRUS, Fawzi M., "Printing in the Arab World with emphasis on the Bulaq Press in Egypt", *University of Qatar, Bulletin of the Faculty of Humanities and Social Sciences*, V, (1982/1402), s. 61-77.

TANRIKUT, Asaf, *Yemen notları*, Ankara 1965.

TAŞKIRAN, Cemalettin, *Ana ben ölmedim: Birinci Dünya Savaşı'nda Türk esirleri*, İstanbul: İş Bankası Kültür Yayınları, 2001.

TOGAN, A. Zeki Velidî, *Bugünkü Türkili (Türkistan) ve yakın tarihi*, 2. bs., İstanbul: Enderun Kitabevi, 1981.

TOLEDANO, Ehud R., *State and society in mid-nineteenth century Egypt*, Cambridge : Cambridge University Press, 1990.

TOLEDANO, Ehud R., "Mehmed Ali Paşa or Muhammad Ali Basha? An Historiographical appraisal in the wake of a recent book", *Middle Eastern Studeis*, 21 (1985), s. 141-159.

TOROS, Taha, "Fahri Bey ve Ömer Lütfi Paşa", *Tarih ve Toplum*, XIV/82 (Ekim 1990), s. 9.

TOROS, Taha, "İsviçre'deki Jön Türkler Arasında Tarsuslu Bir Gazeteci", *Çukurova Bayram Gazetesi*, 4 Aralık 1976, sayı 9.

TUGAY, Emine Foat, *Three centuries: family chronicles of Turkey and Egypt*, London: Oxford University Press, 1963

"Tunalı Hilmi", *TDEA*, c.VIII, s. 381.

Turkish prisoners in Egypt: a report by the delegates of the international committee of the red cross, London: Cassell, 1927.

Türk Dili ve Edebiyatı Ansiklopedisi, 8 c., İstanbul: Dergah Yayınları, 1976-1998.

Türk ve Dünya Ünlüleri Ansiklopedisi: kişiler, dönemler, akımlar, yapıtlar, 10 c., İstanbul: Anadolu Yayıncılık, 1983.

UÇAROL, RİFAT, "Gazi Ahmet Muhtar Paşa", *DİA*, c. XIII, s. 445-448.

UÇMAN, Abdullah, "Sabahaddin (Prens)", *Yaşamları ve yapıtlarıyla Osmanlılar ansiklopedisi*, c.II, s. 473-475.

ULUÇAY, Çağatay, *Manisa Ünlüleri*, Manisa 1946.

ULUÇAY, Çağatay, *Padişahların kadınları ve kızları*, Ankara: TTK, 1980.

UNAT, Ekrem Kadri, Ekmeleddin İhsanoğlu, Suat Vural, *Osmanlıca tıp terimleri sözlüğü*, Ankara: Türk Tarih Kurumu Yayınları, 2004.

UNAT, Faik Reşit, *Hicrî tarihleri milâdî tarihe çevirme kılavuzu*, 6.bs., Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1988.

UŞŞAKİZÂDE ABDULLAH EFENDİ, *Zeyl-i Şakâik*, ed. Hans Joachim Kissling, Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1965.

Uzbek Sovet entsiklopediyası, 14 c., ed. I.H. Muminov, Tashkent: Uzbekistan USSR Fanlar Akademiyası, 1971-80.

UZUN, Mustafa, "Halil Hâlid Bey", *DİA*, c. XV, s.313-316.

ÜLKEN, Hilmi Ziya, *Türkiye'de çağdaş düşünce tarihi*, 2.bs., İstanbul: Ülken Yayınları, 1979.

ÜNVER, İsmail, "Leylâ Hanım", *DİA*, c. XXVII, s. 157

VERDERY, Richard N., "The publication of the Bulaq Press under Muhammed Ali of Egypt", *Journal of the American Oriental Society*, 91 (1971), s.129-132.

WUCHER KING, Joan, *Historical dictionary of Egypt*, Metuchen: Scarecrow Press, 1984.

YAARI, Abraham, "Cairo: Hebrew printing in Cairo", *Encyclopaedia Judaica*, c. V, s.31.

Yd. P. Tğm. İbrahim Sorguç'un anıları İstiklâl Harbi hâtıratı, Yay. Haz. Erdoğan Sorguç, 2. bs., İzmir 1996.

ZENKER, J. Th., *Bibliotheco manuel de bibliographie Orientale*, 2 c., Leipzig: 1846-61.

ZÜLFİKÂR, Bedizel, *Tabip Şânî-zâde Mehmed Atâullah: hayatı ve eserleri*, İstanbul: Özel yayınlar, 1991 (*XIX. Yüzyılda Osmanlı İmparatorluğunda anatomi* adlı kitabın içinde)

٢ـ الكتب العربية والتركية العثمانية

* إبراهيم عبده: تاريخ الوقائع المصرية، ١٨٢٨ - ١٩٤٢، ط. ٣ ، القاهرة ١٩٨٣م.
* أبو العمايم، محمد: آثار القاهرة الإسلامية في العصر العثماني، إشراف اكمل الدين احسان اوغلي، استانبول: إرسيكا ٢٠٠٣م.
* إحسان أوغلى، أكمل الدين- صالح سعداوي: الثقافة التركية في مصر، جوانب من التفاعل الحضاري بين المصريين والأتراك، استانبول: إرسيكا ٢٠٠٣م.
* أحمد أمين: حياتي ، ط. ٢ ، بيروت ١٩٧١م.
* أحمد شفيق باشا: مذكراتي في نصف قرن، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
* أحمد فؤاد متولي (إشراف): دراسات في الأدب والتاريخ التركي المصري، أعمال الندوة العلمية التي أقامتها جامعة عين شمس تحية لذكرى العالم التركي الأستاذ محمد إحسان لجهوده في إنشاء قسم اللغة التركية وآدابها ٢-٤ مارس ١٩٨٥م، القاهرة: دار الفكر ١٩٨٩م.
* أحمد محمد منصور: دليل المطبوعات المصرية ١٩٤٠ - ١٩٥٦م، القاهرة: الجامعة الأمريكية ١٩٨٠م.
* اشبو فهرس محروسهء مصرده محكمه جوارنده كائن كتبخانه ده موجود اولان كتابلرك عددى ايله اسم وشهرتلرينى وهر برينك فئاتنى بيان ايدر، قاهره: بولاق مطبعه سى [١٢٦٠/ ١٨٤٤م].
* أمين سامي باشا: تقويم النيل، الجزء الثاني ، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٨ / ١٣٤٦هـ.
* أمين سامي باشا: تقويم النيل، المجلد الأول، الجزء الثالث، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٦ / ١٣٥٥هـ.
* أمين سامي باشا: تقويم النيل، المجلد الثاني، الجزء الثالث، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٥/ ١٩٣٦م.

* أمين سامي باشا: التعليم في مصر في سنتي ١٩١٤-١٩١٥م، القاهرة: مطبعة المعارف ١٩١٧م.

* أيمن فؤاد سيد: الكتب المصرية، تاريخها وتطورها، القاهرة: الدار العربية للكتاب ١٩٩٦م.

* البحيري، أحمد محمد محمود: الأتراك في مصر (١٨٨٢ - ١٩١٤م)، (القاهرة: جامعة عين شمس رسالة دكتوراه ١٩٩٧م).

* البغدادي، إسماعيل باشا: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مجلدان، استانبول: مطبعة وكالة المعارف ١٩٤٥م.

* البغدادي، إسماعيل باشا: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مجلدان، استانبول: مطبعة وكالة المعارف ١٩٥١ - ٥٥م.

* بورصه لى محمد طاهر: عثمانلى مؤلفلرى ٣ جلد، (أعيد طبعه في انجلترا): Gregg International Publishers ١٩٧١م.

* بيان ما طبع من الكتب الكثيرة منذ تشريفات المطبعة بدخولها في حوزة الدائرة المنيرة، القاهرة: [مطبعة بولاق، ١٨٧٢م].

* بيوك ملت كتبخانه سى فهرستى؛ آثار شرقيه وغربيه، ط. ٢ ، ٢ قسم ، أنقره: تركيا بيوك ملت مجلسى كتبخانه سى ١٩٢٧م.

* بيوك ملت كتبخانه سى فهرستى؛ قسم ١، آثار شرقيه: [ناشر يوق] تركيا بيوك ملت مجلسى مطبعه سى، [تاريخسز]؛ قسم ٢، آثار غربيه، استانبول: أحمد احسان و شركاسى ١٣٤١ [١٩٢٥م].

* توفيق اسكاريوس: "تاريخ الطباعة" مجلة الهلال ٢ (٢٢، ١٩١٣/ ١٩٣٧م).

* الثبت الببليوجرافي للأعمال المترجمة ١٩٥٦ - ١٩٦٧م، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.

* جاك تاجر: حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر، القاهرة: دار المعارف [بدون تاريخ].

* الجبرتي، عبد الرحمن: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، المجلد الثاني، بيروت دار الجيل ١٩٧٨.
* جمال الدين: آيينهء ظرفا، عثمانلى تاريخ ومؤلفلرى، استانبول: كتبخانهء إقدام ١٣١٤ [١٨٩٦-٩٧م].
* حلمي محروس إسماعيل: الحالة الاجتماعية في النصف الأول من القرن التاسع عشر (رسالة دكتوراه من جامعة القاهرة ١٩٧٧م).

خالد عزب - أحمد منصور، مطبعة بولاق، (إشراف وتقديم إسماعيل سراج الدين)، نشر مكتبة الاسكندرية، الإسكندرية ٢٠٠٥م.

* الخانجي، محمد بن محمد البوسنوي: الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنه، مصر: مكتبة المعارف العلمية، ١٣٤٩ [١٩٣٠-٣١].
* الخلعي، محمد كامل: كتاب الموسيقى الشرفي، القاهرة ١٩٢٧م، [طبعة مدبولي ٢٠٠٠م].
* خليل ساباط: تاريخ الطباعة في الشرق العربي، ط. ٢ ، القاهرة: دار المعارف ١٩٦٦م.
* داغستاني، علي حلمي: فهرست الكتب التركية الموجودة في الكتبخانة الخديوية، مصر: المطبعة العثمانية، ١٣٠٦ [١٨٨٨-٨٩].
* الدليل الببليوجرافي للقيم الثقافية العربية المعاصرة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.
* الرافعي، عبد الرحمن: عصر إسماعيل، المجلد الأول، القاهرة: دار المعارف ١٩٨٢/ ١٤٠٢هـ.
* الرافعي، عبد الرحمن: عصر محمد علي، ط. ٤ ، القاهرة: دار المعارف ١٩٨٢/١٤٠٢هـ.
* رضوان، أبو الفتوح: تاريخ مطبعة بولاق، مجلدان، القاهرة: المطبعة الأميرية ١٩٥٣م.
* الزركلي، خير الدين: الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستغربين والمستشرقين، ٨ مجلدات، ط. ٥، بيروت دار العلم للملايين ١٩٨٠م.

* سركيس، يوسف إلياس: جامع التصانيف الحديثة، القاهرة: المطبعة العربية ١٩٢٨م.
* سركيس، يوسف إلياس: معجم المطبوعات العربية والمعربة من يوم ظهور الطباعة إلى نهاية ١٩١٩م، مجلدان، القاهرة: مكتبة سركيس ١٩٢٨م.
* سيد [محمد] رضا: تذكرهء رضا، استانبول: كتبخانهء إقدام ١٣١٦هـ [١٨٩٨ - ٩٩م].
* شمس الدين سامي: قاموس الأعلام، تاريخ وجغرافيا لغتى، استانبول: مهران مطبعه سى، ١٣٠٦ [١٨٨٨ - ٨٩م].
* الشناوي، عبد العزيز محمد: جامع وجامعة، جـ ١-٢، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٣-١٩٨٤.
* الشوربجى، محمد جمال الدين: قائمة بأوائل المطبوعات العربية المحفوظة بدار الكتب حتى سنة ١٨٦٢م، القاهرة: مطبعة دار الكتب ١٩٦٣م.
* الشيال، جمال الدين: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥١م.
* شيوخ الأزهر، القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات [بدون تاريخ].
* الطرازي، نصر الله مبشر: فهرس المطبوعات التركية العثمانية ، ٣ مجلدات، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ -٨٣م.
* [طغرول]، عمر رضا: "تعارف اسلام : مصرك بيوك شاعرى عائشه"، سبيل الرشاد ١٣ /٣٢٥ (١٣٣٣/ ١٣٣٠)، ص ١٠٠ - ١٠١.
* الطناحي، محمود محمد: الكتاب المطبوع بمصر في القرن التاسع عشر: تاريخ وتحليل، [مصر]: دار الهلال ١٩٩٦م.
* عائشة عصمت [بنت] إسماعيل [تيمور]: ديوان عائشة، [القاهرة] مطبعة المحروسة ١٣١٥هـ [١٨٩٨م].
* عبد الرحمن زكي: التاريخ الحربي لعصر محمد علي، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٠.

* عبد الرحمن عبد الجبار: فهرست المطبوعات العراقية، مجلدان، بغداد: الثقافة والفنون، ١٩٧٨.
* عبد السميع سالم الهراوي: لغة الإدارة العامة في مصر في القرن التاسع عشر، القاهرة ١٩٦٢م.
* عبد العزيز أمين عبد المجيد: التربية في السودان، المجلد الأول، القاهرة ١٩٤٩.
* عبد الغفار محمود سيد: دور العناصر التركية السياسي والاجتماعي في مصر خلال القرن التاسع عشر (القاهرة: رسالة دكتوراه من جامعة عين شمس ١٩٩٠م).
* عبد اللطيف حمزة: الصحافة العربية في مصر، ط. ٢ ، القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٨٥م.
* عبد المنصف سالم نجم: قصور الأمراء والباشوات في مدينة القاهرة في القرن التاسع عشر، مجلدان، القاهرة: زهراء الشرق ٢٠٠٢م.
* عزت عبد الكريم، أحمد: تاريخ التعليم في عصر محمد علي، القاهرة: مطبعة الاعتماد ١٩٣٨م.
* عزت عبد الكريم، أحمد: تاريخ التعليم في مصر ١٨٤٨ - ١٨٥٢، ٣ مجلدات، القاهرة: مطبعة مصر ١٩٤٥م.
* علميه سالنامه سى، استانبول: مطبعهء عامره ١٣٣٤ [١٩١٥ - ١٦م].
* عمر طوسون باشا: البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد، الإسكندرية ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م).
* علي مبارك باشا: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة، جـ ٢، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م.
* عن بيان الكتب التي جاري طبعها بالمطبعة من ابتداء ١٢ سنة ١٢٨٨ يوافق ١٩ مايو سنة ١٨٧٢ أفرنجية، القاهرة: مطبعة بولاق ١٢٩٥هـ [١٨٧٨م].
* فطين، داود: تذكرهء خاتمة الأشعار، [استانبول] ١٢٧١هـ.

* فهرس موضوعي، مجاميع الكتب العربية الموجودة في المكتبة المركزية، ٤ مجلدات ، بغداد: جامعة بغداد، المكتبة المركزية ١٩٦٦م.

* فهرس مكتبة صاحب السمو المغفور له الأمير إبراهيم حلمي = *Catalogue of the collection of H.H. the late Prince Ibrahim Hilmy*, Cairo: Printing Office Poul Barbey, 1936.

* [فهرست] الكتب العربية وغيرها التي انتهى طبعها والتي تحت الطبع بالمطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المضية، من ابتداء سنة ١٣٠٠هجرية لغاية ربيع الأول سنة ١٣٠٤، القاهرة: [مطبعة بولاق ١٣٠٤/١٨٨٦ – ٨٧].

* قدرية حسين: مخدرات اسلام، جلد ١ ، مصر: معارف مطبعه سى ١٣٣١ [١٩١٣م].

* قسطندي رزق، الموسيقى الشرقية، القاهرة ١٩٣٦م.

* كاتب چلبى، مصطفى بن عبد الله حاجى خليفة: فذلكهء كاتب چلبى، ٢ جلد، استانبول: جريدهء حوادث مطبعه سى ١٢٨٦]١٨٦٩ – ٧٠].

* كاتب چلبى، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مجلدان، الإعداد للنشر: شرف الدين يالتقايا وكليسلي رفعت بيلكه، استانبول: معارف مطبعه سى ١٩٤١ – ٤٣م.

* الكتب العربية التي نشرت في مصر بين عام ١٩٠٠ – ١٩٢٥م، القاهرة: الجامعة الأمريكية ١٩٨٣م.

* كحالة، عمر رضا: أعلام النساء في عالم العرب والإسلام، ٥ مجلدات، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٩٨٢/ ١٤٠٢هـ.

* كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، ١٥ مجلداً، بيروت: مكتبة المثنى [١٩٥٧ – ٦١م].

* كريم ثابت: مذكرات كريم ثابت، مجلدان، القاهرة: دار الشروق ٢٠٠٠ / ١٤٢٠.

* كلوت بك: لمحة عامة إلى مصر، ترجمة من الفرنسية: الأستاذ محمد بك مسعود، القاهرة (بدون تاريخ).

* لطيفة محمد سالم، فاروق من الميلاد إلى الرحيل، دار الشروق–القاهرة ٢٠٠٥م.

* لطيفى: تذكرهء لطيفى، استانبول: أحمد جودت مطبعه سى ١٣١٤ [١٨٩٦ – ٩٧.

- محروسه ده كائن كتابخانهء عامره ده موجود اولان كتابلرك مقدار وفئاتلرى، قاهره: بولاق مطبعه سى ١٢٦٢ [١٨٤٥ - ٤٦].
- محروسهء مصرده كائن كتابخانهء عامره ده موجود اولان كتابلرك مقدار وفئاتلرى، قاهره: بولاق مطبعه سى ١٢٦٦ [١٨٥٠].
- محمد ثريا: سجل عثماني، ٤ جلد، (أعيد طبعه في انجلترا): Gregg International Publishers, ١٩٧١م.
- محمد صلاح الدين حلمي: حياة الأتراك الاجتماعية في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر (رسالة ماجستير من جامعة القاهرة ١٩٦٠م).
- محمد عارف پاشا، عبر البشر في القرن الثالث عشر....
- محمد عبد الغني حسن: عبد الله فكري، القاهرة: مكتبة مصر [بدون تاريخ].
- مذكرات لحضرت صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي، [مصر]: مطبعة العناني، ١٣٦٦/ ١٩٤٧م.
- مستقيم زاده سليمان سعد الدين: تحفهء خطاطين، استانبول: دولت مطبعه سى ١٩٢٨م.
- مطبعهء اجتهادك فهرست نشرياتى، (اوچونجى باصقى)، قاهره: اجتهاد مطبعه سى ١٩٠٨م.
- ميرزا زاده محمد أمين سالم: تذكرهء سالم، استانبول: مطبعهء إقدام [تاريخسز].
- مي زيادة (الآنسة): شاعرة الطليعة عائشة تيمور، القاهرة ١٩٥٦م.
- نصير، عايده إبراهيم: الكتب العربية التي نشرت في مصر بين عامي ١٩٠٠ - ١٩٢٥، القاهرة: الجامعة الأمريكية ١٩٨٣م.
- نصير، عايده إبراهيم: الكتب العربية التي نشرت في مصر بين عامي ١٩٢٦ - ١٩٤٠، القاهرة: الجامعة الأمريكية ١٩٨٠م.
- نصير، عايده إبراهيم: الكتب العربية التي نشرت في مصر في القرن التاسع عشر، القاهرة: الجامعة الأمريكية ١٩٩٠م.

* نصير، عايده إبراهيم: حركة نشر الكتب في مصر في القرن التاسع عشر، [القاهرة]: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م.
* نوعي زاده عطائي: حدائق الحقائق في تكملة الشقائق، استانبول: مطبعهء عامره، ١٢٦٨هـ [١٨٥٢م].
* نيغده لى محمد أسعد: مرآت مكتب حربيه، استانبول: شركت مرتبيه مطبعه سى، ١٣١٠ [١٨٩٢ -٩٣].
* الهجرسي، سعد محمد: الدليل الببليوجرافي للمراجع بالوطن العربي، القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة ١٩٧٥م.
* يحيى حقي: السيرة الذاتية، قنديل أم هاشم، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٥م.

كشاف عـام

(أسماء الأعلام والكتب والدول والمؤسسات والأقوام وغيرها)

﴿ خ ﴾

﴿ ن ﴾